

أَفْغَانِسْتَانُ
قَالَ الْأَرَبُ الْعَرَبِيُّ عَبْدُ الْعُصُولِ

روسيا

أفغانستان

تأليف
الحسن الدكتور محمد مازن صافي

الطبعة الأولى

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

المكتبة السلفية
القاهرة

هذا الكتاب

- دخلت اللغة العربية وآدابها إلى أفغانستان مع الفتوح الإسلامية خلال القرن الأول الهجري فاستقرت فيها ، وقد ظهر على اثر ذلك جيل جديد يتكلم اللغة العربية ويكتب بها ويؤلف فيها فكانت له مشاركة فعالة في نشر اللغة العربية وآدابها .
- صارت الحواضر الأفغانية مراكز للعلوم والآداب ، وصارت اللغة العربية هي اللغة الأكاديمية التي يسعى أبناء الأفغان إلى التخصص في علومها وآدابها ، فازدهرت فيها جميع أنواع المعرفة ، وبقيت اللغة العربية مرفوعة الرأس مرفرفة الأعلام ، وقد تركت آثارها الأدبية في اللغات الأفغانية وآدابها .
- تمتزج في الحركات الأدبية الأفغانية الآداب الشرقية والآداب الغربية فكانت هناك عملية التأثير والتأثر المتبادل ، إلا أن التأثير العربي في الأدب الأفغاني أعظم وأرفع من أن يدانيه أي تأثير آخر ، ذلك لأن الإسلام دخل الأفغان كحضارة ومنهج في الحياة ، وكثقافة أصيلة من العقيدة واللغة والفكر والأدب .
- أسدت أفغانستان إلى الغرب العربي أروع الجميل وأطيبه ، وقد كانت ومازالت تحمي التراث الإسلامي في وجه كل الغزوات والهجمات التي أرادت النيل منه ، والقضاء عليه ، ولا يخفى على أحد ما قام به السلاطين والعلماء الأفغان المجال كمحمود الغزنوي ، ومحمد الغوري وأحمد شاه الدراني .
- يقدم للقارئ العربي الأدب العربي في أفغانستان في ثوب جديد من حيث يحمل بين ثناياه باقات من أزاهير اللغة العربية وآدابها ، وقد تمكن الأفغان من المحافظة على ذلك عبر العصور ، وعلى مدى التاريخ رغم الأعداء على الأدب وعلى المبادئ الإسلامية في البلاد الأفغانية التي تشتهر كثير من السمات والظروف والأحداث البلاد العربية .

نترک آرزوها

درون سینه من آرزو نمرد

خفا ن درد، ذوق جستجو نمرد
میرن کرم سبوی زندگی کام

تبیخ کجایس اندر کلو نمرد

تقی روز در درکت پیکار من

چو آرمی سرد سنا کاک نمرد من

صدای نیمه جهانی خفته در غم

غنی خیزد بخیز ز خانه من

در درکت طلب بانو و دراع است

نه منزل گاه برایم باغ و دراع است

نمی خورم بجز من از عدم است

که دل در زیر صفتی دراع است

دلیم در کردار این و آن نیست

غم و رنج کون و مکان نیست

ولی تر شدم ز آن روزی که از صر

یکو بندم که رفیقان در جهان نیست

صدای ای جلوتری کشت

تو میدانی طوفان سخاوت

از رازات برکت بیکری

بخور صد ما نذر صفت بزرگ

صدای من در این عالم

بسم الله الرحمن الرحیم

هـ يـ هـ شـ رـ فـ أـ قـ طـ مـ نـ

افغانستان کلتبه الکتور الکتور الکتور
قـ اـ لـ اـ رـ بـ اـ لـ عـ رـ بـ اـ عـ بـ لـ اـ عـ صـ وـ لـ
أ د س
الکتبه

٢١٩٩٥ / ٥ / ٤١

شـ اـ لـ يـ فـ
الـ لـ كـ وـ بـ مـ جـ لـ اـ مـ اـ نـ صـ اـ فـ يـ

الطبعة الأولى

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

المكتبة السلفية ومطبعها

(حقوق الطبع محفوظة للمؤلف)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

وبعد :

عندما قام المجاهدون المسلمون الأوائل بنقل الدين الإسلامى إلى منازل الأفغان المتراصة الأطراف الصعبة المنال دخل الأفغان فيه واعتنقوه عن صدق وإيمان وأصبحوا بعد ذلك من أرسخ المسلمين إيماناً به وأشدّهم تمسكاً بتعاليمه ، ذلك لأن الإسلام هو الذى أنقذهم من الوثنية وعبادة الأصنام ، ومن تعدد الآلهة والأديان ، وسوى بينهم كأسنان المشط ، فأصبح الإسلام ثابتاً راسخاً فى كل شىء منهم مع الاستقرار والاستمرار ، ومن المعلوم أنه قد مر فى جبال أفغانستان الشاهقة ، وعبر شعابها الموحشة غزاة وفاتحون ، وغرزت فى أرض الأفغان عقائد وأديان كثيرة ، ولكن أحداً لم يتمكن من الاستقرار والاستمرار فيها إلا الإسلام الذى هو وحده جاء وتمكن من الاستقرار والاستمرار والخلود على وجه الأرض الأفغانية ومنذ ذلك التاريخ أصبح العنصر الإسلامى بقيمه الأصلية يلعب دوراً هاماً فى حياة الأفغان وفى تطور الأحداث التى جرت وتجرى فى أفغانستان ، حيث أن المبادئ الإسلامية نفذت إلى أعماق المجتمع الأفغانى ، أثرت وتوثر فى حركة العمل السياسى والاجتماعى والقتال معاً ، وصبغت الحياة الأفغانية بمسحة إسلامية جهادية واضحة تعود أساساً إلى عمق العقيدة الدينية فى الشعب الأفغانى الذى تمسك بإسلامه عبر العصور ، وحافظ على هذا التراث السماوى المقدس فى وجه كل الغزوات والهجمات الأجنبية بدافع قوى نابع من الدين الذى يلعب منذ القدم دوراً متميزاً حقاً فى ذلك المجتمع القبلى الذى دخلت المبادئ الإسلامية وتغلغلت إلى أعماقه . والإسلام هو الذى زرع فى أرض الأفغان بذرة الحرية والاستقلال والاستنارة والجهاد ضد كل ما هو أجنبى ، وضد كل ما هو ينافى العقيدة الإسلامية ، لذلك فإن الدين الإسلامى أكثر تأثيراً فى أعماق الشعب الأفغانى وأبعد أثراً فى تحريك الأحداث والمشاعر والإحساسات . وكل من حاول النيل منه اصطدم بالعقيدة

الراسخة والتدين الشديد والتقاليد المحافظة لصالح الإسلام ولصالح حضارة الإسلام الثابتة المنتيرة التي وصلت شرقاً ليس فقط إلى جبال هندوكش في قلب أفغانستان ، بل إلى الهند نفسها عبر سلسلة جبال سليمان وعبر ممر خيبر الشهير ، وإلى الصين نفسها عبر سلسلة جبال پامير الشاهقة .

وقد قام الأفغانيون بدور كبير ومؤثر في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية في البلاد المجاورة لبلادهم منذ ذلك التاريخ الذي تحولت فيه أفغانستان إلى الإسلام ، وتحول رجال قبائلها الشديدة المراس العنيفة القتال القوية التدين الأزلية الاستقلال إلى مقاتلين أشداء في جيوش نشر الدعوة المحمدية والدفاع عنها عبر العصور ، ولا يخفى على أحد جهود الدولتين الأفغانيتين الغزنوية والغورية ، وجهود إمبراطورية أحمد شاه الأفغانية الحديثة في سبيل نشر الإسلام في ربوع الهند الفسيحة ، ولم يكن الذين جاءوا بعد محمود الغزنوي ومحمد الغوري وأحمد شاه دونهم في نشر الإسلام ورعاية العلوم والفنون والآداب ، فقد ظلت الحكومات الإسلامية المتعاقبة في أيدي سلاطين وأمراء من الأفغان ، وفي عهد هؤلاء السلاطين والأمراء ازدهرت البلاد الأفغانية حضارة وثقافة وأدبا وحربا وقتالا في سبيل الحق ، وصارت حواضر البلاد من أهم مراكز الثقافة والآداب الإسلامية فهناك مدن أفغانية كثيرة أخذت من التاريخ كثيراً من العبق والخلود ، ومن الحضارة قبسا عظيما من الاستنارة ، ومن العلم والدين سير خالدة لا تنسى ، ومن الآداب والعلوم عيونا جارية إلى الأبد ، فقصدها مشاهير العلماء والشعراء والأدباء والكتاب فازدهرت فيها العلوم والفنون والآداب كما ازدهرت فيها فنون الحرب والقتال والنضال حيث حارب الشعب الأفغاني ومارس الحروب في سبيل نشر الإسلام بقوة شكيمة طويلة تاريخه المديد وعبر العصور إلا أن تاريخ أفغانستان القديم والحديث لا يقتصر على أمجاد الحروب وبطولاتها العظيمة في سبيل نشر الدعوة الإسلامية ، ولكنها تمتد بكل جدارة إلى ميادين العلم والأدب وإلى مجالات المعرفة والثقافة التي حمل مشاعلها العلماء العياقة من أبناء أفغانستان بعد أن أتقنوا اللغة العربية وأجادوها وبرزوا في آدابها وفنونها وعلومها فأبرزوها .

دخلت اللغة العربية وآدابها إلى أفغانستان مع الفتوحات الإسلامية في البلاد الأفغانية خلال القرن الأول الهجري ، وسرعان ما وجدت في أفغانستان مستقرا

ثابتاً ، بل وجدت فيها تربة صالحة خصبة تحمل البذرة الصالحة إلى ما وراء جبال هندوكش ، وسلاسل جبال سليمان وپامير الشاهقة ، وقد حرص الأفغان على تعلمها وإتقانها فتغلغت في اللغات الأفغانية وفي حياتها الأدبية وأثرت فيها تأثيراً لغوياً وأدبياً بالغاً ، فأثرت تلك اللغات بمفرداتها وأساليبها .. وباستقرار الإسلام في بلاد الأفغان ، وباستقرار القبائل العربية وسكانها في أفغانستان نشأ وظهر جيل جديد يتكلم اللغة العربية ويكتب بها ويؤلف فيها ، وكان لهؤلاء الأفغان من المؤلفين والكتاب والأدباء مشاركة فعالة ومساهمة مؤثرة في نشر اللغة العربية وآدابها في البلاد المجاورة لبلادهم . وقد اشتغلت هذه الطبقة من العلماء الأفغان بعلوم القرآن والحديث ، وبفنون اللغة العربية وعلومها المختلفة فأضافت بذلك إلى الحضارة الإسلامية الشيء الطيب الكثير . وقد قدمت أفغانستان وأخرجت أعداداً كبيرة من المفسرين والمحدثين والأدباء والشعراء .

وصارت الخواضر الأفغانية كمدن غزنه وبلخ وهرات وغيرها مراكز للفنون والعلوم والآداب ، وصارت اللغة العربية هي اللغة الأكاديمية التي سعى العلماء والأدباء الأفغان إلى إتقانها والتخصص في علومها وفنونها ، وأصبحت أفغانستان تضم كثيراً من مدارس ومعاهد الآداب والفنون والعلوم العربية والأفغانية ، ويسجل التاريخ ازدهار تلك العلوم والفنون في أفغانستان الإسلامية في العصور المختلفة وبقيت اللغة العربية مرفوعة الرأس مرفوعة الأعلام فوق ذراها لأنها تفتن بحياة الأفغان الروحية ، وتمتزج بأرواحهم بهالة من التقديس والتعظيم الجليلين ، وقد تركت أثرها العظيم الهائل في الحياة واللغات الأفغانية وآدابها الإسلامية .

والحركات الأدبية في أفغانستان تعتبر من الحركات المصيرية الهامة المؤثرة حيث امتزجت فيها آداب من الشرق وآداب من الغرب فأثرت فيها وتأثرت بها إلا أن التأثير العربي في اللغات الأفغانية وآدابها العريضة أعظم من أن يداينه أى تأثير آخر ، فقد جاء الإسلام إلى بلاد الأفغان بثورة أدبية ولغوية عارمة ذلك لأنه لم يدخلها كدين وعقيدة فحسب بل كحضارة ومنهج في الحياة وكثقافة أصيلة من اللغة والأدب ، وقد اكتسحت الحضارة الإسلامية كل حضارة من الحضارات كالآرية والزرذشتية والبوذية كانت موجودة على وجه الأرض الأفغانية قبل الإسلام ، وبقيت الثقافة الإسلامية بلغاتها وآدابها وتقاليدها الإسلامية من ذلك

اليوم العامل الحاسم الفعال المؤثر في أسلوب حياة الأفغان الاجتماعية والأدبية ، وتمكنت اللغة العربية من القضاء — مؤقتاً — على اللغات الأدبية في أفغانستان ، وقد عادت تلك اللغات إلى الحياة الأدبية مرة أخرى تحت رعاية وتأثير اللغة العربية تاركة حروفها الكتابية القديمة مستخدمة الحرف العربى في الكتابة والتدوين .

أفغانستان التي أسدت إلى حضارة الإسلام ، وإلى الحرف العربى ، وإلى اللغة العربية وآدابها أطيب الجميل ، وأجمل الطيب وأوفاه كانت ومازالت بالنسبة للثقافة الإسلامية واللغة العربية وآدابها بمثابة المكنى الذى حمى ظهر تلك الثقافة والآداب وكيانها الثابت الراسخ فى أعماق نفوس الأفغان . ومن واجب أبناء الأمة الإسلامية القيام بدراسة تلك الثقافة واللغة والآداب وتقديمها إلى القارئ العربى فى ثوب من الحقيقة جديد . والطريقة المثلى لتعريف القراء فى البلاد العربية بالأدب العربى وبلغته العربية هى تقديم مثل هذا الكتاب الذى يحمل بين ثناياه باقات من أزاهير اللغة والأدب ، وإن كان هذا الكتاب بمثابة رد الأمانة إلى أهلها ، ومن فضل الإسلام على أفغانستان نشر اللغة العربية وآدابها وعلومها بين أبنائها الذين تمكنوا من المحافظة على هذه الأمانة الغالية عبر العصور ، وذلك رغم ظروف أفغانستان وبعدها عن المحيط العربى ، ورغم تكالب الأعداء عليها وعلى ثقافتها الإسلامية ، وشأن الشعب الأفغانى فى ذلك شأن الشعب العربى حيث يشتركان فى كثير من السمات والظروف والأحداث وفى تكالب الأعداء .

وهذا الكتاب الذى عمدت إلى طبعه ونشره ، فهو فى الحقيقة جزء من كتاب كبير بعنوان « الأدب العربى فى أفغانستان » وأرجو من الله العلى القدير أن يوفقنى إلى طبعه ونشره وتقديمه إلى المكتبة العربية كاملاً فى المستقبل القريب ، إن شاء الله وبتوفيق منه .

وبعد فإن أملى لجد عظيم فى أن يقوم هذا الكتاب بسد النقص الموجود فى المكتبة العربية لخلوها من كتاب يحتوى على تاريخ الأدب العربى فى أفغانستان ، وأن يقوم بإعطاء فكرة واضحة للقراء عن تاريخ أفغانستان الأدبى ، وأن يسهل لهم الطريق للعبور به كجسر عن حاضر الأمة الأفغانية فى هذا البلد الطيب المجاهد العظيم المتمسك بالإسلام منذ عرف الإسلام طريقه إليه ، إلى ماضيه المجيد الذى

كان منارا للفكر الإسلامى فى ثوبه العربى عبر العصور بأعلم الأئمة ، وأفقه الفقهاء ، وأمتن اللغويين ، وأصدق العلماء والشعراء ورجال العلم والأدب والفن . كما أرجو منه تعالى أن يجعله عوناً نافعا لكل من يبحث عن الحقيقة ويسير فى طريق التعرف على تاريخ لغة القرآن وآدابها فى بلاد الأفغان ، ولكل من يهتم بشئون الفكر والأدب وبقضايا اللغة والتاريخ ، وبأصول الثقافة الإسلامية فى أفغانستان العريقة التى عرفت كثيرا من الحضارات والآداب واللغات فى العالم القديم إلا أن معرفتها للحضارة والآداب الإسلامية ثابتة بالحق فى قلوب الأفغان ، راسخة فى أعماقهم ، ممتزجة بأرواحهم ، خالدة داخل وجدانهم ، جزء أصيل من كيانهم الأصيل ، بها يحيون وبها يموتون شهداء .

أسأل الله أن يتقبل منى هذا العمل الأدبى المتواضع الذى قمت به بفضلته وكرمه وتوفيقه لخدمة لغة القرآن والسنة النبوية والثقافة الإسلامية ، كما أسأله وأدعوه متضرعا من أعماق الأعماق أن يجعل العام الجديد عام انتصار المسلمين المجاهدين وانهايار المتجبرين وهزيمة الطغاة المتكبرين . والله ولى التوفيق .

الدكتور / محمد أمان صافى

منى — مكة المكرمة

٨ من ذى الحجة ١٤٠٧ هـ

٢ من اغسطس ١٩٨٧ م

الباب الأول
أفغانستان في ظل الفتح الإسلامي
العصور الأدبية

الفصل الأول

خراسان .. الحالة السياسية - الدينية - الأدبية - اللغوية

بداية الفتوحات الإسلامية في أفغانستان

تمهيد — نور الإسلام يسلط أشعته على منازل الأفغان :

كانت البلاد الآرية الأفغانية — في النصف الأول من القرن السابع الميلادي — تعيش في ظل جيروت الخوانين ، وظلم الأمراء ، واستبداد الملوك وجشع الإقطاعيين ممزقة بين هؤلاء جميعا من الناحيتين السياسية والجغرافية ومتردة بين المذهبين الدينيين الثنوي والبوذى ، ومتأرجحة بين الآداب والفنون والعلوم الأصلية وبين ما جاء إليها من خارج حدودها .. وكانت الأعاصير المدمرة تهب عليها بقسوة من كل جانب ، وكانت الدوائر تتوالى عليها وكان التدهور قد طرأ على كل شيء فيها . على كيانها السياسى ، والجغرافى والأدبى والفنى .. وكان التراث الحضارى ، والمعايير الاجتماعية من الحق والخير ، والعدل ، والإخاء والمساواة فى حاجة إلى إنقاذ عاجل لأنها كانت قد وصلت إلى الحضيض فى طريق التدهور والانحيار شأنها فى ذلك شأن المعايير السياسية ، والطوايع الثقافية ، ومن الممكن إطلاق اصطلاح (فترة الانحيار) هذه على تلك الحقبة من التاريخ الأفغانى لأنه من المعروف أن قوة الدولة ترتبط ارتباطا وثيقا بوحدةها وتماسكها ، وأن ضعفها نتيجة منطقية لفتتها ، وانقسامها ، وتنضج لنا سلامة هذه القضية بجلاء إذا نظرنا إلى الدول ، والمقاطعات التى كانت تتحكم فى مصير أفغانستان فى تلك الفترة من التاريخ حيث كانت البلاد الأفغانية فيها مجزأة ، ومنقسمة على نفسها ، يتحكم فى مصيرها عدد من القوى السياسية المحلية كان الرابط بينها مفقودا أو ضعيفا ، كذلك كانت الصلة بينها وبين الجماهير منعدمة .

وفى غضون ذلك بزغ نور الإسلام ساطعا من جهة القبلة المحمدية ورفع المسلمون فى الجزيرة العربية راية الإسلام عالية ترفرف فى الآفاق ، وقد وصل صدهاء بسرعة البرق إلى جميع أنحاء العالم دين حنيف يدعو الناس جميعا إلى توحيد الله رب العالمين ، دين يدعو الناس إلى الحق والخير والعدل والإخاء والمساواة ، دين اهتزت له أركان الإمبراطورية الساسانية ، بعد أن تم بينه وبينها التصادم ، وذلك فى معركتين معروفتين .. نهاوند ، والقادسية ، منيت فيهما الدولة

الساسانية بهزيمة منكرة ، حاول على أثرها الملك الساسانى (يزدكرد) النجاة من الموت المحقق ، ففر هاربا شطر الشرق يريد اللجوء إلى (خراسان — أفغانستان) كما فعل الملك (داريوش) الرابع آخر ملوك الدولة الهخامنشية ، ولكن الموت كان فى انتظاره حيث قتل فى (مرو) فى سنة (٣١ هـ — ٦٥٢ م) .

ولقد كان الأفغانيون قبل هذه الأحداث العظيمة التى كانت تجرى فى حدودها الغربية ، قد اطلعوا على النهضة الإسلامية منذ وصولها إلى الشام والعراق ، ثم إلى بلاد فارس الساسانية التى انهزمت بسرعة ، وقد رأوا فى هذه النهضة الإسلامية السماوية كل آملهم لما فيها من العدالة ، والخير ، والمساواة ، والدفاع عن الحق ، والأمانة والكرم ، والصدق ، وغيرها من المبادئ والسجايا الخلقية والاجتماعية التى يعيشها الأفغانى ، ومن هنا فتح الأفغانيون قلوبهم لهذا الدين القويم ، ولهذا النهضة التى يدعو إليها ، ولم يمض وقت طويل حتى كان الأفغانيون يحملون — بإخلاص — رايات الإسلام على عاتقهم فى كل مناحيه ، وفى جميع ميادينها الاجتماعية ، والعسكرية ، والعلمية ، والفلسفية ، والأدبية ، والفنية ، فأدخلوا شعوبا كثيرة فى هذا الدين الجديد ، ونشروا العلم ، والأدب ، والفن ، والعلوم الفلسفية الإسلامية ، فى أقطار كثيرة من بلاد الشرق ، كما سيأتى تفصيل ذلك فيما يأتى من فصول هذا الباب . وهل هناك من يجهل جهود الدولة الغزنوية ، والدولة الغورية من الفتوحات فى سبيل الإسلام ١٩

قلت قبل قليل إن (يزدكرد) الساسانى قد قتل فى (مرو) بعد أن فر هاربا أمام الجيش الإسلامى المندفع بشدة نحو الشرق ولقد تم فتح الإمبراطورية الساسانية بسرعة وبكثير من السهولة واليسر ، لذلك جعلها المسلمون بعد ذلك قاعدة رئيسية لعملياتهم العسكرية فى البلاد الأفغانية والساسانية ، يقومون منها بالانطلاق لتنفيذ هذه العمليات العسكرية التى تم فيها فتح (آريانا — خراسان — أفغانستان) ولتنفيذ هذه الخطة القتالية اتخذ المسلمون قاعدتين أساسيتين إحداهما فى غرب أفغانستان الآرية الخراسانية ، وكان مركزها مدينة (نيسابور) التاريخية ، وكانت مهمة هذه القاعدة الأساسية الأولى لإتمام العمليات العسكرية فى أفغانستان الغربية أولا ، ثم فى أفغانستان الشمالية وفقا للخطة القتالية التى وضعت لتنفيذها عن طريق (هرات — بلخ — تخارستان — قندس) العاصمة التاريخية فى شمال

أفغانستان . أما القاعدة العسكرية الإسلامية الثانية فكانت في (كرمانيش) وكانت مهمتها العسكرية هي القيام بالعمليات القتالية الحربية في الجنوب الغربي من أفغانستان عن طريق .. (زرنج — بست — رخد — قندهار — غزني — كابل) العاصمة الحالية للبلاد الأفغانية وسيأتي تفصيل كل ذلك في الفصول التالية من هذا الباب ، ويمكن القول هنا باختصار وإيجاز : إن أول قدم وضعها المسلمون العرب في الأراضي الآرية الخراسانية الأفغانية كان في سنة (٢٣ هـ — ٦٤٥ م)^(١) أي بعد عودة الرحالة البوذي الصيني (هيوان تسنك) إلى بلاده الصين بسنة واحدة بالتحديد .

فقد وضع المسلمون خطة كاملة لفتح (خراسان) الأفغانية ، ورسوموا لتنفيذ ذلك طريقين .. الطريق الغربي الشمالي ، والطريق الجنوبي المركزي وفتحوا على ذلك جبهتين قويتين أمسكتا بأفغانستان الخراسانية بين فكي كاشة فولاذية صلبة ، وقد ساعدهم في تنفيذ الخطة الحربية ما كان يسود البلاد من الفوضى ، والانقسام ، والانفصال ، والتجزئة والإقطاع ، والضعف السياسي ، والوهن الاقتصادي ، حيث كان عدد من الخوانيين^(٢) والأمراء يسيطرون على مقاليد الأمور في الجناح الشمالي من البلاد ، وكان أهم هذه الإمارات التي قام هؤلاء الخوانيون والأمراء بإنشائها إمارة (تخارستان — تخار) بحضارتها مدينة (قندس — كندز) التاريخية ، وكذلك كان شأن الجناح الجنوبي من جبال (هندوكش) حيث كان عدد من الأمراء والخوانيين ، والحكام يسيطرون على عدد من الإمارات والولايات قاموا بإنشائها هنا وهناك . وأهم هذه الإمارات إمارة (كابييسا) بحضارتها مدينة (كابييسا) وكان عدد من الأمراء والخوانيين والحكام الإقليميين يسيطرون على زمام الأمور في الإمارات الغربية ، والمناطق الجنوبية الغربية ، وقد كانت لكل فريق من هؤلاء الأمراء والخوانيين والحكام المحليين في الإمارات المختلفة في جميع أنحاء أفغانستان الخراسانية — اتصالات ، وتصادمات ، ومخاطر ومغامرات مع

(١) هناك أقوال أخرى في هذا الشأن ، ولكن أشعار الجند المقاتلين تشير إلى أن الفتح الإسلامي في أفغانستان قد بدأ في سنة ٢٢ هـ = ٦٤٢ م بقيادة الأحنف بن قيس التميمي في خلافة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) وهذه الأشعار تشير إلى أن المسلمين غلبوا في هذا الفتح على عدد من المدن الأفغانية .

(٢) الخوانيون : جمع خان وهو السيد النبيل الشريف ، وكان لقباً من الألقاب الرسمية أيام الإنجليز وكان يمنح لرؤساء القبائل الأفغانية في منطقة الحدود .

الدولة التي كانت تجاورها في الحدود السياسية والجغرافية فكان الأمراء والخوأنين في الشمال من الأراضي الأفغانية يتصلون بالصينيين ويصطدمون بهم أحيانا . وكان أمراء (كاپيسا) في الجناح الجنوبي من جبال (هندوكش) يتصلون بالهنود والعلاقات بين الجانبين في هذه الفترة الحرجة طيبة حسنة ، أما أمراء الإمارات الغربية والجنوبية الغربية فكان لهم شأن غير شأن أمراء (تخارستان) و (كاپيسا) بالصينيين والهنود ، إذ كان موقف هؤلاء الأمراء مع الدولة الساسانية موقف المدافع حيث تهدد ، وتحارب وتستقطع .. والإمارات الغربية الأفغانية تدافع ، وتقوام ، وتسترجع وفقا لقدراتها العسكرية ، وظروفها السياسية .. خطر صيني يهدد (آريانا) الخراسانية من الشرق ، وخطر ساساني يهددها من الغرب ، ثم خطر داخلي يهددها من الداخل ، وقد أضيف إلى هذه الأخطار خطر من نوع آخر ليس كالأخطار العادية التي تعودت خراسان الآرية عليها .. خطر في يده نور للهداية والإنقاذ والنجاة يتخذ سبيله إلى أفغانستان الآرية الخراسانية عن طريقين ، فاتحا جبهتين .. جبهة الجنوب الغربي التي تؤدي إلى الأقاليم المركزية والشرقية وجبهة الغرب التي تؤدي إلى فتح المناطق الشمالية الأفغانية .. نعم ! خطر ولكن في يده شعلة من نور .. خطر في إحدى يديه سيف صارم ، وفي الأخرى نور ساطع ، وشتان بين هذا الخطر المشرق الذي يهدى ، وينقذ ، وبين الأخطار الخارجية والداخلية الأخرى التي كانت تهدد وتدمر وتخرب .. وفي الحق أن هذا الخطر لم يكن خطرا على أفغانستان الآرية الخراسانية بمفردها ، ولكنه كان خطرا عاما يهدد دول المنطقة كلها من البلاد الأفغانية ، والإيرانية ، والهندية والصينية فرئ اتخاذ الإجراءات اللازمة الحازمة للوقوف في سبيله ومنعه من التسرب إلى الأقطار الشرقية ، وقامت دولة (كاپيسا) المركزية بحركة سياسية وعسكرية رائعة لعلها تستطيع إطفاء نور الهداية الخطير الآتي من الغرب وفي يده شعلة من نور ساطع هاد ، لكونها الدولة أو الإمارة الوحيدة التي كان في إمكانها القيام بمثل هذه الحركة القوية حتى يمكنها إنقاذ ما كان تعتقد إنقاذه واجبا وطنيا يجب القيام به إلا أن حركة (كاپيسا) هذه لم تجد نفعا مع روعتها السياسية والعسكرية نظرا لظروفها الصعبة الطبيعية ، ونظرا لكثرة الأخطار التي كانت تحيط بها من الجهات المختلفة . ولولاها لاستطاعت عمل شيء ما من هذا النوع للقيام بمحجب هذا النور الأخضر الآتي من

الغرب وفى يده شعلة وضاعة من الهداية الإلهية .

قلت : إن الخطر الإسلامى كان يهدد جميع الدول فى هذا الجزء من العالم ، وجميع هذه الدول كانت تشعر بالخطر الزاحف عليها .. بنوره الساطع الهادى ، الهادى ، والصين من الدول التى كانت تشعر بهذا الخطر شأنها فى ذلك شأن الدويلات الأفغانية فى أفغانستان ، ولذلك كانت الحكومة الصينية آنذاك تحاول جاهدة إنشاء جبهة متحدة واحدة لمجابهة خطر هذا الزاحف المتدفق من الغرب .. من الجزيرة العربية : مهد النور الإسلامى فتمكنت من إخضاع الخوانين ، والأمراء ، والحكام الذين كانوا يحكمون الإمارات الصغيرة الواقعة فى المناطق الغربية من حدودها المتاخمة لها لتكون منها جبهة واحدة تقف أمام المد الإسلامى الآتى من الغرب ، فأخضعت لنفوذها السياسى كلا من الخوانين والأمراء فى إمارات (ختن) و (كاشغر) و (ياركند) و (سمرقند) وغيرها من الإمارات الصغيرة فى تلك المناطق التى لم تسلم أبدا من الزحف الإسلامى مع ما بذلته الحكومة الصينية من جهد لتوحيد الصفوف للوقوف فى سبيل الخطر الإسلامى الذى كان يحمل فى إحدى يديه سيفا صارما وفى الأخرى نورا من الهداية الإلهية . قامت الصين بهذا الجهد الفاشل فى حوالى (٦٣٢ - ٦٣٥ م) . وكان شأن الإمارات فى الشمال الأفغانى شأن الإمارات الأفغانية الأخرى فى جميع أنحاء أفغانستان الخراسانية .. فقد طرأ تحسن طيب على العلاقات بين هذه الإمارات فى أفغانستان وبين الصين ، والسبب هو الشعور المشترك بالخطر الذى يهدد دول المنطقة كلها ، وقد استمر هذا التحسن الذى طرأ على العلاقات بين الجانبين يزداد يوما بعد يوم وبخاصة بين دول (كاييسا) فى قلب أفغانستان ، وبين الصين ، وقد تطورت علاقات الود والجوار بين الجانبين إلى أن بدأ الجانبان يتبادلان الهدايا كما يقوم الرحالة الصينى (هيوان تسنك) فقد بعث ملك (كاييسا) إلى الإمبراطور الصينى (تى تسانك) عددا من الجياد الآرية الشهيرة هدية منه للتعبير عن الصداقة والود وحسن الجوار ، وكان الجانب المقابل الصينى يقوم أيضا بإرسال الهدايا ، والرسل والرسائل إلى ملك دولة (كاييسا) الأفغانية . وكان الصينيون يريدون من وراء هذا التحسن الطارئ على العلاقات بين الدول الأفغانية والإمبراطورية الصينية فرض الحماية على هذه الدولة الكاييسية التى كانت

مخدوعة بنوايا الصين السياسية ، كما فرضت نفوذها السياسى والعسكرى على إمارات (ختن) و (كاشغر) و (ياركند) و (سمرقند) وغيرها ، وكما كان لنفوذها أثر طيب ، وقبول حسن فى الإمارات الأفغانية من الأقاليم الشمالية ، لذلك ومع هذا التحسن كانت (آريانا — أفغانستان) الخراسانية بين خطرين عظيمين أحدهما يتمثل فى الفتح الإسلامى الذى يحمل فى يده شعلة النور والآخر ملتبس خفى : ظاهره الود ، وباطنه العذاب ويتمثل فى الأطماع الصينية ، وبالإضافة إلى هذين الخطرين العظيمين كانت البلاد الآرية الخراسانية الأفغانية منقسمة على نفسها ، ومجزأة بين الخوانين والأمراء فى الشمال ، وبين أمراء الدولة الكايسية فى وادى (كابل) ، والأمراء جميعا بمالديهم فرحون ، لا يجمعهم إلا العرق الآرى لأنهم بلا استثناء كانوا ينتمون إلى العرق (الكوشانى — اليفتى) الذى يشتهر فى التاريخ العربى باسم (الرتبيل والرتابله) إذن هناك خطر من الخارج يهدد البلاد وإماراتها ، ثم صراع فى الداخل من الخوانين والأمراء فى الأقاليم الأفغانية المختلفة وفى هذا التطاحن الدامى الشديد الخطورة الداخلى والخارجى بدأ الجيش العربى الإسلامى يتدخل فى (آريانا — أفغانستان) الخراسانية تدخلا سريعا : مسلمون من العرب يتوجهون إلى البلاد الأفغانية الخراسانية من الغرب بعد أن اتخذوا قاعدتين لهم فى الحدود البحرية لأفغانستان لتوجيه الضربات القتالية إلى الأقاليم الأفغانية المختلفة مسلمون من العرب يتوجهون إلى أفغانستان ، وفى أيديهم شعلة من نور يريدون نشر مبادئ الدين الإسلامى بعمل عسكري ، هذا ما كان يجرى فى الحدود الغربية الأفغانية ، أما عن الشرق فى الحدود الشرقية الشمالية الأفغانية فغزة من الصين يريدون فرض الحماية على البلاد الآرية الأفغانية الخراسانية دون تدخل عسكري ، بعد أن فرضت نفوذها بتدخل عسكري على عدد من الإمارات والأقاليم فى تركستان الشرقية ، وفى الحق أن هذه الحماية التى كانت الصين تريد فرضها على الدويلات الآرية الأفغانية هى فى الحقيقة وواقع الأمر حماية لنفسها عن الخطر المتدفق المندفع من الغرب ، وكانت السياسة الصينية فى هذا الوقت تشجع الخوانين ، والأمراء والحكام فى الإمارات الأفغانية على مقاومة المسلمين من العرب ، دون أن تتدخل عسكريا وعمليا نظرا للظروف الطبيعية القاسية .. فهى أولا بعيدة من ميدان المعارك التى كانت تدور رحاها بين المسلمين والأفغانين ،

وهي ثانيا غير قادرة — عسكريا — على العبور فوق ذلك المانع الجبلى الهائل الذى كان يقوم فى وجه الجيوش الصينية المسلحة ، وهذا المانع الهائل هو جبال (پامير — PAMIR) الشاهقة الشاخنة .

نعم ، كانت للحماية الصينية قصة مع أفغانستان تبدأ بدخول البلاد الآرية الأفغانية الخراسانية فى حماية الإمبراطورية الصينية — معنوياً — أيام الإمبراطور الصينى (تى — تسانك) الشهير ، وبعد موته فى سنة ٦٤٩ م استمرت الحماية الصينية اسما وشكلا ، ولم يكن لها أى نوع من التطبيق العملى ، واستمرت هذه الحماية المعنوية بالمراسلة أيام كل من الإمبراطورين الصينيين العظمين ... (كاوتسونك KAO-TSONG) . (٦٥٠ — ٦٨٣ م) . و (هيون — تسونك HIOUEN-TSONG) . (٧٠٢ — ٧٥٦ م) ، وقد دامت هذه الحماية الصينية بالمراسلة الفرمانية من أواسط القرن السابع الميلادى إلى أواخر القرن الثامن الميلادى ، وكانت حماية معنوية بحتة ، لم يكن للتدخل العسكرى فيها أى أثر ، كما يقول المستشرق الفرنسى الموسيو (فوشه^(١)) وإن كان كتاب الصين ومؤلفوها يذكرون أسماء ست عشرة ولاية آرية بين نهري (جيحون = آمو) و (أباسين = السند) ويعتبرونها محميات صينية ، ولكن هذه الحماية لم تكن تحمل الطابع العملى أبدا ، وكل ماكان فى الحماية هو إصدار الفرمانات بأسماء الولاة والأمراء والحكام كما أصدر الإمبراطور^١ (كاوتسونك) الفرمانات بأسماء ولاة (سمرقند) و (بخارى) و (فرغانة) و (كندهارا) فى السنوات ٦٥٠ ، ٦٥٦ ، ٦٥٨ ، ٦٦٠ م . على التوالى . كما أصدر الإمبراطور الصينى العظيم (هيوان — تسونك) أثناء اتساع الفتوحات الإسلامية فى أفغانستان الخراسانية ، عدة فرمانات لتشجيع الولاة والأمراء والخوانين وحثهم على مقاومة المسلمين من العرب ، دون أن يتدخل عسكريا أو عمليا وذلك كان فى الأعوام ٧٠٥ ، ٧٢٠ ، ٧٤٥ م ، وقد أرسل أيضا فرمانات ومذكرات رسمية إلى الولاة ، والأمراء ، والحكام فى (كاپيسا) كما قام بإرسال الفرمانات والرسائل الرسمية إلى الأمراء والخوانين والحكام فى (تخارستان) فى عام ٧١٨ م ، ٧٢٧ م ، وقد أشار فى الرسالة

(١) تاريخ أفغانستان ٥٢٨/٢ وما بعدها ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام ١/ ١٩ — ٢٨ ، وتقدن إيرانى ٣٩٨ ، ٤٠٠ ، ٤٠٣ ، مقالة المسير فوشه

الأخيرة إلى سيطرة المسلمين من العرب على إمارة (تخارستان) الأفغانية .
ظهر العرب المسلمون في الحدود الغربية للبلاد الآرية الخراسانية الأفغانية ،
ثم دخلوا (سيستان = سجستان = نيمروز) وفتحوا (زرنج) و (زالق)
و (كركويه) في الجنوب الغربى من أفغانستان الخراسانية ، وبدأوا يخططون
للوصول إلى (كابل) التى اتخذها الرتابلة عاصمة لهم نظرا لموقعها الاستراتيجى
العظيم ، وكانت العاصمة - قبيل ذلك - هى مدينة (كاييسى) التاريخية ، وقد
قام الرتابلة بنقل ثقلهم السياسى والعسكرى إلى العاصمة الجديدة (كابل)
ليتمكنوا من مواجهة المسلمين العرب ، وسد مهاجماتهم قبل الوصول إلى العاصمة
الجديدة نظرا لما تتمتع به هذه المدينة بأوديتها وجبالها من مواقع استراتيجية هامة
عسكريا ودفاعيا . وقد اشتبكت الجيوش الأفغانية والإسلامية فى كثير من الميادين
القتالية قبل الوصول إلى وادى كابل . وقد بدأت المعارك الدامية تدور رحاها فى
كل من (سيستان) و (بست) و (أرغنداو) و (زمينداور) و (قندهار)
و (زابل) و (غزنة) وكان النصر فيها دائما من نصيب المسلمين حتى وصلوا
إلى مدينة (كابل) العاصمة المخاطة بالجبال ، وقد اشتبك الجيشان على مشارفها
فى معركة كانت فاصلة للرتابلة كما سيأتى تفصيل ذلك فى الفصول الآتية إن
شاء الله .

نعود مرة أخرى إلى ماكان للدولة (كاييسا) وعاصمتها مدينة (كاييسى)
من أهمية سياسية وعسكرية واستراتيجية فى تاريخ أفغانستان الخراسانية القديمة ،
كانت مدينة (كاييسى) هذه عاصمة قديمة منذ العصور القديمة وكانت كذلك
عاصمة هامة للدولة الكايسية فى هذه الفترة من التاريخ أيام الرتابلة كما كانت
قبلهم عاصمة هامة أيام الكوشانيين فى عصرهم الأول والثانى . وقد مر بنا آنفا
بأن الرتابلة ملوك (كاييسا) و (كابل) قد قاموا بنقل العاصمة من مدينة
(كاييسى) إلى مدينة (كابل) العاصمة الحالية لأسباب سياسية وعسكرية كما مر ،
ومن هنا نرى اسم (كاييسى = KAPISI) يتردد فى كتب التاريخ الصينية أكثر من
اسم (كابل) بينما نرى كتب التاريخ الإسلامية العربية يتردد فيها اسم كابل أكثر
من اسم (كاييسى) وكذلك من (كاييسا) وسبب ذلك واضح جلى لأن مدينة
(كاييسى) كانت هى العاصمة للدولة الكايسية أيام قيام الزوار الصينيين

برحلاتهم إلى أفغانستان القديمة ، بينما كانت مدينة (كابل) هى العاصمة أيام بدء الهجوم الإسلامى على هذه الأقاليم من أفغانستان القديمة ، ويقول المؤرخ الفرنسى (فوشه) إن مدينة (كاييسى) كانت تلعب دورها القيادى الرئيسى حتى عام (١٧٦ هـ - ٧٩٢ م) أو إلى عام (١٧٧ هـ - ٧٩٣ م) . وقد هاجم إبراهيم ابن جيل بأمر من والى خراسان فضل بن يحيى هاجم (كاييسا) عن طريق (غوروند^(١)) وقام بعد فتحها بتدمير التماثيل ، وتكسير الأصنام وتخریب المعابد ، والقضاء على الآثار التاريخية القديمة ، وعلى كل ما كان له نوع من القدسية لغير الله الواحد القهار . وبعد هذا التاريخ لم يذكر التاريخ الإسلامى العربى اسم (كاييسا) إلا مرة واحدة ذكره أبو الريحان البيرونى فى كتابه (ما للهند) فى شكل (كاييش = KAPISH) مما يدل على أن الثقل السياسى والعسكرى والاستراتيجى الرئيسى كان قد انتقل من مدينة (كاييسى = بگرام) الحالية إلى مدينة (كابل) العاصمة الحالية فى أواخر القرن الثامن الميلادى ، وأوائل القرن التاسع الميلادى كما سنرى تفصيل ذلك فيما يأتى .

(١) غوروند : غوريند .

الفصل الأخير من حياة آريانا

أفغانستان القديمة :

١ - الحياة السياسية والضغط العسكري الإسلامى :

مازلنا فى جولة تمهيدية تاريخية قديمة نسير فيها فى ربوع أفغانستان ومدنها التاريخية تمهيدا للفصول القادمة من هذا الباب ، فنرى فى جولتنا التاريخية هذه ، ونحن على مشارف الفتوحات الإسلامية التى بدأت تلقى بضوئها الساطع على جميع جوانب الحياة فى أفغانستان الخراسانية ، نرى فى هذه الجولة التاريخية الممتعة تظهر أسماء جديدة فى التاريخ الأفغانى وتلمع وتحتل الأماكن البارزة التى كانت تحتلها أسماء الشخصيات التى انقضى دورها واختفت من ميدان المسارح السياسية والقومية والوطنية ، فتظهر من ألقاب الملوك وأسمائهم الأسماء والألقاب الآتية ... برهمنشا ، هندوشاه ، وتيلشاه ، ترهكشاه ، كابلشاه ، زابلشاه ، تكينشاه . وغيرها من أسماء الأسر الملكية وألقابها ، ومن أسماء المناطق والأقاليم الأفغانية التى تظهر من جديد فى هذه الحقبة الهامة من تاريخ أفغانستان المحضرم : كندهارا ، باميان ، وجيرستان ، كرديز ، غور ، زمينداور ، تخارستان ، وغيرها من الأقاليم التى اشتهرت فى الميادين السياسية والثقافية والأدبية ، ومن أسماء المدن التى اشتهرت فى هذه الفترة من التاريخ الأفغانى : كابل ، ويهند ، وقندس وغيرها من أسماء المدن الأفغانية . وليس معنى هذا أن هذه الألقاب والأسماء والأعلام الأفغانية ومسمياتها قد استحدثت حديثا ، ووضعت فى هذه الأيام على مسمياتها ولكن الغرض من ذلك أنها ظهرت على مسرح السياسة وحلت محل الأسماء والألقاب والمسميات القديمة . ﴿ وتلك الأيام ، نداولها بين الناس ﴾ .

وتجدر الإشارة إلى أن ملوك ، وأمراء ، وحكام ، وخوانين تلك الأقاليم والمناطق والمدن الرئيسية فى جنوب جبال (هندوكش) كانوا يلقبون بلقب (الشاه = الملك) وبما أن لقب (كابلشاه) كان أكثر استعمالا من غيره من الألقاب فكان يدخل تحت راية هذا اللقب الملوكى جميع الملوك والأمراء ، والخوانين ، والولاة ، والحكام الذين ظهروا على مسرح الحياة السياسية فى هذا

الإقليم من الأراضى الآرية من القرن الرابع الميلادى (أيام كيدارا) إلى الربع الأول من القرن الحادى عشر الميلادى^(١) . فكابلشاه وغيرها من الألقاب التى مر ذكرها آنفا ألقاب عامة^(٢) كانت تطلق على ملوك وأمرأء هذه المنطقة من أفغانستان الخراسانية كلقب كسرى للملوك فارس ، وقيصر للملوك روسيا ، وفرعون للملوك مصر الأقدمين تماماً .

نقل العاصمة من (كاييسا) إلى كابل على أثر هجوم المسلمين عليها :

فى الفترة بين سنة ٦٣٢ م إلى ٦٤٤ م^(٣) أثناء زيارة الزائر البوذى الصينى والرحالة المشهور (هيوان تسنك) كانت مدينة (كاييسى) فى (كاييسا) هى العاصمة ، وكانت مركزا رئيسيا هاما من الناحيتين الثقافية والسياسية ، وكانت فى هذه الفترة تزدهم بالمعابد المختلفة وبرجال الدين والرهبنه وبطلاب العلم والعلماء والأدباء والزوار ، وقد زارها الرحالة الصينى وناقش علماءها فى المبادئ الدينية البوذية ، وآثار هذه المدينة التاريخية العظيمة لاتزال باقية ، وقد بنيت مكانها الآن مدينة (بكرام)^(٤) التى تبعد عن (كابل) العاصمة بحوالى ستين كيلومترا شمالا . ولم يكلف الزائر الصينى (هيوان تسنك) نفسه أن يزور (كابل) أو يمر عليها لأنها لم تكن ذات أهمية فى نظره فى هذه الفترة التى قام فيها بزيارة أفغانستان القديمة .

بعد هذه المقارنة بين المدينتين الأفغانيتين القديمتين .. (كاييسى) و (كابل) أقول - كما أشرت سابقا - إنه فى عام ١٧٦ هـ = ٧٩٢ م تقريبا هاجم إبراهيم بن جبريل بأمر من والى خراسان الفضل بن يحيى^(٥) ، إقليم (كاييسا) وبالذات العاصمة مدينة (كاييسى) عن طريق (غوروند)^(٦) ويقول اليعقوبى إن المسلمين دمروا فى هذا المهجوم مدينة (كاييسى) بما كان فيها من الآثار

(١) أحمد على كهزاد - تاريخ أفغانستان ج ٢ ص ٥٣٦ وما بعدها - طبعة كابل سنة ١٣٢٥ هـ .

(٢) پوهاند عبد الحى حبيبي أفغانستان بعد از اسلام ٧١/١ وما بعدها طبعة كابل عام ١٣٤٥ هـ .

(٣) المصدر السابق ١١/١ وما بعدها .

(٤) بكرام = BAGARAM .

(٥) الطبرى ٢٥٨/٨ - ٢٥٩ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام ٣٤٣/١ ، وما بعدها وتاريخ سيستان

١٥٤ ، وتاريخ أفغانستان ٣٤٥/٢ وما بعدها .

(٦) غوروند = GHURWAND وفى اللهجة الدرية الأفغانية غوريند .

البوذية .. كما دمروا المعابد البوذية والبرهمية وغيرها من المعابد في نواحيها ، وكما يقول المؤرخ الفرنسي الموسيو فوشه إن هذا الهجوم كان ضربة قاضية فاصلة بالنسبة لهذه المدينة التاريخية^(١) .. وانتقلت بعد ذلك العاصمة من إقليم (كاييسا) إلى (كابل) وكان ذلك على الاحتمال الأقوى في سنة ١٧٧ هـ = ٧٩٣ م . وليس معنى هذا انقطاع الحياة فيها ، فقد عثر فيها على نقود و عملات ومسكوكات عليها كتابة بالخط الكوفي وهو دليل دوام الحياة العادية في (كاييسى) كمدينة عادية وليست كعاصمة .

قلت إن العاصمة انتقلت من (كاييسى) إلى (كابل) فهل استمرت العاصمة الجديدة في تحمل المسؤولية السياسية والعسكرية والثقافية للدولة مدة طويلة ؟ وللإجابة على هذا السؤال أقول : لا ! لم تستطع العاصمة الجديدة كابل الاستمرار والدوام في الحياة السياسية طويلا حيث قام الصفاريون الذين كانوا قد كونوا لهم دولة صغيرة في (سيستان) الأفغانية قد أرغموا ملوك كابل بنقل عاصمتهم من كابل إلى (ويهند = WAIHAND) الساحل الشرقى من نهر (أباسين = أندوس) .

انتقال العاصمة من (ويهند) إلى (بهتند) وطرده ملوك الشرك من أفغانستان الآرية :

لم يستطع المسلمون العرب ، ولم يتمكنوا من الاستيلاء الكامل على أفغانستان إلا بعد دخول أعداد من أبناء أفغانستان في الدين الإسلامى الخفيف وبعد ذلك تمكن المسلمون من القضاء على الشرك ، وعلى الأديان البوذية والبرهمية ، والزرذشتية في البلاد الأفغانية ، ومع هذا فإن الفضل للتسابق وفى كل خير . ومن ذلك التاريخ بدأ المسلمون الأفغان يطاردون البراهمة ودولتهم البرهمية في أفغانستان ، وفى عاصمتها على مراحل تاريخية هامة ... المرحلة الأولى بدأت بطرد المشركين من مدينة (كاييسى) إلى مدينة كابل كما مر أن أشرت إلى ذلك ، والمرحلة الثانية بدأت بطرد المشركين البراهمة من مدينة كابل إلى مدينة (كرديز)

(١) تاريخ أفغانستان ٥٤٤/٢ - ٥٤٦ ، وفتح البلدان لليعقوبى ٥٢ وتاريخ أفغانستان بعد إزاسلام ٣٤٤/١ .

في جنوب أفغانستان مؤقتا ، والمرحلة التاريخية الثالثة بطرد المشركين من أفغانستان بدأت بتضييق النطاق عليهم في (كرديز) ثم طردهم من هناك أيضا إلى مدينة (وِينْد) ، والمرحلة الرابعة بدأت بطرد هؤلاء البراهمة المشركين من مدينة (وِينْد) .. أيضا إلى مدينة (بَهْتَنْدِه) على حدود إقليم (البنجاب) بالهند .

٢ - الحياة الدينية والاجتماعية في هذه الفترة ومكانة الآلهة :

تحدثت في الفصول السابقة من الباب الأول عن الحياة الدينية والأدبية واللغوية والفنية في البلاد الآرية الأفغانية ، وقلت فيما قلت : إن البوذية وتعاليمها الدينية كانت منتشرة في جميع أنحاء (آريانا = أفغانستان) القديمة ، وأشرت إلى جانب ذلك إلى وجود وانتشار مذاهب دينية أخرى في هذه البلاد ، وكانت المعابد لهذه الطوائف الدينية منتشرة أيضا في جميع المدن والأقاليم والمناطق الرئيسية في البلاد الآرية «الأفغانية القديمة وبخاصة في المناطق والأقاليم الجنوبية من جبال (هندوكش) العالية ، ونذكر على سبيل المثال عددا من تلك المعابد كمعبد الإله (سونا) فوق جبل (أرونا) في (كابيسا) في قلب أفغانستان ، ومعبد (بهيمادوى = BAHIMADWI) زوجة (ايشوارا) فوق تل (كره مار = KARAHMAR) في وادي (كونر = KONAR) مهد السيد جمال الدين الأفغاني في أواسط وادي (كندهارا) . وكذلك معبد (مهشوارا = MAHECWARA) وكان يقع في الجزء الأسفل من تل (كره مار) السابق في وادي (كونر) إلا أنه مع انتشار هذه المعابد للطوائف المختلفة في أفغانستان قبيل الإسلام كانت الغلبة للديانة البوذية ولتعاليمها الدينية ، وبخاصة في المناطق والأقاليم الجنوبية والشرقية من أفغانستان الآرية القديمة قبيل الإسلام ، وظلت الحالة الدينية كذلك وعلى هذا المنوال إلى أن وقعت السلطة والسلطنة في أيدي الهندوس من البراهمة والرتابلة والكوابلة ، هؤلاء البراهمة والرتابلة من أهالي كابل الذين طردهم الإسلام والمسلمون منها إلى أن دخلوا البنجاب بعد أن أرغمهم الإسلام على عبور نهر (أباسين) الحد الطبيعي الفاصل بين البلاد الآرية والهندية وينبغي الإشارة إلى أن الدين الوحيد الذي تمكن من توحيد الشعوب الأفغانية في أفغانستان القديمة والحديثة هو الدين الإسلامي ، ولم تتمكن الأديان الأفغانية الأخرى من القيام بهذه المهمة مع محاولاتها المتواصلة وإمكاناتها الضخمة ، وبذل المساعي الكثيرة التي

قامت بها الدول المؤمنة بتلك الأديان ، وقد عرفنا فيما سبق من تاريخ الأديان في الديار الأفغانية القديمة أن الديانتين الكبيرتين الزردشتية والبوذية لم تتمكنوا من إدخال الشعوب الأفغانية وطوائفها الدينية في إطار ديني موحد قادر على توجيه العقيدة الدينية وجهة واحدة تحفظ للشعوب وحدتها الدينية ، ذلك لأنها كانت تقوم على نظام الطبقات ، واستبداد الكهنة وتقديس الحكام ، ومن هنا عندما أقبل الإسلام بالمساواة التامة بين الطبقات ورجال الدين والحكام ، أقبِل الناس على قبوله واعتناق مبادئه ولو بعد حين . لذلك لم تستطع الزردشتية ولا البوذية القضاء على العقائد الأخرى في أفغانستان كما لم تستطع إحداهما القضاء على الأخرى^{١١١} . السبب ، بينما نرى الإسلام وقد تمكن من كل ذلك بسهولة ويسر .

عصر صدر الإسلام ونظرة عامة إلى الأوضاع في أفغانستان

الحالة السياسية قبل الإسلام :

إن من يدرس تاريخ الأمة الأفغانية في هذه الفترة .. فترة صدر الإسلام في بلاد الأفغان يرى تطوراً عظيماً في الحياة السياسية ، والدينية والأدبية ، واللغوية ، فالحياة السياسية عند هذه الأمة كانت تتركز في نظام الإقطاع والإمارة والانفصال والانقسام ، وفي هذه الحالة من الفوضى السياسية بزغت شمس الإسلام في الجزيرة العربية ، وشاع نوره الهادي ، والبلاد الأفغانية مجزأة بين أمراء وحكام وخوانين من أسر حاكمة قديمة كالأسر الكوشانية واليفتلية والغورية والرتبيلية وغيرها من الأسر التي كانت لها شأن أى شأن في الشؤون السياسية في البلاد الأفغانية ، وكان من هؤلاء الحكام ملوك وأمراء جاعوا من خارج البلاد ، وقد قاموا باستقطاع مقاطعات وأقاليم ومناطق من الأراضي الأفغانية يتمتعون بخيراتها ، ولم يكن الأمر يقف عند هذا الحد ، بل كان الهدوء والاستقرار السياسي معدوماً داخل المقاطعات والإمارات المقسمة بين الحكام والأمراء والخوانين ، وكما أشرت في بداية هذا الباب فإن الغرب الأفغاني كإقليمى (سيستان) و (هرات) وغيرهما - كان يرزخ تحت نير النفوذ السياسى الساسانى ، وكان هذا النفوذ الساسانى رغم شيخوخته يبدو وكأنه شاب في عنفوان شبابه ، مسيطراً على الأوضاع السياسية في هذا الجزء من الديار الأفغانية . والأقاليم الشرقية الأفغانية لم تكن أحسن حالاً من الأقاليم الغربية فإذا كان النفوذ السياسى الساسانى العجوز المهلهل قابعا في الجزء الغربى من الديار الأفغانية فإن الحكام والأمراء الهنود كانوا يقومون ببسط نفوذهم وسيطرتهم السياسية على أجزاء من الأقاليم الشرقية الأفغانية ، أما قلب أفغانستان ، وأقاليمها الشمالية ، فكانت تعيش مجزأة ومنفصلة ومنقسمة بين حكام ، وأمراء ، وخوانين من الأفغان الآريين الذين كانوا ينتمون إلى الأسر والعائلات الحاكمة القديمة التي أشرت إليها كثيراً ، وكانوا كثيراً ما يتمنون أن تنهأ لهم فرصة مناسبة

لتخليص الأجزاء والأقاليم الغربية والشرقية المستقطعة من التراب الأفغانى .
فمع وجود الأنظمة السياسية والإمارات الجغرافية ، والمقاطعات الإقطاعية كانت الوحدة السياسية فاقدة بين تلك الأنظمة الانفصالية الانعزالية كما كانت وحدة الهدف مفقودة بين تلك الإمارات وأنظمتها السياسية . ولا ننسى ما كان لدولة (كاپيسا) من القوة ماجعلها مطمع الإمارات الأخرى وخاصة في جنوب جبال (هندوكش) وقد قامت فعلا بتحقيق كثير من المبادئ العالية والأهداف الوطنية ، والأغراض القومية ، ودافعت عنها دفاعا مريراً حتى الموت ، ولكن مع قوتها المحلية هذه لم تكن تستطيع أن توحد الأقاليم والإمارات تحت رايتها فإن مثل هذا العمل الوطنى كان يتطلب قوة أكبر ، ونفوذاً أوسع ، وإقداماً أهم ، وإجراء أكثر فعالية لم يكن يوجد ذلك إلا في قوة معنوية ومادية آتية من الغرب من الجزيرة العربية ... وهى قوة الإسلام السامية النقية التى قامت بتطهير الديار الأفغانية من تلك النظم والإمارات الانفصالية المنقسمة ووحدتها تحت رايتها الإسلامية ، وأصبحت بعد ذلك قوة واحدة متماسكة تقوم مقامها في خدمة الإسلام ونشر مبادئه السمحة في الممالك الشرقية .

جاء الإسلام ، ووجد الديار الأفغانية في فوضى من الناحية السياسية فأنقذها من الفوضى ، وخلصها من التفرقة ، وطهرها من خرافات الانفصال وأوهام الانقسام التى كانت قد دانت على قلوب أمرائها وحكامها وخوانيتها .. طهر الأفغان سياسياً بعد أن قام بتطهيرهم دينياً واجتماعياً ، وأزال خرافات الماضى التى كانت قد علقت بأذهانهم . بدل الهمجية ، والفوضى السياسية بالوحدة ... جمع شملهم ، ولم شعنهم ، وجعلهم أمة واحدة يدعون إلى الخير .. إلى الإسلام ، وسرعان ما خفقت ألوية هؤلاء الغزاة على أكثر البلاد المجاورة لأفغانستان ، وهناك صار الأفغان شيئاً واحداً ، وأمة إسلامية واحدة ، وهذه الوحدة الإسلامية إحدى مفاخر الأمة الأفغانية التى أجمعت على الدخول في الإسلام جميعاً ... وأصبح الأفغانى يعنى المسلم ، كما أصبح المسلم يعنى الأفغانى ، وهكذا كلما ذكر (الأفغانى) تبادر إلى الذهن المسلم .. لأن الأمة الأفغانية لن تجد فيها إلى اليوم يهودياً ، ولا نصرانياً ولا هندوسياً ، ولا أى دين آخر يعتنقه الأفغان إلا الإسلام ... والإسلام عند الأفغان : سياسة وعقيدة ، دنيا ودين .

الحالة الدينية والاجتماعية :

ثلاثة أنواع من العقائد الدينية كانت تتصارع على الأرض الأفغانية في هذا الوقت من الزمن الذى تلاحق فيه نور الإسلام وضيأؤه في البلاد العربية .. العقيدة الآرية القديمة الأصيلة التى نبتت في البلاد الأفغانية ، وفي التراب الأفغانى منذ أقدم العصور ، فترعرعت فيه ، ونشطت ، ثم انتشرت منه ، وذهبت إلى خارج الحدود الآرية الأفغانية مع المهاجرين الآريين الأفغانيين شرقا وغربا ، فتطورت في قوالب وأشكال وصور ومفاهيم أخرى وفقا للتقاليد ، والعادات الموجودة في المهجر والموطن الجديد .. هذه العقيدة الآرية الأصيلة القديمة كانت - في هذا الوقت - في سبيلها إلى الضياع والاختفاء ، ثم الفناء ، نظرا لسيطرة الديانيتين والعقيدتين .. البوذية والبرهمية في الأقاليم الشرقية ، والزردشتية الساسانية المتطورة في الأقاليم الغربية ، ولولا الحرية المطلقة في اعتناق العقائد الدينية واحترام جميع أنواعها المتطورة وغير المتطورة لكان من الممكن جدا أن تستمر هذه العقيدة الآرية القديمة في الحياة الأفغانية العامة ، ولكن هذه الحرية المطلقة تسببت في تخرج وضعف هذه العقيدة الآرية ثم انقضائها واختفائها ، وهناك إلى جانب حرية العقيدة وحرية مزاوله الطقوس الدينية المختلفة هناك أسباب وعلل أخرى كثيرة وعديدة ساعدت في انقضاء هذه العقيدة الآرية وانحلالها لا مجال لذكرها هنا في هذا المقام ، والمهم هنا أن العقيدتين أو الديانيتين الجديديتين البوذية والزردشتية المتطورة كانت لهما السيطرة على عقائد الناس وعقولهم ، وأفكارهم الدينية في هذه الفترة المضطربة من تاريخ أفغانستان وذلك بالإضافة إلى عقائد محلية أخرى عديدة بما فيها المسيحية في أضيق الحدود^(١) ، وبخاصة في الحدود الغربية المتاخمة للحدود الساسانية .

وفي هذا الوقت من الاضطراب الدينى والروحى ، وفي هذا الوقت من الصراع الدينى والروحى كانت الشعوب الأفغانية وجماهيرها العريضة في إماراتها المختلفة ، وفي مقاطعاتها الإقطاعية العديدة كانت القبائل بجماهيرها العريضة تنتظم متظاهرة في إلحاح لنهضة اجتماعية وعقلية ، وفكرية ظهرت تباشيرها

(١) راجع الفصل السادس من : إيران في عهد الساسانيين .

وطلائعها بالميل الشديد ، وبالعودة الملحة إلى الوحدة العامة .. السياسية ، والاجتماعية ، والدينية ، وعدم الرضا بتلك الفوضى التي أثارها تلك الأديان الشائعة المتصارعة ، وبخاصة الوثنية الآرية القديمة ، والزرذشتية المتطورة ، والبوذية الحديثة ، كما ظهرت طلائعها بالرغبة الأكيدة في الانتقال إلى عهد من الوئام ، والسلام والتآخي ، والعرفان ، والمحبة والأخوة .

ولم يكن هذا الخلاص وتلك النجاة إلا في الإسلام دين المحبة والتآخي دين السلام والوئام ، دين المحبة والأخوة ، دين يوحد ولا يفرق ، دين يبنى ولا يهدم ، دين للهداية والهدى ، دين التوحيد الإلهي ، جاء ودخل الديار الأفغانية فوحد بين شعوبها في العقيدة والمنهج ، والهدف .. فكان هذا الاتحاد الروحي والقلبي والديني والسياسي ، وكان الإسلام تلك النعمة الكبرى التي أنعمها الله على هذه الأمة الأفغانية ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ﴾ . كانت هذه الديار الآرية الأفغانية مهدا للديانات الآرية الوثنية والزرذشتية والبوذية ، ثم أصبحت بعد هذا التاريخ وطناً من أوطان الدين الإسلامي . نعم ! حارب الأفغانيون المسلمون مدة طويلة .. ولم يقبلوا الإسلام إلا بعد الإقناع . وهذا أمر فطري في الشعوب المتحضرة فليس من الميسور مطلقاً نقل أمة من الأمم من حالة إلى أخرى طفرة واحدة ، وليس من السهل قلب أنظمة للحكم في يوم ، أو أيام ، كذلك من المستحيل تغيير عقلية شعب من الشعوب أو عقيدته الدينية بتلك السرعة التي يتصورها بعض الناس مهما تكن الحاجة ماسة إلى التغيير الجديد ... لأن التغيير في العقائد والأفكار ، وطرق التفكير والتصوير والتعبير يستلزم زمناً طويلاً ... والمهم في هذا النتيجة ، والنتيجة معروفة أظهر من الشمس .

من المزايا والخصال التي يشتهر بها أهل أفغانستان قوة العقيدة ، والتفاني في سبيلها ، وصفاء القلب ، والدفاع عن المبدأ والوطن ، والشرف ، هذه الخصال ليست جديدة في هؤلاء الأفغانيين بل هي متأصلة فيهم فطرية في تكوينهم الطبيعي ... ومن أقدم العصور نشأت بينهم العقيدة أو الديانة الآرية القديمة فاعتنقوها بإخلاص ودافعوا عنها بإخلاص ، ثم كانت الزرذشتية المتطورة التي نشأت في بلخ ، والبوذية المتشعبة التي تطورت على أيدي علماء من الآريين في

(كندهارا) فاعتنقوها بإخلاص ، ودافعوا عنهما بإخلاص وقاموا بخدمتهما وبنشرهما في البلاد الآسيوية بإخلاص وعن صدق ، وأمرهم مع الإسلام معروف للجميع لا يحتاج إلى البيان . كل هذه العقائد والأفكار الدينية والأديان كانت قد انتشرت في أفغانستان وكان لكل من هذه العقائد الدينية أتباع مخلصون يدافعون عنها ويضحون في سبيلها بكل غال ونفيس ، ويقومون بتطبيقها في حياتهم اليومية الخاصة والعامة ، يقول الزائر الصيني البوذي (هيوان تسنك)^(١) الذي زار أفغانستان قبيل ظهور الإسلام .. إن الديانة البوذية قد تشعبت وتفرعت فروعاً ومذاهب يبلغ عددها إلى ثمانية عشر مذهباً دينياً ، وكان في أفغانستان - اثنان من مذاهبها المشهورة وهما المذهب الكبير والمذهب الصغير^(٢) ، وهما من أشهر المذاهب البوذية المتطورة المتشعبة وكان لهما أتباع كثيرون ، ومؤيدون عديدون في جميع أنحاء أفغانستان القديمة والكتب البوذية الشهيرة في أفغانستان في هذا الوقت ثلاثة أحدها (وينايا) والثاني الرسائل ، والثالث (سوسترا) هذه الكتب الثلاثة من الكتب البوذية كانت تدرس في أفغانستان وفي معابدها الدينية الجامعية باهتمام بالغ وعناية فائقة ، وكان لعلمائها منزلة خاصة في قلوب الناس في أفغانستان القديمة الآرية ولدى حكامها ، وشيوخ قبائلها وخوانينهم ، وكانت الطبقة الدينية من بين الطبقات الثلاث تتمتع وتميز بمزايا كثيرة ، شأنها في ذلك شأن الطبقة الأرستقراطية التي كانت تتعالى على الطبقة العامة من الناس ، وكان الإنصاف ، والعدل ، والصدق والأمانة من أخص الصفات المميزة لهم كما يقول الرحالة الصيني^(٣) (هيوان تسنك) وكانوا يتمتعون بالإخلاص والتفاني في سبيل العقيدة والدين والعمل باللوائح والقوانين والتعاليم الدينية ، وتطبيقها تطبيقاً دقيقاً وكانت النتيجة الطبيعية لكل ذلك قلة الجرائم ، واختفاء المجرمين ، وكانت عقوبة الجرائم الحبس ، أو النفي ، أو قطع الأطراف ، أو الغرامم النقدية أحياناً .

(١) پوهاند عبد الحى حبيبي : تاريخ أفغانستان بعد از اسلام ٢٣/١ وما بعدها

(٢) أحمد على كهزاد : تاريخ أفغانستان ٢٤٧/٢ وما بعدها.

(٣) المرجعان السابقان .

اضطراب العقيدة :

إلا أن المعايير الدينية والروحية في الوقت الذى حددناه لهذا الموضوع كانت قد اضطربت اضطرابا عنيفا وكانت الحالات والأوضاع والأحوال تتطلب وتستدعى إجراء إصلاح عاجل لهذه الأحوال المضطربة كل من الشعب والعلماء يحس إحساسا عميقا بالحاجة إلى الإصلاح في كل جانب من جوانب الحياة . هكذا كانت الحالة الدينية العامة في أفغانستان القديمة ، وهذا ما كانت عليه البوذية المنتشرة المتطورة التى قضى عليها الإسلام في بلاد الأفغان إلى الأبد .

وعبادة الشمس لم تكن أقل شأنا من البوذية وغيرها من العقائد المنتشرة في أفغانستان قبيل الإسلام .. من الناحيتين التطبيقية ، والتمسك بها أيام ازدهارها ثم إهمال تعاليمها وطقوسها الدينية ، ويتحدث التاريخ عن عبادة الشمس في أفغانستان وازدهارها في الأقاليم الغربية ثم انتشارها في أنحاء أخرى من الديار الأفغانية حتى وصلت إلى البلاد الهندية بعد أن تقدمت في أفغانستان وارتقت واكتملت في ربوعها . و (معبد الزور) كان من أهم معاقل الزردشتية في أفغانستان وبخاصة بعد استيلاء البوذية على بقية أنحاء أفغانستان^(١) .

(١) راجع في هذا :

- ١ - أحمد بن يحيى البلاذرى - فتوح البلدان .
- ٢ - على بن أحمد بن الأثير - الكامل في التاريخ (حوادث ٣١٠ هـ) .
- ٣ - ياقوت بن عبد الله الحموى - معجم البلدان .
- ٤ - جغرافياى خلافت شرقى - ترجمة الأردو - محمد جميل الرحمن .
- ٥ - عبد المؤمن البغدادى - مراصد الاطلاع .
- ٦ - ابن منظور - لسان العرب - كلمة (الزور) ص ١٨٨٩ طبعة دار المعارف بمصر .

الحالة الأدبية واللغوية والفنية في أفغانستان قبل الإسلام

الأدب وليد البيئة ، والبيئة الأفغانية في هذه الحقبة من الحقب التاريخية في أفغانستان كانت بيئة يسودها عدم الاستقرار سماتها الضرب والحرب ، والقتال ، وبيئة كهذه في حاجة إلى هؤلاء الذين لهم قوة الخطابة ، وخلاصة اللسان ، ورهبة الهيبة ، وشدة التأثير ، وقوة البيان عند التأهب للقتال ، والدعوة إلى خوض الغمار ، والذود عن الأوطان فحياة كهذه تقتضى وجود الخطابة والكتابة تستدعيها أشد الاستدعاء وبالإضافة إلى ذلك فالفلسفات بين الإمارات وأمرائها المختلفين كانت تتطلب منهم الكتابة وغيرها من وسائل الإعلام ، ومع هذا فإن شيئا من هذا النوع من الخطبة أو الكتابة أو غيرها لا تصلنا لنتمكن من إصدار الحكم على نوعية هذا الأدب وطرأه الفنى .

والآثار التاريخية من النقود ، والعملات ، والمسكوكات ، والأواني والتماثيل ، والأصنام وغيرها من الآثار الأثرية التي عثر عليها مبعثرة في مختلف أنحاء أفغانستان القديمة تدل دلالة قاطعة على أن الفن الأفغانى المزيج من الفنون الآرية ، والإغريقية ، والبوذية والصينية قد استمر في الحياة الفنية في (أفغانستان = AFGHANISTAN) الآرية من القرن الأول الميلادى إلى القرن السابع الميلادى الذى ظهر فيه نور الإسلام ساطعا في الجزيرة العربية ، ووصل بعد ذلك ضياؤه اللامع المضى إلى البلاد الأفغانية الآرية الخراسانية القديمة ، وقد تمخضت من امتزاج الفن بالدين ، ثم من امتزاجهما بالحياة العامة في أفغانستان ، حضارة تركت أثرها في الحياة الاجتماعية والأدبية واللغوية ، والآثار التاريخية التي عثرت

عليها في كل من وديان (قندهار) ^(١) و (هلمند) ^(٢) و (سيستان) ^(٣) و (باميان) ^(٤) و (قندس) ^(٥) و (بلخ) ^(٦) و (تخارستان) ^(٧) و (كابيسا) ^(٨) و (كابل) و (هده) و (پشاور) هذه الآثار كلها شاهدة على ما قلت ، وهذه الآثار التاريخية توجد الآن في متاحف كل من (كابل) و (پشاور) وفي متاحف الهند وأوروبا .

حروف الكتابة ولغة الأدب والفن في أفغانستان قبل الإسلام :

من الثابت تاريخيا أن أربعة أنواع من حروف الكتابة كانت موجودة ومستعملة في أفغانستان في القرون الأولى من الميلاد وكانت لاتزال مستعملة في هذه الديار إلى أن دخل الإسلام إليها على درجات من التفاوت بين الكثرة والقلّة ، وبين القوة والضعف ، وهذه الأنواع من الحروف الكتابية هي :

١ - الحروف الإغريقية :

دخلت الحروف الإغريقية اليونانية إلى أفغانستان مع الحروب التي قام بها الإسكندر المقدوني في البلاد الشرقية ومنها أفغانستان ، وهذه الحروف الإغريقية لم تكن قاصرة على اللغة الإغريقية ، بل إن اللغات المحلية الأفغانية كانت تكتب بهذه الحروف الهجائية الإغريقية أيضا وخاصة في العصر الكوشاني ، فقد وجدت في النقش الذي عثر عليه في أفغانستان الشمالية في ولاية (بغلان) ^(٩) وهو نقش تاريخي هام كتب

(١) قندهار = QANDAHAR وفي اللهجة الحديثة (كندهار) وهي من الولايات الهامة اليوم .

(٢) هلمند = HELMAND وفي لهجة أخرى : هرمند = HERMAND .

(٣) سيستان = SISTAN وفي اللغة العربية (سنجستان) وهي (نيمروز) .

(٤) باميان = BAMEIAN وهي إحدى المحافظات المركزية في أفغانستان وتشتهر بالآثار البوذية .

(٥) قندس = QUNDUS وفي اللهجة الحديثة (كنذر) .

(٦) بلخ = BALKH وهي (بخدي) قديما . إحدى الولايات الأفغانية الشمالية اليوم .

(٧) تخارستان = TAKHARISTAN إحدى المحافظات الشمالية الآن .

(٨) كابيسا = KAPISA إحدى الولايات الأفغانية المركزية اليوم ، وكانت مركز نقل الإمبراطورية الكوشانية في أفغانستان .

(٩) بغلان = BAGHLAN وهي (بكلنك) قديما .

بلغة أفغانية محلية بالحروف الهجائية الإغريقية ، ويبلغ تاريخه إلى عصر خلفاء الإمبراطور (كنيشكا ١٢٥ — ١٥١ م) . أى يبلغ تاريخ كتابة هذا النقش التاريخى الهام إلى حوالى سنة ١٦٠ م ، ويبلغ عدد الحروف الهجائية الإغريقية المستعملة فى كتابة هذا النقش الأثرى الهام إلى ثمانية وعشرين حرفا وعلامة بالإضافة إلى بعض العلامات الخاصة باللغة التبخارية فى أفغانستان الشمالية فى العصر الكوشانى وكانت اللغة الإغريقية نفسها مستعملة فى الدواوين فى هذا العصر .

٢ - الحروف الخروشتية :

هذه الحروف الهجائية الخروشتية التى مر ذكرها فى فصل سابق كانت مستعملة فى كتابة اللغات الأفغانية ، وهى حروف هجائية أفغانية وليست دخيلة كالحروف الهجائية الإغريقية ، وقد وجدت هذه الحروف الخروشتية الأفغانية فى النقش التاريخى الهام الذى عثر عليه فى (خوات) فى ولاية (وردك) بالقرب من كابل العاصمة الأفغانية الحالية ، ويبلغ تاريخ هذا النقش الأثرى الهام إلى حوالى سنة ١٨٠ م ، كما عثر على هذا النوع من الحروف الهجائية الأفغانية فى نقوش أثرية أخرى فى أنحاء مختلفة من الأقاليم فى أفغانستان .

٣ - الحروف البهلوية :

الكتابة البهلوية وحروفها الهجائية الكتابية كانت موجودة ومستعملة أيضا فى أفغانستان القديمة ، وهى - كما يقول التاريخ - مشتقة من الكتابة الآرامية وحروفها الهجائية ، وكانت اللغة البهلوية لغة رسمية ودينية فى العصر الساسانى ، وكانت مستعملة فى الولايات والأقاليم الغربية من أفغانستان وقد دوت وكتبت الكتب الدينية الزردشتية فى هذه اللغة البهلوية .

٤ - الحروف السنسكريتية :

وفى المناطق والأقاليم الشرقية من أفغانستان الخراسانية القديمة كانت اللغة السنسكريتية وحروفها الهجائية الكتابية مستعملة فى التدوين والكتابة ، وقد وجدت هذه اللغة مع اللغة العربية بالخط الكوفى فى النقش التاريخى الهام الذى اكتشف فى

(وزيرستا) في الجنوب من أفغانستان وهذا النقش الأثرى مكتوب باللغتين العربية والسנסكرتية ، ويبلغ تاريخ كتابته إلى سنة (٢٤٣ هـ = ٨٥٧ م) وهو نقش أثري ذو أهمية تاريخية وأدبية هامة موجود الآن في متحف (پشاور)^(١) .

اللغات الأدبية في أفغانستان قبل الإسلام :

لم تكن مظاهر الحياة الأدبية ، والثقافية واحدة في هذا العصر في أفغانستان ، ذلك لأننا قد عرفنا أن الفن الأفغاني كان خليطاً من الفنون الآرية الأفغانية ، والإغريقية اليونانية ، والبوذية الهندية والفنون الصينية ، أضف إلى ذلك هذا التفاوت العظيم بين الأوضاع الأدبية والفنية والاجتماعية من عصر إلى عصر ، ومن إقليم إلى إقليم ، ومن إمارة إلى إمارة ، ومن منطقة إلى منطقة . هذا ما كان من حال الأوضاع والمظاهر الأدبية والثقافية في ذلك العصر من التاريخ الأفغاني القديم ، ولم تكن الأوضاع اللغوية أقل شأنًا ، واختلافاً ، وتفاوتاً من شأن الأوضاع الأدبية والفنية ، فكما أن الأوضاع الأدبية ، والمظاهر الفنية ، والجوانب الاجتماعية لم تكن على حالة واحدة وعلى مستوى واحد ، كذلك كانت الحالة بالنسبة للغات الأدبية في أفغانستان .. لم يكن أهل أفغانستان يتكلمون لغة واحدة لاستقلال كل إقليم في المنطقة الخاصة به لبعده عن الأقاليم الأخرى من ناحية ، ولوجود الموانع الطبيعية كالجبال العالية وغيرها من ناحية أخرى بالإضافة إلى الانفصال السياسي والاستقلال الإداري لكل إمارة من الإمارات الأفغانية التي كانت تتكون غالباً على أساس من العصبية القومية القبلية فكانت كل إمارة بقبيلتها تتمسك بلغتها وتقاليدها ، وعاداتها ، وثقافتها القومية القبلية ولم تكن تسمح لغيرها من اللغات ، أو من العادات أن تتسرب إليها ، وعلى هذا الأساس القبلي ، والإقليمي كانت الديار الأفغانية موزعة بين اللغات ، ومقسمة بينها شأنها في ذلك

(١) يراجع لمزيد من المعلومات في ذلك :

- ١ — أحمد علي كهزاد — تاريخ أفغانستان ج ٢ طبعة كابل سنة ١٣٢٥ هـ ش .
- ٢ — محمد تقي بهار ملك الشعراء — سبك شناسی — طبعة طهران .
- ٣ — پوهاند عبد الحی حبیبی — تاریخ مختصر أفغانستان . وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام ، ومادر زبان دری أفغانستان .

٤ — مجلة متحف پشاور عدد ديسمير ١٩٥٣ م

شأن التوزيع السياسى والتجزئة الجغرافية ، فإلى جانب اللغتين الرئيسيتين البشتونية والدرية فى جميع أنحاء أفغانستان كانت هناك لغات محلية أخرى تستعمل فى التخاطب والتفاهم بالإضافة إلى استيلاء اللغة السنسكرتية على أجزاء كثيرة وكبيرة من الأقاليم الشرقية من البلاد الأفغانية ، كما سيطرت اللغة البهلوية على أجزاء من الأقاليم والولايات الغربية الأفغانية ، وهكذا كانت اللغات تتصارع أيضا على الأرض الأفغانية وكان الصراع شديدا بين اللغات الوطنية والقومية واللغات الأجنبية ، وهكذا نرى أربع لغات رئيسية وأساسية وهى اللغة البشتونية ، واللغة الدرية ، واللغة السنسكرتية واللغة البهلوية تتصارع مصارعة الأبطال فى ميادين القتال ، كل لغة فى ناحية أو فى جزء من أجزاء أفغانستان ، وذلك بالإضافة إلى لغات ولهجات أفغانية أخرى كان يتكلم بها عدد كبير من أهل أفغانستان فى هذا العصر الذى أشرف على أن يكون عصراً إسلامياً فى أفغانستان الإسلامية . وكانت اللغات الأدبية فى هذه الحقبة من حقب التاريخ الأدبى الأفغانى هى تلك التى ذكرتها آنفا .

من خلال هذا الصراع السياسى ، واللغوى ، والأدبى ، والفنى والاجتماعى والدينى الشديد طرق الإسلام أبواب أفغانستان الغربية وفى يده شعلة من نور ، وطرقت معه اللغة العربية وآدابها تلك الأبواب الأدبية والفنية واللغوية طرقة مؤثرة اندفعت بعدها اندفاعا شديدا انقلبت - على أثرها - الأوضاع الأدبية واللغوية والفنية رأسا على عقب ، وانتشرت بعد ذلك فى جميع أنحاء أفغانستان المترامية الأطراف ويكفيها دليلا على ذلك العثور على نقش حجرى مكتوب باللغة العربية واللغة السنسكرتية الذى عثر عليها فى وادى (توجى = TOCHI) بوزيرستان فى جنوب أفغانستان ، ويبلغ تاريخ هذا النقش كما مر إلى سنة ٢٤٣ هـ = ٨٥٧ م .

هذه صورة مجملة للمجتمع الأفغانى قبل الإسلام ، ومنها ندرك أنه كان منعزلا فى إمارته سياسيا وجغرافيا ، وكان منعزلا فى إقليمه لغويا وفكريا ، وكان يحيا حياة العزلة فى كل شىء إلى درجة كبيرة ، وكانت هذه الحالة مهيئة لانتشار الشعور بين الأفغان بالحاجة الشديدة إلى ترك التناوب والفرقة وتوجيه الفكر إلى الوئام والاتحاد ، واستقبال عصر جديد ، وعهد مقبل من الإصلاح فى كل جانب

من جوانب الحياة ، عهد مقبل من الإصلاح أصاب العالم برجة عنيفة لم يقتصر أثرها على الجزيرة العربية ، بل تعداها إلى غيرها من الأصقاع العامرة يومئذ ، وهو ظهور الإسلام . ظهر الإسلام وجاء إلى الأفغان فغير من كل شيء ، غير فكر الأفغانى ، وعقله ، ولغته ، وأدبه ، وغير كل شيء فى حياته ، وبعد ذلك طالب الأفغانين بالجهاد فى سبيل الله وفى سبيل إعلاء كلمته فخرجت جماهيرهم كالسيل المندفع المتدفق واحتلوا ما اتسع من الأرض من حواليه من البقاع والأصقاع ، ونشروا فيه لغة الإسلام وأدبه وفنه بعد نشر مبادئه .

العلماء والزوار الصينيون فى أفغانستان قبل الإسلام :

إن المذكرات التاريخية ، والملاحظات القيمة التى كتبها الزوار والعلماء
المؤرخون الصينيون أثناء تجوالهم وقيامهم فى أفغانستان الآرية ، قبل الإسلام
بقليل ، من أهم المصادر والمراجع التاريخية القيمة التى تلقى ضوءاً كاشفاً على
الأوضاع العامة فى أفغانستان من النواحي الدينية ، والسياسية والفنية والأدبية ،
واللغوية والتاريخية والجغرافية والاجتماعية تلك الأحوال التى كانت تعيشها
أفغانستان فى صدر الإسلام أو قبلها بقليل ، وقد كان العلماء والزوار الصينيون ،
وشخصياتهم الدينية يقومون بزيارة كل من (آريانا - أفغانستان) و (بهارت =
الهند) لغرضين أساسيين رئيسيين أحدهما سياسى دبلوماسى ، والآخر دينى أدنى ،
فالغرض الأول كان سياسياً للسفارة ، وتبادل الرسائل السياسية ، والتبادل
الدبلوماسى والتمثيل السياسى بين ملوك الصين ، وملوك الأفغان ، والهند ، والفرس
عن طريق أفغانستان ، والغرض الثانى كان دينياً وأديبياً وعلمياً حيث كان الرهبان
ورجال الدين والكتاب من البوذيين فى البلاد الصينية يقومون بزيارة المعابد البوذية
فى كل من أفغانستان القديمة والهند القديمة وكان الطريق الرئيسى الأساسى المؤدى
إلى الهند يمر على الأراضى الأفغانية ، وعن هذا الطريق كان فى إمكان هؤلاء
الحجاج من البوذيين أن يقوموا بزيارة المعابد البوذية فى كل من أفغانستان والهند ،
وعلى كل حال فإن المذكرات التاريخية والملاحظات القيمة التى تركها هؤلاء
الزوار من علماء الصين وكتابها ورجال الدين والرهبنة لها قيمة تاريخية ، وأدبية ،
وعلمية ودينية لا تقدر بالثمن ، وعلى الأخص بالنسبة للتاريخ الأفغانى الأدى
والدينى فى هذه الحقبة التاريخية التى ظهر فيها الإسلام ساطعاً فى الجزيرة العربية ،
وكاد يلقى بضوئه الهادى . الهادى على الديار الأفغانية . ومن هؤلاء العلماء
الصينيين من زار البلاد الأفغانية قبل ظهور الإسلام ومنهم من زارها مع ظهور
الإسلام فى الجزيرة العربية مهبط الوحي المحمدى ، ومنهم من زار هذه البلاد
الأفغانية بعد الهجرة المحمدية ﷺ .

الأسر الحاكمة فى أفغانستان قبل الإسلام :

تمهيد :

استمرت عظمة الإمبراطورية الكوشانية من أيام (كنيشكا) الكبير من حوالى عام ١٥٠ م لمدة قرن من الزمن إلى أن قضى الملك (شاپور) الساسانى فى عام ٢٥٠ م على تلك العظمة المهيبة . ويقال إن جنود (شاپور) الساسانى هى التى أحرقت معبد (نوشاد) فى (بغلان = BAGHLAN) فى شمال أفغانستان . ولكن لم يستمر الحكم الساسانى فى أفغانستان طويلا حيث قاموه (اليفتليون = الهفتليون) الذين قاموا من (تخارستان) فى شمال أفغانستان ، وطردها الساسانيين من الديار الأفغانية الشمالية ثم قاموا بتحرير (كابل) و (زابل) والأقاليم المركزية الأخرى من أفغانستان كما فتحوا (كشمير) والهند المركزية : وقد استمرت العناصر الكوشانية واليفتلية = الهفتلية ، وغيرها من العناصر والعروق الوطنية فى الحكم إلى أوائل العصر الإسلامى ، أى إلى القرن السابع الميلادى ، هؤلاء الملوك والأمراء والحكام من العناصر والعروق الكوشانية واليفتلية وغيرها من العناصر الوطنية ، قد ذكرهم المؤرخون المسلمون من أمثال اليعقوبى ، وابن الأثير وخرداذبه ، والبلاذرى وغيرهم بأسماء : ملوك باميان ، وملوك داور ، والرتابله وملوك كابل ، والملوك اللويكية ، وملوك الشار ، وبالإضافة إلى ذلك فإن الشاعر الخراسانى الفردوسى ينقل قصصا لطيفة خاصة بالأسر الملكية الآتية ... مثل أسرة مهراب الكابلى ، وأسرة سام ، وأسرة زال الزابلى . ومما يؤسف له أن التاريخ لا يقدم لنا عن هذه الأسر والعائلات الملكية التاريخية إلا شيئا يسيرا لا يغنى عن الحق شيئا .

أسرة اللويك الملكية فى غزنة : (١)

ملوك الأسرة اللويكية حكموا أقاليم زابلستان ، وغزنة ، وكرديز وغيرها

(١) لويك = اللويك : مفرد يجمع على (لويكان = اللويكية) على أوزان جموع اللغة الهشتونية =

من الأقاليم ، والمناطق الأفغانية في الجناح الجنوبي من جبال (هندوكش) الشاهقة ، ويرجع تاريخ هذه الأسرة الحاكمة إلى العصر الكوشاني إلى القرن الثاني الميلادي ، ومن المحتمل الممكن جداً أنها كانت تحكم البلاد الأفغانية ، أو أجزاء منها قبل ذلك ، وكانت لها قرابة المصاهرة مع الأسرة الكابلية الحاكمة في (كابلستان) .

وكانت اللغة (الخلجية = الغلجية = البشتونية = البيختونية) لغة الأدب ، والفن في عصر ملوك الأسرة اللويكية في (غزنة) وقد وصل إلينا بيت واحد من شعرهم (البشتوني = البيختوني) وهذا البيت هو :

به زمی کز نه شخید لویک لویانو بویله لویا
کشه توربه براغلوم بلوم ممله تازیو - ملا^(۱)

وكلمة (لوی) الموجودة في اسم هذه الأسرة الحاكمة كلمة بشتونية (بختونية) نقية ومعناها = العظيم ، الجليل ، النبيل ، الكبير ، السيد ، الشريف . واللويك لقب لهذه الأسرة الحاكمة وحكامها من الأمراء اللويكيين .

وقد أسلم أمراء هذه الأسرة اللويكية الحاكمة كغيرهم من أمراء الأسر الحاكمة في أفغانستان تحت ضغط الحملات الإسلامية الشديدة العنيفة القاسية ، وكان إسلام هؤلاء الأمراء والحكام من هذه الأسرة الحاكمة ظاهرياً تخلصاً من المسلمين وحروبهم وتهرباً من سوء هذه الحروب القاسية بدليل أن الأسرة كلها ارتدت عن الإسلام فيما بعد ، وكان حاكمها آنذاك يدعى (خاتان أو خاقان) وكان يعاصر الملك (خنجل) ملك كابل في حوالي عام ١٦٤ هـ = ٧٨٠ م) وقد حارب ملوك هذه الأسرة الحاكمة الأفغانية المسلمين من العرب ،

= وأصل كلمة (لويك) قبل التركيب هو : (لوى + ك) وكلمة (لوى) معناها : العظيم ، الجليل ، الشريف ، السيد ، النبيل . وحرف (ك) يأتي للتعظيم ، والتفخيم ، والتجليل ، والتكريم ، وفقاً للقوانين والاصطلاحات اللغوية البشتونية البيختونية الأفغانية . ومعنى اللويك بعد التركيب العظيم ، والجليل المكرم .

(١) پوهاند عبد الحى حبيبي — د. پښتو ادبياتو تاريخ ٦٣/٢ طبعة ثانية كابل سنة ١٣٤٢ هـ ش .

والصفاريين والغزنويين مدة طويلة . وقد تمكن الأمير سبكتكين والد السلطان محمود الغزنوي من القضاء على حكمهم^(١) . ومع هذا فقد استمر نشاط اللويكيين السياسى ، والأدبى والعلمى بالاشتراك مع الغزنويين وغيرهم من حكام الأفغان فى تلك الأيام ، وقد نبغ فيهم عدد كبير من السياسيين ، والأدباء والكتاب المعروفين فى التاريخ الأفغانى^(٢)

رتابله زابل :^(٣)

كان الملوك الرتابله يحكمون أقاليم (زابل) و (رخد = قندهار) و (سيستان = سجستان) و وادى (هلمند) فى أوائل الفتوحات الإسلامية فى أفغانستان ، ودخول الإسلام إليها ، ووصل نفوذهم حتى وادى السند فى بلاد الهند القديمة . وكانت مدن (زرنج) و (بست) و (بنجوائى) و (كوهك = كوجكى) الحالية من أهم المراكز للملوك الرتابله فى ذلك العصر الذى بدأ فيه الفتح الإسلامى يزداد قوة وانتشارا فى أفغانستان المجزأة بين الأمراء والحكام من الأسر الحاكمة المختلفة فى جميع أجزاء البلاد الأفغانية وقد ناضل هؤلاء الرتابله بفرعهم فى كل من (زابلستان) و (كابليستان) ناضلوا للدفاع عن إماراتهم وأملأهم ومقاطعاتهم دفاعا مريرا مستميتا استمر مدة طويلة إلى أن تمكن الملك الصفارى يعقوب بن الليث من القضاء على حكمهم ونفوذهم ونظامهم الذى كان يعانى من الانقسام والانفصال ، والتفرقة ماكان يعانيه . وهذه الأسرة لها تاريخ عريق فى القدم ، فقد كانت ذات صولجان قبل الإسلام وبعده . ويصل عدد حكام هذه الأسرة الحاكمة إلى ثمانية أو تسعة حكام .

والأسرة العريقة هذه كان لها فرعان كما يقول الأستاذ عبدالحى حبيبي فرع كان يحكم أقاليم كابليستان ، والفرع الآخر كان يحكم زابلستان ومايلها من الأقاليم

(١) يراجع لمعرفة مزيد من المعلومات الحرية : نظام الملك الطوسى — سياستنامه أو سير الملوك ص ١٩ طبعه طهران سنة ١٣٤٠ هـش .

(٢) عبد الحى حبيبي — مادرزيان درى ص ٩٦ طبعه كابل سنة ١٣٤٢ هـش .

(٣) استمر حكم هذه الأسرة فى العصر الإسلامى من سنة ١ - ٢٥٨ هـ .

الجنوبية الغربية من البلاد الأفغانية . وقد تحدثت عن الفرع الأول تحت عنوان الدولة الرتبيلشاهية . ملوك هذه الدولة الرتبيلشاهية طردهم المسلمون إلى ماوراء نهر (أباسين = أندوس) أما ملوك الفرع الثاني من الرتابلة الذين يشتهرون باسم رتابلة (زابلستان) . فإن الدولة الصفارية بقيادة مؤسسها الملك يعقوب بن الليث قد قضت عليهم قضاء مبرما^(١) . والفرق بين الفرعين من الرتابلة الأفغان من ناحية الدين والعقيدة فإن الفرع الأول منهما كان اعتنق البوذية ، والفرع الثاني مازال باقيا على العقيدة الزردشتية القديمة ، ومن أهم معاقل هذه العقيدة هي الأقاليم الجنوبية الغربية الأفغانية وقد مر بنا ذكر معبد الزور هناك^(٢) .

وقد جاء ذكر اسم الرتبيل في المراجع العربية التاريخية والأدبية كثيرا وهذا الشاعر العربي الفرزدق يقول في مدح سليمان بن عبد الملك الأموي (٩٦ - ٩٩ = ٧١٤ - ٧١٧ م) :

وتراجع الطرداء إذ وثقوا بالأمن من رتبيل والشعر^(٣)

كما جاء ذكر اسم الرتابلة بكثرة في المراجع الأفغانية والفارسية ، وهذا الشاعر السيستاني وكتب رسائل يعقوب بن الليث ، و مترجمه من وإلى العربية وهو محمد ابن وصيف يقول في مدح يعقوب بن الليث باللغة الدرية السيستانية :

به لثام آمد رتبيل ولتى خورد به لنك^٤ لتره شد لشكر رتبيل وهباكشت كنم
جاء رتبيل إلى (لثام) فتلقى ضربة في وسطه فتشتت جند رتبيل وأصبح منزله هباء .

وقد نبغ فيهم عدد كبير من الساسة والزعماء ، والأدباء والعلماء في العلوم الإسلامية المختلفة ، ومن هؤلاء العلماء العالم المحدث المعروف رتبيل بن صالح^(٤) ، وقد ذكره العلامة الزبيدي في شرح القاموس في مادة (الرتبيل) . وقد نقل ،

(١) پوهاند عبد الحى حبيبي - أفغانستان بعد از اسلام ٤٨/١ - ٧٠ طبعه كابل .

(٢) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري - تاريخ الأمم والملوك ٤ / ١٨١ ، ٦ / ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ - ٣٢٩ . طبعه ثالثة - دار المعارف بمصر .

(٣) ديوان الفرزدق ٣٢٤/١ وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام ٦٤/١ .

(٤) عبد الرحيم صفيهوري - منتهى الأرب - طبعه لاهور - يقول صاحب هذا الكتاب إن اسم هذا العالم هو (صالح بن رتبيل) .

وروى عنه العلامة الذهبي أحاديث كثيرة^(١) .

ملوك كابل أو الدولة الكابلشاهية :

وقد مر بنا ذكر الدولة الكابلشاهية في التاريخ الأفغاني كثيرا وأريد هنا شيئا واحدا وهو خاص بصنوى هذه الأسرة الرتبيلية الأفغانية التي كانت تحكم أجزاء كبيرة من أفغانستان أثناء بدء الفتوحات الإسلامية في الديار الأفغانية ، وقد قلت فيما مضى إن الأسرة الرتبيلية أو الأسرة الكابلية والكابلشاهية فرعان من أسرة واحدة ، وأضيف إليه الآن - كما يبدو ذلك من أقوال الطبري - أنهما تنتميان إلى شقيقين كان يلقب الأول وهو الأكبر بلقب (شاه) والثاني بلقب (رتبيل) . فاشتهرت أسرة الأول بالأسرة الكابلشاهية ، واشتهرت أسرة الشقيق الثاني بالأسرة الرتبيلية ، وقد اعتنقت الأولى الديانة البوذية ، كما ظلت الثانية على دين أفغانستان الأول وهو الزردشتية . وظلنا كذلك حتى طهرتهما الديانة الإسلامية من هذه العقائد .

الأسر الحاكمة في شمال أفغانستان قبل ظهور الإسلام :

وفي المناطق والأقاليم الشمالية من أفغانستان كانت هناك أيضا إمارات ومشيوخات ، ومقاطعات كان يحكمها أمراء ، وحكام ، وملوك من الأسرة المشتركة من العرق (الكوشاني - اليفتلي) وكانت مدينة قندس الحالية و (كهن دج) القديمة عاصمة مركزية لهذه الإمارات ، كما كانت مدينة (بلخ) الحالية و (بخدي) القديمة عاصمة مركزية ثانية لهذه الإمارات والمقاطعات الشمالية الأفغانية ، وكان الملك (ييغو = جينغويه)^(٢) يحكم هذه المقاطعات والأقاليم أثناء الفتوحات الإسلامية .

(١) دكتور بلوج - مقالا له عدد جون سنة ١٩٥٨ م .

(٢) (ييغو = جينغويه) : لقب من ألقاب الكوشانيين الذين حكموا البلاد الأفغانية والبلاد المفتوحة مدة طويلة من الزمن .

الأسرة التكنية :

إنها أسرة ملكية حاكمة أخرى حكمت في شمال أفغانستان قبل ظهور الإسلام وكان نفوذ هذه الأسرة الحاكمة ينتشر في أقاليم (تخارستان) و (قندس) و (بلخ) وغيرها من مناطق (باختر) الأفغانية . ثم هاجر ملوكها بسبب ضغوط خارجية إلى الجنوب وقاموا بتأسيس إمارة لهم في (كندهارا) كما مر ، ثم مرور الزمن أصبحت الإمارة دولة قوية . وقد استمر اسم هذه الأسرة الحاكمة يتردد في تاريخ أفغانستان الإسلامي لمدة ثلاثة قرون ، وفي العصر الغزنوي اشتهرت باسم أحدهم مدينة (تكن آباد = تكن آباد)^(١) . جاء ذكر اسم هذه المدينة في شعر الشاعر الغزنوي مسعود سعد سليمان (٤٣٨ - ٥١٥ هـ) :

- چو ابر نصرت بارید جرخ فصل خزان بهار کشت زملک تودر تکن آباد^(٢) .
والملك (برهتکین) أول ملك في هذه الأسرة كما يقول أبوریحان البيروني وهو مؤسسها في نظره . وقد مرت بقية التفاصيل الخاصة بتاريخ هذه الأسرة في الفصول السابقة

الأسرة النيكية الحاكمة في أفغانستان قبل ظهور الإسلام :

يقال إن ملوك وأمراء هذه الأسرة الحاكمة التي تدعى (نيكية) يرجع أصلهم إلى العرق الكوشاني اليفتلي الذي حكم أفغانستان قرونا طويلة :

ويظهر أنهم حكموا أقاليم عديدة في شمال وجنوب جبال هندوكش بعد انتهاء عروج اليفتليين^(٣) .

وقد عثر على عملات ومسكوكات ونقود هؤلاء الملوك من الأسرة النيكية في كلا الجناحين من جنوب وشمال جبال (هندوكش) مما يؤيد القول بأنهم كانت

(١) تكن : TECN : بكسر الأول والثاني يأتي بمعنى العبد . ثم تحول فيما بعد إلى لقب من ألقاب الملوك .
(٢) تكن آباد : مدينة أفغانية تقع بين (أرغندو) و (هلمند) في غرب قندهار راجع للتفصيل مجلة (آريانا) السنة الخامسة العدد السادس . كابل ، وتاريخ أفغانستان أ.ز.اسلام ١٠٩/١ ، ودويان مسعودي ١١٢ .

(٣) مقال للأستاذ مارتني في مجلة الجمعية الآسيوية في بنكال ج ٢ سنة ١٩٣٦ م .

لهم إمارات في هذين الجناحين ، ومن ناحية أخرى عثر الأستاذ (هاكن) الفرنسي على عملتين نحاسيتين من عملاتهم في غزنه وبما أن علامات تاج هؤلاء الملوك من الأسرة النيكية تشبه علامات تاج ملوك (باميان) في أفغانستان المركزية اعتقد الأستاذ (هاكن) الفرنسي بأنه من الممكن أن تكون بينهما قرابة^(١) . ويقول الأستاذ عبدالحى حبيبي بأن حكام هذه الأسرة حكموا البلاد قبل الأسرة التكنينية^(٢) .

كانت هذه الأسرة النيكية الحاكمة كغيرها من الأسر الحاكمة في أفغانستان كانت لها إمارات ومقاطعات في جنوب وشمال جبال (هندوكش) العالية وقد شاركت دون شك في مقاومة المسلمين من العرب الذين جاءوا إلى الديار الأفغانية وفي يدهم شعلة من نور ينير الطريق أمامهم ، ويدعو الآخرين من الأفغان ومن غير الأفغان إلى الاستفادة من ضياء هذا النور الهادئ الهادى .. ولكن الله تعالى يهدى من يشاء إلى الهداء بنوره الإلهي .

أسرة باميان الحاكمة قبل ظهور الإسلام في أفغانستان :

ملوك أسرة باميان الحاكمة المشهورين بأسود باميان^(٣) أيضا من بقايا العناصر الكوشانية اليفتلية ، وكانوا يحكمون أقاليم باميان وملحقاتها في قلب أفغانستان ، وباميان كما مر بنا كانت من أهم معاقل البوذية في أفغانستان القديمة ، وهي الآن تعد من المناطق الأثرية التاريخية الهامة ، تبعد عن كابل بحوالى ٢٤٥ كيلومترا غربا .. وهي مشهورة في التاريخ بأنها مكان مقدس للبوذيين ، ففيها تماثيل هائلة لبوذا منحوتة في الجبال والصخور ، وكانت فيها معابد عديدة كانت ملتقى لأبناء الطوائف البوذية في أفغانستان القديمة ، وكانت تقوم مقام المدارس والجامعات في العصر الحاضر وكان لكل معبد مكتبة خاصة به . وقد ظلت باميان بوذية حتى القرن التاسع الميلادى وبعد ذلك أقام الغوريون الأفغانيون مدينة

(١) : أحمد على كهزاد — تاريخ أفغانستان ج ٢ ص ٤٧٩ طبعة كابل سنة ١٣٢٥ هـ ش .

(٢) : پوهاند عبد الحى حبيبي — أفغانستان بعد از اسلام ج ١ ص ١٠٥ طبعة كابل سنة ١٣٤٥ هـ = سنة ١٩٦٦ م .

(٣) : شيران باميان .

إسلامية وهي مدينة (غلغل) التاريخية الشهيرة التي قام جنكيزخان وجحافله بتدمير هذه المدينة في القرن الثالث عشر الميلادي عندما اجتاحت جحافله أفغانستان فدمرت ، وخربت وقتلت وأحرقت وذهبت . وقد طلب الخليفة العباسي المهدي^(١) من ملك أسرة باميان الحاكمة في سنة ١٦٤ هـ = ٧٨٠ م الدخول في طاعته ، وقد أرسل رسولا لهذا الغرض^(٢) .

الأسرة السورية الغورية في أفغانستان قبل الإسلام :

ملوك السور في بلاد الغور : الغور قلب أفغانستان ، ومن القلب الأفغاني كان الملوك والأمراء والحكام من الأسرة الغورية السورية يحكمون البلاد الغورية وأقاليمها وملحقاتها المجاورة لبلادهم ومناطقهم ، وإماراتهم . وهذه الأسرة السورية الغورية ذات تاريخ قديم وماض تليد تصل جذوره العريقة إلى ما قبل العصر الويدي في أفغانستان القديمة .. فالصلات الدموية والعرقية ، واللغوية ، والأدبية الجذرية تربط بين الغوريين الإسلاميين وبين أليكت الأقدمين الذين جاء ذكرهم في الويديات من ضمن الآريين وقبائلهم العديدة التي توزعت في ذلك العصر القديم الماضي بين الدول الأفغانية والهندية والإيرانية ، أفغانستان باعتبارها مهدا أصيلا لهؤلاء الآريين والهند وإيران المهجرين الشرق والغرب لهؤلاء الآريين الذين يذكرهم المصدر الويدي ثم المصدر الإغريقي في أقوال (هيرودوت) باسم اليكت ، والغوريون في العصور الإسلامية يمثلون في الحقيقة هؤلاء الآريين الذين يذكرهم المصدر الويدي في الويديات باسم اليكت ، ويذكرهم هيرودوت باسم اليكت وباسم الأوغان = AWGAN أيضا . وإذا قلنا وهذا القول حق ، بأن الغوريين لهم صلات دموية وعرقية ، وعنصرية ، ولغوية ، وأدبية واجتماعية ،

(١) اليعقوبى — البلدان ج ٢ ص ٣٩٧ .

(٢) تراجع المصادر الآتية في تاريخ أفغانستان وأحداثها :

- ١ — أحمد علي كهزاد — تاريخ أفغانستان ج ٢ ص ٥١٤ طبعة كابل سنة ١٣٢٥ هـ ش .
- ٢ — أحمد علي كهزاد — آثار عتيقة باميان ص ٨٦ طبعة كابل .
- ٣ — إبراهيم بن محمد الإصطخرى — المسالك والممالك طبعة لندن سنة ١٩٢٧ م .
- ٤ — أحمد بن واضح اليعقوبى ج ٢ ص ٣٩٧ طبعة لندن سنة ١٨٩٢ م .
- ٥ — أبو ريحان البيروني — الآثار الباقية ص ١٠٢ طبعة سنة ١٨٧٦ م .

وخلقية باليكت ، والأوغان ، ثم بالآريين عامة فإن كلمة الغور لها صلات الترابط، والأصالة والاشتقاق ، والتولد بثلاث كلمات أفغانية .. وهى السور ، والزور التاريخيتان والغر اليختونية المعاصرة .. فالسور والزور والزون ، والغور ، والغر من فصيلة واحدة يدور معانيها بين التقديس والطبيعة ، والقبيلة ، أو بين الدين ، والجبل ، والعرق ، فهو قول حق .

الغور بين السور والزور والزون

إن كلمات السور ، والزور ، والزون مشتقة من كلمة واحدة وهى (سون اله الشمس)^(١) فلها قداسها الدينية ، هذا ما كان مشهورا قبل الاكتشافات التاريخية الأثرية ، وعندما اكتشف معبد (سوريا = رب الشمس فى ممر (خيرخانه) بالقرب من كابل العاصمة أصبح لكل من هذه الكلمات أصلا اشتقت منه^(٢) وقد مر الكلام فيما مضى من الفصول تفصيلا عن هذه الكلمات والأسماء التى تدور فيها هذه الكلمات كلاحقة فى أواخر الأسماء ، أو كأسماء أصلية لأماكن وأشخاص وأريد هنا إضافة هذه الأسئلة الهامة حول هذا الموضوع الهام فى تاريخ الأفغان ... هل هذه الكلمات لها صلة القرابة أو صلة الاشتقاق والتوالد فيما بينها ؟ وكيف ذلك ؟ وما علاقتها بالكلمتين (سون) و (سوريا) القديمتين ؟ ثم ما علاقة هذه الأسماء والمسميات بكلمتى (اليكت) و (الأوغان) الشهيرتين الهامتين فى تاريخ الأفغان ؟ وأبها صورة محولة ومتطورة للثانية ؟ أريد بهذا السؤال الأخير المقارنة بين القديم .. (سون - سوريا) والعربى .. (الزور - الزون) وبين الحديث (غر - غور) ومما لاشك فيه أن السور ، والزور ، والزون ، والغور ، والغر كل هذه الأسماء ، وكل هذه الكلمات لها صلة قوية ومتينة من القرابة اللغوية والأدبية ، والأصالة والفرعية ، والشكلية ، والصورية بالكلمتين الدينيتين القديمتين العريقتين فى تاريخ الأفغان وهما (سون) فى (زمينداو) و (سوريا) فى ممر (خيرخانه) بالقرب من كابل العاصمة . كذلك لمسميات هذه الأسماء

(١) سون : ذكره الرحالة الصينى (هيوان تسنك) باسم (معبد سوناكر) .

(٢) راجع ص ٣٤ وما بعدها من هذا الكتاب ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام صفحات عديدة ، وتاريخ أفغانستان لأحمد على كهراد ج ٢ ٥٧٨ ، و ٥٨٣ - ٥٨٧ .

ومدلولاتها صلة قوية ومتينة وأصلية من القرابة الدموية ، والعرقية ، والعضوية والعنصرية بالبيكت المذكور في الويديات وفي أقوال المؤرخ القديم (هيردوت) وبالأوغان المذكور في كتاب (هيردوت) الذي ذكر هاتين الكلمتين (البيكت = البيختون) و (الأوغان = الأفغان) قبل آلاف من السنين وأطلقهما على القبائل التي كانت تقطن أفغانستان القديمة ، وفي أقاليمها التاريخية منذ آلاف السنين ، فمسميات هذه الأسماء في العصور القديمة والإسلامية والعصر الحديث تمثل العنصر الآرى تمثيلا دقيقا لا يتطرق إلى ذلك أى شك . أيها أصل للثاني وصورة متطورة له ، ومشتقة منه ، أميل إلى أن الأصل في ذلك كله كلمة (الغر) البيختونية ، وهناك قرابة بين كلمات (غر = الجبل) البيشتونية ، و (كَر) اللاحقة البيشتونية والدرية ، و (كيز) الپهلوية القديمة . فتدبر ذلك بدقة ، واعلم أن الأصل هو كلمة (الغر = الجبل) البيشتونية البيختونية العريقة في القدم . وبعد ذلك كله أرجع مرة أخرى إلى كلمتي الزور والسور المستعملتين بكثرة في الأسماء الأفغانية كما مر وكما سيأتى :

فقد اشتهر اسم الزور والزون بعد الإسلام ، واتسع مفهومه في تسمية البلاد ، والأقاليم ، والقبائل والشخصيات مثل (زور آباد = سور آباد) اسم مدينة فى (هرات) ، و (السور) اسم قبيلة أفغانية شهيرة ، وأبى بكر عتيق بن محمد السورى المروى اسم عالم أفغانى من المفسرين المشهورين ، وتفسير السور آبادى اسم تفسير من التفاسير قام به العالم السابق الذكر ... ومن السورين الغوريين أيضا ماهويه السورى بن مافنا بن فيد الذى قام بقتل (يزدجرد) آخر الملوك الساسانيين ، وذلك بأن أوعز إلى رجل كان يعمل فى طاحونة بقتله فقتله فى سنة ٣١ هـ^(١) . وكان ماهويه السورى حاكم مرو فى هذا الوقت .. وقد ذهب بعد ذلك بخمس سنوات إلى خليفة المسلمين على بن أبى طالب رضى الله عنه ،

(١) يقول الفردوسى الشاعر الخراسانى فى ذلك :

زبىـــــدد راه خراسان كُرفت هم رنجها بردل آسان كُرفت
جهان دارچون كرد آهنگ مرو به ماهوى سورى كنارنگ مرو
يكى نامه بنوش بادرده وخشم پراز آرزودل ، پراز آب چشم
ثم يصرح بالعرق والعنصر القومى الذى ينتمى إليه ماهويه السورى فيقول :
هيونى برافكند برسان باد به نزيديك ماهوى سورى نژاد

واستحصل منه رسالة بالولاية والرضا . و (سور) ملك البلاد الغورية وغيرها من الأسماء التى تشتهر بهذه الأسماء حتى الآن .

وبالإضافة إلى هذه الأسماء التى تشتمل على شكل من الأشكال لإحدى الكلمات الشقيقات الثلاث . الزور ، والزون ، والغور ، هناك أسرة حاكمة عظيمة يتحدث عنها وعن أسماء ملوكها وحكامها التاريخ الأفغانى والمؤرخون الأفغان من أمثال منهاج الدين عثمان بن سراج الدين وغيره من المؤرخين الغوريين . ويتحدث هذه الشخصية الأفغانية الجوزجانية الذى يعتبر من أفاضل خراسان الأفغانية عن الشخصيات السورية الغورية الأخرى من حكام الغور ، ويذكر منهم (سور) الملك ، و (سام) القائد و (بسطام) البطل ، و (شنسب بن خرنك) وغيرهم

هذه إشارة عابرة قمت بها للإشارة إلى حكم الغوريين وإمارتهم أو دولتهم التى كونوها ، ويرجع تاريخها إلى ما قبل الإسلام بكثير ، ثم استمرت فى الوجود السياسى وفى الحياة السياسية خلال الفتوحات الإسلامية ودامت كذلك حتى العصر الغزنوى فى أفغانستان ، وفى هذا العصر قامت حروب كثيرة وشديدة بين الدولتين الغورية والغزنوية دارت رحاها على الأرض الأفغانية تحت راية الإسلام .. حارب الغزنويون الدولة الغورية باسم الإسلام بينما كانت جماعة من الأمراء الغوريين قد سبقوا غيرهم فى اعتناق الإسلام والعمل على مبادئه السامية . وقد تمكن الغزنويون مؤقتاً — من السيطرة السياسية على الدولة الغورية ، ومن القضاء على شوكتها العسكرية ، إلا أنهم لم يستطيعوا الدوام فى هذا ، أو المحافظة على هذا الحال طويلاً حيث مامكت الغوريون أن قاموا باسترجاع سلطانهم السياسى والعسكرى فى أفغانستان وفى البلاد الهندية ، وتمكنوا بذلك من القضاء على الدولة الغزنوية فى أفغانستان أولاً ، ثم انتشرت جذور الغوريين وازداد سلطانهم السياسى والعسكرى ، ونفوذهم الأدبى ، والفنى ، والاجتماعى فى أفغانستان حتى وصل كل ذلك إلى البلاد الهندية التى أصبحت مستعمرة أو مستوطنة أو مقاطعة سياسية من الأملاك الغورية ، ثم انتقل ثقل الغوريين السياسى ، والعسكرى ، ونفوذهم الأدبى والفنى كله إلى البلاد الهندية كما سيأتى تفصيل كل ذلك فى ثنايا البحث فيما يأتى من الفصول .

عصر الخلفاء الراشدين وخلفاء بني أمية إلى أبي مسلم الخراساني :

مرة أخرى أسماء أفغانستان : آريانا — خراسان — أفغانستان .. : آريانا = ARYANA من أقدم أسماء أفغانستان استعمل اسما لأفغانستان منذ العصور الويدية القديمة حتى القرن الخامس الميلادي ^(١) وقد جاء ذكر اسم (آريانا) في كتاب الأوستا في صورة (أيريانا = AIRYANA) ^(٢) بشيء من التغيير وكان يقابله في الاسم والمسمى (توريانا = TORYANA) ويعني الآريين التوارنيين البرابرة الذين كانوا يعيشون على الساحل أو الجانب الآخر من نهر (آمو = جيحون) وعلى كل حال (آريانا) و (أيريانا) اسمان تاريخيان من أسماء أفغانستان القديمة .

من آريانا إلى خراسان :

سرى الفكر اليوناني — كما يقول الأستاذ المرحوم صلاح الدين السلجوقي إلى أفغانستان مع الإسكندر الأكبر ، ورئيس أركان علمه (كلستانس) الفيلسوف المؤرخ ابن أخت أرسطو ، وبدأت فكرة تقسيم المناطق على حسب الكواكب السيارة ولما كانت أفغانستان — على حساب التنجيم آنذاك مرتبطة بالشمس — سموها (خراسان) أى أرض الشمس ^(٣) . ثم أصبحت علما لأفغانستان من القرن الخامس الميلادي حتى القرن التاسع عشر الميلادي كما يدعى ذلك الأستاذ ميرغلام محمد غبار ^(٤) وسيأتي الحديث عن أفغانستان فيما يأتي .

آريانا ، خراسان ، وأفغانستان : هى الأرض التى عاش ويعيش فيها الآريون الخراسانيون الأفغانيون منذ مئات من القرون ، وهى مهد الآريين أجداد الأفغانيين ، ومهد حضارتهم الآرية ، ولغاتهم الآرية ، وآدابهم الآرية وحياتهم الاجتماعية ، وهى مهد الآريين ومسرحهم السياسى والحضارى والاجتماعى

(١) ميرغلام محمد غبار : أفغانستان درمسير تاريخ ص ٩ - ١٠ طبعة كابل سنة ١٣٤٦ هـ ش = ١٩٦٧ م .

(٢) المرجع السابق .

(٣) صلاح الدين السلجوقي — أضواء على ميادين الفلسفة والعلم واللغة والفن والأدب ص ١٤ طبعة القاهرة سنة ١٣٨١ هـ = ١٩٦٢ م .

(٤) ميرغلام محمد غبار — أفغانستان درمسير تاريخ ص ٩ - ١٠ طبعة كابل سنة ١٣٤٦ هـ ش = ١٩٦٧ م

والأدى.. آريانا تساوى أيريانا ، وهى تساوى خراسان وخراسان هى أفغانستان مع ملاحظة المد والجزر السياسى والجغرافى .

تغنت الأناشيد الويدية بأنهار (آريانا) المتدفقة ، ووديانها الخضراء ، وجبالها الشاهقة ، وسهولها الجميلة ، ونباتها المقدسة ، وقبائلها القاهرة ، وعقائدها الدينية ، ليس ذلك إلا لأنها كانت كذلك مهدا لهم ولحضارتهم ، ولغاتهم ، وآدابهم ونظمهم السياسية والاجتماعية ، كذلك كانت مهدا للأوستية فيها نشأت آدابها وترعرعت ثم منها انتشرت حامللة الديانة الزردشتية بما فيها من أفكار صاحبها الدينية والاجتماعية والإصلاحية إلى الآفاق البعيدة تحفة رائعة اجتماعية واضحة داعية بإخلاص لتنجو البشرية من الآثام والآلام ، والإجرام .

إن كلمة (آر) من أحب الكلمات والأسماء إلى قلوب الآريين أجداد الأفغانيين ، عاشت معهم فى حياتهم بجميع جوانبها السياسية ، والاجتماعية واللغوية والأدبية وغيرها فى موطنهم الأول الأصيل ، وفى مهجرهم الأول والثانى .. الشرق والغرب ، وهى تلعب دورا كبيرا وهاما وأساسيا فى اللغتين الآريتين الأفغانيتين البيختونية^(١) الأفغانية والدرية^(٢) الأفغانية وآدابهما الرئيسية .

وقد جاء ذكر اسم (آريانا) - وربما كان ذلك لأول مرة - فى صورة منظمة وفى كتاب ملون خارجى ، جاء اسمها فى كتاب المؤرخ الإغريقى القديم (أراتوس تنس = ARATOS THENS) فى النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد .

ماقاله العلماء والشعراء فى خراسان :

ثم اشتهر كما يبدو اسم (خراسان) من القرن الخامس الميلادى فى عصر الساسانيين^(٣) وكان يطلق على أفغانستان الحالية وعلى المناطق والأقاليم المجاورة لها غربا ، وشمالا ، وجنوبا . (وخراسان = خوراسان) معناها المشرق^(٤) أو مطلع الشمس ، ويبدو أن الساسانيين هم الذين قاموا بإحياء اسم خراسان القديم ،

(١) اللغة البيختونية : هى اللغة التى يطلق عليها العرب اللغة الأفغانية وتدعى البيختونية فى لهجة أخرى أفغانية .

(٢) اللغة الدرية : يطلق عليها العرب اسم اللغة الفارسية .

(٣) پوهاند عبد الحى حبيبي — أفغانستان بعد از اسلام ج ١ ص ١٤٠ طبعة كابل سنة ١٣٤٥ هـ ش سنة ١٩٦٦ م .

(٤) محمد بن أحمد الخوارزمي — مفاتيح العلوم ص ٧٢ طبعة القاهرة سنة ١٣٤٢ هـ .

وأطلقوه في عصرهم على أفغانستان الحالية وملحقاتها ومضافاتها لوقوعها شرق الدولة الساسانية في البلاد الإيرانية ومن هنا نرى الشعراء والأدباء ، والمؤرخين من (خراسان) الأفغانية يميزون المشرق عن المغرب ويمدحون ملوك غزنة في أفغانستان بأنهم أعظم من ملوك المغرب لأنهم ملوك المشرق .. انظر إلى الشاعر الخراساني البلخي^(١) أبي القاسم محمد بن أحمد العنصرى حيث يقول في هذا :

أياشنيده هنرهای خسروان بخیر بياز خسرو مشرق عیان بین تو هنر
ويقول فخر الدين الجرجاني^(٢) في وصف خراسان :

خوشاجایا بروبوم خراسان دروباش وجهان رامی خوراسان
زبان پهلوی هرکاو شناسد خراسان آن بود کزوی خورآسید
خورآسید پهلوی باشد خورآید عراق وپارس را خورزوبر آید
خوراسان را بود معنی خورآیان کجا ازوی خور آید سوی ایران

چه خوش نامست وچه خوش آب و خاکست
زمین وآب و خـ ————— اکش هر سه باکست

ويقول عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي : إن خراسان بالفارسية مطلع الشمس^(٣) .

وفي كتاب موسى الخورني قسمت الفلاة الآرية إلى أربعة أقاليم على الترتيب الآتي : الأول : إقليم خوربران في المغرب ، الثاني : إقليم نيمروز في الجنوب ، الثالث : إقليم خراسان في المشرق . الرابع إقليم كابو (قفقاز) في الشمال^(٤) .

وقد تحدث المؤرخون عن خراسان وعن مدنها المشهورة ، وحدودها الأربعة السياسية والجغرافية في العصور المختلفة ، وفي ظل النظم المختلفة السياسية والوطنية والأجنبية ، وكل هذه الأقوال ، وتلك الأحوال دليل على أن أفغانستان الحالية في قلب (خراسان) النابض الذي يمنح الحياة والنشاط والروح والدم

(١) أبو القاسم حسن بن أحمد العنصرى البلخي — ديوان العنصرى ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام ١٤٠/١ الهامش رقم ٢ .

(٢) فخر الدين الجرجاني — ويس ورامين — طبعة إيران سنة ١٣٣٧ هـ ش .

(٣) عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي — معجم ما استعجم ج ١ ص ٤٨٩ طبعة القاهرة سنة ١٩٤٥ م .

(٤) يوهاند عبد الحى حبيبي — أفغانستان بعد از اسلام ج ١ ص ١٤١ طبعة كابل سنة ١٣٤٥ هـ ش = ١٩٦٦ م نقلا عن كتاب موسى الخورني المؤرخ الأرمني .

لأعضائها المترامية الأطراف المختلفة الرحبة الاتساع فالمؤرخون الذين تحدثوا عن (خراسان) الأفغانية ، وعن حدودها الأربعة كثيرون ومن هؤلاء المؤلفين والمؤرخين :

١ - عبد الحمى بن ضحاك الكرديزي^(١) في كتابه زين الأخبار ذلك الكتاب القيم الذى قام بتحقيقه الأستاذ عبد الحمى حبيبي وترجمته إلى العربية الدكتور عفاف السيد زيدان .

٢ - أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبه في كتاب المسالك والممالك .

٣ - على بن حسين المسعودى في كتابه مروج الذهب .

٤ - إبراهيم بن محمد الأصبخري في كتابه مسالك الممالك .

٥ - محمد بن أحمد البشارى المقدسى في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم .

٦ - أبو زيد البلخى في كتابه صورة الأرض

٧ - ياقوت الحموى في كتابه معجم البلدان

٨ - أحمد بن واضح اليعقوبى في كتابه البلدان

٩ - هرتسفلد في كتابه نقش بايكل

وبالإضافة إلى هؤلاء المؤرخين في العصور الإسلامية هناك دلائل مادية ثابتة على أن (خراسان) كان اسم أفغانستان قبل الإسلام وهذه الدلائل التاريخية هي الآثار التاريخية القديمة ومنها العملات والنقود الأثرية التى غثرت عليها في جميع أنحاء أفغانستان مكتوبا عليها اسم (خراسان) وبالأخص نقود اليفتليين (الهياطلة) .

وفي خراسان وزيتها يقول اليعقوبى هذا البيت من الشعر :

علت سمرقند أن يقال لها زين خراسان جنة الكور

وخراسان صدر الإسلام كانت تشمل جميع أنحاء أفغانستان الحالية وأهم مراكزها كانت موجودة في الأراضي الأفغانية ، وهى لاتزال كذلك حتى أن الناس الآن في وادى السند يطلقون على الأفغانين الرحل الذين يتوافدون عليها في

(١) الكرديزى/ نسبة إلى مدينة كرديز في جنوب أفغانستان تبعد عن كابل العاصمة بحوالى ١٢٥ كيلومترا جنوبا .

موسم الشتاء اسم الخراسانيين التاريخي^(١) .

والقدماء لم يتفقوا على حدود (خراسان) التاريخية والسياسية والجغرافية شأنها في ذلك شأن أفغانستان حتى اليوم فليس لها حدود محدودة حيث إن الأراضي الأفغانية مستقطعة من كل جوانبها لا يعترف أبنائها بالسيادة عليها لغيرهم ، وغيرهم بطبيعة الحال لا يعترف بسيادة أهلها على أراضيهم المستقطعة ، والنتيجة أن حدود أفغانستان السياسية والجغرافية غير محددة بالنسبة لأبنائها على الأقل . وهذه الحالة المؤسفة هي التي كانت من نصيب الأمة الأفغانية في الماضي أيضا . ولذلك نرى القدماء يعينون حدود خراسان الأفغانية حسب مقاييسهم الجغرافية وتقديراتهم الشخصية .

كانت لخراسان = أفغانستان أهمية خاصة من الناحية السياسية لأنها باب الهند البري ، وكان قادة المسلمين من العرب ينظرون إليها من هذه الزاوية ، وهي في نظرهم الدنيا كلها .

والناس فارس والإقليم بابل والإسلام مكة والدنيا خراسان^(٢) وكان هذا يدل على بعد النظر وحسن التقدير لدى القادة المسلمين لأن خراسان قد قامت بدورها القيادي ، بعد فتحها في نشر الإسلام في ربوع الهند وغيرها من البلاد الآسيوية ، وكان لأبناء خراسان الأفغانية الفضل في إدارة هذه القيادة وتوجيهها توجيهها سليما مفيدا .

وحُدود خراسان الشرقية الشمالية تتجاوز حدود (بدخشان) هذا مايقوله الشاعر البلخي ناصر خسرو حيث يقول^(٣) .

مرا مكان بخراسان زمين به يمكّانست كسى چراطلبدد رسفر خراسان را^(٤)
وفي نظر شاعر دري آخر وهو منوچهرى دافغانى تدخل كل من بلخ ، ورودك ، وسمرقند ، وبست في خراسان حيث يقول^(٤) .

(١) پوهاند عبد الحمى حبيبي — أفغانستان بعد از اسلام ج ١ ص ١٤٥ طبعة كابل سنة ١٣٤٥ هـ ش = ١٩٦٦ م .

(٢) ياقوت الحموى — معجم البلدان ٣٥٣/٢ .

(٣) ديوان ناصر خسرو ص ١٠ .

(٤) ديوان منوچهرى دامغانى : ١٤٠ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام ١٤٥/١ .

ازحكيماں خراسان كوشهيد ورودكى بوشكور بلخى، وبو الفتح يستى هكذى

وعند عبد الحى بن ضحاك مؤرخ الغزنويين يصل تاريخ استعمال اسم خراسان لأفغانستان الحالية إلى أيام أردشير بابكان (٢٢٤ - ٢٤١ م) حيث يقول^(١) إن الملك أردشير قسم خراسان إلى أربع ولايات :

- ١ - الولاية الأولى الخراسانية : مروشايدكان = مروشاهجان
- ٢ - الولاية الثانية الخراسانية : ولاية بلخ وتخارستان
- ٣ - الولاية الثالثة الخراسانية : ولاية ماوراء نهر (جيحون = آمو)
- ٤ - الولاية الرابعة الخراسانية : ولاية هرات وبوشنك وبادغيس

ذكر (هرتسفيلد) حدود خراسان أيام الساسانيين (ص ٣٧ PAIKURI) بأنها : أبواب بحر قزوين قرب الرى ، وجبال البرز ، والركن الجنوبي الشرقى لبحر قزوين ، ووادى (اترك = ATREK) وخط يتبع السكة الحديدية وراء الخرز حتى لطف آباد ، وخط يخترق الصحراء التى تضم ناجند ، ومرو حتى جيحون جنوب كاركى ، وكما يبدو من نقود السيت الساسانيين ، يتبع قمة سلسلة جبال هسار حتى بامير منحنية ناحية الجنوب مع جزء من جيحون المحيط بيدخشان ، وبالغة قمة الهندوكش ، وتتجه الحدود ناحية الغرب ، وعلى طول هذه السلسلة وهذه الجبال جنوبى هرات ، مختربة كوهستان جنوب تورشمزوخاف ، عائدة هكذا نحو أبواب قزوين^(٢) .

ويقول محمد بن أحمد البشارى المقدسى^(٣) : إن مؤلف كتاب صورة الأرض أبابيزيد البلخى ، وهو إمام هذا الفن ، يقول : إنه قسم خراسان قسمين ... قسم ماوراء نهر جيحون ، وقسم مادونه ، وكانت أجزاءها العليا تبدأ من (فرغانة) وبخارى إلى الصغد ، والشاش ، ويقول مطهر بن طاهر : إن طول خراسان يبدأ من دامغان ويستمر إلى مجرى نهر جيحون ، وعرضها يبدأ من مدينة زرنج^(٤) الأفغانية ، وينتهى بمرجان ، ويبلغ حدها على هذه الضفة الجنوبية من

(١) عبد الحى بن ضحاك - زين الأخبار ٣٤ الترجمة العربية ، وتاريخ أفغانستان بعد أزا سلام ١٤٢/١ .

(٢) ارتر كريستنسن : إيران في عهد الساسانيين ص ١٢٧ هامش الترجمة العربية .

(٣) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم .

(٤) زرنج : حاضرة سيستان الأفغانية .

جيحون إلى ختل وشغن ، وندخشان ، وواخان ، وإلى حدود الهند^(١) .

ويقوم مؤلف كتاب حدود العالم من المشرق إلى المغرب في سنة ٣٧٢ هـ = ٩٨٢ م بتحديد حدود خراسان على الترتيب الآتي : تحدها من الشرق الهند ، ومن الغرب مناطق جرجان ، ومن الشمال نهر جيحون ، ويدخل فيها أقاليم طخارستان ، وباميان ، و(بنجشير = پنجهر) و(جاريابه = جاريابه) وجميع البلاد الأفغانية الحالية وهو بذلك يوضح لنا بلاد خراسان وحدودها في العصر الساساني

ويلاحظ أن مناطق وأقاليم وأجزاء كبيرة من خراسان القديمة كانت قد انفصلت عنها لظروف سياسية طارئة ، لم يكن العلماء والمؤرخون والجغرافيون في القرنين الخامس والسادس الهجريين يحسبونها من أراضي خراسان لظروف سياسية طارئة أيضا كالأقاليم الواقعة فيما وراء نهر (آمو = جيحون) وأقاليم بلاد خوارزم ، وغيرها من أجزاء خراسان القديمة ، مع أنها خراسانية مائة في المائة لحما ودما . ولكن السياسة — لعنها الله — جعلت المؤرخين من أهل العلم لا يحسبونها من الأقاليم والمناطق الخراسانية .

الفتوحات الإسلامية في أفغانستان الشمالية :

كانت أفغانستان مجزأة ومقسمة بين الحكام سياسيا ، والإمارات جغرافيا ، والآداب حضاريا ، والأديان عقائديا ، واللغات ثقافيا ولم تكن توجد حكومة مركزية قوية لتدير شئونها ، ولتشد أوتارها إلى العاصمة المركزية ، ولتدافع عن حدودها تحت راية واحدة تظلل البلاد الأفغانية الخراسانية بظلال الوحدة الوطنية والقومية ، في هذه الحالة من الفوضى السياسية ، والصراعات الحامية ، بين الأمراء والحكام ، والأديان والآداب ، واللغات ، والعادات ، بدأت الفتوحات الإسلامية في أفغانستان الشمالية ، ففي عصر عمر بن الخطاب رضى الله عنه قضى الجيش الإسلامى على الإمبراطورية الساسانية في بلاد فارس ، بسهولة ولم يكلفهم الفتح كثيرا من الحروب والمعارك كما كان متوقعا منذ بدء الحروب الإسلامية في هذه الجهة الشرقية ، وهرب الإمبراطور الساساني يزدجرد الثالث بعد هزيمته في موقعة

(١) مطهر بن طاهر المقدسى : البدء والتاريخ .

نهاوند سنة ٢١ هـ = ٦٤٢ م إلى خراسان يحرق وراءه أذبال الهزيمة التاريخية ، ثم قتل في سنة ٣١ هـ = ٦٥٢ م ، وكان ذلك فتحا مبينا للمسلمين في إيران ، وبدءاً لفتوحاتهم في أفغانستان ، توالى بعد ذلك الفتوحات الإسلامية ومعاركها في أفغانستان الشمالية ، بدأت هذه المعارك في هذه الجبهات في صورة أشد عنفاً وقسوة لم نر لها مثيلاً من قبل وبكثافة لم نرها نظيراً أيضاً .

فالأحنف بن قيس أول قائد إسلامي من العرب يضع قدمه في التراب الأفغاني الآري في (أفغانستان = خراسان) سنة ١٨ هـ أو ٢٢ هـ ، بعد أن كلفه الخليفة الإسلامي أن يتعقب يزدجرد الثالث ، فحارب في (هرات) الأفغانية ، وفتحها عنوة ، وعين صخار العبدى حاكماً عليها ، ثم توجه بعد ذلك إلى (مرورود = الموروذ) وبلخ وغيرها من الأقاليم والمناطق الشمالية الأفغانية الأخرى الواقعة بين نيسابور وطخارستان وفتحها جميعها ، وقام بتعيين ربيعي بن عامر حاكماً على طخارستان في شمال أفغانستان ، وكان يزدجرد الثالث آخر الملوك الساسانيين حياً يرزق ، وكان يطمع في أن تصل إليه المساعدات العسكرية من (خاقان = خانان) (الترهك) ومن الصينيين . وكانت أخبار هذه الفتوحات الإسلامية المتوالية تصل إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالمدينة المنورة ولما وصل إليه خبر فتح (مرو) و(بلخ) بالقرب من نهر (آمو = جيحون)^(١) أصدر أمره إلى القائد الإسلامي الأحنف بن قيس بالآلا يعبر نهر (آمو = جيحون) ليتمكن من الإعداد والاستعداد لمحاربة العدو على هذا الجانب من الساحل الأفغاني لأن جندا من الساسانيين والخوانين في أفغانستان ، وعلى الاحتمال القوى عوناً من الصين كان يستعد لإعادة الكرة والدخول في حرب ثانية مع المسلمين في الأقاليم الأفغانية .. لذلك كان أمر الخليفة بعدم العبور أمراً حكيماً ، وخطوة عسكرية موفقة نفذها بنجاح وهو بعيد عن ميدان المعركة التي كانت تجري على بعد آلاف من الكيلو مترات .. بعيداً جداً في أفغانستان الشمالية .. بالقرب من الصين .

نعم ! كانت الجيوش الحاربة تستعد لدخول معركة فاصلة ضد المسلمين .. جيوش الخوانين من الأفغان (الترهك) وفلول من الجيش الساساني

(١) الطبرى ١٦٨/٤ . وابن الأثير ١٦/٣ .

الهارب وعونا عسكريا — على الاحتمال القوي — تستعد لمواجهة الخطر الإسلامى فى الشمال الأفغانى ، فماذا كان موقف الناس من هذه المعارك والحروب التى كانت تدور رحاها بقسوة وبكثافة على أرض خراسان الأفغانية ؟ يبدو أن الطبقات العريضة من الجماهير الشعبية لم تشترك فى المعارك الدائرة بين المسلمين من ناحية وبين الجيوش المشتركة من الخوانين والساسانيين من ناحية أخرى ، وكان موقفها من هذه الحروب ، هو موقف الترقب ، والمراقبة ، ترأب تلك المعارك ليرى من الذى سينتصر فيها ؟! وليرى الغالب من المغلوب ... كانت قلوبهم تميل إلى نصر المسلمين لكثرة ما عانوه من الظلم والاستبداد من جانب الخوانين والملوك . والنتيجة كما كانت الجماهير العريضة من الطبقات العامة تتوقعها هى غلبة المسلمين وانتصارهم على الظلم والطغيان والاستبداد ، وانتهزام جيوش الخوانين والساسانيين المشتركة ، ويقال إن يزدجرد الثالث كان قد طلب المساعدات الصينية ولكنها لم تصل إليه^(١) .

استشهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى سنة ٢٣ هـ = ٦٤٣ م ، وتولى الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه أمور الخلافة ، وكان عبد الله بن عامر بن كريز القائد الإسلامى البالغ من العمر خمسة وعشرين عاما قد عين حاكما على خراسان الأفغانية فى عام ٢٨ هـ أو ٢٩ هـ ، وكان الأحنف بن قيس يحارب البقية الباقية من القوى الهفتلية (اليفتلية) فى (طبيين) باب خراسان فى سنة ٣٠ هـ ، وبعد فتح (قهنستان) تم الصلح بين الجانبين على ستة آلاف من الدارهم يقوم بدفعها الجانب الأفغانى إلى الجانب الإسلامى . وكان ذلك فى سنة ٣١ هـ^(٢) = ٦٥١ م . وفى هذا العام قتل يزدجرد فى (مرو) .

وقد قام عبد الله بن عامر بن كريز بتعيين الحكام والولاة فى خراسان على الوجه الآتى :

١ - حاتم بن نعمان واليا وحاكما فى (مرو شاهجان)

(١) الطبرى ١٦٧/٤ وابن الأثير ١٩/٣ .

(٢) أحمد بن يحيى البلاذرى — فتوح البلدان ص ٤٩٩ والطبرى ج ١ ص ٣٤٩ وفصيح أحمد بن محمد خوافى : جمل فصيحى ١٣٠/١ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام ١٤٩/١ .

- ٢ - الأحنف بن قيس حاكماً وواليا في (مرو الروذ)
 ٣ - عبد الله بن حازم البلخي حاكماً وواليا في (سرخس)
 ٤ - خليلد بن عبد الله الحنفي ، أو: أوس بن ثعلبة الليثي في (هرات)^(١)

وذلك ليعاونوه في إدارة شئون خراسان الأفغانية ، وقد دام حكم عبد الله ابن عامر بن كرز ، واستمر إلى مابعد عام ٣١ هـ إلى أن استشهد عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة ٣٥ هـ . وفي هذه المدة تمت فتوحات كثيرة وعديدة في جميع أنحاء خراسان أهمها :

- ١ - قام جيش إسلامي بفتح طوس ، وأبيورد ، ونساء ، وسرخس ومرو ، وغيرها من المناطق الخراسانية ، وكانت قيادة هذا الجزء من الجيش الإسلامي في يد القائد الإسلامي أمير بن أحمد الشكري ، وكان ذلك في سنة ٣١ هـ ٦٥٢ م . وانعقد الصلح بين الجانبين على مليونين ومائتي ألف درهم (ألفي ألف ، ومائتي ألف درهم) وقد تم هذا الصلح بين الطرفين على يد حاتم بن نعمان الباهلي مندوبا عن عبد الله بن عامر بن كرز^(٢)

- ٢ - جيش إسلامي آخر قام بقيادة يزيد الحرش بفتح نيسابور وجوين ، وغيرها من المدن والمناطق في هذا الجزء من خراسان^(٣)

- ٣ - حارب عبد الله بن خازم بقيادة جيش ثالث من المسلمين بأمر من عبد الله بن عامر بن كرز ، حارب حاكم سرخس الذي كان يدعى (رادويه = زادويه) وتمكن من فتح سرخس بعد قتل حاكمها ، ووقعت ابنته (ميثاء) في يد عبد الله بن خازم^(٤)

- ٤ - وبقيادة جيش رابع من المسلمين حاصر الأحنف بن قيس في سنة ٣٢ هـ = ٦٥٣ م (مرو الروذ) وبعد المحاصرة ، وتضييق النطاق عليها تم الصلح بين

(١) فصيح أحمد بن محمد خوافي : مجمل فصيح ج ١ ص ١٣١ طبعة مشهد - إيران .
 (٢) پوهاند عبد الحى حبيبي - أفغانستان بعد أراسلام ١٤٩/١ طبعة كابل سنة ١٣٤٥ هـ ش = سنة ١٩٦٦ م .
 (٣) أحمد بن يحيى البلاذري - فتوح البلدان ص ٥٠٠ .
 (٤) المرجع السابق .

الجانبيين الأفغانى والإسلامى على ستين ألف من الدراهم^(١) توجه بعد ذلك الأحنف بن قيس بجيشه المكون من خمسة آلاف من المسلمين إلى تخارستان^(٢) الأفغانية ، وبعد معركة قصيرة دارت بين المسلمين من جهة وبين التخاريين^(٣) والجوزجانيين^(٤) ، والطارقانيين^(٥) والفاريابين^(٦) من جهة أخرى بعد هذه المعركة القصيرة تم الصلح بين الجانبين الإسلامى والأفغانى على أربعمائة ألف من الدراهم يقوم الجانب التخارى الأفغانى بتأديتها إلى الجانب الإسلامى ، وقام بتعيين ابن عمه بشر بن مئتمن حاكماً^(٧) عاماً هناك .

• - ومن أهم فتوحات عبد الله بن عامر بن كرز في البلاد الأفغانية الخراسانية فتح هرات^(٨) وبادغيس^(٩) وپوشنگ^(١٠) ، فقد وجه هجومه العنيف الشديد بقيادة خليلد بن عبد الله الحنفى إلى هرات ، ولكنه لم يتمكن من السيطرة عليها لشدة المقاومة الأفغانية ، فاضطر عبد الله بن عامر أن يشترك في الحرب لإخضاع عظيم هرات بنفسه ، بعد ذلك تمكن من إخضاع هرات

(١) ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى — تاريخ الأمم والملوك ٣١٠/٤ طبعة ثانية دار المعارف . مصر .
 (٢) پوهاند عبد الحى حبيى — أفغانستان بعد از اسلام ج ١ ص طبعة كابل سنة ١٣٤٥ هـ = ١٩٦٦ م
 (٣) التخاريين : تخار أو تخارستان إحدى الولايات الأفغانية في الشمال حاضرتها الحالية مدينة (طالقان = تالقان) وتبعد عن كابل بحوالى ٤٠٣ كيلو مترات .
 (٤) الجوزجانيين : جوزجان من الولايات الشمالية الأفغانية اليوم حاضرتها مدينة (شرغان) وتبعد عن كابل بحوالى ٥٨٦ كيلو مترا في الشمال .
 (٥) الطارقانيين : من سكان مدينة (طالقان = تالقان) حاضرة ولاية تخارستان الأفغانية في الشمال . ومدينة طالقان تبعد عن كابل بحوالى ٤٠٣ كيلو مترات .
 (٦) الفاريابين : فارياب من الولايات الشمالية الأفغانية الهامة . حاضرتها اليوم مدينة (ميمنه) وتبعد عن كابل بحوالى ٧٩٦ كيلو مترا شمالا .
 (٧) پوهاند عبد الحى حبيى — أفغانستان بعد از اسلام ج ١ ص ١٥٠ طبعة كابل سنة ١٣٤٥ هـ = ١٩٦٦ م .

(٨) هرات : مركز هام من مراكز أفغانستان وهى تبعد عن كابل بحوالى ١٠٥٧ كيلو مترا غربا .
 (٩) بادغيس : ولاية هامة من الولايات الأفغانية حاضرتها اليوم مدينة (قلعة نر) وتبعد عن كابل بحوالى ١٠٩٤ كيلو مترا .
 (١٠) پوشنگ : كانت من أعظم المدن الأفغانية أيام الفتوحات الإسلامية بالقرب من هرات والدولة الطاهرية تنسب إلى فوشخ الأفغانية هذه .

الأفغانية وعلى قبول الجزية وقدرها مليون واحد من الدراهم وهذا نص المعاهدة التي تمت بين الطرفين :

”بسم الله الرحمن الرحيم“ ، هذا ما أمر به عبد الله عظيم هرات وبوشنج ، وبادغيس ، أمره بتقوى الله ، ومناصحة المسلمين ، وإصلاح ماتحت يديه من الأرضين ، وصالحه عن هراة سهلها وجبلها ، على أن يؤدي من الجزية ماصالحه عليه ، وأن يقسم ذلك على الأرضين عدلا بينهم . فمن منع ماعليه فلاعهد ولاذمة . وكتب ربيع بن نهشل . وختم ابن عامر^(١) .

وبعد إتمام هذا الصلح مع عظيم هرات (باذان) توجه عبد الله بن عامر إلى المدينة المنورة في سنة ٣٢ هـ = ٦٥٣ م لمقابلة الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وترك في خراسان ثلاثة من قواده العرب وهم : ١ - الأحنف بن قيس ٢ - حاتم بن نعمان الباهلي ٣ - قيس بن هيثم . وأثناء غيابه حدث تمرد وثورة في (خراسان) بقيادة (قارن) الخراساني إلا أن عبد الله بن خازم تمكن بسرعة من إطفاء نار الفتنة، وقتل قارن الخراساني في ميدان الحرب ووقع عدد كبير من جيشه أسرى في أيدي المسلمين، بعد أن قتل عدد كبير منهم في الهجوم المباغت الذي قام به المسلمون فجأة على معسكر قارن الخراساني ليلا . وكان الناس في كل من طبرسين وبادغيس وهرات وقهستان قد التفوا حوله، فشجعه هذا على القيام بالثورة أو بهذا التمرد الذي ضحى بحياته فيه^(٢) .

عاد الناس في (سيستان = سجستان) مرة أخرى إلى المقاومة وقد بدأوا هذه المقاومة للمرة الثانية في سنة ٣٠ هـ = ٦٥٠ م في عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فقام حاكم خراسان الأفغانية عبد الله بن عامر بإرسال القائد الإسلامي مجاشع ابن مسعود السلمى لتأديب أهل (سيستان = سجستان) الأفغانية ، إلا أن المقاومة السيستانية كانت هذه المرة أشد عنفا حيث قتل السيستانيون عددا كبيرا من المسلمين^(٣) واضطر مجاشع بن مسعود السلمى إلى الانسحاب من الميدان ، فانسحب منهزما ، وفي خلال ذلك مات جيشه الإسلامي كله بسبب كثرة

(١) أحمد بن يحيى البلاذرى - فتوح البلدان ص ٥٠١

(٢) لا يذكر المؤرخون العرب أسم حاكم هرات وعظيمها في هذه الفترة من التاريخ الأفغانى ولكن فصيح أحمد بن محمد خوافي يذكره باسم (باذان) كتاب مجمل فصيحى طبعة مشهد بإيران .

(٣) الفتوح ص ٤٨٤ . وتاريخ سيستان ص ٨١ .

الثلج^(١) وشدة البرد ، وعلم عثمان بن عفان بذلك فأرسل ربيع بن زياد الحارثي على رأس جيش من المسلمين إلى عبد الله بن عامر لفتح سيستان — فتوجه ربيع بن زياد إلى خراسان وقد تمكن — وهو في طريقه إلى سيستان — من فتح بعض البلاد صلحا ، ولما وصل بجيشه إلى مكان قريب من العاصمة السيستانية (زرنج) اشتبك الجانبان في معركة حامية دامية مات فيها عدد كبير من المسلمين ومن أهل (سيهستان = سجستان) الأفغانية بدأت بعدها معارك وحروباً أخرى بين المسلمين والسيستانيين وبعد هذه الحروب القاسية بين الجانبين تم حصار العاصمة السيستانية (زرنج) الحصينة ؛ طلب بعد ذلك حاكم سيستان پرويز^(٢) الصلح والأمان من ربيع بن زياد الحارثي ، وعرض عليه شروط الصلح ، ولما خرج من حصن زرنج ، ووصل إلى المعسكر الإسلامي فوجيء بمشاهدة ربيع بن زياد الحارثي بمنظرة القبيح جالسا فوق جثث القتلى من أهل سيستان كما فوجيء أيضا بمشاهدة أصحابه متكئين على جثث القتلى ، فاندشم من مشاهدة هذا المنظر المفزع الخفيف فارتعب ، ووافق على الصلح مع ربيع بن زياد الحارثي على أن يقوم بدفع ألف وصيف يكون في يد كل واحد منهم كأسا من الذهب^(٣) .

وفي عهد خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه عين جعدة بن هيرة المخزومي واليا على خراسان ، وهو ابن خال علي رضي الله عنه وزوج ابنته ، وقد استطاع أن يحقق فتوحا كثيرة في خراسان ، ثم يأتي دور عبد الرحمن بن أبي الحزاعي ، وقد استمر في حكم خراسان إلى أن توفي علي بن أبي طالب رضي الله عنه^(٤) .

هذا موجز تاريخ الفتوحات الإسلامية في الأقاليم والولايات والمناطق الشمالية في أفغانستان ، ومع هذه الفتوحات الإسلامية دخلت اللغة العربية وآدابها إلى أفغانستان ، أو إلى هذه الأجزاء من الأرض الأفغانية في الشمال.. ولنا عودة

(١) زين الأخبار ١٧٠ الترجمة العربية ، وتاريخ سيستان ٨٠ .

(٢) وفي رواية تاريخ سيستان إيران بن رسم .

(٣) فتوح البلدان ص ٥٨٥ . وتاريخ سيستان ص ٨٢ .

(٤) يراجع لمزيد من المعلومات المراجع الآتية : يوهاند عبد الحى حبيبي : أفغانستان بعد از اسلام ١ : ١٥٣

طبعة كابل ، وأبو جعفر محمد بن جرير الطبري : تاريخ الملوك والأمم ٣ : ٢٥٦ ، وابن الأثير : الكامل

٣ : ٢٢ ، وعبد الحى بن الضحاك : زين الأخبار ورق ٦٠ ، ومجمل فصيحى ١ : ١٢٧ .

إلى الحديث عن اللغة العربية وآدابها في منازل الأفغان بعد الحديث بإيجاز شديد عن الفتوحات الإسلامية في الأقاليم والمناطق الأخرى من أفغانستان ، لنكون على بصيرة تامة بتاريخ الإسلام ، ولغة الإسلام ، وأدب الإسلام في بلاد الأفغان ونبدأ بتاريخ أحداث الفتوحات الإسلامية في أفغانستان الجنوبية :

الفتوحات الإسلامية في أفغانستان الجنوبية :

وصل الجيش الإسلامي المنتصر إلى سيستان الأفغانية سنة ٢٣ هـ = ٦٤٣ م ، وكان ذلك في السنة الأخيرة من خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولم ينتظر طويلا ، فقد وجه هجومه الناجح إلى العاصمة السيستانية (زرنج) بقيادة كل من القائدين المسلمين العربيين : عاصم بن عمرو التيمي ، وعبد الله بن عمير ، وقد تمكن الجيش الإسلامي من محاصرة العاصمة السيستانية (زرنج) حصارا محكما شديدا ، وبعد مدة من الحصار الشديد القاسى المحكم تم الصلح بين الجانبين بالجزية^(١)

وعلى هذا الترتيب ، وبتكليف من الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه لمساعدة عبد الله في الحرب ، تم للقائد الإسلامى الربيع بن زياد الحارثى فتح (سيستان = سجستان) الأفغانية ، ومكث فيها بعد ذلك لمدة سنتين ونصف السنة ، ووسع في فتوحاته الإسلامية حتى وصل في ذلك إلى حدود مدينة (بست) الأفغانية التاريخية ، تلك المدينة العريقة التى كانت مركزا من أهم المراكز العلمية والحضارية في العصور المختلفة من العصور القديمة والإسلامية^(٢) .

توالى بعد ذلك الجروب ، والمعارك ، والفتوحات الإسلامية في الجنوب الغربى من أفغانستان الخراسانية ، وفقا لقدرة كل قائد إسلامى عربى وظروفه العسكرية والسياسية وقدرته القيادية وقد أبلى جميع القواد المسلمون في حروبهم في خراسان الأفغانية بلاء حسنا ، وأبدوا قدرتهم العسكرية وحكمهم السياسى وحكمتهم القيادية في هذه البلاد الصعبة . وقد عرفنا في التاريخ الأفغانى ما عاناه الإسكندر

(١) الطبرى ٤ : ١٨٠ ، والكامل ٣ : ٢٢ ، ومجمل فصيحى ١ : ١٢٧ .

(٢) أحمد بن يحيى البلاذرى فتوح البلدان . وتاريخ سيستان طبعة طهران سنة ١٣١٤ هـ ش وعبد الحى بن ضحالك الكرديزى — زين الأخبار طبعة طهران سنة ١٣١٥ هـ ش . ويوهاند عبد الحى حبيى — أفغانستان بعد أزالاسلام ج١ ص ١٥٧ طبعة كابل سنة ١٣٤٥ هـ ش = ١٩٦٦ .

وجيشه الجرار في حروبه بأفغانستان ، وكان إذا فتح إقليما من الأقاليم الأفغانية ثار إقليم آخر من الأقاليم في وجه الإسكندر وجيشه ولكن المسلمين تمكنوا في مدة وجيزة من أن يشتبوا أقدامهم في أفغانستان ، وإن كان هناك نوع من المقاومة ولكن هذه المقاومة أصبحت لصالح الإسلام وأهله بمرور الزمن وتحولت من المقاومة إلى المساعدة في سبيل نشر الدعوة الإسلامية في البلاد الآسيوية الأخرى

عبد الرحمن بن سمرة في سيستان الأفغانية :

بعودة ربيع بن زياد الحارثي إلى دار الخلافة الإسلامية ، عاد أهل سيستان الأفغانية إلى سيرتهم الأولى ، فأرسل عبد الله بن عامر بأمر عثمان بن عفان رضي الله عنه الصحابي الجليل عبد الله بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس إلى (سيستان = سجستان) لإعادة الأمور إلى حالتها الطبيعية وصل عبد الرحمن بن سمرة إلى سيستان ، وحاصر حاكمها في حصنه المنيع ، وأرغمه على الصلح بمليونين من الدراهم ، وبألفي وصيف ، توجه بعد هذا الصلح إلى (الرخج = قندهار) و(زمينداور = أرض داور) وقام هناك في بلاد داور بتحطيم صنمها الشهير التاريخي (الزور = السون) ودمر معبده الذي كان منصوبا فيه ، ثم قام بفتح (بست) التاريخية ، و(زابل) أيضا . ولما قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه بالمدينة المنورة في سنة ٣٥ هـ ٦٥٧ م وآل أمر الخلافة إلى الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه عاد عبد الرحمن بن سمرة إلى دار الخلافة ، وعين أمير بن أحمد اليشكري واليا وحاكما في خراسان إلا أنه طرد منها بسبب الثورة العارمة التي حدثت وقامت في العاصمة السجستانية (زرنج) ^(١) سنة ٣٥ هـ = ٦٥٧ م وفي هذا الوقت تمرد عدد من الصعاليك العرب بزعامة (حسكة بن عتاب الحبطي) وعمران بن فضيل البرجمي ^(٢) وتمكنوا في تمردهم هذا من الاستيلاء على (زالق) و(زرنج) ولما وصل عبد الرحمن بن جرو الطائي ^(٣) إلى (سيستان) الأفغانية بأمر من الخليفة الرابع علي بن طالب رضي الله عنه قام حسكة بن عتاب الحبطي بقتله ، فأرسل علي بن أبي طالب ربيع بن كاس العنبري على رأس جيش من المسلمين قوامه أربعة آلاف مقاتل إلى سيستان فقام الجيش الإسلامي بقيادته هذه المرة

(١) فتوح البلدان ص ٤٨٦ . والكامل ٥٠/٣ . وتاريخ سيستان ٨٤ .

(٢) الكامل ١٣٣/٣ : عمران بن الفضيل البرجمي .

(٣) فتوح البلدان : ٤٨٤ - ٤٨٧ .

بقتل حسكه بن عتاب الحبلى سنة ٣٥ هـ = ٩٥٥ م .

ومع الفتوح الإسلاميه فى الجنوب الأفغانى انتشرت اللغة العربيه وآدابى .
المناطق والأقاليم التى وضع المسلمون العرب أقدامهم فيها ، وفتحوها ثم استوطنوها
فيما بعد . وبذلك زرعوا البذور الأولى للغة العربيه وأدائها وفنونها ، وعلومها فى
التربة التى أنبتت نباتا صالحا أفاد العالم الإسلامى بأكله الصالح .. فقد أخرجت هذه
البلاد الأفغانية عددا عديدا من الفقهاء والمحدثين ، والمفسرين ، والفلاسفة ،
والأطباء ، والمتصوفه ، والمتكلمين ، والمؤرخين ، والجغرافيين ، والنحاة ،
واللغويين ، والأدباء ، والشعراء ، والكتاب فى عصور إسلامية مختلفة قديمة
وحديثة ، وقد خدم هؤلاء العلم والآدب خدمة عظمية بسبب جدهم ، وجهدهم
على مواصلة البحث وتحملهم المشاق .

فتح كابل العاصمة الأفغانية :

فى القرن الأول الإسلامى كانت الديار الأفغانية يتقاسمها كل من الأسر
الحاكمة الآتية : الأسرة الرتييلية فى زابلستان وسيستان ، والأسرة الكابلية فى
كابلستان ، والأسرة البامية فى باميان ، والمناطق المركزية والأسرة اللويكية فى غزنه
وكرديز ، والأسرة التكنينية فى تخارستان والأقاليم الشماليه الأخرى والأسرة الغورية
فى البلاد الغورية وهرات (٢) ، وكذلك كانت هناك أسر حاكمة صغيرة استقطعت
لنفسها مقاطعات تتمتع بخيراتنا .

انتهى الحكم الوطنى أو القومى فى سيستان على أيدي المسلمين فى سنة ٣٥ هـ
= ٦٥٥ م . وتمكن المسلمون من السيطرة على الأمور والأمراء فأصبحوا تابعين
خاضعين لهم ولسلطانهم ونفوذهم . وفى سنة ٣٦ هـ = ٦٥٦ م أثناء موقعة صفين
أرسل معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه القائد العربى عبد الرحمن بن سمرة واليا
عليها ، توجه عبد الرحمن بن سمرة إلى سيستان ومعه عدد من القواد ، والعلماء
المسلمين من أمثال عباد بن حسن ، والحسن البصرى وغيرهما وذلك ليقوموا لأول
مرة ببناء وتأسيس أول قاعدة دينيه بجانب القواعد العسكرية أو الحربية فى سيستان
الأفغانية ، فقاموا بتأسيس أول مسجد فى التراب الأفغانى وبدأ العالم الإسلامى الكبير

(١) فتوح البلدان : ص ٤٨٧ ، وتاريخ سيستان ص ٨٥ .

(٢) يوهاند عبد الحى حبيى — أفغانستان بعد از اسلام ج ١ ص ١٦٠ طبعه كابل سنة ١٩٦٦ م

الحسن البصرى بتدريس أحكام الدين الإسلامى بصورة منتظمة^(١) .

بعد إقامة قصيرة فى سيستان توجه عبد الرحمن بن سمرة إلى (الرخج = قندهار) و (زابل = قلات) وتمكن من إعادة الأمور إلى مجراها الطبيعى فى هذه المناطق والولايات ، بالقوة وبالصلح معا ، وقد استطاع بهاتين الوسيلتين إخضاع هؤلاء الذين كانوا قد ارتدوا عن الإسلام ، وأعادهم مرة أخرى إلى الإسلام الحق ، وكان هذا العمل فى الحقيقة بمثابة تطهير الطريق المؤدى إلى كابل العاصمة الأفغانية ، والتمهيد لفتحها ، وصل عبد الرحمن بن سمرة إلى مشارف مدينة كابل فحاصرها وحاصر أهلها فى حصنها الحصين مدة ثم وجه ضربات المنجنيق إلى الحصن الحصين حتى تمكن من فتح ثغرة فيه ، ثم قام البطل الإسلامى عبد الله بن خازم بقتل فيل من أفيال جيش كابل مما سبب الهزيمة للجيش الكابلى ... وهكذا تم فتح مدينة كابل وغنم المسلمون غنائم كثيرة^(٢)

أبو رفاعه بن حارث العدوى البصرى ذلك الصحابى الشهير الذى كان يشترك مع عبد الرحمن بن سمرة فى هذه الحروب^(٣) فى وادى كابل ، قد استشهد فى كابل سنة ٤٤ هـ = ٦٦٤ م ، وضرىحه لا يزال من أهم المزارات الإسلامية فى مقبرة الشهداء الصالحين فى كابل^(٤) ، وكان قائد المسلمين فى هذه المعركة الفاصلة هو فارس الفرسان المهلب بن أبى صفرة ، وكان من الجانب الأفغانى الكابلى (كابلشاه = ملك كابل) نفسه يقوم بإدارة المعركة^(٥) وكان ماهرا فى الفنون الحربية وفارسا شجاعا من فرسانها ، وقد قاتل بالفعل قتال الأبطال .

فتح الولايات الشرقية فى أفغانستان :

بعد هذا الفتح وهذا الانتصار العظيم فى فتح كابل أصدر عبد الرحمن بن سمرة أمره بتعيين قائد معركة كابل المهلب بن أبى صفرة قائدا عاما لجيشه وأمره بالتحرك بعد الإعداد لفتح الولايات الشرقية من أفغانستان الخراسانية وقد تم له ذلك فى سنة

(١) المرجع السابق وتاريخ سيستان ٨٥ .

(٢) تاريخ سيستان ص ٨٥ وفتح البلدان ص ٤٨٨

(٣) الإصابة ٦٧/٧ ويوهاند عبد الحى حبيبي — تاريخ أفغانستان بعد از اسلام ١٦٠/١ .

(٤) تاريخ سيستان ٨٨ ويوهاند عبد الحى حبيبي — أفغانستان بعد از اسلام ١٦١/١ .

(٥) مجلة آريانا عدد ٥ — السنة الأولى — شهر جوزا سنة ١٣٢٢ هـ ش كابل .

(٦) تاريخ سيستان ص ٨٨ .

٤٤ هـ = ٦٦٤ م . حتى وصل في فتوحاته الإسلامية إلى منطقة (بنه^(١) = بنون) وفي هذا يقول الشاعر العربي الأزدى^(٢) :

ألم تر أن الأزد ليلة يبتوا بينة كانوا خير جيش المهلب
كيف وصل الجيش الإسلامي إلى الأقاليم الشرقية ثم إلى سواحل هر
(أباسين = أندوس = السند) ؟ سؤال هام يطرأ على الذهن ويفرض نفسه على
الدارس في هذا المجال ، ويطلب منه الإجابة إجابة مقنعة . وفي الإجابة على هذا
السؤال أقول : إن الإسكندر المقدوني وصل إلى هذه المناطق قبل وصول المسلمين
إليها ويقول التاريخ : إن المغامر الإسكندر المقدوني وصل إلى هذه الأقاليم عن طريق
كابيل ، كونر ، باجور ، سوات إلى أن وجد نفسه أمام سواحل نهر (أباسين =
أندوس = السند) وبعد عبور النهر وجد نفسه وجيشه بقواده في الأقاليم الهندية
بالبنجاب ، وهو طريق طبيعي يجوز أن يكون أسهل الطرق للوصول إلى تلك
المناطق ، علما بأن الممرات الأفغانية التي كانت تؤدي إلى المناطق الساحلية لنهر
(أباسين) ثم إلى الأراضي الهندية بالبنجاب كانت كثيرة ومتعددة ، ولكن لماذا اختار
الإسكندر للوصول إلى الهند طريق (كونر — باجور) ؟ ذلك لأسباب كثيرة منها
السهول وكثافة السكان في هذه المناطق وغيرها من الأسباب . على كل حال من
الجائز أن يكون المسلمون من العرب قد اتبعوا من الطرق ما تتبعه الإسكندر ، هذا
احتمال إلا أنه في حاجة إلى دليل مادي يؤيده ، وهناك احتمال ثان هو طريق مجرى نهر
كابيل الذي يؤدي إلى تلك المناطق الساحلية أيضا وهذا احتمال في حاجة إلى دليل مادي
أيضا يؤيده وجود إقليم ومدينة (بنه = بنون) بالقرب من هذا الطريق أي على يمين
الطريق الممتد من كابيل إلى پشاور . وهناك احتمال ثالث وهو وصول المسلمين إلى
تلك الأقاليم الساحلية قبل وصول محمد بن القاسم عن طريق مدينة وإقليم وولاية
كرديز في جنوب أفغانستان تلك المدينة التي اتخذها الخوارج^(٣) مقرا لهم في أيامهم
الأخيرة في خراسان وهذا احتمال ثالث كسابقه يحتاج أيضا إلى دليل مادي يؤيده
ويوضحه .

(١) پوهاند عبد الحى حبيبي — تاريخ أفغانستان بعد از اسلام ١٦٢/١ — ١٦٣ .

(٢) فتوح البلدان ص ٥٣١ — طبعة القاهرة .

(٣) حدود العالم ٤٥ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام ١ : ٨٨٥ .

على كل فإن الحروب الإسلامية في هذه المناطق الأفغانية أول نقطة زمنية يصل الإسلام والمسلمون من العرب فيها إلى سواحل نهر (أباسين) المشهور في التاريخ العربى باسم نهر (السند) قبل وصول القائد الإسلامى محمد بن قاسم إلى وادى السند سنة ٩٢ هـ = ٧١٢ م وقد استمرت ولاية عبد الرحمن بن سمرة في (أفغانستان = خراسان) لمدة ثلاث سنوات^(١) استقرت فيها المبادئ الإسلامية ، وثبتت في أدمغة أهل أفغانستان الخراسانية ، وذلك بوصول عدد من العلماء والفقهاء المسلمين وعلى رأسهم الحسن البصرى ، إلى البلاد والديار الأفغانية لتعليم أصول الدين الإسلامى وأحكامه الغراء ، وقد استقرت هذه المبادئ الإسلامية السمحاء في العاصمة الأفغانية (كابل) أيضا بعد فتحها في الحرب الأخيرة . وبعد إتمام هذه الفتوح الإسلامية ..

المادية فيها والمعنوية — عاد عبد الرحمن بن سمرة فاتح كابل إلى بلاط معاوية بن أبى سفيان ، وعين بدلاً منه ريب بن زياد واليا على (سيستان) وقد توفى فاتح كابل عبد الرحمن بن سمرة في البصرة بالعراق سنة ٥٠ هـ = ٦٧٠ م ويقول البلاذرى : إن الأسرى (عبيده) الذين اصطحبهم معه من البلاد الأفغانية بنواله في قصره مسجدا على طراز أبنية كابل^(٢)

(١) تاريخ سيستان ص ٨٩ .

(٢) فتوح البلدان ص ٤٨٩ . وتاريخ سيستان ٨٩ والطبرى ١٧٠/٤ ، وأفغانستان بعد از اسلام ١٦٢/١ — ١٦٤ وأحمد على كهزاد : تاريخ أفغانستان ٥٤٠/٢ وما بعدها .

أفغانستان في العصر الأموي

(٤٠ — ١٣٢)

الولاية الأموية في خراسان :

في سنة ٤٠ هـ = ٦٦٠ م أصبح معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه ملكا عظيما على مملكة عظيمة مترامية الأطراف ، واسعة الأرجاء ، وفي أثناء الأحداث العظيمة التي أعقبت بعد انتهاء خلافة على بن أبي طالب رضى الله عنه وبداية العصر الأموي قام الأهالي في كل من بادغيس^(١) وهرات^(٢) وبوشنك^(٣) وبلخ^(٤) بالخروج والتمرد على الإدارة الإسلامية للتخلص منها ، فقام معاوية بن أبي سفيان بإجراء سياسى إدارى للقضاء على هذا التمرد والخروج على الإدارة الإسلامية العربية وضم خراسان الأفغانية إلى إمارة البصرة وجعل عبد الله بن عامر حاكما لهذه الإمارة الواسعة ، وابن عامر هذا قام بدوره بتعيين قيس بن الهيثم السلمى واليا على (خراسان = أفغانستان) وذلك في سنة ٤١ هـ = ٦٦١ م . وفي سنة ٤٥ هـ = ٦٦٥ م عين زياد بن أبي سفيان أميرا على البصرة ، وخراسان ، وسيستان ، وقام بدوره بتقسيم خراسان إلى أربع ولايات ، وعين على رأس كل ولاية واليا من عنده على الترتيب الآتى :

١ — ولاية مرو : أمير بن أحمد اليشكرى .

٢ — ولاية نيسابور : خليل بن عبد الله الحنفى

٣ — ولاية مرو الروذ فارياب وطلقان : قيس بن الهيثم

٤ — ولاية هرات وبادغيس وقادس

وفوشنج : نافع بن خالد الطاهي

وقد عين بجانب هذه التعيينات — الصحابى الجليل الورع التقى الحكم بن

(١) الكامل ٢١٣/٣ .

(٢) الكامل ٢١٣/٣ . فتوح البلدان ص ٥٠٦ .

(٣) فتوح البلدان ٥٠٦ والطبرى ٢٢٤/٥ . والكامل ٢٢٨/٣ .

(٤) الكامل ٢٣٠/٣ وص ٢٣٧ .

عمرو الغفاري مراقبا ومشرفا عاما على هؤلاء الولاة الجدد ، وعلى ولاياتهم الجديدة ، وكان عصره عصر فتوح كثيرة في الشمال الأفغاني وفي بلاد الغور^(١) الأفغانية تمت تحت إشرافه ورقابته النطيفة ، وله فتوحات كثيرة في شمال نهر (آمو = جيحون) وهو أول مسلم شرب من ماء (آمو = جيحون)^(٢) وتوضاً من مائه وصلّى ركعتين لله . وهو أول مسلم هاجم بلاد الغور^(٣) وغزاها واغتنم أموالا كثيرة . وقد مات في مرو بخراسان^(٤) في سنة ٥٠ هـ = ٦٧٠ م وبوفاته انتهى النظام الإداري اللامركزي السابق في خراسان الأفغانية ، واتبع زياد بن أبي سفيان سياسة إسكان العرب ، وتوطينهم في خراسان الأفغانية ففي عام ٥١ هـ = ٦٧١ م قام بتعيين ريب بن زياد الحارثي واليا على خراسان الأفغانية ولأجل أن يقوم بمنع عمليات التمرد الوطني في البلاد الأفغانية الخراسانية اتفق كل منهما على نقل خمسين ألفا من العرب بأسرهم وتسكينهم في الأقاليم الواقعة في جنوب نهر (آمو = جيحون) وكان من بينهم عدد من قواد العرب المشهورين فهاجرت خمس وعشرون ألفا من هذه الأسر العربية من أهل الكوفة بقيادة عبد الله بن أبي عقيل إلى خراسان الأفغانية ، كما هاجرت خمس وعشرون ألفا من أهل البصرة تحت قيادة ربيع بن زياد الحارثي نفسه وقد تم إسكان وتوطين هؤلاء العرب الكوفيين والبصريين في الولايات الأفغانية الخراسانية الواقعة في الساحل الجنوبي من نهر (آمو = جيحون) وكان وجود هذا العدد الضخم في الجنوب يسبب خطرا دائما ومستمرًا للولايات الخراسانية الواقعة في الساحل الشمالي من نهر آمو = جيحون في مملكة بخارى ، وفي سنة ٥٣ هـ = ٦٣٣ م توفي زياد بن أبي سفيان فأصدر معاوية بن أبي سفيان أمره بتعيين عبيد الله بن زياد البالغ من العمر خمسة وعشرين عاما ، واليا على خراسان الذي عقد الصلح مع ملكة بخارى بمليون واحد من الدراهم بعد أن حاربها بأربعة وعشرين ألفا من الجيش الإسلامي الذي كان قوامه الرئيسي من المسلمين العرب الذين استوطنوا في جنوب نهر (جيحون = آمو = أكسوس) وكان ذلك في سنة ٥٤ هـ = ٦٧٤ م ... وقد استمر في ولاية خراسان

(١) الكامل ٢٣٠/٣ وص ٢٣٧ .

(٢) زين الأخبار ١٧١ ترجمة الدكتور عفاف السيد زيدان .

(٣) تاريخ أفغانستان بعد از اسلام ١٦٦/١ .

(٤) فتوح البلدان ٥٠٦ ، والطبري ١٦٥/٤ ، والكامل ٢٢٨/٣ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام

١٦٦/١ ، وزين الأخبار ١٧١ الترجمة العربية للدكتور عفاف السيد زيدان .

لمدة سنتين^(١)... ثم تولى بعد ذلك سعيد بن عثمان بن عفان أمر ولاية خراسان ،
ولخلاف بينه وبين معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه عزله وعين بدلا منه عبد الرحمن
بن زياد بن أبي سفيان في ولاية خراسان وكان ذلك في سنة ٥٩ هـ = ٦٧٩ م وقد
استمر في ولاية خراسان لمدة سنتين^(٢) حتى وفاة معاوية رضى الله عنه .

بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان (رضى الله عنه) في سنة ٦٠ هـ = ٦٨٠ م تولى يزيد
ابن معاوية أمر الخلافة الإسلامية ، وولى ولاية خراسان ، وسيستان الشاب المسلم
الذى لم يتجاوز الرابعة والعشرين من عمره سليم بن زياد شقيق عبد الرحمن بن زياد ،
وأرسل معه عددا من أشراف وفرسان البصرة ، ومن خيرة المسلمين من العرب ،
وسنة آلاف من الجنود المدرين الممتازين لمساعدته في إدارة الشئون في البلاد
الخراسانية الأفغانية ... وكانت هذه الإجراءات إدارية في ظاهرها وعسكرية في
باطنها ... ومن هنا بدأت حوادث العنف في البلاد الخراسانية واستمرت في ظل
حكم سليم بن زياد العسكرى العنيف لمدة خمسة أعوام إلى سنة ٦٥ هـ =
٦٨٥ م . وفي هذه السنة مات يزيد بن معاوية فازدادت الأحوال والأهوال سوءاً
واضطرابا في خراسان شأنها في ذلك شأن الولايات الأخرى من ولايات
إمارات الخلافة الأموية ، وبدأت الحركات الانفصالية القومية تنشط وتتحرك
بسرعة كما بدأ الخلاف^(٣) يدب في صفوف القبائل العربية التى استوطنت الأقاليم
الخراسانية المختلفة أيام حكم زياد بن أبي سفيان ، وقد استفاد القوميون في خراسان
من هذه الخلافات الداخلية بين القبائل العربية في حركاتهم الانفصالية ، وميولهم
الاستقلالية وتحركاتهم القومية الإقليمية ، حتى بلغت بهم الحماسة الانفصالية القومية
درجة عالية من الجرأة والشجاعة والتهور دفعتهم لأن قام عدد من أهالى هرات
الأفغانية بالهجوم على قصر عبد الله بن خازم في هرات ، وحاصروا العرب الموجودين
بداخله ، إلى أن تمكن ابن خازم من فك الحصار ، وعين ابنه محمدا واليا على هرات ،

(١) فتوح البلدان ص ٥٠٦ وما بعدها . والطبرى ٢٩٥/٥ وما بعدها . والكامل ٢٤٦/٣ . وزين
الأخبار .

(٢) فتوح البلدان ص ٥١٠ . والطبرى ٣١٥/٥ . وزين الأخبار ١٧٢ الترجمة العربية للدكتورة عفاف
السيد زيدان .

(٣) الطبرى ٥٤٥/٥ وما بعدها . و٧٧/٦ وما بعدها . والكامل ٧٦/٤ .

وذهب هو إلى (مرو)^(١) .

دامت هذه الأحوال والأهوال واستمرت شديدة ومؤلمة بين القبائل العربية في خراسان ، وبين رؤسائها وشيوخها ، وحكامها وولايتها ، إلى سنة ٧٧ هـ = ٦٦٧ م . حتى اضطر الناس في خراسان المسكينة المضطربة إلى كتابة شكوى للخليفة عبد الملك بن مروان يطالبونه فيها ليولي ولاية خراسان أحدا من قبيلة قريش تفاديا من أهوال التعصب ، والشغب ، والغضب ، وغيرها من الأمور التي سببت آلاما قاسية للناس في خراسان الأفغانية تلك الأعمال الخطيرة التي كان الحكام العرب يقومون بها في خراسان^(٢) للأغراض الشخصية والتعصب القبلي ، وهذه الأحداث السياسية والعسكرية التي كانت تقوم بها القبائل العربية دليل على أن العرب كانوا يشكلون أغلبية كبيرة كان لها تأثير فعال في الاتجاهات السياسية والحياة الاجتماعية في خراسان وكان في إمكانهم القيام بدورهم السياسى بسبب هذه الأغلبية إلى جانب أن السيادة كانت منسوبة إليهم في هذه الأيام المضطربة في تاريخ أفغانستان الخراسانية .

إمارة الحجاج بن يوسف الثقفي وأفغانستان الخراسانية :

في سنة ٧٨ هـ = ٦٩٨ م ولي الخليفة عبد الملك بن مروان أمر ولاية خراسان وسيستان الحجاج بن يوسف الثقفي ، وهو بدوره قام بتعيين كل من المهلب بن أبي صفرة واليا على خراسان ، وعبد الله بن أبي بكرة واليا على سيستان الأفغانية ولكن الاضطرابات ظلت مستمرة بين الخراسانيين بعضهم بعضا ، وبينهم وبين العرب ، وبين العرب بعضهم بعضا ، وكذلك بين العرب وبين ولايتهم العرب حتى وصل أمر الولاية إلى القائد العربي قتيبة بن مسلم الباهلي .

قتيبة بن مسلم الباهلي في أفغانستان الخراسانية :

كانت (خراسان = أفغانستان) الإسلامية في هذه الأيام مسرحا للفتن المؤلمة ، والأحداث الخطيرة ، والأهوال الهائلة منذ أن دب الخلاف بين العرب في تلك الأرض الخراسانية التي تشكل اليوم أفغانستان المعاصرة ، وبخاصة في عصر الخلافة الأموية ولعل أهم الأحداث التي حدثت في هذه الأيام ووقعت في أفغانستان الخراسانية وكان

(١) المرجعان السابقان . ويوهاند عبد الحى حبيبي — أفغانستان بعد از اسلام ج ١ ص ١٦٩ .

(٢) فتوح البلدان ص ٥١٣ . اليعقوبي ٢/٢٧١ . الطبري ٦/٥٤٩ — ٥٥١ والكامل ٥/٨٨ أو ٤/١٧٨ .

لها تأثير عميق في مصير الناس السياسي والاجتماعي والحضارى والأدبى واللغوى والفنى وغيره من الجوانب الهامة في حياة الناس هى تلك التى وقعت أيام هذا القائد الباهلى في أفغانستان .

وقد أحست الخلافة الأموية وشعرت بالخطر الذى كان يهدد ولايتها في تلك البلاد الخراسانية البعيدة الهامة من الإمبراطورية الإسلامية ، وبالتالي كان الحكم الأموى كله ومن أساسه أمام خطر خطير لم يكن يعرف مداه إلا الله ولل قضاء على هذا الخطر الشديد المهلك أو للوقوف أمام هذا السيل من الخطر الشديد أصدر البلاط الأموى في دمشق الأمر السامى بتعيين القائد العربى قتيبة بن مسلم الباهلى واليا على خراسان بدلا من المهلب بن أبى صفرة ، وذلك ليقوم بإدارة خراسان بقبضة من حديد ، وكان ذلك بأمر من الخليفة عبد الملك بن مروان ، وباقتراح من الحجاج بن يوسف الثقفى . جاء قتيبة بن مسلم الباهلى إلى (خراسان = أفغانستان) سنة ٨٦ هـ = ٧٠٦ م وكانت الجيوش الإسلامية تستعد وتأنب لغزو بعض الأقاليم ، والمناطق فيما وراء النهر .. نهر (جیحون = آمو) وعندما وصل قتيبة إلى خراسان وبدأ بمزاولة الشؤون في البلاد الخراسانية ، خطب في هذه الجيوش قبل أن يتحرك للعبور خطبة رنانة أثارت حماسة الجيوش وحيتها ^(١) ، ثم قام بتعيين إياس بن عبد الله حاكما عسكريا في (مرو) وبتعيين عثمان بن سعدى ^(٢) أو عثمان السعیدى ^(٣) مراقبا عاما على الشؤون المالية ، وتوجه هو بنفسه على رأس جيش من المسلمين إلى الولايات الشمالية من أفغانستان ، ولما وصل إلى ولاية (تالقان = طالقان) جاءه أعيان بلخ وعظماؤها لإظهار الطاعة والولاء ، فأطاعوه كما أطاعه أهالى ولاية (جوزجان) وقدموا له هدايا عظيمة وثمينة .

استمرت ولاية القائد الأديب قتيبة بن مسلم الباهلى في (خراسان = أفغانستان) من سنة ٨٦ هـ = ٧٠٦ م إلى سنة ٩٦ هـ = ٧١٦ م لمدة عشر سنوات كاملة ، وقد اتخذ الشمال الأفغانى قاعدة لعملياته الحربية والعسكرية في الأقاليم والمناطق الشمالية من نهر (جیحون = آمو) ^(٤) وقد قتل قتيبة بن مسلم الباهلى وأحد عشر من

(١) الطبرى ٤٢٤/٦ والكامل في التاريخ ١٠٥/٤ .

(٢) كما يقول الطبرى ٤٢٤/٦ .

(٣) كما يقول الكامل في التاريخ ١٠٥/٤ .

(٤) تاريخ أفغانستان بعد از اسلام ١٧٣/١ .

أقاربه على أيدي أفراد جيشه بعد أن تمرد الجيش بقيادة وكيع بن حسان^(١) في سنة ٩٦ هـ = ٧١٦ م .

قوام الجيش الإسلامي الذي قاده قتيبة في فتوحات خراسان :

وكان قوام الجيش الإسلامي الذي قام بحروب ناجحة في خراسان الأفغانية والبلاد المحيطة بها والمجاورة لها بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي من العناصر الآتية :

- ١ — تسعة آلاف من أهل البصرة بقيادة حضين بن منذر
- ٢ — سبعة آلاف من أهل قبائل بكر بقيادة حضين بن منذر .
- ٣ — عشرة آلاف من بني تميم بقيادة ضرار بن حصين الضبي
- ٤ — عشرة آلاف من قبيلة الأزد بقيادة عبد الله بن حوذان
- ٥ — أربعة آلاف من قبيلة عبد القيس بقيادة عبد الله بن علوان العوذى
- ٦ — سبعة آلاف من أهل الكوفة بقيادة جيحون بن زحرو عبيد الله بن علي
- ٧ — سبعة آلاف من عناصر غير عربية بقيادة حيان الخراساني^(٢)

عمر بن عبد العزيز والولاة الأمويون في خراسان :

استمرت الأحداث السياسية والعسكرية في خراسان الأفغانية إلى أن مات الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك بن مروان في سنة ٩٩ = ٧١٧ م . وتولى الخلافة الأموية الخليفة الصالح التقى العادل عمر بن عبد العزيز ، وبتوليته أمور المسلمين تحولت الخلافة إلى الخلافة الإسلامية ، وقد قام هذا الخليفة العادل بإرسال جراح بن عبد الله الحكمي إلى خراسان ليكون أميراً عليها . . . وقد اعتمد الرجل - الأمير الجديد في إدارة خراسان وحكمها بالسيف ، وبالقبضة الحديدية ناسياً في ذلك ما كان لهذه البلاد من ثورات على مثل هذه الأعمال ، وبدأ الأمير الجديد في خراسان التلاعب بالأموال والتبذير في أموال الخلافة الإسلامية ، وقد وصل خبر هذا السلوك السيء من التلاعب والتبذير إلى الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز الأمر الذي جعله لا يتردد في عزله فعزله ، وأرسل إلى البلاد الخراسانية رجلين آخرين من رجاله ليشتركا مع رجل ثالث في إدارة البلاد الخراسانية الأفغانية :

(١) فتوح البلدان ٥١٧ والطبرى ٥٠٦/٦ - ٥٢٢ . والكامل في التاريخ ٢٥٢/٤ .

(٢) فتوح البلدان ص ٥٢٠ . الطبرى ٥١٢/٦ . الكامل ٧/٥ .

١ - الرجل الأول: عبد الرحمن بن نعيم الغامدي — حاكم عسكريا ،
وقائدا عاما للجيش الإسلامي في خراسان الأفغانية .

٢ - الرجل الثاني : عبد الرحمن بن عبد الله القشيري — حاكم مدنيا ،
ومستغولا عن الشؤون المالية^(١) والاقتصادية .

٣ - الرجل الثالث : وبالإضافة إليهما ولي علي بن عامر الضبي ولاية هرات
سنة ١٠٠ هـ = ٧٢٠ م .

وللخليفة العادل التقى الورع مراسيم خاصة بتعيين هذين الوالين تمثل في
الحقيقة عدل الوالي الإسلامي وإنصافه ، واهتمامه بشئون خراسان العسكرية
والمالية ، وكيف وقع اختياره على هذين الوالين لإدارة خراسان^(٢) .

وفاة عمر بن عبد العزيز وحكام خراسان الأفغانية :

توفي عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١ هـ = ٧٢١ م — وتولى يزيد بن
عبد الملك^(٤) وأول عمل قام به بالنسبة لخراسان تعيين مسلمة بن عبد العزيز
الأموي واليا ، ولما كان الرجل غير قادر على إدارة الشؤون في خراسان ، والقيام
بالأعمال الخاصة بها قياما مناسباً ارتفعت أصوات الشكوى ووصلت إلى الخليفة
يزيد بن عبد الملك ، فأصدر أمره بعزله وعين بدلا منه سعيد بن عمرو الحرشي
واليا على خراسان ، فوصلها في سنة ١٠٣ هـ = ٧٢٣ م ولما كانت الأحوال في
شمال نهر (جيحون = آمو) مضطربة اضطرابا شديدا وكانت تتطلب إجراء
عاجلا ، بدأ الوالي الجديد سعيد بن عمرو الحرشي حروبه فيما وراء النهر سنة
١٠٤ هـ = ٧٢٤ م . وفي هذه السنة كان كل من عباس بن أوس ومحضن بن خزيمة
يحكمان ولاية هرات وفي هذه السنة أيضا عزل سعيد بن عمرو الحرشي ، ونصب
مسلم بن سعيد الكلبي حاكما على خراسان ، وبعد عودته من حروبه فيما وراء

(١) فزح البلدان ص ٥٢٤ والطبري ٥٦١/٦ وما بعدها .

(٢) مجمل فصحى ١٨٢/١ .

(٣) الطبري ٥٦١/٦ وما بعدها والكامل في التاريخ ١٥٨/٤ . يقول أبو مجلز في عبد الرحمن بن عبد الله :

يكافئ الأكفاء ويمعدي الأعداء وهو أمير يفعل ما يشاء ويقدم إن وجد من يساعده ويقول في

عبد الرحمن بن نعيم : يحب العافية والثأني .

(٤) يوهاند عبد الحى حبيبي : تاريخ أفغانستان بعد الإسلام ١٧٩/١ .

النهر إلى (مرو) أرسل نصر بن سيار إلى طخارستان ليقوم بإدارة شئونها ، وفي هذه الأيام نشأ خلاف بين القبائل العربية في (بروقان) بالقرب من (بلخ) .
أسد بن عبد الله في خراسان وعملياته الحربية^(١) :

وفي سنة ١٠٦ هـ = ٧٢٦ م عزل مسلم بن سعيد الكلاني من منصبه ، وأصبح أسد بن عبد الله حاكماً في خراسان ، وقد قام الرجل بأعمال وعمليات عسكرية كثيرة في أفغانستان الخراسانية أهمها :

١ - إخضاع إقليم غرغستان : تلك المنطقة الجبلية الهامة التي تشرف جبالها الشاهقة الاستراتيجية على طالقان وجبالها ، تم إخضاع هذا الإقليم في سنة ١٠٧ هـ = ٧٢٧ م ، وقد عقد الصلح مع حاكم غرغستان بعد أن أسلم^(٢) ، وأشهر إسلامه^(٣) .

٢ - محاربة أهل بلاد الغور : عزم أسد بن عبد الله على إعلان الحرب ضد البلاد الغورية ، وعندما علم الغوريون بذلك قاموا بإخفاء أموالهم داخل مغارة في جبل عال كان الوصول إليها صعباً ، وذلك قبل أن يصل الجيش الإسلامي إلى جبال الغور ، ولكن القائد الإسلامي أسد بن عبد الله تمكن من الاستيلاء على تلك الأموال بإرسال عدد من أفراد الجيش داخل صناديق واستطاعوا الوصول إلى المغارة التي كانت الأموال قد أخفيت بداخلها في تلك الجبال ، واستخدموا في الوصول إليها الحبال ، واستخرجوا من أموال الغوريين ما استطاعوا إخراجه . وكان أسد بن عبد الله قد اتخذ طالقان قاعدة له لإتمام هذه العمليات العسكرية في أفغانستان المركزية ، أو في البلاد الغورية . وبعد اتمام هذه العمليات انتقلت القاعدة العسكرية ، أو القيادة العسكرية من (بروقان)^(٤) إلى مدينة بلخ التاريخية

(١) فصيح أحمد بن محمد خوافي : مجمل فصيحى ١٨٥/١ ، يوهاند عبد الحى حبيبي : تاريخ أفغانستان بعد از اسلام ١٨٠/١ .

(٢) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري - تاريخ الأمم والملوك ٤٠/٧ طبعة ثانية .

(٣) وكان اسمه في الطبري نمرون ، وفي فتوح البلدان نمروذ .

(٤) بروقان : كانت قاعدة عسكرية إسلامية على بعد فرسخين من مدينة بلخ التاريخية .

وبانتقال القيادة إلى بلخ إنتقلت الدواوين الحكومية أيضا إليها وبدأ ببناء مدينة بلخ من جديد ، وجعل أحد زعمائها وهو أبو خالد برمك بن برمك (سادن معبد نوبهار سابقا) مشرفا على هذه الأعمال العمرانية^(١) وأصبحت بلخ مرة أخرى مركزا هاما من المراكز السياسية والعسكرية والقيادية لإدارة خراسان الأفغانية . وهكذا استطاع أسد بن عبد الله إخضاع البلاد الغورية والاستيلاء على أموال الغوريين من القاعدة الإسلامية العربية في بروقان بطخارستان .

٣ - اتخاذ مدينة بلخ مركزاً للقيادة العسكرية : ومن هذه القاعدة والقيادة العسكرية والسياسية بدأت الفتوحات الإسلامية فيما وراء النهر وفيما وراء جبال پامير العالية الشاهقة . ويقال إن أسد بن عبد الله قد انهزم في إحدى حروبه فيما وراء النهر في (ختلان) ولما عاد منهزما عبره الناس بهذا الشعر :

أز ختلان آمذى بروتباه آمذى بيدل فراز آمذى^(٢)
وهكذا أصبحت بلخ قاعدة هامة ومركز قيادة للجيوش الإسلامية وللعمليات العسكرية التي كانت تتم أيام أسد بن عبد الله في جميع أنحاء أفغانستان والبلاد المجاورة لها فيما وراء النهر وفيما وراء الجبال .

وقد قام الخليفة هشام بن عبد الملك بعزله في « سنة ١٠٩ هـ = ٧٢٩ م واحتل مكانه ومقامه في خراسان حكم بن عوانة الكلبي^(٣) . وهكذا انطوت صفحة جديدة من صفحات تاريخ خراسان الأفغانية بانطواء أسد بن عبد الله الذي نال حظا من النجاح في أعماله وعملياته في أفغانستان ، وحظا غير ناجح فاشل في أعمال وعمليات أخرى قام بها في أفغانستان الخراسانية .

الحركة العباسية^(٤) في خراسان الأفغانية :

كانت الحركة العباسية في هذه الأيام قد بدأت في البلاد العربية سرا خوفا من

(١) پوهاند عبد الحى حبيبي — أفغانستان بعد از اسلام ج ١ ص ١٨٠ طبعة ١٣٤٥ هـ = ١٩٦٦ م كابل .

(٢) الطبرى ٤٤/٧ طبعة ثانية دار المعارف بمصر .

(٣) أفغانستان بعد از اسلام ج ١ ص ١٨١ — ١٨٢ . بتصرف .

(٤) الدكتور أحمد فريد رفاعى : عصر المأمون ١ : ٨٤ طبعة القاهرة سنة ١٣٤٦ هـ = ١٩٢٨ م .

الرقابة الأموية ومن ناحية أخرى كانت خراسان الأفغانية أكثر الأقاليم الإسلامية اضطراباً نظراً لميول أهلها الانفصالية أو الاستقلالية ، وكانوا يحاولون سرا الخلاص من الحكم الأموي ، شأنهم في ذلك شأن العباسيين وأنصارهم في الخلاص من الحكم الأموي . إلا أن الخراسانيين كانوا يريدون الخلاص من الأمويين أولاً وبالدرجة الأولى ، ثم الخلاص من التعصب القومي ثانياً وبالدرجة الثانية ، ومن هنا كانت المصلحة السياسية مشتركة ، والهدف واحد في الخلاص من الأمويين بين كل من العباسيين والخراسانيين ، وهذا ما كان يطالبهم جميعاً في أن يتحدوا فيما بينهم لطرد الأمويين عدوهم المشترك من خراسان أهم الأقاليم الإسلامية في الإمبراطورية الأموية ، ومن هنا كان الفريقان الخراساني والعباسي يعملان ويتعاونان لأغراض سياسية خاصة بخدر شديد لكي لا يعلم الفريق الثاني هدف الفريق الأول .. وكلاهما يقومان بمجد وبكل ما في إمكانه من القدرة لطرد العدو المشترك من خراسان أهم الأقاليم في الإمبراطورية الأموية وأشدّها اضطراباً وأبعدها مكاناً في هذه الظروف الغامضة ، وفي الأحوال الحذرة ، وفي هذه الأحوال الهائلة قام محمد بن علي بن عباس بإرسال مبعوث خاص ، ورسول سري شخص يدعى أبو محمد زياد للقيام باتصالات خاصة في خراسان لأغراض سياسية ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى وصلت رسالة خاصة من العباسيين إلى الخراسانيين حملها رجل من أهل بلخ الأفغانية يدعى حرب بن عثمان^(١) ، وهكذا بدأت الخيوط الأولى للتعاون بين العباسيين والخراسانيين .. رجل من العباسيين يقوم بعمل يعتبر الأول من نوعه في ميدان التعاون لطرد العدو المشترك ، ورجل آخر من الخراسانيين يقوم بعمل يعتبر الأول من نوعه أيضاً للتعاون للغرض نفسه ، وهكذا وصل أول عباسي إلى الأرض الأفغانية الخراسانية للقيام بالدعوة للعباسيين ، ومن هذا التاريخ ١٠٩ هـ = ٧٢٧ م بدأت الدعوة العباسية تنتشر في أنحاء مختلفة من خراسان الأفغانية سرا وكانت السيطرة الكاملة في أيدي الخلفاء والولاة الأمويين في كل من البلاد الغربية والخراسانية .

نترك الآن مؤقتاً التنظيميين السياسيين السريين الخراساني والعباسي ليقوما

(١) يوهاند عبد الحمى حبيبي : تاريخ أفغانستان بعد از اسلام ١ : ١٨٢ طبعة كابل ، سنة ١٣٤٥ هـ ش = ١٩٦٦ م .

بالحركات السياسية في كل من البلاد العربية والخراسانية الأفغانية لمصلحة مشتركة وهو طرد الأمويين من خراسان ، لنترجع مرة أخرى إلى الأحداث الهائلة الهامة التي كانت تجري في أفغانستان في القرن الأول الإسلامي خلال فتوح المسلمين وحروبهم في أفغانستان .

ومن أهم الحوادث التاريخية بين سنة ١٠٩ و ١٢٠ هـ هي حرب المسلمين في (جوزجان)^(١) بقيادة جعفر بن حنظلة البهراني ، وكان أسد بن عبد الله قد عاد مرة أخرى إلى ولاية خراسان في هذه الأيام وكان قد جمع جيوشه الكثيرة في (خلم)^(٢) ليقوم بحروبه في طخارستان ، وكلف قائده السابق الذكر جعفر بن حنظلة البهراني بالقيام على العمليات العسكرية والحربية في (جوزجان) فتوجه بجيشه إلى هناك ، ولما التحم الجيشان الإسلامي والجوزجاني كاد الفتح أن يكون من نصيب المسلمين إلا أن العواصف الثلجية ساعدت الجانب الجوزجاني فمات عدد كبير من الجيش الإسلامي ، واضطر الباقي إلى الفرار من ميدان الحرب والقتال . ولما وصل أبو الهندي الأسدي إلى الخليفة هشام بن عبد الملك حكى له حكاية هزيمة أسد بن عبد الملك في (سان = سان چارك) الحالية في جوزجان ، وأنشد قصيدة منها :

فكم من قتيل بين سان وجزرة كثير الأيادي من ملوك قماقم
تركت بأرض الجوزجان تزوره سباع وعقبان لحز الفلاصم^(٣)
وقد توفي أسد بن عبد الله في مدينة بلخ سنة ١٢٠ هـ^(٤) — م ومدينة
أسد آباد في بلخ منسوبة إليه^(٥) .

ومن أهم اهتماماته في ولايته الأخيرة قبل وفاته في مدينة بلخ تعقب الدعاة

-
- (١) جوزجان : كوزكان ، أو كوزكانان من الولايات الشمالية الأفغانية حاضرتها مدينة (شيرغان) وهي تبعد عن كابل العاصمة ٥٨٦ كيلو مترا ومن أشهر رجال جوزجان أبو عمر عثمان منهاج الدين بن سراج الدين الجوزجاني مؤرخ الغوريين .
(٢) خلم : من المناطق الهامة في أفغانستان الشمالية اليوم ، ولها دور تاريخي هام قبل الإسلام وبعده .
(٣) الطبري ١٢٧/٧ . والكامل ٩٦/٥ .
(٤) الطبري ١٣٩/٧ . والكامل ١٠١/٥ .
(٥) مجمل فصيحى ١٩٤/١ وأفغانستان بعد از اسلام ١٨٥/١ .

العباسيين في خراسان والأخذ بأعناقهم بشدة ، ومعاملتهم بقسوة لأن الدعوة والدعاة في هذه الأيام كانوا قد بدأوا يدعون إلى بيعة العباسيين جهرا ... زادت الدعوة قوة وشدة فزاد البطش قوة وشدة .

نصر بن سيار وقتل الإمام يحيى الحسيني^(١) :

بعد وفاة أسد بن عبد الله في بلخ عين الخليفة هشام بن عبد الملك نصر بن سيار الليثي واليا على خراسان ، وكان نفوذ الدعاة العباسيين كما قلت قد اشتد وظهر جهرا في هذه الأيام ، وكانت مصلحة الخراسانيين في ذلك لأنهم كانوا يعتقدون أن الخلاص من الحكم الأموي في خراسان الأفغانية والقضاء على من يقوم بتنفيذه يعني استقلال البلاد ، وإعادة الهدوء إليها ولذلك كانت خراسان أحصب أرض ، وأنسب مكان للدعوة العباسية ومن هنا التجأ الإمام يحيى بن يزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) إلى خراسان الأفغانية وذلك بعد أن قتل الأمويون أباه زيدا . وقد وصل الإمام يحيى بن يزيد إلى مدينة بلخ واختفى فيها عند رجل يدعى حريش بن عمرو ، وبدأ يزاول نشاطه في بلخ سرا خوفا من والي الأموي ، ولما تولى وليد بن يزيد بن عبد الملك أمور الخلافة الأموية سنة ١٢٥ هـ — ٧٤٢ م . علم نصر بن سيار الليثي والي خراسان في هذه الأيام ، باختفاء الإمام يحيى بن يزيد في بلخ وعلم بمزاولة نشاطه سرا في هذه المدينة التاريخية الهامة . فأرسل إلى حاكم بلخ أمرا عاجلا بالقبض فورا على الإمام يحيى بن يزيد المختفى فيها ، وقد قام حاكم بلخ بتنفيذ أمر والي خراسان نصر بن سيار فقبض على الإمام يحيى بن زيد وأرسله إليه مقبوضا عليه ، فوضعه في سجن مرو مدة ولكنه تمكن من الهرب والفرار من سجن مرو ، وذهب إلى هرات ، ومنها إلى بادغيس ، ومنها ذهب إلى جوزجان وفيها قتل سنة ١٢٥ هـ — ٧٤٢ م .

مدفن الإمام يحيى الحسيني :

دفن الإمام يحيى الحسيني في قرية صغيرة تسمى الآن (قرية الإمام) وتقع شرق

(١) محمد طاهر نسيم — مدفن الإمام يحيى بن زيد في أفغانستان — طبعة بغداد ويوهاند عبد الحى حبيبي : تاريخ أفغانستان بعد از اسلام ١٨٥/١ — ١٨٩ .

مدينة (سريل) الحالية،^(١) بين مدينتي بلخ وميمنه في شمال أفغانستان ، والعبارة الآتية مكتوبة على ضريح الإمام يحيى بن زيد رحمة الله عليه :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا قبر السيد يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه . قتل بأرغوى (قراغو الحالية) في يوم الجمعة في شهر شعبان المعظم سنة خمس وعشرين ومائة ، قتله سليم بن أحوز في ولاية نصر بن سيار في أيام الوليد بن يزيد لعنهم الله ، مما جرى على يد أبي حمزة أحمد بن محمد غفر الله له ولوالديه ... مما أمر ببناء هذه القبة الشيخ الجليل أبو عبد الله محمد بن شاذان الفارسي (القادسي ؟) حشره الله مع محمد وأهل بيته ... مما عمل البناء التزمذي غفر الله له ولوالديه هذا (؟) القبة أبو عبد الله محمد بن شاذان فارس أبو محمد وعلى غفر الله له ولوالديه . برحمتك يا أرحم الراحمين .. الأمير أبي بكر ، والأمير محمد بن أحمد ، واحشروهم مع محمد المصطفى (صلى الله عليه وسلم) وعلى المرتضى ، ووليه المجتبي .. الحسينية محمد بن شاذان فارسي ابتغاء لثواب الله ، وتقربا إلى رسول الله ، ومحبة لأهل بيته الطيبين^(٢) .

وإلى قبر يحيى بن زيد يشير الشاعر العربي دعبل بن علي في قصيدة يرثي فيها آل علي (رضى الله عنه) منها :

قبور بكوفان وأخرى بطيبة وأخرى بفتح ما لها صلوات
وأخرى بأرض الجوزجان محلها وقبر بيا خمرى لدى القربات^(٣)

سپستان والأقاليم الجنوبية الغربية الأفغانية في العصر الأموي :

قام الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان في سنة (٤٥ هـ — ٦٦٥ م) بتعيين زياد بن أبي سفيان واليا على البصرة ، وخراسان ، وسپستان ، وفي سنة ٤٦ هـ — ٦٦٦ م قام زياد بن سفيان بإرسال الربيع بن زياد الحارثي إلى

(١) على بعد ١ ¼ كيلو متر .

(٢) مجلة (ژوندون = الحياة) عدد ١٥ شهر سرطان سنة ١٣٤١ هـ ش كابل وأفغانستان بعد أزا سلام

١٨٧/١ وزين الأخبار ١٨٨ الترجمة العربية .

(٣) مروج الذهب ٢٢٣/٣ . وتاريخ أفغانستان بعد أزا سلام ١٨٨/١ .

(سيستان — سنجستان) الأفغانية نائباً عنه في إدارة شئون (سيستان — سنجستان) ولقد تمكن من إجبار أهل سيستان وإرغامهم على تعلم العلم ، والقرآن الكريم ، وتفسيره وبدأ يعامل الناس بالعدل والإنصاف والمعاملة الحسنة ، فأسلم عدد كبير من عبدة النار على يديه لحسن معاملته ، وحسن سلوكه مع الناس جميعاً ، هذه من ناحية ومن ناحية أخرى قام بتأسيس وإنشاء ديوان للخراج في سيستان ، وقام بتعيين عدد من الكتاب والحسبة للعمل في هذا الديوان ، وكان يرشددهم في ذلك العالم الإسلامي الجليل الحسن البصري^(١) . وقد أعلن الحرب ضد الملك رتبيل ملك زابلستان ، وفي هذه الجهة وصلت فتوحاته إلى مدينة (بسب) التاريخية ، ثم بلاد داور ، حتى (قندهار — رنج) . وقد مات في سنة ٥٣ هـ^(٢) — ٦٧٢ م . وفي سنة ٥١ هـ — ٦٧١ م عين عبيد الله بن أبي بكرة والياً على (سيستان — سنجستان) وكان على درجة عالية من الخلق الكريم ، والعدل الشديد ، والشجاعة الإنسانية ، والكرم الزائد ، وقد وصل في فتوحاته حتى (كابل) العاصمة الأفغانية الحالية وأتى بالملك الرتبيل مقبوضاً عليه أسيراً إلى سيستان ، ثم قام بإرساله إلى البصرة^(٣) . واستمر في الحكم في سيستان الأفغانية حتى عام ٥٣ — ٦٧٢ م إلى أن جاء عباد بن زياد إلى سيستان ليقوم مقامه ، ويحتل مكانه ، ويشغل محله فحارب أهل قندهار ، وكابل وحصل هناك على غنائم كثيرة^(٤) ووفيرة في حروبه . ويذكر ذلك الشاعر العربي ابن مفرغ ويقول :

كم بالجرور ، وأرض الهند من قدم ومن سراينك قتلى لاهم قبروا
بقندهار ومن تكتب منيته بقندهار ، يرجم دونه الخبر^(٥)

وللشاعر العربي ابن عرادة قصيدة طويلة في حروبه في غزنة وكابل منها هذا البيت من الشعر :

(١) مؤلف مجهول : تاريخ سيستان ص ٩٢ طبعة طهران سنة ١٣١٤ هـ ش ويوهاند عبد الحى حبيبي —

أفغانستان بعد أراسلام ج ١ ص ١٩٦ . طبعة كابل سنة ١٩٦٦ .

(٢) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري — تاريخ الأمم والملوك ٢٩١/٥ — القاهرة وأحمد بن يحيى

البلاذري — فتوح البلدان ص ٤٨٩

(٣) فتوح البلدان ص ٥٣٢

(٤) تاريخ سيستان ص ٩٥ .

(٥) فتوح البلدان ص ٥٣٢ .

قتلى بجنزة^(١) والذين بكابل . ويزيد أعلن شأنه المكتوم^(٢)

وفي سنة ٦١ هـ — ٦٨٠ م . تولى يزيد بن معاوية الخلافة الأموية بعد وفاة أبيه ، واستمرت الأحداث القاسية الدامية بعد ذلك في (سيستان — سجستان) الأفغانية بين السيستانيين ، وعلى رأسهم ملوكهم الرتابلة من ناحية وبين الجيوش الإسلامية من ناحية أخرى ، هلكت فيها جيوش كاملة كجيش الفناء^(٣) وانتصرت فيها جيوش كجيش الطلوايس^(٤) . وانتهت بموت عبد الرحمن في سنة ٨٥ هـ — ٧٠٤ م . وكان ذلك في خلافة عبد الملك بن مروان ، وولاية الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق ، وخراسان ، وسيستان^(٥) .

في هذه الأحداث القاسية .. السياسية والحربية والعسكرية والقبلية دخلت اللغة العربية والآداب العربية الأصلية مع العرب الذين جاءوا إلى هذا الجزء من أفغانستان الجنوبية الغربية تفتح البلاد بقوة السيف ، ومع هؤلاء العرب من القبائل العربية التي استوطنت سيستان وغيرها من الأقاليم التابعة لها ، وكانت تلك الأحداث القاسية كبذرة صالحة لأدب صالح في البلاد الأفغانية .

استقرار العرب وآثارهم في أفغانستان :

بزغت شمس الإسلام ، وباسم الإسلام تقدم المسلمون في فتوحهم ، وباسم الإسلام انتشرت اللغة العربية وآدابها في بلاد الإسلام في بلاد الأفغان ، وما كاد يتم للمسلمين هذا الفتح الإسلامي في بلاد الأفغان حتى نشأ عن ذلك مانشأ من المزج بين أمة الإسلام وأمة الأفغان بين عنصر الإسلام وعنصر أمة الأفغان ، بين لغة الإسلام ، ولغة الأفغان بين أدب الإسلام وأدب الأفغان فماذا حدث بعد هذا

(١) بجنزة : جنزة هنا هي غزنة وهي مدينة أفغانية تقع بين كابل وقندهار .

(٢) الطبرى ٥٤٥/٥ طيبة ثانية دار المعارف بمصر .

(٣) جيش الفناء : تلقى عبيد الله بن أبي بكره أمرا من الحجاج بن يوسف يطالبه فيه بالقضاء فوراً على الرتابلة ، وقد حاول تنفيذ هذا الأمر دون جدوى ، حيث استطاع الرتابلة أن يفنوا الجيش الإسلامى بكامله ، ومن هنا سمي بجيش الفناء . اقرأ التفاصيل في ١ — أفغانستان بعد أراسلام — ٢ تاريخ سيستان — ٣ — فتوح البلدان — ٤ — الطبرى : ٣٢٢/٦ — ٣٢٤ — ٣٢٦ — ٣٢٩ — ٣٣٤ .

(٤) الطبرى ٣٢٩/٦ . وتاريخ سيستان ص ١١٢ .

(٥) أفغانستان بعد أراسلام ج ١ ص ٢٠٠ — ٢٠٣ .

المزج بين الأمتين ، والعنصرين ، واللغتين والأديبين ؟ لقد حدث تفاعل قوى . ومؤثر ، ومنافع بينهما ، وكانت نتيجة هذا المزج ، وذلك التفاعل شعبا جديدا ، وعقلا جديدا ، وفكرا جديدا ، وأدبا جديدا ، وحتى لغة جديدة في قالب جديد ، وفي صورة جديدة حديثة . والسبب أن المسلم قد اضطر اضطرارا منذ فتح الإسلام في بلاد الأفغان أن يكون له اتصال بالأفغانى قبل الإسلام ، وبعد الإسلام ، ولأن الأفغانى وقد اضطر أن يكون له اتصال بالمسلم العربى قبل الإسلام ، وبعده ، ولكل واحد من المسلم والأفغانى ذوقه الشعاعى والأدبى لأن كلاهما ينتميان إلى أمة شاعرة ، إلى أمة ذات أدب منذ أقدم العصور ، والقرون ، والدهور ، لم يكن غيرهما من الأمم على قدرهما من حيث سمو هذا الأدب وعظمته ، ولكل منهما نفسيته ، وخلقه ، وخياله ، وعقيدته ، ودمه ، وعرقه ، وجنسيته ، ونظامه في السياسة ، وسياسته في النظام .. تعانقت النفسيتان والعقليتان ، والجنسيتان بعد أن قضت العقيدة الإسلامية على العقائد الأفغانية . وبعد أن صارع الخيال الإسلامى الخيال الأفغانى فأراداه صريعا ، وبعد أن غالب الخلق الإسلامى الخلق الأفغانى فأزكاه إزكاء . ونستطيع أن نقرأ في كتب الأدب ما يوضح لنا شيئا كثيراً من خصائص الأمتين ، وما يمتاز به كل من الأمتين أو من الشعبين وإذا كان هناك اختلاف بين هذين الشعبين في أخلاقهما وعاداتهما فمرد ذلك إلى ما قبل الإسلام ، أما بعد الإسلام فلا اختلاف في العادات والأخلاق « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . ومع هذا فالنجدى يختلف عن الحجازى ، وكلاهما يختلف عن أهل البلاد العربية الأخرى ، وسائر الأقطار الإسلامية غير الأقطار العربية ، إلا في الأخلاق والعادات والعقيدة لأن كل هذه الأقطار مندمجة تحت راية الإسلام الذى وحدها في العقيدة والحياة الاجتماعية بجميع فروعها . إذن فقد كان لهذا الضرب الجديد من الحياة فوق الأرض الأفغانية آثار حسنة قيمة في المبادئ السياسية والاجتماعية والثقافية والأدبية والفنية .. كل هذه الضروب من الحياة قد اصطبغت بالصبغة الإسلامية البحتة .

وأصبحت القومية الإقليمية لكلا الطرفين الميدان ، وترك مكانها ومقامها لقومية أقوى وأشمل من تلك وهى القومية الإسلامية الأم التى تضم بين جناحيها القوميات الإسلامية الإقليمية ، فإذا كان

العرب المسلمون في هذا الوقت بالذات قد قضوا على القومية الأفغانية كغيرها من القوميات الإقليمية الأخرى ، فإنهم في الطور نفسه قد هدموا قوميتهم العربية ، أو كادوا يهدمونها إلى الأبد ، وإذا كان العرب المسلمون قد قضوا على الأدب القومي الأفغاني فإنهم في الوقت نفسه قد قاموا بحفر قبر للأدب العربي دفنوه فيه بأيديهم ، حيث أدب الإسلام كان أدبا عاما يجمع بين الآداب الإقليمية من العربية والأفغانية وغيرها ، ولم يكد يسلم من هذا التغيير العميق إلا شيخان أحدهما اللغة .. أية لغة ، والثاني الدين .. الدين الإسلامي . بل إنه قد نال هذين أيضا من التأثير ما نالهما ، وكتب التاريخ تنهض دليلا على ما نقول .

والحق أننا منذ بداية دخول الإسلام ، والأدب ، واللغة العربية الديار الأفغانية وجدنا أنفسنا أمام أدب لا يمكن أن يكون أدبا عربيا محضاً ولكنه أدب إسلامي مكون من الأدب العربي والأفغاني أو هو مزاج من هذين معا وهو الذي أخذ يقوى شأنه بسرعة البرق ، لأنه إسلامي ، وبقي على هذه الدرجة من القوة والعظمة والاندفاع حتى القرن الرابع الهجري ، وقد اشتدت قوته وعظمته واندفاعه بظهور الديولالات الحديثة في أفغانستان كالدولة الطاهرية والدولة الصفارية والدولة السامانية ، والدولة الغزنوية ، والدولة الغورية ، والدولة السلجوقية . ولم تتغير هذه الحالة بالنسبة للأدب بل ظلت كذلك أيام الدولة الحديثة في أفغانستان وكل ما وقع من التغيير هو كتابة الأدب الإسلامي باللغات القومية والحروف الوطنية .. أما في الجوهر فهو أدب إسلامي .

القبائل العربية في أفغانستان الخراسانية^(١) :

لدينا ولدى التاريخ مجموعة من الأخبار ، ومجموعة من المعلومات توضح لنا وجود القبائل العربية في أفغانستان ، وقد مرت إشارات سريعة إلى توطين العرب ، وإسكانهم في الديار الأفغانية الخراسانية ثم إلى دورهم في الحياة السياسية والعسكرية في أفغانستان الخراسانية ، هذه المجموعة من الأخبار والمعلومات هي الأساس للدراسة التاريخية عن عرب أفغانستان الخراسانية ومع هذا فإنه لا توجد

(١) انظر : پوهاند عبد الحى حبيبي : تاريخ أفغانستان بعد از اسلام ١ وحسين عطوان : الشعر العربي في خراسان ، وعبد الستار سمرت : نخستين تحقيق عربى عاميانه در حوالى بلخ ، وصالح العلى : استيطان العرب في خراسان .

صورة واضحة دقيقة عن عدد العرب بخراسان ، وعن قبائلهم ومنازلهم ، وعن تنظيمهم السياسي والاجتماعي والعسكري لأن المؤرخين لم يهتموا بهؤلاء العرب الذين استوطنوا خراسان الأفغانية ، وإنما اكتفوا بالإشارات الخفيفة إلى المقاتلين دون أسرهم ، كما أشاروا إشارات خفيفة أيضا إلى القبائل العربية التي هاجرت إلى خراسان الأفغانية واستوطنت هناك وتكاثرت وتمازجت بالسكان الأصليين مع نزوح عدد كبير من العرب إلى خراسان الأفغانية للإقامة والعمل ، وللالتحاق بأقاربهم المقيمين هناك ، على أننا إذا تتبعنا ما ذكره المؤرخون أمكننا أن نقر عدد العرب التقريبي ، أو التخميني ، وأمكننا أن نتبين تأثير القبائل العربية عددا أو قوة في الحياة الأفغانية الخراسانية العامة .
وأخبار الحملة التي قادها عبد الله بن عامر تقول : إنه استعان في حملته لفتح خراسان الأفغانية بعدد من القواد العرب الذين كانوا يغزون خراسان الأفغانية في ألوية متساوية قوام كل منها أربعة آلاف جندي ، فقد بعث بن عامر الأحنف بن قيس التميمي على رأس جيش قوامه أربعة آلاف من الجند لفتح طخارستان^(١) الأفغانية .

وبعد فتح الجوزجان كان جيشه قد زاد ألفا من مسلمي^(٢) أفغانستان ، وكان جيش عبد الله بن خازم السلمي أربعة آلاف^(٣) ، وإذا رجع أهل البصرة من غزوة خراسان تركوا أربعة آلاف للعقبة ، وكانوا كذلك حتى مقتل عثمان بن عفان (رضي الله عنه)^(٤) .
وفي سنة ٤٥ هـ — ٦٦٥ م ولي زياد بن أبي سفيان البصرة لمعاوية فولى أمير بن أحمر اليشكري مرو الشاهجان ، وخليد بن عبد الله الحنفي نيسابور ، وقيس بن الهيثم السلمي مرو الروذ^(٥) والطالقان^(٦) . والفارياب^(٧) ، ونافع بن خالد

(١) الطبرى ٤ : ٣١١ ، وتاريخ خليفة بن خياط ١ : ١٧٣ .

(٢) فتوح البلدان ٣٩٨ .

(٣) الطبرى ٤ : ٣١٥ ، وتاريخ خليفة بن خياط ١ : ١٧٨ .

(٤) الطبرى ٤ : ٣١٦ طبعة ثانية دار المعارف بمصر .

(٥) مرو الروذ : (مروود) الأفغانية مدينة تقع على نهر مرغاب ، وتقابلها مدينة مرو الشاهجان ، والمسافة بينهما ١٦٠ ميلا . وبالقرب منها بلدة قصر أحنف .. ومن أشهر رجالاتها في الفلك بن عبد الملك المروذى .

(٦) الطالقان : أو (تالقان) باللغة الأفغانية مدينة هامة من مدن أفغانستان الشمالية كانت تضارع مدينة قندس ، وهى حاضرة ولاية (طخارستان = تخار) وتبعد عن كابل ٤٠٣ كيلو مترات .

(٧) الفارياب : وهى إحدى الولايات الهامة في أفغانستان حاضرتها مدينة ميمنة التاريخية وهى تبعد عن كابل العاصمة ٧٩٦ كيلو مترا .

الطاهي هرات^(١) وبادغيس^(٢) ويوشنج^(٣) ، فكان أمير اليشكري أول من بدأ بإسكان العرب في خراسان^(٤) .

وفي سنة ٥١ هـ — ٦٧١ م قام زياد بن أبي سفيان بتعيين الربيع بن زياد الحارثي والياً على خراسان ، وبعث معه خمسين ألفاً من أهل البصرة والكوفة من العرب لإسكانهم في خراسان الأفغانية ، ويقول الطبري كما مرينا إن خمسة وعشرين ألفاً منهم هاجروا إلى خراسان من أهل البصرة بقيادة الربيع نفسه ، وإن خمسة وعشرين ألفاً من عرب الكوفة هاجروا إلى خراسان بقيادة عبد الله بن أبي عقيل ، وكانت المجموعتان بقيادة الربيع بن زياد^(٥) . فقد اصطحب العرب المهاجرون أسرهم إلى خراسان ووطنوها^(٦) فكان لهم تأثير في الحياة العامة في خراسان . وإذا تصفحنا المرجعين التاريخيين الهامين من المراجع والمصادر التاريخية العربية ، وهما البلاذري ، وابن الأثير^(٧) لوجدناهما يذكران نفس العدد ، ولكنهما لا يحددان نسبة من جاء من مدينة البصرة ، ومن جاء من مدينة الكوفة من العرب الذين هاجروا إلى خراسان في هذا العصر من تاريخ أفغانستان الخراسانية .

وهناك بعض من العلماء يشكون في أن يكون العدد بالمناصفة بين كل من المدينتين العربيتين البصرة والكوفة إلا أننا إذا قرأنا الخبر الآتي سنرى أن

(١) هرات : مدينة تاريخية أفغانية تحتل مركزاً هاماً في تاريخ أفغانستان الفني والسياسي وهي حاضرة ولاية هرات الأفغانية وتبعد عن كابل ١٠٥٧ كيلو متراً وهي زاخرة بالآثار التاريخية .

(٢) بادغيس : أوبادغيس ، أو بادغيسات من الولايات الغربية الأفغانية اليوم ، حاضرتها (قلعة نو = نوى كلا) وتبعد عن كابل ١٠٩٤ كيلو متراً . ومن رجال بادغيس المشهورين حنظلة اليادغيسي الذي كان يعيش أيام الدولة الطاهرية .

(٣) يوشنج : كانت من أكبر المدن بنواحي هرات ، كانت تشتهر بكثرة الأنهار ، وجودة الخشب وكان بها قليل من العرب ، وهي الآن قرية صغيرة ، ومن أشهر رجالها أبو عثمان إسماعيل الصابوني اليوشنجي المتوفى سنة ٤٤٩ هـ .

(٤) فتوح البلدان ص ٥٠٦ .

(٥) راجع ص ٥٦٥ وما بعدها من هذا الكتاب .

(٦) الطبري : ٢٢٦/٥ : طبعة ثانية دار المعارف بمصر .

(٧) الكامل : ٤٥٢/٣ ، ٤٨٩ .

هذا الشك ليس في موضعه ، وهذا الخبر قد رواه كل من ابن الأثير^(١) والبلاذرى^(٢) والطبرى^(٣) وهو يفيد أن هشام بن عبد الملك قد أيد القائد الإسلامى العربى الجندى بن عبد الرحمن المرى ، وهو يقاتل في سمرقند فيما وراء النهر .. نهر (جيحون — آمو) سنة ١١٢ هـ — ٧٣٠ م . أمده بعشرين ألفا من الجند العرب نصفهم من عرب البصرة ، ونصفهم الثانى من أهل الكوفة ، هذه المناصفة فى العدد ينبىء بأن الخلفاء الأمويين كانوا يراعون الإنصاف ويحرصون على تخفيف الضغط عن المدينتين وإن كان أكثر العبد يقع أحيانا على أهل البصرة فى إمداد جيوش المسلمين فى خراسان بالأفراد والجنود ، على كل حال لقد ثبت لدينا حتى الآن أن عشرين ألفا من الجنود قد بعثوا إلى خراسان مع أسرهم وعائلاتهم كما يقول المؤرخون بصراحة ، وذلك بالإضافة إلى الجنود الذين كانوا بخراسان قبل هذا التاريخ ، زيادة إلى الذين قد بعثوا بعد هذا التاريخ ، وهذا بالإضافة إلى خمسين ألفا الذين أرسلوا إلى خراسان من المدنيين بغرض الإسكان ولابد أن يكون عدد الجنود المسلمين من العرب فى النصف الثانى من القرن الأول أكثر من ستين ألفا . علاوة على من قدم من عرب البصرة والكوفة مع الربيع بن زياد كما مر .

وفى سنة ٥٤ هـ — ٦٧٣ م ولى معاوية بن أبى سفيان على خراسان الأفغانية عبید الله بن زياد فعبر النهر وقطعه على رأس جيش إسلامى قوامه أربعة وعشرون ألفا^(٤) من الجنود . وأغلب الظن أن هذا العدد كان قد اصطحب بن زياد من البلاد العربية أو أكثره على الأقل .

واستمرت الهجرات والنجدات إلى خراسان بعد ذلك وتوالت ، فكان كل عامل ، أو وال ، أو حاكم من الحكام المسلمين من العرب يعين واليا أو حاكما على خراسان يستقدم معه إلى البلاد الخراسانية العرب إما للعمل والإقامة ، أو للنجدة العسكرية ، أو الهجرة النهائية بالإضافة إلى اصطحاب الحكام والولاة إلى خراسان من القادة والمقاتلين وكان الخلفاء ، وأمراء العراق لايتكاسلون ولايتوانون فى

(١) الكامل ابن الأثير ١٦٨/٥ .

(٢) فتوح البلدان للبلاذرى ص ٥٢٧ طبعة النهضة المصرية .

(٣) تاريخ الأمم والملوك للطبرى ٧٩/٧ طبعة ثانية دار المعارف بمصر .

(٤) فتوح البلدان ص ٤٠١ .

توجيه البعوث الضخمة ، والجموع الكبيرة من العرب إلى ولايتهم وحكامهم في خراسان الأفغانية لمساعدتهم في إدارة شئون البلاد الخراسانية المختلفة ولتعويض خسائرهم في الجند إن اقتضى الأمر ذلك وبخاصة أثناء الحروب في مختلف الأقاليم من أفغانستان الخراسانية وليس من المعقول ولا من المنطقي أن تدور حروب طاحنة في خراسان الأفغانية ، من الجوزجان ، والطلاقان ، والطخارستان ، وفيما وراء النهر ، وفي مكران ، وبلوچستان ، وزابلستان ، وكابلستان وسيستان وفي جميع أنحاء أفغانستان بعدد قليل من الجنود العرب ، كما أن أمر الحرب والضرب والقتال يقتضى دون شك أعدادا ضخمة من الجيوش المسلمة ومدد طويلة تمكن القادة المسلمون من إحراز الانتصارات على الجماعات الأفغانية التي كانت تحارب المسلمين في كل مكان ، وفي ضوء هذه الحالة المضطربة من الأحوال والأحوال والحروب والمعارك نستطيع أن نقدر عدد الجيوش الإسلامية العربية بمئات الألوف لا بعشرات المئات كما يظن البعض ذلك .

ففى سنة ٥٦ هـ — ٦٧٥ م ولى معاوية بن أبى سفيان على خراسان سعيد بن عثمان بن عفان رضى الله عنه فخرج إليها ، وذهب معه أوس بن ثعلبة التميمي ، وطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي ، والمهلب بن أبى صفرة وربيعة بن عسل ، وأخرج معه قوما من الأعراب كانوا يصيبون الطريق ببطن فلج فيهم مالك بن الربيع المازني^(١) . وفى سنة ٦١ هـ — ٦٨٠ م قام يزيد بن معاوية بتعيين مسلم بن زياد واليا على خراسان ، وسار إليها فخرج معه عمران بن الفضيل البرجمي ، وعبد الله بن خازم المسلمي ، وطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي ، والمهلب بن أبى صفرة ، وحنظلة بن عرادة ، وأبو خزابة الوليد بن نهيك ، ويحيى بن معمر العدوى ، وخلق كثير من فرسان البصرة وأشrafهم . فكان معه منهم ألفان ، وقل ستة آلاف . وفى سنة ٦٥ هـ — ٦٨٤ م كان من بقى من الجيش التميمي يعد أن تفرق عنه أصحابه ، وهو يحارب عبد الله بن خازم بمرور الروذ في أفغانستان اثني عشر ألفا من بنى تميم^(٢) . وهذا الخبر دليل على أن بنى تميم كانوا أكبر القبائل العربية في خراسان الأفغانية على مدى أيام الحكم الأموي كله . وفى سنة

(١) الطبرى ٣٠٥/٥ — ٣٠٦ طبعة ثانية دار المعارف بمصر .

(٢) الطبرى ٦٢٣/٥ — وابن الأثير ٢٠٩/٤

٩٥ هـ — ٧١٣ م أرسل الحجاج بن يوسف جيشا من عرب العراق إلى البلاد الخراسانية ، فقدموا على قتيبة بن مسلم الباهلي ، وكان يقاتل في خراسان فاستخدمه في الغزوات التي كان يقوم بها في البلاد الخراسانية وفيما وراء النهر ، ولما علم بموت الحجاج عاد من غزواته إلى مرو الشاهجان^(١) .

وفي سنة ٩٦ هـ — ٧١٤ م كان في خراسان الأفغانية من مقاتلي البصرة بالعراق أربعون ألفا ، تسعة آلاف منهم من أهل العالية ، وسبعة آلاف من بكر بقيادة الحصين بن المنذر ، وعشرة آلاف من تميم بقيادة ضرار بن حصين الضبي وأربعة آلاف من عبد القيس بقيادة عبد الله بن علوان ، وعشرة آلاف من الأزد برئاسة عبد الله بن حوذان . وكان فيها من مقاتلي الكوفة سبعة آلاف بقيادة جهم ابن زحر ، أو بقيادة عبيد الله بن علي^(٢) .

ويقول أبو عبيدة معمر بن المثنى الذي كان له كتاب عن خراسان أن مقاتلة بنى تميم كانوا أربعة وعشرين ألفا^(٣) . وقد غزا يزيد بن المهلب جرجان سنة ٩٨ هـ — ٧١٦ م بمائة ألف من أهل الشام ، والعراق ، وخراسان ، سوى الموالى والمتطوعة^(٤) بل إن البلاذري يقول إنه غزا جرجان بمائة وعشرين ألفا^(٥) .

من الأخبار ، والجداول الإحصائية السابقة يتبين لنا عدد المقاتلين العرب في خراسان ، وهذه الجداول وإن كانت ناقصة فهي على كل حال تدل على التقدير التخميني للجيوش العربية وللعرب الذين هاجروا إلى خراسان للإقامة ، أو العمل ، أو الهجرة الدائمة ، وغالب الظن أن العدد الصحيح الدقيق أكثر من ذلك بكثير حيث كانت الجبهات الحربية ، والغزوات والمهاجمات متعددة وكثيرة ومختلفة الأمر الذي كان يتطلب عددا أكبر من الجيوش العربية

فهل وقف الأمر عند هذا الحد في مائة سنة من الهجرة النبوية التي استمرت فيها الهجرات والبعوث ، وإرسال الحكام ، والولاة والأمراء وإسكان العرب ؟؟

(١) الطبري ٤٩٢/٦ . وابن الأثير ٥٨٣/٤ .

(٢) الطبري ٥١٢/٦ . وابن الأثير ١٥/٥ . وفتوح البلدان ص ٤١٣ .

(٣) نقائض جبريل والفرزدق ٣٦٨/١ .

(٤) الطبري ٥٣٢/٦ . وابن الأثير ٢٩/٥ .

(٥) فتوح البلدان ص ٣٣١ .

الإجابة : لا ! لم تتوقف الهجرات ، والبعوث إلى خراسان بعد ذلك ، وإنما بقيت تتدفق عليها ، ففي سنة ١١١ استعمل هشام بن عبد الملك على خراسان الجنيد بن عبد الرحمن المري ، فوصل إليها على رأس خمسمائة^(١) من العرب ، ثم بعد ذلك لما تكبد الجيش العربي خسائر فادحة في حرب (سمرقند) فطلب الجنيد من هشام بن عبد الملك أن يمدّه بجيش من العرب فبعث إليه عشرة آلاف من رجال البصرة بقيادة عمرو بن مسلم ، كما بعث إليه عشرة آلاف من رجال الكوفة بقيادة عبد الرحمن بن تميم^(٢)

بينما كان الجنيد بن عبد الرحمن المري يحارب في سمرقند ومُنِيَّ بالهزيمة كان الجنيد عماره بن حويم قد توجه إلى (طخارستان — تخارستان — تخار)^(٣) بقيادة ثمانية عشر ألفاً لإخضاعها ، وتوجه إبراهيم بن بسام الليثي على رأس عشرة آلاف من الجنود العرب في اتجاه آخر ، وتوجه عبد الرحمن بن مسلم بقيادة لواء ثالث إلى النيروز^(٤) . وبالإضافة إلى الجيشين العربيين الذين كانا يحاربان في كل من سمرقند وطخارستان بأفغانستان كانت في خراسان وفي جهات أخرى منها ألوية وكتائب من الجيش العربي لم تشارك في الحروب الدائرة في سمرقند وطخارستان الأفغانية ، وإنما كانت تعسكر بمواقعها مع قادتها وقوادها في مدن خراسان المختلفة للمحافظة على الأمن والاستقرار ، فقد كان البخترى بن أئى درهم لا يزال مقيماً بجنوده من العزب في هرات الأفغانية ، وكان هناك جنود من العرب مرابطين في مدينة (طالقان — تالقان) الأفغانية في الشمال الأفغاني لم يحضروا إلى الجنيد ، ولم يشتركوا معه في الحرب ، وبالإضافة إلى هذه الكتائب الغازية ، والألوية المقاتلة ، وغير المقاتلة ، كان هناك فرقاً وسرايا بعضها يراقب الثغور الهامة في خراسان ويحرس حدودها وكان بعضها فيما وراء النهر يراقب الثغور ويحرس الحدود^(٥) ، وفي التاريخ خير يقول إنه كان مع سورة بن الحر التميمي عدد من

(١) الطبري ٦٧/٧ طبعة ثانية دار المعارف بمصر .

(٢) الطبري ٧٩/٧ . وفتوح البلدان ص ٤١٨ . وابن الأثير ١٦٨/٥ .

(٣) تخار = تخارستان = طخارستان من الولايات الشمالية الأفغانية عاصمتها مدينة (تالقان = طالقان) وتبعد عن كابل ٤٠٣ كيلو مترات .

(٤) الطبري ٧١/٧ طبعة ثانية دار المعارف بمصر .

(٥) انظر : استيطان العرب في خراسان ص ٧٦ — ٧٧ والطبري في كثير من صفحاته المختلفة .

المقاتلين للدفاع عن الثغور وحراسة الحدود في سمرقند ، فقد ساعد بائني عشر ألفا من هؤلاء المقاتلين وسارهم لمساعدة الجنيد وإغاثة حين كان محاصرا^(١) في إحدى معاركه في سمرقند .

ويقول الشاعر العربي الكميّ بن زيد الأسدي في قصيدة طويلة له أرسلها إلى الحارث بن سريج التميمي يهنئه فيها بانتصاراته وفتوحه في خراسان في سنة ١١٧ هـ - ٧٣٥ م يقول فيها إنه كان في مرو الشهبان بمفردها سبعون ألفا^(٢) من الجنود العرب .

تلك هي أهم البعث العسكرية التي أرسلتها الدولة الأموية إلى خراسان منذ بداية العهد الأموي في خراسان إلى نهايته ، وهي بعوث عسكرية لم يحدد المؤرخون العرب إلا عدد الجنود النظاميين فيها ، أما المتطوعون ، فلم يهتموا بشأنهم أبدا ، وإنني أعتقد اعتقادا يقترب من الجرم واليقين أنهم كانوا كثيرين وأنهم كانوا يرتحلون إلى أقاليم خراسان المختلفة للاشتراك في الغزو والحصول على المغنم الكثيرة ، والمساهمة في القتال مع الجنود النظاميين في الجيش النظامي طمعا في الثواب ، وفيما قد يفوزون به من الغنائم ، والأسلاب والإماء . وكان التزامهم ، والتدافع ، والإقبال على التطوع في الجيش الخارج إلى خراسان شديدا بحيث لم يتمكن المشرفون على التعبئة العسكرية تلبية رغبة جميع المتقدمين إليهم ، فكانوا يضطرون أن يختاروا واحدا من كل أربعة أو خمسة بالقرعة من مجموع المتقدمين للانتظام في الجيش الخارج إلى خراسان ، وإلى أقاليمها المختلفة .

قلت لم يحتفل المؤرخون العرب إلا بالبعوث العربية الرسمية ، وأهملوا المتطوعين من العرب الذين ساهموا في القتال والمعارك والحروب التي يقوم بها الجيش النظامي الإسلامي العربي ، كذلك لم يحتفل المؤرخون العرب القدامى بالموجات الأخرى من الهجرات الفردية والجماعية التي كانت تحدث من حين إلى حين إما للاشتغال في المرافق الاقتصادية المتعددة في أقاليم خراسان المتعددة ، وإما للإقامة الدائمة هناك ، وإما لزيارة الأهل والأقارب والأحباب بخراسان ، والإقامة عندهم أو

(١) الطبري ٧٦/٧ طبعة ثانية دار المعارف بمصر .

(٢) الطبري ١٠٠/٧ طبعة ثانية دار المعارف بمصر .

العمل لديهم .. هذا صحيح ، ومن المنطقي أيضا أن تثار الأسئلة الآتية حول الجنود النظاميين وغير النظاميين ، والبعوث الرسمية وغير الرسمية وحول كل من خرج إلى خراسان من العرب ..

فهل كان الجنود وغير الجنود من أفراد البعثات الرسمية وغير الرسمية يخرجون إلى خراسان بأسرهم وعائلاتهم ؟ وهل كان كل الجنود وغير الجنود من أفراد البعثات يمكنون في خراسان للإقامة الدائمة ؟ وهل المهجرات الفردية والجماعية كانت تتم للاستقرار الدائم في خراسان ؟ وهل كانت المهجرات إلى خراسان والعودة منها إلى الأقطار العربية تتم بمحض الرغبة الفردية أو الجماعية ؟ هذه وغيرها أسئلة هامة تفرض نفسها فرضا ، ومن الصعب الإجابة عليها إجابة مقنعة مدعومة بالدليل ، ذلك لأنه من الصعب جدا أن نعرف عدد من اصطحبوا من الجنود ، ومن غير الجنود أسرهم في المهجرة أو البعثة إلى خراسان . وكذلك من الصعب أن نعرف عدد من رجعوا منهم إلى أوطانهم وأقطارهم العربية ، وعدد من استقروا استقرارا دائما أبديا في خراسان . كما أنه من الصعب معرفة من قتلوا منهم في المعارك وفي غير المعارك ومن مات منهم ميتة طبيعية . ومع هذا كله يجب التنبيه على هذه الحقيقة وهي أن أكثر أهل خراسان في نهاية القرن الأول الهجري كانوا إما عربا^(١) أو متعربين ، وكانت قبيلة تميم العربية على امتداد الحكم الأموي لخراسان أكبر قبيلة عربية هناك وإليها يرجع فضل التعريب ، وتليها قبيلة الأزد في الضخامة وفضل التعريب .

وإذا أردنا معرفة عدد العرب معرفة تخمينية بخراسان في نهاية القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني يمكن ذلك من إجراء هذه العملية الفرضية فإذا سلمنا أن عدد المقاتلين في هذه الفترة من التاريخ مائة ألف ، وافترضنا بجانب ذلك أن أسرة كل مقاتل عربي في خراسان كانت تتألف من أربعة أفراد فإن جملة العرب في خراسان من المقاتلين والجنود ، والأسر ، والعائلات يمكن أن تكون قاربت نصف مليون من الأنفس العربية ، وهو تقدير افتراضي قد يكون فيه شيء من النقصان وهو الغالب والأرجح ، وقد يكون فيه شيء من الزيادة وهو قليل الاحتمال ، وأعتقد جازما أن عدد العرب أكثر من ذلك بكثير حيث كانت الحالات

(١) نقائض جرير والفرزدق ٣٦٨/١ .

والظروف ، والأحوال تتطلب ذلك .

عرفنا فيما مضى من السطور خروج العرب إلى خراسان ، واستيطانهم هناك ، فأين كان هؤلاء العرب يسكنون وفي أية الأماكن كانوا يقطنون من أقاليم خراسان ؟ الإجابة الصحيحة على هذا السؤال أكثر صعوبة ، وأشد تعقيدا لأننا لانعرف على وجه الدقة الأقاليم التي سكنها العرب واستوطنوها أكثر من غيرها وهل كان العرب يستوطنون بداخل مدن هذه الأقاليم التي يفتحوها أم أنهم كانوا يستقرون خارج المدن المفتوحة وعلى مشرفها ؟ فالأخبار في هذا متناقضة متضاربة ، إذ يدل بعضها على أنهم شاركوا أهل البلاد في مدنها وقراها ومن ذلك مايروى من أن عبد الله بن عامر اشترط على حاكم (مرو الشاهجان) في الصلح على أن يوسع أهلها للعرب في منازلهم^(١) . ومن هذه الأخبار أيضا أن قتيبة بن مسلم الباهلي طلب إلى أهل بخارى أن يعطوا نصف بيوتهم للعرب لأنهم كانوا يقبلون الإسلام في الظاهر ويعبدون أصنامهم في الباطن داخل بيوتهم ومعابدهم ، فأراد أن يقطع عليهم ذلك بذلك ، ليظلوا مسلمين^(٢) ظاهرا وباطنا ، وفي الفتح الرابع لمدينة بخارى قام بتقسيمها إلى نصفين نصفها للعرب والنصف الآخر لأهل المدينة من العجم ، فأعطى ربيعة ومضر من باب النون إلى باب العطارين ، والباقي لأهل اليمن^(٣) ، وبنى المسجد الجامع داخل حصنها^(٤) . ومن هذه الأخبار أيضا أن أسد بن عبد الله القسرى عندما نقل الجنود العرب من البروقان إلى مدينة بلخ في أفغانستان الشمالية أقطع لكل واحد منهم مسكنا^(٥) في مدينة بلخ الأفغانية .

وهناك أخبار تدل على أن أهل البلاد كانوا يعتبرون إسكان العرب داخل مدنها طغيانا عليهم وظلما وإجحافا ، ومن هذه الأخبار أن أهل سمرقند رفعوا إلى عمر ابن عبد العزيز أن قتيبة بن مسلم الباهلي استولى على أرضهم بظلم ، وأسكن العرب مدينتهم بظلم وغدر ، فأمر عمر بن عبد العزيز أن ينصب لذلك قاضيا ..

(١) فتوح البلدان ص ٣٩٦ .

(٢) تاريخ بخارى ص ٧٣ .

(٣) تاريخ بخارى ص ٨٠ .

(٤) تاريخ بخارى ص ٨٤ .

(٥) الطبرى ٤١/٧ . وابن الأثير ١٣٨/٥ .

ومهما يكن من الأمر فإن المدن الخراسانية لم تكن كلها لتتحمل أهلها والعرب الوافدين عليها ، فلاشك في أن قسما من العرب نزل بداخل قسم من المدن وفقا لظروف الإقليم وحالة المدينة ، وأن قسما أكثر قد سكن على مشارف المدن وعلى مقربة منها ، وأن الجنود كانوا يعسكرون خارج المدن بعيدا على حدودها إلا في حالات خاصة لأن تلك الأماكن البعيدة عن المدن كانت أنسب لطبيعة حياتهم العسكرية .

كانت بكر تمثل أكبر نسبة من القبائل العربية في هرات في غرب أفغانستان . ومعروف كما يقول التاريخ ويؤيده الواقع أنها في أول الأمر كانت تنزل في مرو الروذ على ساحل نهر المرغاب بأفغانستان الغربية ، وأنها ظلت مقيمة هناك حتى قتل عبد الله بن خازم السلمى سليمان بن مرشد فيها ، وعمر بن مرشد بالطالقان بأفغانستان الشمالية ، فارتحل البكريون لذلك من (مرو الروذ) إلى مدينة (هرات = هراة) الأفغانية ثم لحق بهم سائر أبناء القبيلة الذين كانوا مبثوثين في أنحاء خراسان المختلفة ، فكان للبكريين بهرات الأفغانية جمع كثير^(١) .

وفي شمال أفغانستان كانت أرض بكر وأرض تميم متداخلتين متجاورتين لذلك كانت القبيلتان العربيتان بكر وتميم تتنازعان على بعض المنازل والأماكن في أفغانستان الشمالية كل واحدة منهما تدعى أنها هي التي احتلتها قبل الأخرى^(٢) كما أن بعض الأماكن والقرى شركة بين قبائل عديدة من القبائل العربية في أفغانستان الشمالية كقرية (خلم) التي اقتسمها الأزدي ، وتميم ، وقيس^(٣) وإن كان المقدسي يرى أنها بلاد الأزدي^(٤) . وكان العرب يقيمون في البروقان^(٥) التي تبعد فرسخين عن مدينة بلخ بأفغانستان الشمالية ، ومدينة البروقان كانت تعتبر معسكرا للجنود يعسكرون فيها مع قادتهم ، وقوادهم ، وأمرائهم^(٦) . وفي نهاية القرن الأول قام الزعيم نيزك بثورة عارمة ضد المسلمين فأرسل قتيبة بن مسلم الباهلي إلى معسكر

(١) الطبري ٥٤٧/٥ طبعة ثانية دار المعارف بمصر .

(٢) تاريخ الدولة العربية ص ٣٩٥ .

(٣) ياقوت الحموي ٤٦٥/٢ .

(٤) المقدسي ص ٣٠٣ .

(٥) الطبري ٤١/٧ طبعة ثانية دار المعارف بمصر .

(٦) الطبري ٤١/٧ طبعة ثانية دار المعارف بمصر .

البروقان اثني عشر ألف جندي بقيادة أخيه عبد الرحمن لقمع ثورة الزعيم نيزك في طخارستان^(١). الأفغانية الذي قتله قتيبة غدرا . وفي بداية القرن الثاني الهجري كان في البروقان عشائر مختلفة من قبائل عربية مختلفة من الأزد ، وبكر ، وتميم^(٢) ثم حول أسد بن عبد الله القسري المقاتلين والجنود العرب منها إلى مدينة بلخ التاريخية في أفغانستان الشمالية ، وقام ببناء بيوت ، ودور لأفراد الجيش في بلخ ، ثم نقل الدواوين والدوائر الحكومية العربية كلها إلى مدينة بلخ ، وعمرها من جديد بعد أن كانت خرابا^(٣) أو كادت .

ومنذ بداية ولاية أسد الأولى قام العرب بإهمال معسكر البروقان وأصبحت مدينة بلخ التاريخية مكانا لتجمع العرب في شمال أفغانستان فكان بها في سنة ١١٨ هـ = ٧٣٦ م ألفان وخمسمائة جندي عرى من أهل الشام بجانب الأزدية والبكرية والتميمية^(٤) .

ويقول اليعقوبي في إحصائيته الموجزة للقبائل العربية في مدن خراسان المختلفة يحدد فيها نسبة العرب والعجم في كل مدينة يقول في نهاية الإحصائية (في جميع مدن خراسان قوم من العرب من مصر ، وريقة وسائر بطون اليمن)^(٥) .

وهناك أخبار عن أهل الشام بخراسان فيها إشارات صريحة إلى المدن والبلدان التي جاء منها العرب إلى البلاد الخراسانية الأفغانية مع الإشارات الصريحة الواضحة إلى أسماء رؤسائهم ، ففي الحرب التي كانت تدور رخاها بقسوة بين أسد بن عبد الله القسري وبين (خاقان = خانان) فيما وراء النهر ، خرج عامله على الجوزجان الأفغانية في أفغانستان الشمالية المقدام بن عبد الرحمن بن نعيم الغامدي على رأس جيش إسلامي مكون من قبائل عربية مختلفة (فجعل الأزد ، وبنى تميم ، والجوزجان بن الجوزجان وشاكرته ميمته وأضاف إليهم أهل فلسطين ، عليهم مصعب بن عمرو الخزاعي ، وأهل قنسرين عليهم مغراء بن أحمر ، وجعل ربيعة

(١) الطبري ٤٤٦/٦ - ٤٤٧ طبعة ثانية دار المعارف بمصر .

(٢) الطبري ٧٠/٧ طبعة ثانية دار المعارف بمصر .

(٣) الطبري ٤١٠/٧ طبعة ثانية دار المعارف بمصر .

(٤) الطبري ١١٠/٧ - ١١١ طبعة ثانية دار المعارف بمصر .

(٥) اليعقوبي ص ٣٩٤ .

ميسرته ، عليهم يحيى بن حنين ، وضم إليهم أهل حمص ، عليهم جعفر بن حنظلة البهراني ، وأهل الأزد ، وعليهم سليمان بن عمرو المقرئ من حمير ، وعلى المقدمة منصور بن مسلم البجلي ، وأضاف إليهم أهل دمشق ، عليهم حملة بن نعيم الكلبي ، وأضاف إليهم الحرس والشرطة ، وغللمان أسد^(١) . أما الأمر بالنسبة لعرب البصرة ، وعرب الكوفة وخروجهم إلى البلاد الخراسانية فقد مربنا الكلام عنهم في أثناء الهجرات والبعوث وأن أكثر العبيد في إمداد الجيوش الإسلامية كان يقع على أهل البصرة ، ومع هذا كانت القبائل الخمسة متساوية في الحقوق في البلاد الخراسانية المفتوحة فكانوا يقولون مثلاً أهل البصرة وأهل الكوفة^(٢) ، وأهل الشام^(٣) . وكانت كل مجموعة من هذه المجموعات مجموعة قائمة برأسها مستقلة بحقوقها ، متصرفة في شؤونها .

وكانت أخماس أهل البصرة في خراسان تتألف من خمس قبائل عربية هي : أهل العالية ، وبكر ، وتميم ، وعبد القيس ، والأزد^(٤) . وكانت تميم أكبر الأخماس عدداً ، وأشدّها قوة^(٥) وكانت الأزد هي القبيلة الثانية المقابلة والمزاحمة لقبيلة تميم .

عاشت القبائل العربية في خراسان في وثام تام حتى سنة ٦٥ هـ = ٦٨٤ م ، وكان العرب مهتمين بتأمين حياتهم في وطنهم الجديد خراسان الفاتنة وإلى هذا التاريخ لم يكن شيء من الخلاف والشقاق قد دب بين العرب وقبائلهم العربية ، حتى كانت الفتنة بين قبيلة بكر وعبد الله بن خازم السلمي فانشق العرب لذلك إلى كتلتين متناقضتين عدوتين الكتلة الأولى كان قوامها الرئيسي قبيلة بكر ، والكتلة الثانية كان قوامها الرئيسي من قبيلتي تميم وقيس . وقد انضمت قبيلة الأزد إلى الحزب الأول بعد سنة ٧٨ هـ = ٦٩٧ م ، فأصبح كل حزب من الحزبين العربيين المتنافسين متساويين ، ثم بعد ذلك بدأ التنافس بين الحزبين وبدأت الصراعات بين الكتلتين ، وتتصارعان ، وتتواعدان كثيراً ، وتتحابان وتتصافيان قليلاً : وقصة الصراع بين الحزبين ، أو الكتلتين العربيتين قصة طويلة

(١) الطبري ١٢٢/٧ طبعة دار المعارف بمصر .

(٢) الطبري ٥١٢/٦ ، ٧٩/٧ ، ٨٤ ، ١٠٥ ، ٢٢٦/٥ طبعة ثانية .

(٣) الطبري ٢٩٧/٥ ، ٤٧٢ ، ٥٢٨/٦ ، ٥٣٢ ، ١٧٤/٧ طبعة ثانية .

(٤) الطبري ٥١٢/٦ طبعة ثانية دار المعارف بمصر .

(٥) الطبري ١٧٣/٧ . ونقائض جرير والفرزدق ٣٦٨/١ .

ليس لها مجال في هذه الرسالة الأدبية .. ويمكن القول بأنه بعد هذا الصراع الدموي استقرت الأوضاع في خراسان ، ولم تشتبك القبائل العربية في البلاد الخراسانية الأفغانية في معارك عنيفة إلا بعد أربعين عاما من تاريخ هذا الصراع الدموي بين الحزبين العربيين في بلاد الأفغان .

ففى سنة ١٠٦ هـ = ٧٢٤ م كانت وقعة البروقان بالقرب على فرسخين من بلخ في أفغانستان الشمالية بين اليمنية والريعية وبين المضرية ، فقد تأخر الأزدي وبكر عن اللحاق بمسلم بن سعيد بن زرعة الكلاني أمير خراسان وكان في الطريق إلى (فرغانة) على رأس حملة إسلامية ، ناوين بذلك التمرد والثورة ومتنصرين في الظاهر بأنه لم يدفع لهم رواتبهم ، فوجه إليهم نصر بن سيار فأعطاهم الرواتب ، وطالبهم بالمسيرة فرفضوا أمره ، وحيث دارت معركة حامية بينه وبينهم انتهت بهزيمتهم^(١) هزيمة نكراء .

ثم تهدأ الأحوال في خراسان بين العرب للجرة الثانية ، ولا تتجدد المعارك والحروب بينهم إلا بعد عشرين عاما ، ولم تكن عناصرها هذه المرة هي العناصر العربية التقليدية وحدها بل أضيف إليها عنصر خراساني أفغاني وهو أبو مسلم الخراساني الذي استغل تناحر العرب وتصارعهم على السلطة ، وضعفهم فقام بتوسيع الخلاف بينهم وتمكن أخيرا من الإطاحة بأخر ولاية بنى أمية على خراسان الأفغانية ، كما سيأتي تفصيل ذلك في فصل آخر .

ففى سنة ١٢٦ هـ = ٧٤٣ م ثارت الفتنة المؤسفة بمرور الروذ في أفغانستان الغربية بين الأزدي وبكر ، وبين مضري ، وكان أبطال هذه الفتنة المؤسفة ثلاثة من أعيان المسلمين .. عربيين وأفغان أما العربيان فهما نصر بن سيار وجديع بن علي الكرمانى ، وأما الخراساني فهو أبو مسلم الخراساني .. وكان من أسباب هذه الفتنة أن نصر بن سيار تباطأ في إعطاء الرواتب الشهرية إلى المقاتلين من الأزدي وبكر ، فثاروا فدفع لهم جزءا وطالبهم بالهدوء وعدم الفوضى ، وبهذا الخلافات ، فلم تؤثر هذه النصيحة في جديع بن علي الكرمانى ، وحالف الحارث بن سريح ، وقاتلا معا نصر بن سيار ، وسيطرا على المدينة ، فاضطر نصر بن سيار إلى الفرار إلى نسابور ، فتدهور الموقف تدهورا خطيرا وخاصة بعد قتل الكرمانى للحارث ،

(١) الطبرى ٣٠/٧ . وابن الأثير ١٢٧/٥ .

وقتل ابن الحارث للكرمانى ، وانتهاز أئى مسلم الخراسانى للوضع .. وقد تمكن أبو مسلم الخراسانى من احتلال المدينة بعد هذه الأحداث المؤلة . وباحتلاله هذه المدينة التاريخية انهارت الدولة الأموية ، وقامت الدولة العباسية^(١) ، كما سيأتى تفصيل ذلك .

ثم تبدأ بعد هذا مرحلة جديدة من مراحل الخصومات والمشاجرات العصبية والقبلية والحزبية عدا المناورات ، والنزاعات ، والصراعات السياسية الحادة وذلك لأسباب كثيرة سياسية ، واجتماعية ، وثقافية ، واقتصادية ، وحضارية ، ثم منها مايرجع إلى القبائل العربية ، ومنها مايعود إلى الخراسانيين أنفسهم فى أوطانهم ، وقد كان لميول الولاة والحكام والأمراء الخاصة دورا هاما فى إثارة هذه العصبيات السياسية والقبلية ، فإذا مال وال ، أو حاكم ، أو أمير إلى قبيلة من القبائل العربية ارتفعت منزلتها السياسية والمنعوية ، ونزلت منزلة قبائل أخرى لنفس السبب ، وإن حالى قبيلة عادته أخرى ، وكانت بجانب الوقائع الحرية والعصبية مظاهر أخرى للعصبية القبلية السياسية ، فحينما تسند الولاية والإمارة ، والحكم إلى رئيس قبيلة من القبائل العربية فى خراسان الأفغانية تملأ المراكز الحساسة بخراسان بالموظفين من إخوانه ، وأبنائه ، ومن أبناء قبيلته ، وحلفائه ، ويحرم الطرف الثانى المعارض ، وهذا قول يزيد بن المهلب ينبىء عما أقول حيث يقول : (بامعشر الأزد ، كنتم أذل خمس بخراسان ، حتى أن الرجل من الحى الآخر ليشتري الشيء فيستسخركم فتحملونه له ، حتى قدم المهلب ، وقدمت ، فلم ندع موضعا يستخرج منه درهم إلا استعملناكم عليه ، وجعلناكم على رقاب الناس ، حتى صرتم وجوها)^(٢) فكان الأزد يجردون القيسيين وغيرهم من الوظائف الهامة عندما يلون الحكم فى خراسان ، والقيسيون والمضريون يجردون الأزد وغيرهم من الوظائف الهامة عندما يلون الإمارة والولاية فى خراسان ، وهذا نصر بن سيار يتهمة الدينورى^(٣) واليعقوبى^(٤) بالعصبية إذ يقولان : إنه كان متعصبا على الجمانية ،

(١) الطبرى ٢٨٤/٧ ومابعدها — وابن الأثير ٣٠٧/٥ ومابعدها .

(٢) نقااض جرير والفرزدق ٣٦٧/١ .

(٣) الدينورى ص ٣٥١ .

(٤) تاريخ اليعقوبى ٧٥/٣ .

مبغضا لهم ، فكان لا يستعين بأحد منهم ، وعادى ربيعة لميلها إلى الجمانية ، والأمثلة كثيرة .

أما مصلحة الإسلام الأساسية ، ومبادئه السماوية ، وأما مصلحة خراسان الإسلامية ، ومبادئها القومية فكان نصيبها من الاهتمام معدوماً أو ضئيلاً على أقل تقدير ، وكأنما كانت خراسان في هذه الأيام بركاناً ثائراً يغلي بالقبائل العربية وبأحقادها العصبية فيثور ثورة عنيفة ، ثم يهدأ بعض الشيء ، ولا يلبث أن يثور ثورة أشد وأعنف . وكان ذلك بسبب التناحر على النفوذ ، لا والتنافس في الإمارة ، والتزاحم على المنفعة ، والتصارع على السلطة .

وكان الشعراء أو بعضهم في ذلك لا يكتفون عواطفهم القبلية ، ولا يتسترون على مطامعهم السياسية ، فيقومون بالمدح المتغالى ، أو الهجاء الفاحش ، أو كلاهما معا

وهكذا كانت خراسان الأفغانية — للأسف الشديد — ميداناً للتناحر ، والتصارع ، والتقاتل ، والتزاحم ، والتحامل ، والتحارب ، والتنافس بين العرب ، أما سكان خراسان الأصليون فكانوا في جملتهم من الجنس الآرى ، وهم يتصفون بتمام الخلقة ، وقوة البنية ، وطول القامة ، وعرض الصدر ، وكثافة الشعر ، وحسن الوجه^(١) ، وسواد الشعر ، وبياض الوجوه ، وصراحة القول ، ولا يلتفت هنا إلى قول ثمامة بن أشرس أحد المعتزلة البصريين الذي يتهم فيه أهل خراسان بالبخل والشح الشديد^(٢) ، لأنها رواية خاصة بالديكة لأبأهل خراسان ، وبالإضافة إلى رواية موضوعة فإن ثمامة المعتزلى هو وحده رواها ، وفيه مافيه من التحامل ، والتصنع ، ومن أجل ذلك أنبرى بعض القدماء للرد عليه ، ذاهبين إلى أن مارواه كذب ظاهر ، لأن ديكه مرو الشاهجان كالديوك في جميع الأرض ، فضلاً عن أن أهل خراسان فيهم الأجواد المبرزون والأجناد المشهورون الذين لا يجارون ، ولا يبلغ شأوهم^(٣) .

قال ياقوت الحموى : « ... وشُئِعَ على أهل خراسان وأُدْعِيَ عليهم البخل ، كما زعم ثمامة أن الديك في كل بلد يلفظ ما يأكل من فيه للدجاجة بعد أن حصل إلا ديكه

(١) ابن الفقيه ٣١٦ ، والمقدسى ٢٩٤ ، والسيادة العربية لفان فلوطن ٤٤ .

(٢) الحيوان ١٤٩/٢ ، الطبعة الثانية ، وياقوت ١١٢/٥ — ١١٦ ، طبع بيروت ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

(٣) ابن الفقيه ٣١٧ ، وياقوت ١١٢/٥ — ١١٦ مادة مرو .

مرو فإنها تسلب الدجاج مافي مناقيرها من الحب ، وهذا كذب بين ظاهر للعيان لا يقدم على مثله إلا الوقاع البهّات الذى لا يتوفى الفضوح والعار ، وما ديكّة مرو إلا كالديكة في جميع الأرض ... »^(١) وقال الجاحظ : « فقد زعم ثمامة بن أشرس أن ديكّة مرو تطرد الدجاج عن الحب ، وتنزع الحب من أفواه الدجاج »^(٢) .

إن بعض الحكام والأمراء والولاة قد أساءوا إلى السكان الآريين في خراسان ، وظلموهم بعض الظلم بالمعاملة السيئة ، أو بفرض الضرائب الباهظة .. عشرون ألفا من الموالى يغزون مع العرب بلاعطاء ولارزق ، قتل قتيبة نيزك بالخدعة والغدر ، أمثلة تؤيد ماأشرت إليه . وإنما ليس بالدرجة التى ذهب إليها بعض المستشرقين ومنهم فان فلوتن الذى يفرط في التعمم والاستنتاج والتهويل ، والتضخيم ... (خراسان أهل الدعوة ، وأنصار الدولة ، لما أتى الله بالإسلام كانوا فيه أحسن الأمم رغبة ، وأشدّهم إليه مسارعة ، منا من الله عليهم ، أسلموا طوعا ، ودخلوا فيه أفواجا ، وصالحوا عن بلادهم صلحا ، فخف خراجهم ، وقلت نوائهم ولم يجر عليهم شيء ولم يسفك فيما بينهم دم ، مع مقدرتهم على القتال ، وكثرة العدد وشدة البأس)^(٣) فهم إذن أنصار الدولة فكيف يجوز للدولة أن تعاملهم معاملة سيئة كما يظن البعض .

لعلّ بذلك أكون قد قدمت صورة واضحة عن العرب في خراسان ، أو في أفغانستان الخراسانية ، وولاتهم عليها ، وسياستهم الداخلية ، وغزواتهم داخل خراسان وخارجها ، وعدد العرب بها ، ومنازلهم فيها ، وتنظيم العرب السياسى والعسكرى ومانشب بينهم من خلافات وتكتلات ، ومصادمات ، وعن صلتهم بالخراسانيين ومعاملتهم لهم في هذه الفترة من التاريخ الأفغانى .

اللغة العربية باعتبارها إحدى اللغات الأفغانية :

لو تصفحنا سجلات الإحصاء في وزارة الداخلية الأفغانية لوجدنا عشرات الآلاف من الأفغانين قد قيدوا فيها على أنهم ينسبون إلى القومية العربية بمعنى أنهم عرب وليسوا من القبائل أو القوميات الأفغانية الأخرى التى تنتمى إلى الجنس

(١) معجم البلدان ١١٢/٥ - ١١٦ طبع صادر بيروت ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .

(٢) الحيوان ١٤٩/٢ الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م .

(٣) المقدسى ص ٢٩٣ وياقوت ٤١١/٢ .

الآرى ، وهؤلاء المنتسبون إلى هذا النوع من القومية العربية الأفغانية كثيرون ومنتشرون في جميع الولايات الأفغانية وفي جميع أنحاء أفغانستان .. جبالها وسهولها ووديانها . ولهم فيها مناطق وقرى خاصة تشتهر باسم العرب إلا أنهم لا يتحدثون اللغة العربية ولا يعرفون منها إلا اسمها . ليس هؤلاء العرب المتفغنين موضوع البحث لأنهم عرب اسما ، والمهم هنا هؤلاء الذين يتحدثون حتى الآن باللغة العربية العامية المتأثرة باللغات الأفغانية الأخرى . هذه الجماعة من العرب منتشرة في عدد من القرى في ولاية (بلخ) وولاية (الجوزجان) وعلى سبيل المثال لا الحصر أضرب مثلا بعدد من القرى بالقرب من مدينة (بلخ) التاريخية حيث كانت قاعدة للعمليات الحربية التي كان العرب يشنونها على المناطق الشمالية من نهر (جيحون = آمودريا) وهذه القرى هي :

١ — قرية (خوشحال آباد = منشأة خوشحال) وتقع في غربي مدينة (دولت آباد) في ولاية (بلخ) .

٢ — قرية (بخدان) وتقع في الجنوب الشرقي من مدينة (دولت آباد) أيضا ، وهي كذلك من قرى ولاية (بلخ) .

٣ — قرية (سلطان أريغ) وهي من قرى مركز (منكّه جك) وتقع غربي مدينة (آقچه) في ولاية (الجوزجان) .

٤ — قرية (حسن آباد = منشأة حسن) وتقع في الشمال الشرقي من ولاية (الجوزجان) .

هذه القرى الأربع تقع في منطقة واحدة وعلى امتداد واحد ، أعطيت لأهلها الأراضي الزراعية في منطقة واحدة ، وهم كلهم من العرب لم يختلط بهم غير العربى ، ومن هنا نراهم محتفظين باللهجة العربية العامية حتى الآن . وينبغى الإشارة إلى أن الشاطيء الآخر من نهر (آمو = جيحون) توجد فيه قرى أخرى تتحدث باللغة العربية العامية وتعيش تحت الاحتلال الروسى .

واللهجة العربية العامية التي يتحدث بها أهالى هذه القرى الأفغانية تشبه اللهجة العامية السعودية لأنهم ينطقون حرف (ق) كحرف (G) وكاستعمال كلمات (اش محل) و (موى = ماء) و (حبب = البطيخ) و (غدا) و (حنط = قمح) و (دهن) و (جينا = جئنا) وغيرها من الكلمات العربية التي يتحدث بها أهالى هذه القرى من العرب تشبه اللهجة العربية بالمملكة العربية السعودية . وبالإضافة إلى ذلك هناك

كلمات وعبارات واصطلاحات عربية تشبه اللهجة المصرية العامية ، وأخرى تشبه اللهجة الشامية أو العراقية .

التقاليد : هؤلاء العرب في أفغانستان لهم تقاليد خاصة بهم متأصلة فيهم فمع أنهم يعيشون في بيئة تتمتع بميزتين هامتين الأولى : الزراعة وهي منطقة خصبة تنتج القطن ، والقمح ، والشعير وغيرها من الأنواع الزراعية والميزة الثانية التجارة فأهالي هذه المنطقة تعمل في تجارة الجلود "الفرو" ، الممتاز ، والسجاجيد الجيدة ، ولكنهم يميلون إلى الحياة البدوية ، يظهر ذلك بوضوح في لهجاتهم ، ومعاملاتهم ، وإحساساتهم ، فهم يتكلمون بعنف وبصوت عال ، ويثيرون بسرعة ولأتفه الأسباب ، وقلما يميلون إلى الحياة الحضرية ، وليست لهم موسيقى خاصة بهم ، يسهرون بالاستماع إلى القصص والأساطير القديمة . وفي المآثم تلبس النساء ملابس خاصة ، ويدرن حول الميت ، وينثرن شعورهن وهن ينحن بالعربية .

وفي الأفراح يعملون بالتقاليد العربية ماعدا بعض الحالات ، ويبالغون في إكرام الضيف ، والمرأة تلبس ملابس طويلة ، وترتبط خمارا حول رأسها . وهي أفصح من الرجل في التحدث على اللغة العربية لعدم اختلاطها بغير العربية .

كيف استطاع هؤلاء العرب المحافظة على لغتهم العربية ؟ استطاع عرب أفغانستان المحافظة على لغتهم العربية حتى الآن للأسباب الآتية :

١ — قيمة اللغة العربية العلمية والدينية في نظر الأفغان : شدة التدين والحب القرآني ، ونظرة الاحترام إلى الحديث النبوي الشريف في نظر الأفغان كل هذا ساعد على بقاء اللغة العربية حية في أفغانستان حتى الآن ، كما أن نظرة الأفغان إلى اللغة العربية ، وإلى أصحابها العرب نظرة كلها تقدير واحترام .

٢ — قوة اللغة العربية على البقاء : تمتاز اللغة العربية بقوة نادرة قلما توجد في غيرها من اللغات ، وأهم ما ساعد على بقائها القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، والثقافة الدينية ، وكتب الفقه الحنفي ، وبخاصة تلك التي تدرس في أفغانستان باللغة العربية . بالإضافة إلى تدريس اللغة العربية في المدارس والمعاهد ، والجامعات الأفغانية .

٣ — عروبة العرب وبدواتهم : عروبة عرب أفغانستان وبدواتهم متأصلة فيهم ، فهم

قد جبلوا على العروبة والبداوة ، ولا يميلون إلى السكنى في المدن ولا يميلون إلى الاختلاط والامتزاج بمن يعيشون حولهم من القبائل الأفغانية المختلفة ، وإذا كان هناك اختلاط أو مزج فهو محدود جدا لا يتجاوز الضروريات الاجتماعية ، والاحتياجات اليومية ، والمعاملات التجارية ، والأعمال الرسمية .

فهم يفضلون الحياة في البادية على الحياة في القرية ويفضلون حياة القرية على حياة المدينة ، ويفضلون العروبة والعربية على أية قومية أخرى .

٤ — حب عرب أفغانستان للهجتهم العربية : حب العرب الأفغان للهجتهم العربية كحبهم لعروبتهم أو أشد منه شغفا ، فهم في البيوت والأسواق ، والحارات ، والمساجد لا يتحدثون فيما بينهم إلا باللغة العربية ولا يتفاهمون إلا بلغتهم العربية ، ومن المستحيل أن يتكلموا فيما بينهم بغير العربية . ولو حدث أن تزوج أحدهم بغير العربية فأول شيء يقوم به الزوج تعليمها اللغة العربية ، وقلمما يحدث التزاوج بينهم وبين غيرهم من الأفغان . والأطفال الصغار قبل سن المدرسة لا يفهمون إلا اللغة العربية . وعدم التكلم باللغة العربية فيما بينهم يعتبر عيبا كبيرا ينقص من شخصيته العربية .

تأثر اللغة العربية في أفغانستان باللغات الأفغانية :

التأثير والتأثر عملية طبيعية في أجناس البشر التي تعيش في موطن واحد جنبا إلى جنب ، وعرب أفغانستان ولغتهم العربية كغيرهم من الأقوام قد تأثروا بالأفغانين وتقاليدهم ، كما تأثرت اللغة العربية باللغات الأفغانية الأخرى التي تعيش في وسطها ، فهم في معاملاتهم العامة يكثرون من استعمال الكلمات والاصطلاحات الأفغانية العامة التي يستعملها الناس كلهم شأنهم في ذلك شأن العرب في البلاد العربية ، أو شأن الشعوب كلها . أما الاستعمالات الخاصة فهم لا يستعملون إلا اللغة العربية مثلا أسماء أعضاء الإنسان كلها عربية كالرأس ، والأذن ، والعين ، والأنف ، والحنك ، والسن ، والشعر ، والرقبة ، والكتف ، والظهر ، والبطن ، والسرة ، واليد ، والرجل ، وغيرها من أسماء الأعضاء .

وكذلك أسماء الحيوانات : كالفرس والبقر والحمار والكلب والطير والعنزة والنعجة والخروف والبعير وغيرها من الحيوانات المعروفة .

وكذلك الشأن في النباتات : كالبلصل ، والأرز ، والحنطة ، والشجر وكالزيوت كالدهن وغيره ، وكأدوات الطبخ كالقدر (ق = G) والمغور كالبراد وغيرها ، وبجانب ذلك فهم يستعملون في حديثهم اليومي ، أو في التفاهم العام عددا من الكلمات الأفغانية ، والاصطلاحات الحديثة والأسماء العصرية شأنهم في ذلك شأن بقية الأفغانين مثلا (الراديو) هو (الراديو) في كل مكان في البلاد الشرقية والغربية سواء بسواء . وعلى كل نسبة الكلمات العربية في محادثتهم اليومية أكثر من نسبة الكلمات الأفغانية ، ولمعرفة النسبة الصحيحة للكلمات العربية والأفغانية يجب على الباحث أن يجيد اللغة العربية ، واللغة البشتونية ، واللغة الدرية ، واللغة الأوزبكية ، واللغة التركية ، لأن لغتهم متأثرة بهذه اللغات الأفغانية جميعا .

حتى النطق والأداء غير سليم ومتأثر باللهجات الأفغانية ، والابتداء بالكسرة في الأسماء وفي أفعال المضارع عادة لغوية متبعة في اللغة العربية في أفغانستان ، وهم في ذلك يشاركون إخوانهم العرب في البلاد العربية في لهجاتهم العامية اليومية ، ينطقون كلمة (العين) ويبدأونها بكسر حرف (العين) بدلا من الفتحة في اللغة العربية الفصحى ، وكذلك كلمة (البيت) وكلمة (الشيء) تبدآن لديهم بكسر الحرف الأول . وقس على هذا كلمات (الرز = الأرز) و (الدهن) في الأسماء ، وأفعال تطلع ، ونذهب ، تقرأ = تقرأ ، وندرس ، ونأكل وغيرها من الأفعال المضارعة كل هذه الكلمات تنطق بكسر الحرف الأول فيها . ومن الحروف الصعبة النطق لغير العرب حرفا (الحاء = ح) و (العين = ع) ولكنهم لا يحسون أية صعوبة لغوية في النطق ، والتلفظ بهما ، مثال الحاء في الكلمات المستعملة في اللهجة العربية الأفغانية : نحن ، حبب واحد ، حمار ، حنط ، حل حائط ، وغيرها من الكلمات التي تشتمل على حرف (الحاء = ح) ومثال العين في الكلمات المستعملة في لهجتهم اليومية : عنزة ، عندك عنب ، تعه (تعال) تطلع ، نرعه (نرعى) نذرع ، شعر ، عين وغيرها من الكلمات العربية المتداولة بينهم .

والحروف العربية التي تغير نطقها الأصلي في الأداء ، والكتابة متأثرة في ذلك باللغات الأفغانية وطريقة كتابتها كثيرة منها على سبيل المثال :
حرف الهمزة : في (الحائط) ينطق ياء وتكتب ياء هكذا الحايط وفي (تقرأ)

(نقرى) أما إذا وقعت الهمزة في أول الكلمة فإنها تنطق سليمة وصحيحة مثل (اسم أبوك اشوه ؟ = ما اسم أبيك ؟) .

حرف الطاء : ينقلب (تاء) غالبا فينطقون البطن (بتنا ، والحائط حائتا) .
وهكذا .

حرفا الثاء والصاد : ينطقونهما (سينا) فينطقون الثوب (سوبا) والبصل بسلا .
حروف الذال والضاد والطاء : ينطقونها (زاء) مثل الأذن أزنا ، واضرب ازرب) .
وهكذا .

حرف القاف : النطق بحرف القاف يختلف من قرية إلى قرية ، فبعضهم ينطقونه (G) كاللهجة العربية السعودية ، وبعضهم ينطقونه (هزنا) كاللهجة المصرية ، وبعضهم ينطقونه (قافا) كالنطق العربى الفصيح .

حرف الهاء : بعضهم ينطقونه (ياء) إذا كان في وسط الكلمة كالدهن دينا ، وبعضهم يحذفونه في النطق .

إن اللغة العربية العامية في القرى الواقعة بالقرب من مدينة (بلخ) التاريخية متأثرة في قواعدها النحوية والصرفية ، وفي تركيب الجمل باللغات الأفغانية كالپختونية والدريه والأزبكية باستثناء صيغة المثنى في اللغة العربية الأفغانية ، فإن هؤلاء العرب الأفغان قد حافظوا عليها ويستعملونها في محادثتهم اليومية كالرجلين ، والقدمين ، والساقين ، والركبتين ، والعينين ، والأذنين واليدين وغيرها من صيغ الثنية في اللغة العربية .
وأحيانا نراهم يستعملون كلمة أفغانية ، وكلمة عربية في جملة واحدة للتعبير عن المعنى الذى يريدون الإفصاح عنه ، وهذا النوع من التركيب المزجى بين الكلمتين الأفغانية والعربية في جملة واحدة متداول وشائع بينهم بكثرة مثال ذلك (ماني - لا - لا يوجد) (ماني) هذه مركبة من (ما) أداة النفي في اللغة العربية ، و (نى) أداة النفي في اللغتين الأفغانيتين الپختونية والدريه ، وعرب أفغانستان يستعملونها معا للتعبير عن نفي ما يريدون نفيه ، ويستخدموها معا في تركيب مزجى عربى أفغانى ، ويلاحظ في هذا الشأن كثرة تقديم الأسماء على الأفعال في الجمل العربية لدى عرب أفغانستان ، وقد تأثروا في ذلك بالأساليب الأفغانية في اللغتين البختونية والدريه وغيرها من لغات هذه المنطقة من أفغانستان ، ومعنى هذا كثرة استعمال الجمل الاسمية على الجمل الفعلية كما هو

الشأن في اللغات الأفغانية فالتعبير الطبيعي في اللغة العربية للتعبير عن إخبار المخاطب بأكل الخبز بأن تقول : يأكل الخبز . ولكن عرب أفغانستان لا يستعملون هذا التعبير العربي الطبيعي لأنه أسلوب غير موجود وغير مستعمل في أساليب اللغات الأفغانية لأن التعبير الطبيعي للإخبار عن هذا المعنى هو : (دودی خوری) في اللغة الأفغانية البختونية ، و (نان می خوری) في اللغة الأفغانية الدرية ، وعرب أفغانستان يقلدون في ذلك التعبير الأفغاني فيقولون : (خبز يأكل) بدلا من (يأكل الخبز) وهكذا . والأمثلة الآتية توضح هذا المعنى توضيحا أكثر :

- ١ - نعيجه نرعه : نرعى النعجة .
- ٢ - زرعه نزرعه : نزرع الزرع .
- ٣ - جبل نغدى : نغدو الجبل . ونذهب إلى الجبل وقت الغداة .
- ٤ - حایت اذربوا : اضربوا الحائط .
- ٥ - شعر رأس نأخذ : نأخذ شعر الرأس .
- ٦ - زافر أخذ : أخذ الظفر .
- ٧ - بيت رحنا : رحنا إلى البيت .
- ٨ - حنط جيب : أحضر القمح .
- ٩ - رز جيب : أحضر الأرز (رز) في اللهجة العامية العربية .
- ١٠ - دين جيب : أحضر الدهن (الدين) في اللهجة العامية العربية .
- ١١ - بسل جيب : أحضر البصل (البسل) في اللهجة العامية العربية .
- ١٢ - فرس جر تعه : جر الفرس وتعال .
- ١٣ - اش محل من بيت تطلع؟ متى تخرج من البيت ؟ .
- ١٤ - اش محل بازار تغدى ؟ : متى تذهب إلى السوق .
- ١٥ - بعد اش محل تجي ؟ : بعد كم من الوقت تجي ؟ .
- ١٦ - كبش جر تعه : جر الكبش وتعال .
- ١٧ - بليت شده : اقفل باب البيت .
- ١٨ - بليگاه نقوم : نقوم صباحا بليگاه=باليگاه=بالصباح = صباحا .
- ١٩ - اش درس تقرى ؟ : أى درس تقرأ ؟ = ماذا تقرأ ؟ .
- ٢٠ - مكتب تقرى ؟ : تقرأ المدرسة؟ نذهب إلى المدرسة

- ٢١ - قدام من تقرى ؟ : أمام من تقرأ ؟ = عند من تقرأ ؟ .
٢٢ - كل يوم تغدى ؟ : هل تذهب كل يوم ؟ .
٢٣ - كتاباتك تقدر تقرى ؟ : هل تقدر أن تقرأ كتبك ؟ .
٢٤ - مكتب مغدى : إذهب إلى المدرسة (المكتب) .
٢٥ - يوم جمعة مكتب لامغدى : لاتذهب إلى المدرسة (المكتب) يوم الجمعة .
٢٦ - عربيا تقرى : نقرأ العربية^(١) .

(١) عبد الستار سیرت — نخستین تحقیق عربی عامیانه در حوالی بلخ — طبعه کابل بتصرف .

الفصل الثاني
الأدب العربي في ظلال الفتوح الإسلامية

الموضوعات والأغراض التي تحدث عنها الشعراء العرب في خراسان خلال فتح أفغانستان

تصوير الموضوعات التقليدية :

المدح ، والهجاء ، والفخر ، والثناء ، من الموضوعات التقليدية التي يتحدث عنها الشعر العربي في (خراسان = أفغانستان) ويلاحظ أن المقطوعات والقصائد الشعرية التي قيلت في هذه الفنون الأربعة ، والتي أفردتها الشعراء لكل فن من هذه الفنون قليلة جدا بالقياس إلى الموضوعات الأخرى الخراسانية لأن كل الأشعار التي نظموها في الحديث عن هذه الموضوعات الأربعة أقل بكثير من كمية الأشعار التي قالها الشعراء في خراسان عن الأحوال السياسية ، والغزوات الحربية ، وعن الموضوعات القتالية الأخرى .

المدح :

فهم في المدح يقلدون المدح الجاهلي ويحذون حذوه ، إذ يرددون فيه المعاني التي ردها الشعراء الجاهليون في مدائحهم ، ويصفون الممدوحين بالصفات التي وصف بها الجاهليون ساداتهم ، وأشرفهم ، فهم يشيدون بأصل الممدوح ، وكرمه ، وشجاعته وحلمه ، وسماحته ، بالإضافة إلى المعاني الجديدة الإسلامية ، فهم في ذلك يخلعون على الممدوح صفات التقوى ، والورع ، والعدل ، والصلاح ، والتفاني في سبيل نشر الدين الإسلامي ، والفتك بالأعداء .. أعداء الدين ، وهذا الازدواج بين الجاهلي والإسلامي والتوفيق بينهما كان يرجع إلى ثقافة الشاعر العربي الخراساني التي كانت تقوم أصلا على العنصرين .. أحدهما جاهلي عربي لقرب العصر الأموي إلى العصر الجاهلي واعتزاز الشاعر بعرويته القديمة ، والثاني إسلامي حديث ، وكان الشعراء يركزون على الصفات الجاهلية والإسلامية معا نظرا للعصر الذي كانوا يعيشون فيه ، ويتطلب منهم ذلك ، وربما في بعض الأحيان لا يوفق الشاعر إلى ذلك فيكتفي في مدح الممدوح بالصفات الجاهلية ، أو المعاني الإسلامية وفقا لحالته النفسية وقت المدح وإنشاد القصيدة .

وهذا موضوع أفغانى ، وشاعر عربى ، وممدوح عربى قام بإنشاء هذا الموضوع وإتمامه فى خراسان الأفغانية .. الموضوع مدينة بلخ التاريخية التى أهملت دهرًا من الزمن فدب الخراب إليها فقام أسد بن عبد الله القسرى بإعمارها ثانية لحاجة الجنود المسلمين إليها حيث كانوا فى (البروقان) على فرسخين منها ، معرضين للخطر من جانب الأفغانيين ، فحين أعمرها ، وأسكن فيها الجنود العرب ، مدحه الشاعر العربى أبو البريد البكرى لتأمين الجنود العرب بها الأمر الذى نفى عنهم الخوف ، والفرع ، والتعرض للهلاك من حملات الأفغانيين المشركين ، وأدخل فى قلوبهم الطمأنينة ، والسكينة ، ورجا أن تكون له دار عز ومنعة وبركة ، وأشاد بسياسته العادلة لرعايته أحوال الجنود العرب الذين يحاربون فى سبيل الإسلام ، ومحافظته على أرواحهم ، وعنايته — إلى جانب ذلك — شؤون الناس وتلبية حاجاتهم ، فقال بذلك رضوان ربه الكريم . يقول :^(١)

إن المباركة التى أحصنتها	عُصِمَ الذليلُ بها وَقَرَّ الخائفُ
فأراك فيها مأرى من صالِح	فُتِحَا وأبوابُ السماءِ رواعفُ ^(٢)
فمضى لك الاسم الذى يرضى به	عنك البصيرُ بما تَوَتَّ اللاطِفُ ^(٣)
ياخيرَ ملكٍ ساسَ أمرَ رعيةٍ	إنى على صديقِ اليمينِ لخالِفُ
اللهِ آمنها بصنْعِكَ بعدما	كانت قلوبُ حَوَفُهُنَّ ^(٣) رواجِفُ

إن الشاعر العربى فى هذه المقطوعة الشعرية وقف عند حدود المعانى الإسلامية ولم يتمكن من أن يجمع فى مقطوعته المعانى القديمة الجاهلية إلى المعانى الحديثة الإسلامية .

وفى هذه المقطوعة الآتية يبدو الشاعر العربى كعب الأشقرى وكأنه يظهر بسالة يزيد بن المهلب ، وقد لقيه العدو فى خمسمائة فارس من فرسانه ، وقطعوا عليه الطريق ، وهو يسير فى ستين فارسًا بما وراء النهر فى طريقه من ”كس“ إلى ”مرو الشاهجان“ ، فحاربهم حربًا شديدة دون أن يتغلب أحد الفريقين على الآخر حتى أسدل الظلام أستاره ، فتفرق فرسان العدو ، وواصل سيره ، والشاعر العربى كعب

(١) الطبرى ٤٢١/٧ طبعة ثانية دار المعارف بمصر . والشعر العربى فى خراسان : ص ١٩٢ . ٤٢١/٧ .

(٢) رواعف : منهلة بالمطر .

(٣) خوفهن : يخوفهن .

الأشقرى لا يكتفى بإظهار بسالة يزيد بن المهلب فحسب ، وإنما يحاول إظهار شجاعة فرسانه فيصف شجاعتهم ، وبسالتهم ، وعزيمتهم ، وكيف أنهم لم يتراجعوا عن محاربة العدو مع كثرة عدده ، وعدته ، فقد صمدوا له ، وثبتوا في أماكنهم معرضين أنفسهم للخطر ، ورامين أفراسهم للهلاك . انظر إليه وهو يقول : ^(١)

والترك تعلم إذ لاقى جموعَهُمْ أن قَدْ لَقَوْه شهاباً ^(٢) يَفْرُجُ الظُّلَمَا
بفتية كَأَسود الغابِ لم يَجِدُوا غيرَ النَّاسِ ^(٣) وغيرَ الصَّبْرِ مُعْتَصِمَا
نرى شرائعَ تغشى القومَ من عُلَى ^(٤) وما أرى نبوءةً ^(٥) منهم ولا كَرَمًا ^(٦)
وتحتهم قُرْحٌ ^(٧) يركبنَ ماركبُوا من الكريمة ^(٨) حتى يَنْتَعِلْنَ ^(٩) دَمًا
في حازة ^(١٠) الموتِ حتى جَنَّ ليلُهُم كلا الفريقين ما وُلَّى ولا هَرَبَا

ويمدح عبد الملك بن سلام السلولى يزيد بن المهلب ويشنى عليه لكثرة ما أعطاه من النوال حتى أغناه ، ولطول مارعى من الضعفاء ، وواسى البؤساء في أيامه حتى انتعشوا ونشطوا ، قارنا ثناءه عليه بالدعاء له باليمن والبركة والخير جزاء لما قدم من معروف ، وما قام به من إحسان . يقول : ^(١١)

ما زال سيبك يا يزيدُ بِحَوَيْتِي ^(١٢) حتى ارتويتُ وجودكم لا يُنْكَرُ
أنت الربيعُ إذا تَكُونُ خصاصةً ^(١٣) عاش السقيمُ به وعاش المقتِرُ

- (١) الطبرى ٣٥٢/٦ طبعة ثانية . والشعر العرى ص ١٨٨ .
- (٢) الشهاب : النجم المنقض بالليل . ويقال للرجل الماضى في الحرب : شهاب حرب . أى ماض فيها .
- (٣) الشرائع : جمع شريح وهى القوس المنشقة من عود انشقت منه قوس أخرى .
- (٤) علق : لعلها القوس أو جعب السهام .
- (٥) نبوة : التباعد والتجافى .
- (٦) الكرم : الهيبة من التقدم .
- (٧) القُرْح : جمع قارح وهو الفرس الذى انتهت أسنانه .
- (٨) الكريمة : النازلة والشدة في الحرب .
- (٩) ينتعلن : لعله من الإنعال وهو أن يحيط البياض بما فوق الحافر مادام في موضع الرسغ . أى حتى يسيل الدم على أيديها وأرجلها ويلطخ ما ابيض من مآخير أرساغها . وفى الأصل ينتعلن .
- (١٠) الحوزة : الناحية .
- (١١) الطبرى ٥٢٩/٦ طبعة ثانية دار المعارف بمصر . والشعر العرى في خراسان ص ١٨٩ .
- (١٢) الحوية : الحاجة والهم والحزن .
- (١٣) الخصاصة : الفقر .

عَمَّتْ سَحَابَتُهُ جَمِيعَ بِلَادِكُمْ فَرَّوْا وَأَعْدَقَهُمْ سَحَابٌ مُنْطَرُ
فَسَقَاكَ رَبُّكَ حَيْثُ كُنْتَ مَخِيلَةً^(١) رِيًّا سَحَابُهَا تَرْوُحٌ وَتُبْكِرُ

ويقول حاجب بن ذبيان المازني يمدح يزيد بن المهلب بشدة بأسه ، ومهارته في القيادة ، والقتال ، والوعى والحرب في الصغر والكبر ، وينوه بقهرة الأعداء ، أعداء الإسلام في بلاد الأفغان وترفقه بأصدقائه فيها يقول :^(٢)

كَمْ مِنْ كَمِيٍّ^(٣) فِي الْهِيَاجِ تَرَكْتَهُ يَهْوِي لِفِيهِ مُجَدِّلاً^(٤) مَقْتُولاً
جَلَلْتُ^(٥) مَفْرِقَ رَأْسِهِ ذَا رَوْثِي عَضْبُ^(٦) الْمَهْرَةِ صَارِماً مُصْقُولاً
قُدَّتِ الْجِيَادُ وَأَنْتَ غَرٌّ يَافِعٌ حَتَّى اكْتَهَلْتَ وَلَمْ تَزَلْ مَأْمُولاً
كَمْ قَدْ جَرَّبْتَ^(٧) وَقَدْ جَبَّرْتَ مَعَاشِرَا وَكَمْ اِمْتَنَنْتَ وَكَمْ شَفَيْتَ غَلِيلاً

ويشيد الفرات الشنئي العبدى بجرأة قتيبة بن مسلم الباهلي وشجاعته ، وقوة شكيمته ، وقلة مبالاته بالموت في سبيل الدفاع عن المبدأ ، واكتراثه للحياة في الحرب ، حين يجبن المترددون ، ويعتمدون على غيرهم ، مما هيا له الظفر بأعدائه ، والسبق إلى أبعد غايات العظمة ، والمجد والسؤدد ، والعلا ، والرفعة ، فإذا بطولاته وفتوحاته حديث الناس في كل مجلس بخراسان . يقول :^(٨)

بَرَى الْمَوْتَ مِنْ عَادَى قَتِيبةً مُجْهَرًا وَلَيْسَ بِوَقَاتٍ وَلَا بِمُوَاكِلٍ^(٩)
وَلَكِنَّهُ سَمَحَ بِنَفْسِي كَرِيمَةً بِتَوَلَّ لَهَا يَوْمَ التَّفَافِ الْقَنَابِلِ^(١٠)
حَوَى الصُّغْدَ حَتَّى شَاعَ فِي النَّاسِ ذِكْرُهُ وَنَالَ الَّتِي أُعِيَتْ^(١١) عَلَى الْمُتَطَاوِلِ
وقد ظل الشاعر العربي الفرات الشنئي العبدى وفيأ لولى نعمة قتيبة حتى بعد

(١) الخيلة : السحابة نفسها .

(٢) الأغاني - طبعة دار الكتب ٢٦٦/١٤ . والشعر العربي : ص ١٨٩ .

(٣) الكمي : الشجاع المستتر في سلاحه .

(٤) المجدل : المصروع .

(٥) جلله بالسيف : علاه وضربه به .

(٦) العضب : القاطع .

(٧) حر به : أخذ ماله كله .

(٨) معجم الشعراء ص ١٩٠ . والشعر العربي : ص ١٩٠ .

(٩) المواكل : كل عاجز كثير الاعتماد على غيره .

(١٠) القنابل : جمع قبلة ، وهى الطائفة من الخيل .

(١١) أعيت : استعصت .

اغتياله في خراسان الأفغانية ، وبعد قيام يزيد بن المهلب بالولاية في خراسان ، ولما سئل عن قتيبة بن مسلم الباهلي ، ويزيد بن المهلب رفض الدم ، واعترف بفضل الرجلين دون خشية من لوم أو من إيذاء ، أو خوف من بطش ، أو رهبة من عذاب ، وإن كان قد تخلص من المأزق المخرج تخلصا فنيا بارعا بأن جعل كل واحد منهما نظيرا للثاني ، لأنهما جوادان يلوذ بهما كل محتاج ، وفارسان يرمى كل واحد منهما بنفسه في ميدان الحرب والقتال ، ويقاقل قتال الأبطال لاتصافهما بالشجاعة والشهامة والإباء . يقول (١) :

سأنتطق حقاً فيهما إذ سألتني وليس أخو حق كحيران جاهل
هما البحر للعافين (٢) والمبتقى القرى وليثا عرين عند وقع المناصل (٣)
هما يردان الموت لا يهربانيه إذا ضج منه كل أشوس (٤) بأسل
حياء وبذلاً للنفوس وحسبة (٥) بكّل سريجي (٦) وأسمر عاسل (٧)

ومن الشخصيات التي مدحها الشعراء العرب بخراسان الأفغانية نصر بن سيار . فهذا الشاعر العربي ثابت قطنة يقوم بمدحه لقاء عطفه عليه ، ذلك لأن المجشر بن مزاحم السلمي أمير الحرس في سمرقند لأشرس بن عبد الله السلمي قد قام بحبس ثابت قطنة ، لأنه ساند ، وأيد الأعاجم عند ما ثاروا ، وطالبوا منادين بإسقاط الجزية عنهم بعد إسلامهم . وقد استمر في السجن محبوسا حتى قدم الحاكم العربي نصر بن سيار واليا على المجشر بن مزاحم السلمي في سمرقند فيما وراء النهر ، فألفظه (٨) وأحسن إليه ، وتلطف به ، وجامله بمجاملة طيبة ، وأخرجه من السجن ، ثم أرسله إلى أشرس بن عبد الله السلمي في ” مرو الشاهجان “ فجدد حبسه بها . والشاعر العربي ثابت قطنة يقرر في مدحه له أنه كان دائما يثق به ، ويرجو الخير منه ، ويبجل بوهبته

(١) معجم الشعراء ص ١٩٠ ، طبع القاهرة ١٣٧٩ هـ ، والشعر العربي بخراسان ١٩١ .

(٢) العافين : الأضياف ، وطلاب المعروف .

(٣) المناصل : جمع منصل وهو السيف .

(٤) الأشوس : الرافع رأسه كبيرا .

(٥) الحسبة : احتساب الأجر على الله .

(٦) السريجي : السيف المنسوب إلى ابن السريج ، وهو قين معروف كان يصنع السرج .

(٧) العاسل : الرمح الشديد الاهتزاز .

(٨) ألفظه : هكنا في الطبرى : ٥٦/٧ ، وفي الشعر العربي بخراسان .

الإدارية الحاسمة ، وخبرته الواسعة في الشؤون الإدارية والعسكرية والقيادية ، مما أتاح له أن يعود من كل غزوة غزاها فاتحاً وغانماً . ويعترف صراحة بأنه أعانه وأغاثة حين تخلت عشيرته عن نصرته ، وتنكر له أقرب أقاربه ، وأصدقاؤه ، ورفاقه ، معلناً أنه لم يسيء ، ولم يخرج على السلطان لتضامنه مع الأعاجم الذين يطالبون بحقوقهم المشروعة . استمع إليه وهو يقول في أحداث سنة ١١٠ هـ (١) :

إذ كان ظننى بنصر صادقاً أبداً^(٢) فيما أدير من تقضى^(٣) وإمرارى^(٤) ،
لا يصرفُ الجند حتى يستقيهم^(٥) نهياً عظيماً ويحوى مُلكَ جبار
وتعثر الخيلُ في الأقيادِ آونةً تحوى النهابَ إلى طلابِ أوتار
حتى يروها دوينَ السرحِ^(٦) بارقةً فيها لواءُ كظلي الأجلِ^(٧) الضارى
لأيمتّع الثغرَ إلادو محافظيةً من الحضارم سباقاً بأوتار
إني وإن كنتُ من جذم الذى نضرت منه الفروغُ وزئدى^(٨) الثاقبِ^(٩) الوارى^(١٠) ،
لذاكرُ منك أميراً قد سبقَتْ به من كان قبلكَ يانصرُ بن سيار
ناضلت عني نضال الحر إذ قصرت دوني العشيرة واستبطأت أنصارى
وصار كل صديقٍ كنتُ آملُهُ ألباً على ورثَ الحبلُ من جارى
وماتلبستُ بالأمرِ الذى وقعوا به على ولادئستُ أطمارى^(١١) ،
ولا عصيتُ إنما ما كان طاعتهُ حقاً على ولا فارقتُ من عارى
وفي هذه الحالة النفسية من تقديم الشكر ، واعترافه بفضل نصر بن سيار ،
وتعريضه بالجشع بن مزاحم السلمى فإن الاستعلاء والكبرياء لم يغيب عن خاطره ،

(١) الشعر العربى بجزاسان فى العصر الأموى ١٩٣ ، والطبرى : ٥٦/٧ ، طبعة ثانية .

(٢) وفى الطبرى : « إن كان ظننى بنصر صادقاً أبداً » ٥٦/٧ ، طبعة ثانية .

(٣) نقضى : النقض إفساد ما أبرم من عهد أو عقد .

(٤) إمرارى : الإحكام والشد .

(٥) وفى الطبرى : يصرف الجندى حتى يستقيهم ٥٦/٧ ، طبعة ثانية .

(٦) السرح : المال الراعى ، وتأتى بمعنى الماشية تسمية بالمصدر .

(٧) الأجل : الصقر .

(٨) زئدى : الزند العود الأعلى الذى تفتدح به النار .

(٩) الثاقب : المضىء .

(١٠) الوارى : الذى يورى ويوقد النار ، وأورى الزند خرجت ناره .

(١١) أطمارى : الأطمار جمع الطمر وهو الثوب البالى .

وفي هذه الحالة أيضا لم يغيب عن خاطره الافتخار بالأصل الأزدي الكريم ، والمجد العظيم ، والعز اليمنى القديم . كأنما كان لا يريد أن يكون أقل من المهالبة والمضربين . حتى وهو يشكر لهم ما قدموا إليه من خير ، وما أسبغوا عليه من نعمة وعطف وكرم .

وهذا شاعر عري آخر وهو خالد بن المearك العبدى المعروف بابن عرس يقلد نصر بن سيار مدحة رائعة أخرى ، مدحا له ، وثناء عليه ، وإجلالا له ، وتقديرا لبلائه ، فقد ناضل العدو نضالا شديدا ، وكف جنود العدو عن سائر الجنود العرب الذين كانوا معه ، ونجاهم من الدمار ، والهلاك ، والموت ، فاستحق بذلك أن يلقب بلقب "فتى نزار كلها" ، أو كما يقول (١) :

يَانْصُرْ أَنْتَ فَتَى نَزَارٍ كُلِّهَا فَلَكَ الْمَآثِرُ وَالْفَعَالُ الْأَرْفَعُ (٢)
فَرَجَتْ عَنْ كُلِّ الْقَبَائِلِ كُرْبَةً بِالشَّعْبِ حِينَ تَخَاضَعُوا وَتَضَعُشُوا
يَوْمَ الْجَنِيدِ إِذَ الْقَتَا مُتَشَاجِرُ وَالنَّحْرُ دَائِمٌ وَالْخَوَافِقُ (٣) تَلْمَعُ
مَازَلَتْ تَرْمِيهِمْ بِنَفْسٍ حَرَّةٍ حَتَّى تَفَرَّجَ جَمْعُهُمْ وَتَصَدَّعُوا
فَالنَّاسُ كُلٌّ بَعْدَهَا عُتْقَاؤُكُمْ وَلَكَ الْمَكَارُمُ وَالْمَعَالَى أَجْمَعُ (٤)

وهذا شاعر خراسانى أبو نغملة صالح بن الأبار يمدح نصر بن سيار بعد أن عين واليا على خراسان ، وكان نغملة صالح بن الأبار قد خرج مع يحيى بن زيك العلوى إلى خراسان الأفغانية ، وكان معه حتى قتل في الجوزجان بأفغانستان الشمالية ، ولما جاء عبيد الله بن بسام صاحب نصر بن سيار أنشد أمامه هذه القصيدة منوها بخصال نصر الحميدة من شجاعة ، وصرامة ، وصلابة ، وشهامة ، وورزانة ، ومتانة ، ورصانة ، ووقارة ، يقول (٥) :

قَدْ كُنْتُ فِي هِمَّةٍ حَيْرَانَ مَكْتَبِيًّا . حَتَّى كَفَانِي عَبِيدُ اللَّهِ تَهْمَامِي
نَادَيْتُهُ فَسَمَاً لِلْمَجْدِ مُبْتَهَجًا كَعَفْرَةِ الْبَدْرِ جَلَى وَجْهَ إِظْلَامِ

(١) الطبرى : ٨٥/٧ ، وابن الأثير : ١٧١/٥ ، والشعر العربى بخراسان ١٩٤ .

(٢) الفَعَالُ : اسم للحسن والقبیح من الأفعال . ولذلك يقال : فلان كريم الفعّال ، وفلان لقيم الفعّال .

(٣) الخوافق : السيوف .

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ٢١٣/٤ طبع بيروت سنة ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

(٥) الطبرى : ١٩٦/٧ الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ، والشعر العربى بخراسان فى العصر الأموى

فَاسْمُ بَرَّايَ أَبِي لَيْثٍ وَصَوَّلَتْهُ
تَظْفَرُ يَدَاكَ بَيْنَ ثَمَّتْ مَرَوْتُهُ
مَاضِي الْعَزَائِمِ لَيْثِيَّ مَضَارِبُهُ
لَا هَذِرُ سَاحَةِ الْبَادِي وَلَا مِذْلُ (١)
لَهُ مِنَ الْجَلْمِ ثَوْبَاهُ وَمَجْلِسُهُ
إِذَا الْمَجَالِسُ شَانَتْ أَهْلَ أَحْلَامِ
إِنْ كُنْتَ يَوْمَ حِفَاطٍ بِأَمْرِيءِ سَامِ
وَإِخْتَصَّه رَبُّهُ مِنْهُ بِإِكْرَامِ
عَلَى الْكَرْبَةِ يَوْمَ الرُّوْحِ مَقْدَامِ
فِيهِ وَلَا مُسْكَتْ إِسْكَاتٍ إِفْحَامِ

وعند ما استولى الأزد وأهل اليمن على « مرو الشاهجان » وقاموا بطرد نصر بن سيار عنها ، وبدأوا بتعذيب المضربين ، وقتلهم واغتصاب أموالهم ، امتدح أبو بكر بن إبراهيم عليا وعثمان ابني جديع الكرماني بقصيدة طويلة رائعة ، أثنى فيها عليهما ، لأنهما اقتديا بأبيهما ، ووصفهما بالكرم ، والسماحة ، والتقوى والكمال ، والورع ، والبأس الشديد ، والقوة الصلبة ، الأمر الذي سهّل لهما قهر نصر بن سيار ، وقتل الحارث بن سريع ، يقول (٢) :

إِنِّي لَمُرْتَجِلٌ أُرِيدُ بِمِدْحَتِي
سَبَقَا الْجِيَادَ فَلَمْ يَزَالَا تُجْعَةً
يَسْتَعْلِيَانِ وَيَجْرِيَانِ إِلَى الْعَلَا
أَعْنَى عَلِيَا إِنَّهُ وَوَزِيرُهُ
جَرِيًّا لِكَيْمَا يَلْحَقَا بِأَبَيْهِمَا
فَلَيْكُنْ هُمَا لِحَقَا بِهِ لَمُنْصَبٌ (٣)
وَلَكِنْ أَبَرَّ عَلَيْهِمَا فَلَطَالَمَا
فَلَأَمْدَحْنَهُمَا بِمَا قَدْ عَايَنْتُ
فَهُمَا التَّقِيَانِ الْمَشَارُ إِلَيْهِمَا
وَهُمَا أَزَالَا عَنْ عَرِيكَه مُلْكِهِ
نَفْيَا ابْنَ أَقْطَعَ بَعْدَ قَتْلِ حُمَاتِهِ
وَالْحَارِثَ بْنَ سَرِيحٍ إِذْ قَصَدُوا لَهُ
أَخْذًا بَعْفُو أَبَيْهِمَا فِي قُدْرَةٍ
أَخَوَيْنِ فَوْقَ ذُرَى الْأَنَامِ ذُرَاهُمَا
لَا يَعْدُمُ الضَّيْفُ الْغَرِيبُ قَرَاهُمَا
وَيَعِيشُ فِي كَفْفِيهِمَا حَيَاهُمَا
عُثْمَانُ لَيْسَ يَذِلُّ مَنْ وَالَاهُمَا
جَرَى الْجِيَادِ مِنَ الْعَبِيدِ مَذَاهُمَا
يَسْتَعْلِيَانِ وَيَلْحَقَانِ أَبَاهُمَا
جَرِيًّا فَبَذَاهُمَا وَبَذَّ سَوَاهُمَا
عَيْنِي وَإِنْ لَمْ أُحْصِ كُلَّ نَدَاهُمَا
الْحَامِلَانِ الْكَامِلَانِ كَلَاهُمَا
نَصْرًا وَلَا قِيْلَ الذَّلُّ مِنْ عَادَاهُمَا
وَتَقَسَّمَتْ أَسْلَابُهُ خِيَلَاهُمَا
حَتَّى تَعَاوَرَ رَأْسُهُ سِيْفَاهُمَا
إِذْ عَزَّ قَوْمُهُمَا وَمِنْ وَالَاهُمَا

(١) المذل : الضجر القلق .

(٢) الطبري : ٣٤٣/٧ ، الطبعة الثانية ، والشعر العربي بخراسان ١٩٦ .

(٣) المنصب من الخيل : الذي يغلب على خلقه نصب عظامه ، حتى ينتصب منه ما يحتاج إلى عطفه .

المزاوجة المعنوية بين معاني المديح الموروثة والمستحدثة :

هذه مجموعة من النماذج الشعرية قدمتها للقارئ الكريم ليعرف مدى توفيق الشاعر العربي في خراسان الأفغانية في المزاوجة بين معاني المديح الموروثة والمستحدثة ، ويظهر مدى عناية الشاعر في خراسان بالصفات الجاهلية ، وعنايته بالصفات الإسلامية وبأيهما يبدو أشد تمسكا ، وأعمق تأثرا . وبالمقارنة بين النماذج الشعرية التي قدمتها للقارئ والدارس يبدو الفرق واضحا وجليا بين شاعر ، وشاعر ، وبين نموذج شعري إلى نموذج شعري آخر ، فهناك من الشعراء من تأثر بالمعاني الإسلامية المستحدثة تأثرا عميقا فنموذجه يعتبر نموذجا شعريا إسلاميا بحتا . وهناك من الشعراء من استمر في التأثر بالمعاني القديمة الجاهلية مع شيء من التأثر بالمعاني الجديدة وسيوضح لنا ذلك من المقارنة الآتية :

وتظهر المعاني الإسلامية الجديدة في مقطوعتي الفرات الشنى العبدى في مدح قتيبة بن مسلم الباهلي ، ويزيد بن المهلب ، وفي مقطوعة عبد الملك بن سلام السلولى في مدح يزيد بن المهلب ، وفي مقطوعة أنى البريد البكرى في مدح أسد ابن عبد الله القسرى عندما أعمر مدينة بلخ الأفغانية من جديد ، وفي مدحة ثابت قطنه لنصر بن سيار ، إذ قاموا جميعا في مقطوعاتهم الشعرية التي قالوها في مدحهم بالكشف عن المعاني الإسلامية .. إما عن مواساة هؤلاء العمال الفقراء الذين يأمر الإسلام بمواساتهم كما يأمر بالبر والإحسان إلى الضعفاء والفقراء . وإما عن اشتغالهم بأمر الناس والجنود في الجيوش الإسلامية ، وعملهم الدائب الدائم من أجل توفير ضروراتهم لراحتهم ، وحمايتهم من خطر العدو في كل مكان من خراسان ، وهذه كلها معان مستحدثة إسلامية ، وإما عن اهتمامهم بحماية الثغور ، وسهرهم على حراستها ، ودفاعهم عن المسلمين ، وعن حقوقهم ، وعن أوطانهم ، وجهادهم لتحقيق هذه الغايات والأهداف والمطالب جهادا مخلصا صادقا ، لم يكونوا يبتغون منه عرض الدنيا ومتاعها ، بل كانوا يرجون به رضا الله وحده ، وثواب الآخرة . وهذه كلها كما نعرف معان إسلامية مستحدثة قالها الشعراء في مدح ممدوحهم من ولاية خراسان وحكامها وأمرائها من العرب المسلمين . أما المعاني التقليدية ، والمعاني الجاهلية القديمة فهي تطفئ وتسيطر على الشعراء : كعب الأشرى في مدحه لبسالة يزيد بن المهلب ، وعلى حاجب ابن

ذبيان المازنى فى مقطوعته فى مدح يزيد بن المهلب وشدة بأسه ، وعلى بن عرس فى مقطوعته فى مدح نصر بن سيار ، وعلى ألى غميلة فى مقطوعته فى نصر بن سيار أيضا ، فقد اهتم هؤلاء من الشعراء العرب فى خراسان بالمعانى التقليدية الموروثة فى مقطوعاتهم الشعرية ، فأبرزوا فى ممدوحهم شدة الاحتمال فى النزال والنضال ، والقتال ، والطعان ، ومرؤتهم العربية ، وكرمهم العربى فى إكرام الضيوف ، وقرى الضيفان ، وأنسابهم التى تميزوا بها عن الأقران وهذه كلها كما نرى معان قديمة ومفاخر قومية أبرزها الشعراء فى أشعارهم ومقطوعاتهم التى أنشدوها فى مدح ممدوحهم ، فسلكوا فيها مسلك الأقدمين من الشعراء العرب .

والعصبية لا تترك ميدانها لغيرها فى المجال الأدبى ، كانت رأس البلية لبعض القادة فى الميادين السياسية والعسكرية فى البلاد الخراسانية الأفغانية ، كذلك كانت مسيطرة فى المجال الشعرى ، والأدبى بصفة عامة على أدمغة عدد من الشعراء ، فكان شعراء الأزرد وربيعة مثالا يتعصبون فى مدائحهم للولاة وكبار الرجال الجنيين فهم يضحخون فروسياتهم ، ويروجون لهم ويدينون إليهم ، ويعربون عن سرورهم لظفرهم بالمضربين ، كل ذلك بحق ، وبدون حق ، ويكفيينا هذا مثالا لما أشرت إليه من سيطرة العصبية القومية ، والقبلية ، والحزبية على عدد من الشعراء العرب فى خراسان جعلتهم لا يرون إلا القبيلة التى ينتمون إليها ، والحزب الذى ينتمى إلى قبيلتهم .

وإذا كان هناك فى زمرة الشعراء من أعمته العصبية العمياء المبغوضة فإن هناك فى جماعة الشعراء من خلعت نفسه من أحقاد العصبية وضغائننا .

الفخر وتطوره فى خراسان الأفغانية :

أما الفخر .. فقد تطور به الشعراء العرب فى خراسان تطورا إسلاميا عظيما امتاز به عما كان عليه فى الجاهلية ، فالشعراء العرب فى خراسان فى العصر الأموى لم يتمجدوا فيه بأنسابهم ، وقبائلهم ، وعشائرتهم ومآثرهم القبلية والقومية العربية ، ولا بعزتها ومنعتها ، ولا بأخذها الثأر لأبنائها ، وكذلك لم يتمجد الشعراء العرب بنجدة القبائل للمستغيثين ، ولا بحمايتها للمستجيرين ، ولا بإطعامها للمحتاجين ، وإنما تغنوا وتمجدوا بمواقف القبائل التى ينتمون إليها

من الأحداث العظيمة الخطيرة التي كانت تؤثر في حاضر الأمة الإسلامية ومستقبلها ، فقد تغنوا في فخرهم الشعري بنضالها في سبيل المسلمين ، وبإخلاصها للجماعة الإسلامية والخليفة الإسلامي ، ولا ننكر في هذا ما بدا في قصائدهم الفخرية من عناصر الفخر الجاهلية الضعيفة الضعيلة . وإنما الفخر في عمومهم ومجموعه الكلي إسلامي متطور ، كما يقول الدكتور حسين عطوان (١) .

ولا شك كما يقول من له إلمام بالأدب في خراسان الأفغانية ، في أن شعراء القيسية والمضرية لهم أكثر القصائد الفخرية ، وقد أعطوا بذلك القصيدة الفخرية في خراسان مضمونها الإسلامي الجديد بعد أن أحسوا إحساسا عميقا أنهم يعيشون لأنفسهم ، ولقبائلهم داخل الأمة الإسلامية ، وأحسوا أن الجماعة العربية صارت جزءا من الأمة الإسلامية ، وأن كل قبيلة من القبائل العربية في خراسان أشبه بلواء عسكري في الجيش الإسلامي الذي يغزو أقاليم مختلفة من خراسان في سبيل مجد الإسلام وإعلاء كلمته ، وهي حروب ليس للنسب أو الحسب فيها أى شئ يذكر ، وإنما القيمة الحقيقية فيها للقتال ، والاستبسال ، والصمود ، والشجاعة والإقدام والانتصار ، والتفاني في الدفاع عن الإسلام تحت لوائه الذي لا يفرق بين قبيلة وقبيلة أو بين عربى وعجمي . ولأجل ذلك كله فقد صَفَتْ هذه الحروب الإسلامية الدائمة الضاربة نفوس شعراء القيسية ، والمضرية ، ونفوس جنودها من رواشب الفخر الجاهلي ، وهذه الحروب هي التي فتحت أمام الشعراء ، وقبائلهم ، وجنودها آفاقا جديدة فسيحة للفخر والتمجد والاعتزاز ، وهي آفاق الاعتداد بمصارعة أعداء الإسلام ، وأعداء العقيدة الإسلامية السمحاء والثبات في سبيل الدفاع عن المبادئ الإسلامية ، والثبات في ميدان التضحية والفداء بكل غال ونفيس ، وهي آفاق التمجيد والفخر بما يحرزه الجندي وأفراد لوائه من نصر عزيز للجماعة الإسلامية لا للجماعة العربية ، فكان الشاعر العربي في خراسان في هذه المدة من التاريخ الأفغاني يفتخر في شعره وفنه بالجهاد من أجل الأمة الإسلامية لا من أجل القبيلة ، ويحرص على تجنب الأمة الإسلامية الأخطار والدمار ، وإن تمدح بقبيلته لتسابقها مع سواها من القبائل العربية إلى الإمارة والولاية ، فإنه كان يتمدح بدفاع فرسانها عن وجود المسلمين العرب في خراسان

(١) الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي ٢١٢ - ٢٢٠ ، الطبعة الأولى ، بيروت سنة ١٩٧٤ م .

وما قاموا به من أعمال عظيمة ، وأفعال مجيدة ، وما حققوه من فتوحات هائلة خالدة ، نفعت جميع المسلمين من العرب وغيرهم ، ورفعت مكانتهم بين الأمم . ومهما ضاقت دائرة الفخر والتعجب وبدت فيها بعض مظاهر الفردية ، أو القبلية أو العصبية ، أو القومية ، فإنها لا تتحول على كل حال إلى صورة طبق الأصل للفخر الجاهلي . ومن أدق القصائد الفخرية التي تمثل الصورة الجديدة للفخر الجديد من هذا اللون هي هذه القصيدة للأصم بن الحجاج الباهلي ^(١) .

ألم يَأْنِ لِلأَحْيَاءِ أَنْ يَعْرِفُوا لَنَا	بلى نحن أَوْلَى الناس بالمجد والفخر
نَقُودُ تَمِيمًا وَالْمَوَالِي وَمَذْجَجًا	وأزْدَ وَعبدَ القَيْسِ وَالْحَيَّ مِنْ بَكْرٍ
نَقْتُلُ مَنْ شِئْنَا بَعْزَةً مُلْكِنَا	وَنَجْبِرُ مَنْ شِئْنَا عَلَى الْحَسَفِ وَالْقَهْرِ ^(٢)
سُلَيْمَانَ كَمْ مِنْ عَسْكَرٍ قَدْ حَوَّثَ لَكُمْ	أَسِئْتَنَا وَالْمُقَرِّيَاتُ ^(٣) بِنَا تَجْرَى
وَكَمْ مِنْ حَصُونٍ قَدْ أَبْجَنَّا مَنِيْعَةً	وَمِنْ بَلَدٍ سَهْلٍ وَمِنْ جَبَلٍ وَعَرٍ
وَمِنْ بَلَدٍ لَمْ يَغْزُهَا النَّاسُ قَبْلَنَا	غَزَوْنَا نَقُودُ الْخَيْلِ شَهْرًا إِلَى شَهْرٍ
مَرًّا عَلَى الْغَزْوِ الْجُرُورِ وَوُقِرَتْ	عَلَى النَّفْرِ ^(٤) حَتَّى مَآثِهَالُ مِنَ النَّفْرِ
وَحَتَّى لَوْ أَنَّ النَّارَ شُبِّتْ وَأَكْرِهَتْ	عَلَى النَّارِ خَاضَتْ فِي الْوُغَى لَهَبَ الْجَمْرِ
تَلَاعَبَ أَطْرَافُ الْأَسْنَةِ وَالْقَنَا	بِلَبَائِهَا ^(٥) وَالْمَوْتُ فِي الْجِج ^(٦) تُخْضَرُ
بِهِنَّ أَبْجَنَّا أَهْلَ كُلِّ مَدِينَةٍ	مِنْ الشَّرِكِ حَتَّى جَاوَزْتَ مَطْلَعَ الْفَجْرِ
وَلَوْ لَمْ تُعْجَلْنَا الْمَنَايَا لَجَاوَزْتَ	بِنَارِ دَمِ ذِي الْقَرْنَيْنِ ذِي الصَّخْرِ وَالْقَطْرِ
وَلَكِنْ آجَالًا قُضِينَ وَمُدَّةً	تَنَاهَى إِلَيْهَا الطَّيْبُونَ بَنُو عَمْرٍو

يفتخر الشاعر العربي الأصم بن الحجاج الباهلي في قصيدته هذه بسياسة قتبية بن مسلم الباهلي العسكرية الحازمة ، وبقيادته الصارمة ، ولهذا تدعن له كل قبائل خراسان ، لأنه كان يقوم المعوج ، ويعاقب المذنب ، فيفوز بالفتح تلو الفتح وينال الانتصار تلو الانتصار ، ويذكر الشاعر سليمان بن عبد الملك بما وفق إليه

(١) الطبري : ٥٢١/٦ ، والشعر العربي بخراسان ٢١٤ ، طبع بيروت ١٩٧٤ م .

(٢) والقهر : هكذا في الشعر العربي بخراسان ، وفي الطبري « والقهر » ، ٥٢١/٦ .

(٣) المقربات من الخيل : هي التي تدنى وتكرم وتسان للغزو .

(٤) وقِرَتْ على النفر : وطُنَّت عليه وصلَّبت .

(٥) اللبات : جمع لبة وهي وسط الصدر والمنخر .

(٦) اللجج : جمع لجة وهي معظم كل شيء .

قتيبة من الفتوحات في أيامه ، فلقد جعل غايته فتح البلاد وغزوها لنشر المبادئ الإسلامية ، فاجتاح البلاد ، وأباد الحيوش الجرارة ، واستولى على القلاع الحصينة في خراسان وفيما وراء النهر ، واجتاز من الأرض سهولها ، وجبالها ، وافتتح من المدن والبلدان ما لم يخطر ببال أحد أو يفكر في الإغارة عليه . وجعل همه الأول إعداد الخيول وتدريبها ، فهي لا تخاف المهالك ، ولا تبالي بالردى والهلاك حتى إنها لو أريدت على النار المستعرة لاقتحمتها اقتحاما ، ولاحتملت وقع الرماح بنحورها وأعناقها احتمالا ، دون أن تحيد عنها ، أو تخاف منها . فبهذه الخيول المدربة استباح جنود قتيبة حصون الأعداء ، وهزمهم ، ولو طال به العمر لبلغ مطلع الشمس .

فالشاعر العربي الأصم بن الحجاج الباهلي لم يفاخر في هذه القصيدة بأصل قتيبة العربي ، ولا بماضى قبيلته المجيد ، وإنما فاخر القبائل كلها ، وطاول الخليفة سليمان نفسه ، بإدارته الحكيمة ، وفتوحاته العظيمة ، مما كان فيه الخير ، والقوة للمسلمين جميعا ، الأمر الذى جعله أهلا لأن يكون بطلا مغوارا من الأبطال الخالدين على مر الدهور ، والقرون ، والأجيال ، والسنين .

مثال آخر للفخر الإسلامى ، أو للفخر الجديد بالمعنى الجديد هو قول نصر ابن سيار ، استمع إليه وهو يتمدح ببطولته في معركة الشَّعْبِ فيما وراء النهر تمدحا ويفتخر بأعماله البطولية الرائعة افتخارا يقول في امتداحه وافتخاره ، لولا دوره البطولى ، فى صد الأعداء والوقوف أمامهم لفنوا الجيش الإسلامى العربى كله ، وهو يعتمد فى مجابهة الذين اهتضموا دوره الكبير فى هذه المعركة القاسية على قتاله الباسل البطولى ، حيث انكسرت عزائم الجنود المسلمين من العرب ، وولوا الأدبار إلى نساءهم وأمتعتهم دون أن يمنعهم عن الفرار المشثوم من ميدان الحرب والقتال مانع التفكير فى المصير ، أو فى مستقبلهم ومستقبل غيرهم ، أو يرغبهم فى الجهاد ، والاستشهاد ، والفداء ، والتضحية عزة فى هذه الدنيا ، أو ثواب فى تلك الآخرة ، ولكنه هو قد أدى دوره وقام بواجبه البطولى فى هذه المعركة المصيرية . استمع إليه حيث يقول ^(١) فى قصيدته الفخرية :

(١) الطبرى : ٨٠/٧ . وابن الأثير : ١٧٠/٥ ، والشعر العربى : ص ٢١٩ .

إني نشأت وحسادى ذوؤ عددٍ . ياذا المعارج لا تُنقصْ لهم عبدا
 إن تحسدوني على حسن البلاء لكم يوما فمثل بلائى جرّ لي الحسدا
 يأبى الإله الذى أعلى بقدرته كعبي عليكم وأعطى فوقكم عضدا^(١)
 أرمى العدو بأفراسٍ مُكَلِّمةٍ حتى اتخذن على حُسادهن يدا^(٢)
 من ذا الذى منكم فى الشَّعبِ إذ وردوا لم يتخذ حومةً الأثقال معتمدا
 فما حفظتم من الله الوصاة ولا أنتم بصبرٍ طلبتم حسنَ ما وعدّا
 ولا نهاكم عن التَّوَتَّابِ فى عتبٍ إلا العبيدُ بِضَرْبِ يكسر العمدا
 هلا شكرتم دفاعى عن جُنَيْدِكُمْ وَقَعَ القنا وشهابُ الحربِ قد وقدا
 وضربى التركَ عنكم يومَ فَرَقَكُم بالسيفِ فى الشَّعبِ حتى جاوز السندا^(٣)

صورة إسلامية واضحة أخرى للفخر الإسلامى وصوره المستحدثة فى العصر الإسلامى الأموى فى خراسان الأفغانية ليس فيه شيء من الفخر الجاهلى أبدا . لأن الفخر فى قصيدته يرتكز ارتكازا على بسالة ابن سيار ، وبطولته وحسن بلائه فى حرب الشَّعبِ فيما وراء النهر ... لعلها لا تقل دقة وصدقا ونقاوة من صورة الفخر الجديدة التى تركها لنا الشاعر العربى الأصم بن الحجاج الباهلى التى سبق الحديث عنها قبل قليل .

ولعل فى الشاهدين الذين قدمتهما تمثيلا لصورة الفخر المتطورة الجديدة فى خراسان الإسلامية ، ما يبين كيف أن الشعراء العرب فى خراسان الأفغانية اتجهوا بالفخر اتجاها جديدا ، غيروا به مضمون الفخر الجاهلى القديم ، لأنهم اعتدوا فيه بحاضر القبائل الإسلامية ، ومستقبلها ، وبمواقفها من مصلحة الأمة الإسلامية .

الرثاء :

أما الرثاء فى العصر الأموى فى خراسان فقد بثّ فيه الشعراء العرب أحزانهم وآلامهم لفقد الولاة العظام ، والشخصيات العظيمة ، أو لاستشهاد الأشقاء والأبناء والخلان ، والأحباب فى الحروب الكثيرة الكثيفة التى كانت تدور

(١) العضد : القوة والمعين .

(٢) مكلمة : مجروحة .

(٣) السند : ما قابلك من الجبل وعاد من السفح .

رحاها في أقاليم مختلفة من خراسان ، وفي جميع أنحائها المترامية الأطراف ، وقد وصفوا كذلك ما أصاب المسلمين العرب بصفة عامة ، وما حل بأهل الشهداء ، وألغوا والقتلى بصفة خاصة . وقد استطاع الشعراء العرب في خراسان في جمع ثلاثة من مطالبهم ، جمعوا فيه بين الندب والتأين ، وأضافوا إليهما العزاء ، إذ بكوا الشهداء ، والمفقودين ، والهالكين ، والموتى ، والقتلى ، وناحوا عليهم ، ودعوا بالرضوان لهم ، وعددوا فضائلهم ، وأحصوا محامدهم ، وتطرقوا إلى التعزية فيهم ، مرددين في ذلك كله العقيدة الإسلامية أن الموت قدر محتوم .

ويجب التنبيه إلى أن رثاء الولاة ، والحكام ، والأمراء ، ورثاء الأبناء ، والإخوة والخلان الذين صرعوا في الفتن الداخلية في خراسان ، أو الذين ماتوا ولاقوا حتفهم على فرشهم ، قد طغى على رثاء الشهداء الذين جادوا بأرواحهم خلال حروب فتح خراسان الأفغانية ، وهم يغيرون على بلاد ما وراء النهر ... (جيحون - آمو) . ومن أحسن ما قيل في رثاء الشهداء هذان البيتان من قصيدة طويلة للشاعر العربي كثير بن الغريزة النهشلي يطلب الرحمة فيهما للأبطال والفرسان الذين استشهدوا في الغزوات الإسلامية في خراسان مع الأقرع بن حابس التميمي في أثناء فتح الجوزجان في أفغانستان الشمالية ، وهما (١) :

سَقَى مُزْنَ^(٢) السحاب إذا استَهَلَّتْ مصارعَ فتيةٍ بالجوزجان^(٣)
إلى القصيرين من رستاقِ خُوطِ^(٤) أقادُهُمْ هناك الأقرعان

ومن أول الشعر الذي صاح به الشعراء على قتلى الحروب وصرعى المعارك الأهلية في خراسان مقطوعة للشاعر العربي موسى بن عبد الله بن خازم ، ناخ بها على أخيه محمد ، وقد أهلكه بنو تميم في (هرات) الأفغانية يقول (٥) :

(١) الطبري : ٣١٣/٤ . وفتوح البلدان : ص ٣٩٨ . وابن الأثير : ١٢٦/٣ .

وياقوت : ١٤٩/٢ . والشعر العربي : ص ٢٢١ .

(٢) المزن : جمع مزنة . وهى المطرة .

(٣) الجوزان : ولاية في أفغانستان الشمالية عاصمتها مدينة « شيرغان » وتبعد عن كابل ٥٨٦ كيلومترا .

(٤) خوط : قرية من قرى بلخ بأفغانستان الشمالية .

(٥) معجم الشعراء ص ٢٨٧ - والشعر العربي : ص ٢٢١ .

ذكرت أخى والخُلُو^(١) مما أصابني يَغِطُ^(٢) ولا يدري بما فى الجوانح^(٣)
دعته المنايا فاستجاب دعاءها وأرغم أنفى للعدو المكاشح^(٤)
فلو ناله المقدار فى يوم غارة صبرت ولم أجزع لنوح النوائح
ولكن أسباب المنايا صرعه كرما مُحْيَاهُ عريض المنازح^(٥)
بكف امرئ كز قصير لنجاده خبيث نثاه عِرْضُهُ للفضائح^(٦)

إنه ملتانع النفس ، موجع القلب ، لأن بنى تميم سفكوا دم أخيه هدرا ، وفى نظره ورأيه أنه لو خر صريعا فى ميدان الحرب لكان فى صرعه فى ميدان الحرب ما يعزيه عنه ، وما يخفف مصابه فيه ، ولكن الذى يؤذيه أنهم قتلوه غدرا ، ففقد بذلك شقة نفسه ، وأهنت كرامته ، ووهنت قوته ، وأذعن لخصومه الذين يخفون عداوتهم له ، ولا يظهرونها جهرا ، ومما زاد من هول الكارثة أن من اغتال أخاه الجرى ، شخص لثيم بخيل ، قصير ، ناقص الخلقة ، فاسد السيرة .

ومثل مقطوعة موسى بن عبدالله بن خازم ، وأبياته فى حرارتها وصدقها وتصويرها مقطوعة للشاعر العربى عبدالرحمن بن جمانة الباهلى فى رثاء قتيبة بن مسلم الباهلى ، فكلاهما فجع فى إنسان تربطه به روابط الدم والقرباه ، بل إن أبيات ابن جمانة الباهلى لتفوق أبيات ابن خازم شجا وحزنا لأنه نكب فى قريب له ، وبطل من أبطال الإسلام له تاريخه ، وفى رجل كان رئيس قبيلته ، يقول^(٧) :

كأن أبا حفص قتيبة لم يسير بجيش إلى جيش ولم يعل منبرا
ولم تحفق الرايات والقوم حوله وقوف ولم يشهدله الناس عسكرا
دعته المنايا فاستجاب لربه وراح إلى الجنات عفا مطهرا
فما رزى الإسلام بعد محمد بمثل أبى حفص فبكيه عبرا

(١) الخلو : الفارغ .

(٢) غط فى نومه : نحر .

(٣) الجوانح : أوائل الضلوح تحت التراب مما يلي الصدر .

(٤) المكاشح : العدو الذى يضمر عداوته ويطوى عليها كشحه أى باطنه .

(٥) عريض المنازح : بعيد الضرب فى الأرض .

(٦) الكز : البخيل الذى لا ينبسط وجهه .

(٧) الطبرى : ٥٢١/٦ ونقائض جرير والفرزدق ٣٦٣/١ . والشعر العربى : ص ٢٢٢

فقد احترق قلبه حزنا ، واشتد ذهوله من شدة الصدمة بعد اغتيال قتبية ، ولم يصدق ، وهو في هذه الحالة من الصدمة والذهول ، أن ذلك القائد العظيم ، والخطيب المهيب توارى تحت التراب ، لا حياة ، ولا حول له ولا قوة ، حتى تصور من شدة إحساسه بالفاجعة أنه أكبر شخصية فقدتها المسلمون بعد الرسول ﷺ ، ولكنه تنبه وصحا من سكرته ، فقد لى قتبية نداء ربه ، وانتقل من الحياة الدنيا إلى الجنات لينزل مع الأبرار جزاء جهاده في سبيل الله .

وعندما قتل ابن نصر بن سيار في الحرب الأهلية بين اليمنية والمضرية في (مرو الشاهجان) خارت قوى أبيه نصر بن سيار ، ولم يعد به طاقة على التصبر ، والتجملد ، وهو الشيخ الحليم الصبور الوقور ، ولكن ما سلاه عنه بعض التسلية أنه قتل قتلة مشرفة يتمناها غيره من الشبان ، إذ مات في ساحة الوغى ، وفي ميدان القتال ، ولم يغمد سيفه إلا بعد مقاومة قام بها حتى آخر رمق ، انتصارا للخليفة ، وحماية لعرضه ، وسرعان ما تماسك نصر بن سيار ، وصبر صبورا جميلا ، وعاد يعلن أنه الكهل الأصيل الحمول ، وأنه كالأسد المتوحش إذا جرح حيي أنفه ، وشمخ برأسه ، وزادته الجراح قوة ، واستجمع عزيمته ليثب على خصمه ، ويثأر لنفسه ... فلنتركه لنستمع إلى صرخته المدوية في وفاة ابنه تميم في الحرب الأهلية بين اليمنية والمضرية في خراسان الأفغانية ... يقول (١) :

نَفَى عَنِّي الْعَزَاءَ وَكُنْتُ جَلْدًا غَدَاةَ جَلَى الْفَوَارِسُ عَنْ تَمِيمٍ
وَمَا قَصُرْتُ يَدَاهُ عَنِ الْأَعَادَى وَلَا أَضْحَى بِمَنْزِلَةِ اللَّثِيمِ
وَفَاءَ لِلْخَلِيفَةِ وَابْتِذَالًا لِمُهْجَتِهِ يَدَافِعُ عَنْ حَرِيمِ
فَمَنْ يَكُ سَائِلًا عَنِّي فَإِنِّي أَنَا الشَّيْخُ الْغَضَنَفَرُ (٢) ذَوَالْكَلِيمِ (٣)
نَمَتْنِي مِنْ خَزِيمَةٍ بِأَذْخَاتٍ بِوَأَسْقُ يَنْتَمِينَ إِلَى صَمِيمِ

مات المهلب بن أبي صفرة في (مرو الروذ) في أفغانستان ، وهو في طريقه من ما وراء النهر إلى (مرو الشاهجان) فقام بتأبينه الشاعر نهار بن توسعة

(١) الدينورى ٣٥٥ ، والشعر العربى بخراسان ٢٢٣ ، طبع بيروت سنة ١٩٧٤ م .

(٢) الغضنفر : الأسد غليظ الخلق متغنضة .

(٣) الكلبي : الأسد إذا طعن هاج .

البكرى تأيينا مؤثرا بقوله (١) :

أَلَا ذَهَبَ الْغَزْوُ الْمُقَرَّبُ لِلْغِنَى (٢)
أَقَامَا بَمَرِ الرُّوْذِ رَهْنَى ضَرْجِهِ
إِذَا قِيلَ أَيْ النَّاسِ أُولَى بِنِعْمَةٍ
أَبَاحَ لَنَا سَهْلَ الْبِلَادِ وَحَزْنَهَا
يُعْرِضُهَا لِلطَّعْنِ حَتَّى كَأَنَّمَا
تُطَيَّفُ بِهِ قَحْطَانٌ قَدْ عُصِّبَ بِهِ
وَحْيَا مَعْدٌ عُوْذٌ بِلَوَائِهِ
وَمَاتَ النَّدَى وَالْجُودُ بَعْدَ الْمَهْلَبِ
وَقَدْ غَيَّبَا عَنْ كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرَبٍ (٣)
عَلَى النَّاسِ ؟ قَلْنَاهُ (٤) وَلَمْ تَنْهَيْبٍ (٥)
بِخَيْلٍ كَأَرْسَالٍ (٦) الْقَطَا الْمَتَشَرَّبِ
يُجَلِّلُهَا بِالْأَرْجُوَانِ (٧) الْمَخْضَبِ
وَأَحْلَافُهَا مِنْ حَيٍّ بِكَرٍ وَتَغْلِبِ
يُقْدُونَهُ بِالنَّفْسِ وَالْأَمِّ وَالْأَبِ

فقد تعطلت الغارات بوفاته ، وهو الذى أفنى عمره فى الغارات حتى نال انتصارات باهرة ، وفتح فتوحات كثيرة ، واحتل المدن والبدان ، والأقاليم بطوائف الأفراس فى نواحي مختلفة ، فرسانها لاتخاف الطعن ، ولا تخشى الرماح ، تتقدم نحو الأعداء ، وترجع سالمة ، وعليها آثار دماء الأعداء ، تصبغ أجسادها ، ليس هذا فحسب ، فقد انطوى الكرم ، والمعروف بانطوائه وانتهائه ، وأفل من سماء المسلمين نجم كان يضىء لهم الطريق ، وكان ملاذ الأزد ، وملاذ حلفائهم ، من بكر ، وتغلب ، كما كان ملجأ مضر وقيس . والمبالغة فى نعيه ، والإطراء عليه ينبثقان من التحيز لأن الشاعر حليف الأزد ، ولأن المهلب بن أوى صفة ليست له انتصارات عسكرية عظيمة .

وهذا شاعر آخر من الشعراء العرب يرثى زعيما آخر من الزعماء العرب الشاعر هو سودة بن عبد الله السلولى ، وموضوع رثائه هو هبيرة بن مُشَمَّرَج

(١) الطبرى : ٣٥٥/٦ ، وابن الأثير : ٨٤/٤ ، وفيات الأعيان : ٤٣٥/٤ ، والشعر العربى بخراسان ٢٢٣ .

(٢) فى ابن الأثير : (ألا ذهب المعروف والغزو والغنى) ٨٤/٤ طبع بيروت ١٩٧٤ م .

(٣) فى ابن الأثير : (على الناس قلنا هو ولم تنهيب) ٨٤/٤ ، طبع بيروت ١٩٧٤ م .

(٤) قلناه : أوى قلنا هو .

(٥) فى ابن الأثير (على الناس قلنا هو ولم تنهيب) . ٨٤/٤ ، طبع بيروت ١٩٧٤ م .

(٦) الأرسال : جمع رسل ، أى قطيع بعد قطيع .

(٧) الأرجوان : صبغ أحمر شديد الحمرة .

الكلابي الذي مات وهو في الطريق إلى دمشق موفدا من قبل قتيبة إلى الوليد بن عبد الملك بعد أن عاد من الصين ، وهو في ذلك يقول (١) :

لله قبر هيرة بن مُشَمَّرَج	ماذا تضمن من ندى وجمال
وبديهة يَعْيَا بها أبنائها	عند احتفال مشاهير الأقوال
كان الربيع إذا السنون تنابت	والليث عند تكعكع الأبطال (٢)
فسقت بقربة حيث أمسى قبره	غر يُرْحَن بِمُسْبِلِ هطال
بَكَتِ الجيادُ الصافنات (٣) لموته	وبكاه كل مثقف (٤) عسالي (٥)
وبكته شعث (٦) لم يجدن مواسيا	في العام ذى السنوات والأحالي (٧)

شاعرنا العربي سودة بن عبد الله السلولي يبكي في رثائه حسنه ، وفصاحته وإنسانيته ، وشجاعته ، وجراته ، ويستسقى لقبره ، تألم لوفاته كل النساء الفقيرات اللاتي كان يعطف عليهن في الضائقات وعند الشدائد ، وشاركت في الحزن والألم ، والمأتم الخيول التي كان يركبها ويغزو بها ، والرماح التي كان يستخدمها في الحروب والمعارك ، فإذا هي تسكب الدموع حزنا عليه وحسرة لفراقه ، وإجلالا لذكراه الجميل .

ومات أسد بن عبد الله القسري بقرية من قرى بلخ بأفغانستان الشمالية فرثاه ابن عرس العبدى رثاء استسلم فيه للقضاء ، وأذعن للقدر المحتوم ، لأنه عاجز عن التجلد على الفجعة بأسد بن عبد الله القسري ، لكبر الخسارة ، ولذلك فإنه يبكيه ، ويعول في البكاء عليه ، بل على خلاله النبيلة من الإباء والمضاء ، والجلود ، والكرم ، والعطف ، والإحسان ، والنخوة ، والمروعة . استمع إليه وهو يقول (٨) :

(١) الطبري : ٥٠٣/٦ . ابن الأثير : ٧/٥ . والشعر العربي : ص ٢٢٥ .

(٢) تكعكع الأبطال : جبتهم واحجامهم .

(٣) الصافنات : جمع صافن ، وهو الخيل القائم على ثلاث ، وقد أقام الرابع على طرف الخافر .

(٤) المثقف : المقوم المصقول .

(٥) العسالي : الرمح اللدن المضطرب .

(٦) الشعث : مغرة الشعور .

(٧) الأحمال : جمع محل ، وهو الشدة والجوع .

(٨) الطبري : ١٤١/٧ ، وابن الأثير : ٢٣٤/٤ ، والشعر العربي بخراسان ٢٢٦ .

نَعَى أَسَدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ نَاعٍ فَرِيعَ الْقَلْبِ لِلْمَلِكِ الْمَطَاعِ
يَبْلُغُ وَافِقَ الْمَقْدَارِ يُسْرَى وَمَا لِقَضَاءِ رَبِّكَ مِنْ دِفَاعِ
فَجُودِي عَيْنُ بِالْعَبْرَاتِ سَحَا أَلَمْ يَحْزَنْكَ تَفْرِيقُ الْجَمَاعِ
أَتَاهُ جِمَامُهُ فِي جَوْفِ صَيْغِ (١) وَكَمْ بِالصَيْغِ مِنْ بَطْلٍ شَجَاعِ
كَتَائِبُ قَدْ يَجِيبُونَ الْمَنَادَى عَلَى جُرْدِ (٢) مَسُومَةٍ (٣) سَرَاعِ
سُقِيتَ الْغَيْثَ إِنَّكَ كُنْتَ غَيْثًا مَرِيحًا (٤) عِنْدَ مَرْتَادِ النِّجَاعِ

وكان سليمان بن قتته مولى بنى تميم بن مرة القرشيين ، صديقا حميما لأسد بن عبد الله القسري ، فقام بدوره برثائه رثاء حارا تحرق فيه عليه ، واستسقى الرحمة لقيره ، وأشاد به كثيرا ، لأن أسد القسري كان في نظره ورأيه حاميا لهم ، قائما بأمورهم ، حاملا لهمومهم ، ساعيا لانتزاع حقوقهم ، آخذا بثأرهم ، وكان فارسهم المشهور ، يقول (٥) في رثائه مستثقيا الرحمة الإلهية لقيره في بلخنا التاريخية العتيقة :

سَقَى اللَّهُ بِلَخًا سَهْلًا وَحَزْنَهَا (٦) وَمَرَوَى خِرَاسَانَ السَّحَابِ الْمُجَمَّمَا (٧)
وَمَائِي لِنُسْقَاهُ وَلَكِنْ خُفْرَةً بِهَا غَيَّبُوا شِلْوًا (٨) كَرِيمًا
مُرَاجِمَ (٩) أَقْوَامٍ وَمُرْدَى عَظِيمَةٍ وَطَلَّابَ أَوْتَارٍ عَفْرُنًا (١٠) عَنَمَمًا (١١)
لَقَدْ كَانَ يَعْطِي السَّيْفَ فِي الرُّوْعِ حَقَّهُ وَيُرْوِي السِّنَانَ الزَّاعِبِي (١٢) الْمُقَوَّمَا

- (١) صيغ : فاحية من نواحي خراسان ، كان بها ملك أسد القسري . .
(٢) المجرد من الخيل : القصصات الشعر ، وذلك من علامات العنق والكرم .
(٣) المسومة : المعلمة .
(٤) المريع : الخصب .
(٥) الطبرى : ١٤١/٧ طبعة ثانية دار المعارف بمصر - والشعر العربي بخراسان ٢٢٧ .
(٦) الحزن : من الأرض ما غلظ ، ومن الدواب ما صعب رياضته ، ومن الناس من خشنت معاملته ، والجمع حزون .
(٧) المجمم : الكثير .
(٨) الشلو : الجلد أو الجسد .
(٩) مراجم : الرجم القتل ، وراجم عن قومه ناضل عنهم .
(١٠) العفرى : الداهية النافذة في الأمر المبالغ فيه مع خبث .
(١١) العنتم : الأسد القوى الطويل في غلظه .
(١٢) الزاعبي : الرمح اللين إذا هزّ تدافع كله كأن آخره يجرى في مقدمه ، وفي الطبرى : (الزاعبي) ١٤١/٧ .

وتتضح من نصوص الرثاء السابقة ظاهرتان هامتان : الظاهرة الأولى .. أن الشعراء العرب في خراسان لم يبتدعوا معاني جديدة في الرثاء ، كما فعلوا ذلك في الفخر وغيره ، حتى لم يعدلوا في أسلوبه أى تعديل أو تبديل ، وإنما احتذوا فيه بالمرثية الجاهلية الموروثة أدق الاحتذاء ، بحيث أبدأوا وأعادوا في معانيها ، وقولها التعبيرية ، والتصويرية ، وهم يندبون ، أو يؤبنون ، أو يعزون ^(١) .

والظاهرة الثانية ^(٢) أن الشعراء العرب في خراسان الأفغانية في العصر الأموى لم يقوموا بالرثاء إلا لذوى القرى من الإخوة والأولاد ، كذلك لم يقوموا بالرثاء إلا للعمال والولاة والحكام الذين يحاربونهم ويمالئون قبائلهم ، وهذا أمر بين واضح في رثاء موسى بن عبدالله بن خازم لأخيه محمد ، وفي رثاء نصر بن سيار لابنه تميم ، وفي رثاء عبدالرحمن بن جمانة الباهلى لقتيبة بن مسلم الباهلى ، وفي رثاء نهار بن توسعة البكرى للمهلب بن أئى صفرة الأزدى ، وفي رثاء سودة بن عبدالله السلولى القيسى لهيرة بن مشمرج الكلانى القيسى ، وفي رثاء ابن عرس العبدى لأسد بن عبدالله القسرى البجلي اليمنى ، ولم يخرج على ذلك فيما مثلت به من نماذج الرثاء إلا سليمان بن قتة الذى رثى أسد بن عبدالله القسرى ، ويرجع ذلك إلى الصداقة التى كانت بين الشاعر والوالى ، وما ناله من الهبات ، والصلات والعطايا ، الأمر الذى يدل على عصبية الشعراء العرب ، وهو مرض اجتماعى كان متفشيا بين جميع الطبقات ، والبيعات ، والقبائل العربية في خراسان الأفغانية .

الهجاء وأنواعه :

يتعدد الشيء وأنواعه لتعدد أسبابه هذا ما تم بالنسبة لفن الهجاء في خراسان تعددت أنواعه وفقا لتنوع أسبابه وغاياته . فنوع من الهجاء سلطه الشعراء العرب في خراسان على الولاة والحكام والأمراء المترددين المتهاوتين الضعفاء الذين يقدمون على غزو إقليم من أقاليم خراسان ثم يعودون ، ويرجعون منه منهزمين مدحورين ، وكان الشعراء العرب في أفغانستان الخراسانية يراقبون معاركهم العسكرية ،

(١) الدكتور شوق ضيف : الرثاء ١٢ ، ٥٤ ، ٨٦ . والشعر العربى بخراسان ٢٢٧ .

(٢) الشعر العربى بخراسان فى العصر الأموى ٢٢٧ ، طبع بيروت ١٩٧٤ م .

ونتائج العمليات الحربية التي كانوا يقومون بها ، فإذا نجحوا فيها احترموهم ، وإذا فشلوا فيها صبوا عليهم جام غضبهم ، معيرين لهم ، ومشهرين بهم ، وفي الأغلب أن الشعراء كانوا يقصدون بهجائهم تحقيق هدفين الأول الخط من قيمة المهجويين ، والثاني استشارة عواطفهم ، ومشاعرهم الإسلامية ، ليعملوا للانتصار في المعارك القادمة اللاحقة ، وليكون هجأؤهم عبرة للولاة والحكام ، والقادة في المستقبل .

في سنة ٧٧ هـ - ٦٩٦ م أعد أمية بن عبدالله العدة للقتال فيما وراء نهر (جيحون - آمو) فلم يفلح في غزوه فلاحا كبيرا لسببين الأول لعجزه وتحاذله ، والثاني لانشغاله بإخماد فتن بكير بن رشاح التميمي في (مرو الشاهجان) ولما تمكن من إعدام بكير التميمي ، هدد الشاعر عقاب^(١) اللقوة الفدائي التميمي حيث كان من أنصار بكير ومشجعيه ومحرضيه على الثورة ، فهجاه عقاب هجاء فاحشا ، عرض به لانزاهه في البحرين أمام أئى فديك الخارجى قبل ولايته في خراسان ، وتحاذله في مجابهة قبائل الصفد فيما وراء النهر ، وتحاذله في مكافحه موسى بن عبدالله بن خازم السلمى ، وتنمره على العرب المسلمين ، وتحكمه في رقابهم ، وحذره من تهديده له ، معلنا أنه إذا استمر فيه فإنه سيقوم إليه جيشا عربيا ضخما يودى به ويهلكه .. يقول^(٢) :

إن الحواضن^(٣) تلقاها مُجَفَّفَةً^(٤) غَلَبَ الرقاب على المنسوبة النُجُب
تركتَ أمركَ مِنْ جُبْنٍ وَمِنْ خَوَرٍ وَجِئْنَا حُمُقًا^(٥) يَا قَوْمَ الْعَرَبِ
لَمَّا رَأَيْتَ جِبَالَ الصَّغْدِ مُعْرَضَةً وَلَيْتَ مُوسَى وَنُوحًا عُكُوءَ الذَّنَبِ^(٦)

(١) في الطبرى ٣١٣/٦ . وفي معجم الشعراء ص ١٠٦ : عتاب اللقوة . وفي معجم الشعراء : العدوانى بدل الفدائي . والتصويب من الاشتقاق لابن دريد ص ٢٣٠ .

(٢) الطبرى : ٣١٣/٦ ، ومعجم الشعراء ١٠٦ ، والشعر العربى بخراسان ١٩٩ .

(٣) الحواضن : جمع حاضنة وهى الدجاجة ، لأن أمية قال : وهل عقاب إلا دجاجة حاضنة (انظر الطبرى : ٣١٣/٦) والحاضنة التى تربي الطفل .

(٤) المجففة : التى ليس فى ثديها حليب .

(٥) حمقا : الحمق قلة العقل ، وفي معجم الشعراء : جمعا .

(٦) عكوة الذنب : أصله ومعظمه .

وجئت ذنخاً^(١) مُغِذاً^(٢) ما تكلمنا وطرت من سَعَفِ الْبَحْرَيْنِ كَالْخَرْبِ^(٣)
أُوْعِدَ وَعَيْدِكَ إِنِّي سَوْفَ تَعْرِفُنِي تَحْتَ الْخَوَافِقِ^(٤) دُونَ الْعَارِضِ^(٥) اللَّجْبِ^(٦)
يَحْبُ^(٧) بِي مَشْرِقُ عَارٍ نَوَاهِقُهُ^(٨) يَعْشَى الْكَتِيئَةَ بَيْنَ الْعَدُوِّ وَالْحَبِّبِ

وفي سنة ٧٧ هـ - ٦٩٦ م أيضا عبر أمية بن عبدالله نهر (جيحون - آمو) إلى بلاد الصغد ، فلم ينجح أيضا حيث حوَصر جيشه وجهد ، وأشرف جنوده على الموت والهلاك ، فانصرف بهم إلى (مرو الشاهجان) فآرا هاربا ، فهجاه الشاعر العري عبد الرحمن بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة هجاء مرا بهذه المقطوعة الهجائية الشعرية ، فوخزه به وخزا لأنه استهان به وحقره ، حتى إنه لم يجد فائدة في مراجعته ولومه ، يقول^(٩) :

أَلَا أَبْلُغُ أُمِيَّةَ أَنْ سِيُجْزَى ثَوَابَ الشَّرِّ إِنَّ لَهُ ثَوَابًا
وَمَنْ يَنْظُرُ عِتَابَكَ أَوْ يُرِدُّهُ فَلَسْتُ يَنْظُرُ مِنْكَ الْعِتَابَا
مَحَا الْمَعْرُوفَ مِنْكَ خِلَالَ سُوءٍ مُنَحْتُ صَنِيعَهَا بَاباً فَبَابَا
وَمَنْ سَمَاكَ إِذْ قَسَمَ الْأَسَامِي أُمِيَّةَ إِذْ وُلِدْتُ فَقَدْ أَصَابَا

هذا نوع من الهجاء ، ونوع ثان منه كانت بواعثه وأسبابه وأهدافه شخصية ، كأن يقطع أحد الولاة عهدا على نفسه لشاعر من الشعراء ثم ينقضه ، ويغدر به ، فحيثئذ ينقض الشاعر على الوالى انقضاضا ، ويسلبه كل فضيلة يتغنى بها العري ، وينسب إليه كل رزية ، انتقاما منه ، ومثال ذلك أن أبا السفاح عمر بن قرثع التغلبي راود امرأة لأمية بن عبدالله فجعله أمية ، فهجاه أبو السفاح

(١) الذئح : ذكر الضباع كثير الشعر .

(٢) مغذا : المغذ المسرع .

(٣) الخرب : مصدر الأخرَب وهو العبد المنقوب الأذن . وفي معجم الشعراء : كالجرِب .

(٤) الخوافق : السيوف .

(٥) العارض : الجيش الذي يسد الأفق لكثرة .

(٦) اللجب : الذي له صوت وصياح وجلبة .

(٧) يحب : يعدو .

(٨) النواقي : الناهقان عظماء باززان في وجه الفرس أسفل من عينيه ، وفي معجم الشعراء : (أقود

مستشرفا عار نواهقة) .

(٩) الطبرى : ٣١٧/٦ ، والشعر العري بخراسان ٢٠٠ .

ووصفه بالعبودية والخسة والجبن ، فغضب أمية عليه ، فاستخفى أبوالسفاح منه حتى عزل أمية ، وقدم المهلب بن أبي صفرة ، فأمنه ، فظهر فقتله مولى لأمية ، ولم يطالب المهلب بدمه ، فكان ذلك مدعاة لهجاء عمرو بن عمرو بن قرثع المهلب وابنه يزيد ، وكان هجاء خبيثا ، شنع فيه على المهالبة كلهم تشنيعا مقذعا ، منه قوله في المهلب^(١) :

فَهَلَّا مَنَعْتَ الْيَوْمَ مِنْ قَدْ أَجْرَتُهُ	وَلَمْ يُنَسَ لِحِمَا بَيْنَهُمْ يَتَمَزَعُ
أَعْطَيْتَهُ الْمِشَاقَ ثُمَّ خَذَلْتَهُ	وَكُنْتَ لَيْمًا مِنْ خِيَالِكَ تَقْرَعُ
فَلَا تَذْكُرُنْ فَخْرًا فَلَسْتَ بِأَهْلِهِ	وَجَارُكَ ثَاوٍ عَرْشُهُ يَتَضَعُضِعُ
فَلَوْ كُنْتَ حَرًّا يَامَهْلُبُ لَمْ تَكُنْ	ذَلِيلًا وَفِي كَفَيْكَ عَضْبُ مَوْقِعٍ ^(٢)
وَلَكِنْ أَيْ قَلْبٍ أُطِيرَتْ بَنَاتُهُ	عَلَيْكَ فَمَا تَخْزِي وَلَا تَقْتَعُ
تَجَلَّلْتَ عَارًا يَامَهْلُبُ فَاتَمَسْ	لِنَفْسِكَ عَذْرًا وَالْعُدُورُ مُجَدَّعُ
غَدَرْتَ أَبَاالسَّفَاحِ عَمْرُو بْنُ قَرْتَعٍ	وَأَسْلَمْتَهُ لِمَا بَدَا الْمَوْتُ يُلْمَعُ
وَلَوْ مَتَّ دُونَ التَّغْلَبِيِّ حَفِيزَةً	لَقُلْنَا كَرِيمٌ جَارُهُ مَا يَرُوعُ

فقد جرد المهلب من كل صفة حميدة ، عراه من الوفاء ، وجعله عاهرا ، أظهر لؤمه ، لأنه لم يمنع جاره من الموت ، وأظهر تخاذله ، لأنه لم يطلب بدم جاره بعد قتله ، وأثبت بأنه لا يقبل له عذره مهما اعتذر ، ولن يمحو ذلك ما لحقه من الخزي والعار ، لأن هناك فرقا بين المقصر والمدافع . وعلى هذا النحو مضى ابن قرثع يتصرف في هجاء المهلب ، وابنه حتى فضحهما فضحا عظيما . إذ يقول ليزيد بن المهلب^(٣) :

أَنْتَ كَرُّ الْيَدَيْنِ مُنْتَحَبٌ^(٤) الْقَلْبُ بِ لَيْمٍ الْفَعَالِ غَيْرِ نُضَارٍ^(٥) .
وَأَبُوكَ الَّذِي تَضَافُ إِلَيْهِ عاجز الرأى زنده غير وارى

(١) معجم الشعراء : ص ٥٠ والشعر العربي بخراسان ٢٠١ .

(٢) العضب الموقع : السيف المحدد المسنون .

(٣) معجم الشعراء : ص ٥٠ والشعر العربي في خراسان : ص ٢٠٢ .

(٤) منتخب القلب : جبار .

(٥) النضار : اسم للذهب .

لستما فاعلماً إذا - القوم نادوا لنزال وبارزوا في الفسار^(١)
بصبورين حين تحتدّم الحرب ولا سابقين في المضمار^(٢)
ويقول له :

جذك يرعى غنما حزّتها فأنعم ولا تشقّ أبا خالد
ونم على فرشك مستضعفا لأشهدنّ يوماً مع الشاهد

فقد نفى في المقطوعة الثانية الكرم وقيّمته عن المهلب وابنه يزيد ، ووصفهما بالبخل ، والدناة ، والتخلف عن غايات العظماء . وفي المقطوعة الثالثة وصف ابن المهلب بوضاعة مكانته الاجتماعية وجعله معنيا برعاية الأغنام .

نوع ثالث من الهجاء كان سائدا في خراسان الأفغانية بين شعراء العربية ، دوافعه ، ومقاصده ، وأسبابه ، وأهدافه قبلية أو حزبية ، ومن الشواهد على ذلك الهجاء الذى تقاذف به كعب الأشقرى ، وزباد الأعجم ، بسبب شر وقع بين الأزد وعبد القيس ، وحرب سكنها المهلب وأصلح بينهم . ومنه قول كعب الأشقرى يهجو عبد القيس بالخمول ، ويتصل من انتسابه إليها عن طريق أمه^(٣) :

إنى وإن كنت فرع الأزد قد علموا أخزى إذا قيل عبد القيس أخوالى
فهم أبو مالك بالمجد شرفنى ودنس العبد عبد القيس سربالى

فقام بالرد عليه زياد الأعجم ، وفند أقواله وألصق بالأزد جميع العيوب التى ألصقها بعبد القيس يقول^(٤) :

نُبِّئتُ أشقر تهجوننا فقلتُ لهم ما كنت أحسبهم كانوا ولا خُلِقُوا
لا يكثرُونَ وإن طالت حياتهم ولو يبول عليهم ثعلبٌ غرقُوا
قوم من الحسب الأدنى بمنزلة كالفقع^(٥) بالقاع لا أصل ولا ورق

(١) الفرار : حد السيف .

(٢) المضمار : غاية الفرس في السباق .

(٣) الأغاني (طبعة دار الكتاب) ٢٨٧/١٤ والشعر العربى : ص ٢٠٧ .

(٤) الأغاني : ٢٨٧/١٤ - والشعر العربى : ص ٢٠٨ .

(٥) الفقع : نوع من الكماء يطلع من الأرض ، فيظهر أبيض ، وهو ردىء سريع الفساد ، والجديد ماحفر عنه واستخرج . ويشبه الرجل الدليل بالفقع .

إن الأشاقر قد أضحوا بمنزلة لو يُرْهَنُونَ بِنَعْلَى عَبْدَنَا غَلَقُوا^(١).

وعلى الرغم من أن زياد الأعجم ليس عربيا أصيلا ، وإنما هو خراساني من أصل آري ، وكان هذا عيبه في اللغة العربية ، وهو موطن ضعفه الذي وجه إليه المغيرة ابن حبياء التميمي هجاءه ، من هذه الناحية ، فأصابه - في نظره - في مقتله ، وخفف من غطرسته حين اختلفا ، وتهاجيا ، ولكن زياد الأعجم هو الذي استفاد من هجائه من ناحية الأصل والنسب العربي ، فوجه هجاءه المر ، وسلطه على كعب الأشقرى ، ونفى عنه العروبة ، والأصالة العربية ، إذ راح يعيب الأزد بأنهم موال ، وأنهم أعجم أسلموا واستعربوا واستلحقوا ببعض القبائل العربية ليعرفوا بين الناس كماحدى القبائل العربية ، ويقول^(٢) :

هل تسمع الأزد ما يقال لها في ساحة الدار أم بها صَمَّمُ
اختنن القوم بعدما هَرَمُوا واستعربوا ضَلَّةً^(٣) وهم عجم

واستمر يستعلي على كعب الأشقرى بعراقة عبد القيس ، ومفاخرها الصادقة الذائعة بين الناس جميعا ، يقول^(٤) :

لئن نَصَبْتُ لى الرُّوقَيْنِ معترضا لأرمينك رميا غيرَ ترفيع^(٥)
إن المآثر والأحساب أورتني منها المجاميع^(٦) ذكرا غيرَ موضوع

والمهم في هذا التهاجى أن كلا منهما كان يؤمن بأنه يدافع ويناضل عن نفسه ، وعن قومه ، فحين شكك كعب الأشقرى ، زياد الأعجم إلى المهلب بن أبي صفرة ، فدعاه ، وعاتبه . وقال له^(٧) :

« اسمع ما قال في وفي قومي ، فإن كنت ظلمته فانتصر ، وإلا فالحجة عليه ، ولا حجة على امرئ انتصر لنفسه ، وحسبه وعشيرته ! » .

(١) غلق الرهن : استحققه المرتين ، إذا لم يفك في الوقت المشروط .

(٢) الأغاني : ٢٨٨/١٤ . والشعر العربي : ص ٢٠٨ .

(٣) ضلة : حيرة .

(٤) الأغاني : ٢٨٨/١٤ . والشعر العربي : ص ٢٠٨ .

(٥) غير ترفيع : غير سار .

(٦) المجاميع : يعنى جماعة بن مرة الحنفى ، وجماعة بن عمرو بن عبد القيس .

(٧) الأغاني : ٢٨٨/١٤ .

أسلوب الهجاء عند الشعراء في خراسان الأفغانية لا يختلف كثيرا عن أسلوب الشعراء الهجائي في العراق ، لأنهم جميعا اعتمدوا في أساليبهم الهجائية على المثالب التي اعتمد عليها شعراء الهجاء في العصر الجاهلي إذ عابوا مهجويهم لوضاعة النسب ، ودناءة الحسب ، وبشدة البخل ، وبقلة البلاء في ميادين الوغى والحروب ، وبكثرة القدر ، وبالتحلل من الموائيق والعهود ، وغيرها من العيوب الاجتماعية الجاهلية ، وإن كان بعض الشعراء العرب في خراسان قد طعنوا في عقيدة بعض مهجويهم الإسلامية ، واتهموهم بضعف العقيدة ، والتحلل من التعاليم الإسلامية ، فشأنهم في ذلك شأن شعراء العراق أيضا الذين شككوا في إسلام بعض مهجويهم ، ورموهم بفساد الدين وضعف العقيدة ، ووهن الاعتقاد في الديانة الإسلامية^(١) .

تصوير الأحوال الداخلية :

اهتم الشعراء العرب في خراسان على جميع الحوادث الكبيرة والصغيرة في أفغانستان الخراسانية وقاموا ببيان مواقف قبائلهم من هذه الحوادث التي كانت تجري في البلاد تحت بصرهم ونظرهم ، ذلك لأنهم كانوا يقظين على الأحداث الداخلية وتطوراتها التي كانت تؤثر في حياتهم ، وحياة قبائلهم وحلفائهم من القبائل ، لأن العدو كان لهم بالمرصاد للانقضاض عليهم ، والفتك بهم حيث لم يكن الإسلام قد تمكن من القلوب في أهل خراسان الأفغانية من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان العدو من الأتراك فيما وراء النهر أيضا في انتظار الفرصة للانتقام من عدوهم من العرب المسلمين . ولقد كان الشعراء العرب في خراسان يقظين على الأحداث الداخلية ، بصرين بالسياسة الأموية ، مقدرين انعكاساتها العميقة ، عارفين بتأثيراتها في الحياة ، لذلك إذا قلنا إنهم عرضوا في أشعارهم لكل المسائل الإدارية ، والشئون السياسية ، والمشاكل العصبية ، والفتن الداخلية ، لن نكون من المبالغين في ذلك لأنهم قاموا بذلك فعلا .

من المعروف تاريخيا أن الوجود العربي في خراسان لم يتوطد إلا بعد انتهاء النزاع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما على الحكم في الدولة الإسلامية وفاز

(١) الدكتور حسين عطوان - الشعر العربي بخراسان : ص ٢١١ .

معاوية بالخلافة والدولة ، وسير الولاة إلى الأمصار ، والأقاليم ، وبدأ الولاة الأمويون عملية إسكان العرب في خراسان ، وتوطينهم فيها ، وازداد بذلك عدد العرب في البلاد الخراسانية الأفغانية ، وتمكنوا من تنظيم أنفسهم تنظيماً سياسياً وعسكرياً ، وأصبح لكل من التنظيمين السياسى والعسكرى دوره المؤثر فى الإدارة ، والشئون العسكرية والحربية ، كما أصبح لكل من التنظيمين أتباعه ، ثم أطماعهم فى الدولة ، والسلطة ، والنفوذ ، ويحمل الشعر العرنى فى خراسان فى تضاعفه كل ما دار فى خراسان من الأحداث الكبيرة والصغيرة . ونحن نورد بكل ماظفرنا به من أشعارهم فى هذه الجوانب مرتباً على السنوات لا مبوباً فى موضوعات ^(١) ، حتى يتسق مع القضايا التاريخية التى سبقت الإشارة إليها فى الفصول السابقة من هذه الرسالة ليكون هذا موضحاً لذلك ، وعلى الله التوفيق .

مات الحكم بن عمرو الغفارى فى سنة ٥١ هـ - ٦٧١ م وكان عاملاً خراسان لزياد بن أبى سفيان أمير العراق ، وكان الحكم قد استخلف قبل وفاته أنس بن أبى أناس ، وقد كتب بذلك إلى زياد بن أبى سفيان فقام بعزل أنس ، وولى خُليد بن عبد الله الحنفى ، فغضب أنس ، فصور سخطه على زياد فى هذه الأبيات ^(٢) :

ألا مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي زِياداً مُغْلَغَةً ^(٣) يَحْبُ ^(٤) بِهَا الْبَرِيدُ
أَتَعَزِّلُنِي وَتُطْعِمُهُا خَلِيداً لَقَدْ لَاقَتْ حَنِيفَةً مَا تَرِيدُ
عَلَيْكُمْ بِالْإِمَامَةِ فَاحْرَثُوهَا فَأُولُكُمْ وَأَخْرُكُم عَيْدُ

مات يزيد بن معاوية ، وتوفى معاوية بن يزيد ، وقتل يزيد بن زياد فى (سيستان - سجستان) الأفغانية ، قام مسلم بن زياد بإخفاء هذه الأخبار السيئة عن القبائل العربية فى خراسان الأفغانية ، خوفاً من اضطرابهم ، فبلغت هذه الأخبار بعضهم ، ومنهم الشاعر ابن عرادة فصاح بهذه المقطوعة الشعرية ، معلناً فيها بأن العرب فى خراسان يعرفون كل ما وقع ، ويقول فيها ^(٥) :

(١) الشعر العرنى بخراسان : ص ٩٩ وما بعدها .

(٢) الطبرى : ٢٨٦/٥ طبعة ثانية دار المعارف بمصر . والشعر العرنى : ص : ١٠٠ .

(٣) المغلغة : الرمالة .

(٤) يحب : يسرع .

(٥) الطبرى : ٥٤٥/٥ ، وابن الأثير : ١٥٤/٤ . والشعر العرنى : ص : ١٠٠ - ١٠١ .

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُغَلَّقُ بِأَبِهِ حَدَّثْتُ أُمُورَ شَأْنِهِ عَظِيمِ
 قَتَلِي بِجَنْزَةِ^(١) وَالَّذِينَ بِكَابِلِ^(٢) وَيَزِيدُ أُعْلِنَ شَأْنَهُ الْمَكْتُومِ
 أَبْنَى أُمِيَّةٍ إِنْ آخَرَ مُلْكَكُمْ جَسَدٌ بِحُورَيْنِ^(٣) ثُمَّ^(٤) مَقِيمِ
 طَرَقَتْ مِنْهُ وَعِنْدَ وَسَادِهِ كُوبٌ وَزَقٌّ رَاعِفٌ^(٥) مَرْتُومٌ^(٦)
 وَمُرْتَةٌ^(٧) تَبْكِي عَلَى نَشْوَانِهِ^(٨) بِالصَّنِيجِ^(٩) تَقْعُدُ مَرَّةً وَتَقُومُ

وفي سنة ٦٥ هـ - ٦٨٤ م قاومت بكر بن وائل عبدالله بن خازم عندما هاجمها في (هرات) في غرب أفغانستان ، بعد أن قتل سليمان بن مرثد في (مرو الروذ) في أفغانستان الغربية ، وقتل أخاه عمرا بالطالقان في أفغانستان الشمالية ، وكان بنو تميم يساعدونه في هجومه عليها ، فاحتل مدينة (هرات) وقتل عددا كبيرا من بكر بن وائل ، وفي ذلك يقول المغيرة بن حبياء التميمي معيرا بكرا بهذه الهزيمة^(١٠) :

وفي الحرب كنتم في خراسان كلها قتيلا ومسجوننا بها ومُسِيرًا
 ويوم احتواكم في الحفير ابنُ خازم فلم تجدوا إلا الخناق مقبرا
 ويوم تركتم في الغبار ابنَ مرثد وأوسا^(١١) تركتم حيث سارَ وعسكرا
 ثم تضاربت مصالح بنى تميم مع مصالح عبدالله بن خازم ، لأنه منعهم من الاستقرار في (هرات)^(١٢) الأفغانية في غرب أفغانستان ، ثاروا عليه واجتاحوا

(١) جنزه : غزنة حاضرة ولاية غزنة في أفغانستان وتبعد عن كابل العاصمة جنوبا ١٣٥ كيلومترا .

(٢) كابل : عاصمة أفغانستان .

(٣) حوارين : قرية من قرى حصص ، مات بها يزيد بن معاوية .

(٤) ثم : هناك .

(٥) الراعف : السائل .

(٦) المَرْتُوم : المكسور الذي تتقطر منه الخمر .

(٧) المرنه : المرأة النائحة الصالحة .

(٨) النشوان : أول السكر ومقدماته .

(٩) الصنيج : الدف .

(١٠) الطبري : ٥٥١/٥ طبعة ثانية - دار المعارف سنة ١٩٧١ ، والشعر العربي : ١٠١ .

(١١) أوس : هو أوس بن ثعلبة البكري ، فر إلى سيستان الأفغانية ، وبها مات بعد أن احتل ابن خازم مدينة (هرات) الأفغانية .

(١٢) الطبري : ٦٢٣/٥ طبعة ثانية دار المعارف .

مدينة (هرات) وقتلوا ابنه محمدا ، فقال موسى بن عبدالله بن خازم يتحسر
لاغتتيال بنى تميم أخاه محمدا ، ويتعلل لاقتصاص أبيه منهم يقول^(١) :

ومن عجب الأيام والدهر أصبحت تميمٌ وقيسٌ بالرماح تشاجرُ
وكنا يداً حتى سعى الدهرُ بيننا فصرفنا^(٢) والدهر فيه الدوائر^(٣)
يُفَرِّقُ أَلْفًا وَيَتْرَكُ عَالَةً^(٤) أناساً لهم وفرٌّ^(٥) من المال وافر
هم بدأونا بالقطِيعَة وارتضوا له خطةٌ لا يرتضيها المعاشر^(٦)
فما كان ظلما قتلنا القوم إذ بغوا وضائق عليهم في البلاد المصادر

ولما ضيق ابن خازم الخناق على بنى تميم في (هرات) الأفغانية تفرقوا في
مدن وأقاليم أخرى من مدن ومناطق أفغانستان الخراسانية . وخرج الحريش بن
هلال التميمي إلى (مرو الروذ) الأفغانية ، فأتبعه ابن خازم فلحقه بقرية من قراها
يقال لها قرية (الملحمة) أو قصر (الملحمة) فتحاربوا طويلا ، وتقاتلا كثيرا ،
وصمد الحريش بن هلال لابن خازم صمودا شديدا ، وفي ذلك يقول الحريش بن
هلال واصفا قوة بأسه ، وشدة صلابته ، وحسن بلائه في مقارعة لابن خازم لمدة
عامين كاملين متصلين يقول^(٧) :

أَزَالَ عَظَمَ يَمِينِي عَنْ مُرَكَّبِهِ حَمَلُ الرُّدَيْنِيِّ^(٨) فِي الْإِذْلَاجِ وَالسَّحْرِ^(٩)
حَوَّلَنِي مَا اغْتَمَضْتُ عَيْنِي بِمَنْزِلَةٍ إِلَّا وَكْفَى وَسَادَ لِي عَلَى حَجَرٍ

(١) معجم الشعراء : ص ٢٧٤ . والشعر العربي : ص ١٠٢ .

(٢) صرفنا : فرقنا .

(٣) الدوائر : الدواهي والهزيمة والسؤ والتقتل والموت .

(٤) العالة : الذي يتكفله غيره وينفق عليه .

(٥) الوافر : الكثير ، وفي الأصل دائر . الدثر : المال الكثير من الإبل . ولم تستعمل مائر بهذا المعنى .

(٦) المعاشر : القريب والصديق .

(٧) الطبري : ٦٢٦/٥ طبعة ثانية . وابن الأثير : ٢١٠/٤ . والشعر العربي : ص ١٠٣ .

(٨) الرديني : الرخ .

(٩) الإذلاج : سير آخر الليل .

بَرَى^(١) الحديد وسربالي^(٢) إذا هجعتْ عنى العيونُ محالً^(٣) القارج^(٤) الذكر^(٥)

هذه من ناحية ، ومن الناحية الأخرى تمكن ابن خازم من قتل جماعة من فرسان بنى تميم فى (قصر قرتنا) فقال الحريش يرثى أبطال قبيلته^(٦) :

أعاذلْ إني لم^(٧) أَلِمَ فى قتالهم وقد عض^(٨) سيفى كبشهم^(٩) ثم صمما^(١٠)
أعاذلْ ما وُلِيتْ حتى تبددت رجالٌ وحتى لم أجذ. متقدما
أعاذلْ أفنانى السلاح ومن يُطلُّ مقارعةَ الأبطال يرجع مكلما^(١١)
أعينيْ إن أنزفتما^(١٢) الدمعَ فاسكبا دما لازما^(١٣) لى دون أن تسكبا دما
أبعدْ زهير^(١٤) وابن بشر^(١٥) تنابعا وورد^(١٦) أرجتى فى خراسان مغنا
أعاذلْ كم من يوم حربٍ شهدته أكرُّ إذا ما فارسُ السوءِ^(١٧) أحجما

وبعد هذه المعارك والهزائم التى لحقت بينى تميم وبعد قتل عدد من زعمائهم وفرسانهم تمكن ابن خازم من كسر شوكتهم ، حتى أرغم الحريش بن هلال على الاستسلام له فى (قرية الملحمة) فى (مرو الروذ) الأفغانية فى غرب أفغانستان ، وصالحه على أن يخرج من خراسان كلها ، ووصله ابن خازم بأربعين ألف درهم ،

(١) البز : السلاح التام يدخل فيه الدرع والمغفر والسيف .

(٢) السربال : الدرع .

(٣) المحال : الكيد والتدبير وروم الأمر بالحيل .

(٤) القارج : الفرس فى الخامسة .

(٥) الذكر من الحديد : أيسه ، وأشدّه ، وأجوده . ولعله استعار هذا الوصف للفرس .

(٦) الطبرى : ٨٠/٦ طبعة ثانية . وابن الأثير : ٢٥٦/٤ . والشعر العرى : ج : ١٠٤ .

(٧) لم أَلِمَ : لم أت من الأفعال ما ألام عليه ، وكان الحريش ضربه برأسه أطار فروته على وجهه .

(٨) عض السيف : جرح .

(٩) الكبش : سيد القوم . ويريد به ابن خازم .

(١٠) صمم : مضى فى العظم وقطعه .

(١١) المكلم : المجروح .

(١٢) أنزفت العين : ذهب ماؤها ونضب .

(١٣) اللازم : المفروض .

(١٤) زهير : هو زهير بن ذؤيب العلوى .

(١٥) ابن بشر : هو عقان بن بشر بن المختفر .

(١٦) ورد : وهو ورد بن الفلق العبّار : وكلهم من فرسان بنى تميم .

(١٧) فارس السوء : فارس الهزيمة والشر ، ضد فارس الصدق .

وضمن له قضاء دينه كله .
وكان لهذه الهزائم المتلاحقة بينى تميم أثر بالغ في نفوس شعراء بنى تميم ،
وأخذوا يتلاومون كما يتضح ذلك من هذين البيتين لأحد شعرائهم^(١) :

لو كنتم مثل الحريش صبرتم وكنتم بقصر الملح خير فوارس
إذا لَسَقْتُمُ بالعوالى ابنَ خازم سجال^(٢) دم يورثنَ طولَ وسَّوسِ

استطاع ابن خازم أن يستبد (بهرة) الأفغانية ، وأخرج عنها بنى تميم بقهر
وقوة ، فتشتوا في مدن خراسان الأفغانية ، ثم لحق بهم في (مرو الروذ) الأفغانية
وقام بتفريقهم وتمزيقهم ، والفتك بهم فتكا ذريعا ، مع كل هذا قتله أحد
الخراسانيين وهو في طريقه إلى الترمذ ليلحق بابنه موسى هناك ، فأتبعه القاتل وهو
وكيع بن الدورقية بصحبة ابن ورقاء ، وقتله ، وكان ابن خازم قتل أخاه ، فقال
وكيع بن الدورقية يذكر ثاره من ابن خازم^(٣) :

ذق يابنَ عِجْلَى^(٤) ماقد أدقنتني ولا تحسبني كنتُ عن ذاك غافلا

فقال رجل من بنى سليم يأسف لهلاك ابن خازم ، ويأسى لبعده عن قومه ،
وانقطاعه عنهم ، الأمر الذى هيا الفرصة للأعداء فأتاحوا به ، وقطعوا رأسه^(٥) :

أليلتنا بنيسابور رُدِّي على الصبح ويحك^(٦) أو أنيرى
كواكبها زواحف^(٧) لاغيات^(٨) كأن سماءها بيدى مدير^(٩)
تلوم على الحوادث أم زيد وهل لك في الحوادث من نكير^(١٠)
جهلن كرامتى وصددن عني إلى أجل من الدنيا قصير

(١) الطبرى : ٦٢٦/٥ طبعة ثانية دار المعارف سنة ١٩٧١ . والشعر العربى : ص ١٠٥ .

(٢) السجال : جمع سجل وهى الدلو الضخمة المملوءة ماء ، وجعلها هنا مملوءة دما .

(٣) فترج البلدان : ص ٤٠٦ . والشعر العربى : ص ١٠٦ .

(٤) عجل : أم ابن خازم .

(٥) الطبرى : ١٧٧/٦ - ١٧٨ طبعة ثانية دار المعارف . والشعر العربى : ص ١٠٦ .

(٦) ويحك : كلمة تقال رحمة لمن تنزل به بلية ، وتنصب على المصدرية .

(٧) الزواحف : المعيات التى لا تقدر على النهوض .

(٨) اللاغيات مثلها . كررها توكيدا لما اختلف اللفظ .

(٩) البيت لمهمل بن ربيعة . (انظر أمالى القالى ١٢٧/٢) .

(١٠) النكير : النكران والرد .

فلو شهد الفوارس من سُليم غداة يُطاف بالأسد العقير^(١)
لنازل حوله قوم كرام فعز الوتر^(٢) في طلب الوثور^(٣)
فقد بقيت كلاب ناجحات وما في الأرض بعدك من زئير

وفي سنة ٨٥ هـ - ٧٠٤ م فصل الحجاج بن يوسف أمير العراق ، يزيد
ابن المهلب عن ولاية خراسان ، وكلف بها أجه المفضل ، فجعل يستحث يزيد
على السفر إلى العراق ، فقال له : إن الحجاج لا يقرك بعدى ، وإنما دعاه إلى
توليتك مخافة أن أمتنع عليه . فظن المفضل أن أخاه حسده ، فخرج يزيد عائداً إلى
العراق ، فاستغنى الحجاج عن المفضل ، فقال أحد الشعراء العرب هذه الأبيات
للمفضل وأخيه عبد الملك يتهمهما بقصر النظر ، مما جعل الحجاج يطرد المهالبة
جميعاً من خراسان^(٤) :

يابنَى بهلّة إنما أنحزاكم رى غداة غدا الهمام الأزهري
أخفرتكم لأخيكم فوقعتكم في قعر مظلمة أخوها المعور^(٥)
جودوا بتوبة مخلصين فإنما يأتى ويأنف أن يتوب الأخر

وكان يزيد بن المهلب استشار الحضين بن المنذر الرقاشي البكري ، قبل أن
يرحل من خراسان فهناك عن السفر ، ونصحه أن يقيم ، وأن يكتب إلى عبد الملك
ابن مروان ليقره ، فلم يعمل بمشورته ، فقال الحضين هذين البيتين ساخراً منه^(٦) :

أمرتك أمراً حازماً فعصيتني فأصبحت مسلوب الإمارة نادماً
وما أنا بالباكي عليك صباة وما أنا بالداعي لترجع سالماً

وفي سنة ٩٦ هـ - ٧١٤ م أراد الوليد بن عبد الملك أن يجعل ولاية العهد
لابنه عبد العزيز ، وأن يحرم سليمان منها ، فأيده الحجاج بن يوسف ، وفتية بن

(١) العقير : المفقود المجرى .

(٢) الوتر : الثأر .

(٣) الوثور : كثير الجنابة على غيره .

(٤) الطبري : ٣٩٥/٦ طبعة ثلثة دار المعارف سنة ١٩٧١ . والشعر العربي بخراسان ص : ١١٠ .

(٥) المعور : أعمى العين .

(٦) الطبري : ٣٩٦/٦ . وابن الأثير : ٥٠٤/٤ . والشعر العربي بخراسان ص : ١١٠ .

مسلم الباهلى^(١) فمات الوليد فى نفس السنة واستخلف سليمان ، فخاف قتيبة ، فقام بغزو (فرغانة) وحث المقاتلين على رفض الانصياع له ، فلم يؤيده أحد من المقاتلين فى هذه المغامرة السياسية ، وبدأت المؤامرات ضده لخلعه ، واشتركت القبائل العربية فى قتله ، فقتل ، فادعى شعراء كل قبيلة أن سادتها هم الذين اغتالوه . فهذا ثابت قطنة الأزدي يصور حال قتيبة بن مسلم الباهلى ، وما آل إليه من المذلة ، والهوان ، وما انتهى إليه من مصير مروع ، فقد قطعت رأسه ، ولطخ جبينه بالدم^(٢) :

ألم تر أن الباهلى بن مسلم بفرغانة القصوى بدار هوان
تَمُورُ أسايي^(٣) الدماء بوجهه وقد كان صعبا دائم الخطران^(٤)

وهذا الشاعر نهار بن توسعة يفتخر بأن قومه من بكرهم الذين سفكوا دمه لأنه طغى وبغى يقول^(٥) :

ولما رأينا الباهلى بن مسلم تَحَبَّرَ عَمَمَناه عَضْبًا مَهْنَدًا^(٦)

وهذا الشاعر الحضيض بن المنذر الرقاشى سيد بكر يتمدح بأن حلفاءه من الأزدهم الذين قتلوه ، يقول^(٧) :

وإن ابن سَعْدٍ وابن زُحْرٍ تعاورا بسيفيهما رأس الهمام المتوَجِّج
وما أدركت فى قيس عيلان وترها بنو منقر إلا بالأزد ومذحج

(١) الطبرى : ٤٩٨/٦ - ٤٩٩ طبعة ثانية سنة ١٩٧١ .

(٢) نقائض جرير والفرزدق : ٣٦٤/١ . والشعر العربى بخراسان ١١١

(٣) الأساسى : طرائق الدم .

(٤) دأيم الخطران : كثير الوعيد والتهديد .

(٥) الطبرى : ٥٢٠/٦ طبعة ثانية دار المعارف بمصر . والشعر العربى : ص : ١١٢ .

(٦) تقول العرب للرجل إذا سَوَّدَ : قد غُمَّ - وكانوا إذا سودوا رجلا عموه عمامة حمراء واللسان

٣٢٠/١٥ ، ونهار يشاكل بين تعميم الرجل بالعمامة الحمراء إذا سود ، وبين تعميمه بالسيف إذا

قتل .

(٧) نقائض جرير والرزدق : ٣٥٢/١ . والطبرى : ٥١٧/٦ . والشعر العربى : ص : ١١٢ .

(٨) ابن سعد : هو سعد بن نجاد الأزدي : (الاشتقاق ص ٤٠٧) .

(٩) ابن زحر : هو جهم بن زحر بن قيس الأزدي (الاشتقاق ص ٤٠٧ .

عشية جئنا بابل زحري وجثم بأدغم مرقوم الذراعين ديزج^(١)
أصم غدائي كأن جينه أطاخة^(٢) نفس^(٣) في أديم مُمَجِّج^(٤)

ويقول الشاعر بهس بن حاجب التميمي إن وكيع بن أبي سود التميمي هو
الذي قتل قتيبة انتقاما لقتلى عشيرته ، وانتصارا للخلافة ولسليمان بن عبد الملك ،
يقول^(٥) :

ورد على سعد وكيع دماءها حفاظا وأوفى للخليفة بالعهد
ولما دعى فينا وكيع أجابه فوارس ليسوا بالرياب ولا سعد
فوارس من أبناء عمرو بن مالك سراع إلى الداعي سراع إلى المجد
ميامين^(٦) لا كُشِفُ^(٧) اللقاء لدى الوغى ولا نكد^(٨) إن حُشِتِ^(٩) الحرب بالنكد

ويتضح من المقطوعات والأبيات التي استشهدنا بها ، والتي نظمها الشعراء
العرب في خراسان لتصوير الحوادث الداخلية التي كانت تجري بين الحكام
والقبائل العربية ، وخاصة بعد اغتيال قتيبة بن مسلم الباهلي أن ما يشيع فيها من
المنافسة الحادة ، والمفاخرة الشديدة ، والمكاثرة الكثيرة يرجع إلى استبداد الروح
الجاهلية ، والعصبية القبلية ، بنفوس العرب في خراسان ، وقوة إحساسهم الشديد
بالذات ، وعدم إدراكهم لفكرة الوحدة الإسلامية ، والأمة الإسلامية ، كما يرجع
ذلك بالدرجة الثانية إلى مصانعة العرب لسليمان بن عبد الملك ومناقضته ، وكانت
النتيجة الطبيعية لذلك الاستبداد ، وهذه المصانعة والمناقضة أن اغتالوا أعظم قائد
إسلامي في خراسان الأفغانية قام بأعظم الفتوحات ، وبخاصة في أفغانستان
الشمالية وهو قتيبة بن مسلم الباهلي ، والدسائس دائما تقضى على الأبطال .

(١) الديزج : الأدغم .

(٢) اللطاخة : البقعة .

(٣) النفس : الخير .

(٤) المُمَجِّج : كثير اللحم .

(٥) نقاض جرير والفرزدق : ٣٦٥/١ . والشعر العري : ص : ١١٢ .

(٦) الميامين : المباركون .

(٧) الكشف : الذين لا تروس معهم في الحرب .

(٨) النكد : المشغومون .

(٩) حشت : أسعرت وهيجت .

اندلعت الفتنة المؤلمة بين المضرية ، وبين اليمنية والربعية في (البروقان) بالقرب من (بلخ) في أفغانستان الشمالية ، وانهمز فيها الأخيرون ، وقام بنو تميم بقتل عمرو بن مسلم الباهلي ، قال بيان العنبري التميمي يصف حرب بنى تميم ، وكيف استطاعوا بحق رؤوس الفتنة من الأزد وبكر ، وأدخلوا في قلوبهم الخوف ، والذعر ، فإذا البكريون كلما ذكروا ذلك اليوم الأليم سيكون ، ويتألمون ، ويعير البكرين بالجن ، والتخاذل ، وعدم الثبات ، لأنه ليس من طبعهم الثبات في ميدان الوغى والمعارك حين يشتد فيه القتال والنضال ، يقول^(١) :

أتانى ورَحلي بالمدينة وقعةً لآل تميم أرجفت^(٢) كل مرجف^(٣)
تظل عيونُ البرشي بكر^(٤) بن وائل إذا ذكرت قتلى البروقان تذرف
همُ أسلموا للموتِ عمرو بن مسلم وولّوا شلالا^(٥) والأسنة ترعف^(٦)
وكانت من الفتيان في الحرب عادةً ولم يصبروا عند القنا المتقصّف^(٧)

وقال نصر بن سيار الذى كان قائدا لبنى تميم ، يذكر إيقاعه ببكر شامتا بهم لأنهم لم يقتنعوا بمخالفة الأزد في موقعة (البروقان) فقط وإنما حالفوا أيضا عمرو ابن مسلم الباهلي ، فجروا أنفسهم إلى معركة خاسرة ، يقول^(٨) :

أرى العينَ لجت في لهتدار وما الذى . يرد عليها بالدموع ابتدارها
وما أنا بالوائى إذا الحرب شمرت تحرى في شطرِ الخميس نازها
ولكننى أدعو لها بخندف التى تطلّع بالعبء الثقيل فقارها
وما حفظتُ بكرّ هنالك حلفها فصار عليها عارٌ قيس وعارها
فان تك بكر بالعراق تنزرت ففى أرض مروٍ عليها^(٩) وازورارها

(١) الطبرى : ٣٢/٧ طبعة ثانية دار المعارف بمصر ، والشعر العربى : ص : ١١٨ .

(٢) أرجفت : أفزعت .

(٣) المرجف : الذى يولد الأخبار الكاذبة التى يكون معها اضطراب الناس .

(٤) البرش : جمع أبرش ، وهو الذى فى لونه نقطة حمراء وأخرى سوداء أو غبراء .

(٥) ولّوا شلالا : أى مطرودين متفرقين .

(٦) ترعف : تقطر دما .

(٧) المتقصّف : المتكسر .

(٨) الطبرى : ٣١/٧ - ٣٢ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر . والشعر العربى : ص : ١١٩ .

(٩) العُلّ : الشربة الثانية ، وعُلّ الضارب المضروب : تابع عليه الضرب .

العباسية مستعدة لحربه مرة أخرى ، فأرسلت إليه رسولا للاستئالة وكسب الوقت ، وكان يعقوب بن الليث مريضا عند وصول الرسول العباسي ، فجلس ، وأحضر عنده سيفاً ، ورغيفاً ، وبصلاً ، ثم أمر بإحضار الرسول إليه وقال له : قل للخليفة إني عليل ، فإن مت ، فقد استرحت منك ، واسترحت مني ، وإن عوفيت فليس بيني وبينك إلا السيف هذا ، حتى آخذ بسيفي ، أو تكسرنى ، وتفقرني فأعود إلى هذا الخبز والبصل ، وعاد الرسول ، فلم يلبث يعقوب أن مات^(١) وكانت وفاته سنة ٢٦٥ هـ = ٨٨٩ م وذلك بعد أن حكم البلاد سبع عشرة سنة تقريباً . وقبل أن يتمكن من الحملة الثانية على الخلافة العباسية في بغداد .

عمرو بن الليث :

بعد وفاة يعقوب بن الليث تولى عمرو بن الليث أمور الدولة الصفارية الفتية ، في سنة ٢٦٥ هـ = ٨٧٩ م^(٢) وكتب إلى الخلافة بطاعته ، فاعترف الخليفة الموفق بولايته ، وبذلك تولى عمرو بن الليث ما كان بيد أخيه يعقوب ، وأرسل إلى الخليفة هدية عموداً من الذهب ، ووافق على أن يدفع للخلافة عشرين ألف درهم كل سنة^(٣) ، وبدأ بعد ذلك بتنظيم أمور الدولة ، وشئون البلاد ، وكانت الخلافة العباسية تبيت للدولة الصفارية ، وكانت قد تخلصت من صاحب الزنج ، وحركته وكان في إمكانها توجيه الضربة إلى الصفاريين ، فأصدر الخليفة العباسي المعتمد قراراً بعزل عمرو بن الليث الصفاري ، وقلد خراسان محمد بن طاهر ثم سير جيشاً لقتال عمرو بن الليث الصفاري في (فارس) فانتصر على الجيش الصفاري ، ثم توجه الموفق بنفسه لمقابلة عمرو بن الليث الصفاري في (فارس) وتمكن من تدهوره إلى (سيستان = سجستان) بعد أن ألحق بقواته الخسائر والهزيمة^(٤) .

(١) علي بن أحمد بن الأثير - الكامل في التاريخ ١١٦/٧ .

(٢) سيد بهادرشاه كاكاخيل - مختاره د. تاريخ به رناكي ص ٣٣٣ .

(٣) فضل أحمد - رهنای أفغانستان ص ٧١ طبعة كابل سنة ١٣٢٨ هـ .ش .

(٤) الطبري : ١٤٤/٨ ، وحسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ٣/٣٧٥ - ٣٧٦ ، وابن طباطبا : الفخرى في الأدب السلطانية . ٢٢١ ، والمسعودي : مروج الذهب ٢/٣٤٤ ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ ٧ مواضع مختلفة ، الجاحظ : الرسائل الثلاث ٧٦ - ٧٧ ، والدكتور محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق الطبعة الثانية ١٩٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .

نتج عنها من الأحداث والتغيرات ، وفي سياسة أسد بن عبدالله القسرى ، لها قيمة تاريخية عظيمة في تاريخ أفغانستان الإسلامية لأنها تعرض العلاقات القبلية في أفغانستان ، والمحالفات السياسية بين عرب أفغانستان عرضاً دقيقاً ... وتلقى ضوءاً ساطعاً على العلاقات الداخلية بين هؤلاء العرب في أفغانستان أيام الحكم الأموى .

وفي سنة ١٢٠ هـ - ٧٣٧ م مات أسد بن عبدالله القسرى في بلخ الأفغانية ، وأقصى هشام أخاه خالداً عن العراق ، وولّى على خراسان جديع بن على الكرماني الأزدي ، ثم أعفاه ، وعهد بالولاية إلى نصر بن سيار^(١) ، فقال يعبر عن فرحته ، ويفتخر بشخصيته ، ويشيد أيضاً بشجاعة هشام وأصلته ، يقول^(٢) :

أَبْتُ لِي طَاعَتِي وَأَبَى بِلَائِي	وَفَوْزِي حِينَ يَغْتَرِكُ الْخَصَامُ
وَلَنَا لَا نُضِيعُ لَنَا ذِمَامَا	وَلَا حَسَبًا إِذَا ضَاعَ الدِّمَامُ ^(٣)
وَلَا نُقْضِي عَلَى غَدْرٍ وَلَنَا	نُقِيمُ عَلَى الْوَفَاءِ فَلَا نُلَامُ
خَلِيفَتُنَا الَّذِي فَازَتْ يَدَاهُ	بِقَدْحِ الْحَمْدِ وَالْمَلِكِ الْهَمَامُ
نُسَوِّسُهُمْ بِهِ وَلَنَا عَلَيْهِمُ	إِذَا قَلْنَا مَكَارِمَهُ جِسَامُ
أَبُو الْعَاصِي أَبُوهُ وَعَبْدُ شَمْسٍ	وَحَرْبٌ وَالْقَمَاقِمَةُ ^(٤) الْكِرَامُ
وَمُرْوَانُ أَبُو الْخَلْفَاءِ عَالٍ	عَلَيْهِ الْمَجْدُ فَهُوَ لَهُ نِظَامُ

وازدهرت خراسان في أيام ولاية نصر بن سيار ازدهاراً لم يسبق له مثيل ، وصلحت أحوال أهل البلاد من الآريين والعرب الساميين فقال سوار بن الأشقر يمدحه ، موازناً بين عهده وعهد أسد ، عهده عهد الطمأنينة ، والاستقرار ، والانتعاش ، وعهد أسد عهد الرعب ، والقلق ، والكساد ، كما يقول^(٥) :

أُضْحَتْ خِرَاسَانُ بَعْدَ الْخَوْفِ أَمَنَةً مِنْ ظَلَمِ كُلِّ غَشُومٍ الْحَكَمُ جَبَّارُ
لَمَّا أَتَى يَوْسُفًا أَخْبَارُ مَا لَقِيتُ اخْتَارَ نَصْرًا لَهَا نَصْرُ بَنِ سِيَارِ

(١) الطبرى : ١٥٤/٧ ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر .

(٢) الطبرى : ١٥٨/٧ ، وابن الأثير : ٢٢٨/٥ ، والشعر العربى بخراسان ١٣٠ .

(٣) الدِّمَامُ : الحرمة ، وكل ما يلزمك حفظه . وفي الطبرى : (ملما) .

(٤) القماقة : جمع القمقام ، وهو من الرجال السيد الكثير الخير ، الواسع الفضل .

(٥) الطبرى : ١٥٨/٧ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر . والشعر العربى : ص : ١٣١ .

وفي سنة ١٢٦ هـ - ٧٤٣ م تشغبت جماعة من عرب الأزدي في (مرو الروذ) على نصر بن سيار محتجين ، ومدعين على أنه لم يصرف لهم عطاءهم ، ومرتباتهم ، فحذرهم من الفرقة والطرفة ناصحا ، فلم يهتموا لنصحه ، بل زادوا من عنادهم ، فإذا الحارث بن عبدالله بن الحشر الجعدي يهيب بالعرب في خراسان من القبائل المختلفة أن يتحدوا يقول^(١) :

أيث أرعى النجوم مُرتَقاً ^(٢)	إذا استقلت تجرى أوائلها
من فتنة أصبحت مُجَلَّة	قد عم أهل الصلاة شاملها
من بخراسان والعراق ومن	بالشام كل شجاه شاغلها
فالناس منها في لون مظلمة	دَهْمَاء ^(٣) ملتجة ^(٤) غياطلها ^(٥)
يمسي السفه الذي يُعَنَّف بالجهل	سواء فيها وعافلها
والناس في كرية يكاد لها	تنبذ أولادها حواملها
يغدون منها في ظل مُبَهَمَة	عمياء تغتالهم غوائلها ^(٦)
لا ينظر الناس في عواقبها	إلا التي لا يبين قائلها
كرغوة البكر أو كصيحة حب	لى طرقت حولها قوابلها
فجاء فينا أزرى بوجهته	فيها تحطوب حمر زلازلها

تعاون كل من الحارث بن سريح التميمي ، وجديع بن علي الكرمانى اليمنى على مقاومة نصر بن سيار في (مرو الشاهجان) فاقتل مركزه اختلالا شديدا فتهجر إلى (نيسابور) ثم إنهما تنازعا فقتل الكرمانى الحارث فسيطر اليمنيون على المدينة ، فقاموا بتدمير بيوت ودور المضرية بها ، ونهب أموالهم ، فقال نصر بن سيار معربا عن فرحته بمقتل الحارث^(٧) :

يا مُدْخِلَ الذلي على قومه بُعداً وسحقاً لك من هالك

(١) الطبرى : ٢٨٦/٧ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر . والشعر العرنى : ص : ١٣٧ .

(٢) مرتقا : متكنا على مرفقه .

(٣) الدهماء : الفتنة السوداء المظلمة .

(٤) الملتجة : الشديدة الكثيفة .

(٥) الغياطل : جمع غيطلة ، وهى الظلمة المتراكمة .

(٦) الغوائل : الدواهي .

(٧) الطبرى : ٣٤١/٧ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر . والشعر العرنى : ص : ١٤١ .

شؤمك أَرَدَى مُضْراً كُلَّهَا وَعَضَّ^(١) مِنْ قَوْمِكَ بِالْحَارِكِ^(٢)
 مَا كَانَتْ الْأَزْدُ وَأَشْيَاعُهَا تَطْمَعُ فِي عَمْرٍو وَلَا مَالِكِ
 وَلَا بَنِي سَعْدِ^(٣) إِذَا أَلْجَمُوا كُلَّ طَيْرٍ^(٤) لَوْنُهُ حَالِكٌ

ثم ارتفعت الصيحات من الشعراء العرب والشاعرات تطالب نصر بن
 سيار باستخلاص المدينة ، واسترجاعها من الكرماني ، فتحفز نصر بن سيار
 لاستخلاصها من أيدي الأزد ، ولكنه لم يتمكن من ذلك فاستمد يزيد بن عمر بن
 هبيرة بالعراق وكتب إليه هذه الأبيات مبينا فيها الاضطرابات في خراسان ، إذ
 يقول^(٥) :

أُبْلِغُ يَزِيدُ وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ وَقَدْ تَبَيَّنْتُ أَلَا خَيْرَ فِي الْكَذِبِ
 إِنَّ خِرَاسَانَ أَرْضٌ قَدْ رَأَيْتُهَا بِيضاً لَوْ أَفْرَخَ قَدْ خُذْتُ بِالْعَجَبِ
 فِرَاحُ عَامِينَ إِلَّا أَنَّهَا كَبُرَتْ لَمَّا يَطْرُنَ وَقَدْ سَرِيلُنَ^(٦) بِالزَّغَبِ^(٧)
 فَإِنْ يَطْرُنَ وَلَمْ يُحْتَلْ لَهْنٌ بِهَا يُلْهِنُ نِيرَانَ حَرْبٍ أَيُّمَا لَهَبٍ^(٨)

فلم يمده بشيء ، فاستغاث بمروان بن محمد في الشام ، وأعلمه (حال أبي
 مسلم) وخروجه ، وكثرة من معه ، ومن تبعه ، وكتب إليه بهذه الأبيات مصورا
 فيها الفتنة القائمة في خراسان ، والكارثة المحتومة ، إن لم يمده بمدد من عنده ،
 يقول^(٩) :

(١) عض : كسر .

(٢) الحارك : أعلى الكاهل .

(٣) بنو عمرو ، ومالك ، وسعد من عشائر بني تميم .

(٤) الطمر : الفرس الجواد المستفز للوثب ، والمستعد للعدو .

(٥) الطيرى : ٣٦٩/٧ ، ومروج الذهب : ٢٥٧/٣ . والشعر العربي : ص : ١٤٣ .

(٦) سريلن : اكتسين .

(٧) الزغب : أول مايلدو من ريش الفرخ .

(٨) ويقول الدينوري إن نصر بن سيار بعث تلك الأبيات إلى مروان بن محمد . ويضيف إليها بيتين هما :

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْوَاقِي بِنَصْرَتِهِ قَدْ آتَى لِلْأَمْرِ أَنْ يَأْتِيكَ مِنْ كِتَابِ
 أَضْحَتْ خِرَاسَانٌ قَدْ بَاضَتْ صَقُورَتَهَا وَفَرَحَتْ فِي مُوَاجِهَاتِهَا بِلَا رَهْبِ
 (الدينوري : ص : ٣٦٠) .

(٩) الدينوري . ص ٣٥٧ . والعقد الفريد : ٤٧٨/٤ . ومروج الذهب : ٢٥٥/٣ . والطيرى : ٧٦٩/٧ .

والأغاني : ٥٦/٧ (دار الكتب) . وابن الأثير : ٣٦٥/٥ . والشعر العربي : ص : ١٤٣ .

أَرَى خَلَّلَ الرَّمَادِ وَفِيضَ جَنَرٍ فَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامُ
فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودِينَ تُذَكِّي وَإِنَّ الْحَرْبَ مَبْدُوهَا الْكَلَامُ
فَإِنَّ لَمْ تَطْفَعُوهَا تَجْنِ حَرْبًا مَشْمَرَةً يَشِيبُ لَهَا الْغَلَامُ
فَقُلْتُ مِنَ التَّعَجُّبِ لَيْتَ شِعْرِي أَلْيَقَاطُ أَمِيَّةٌ أَمْ نِيَامُ
فَإِنَّ يَقْظَتَ فِذَاكَ بَقَاءُ مَلِكٍ وَإِنْ رَقَدْتُ فَإِنْسَى لَا أَلَامُ
فَإِنَّ يَكُ أَصْبَحُوا وَتَوَوَّأَ نِيَامًا فَقُلْ قَوْمُوا فَقَدْ حَانَ الْقِيَامُ
فَقَرَّيْ^(١) عَنْ رَحَالِكَ ثُمَّ قَوْلِي عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْعَرَبِ السَّلَامُ

وعندما يش نصر بن سيار من مساعدة خارجية ، وعجز عن السيطرة على مدينة (مرو الشاهجان) بالقوة ، بدأ بالحملة الإعلامية يبعثها إلى العرب داخل المدينة ، لينفصلوا عن الكرمان والأزد ، وناشد العرب أن يتحدوا ضد حركة الزعيم أبي مسلم الخراساني الذي بدأ يمهّد للقضاء على الدولة الأموية في خراسان ، والتمهيد للدولة العباسية ، ووصف أنصار أبي مسلم بأنهم دخلاء ، يعتقدون مذهباً مخالفاً للإسلام ، ولا يبتغون إلا إبادة العرب ، يقول^(٢) :

أَبْلَغُ رِيْعَةٍ فِي مَرَوْ وَإِخْوَتِهَا أَنْ يَعْضُبُوا قَبْلَ أَنْ لَا يَنْفَعَ الْغَضَبُ
مَا بِالْكَفِّ تُلْقِمُونَ الْحَرْبَ بَيْنَكُمْ كَأَنَّ أَهْلَ الْحِجَا^(٣) هُنَّ فَعْلَكُمْ غُيْبُ
وَتَتْرَكُونَ عَدُوًّا قَدْ أَظْلَكَكُمْ فِيمَنْ تَأَشَّبَ^(٤) لِأَدِينٍ وَلَا حَسْبُ
لِيسُوا إِلَى عَرَبٍ مَنَا فَنَعْرِفُهُمْ وَلَا صَمِيمَ الْمَوَالِي إِنْ هُمْ تُسَيَّبُوا
قَوْمٌ يَدِينُونَ دِينًا مَسْمُوعٌ بِهِ عَنْ الرُّسُولِ وَلَا جَاءَتْ بِهِ الْكُتُبُ
فَمَنْ يَكُنْ سَائِلًا عَنْ أَضَلِّ دِينِهِمْ فَإِنَّ دِينَهُمْ أَنْ تُقْتَلَ الْعَرَبُ

فلم تكثر ربيعة لهذه الصرخة الدعائية ، ولم تبال بدوائه الذي أراد أن يستغل فيه الدين ، والعاطفة القومية ، فلجأ إلى موادعة الكرمان ومصالحته خوفاً من أن ينضم إلى أبي مسلم الخراساني بأنصاره ، إلا أن الحارث بن سريج قام بقتل

(١) فرى الشيء : مزقه وشققه .
(٢) الدينوري : ص ١٦١ . والعقد الفريد : ٤ / ٤٧٩ . وابن الأثير : ٥ / ٣٦٧ . والشعر العري : ص : ١٤٥ .
(٣) الحجا : العقل والفتنة .
(٤) فيمن تأشب : أي انضم إليه ، والتف عليه من أخلاط الناس .

الكرمانى انتقاما منه لأبيه الذى قتله الكرمانى ، فتازم الموقف بعد اغتيال الكرمانى تأزما شديدا ، وحين رأى العرب أن الزعيم أبامسلم هو الذى استفاد من انقسامهم واقتتلهم ، تعاقبت عامة قبائلهم على المسالبة ليشغلوا بمجاهدة المنشق أبى مسلم الخراسانى ... ولكن أبامسلم تمكن من استخلاص مدينة (مرو الشاهجان) لنفسه سنة ١٣٠ هـ - ٧٤٧ م .

إن المنازعات والمشاجرات التى احدثت بين القبائل العربية فى خراسان هى التى استغرقت أكثر الشعر العربى الذى تصاحب به الشعراء وهم يصفون مواقف قبائلهم من تلك المنازعات وقد حاولت أن أقوم بتقديم كل ما قيل فى المنازعات التى حدثت فى أفغانستان بمعناها الواسع . وهذا الشعر يؤكد ما قلناه فى الموجز التاريخى عن استيطان الغرب فى خراسان الأفغانية ، وكان سبب هذه المنازعات ، والمشاجرات ، والمناوشات هى العصبية القبلية ، والمحالفات الحزبية ، وما ارتبط به من المنافع السياسية ، والأهداف المادية ، هذه العصبية القبلية والمحالفات السياسية كانت مصدر كل خلاف ، وتباغض ، واقتتال . فقد سيطرت هذه العصبية القبلية والتحالف السياسى على قلب كل قبيلة عربية عاشت فى أفغانستان الخراسانية ، وهى التى حددت اتجاهها وسياستها ، وحملتها حملا على إهمال الجانب الأهم الأعز وهو فكرة الأمة الإسلامية الواحدة وإيثاره مصلحة الجماعة الإسلامية على مصلحتها القبلية . فقلما أثار هذا الإحساس قلوب زعماء القبائل العربية فى خراسان ، وشعرائها ، اللهم إلا فى بعض الحالات ، وللاستغلال السياسى فقط .

اقرأ ما يأتى من النماذج الشعرية ليتأكد لك ما قلت لأن هذه الأشعار العربية قيلت فى مناسبات سياسية ، ومواقف قبلية ، كل مقطوعة من هذه الأبيات الشعرية تعتبر تاريخا سياسيا داخليا فى أفغانستان الخراسانية أيام الحروب الإسلامية فى العصر الأموى . فلنبدأ معا بقراءة هذه المقطوعات لنواصل رحلة الأدب فى أفغانستان الخراسانية ، أو خراسان الأفغانية الآرية القديمة .

طلب العرب فى خراسان من عبد الملك بن مروان أن يعين عليهم واليا قرشيا حتى يخلصهم من المشاكل السياسية بين الولاة ومن المقاتلة والورطة والهلكة ، فسير إليهم أمية بن عبد الله الأموى ، فقال رجل من بكر بن وائل يعلن انتهاء الأزمة

وانفراجها بقدم أمية لإيهام^(١) :

أَتَتِكَ الْعَيْشُ تَنْفُخُ فِي بُرَاهَا^(٢) تُكْشِفُ عَنْ مَنَاكِهَا^(٣) الْقُطُوعُ^(٤)
كَأَنَّ مَوَاقِعَ الْأَكْوَارِ^(٥) مِنْهَا حَامُ كُنَائِسٍ يُقَعُّ وَقُوعُ^(٦)
بِأَيُّضَ مِنْ أُمِيَّةٍ مَضْرَجِي^(٧) كَانَ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَنِيعٌ^(٨)

حكم أمية بن عبد الله الأموي على ابن وشاح بالإعدام لتآمره ضده ، وقام ابن ورقاء بتنفيذ حكم الإعدام ، فامتألت صدور بني عوف في خراسان غضبا على ابن ورقاء ، وبدأ شعراؤهم يحرضونهم على الأخذ بثأر ابن وشاح . فقال عثمان ابن جابر أحد شعراء بني عوف بن سعد^(٩) :

لَعِمْرَى لَقَدْ أَغْضَيْتَ عَيْنًا عَلَى الْقَذَى^(١٠) وَبِتَّ بَطِينًا^(١١) مِنْ رَحِيقِ مُرُوقٍ^(١٢)
وَحَلَيْتَ ثَأْرًا طُلَّ^(١٣) وَاخْتَرْتَ نَوْمَةً
فَلَوْ كُنْتُ مِنْ عَوْفِ بْنِ سَعْدٍ ذَوَابَّةً^(١٤) تَرَكْتُ بِحِيرًا فِي دَمٍ مَتَرَقٍ
فَقُلْ لِبَحِيرٍ تَمْ وَلَا تَخْشَ ثَائِرًا بَعُوفٍ فَعُوفٌ أَهْلُ شَاءٍ حَبَلَقُ^(١٥)

(١) الطبري : ٢٠٠/٦ طبعة ثانية . والآيات في الأغاني : ٦٩/١٢ ، وفي اللسان : ٣٥٨/٣ ، ١٥٦/١٠

لعبد الرحمن بن الحكم مدح معاوية بن أبي سفيان . والشعر العري : ص : ١٠٧ .

(٢) البري : جمع برة وهي الحلقة في أنف البعير .

(٣) المناكب : جمع منكب ، وهو مجتمع عظم العضد والكتف .

(٤) القُطُوع : جمع قطع ، وهي البقرة أو الطنفة تكون تحت الرجل على كتفي البعير .

(٥) الكور : الرجل .

(٦) البقع : التي خالط بياضها لون آخر .

(٧) المضرجي : السيد السري الكريم .

(٨) الصنيع : السيف المجلو المصقول اللامع .

(٩) الطبري : ٣٣١/٦ طبعة ثانية ، وابن الأثير : ٤٥٨/٤ . والشعر العري : ص : ١٠٨ .

(١٠) القذى : المكروه والعار .

(١١) البطين : عظيم البطن .

(١٢) المروق : المصفى .

(١٣) طل : أهدر .

(١٤) ذَوَابَّةُ الْقَوْمِ : أعلامهم وأشرفهم .

(١٥) الْحَبَلَقُ : الغنم الصغار لا تكبر .

دعوا^(١) الضَّأَنَ يوماً قد سُبِقْتُمْ بوتركم
 وصرتم حديثاً بين غربٍ ومشرق
 وهبوا فلو أُمسى بكثيرٍ كعهدهِ
 صحيحاً لغاداهم بجأواء^(٢) فيلق
 وقال عثمان بن رجاء أيضاً يستنهض همم بنى عوف والأبناء لإدراك ثأرهم ،
 ونفى العار عنهم^(٣) :

فلو كان بكرٌ بارزاً في أداته^(٤) وذى العرشى لم يُقَدِّم عليه بحيرُ
 ففى الدهر إن أبقانى الدهرُ مطلب وفى الله طَلَابٌ بذاك جديرُ
 وعلم ابن ورقاء أن الأبناء يهدونه ، فقال معتمداً بقوة عزيمته ، ومقدرة
 أنصاره^(٥) :

توعدنى الأبناءُ جهلاً كأنما يرونَ فَنَائِي مُقْفِراً من بنى كعب
 رفعتُ له كفىً بحدٍ مهتدٍ حسام^(٦) كلونِ المِلحِ ذى رونقٍ^(٧) عَضْبٍ^(٨)
 خرج صعصعة بن حرب العوفى من بادية البصرة إلى خراسان واغتال
 ابن ورقاء فى (آخرون) وهو غاز مع المهلب بن أبى صفرة ، فأهدر المهلب دم
 صعصعة وقتله ، فثار بنو عوف والأبناء ، فنازعتهم مقاعس والبطون ، حتى
 خاف العرب فى خراسان أن يعظم الأمر ، فقال أهل الحِجْى : أحملوا دم
 صعصعة ، واجعلوا دم ابن ورقاء بواءً وسواءً بدم ابن وشاح فَوَدَّوا صعصعة .
 فقال رجل من الأبناء يمدحه ، وبنوه بما تحشم من الصعاب ، وما بذل من الجهد
 حتى قتل ابن ورقاء^(٩) :

لله درُّ فتى تجاوزَ همُّهُ دونَ العراقِ مفاوِزاً وبحورا
 مازال يَدَّأبُ نفسه ويكُدُّها حتى تناول فى خَرُونِ بحيراً

-
- (١) دعوا : فى الأصل دع .
 (٢) الجأواء : الكثبية التى يعلو لونها السواد لكثرة الدروع .
 (٣) الطبرى : ٣٣١/٦ - ٣٣٢ طبعة ثانية . وابن الأثير : ٤/٤٥٨ . والشعر العرى : ص : ١٠٩ .
 (٤) أداته : سلاحه .
 (٥) الطبرى : ٢٣٢/٦ طبعة ثانية . وابن الأثير : ٤/٤٥٨ . والشعر العرى : ص : ١٠٩ .
 (٦) الحسام : السيف القاطع .
 (٧) الرونق : الماء واللمعان .
 (٨) العضب : السيف القاطع .
 (٩) الطبرى : ٣٣٤/٦ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر . والشعر العرى : ص : ١٠٩ .

قتيبة من الشخصيات الإسلامية العظيمة التي تركت بصمات واضحة في تاريخ أفغانستان الخراسانية . وعندما ثارت عليه القبائل العربية في خراسان الأفغانية ، وتم قتله في هذه الثورة القبلية تمدح الشعراء في خراسان بالثورة عليه ، وعزا كل منهم قتله إلى قبيلته ، كذلك تمدح الشعراء في العراق بذلك . فالطرماح ابن حكيم الطائي القحطاني الكوفي يكرر في هذا الشأن المعاني التي ردها الشعراء في خراسان الأفغانية ، مع الإحساس القوي بالعصبية لأهل اليمن مع المن على المسلمين والخلفاء الأمويين ، لأنهم وفوا للخليفة ، وهم حماة الإسلام ، وفي هذا كله يقول (١) :

لولا فوارسٌ مذحج ابنه مذحج	والأزد زُعرَع واستُبيح العسكِر
وتقطعت بهم البلاد ولم يوب	منهم إلى أهل العراق مخبر
واستطلقت عقد الجماعة (٢) وازدري	أمرُ الخليفة واستجَل المنكر
قوم هم قتلوا قتيبة عنوة	والخيل جائعة (٣) عليها العثير (٤)
بالمرج مرج الصين حيث تبيت	مضرُ العراق من الأعز الأكثر
والأزد تعلم أن تحت لوائها	ملكا قُرَاسية (٥) ، وموت أحمر (٦)
قحطان تضرب رأس كل متوج	وعلى بصائرهما وإذا لا تبصر
في عزنا انتصر النبي محمد	وبنا تثبت في دمشق المنبر

وإذا تركنا الطرماح وعصبية اليمنية ، إلى الفرزدق شاعر بني تميم في البصرة فإننا نراه ينسب كل ماحدث في أفغانستان الخراسانية إلى قومه ، ويردد كل ما رده شعراء تميم في خراسان الأفغانية بأنهم هم الذين أراقوا دم قتيبة ، ومنعوا أخاه ضراراً من الموت لأنهم أخزأه ، وهم الذين جاهدوا لإعلاء كلمة الله فانتشر الإسلام في كل ناحية وارتفع صوت المؤذن في كل مكان ، انظر إليه يقول (٧) :

(١) الطبري : ٥٢٠/٦ - ٥٢١ طبعة ثانية . وديوانه : ص ٢٤٨ . والشعر العربي : ص : ١١٤ .

(٢) استطلقت عقد الجماعة : اختل نظامها واختلت وتفرقت .

(٣) جائعة : مائلة على شق في جريها حين الغارة من فرط النشاط .

(٤) العثير : الغبار .

(٥) الملك القراسية : القوى العظيم .

(٦) موت أحمر : أي وثم موت أحمر ، رفعه على الابتداء .

(٧) الطبري : ٥٢٠/٦ . ونقائض جرير والفرزدق : ٣٥١/١ . وديوانه : ٣٣١/٢ . والشعر العربي : ص : ١١٥ .

ومنا الذى سَلَّ السيوفَ وشامَهَا
عشيةٌ لم تمنعَ منها قبيلةٌ
عشيةٌ ودَّ الناسُ أنهم لنا
عشيةٌ ما ودَّ ابنُ غراء^(١) أنه
رأوا جبلا يعلو الجبالَ إذا التقت
رجال على الإسلام إذ ما تجالدوا^(٢)
وحتى دعا في سور كل مدينةٍ
فُيجزى وكيعٌ بالجماعة إذ دعا
جزاءً بأعمالِ الرجالِ كما جَزَى
عشيةٌ بابَ القصرِ من فرغانِ
بعزُّ عراقٍ ولا ييمانِ
عبيدٌ إذ الجمعان يضطربانِ
له من سوانا إذ دعا أبوانِ
رؤسُ كبريَهِنَّ يتطحنانِ
على الدين حتى شاعَ كل مكانِ
منادٍ ينادى فوقها بأذانِ
إليها بسيفِ صارمٍ وسانِ
بيدرٍ وباليوموكِ فى جنانِ

قلت : إن عددا من الشعراء العرب في كل من أفغانستان والعراق قد نظموا المقطوعات الشعرية بعد قتل القائد الإسلامى قتيبة على أساس من المفاجرة التى يرجع سببها إلى الروح الجاهلية ، والعصية القبلية المستبدة بنفوسهم أولا ، وإلى الرغبة في منافقة سليمان بن عبد الملك ثانيا . فقد أعلن شعراء بعض القبائل العربية في أفغانستان والعراق أن قومهم رفضوا الخروج عليه ، وقتكوا بالقائد الإسلامى قتيبة إيمانا منهم بحق سليمان في الخلافة الأموية . ولاشك في أنهم إنما كبروا هذه المعانى وعظموها لأنهم كانوا يطعمون في مكافأة سليمان نظير هذه المناقفة وتلك العصية .

قتل قتيبة ، وقام وكيع بن أبى سود التميمى بالولاية ، وقام الشاعر العربى في خراسان الأفغانى نهار بن توسعة البكرى بعملياته التوسعية الشعرية ، فنفع في رأسه ، وعظم شأنه ، وحجب للناس شخصيته ، وأنه بطل في الحروب ، ومشهور بالوفاء للخليفة ، وأنه قائد وسياسى عادل ، فاتحدوا بزعامته تحت راية الإسلام في ربوع أفغانستان الخراسانية ، وفي ذلك يقول^(٣) .

أرادَ بنو عمرو لتَهْلِكَ ضِيعَةٌ فقد تُرِكَت أجسادُهم بِمَضِيعِ

(١) ابن غراء : هو ضرار بن مسلم أخو قتيبة بن مسلم الباهل ، وأمه غراء بنت ضرار بن القعقاع بن معبد ابن زارة .

(٢) تجالدوا : جاهدوا وصبروا .

(٣) نقاض جرير والفرزدق : ٣٦٤/١ . والشعر العربى : ص : ١١٦ .

ستبلغ أهل الشام عنا وقيةً صفا ذكرها للحنظلي وكيع
وقد أسندت أهل العراق أمورها إلى حامل ما حملوه منيع
له راية بالغفر سوداء لم تزل تُفَضُّ بها للمشركين جموع
مباركة تهدي الجنود كأنها عقابٌ نَحَتْ^(١) من ريشها لوقوع
على طاعة المهدي لم يبق غيرها فأبنا وأمر المسلمين جميع
على خير ماكانت تكون جماعة على الدين ديناً ليس فيه صدوع

ولكن وكيعا خيب آمال المسلمين العرب فيه ، ولم يقف عند البطش بهم ، بل خرج على الشرع وحدوده وقواعده ، وبدأ يسفك دم السكران سفكا ، ولما (قيل له : ليس عليه القتل ، إنما عليه الحد . قال : أنا لا أعاقب بالسياط ، إنما أعاقب بالسيف)^(٢) وقد رجع نهار بن توسعة البكري عن رأيه الأول فيه ، وراح يندد به ، إذ يقول^(٣) .

وكنّا نُبَكِّى من الباهلى فهذا لَعْدَانِي شَرٌّ وشر
وقال أيضاً^(٤) .

ولما رأينا الباهلى بن مسلم تحير عمنناه عَضْباً مهتدا
كان على خزائن يزيد بن المهلب والى خراسان الأفغانية (شهر بن حوشب) فاتهم أنه أخذ خريطة ، فسأله عنها ، فأتاه بها ، فدعا يزيد من اتهمه بذلك وشمته ، ووهب الخريطة لشهر بن حوشب . فقال القطامي الكلبي ، أو سنان بن مكمل التميمي يغمز شهرا ، لأنه سرق شيئا بخسا ، وهو من كبار القراء ، فيقول^(٥) .

لقد باع شهرٌ دينه بخريطة فمن يأمنُ القراء بعدك يا شهرُ
أخذت به شيئا طفيفا وبعته من ابن جَوْثُودًا إن هذا هو الغدر

(١) نحت : اعتمدت ..

(٢) الطبري : ٥١٩/٦ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر .

(٣) الطبري : ٥١٩/٦ . وتقاض جرير والفرزدق : ٣٦٤/١ . والشعر العربي : ص : ١١٧ .

(٤) الطبري : ٥٢٠/٦ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر .

(٥) الطبري : ٥٣٩/٦ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر . الشعر العربي : ص : ١١٧ .

وقال الشاعر العري مرة النخعي يتهم يزيد بن المهلب بإفساد خيرة القراء من كبار الموظفين^(١) .

يَا بَنَ الْمُهْلَبِ مَا أَرَدْتُ إِلَى أَمْرِي لَوْلَاكَ كَانَ كَصَالِحِ الْقُرَاءِ

قام والى خراسان سعيد بن عبدالعزيز بحبس جهم بن زحر الجعفي وجماعة من اليمن في السجن ، ثم عذبهم حتى يؤدوا الأموال التي اتهموا بأخذها أثناء عملهم في خراسان مع يزيد بن المهلب ، فمات جهم ، فثار الشاعر العري ثابت قطنة الأزدي لهذا الحادث ، وقال^(٢) .

أَتَذْهَبُ أَيَّامِي وَلَمْ أُسْقِ تَرْفُلًا^(٣) وَأُشْيَاعَهُ الْكَأْسِ الَّتِي صَبَحُوا جَهْمًا
وَلَمْ يُقْرِهَا السَّعْدِيُّ عَمْرُو بْنُ مَالِكٍ فَيَشْعَبُ مِنْ حَوْضِ الْمَنَاءِ لَهَا قِسْمًا

قال نصر بن سيار يستهجن اعتقال أسد له ونفر من مضر ، ويذم كل من تحذروا من قسر ، ويدمغهم بالصغار والمهانة ، وبالدهاء والخيانة ، لأنهم يتسلطون على الناس ، ويضطهدون أشرافهم ، ويتنقصون أقدارهم^(٤) .

بَعَثْتُ بِالْعِتَابِ فِي غَيْرِ ذَنْبٍ فِي كِتَابٍ تَلُومُ أُمَّ تَمِيمٍ
إِنْ أَكُنْ مُوثِقًا أَسِيرًا لَدَيْهِمْ فِي هُمُومٍ وَكَرْبَةٍ وَسُهُومٍ
رَهْنًا قَسْرٍ فَمَا وَجَدْتُ بِلَاءً كَإِسَارِ الْكَرَامِ عِنْدَ اللَّئِيمِ
أَبْلَغَ الْمَدْعِينَ قَسْرًا وَقَسْرَ أَهْلِ عَوْدِ الْقَنَاقَةِ ذَاتِ الْوُصُومِ^(٥)
هَنْ فُطِمْتُمْ عَنْ الْخِيَانَةِ وَالْعَدُوِّ رِأْمَ أَنْتُمْ كَالْحَاكِرِ^(٦) الْمُسْتَدِيمِ

وقال عَرَفَجَةُ الدارمي التميمي يستغرب أن يكون دعاة الخليفة وحماته من أمثال نصر بن سيار مقيدين يسامون العذاب في الحبس ، انظر إليه يقول^(٧) .

(١) الطبري : ٥٣٩/٦ - طبعة ثانية - دار المعارف بمصر . والشعر العري : ص : ١١٧ .

(٢) أنساب الأشراف : ١٦٢/٥ . والشعر العري في خراسان ص : ١١٨ .

(٣) ترفل : هو عبيد الله بن عبد الحميد بن عامر بن كريز .

(٤) الطبري : ٤٩/٧ - طبعة ثانية - دار المعارف بمصر . والشعر العري : ص : ١٢٠ .

(٥) الوصوم : جمع وصم . وهو الصدع في العود دون بينونة ، والعيب في النسب .

(٦) الحاكِر : من حكر إذا ظلم وتنقص وأساء المعاشرة .

(٧) الطبري : ٤٨/٧ - طبعة ثانية - دار المعارف بمصر . والشعر العري : ص : ١٢١ .

فكيف وأنصارُ الخليفة كلُّهم عناة^(١) وأعداءُ الخليفة تُطْلَق
بكيث ولم أملك دموعي وحق لي ونصرٌ شهابُ الحرب في الغل^(٢) موثق

كذلك هاج الفرزدق في البصرة كما ثار بنو تميم فيها ، وقد هدد الفرزدق
بآيات من شعره خالد بن عبدالله القسري ، يقول فيها^(٣) .

أخالدُ لولا الله لم تُعْطَ طاعةٌ ولولا بنو مروان لم تُوثِقُوا نصرا
إذا لَلَقَيْتُمْ دُونَ شَدِّ وثاقِهِ بنى الحرب لا كُشِفَ^(٤) اللقاء ولا ضجرا^(٥)

قال يحيى بن الحَضِين يتكهن بفشل أشرس بن عبدالله السلمى سلفا ، ويتنبأ
بأنه سيورط الجيش الإسلامي في التهلكة ، وذلك عندما تم اختياره واليا لخراسان
الأفغانية^(٦) :

لقد ضاع جيشٌ كان جَعْرٌ^(٧) أميرهم فهل من تلاقٍ قبل دَوْسِ القبائل
فإن صُرِفَتْ عنهم به فلعلَّه وإلا يَكُونُوا من أحاديثٍ قائل

سيطر الحارث بن سريح التميمي على أكثر مدن خراسان الشرقية والجنوبية ،
وكان يرى رأى المرتجعة ، فشن نصر بن سيار عليه حملة إعلامية ليصد الناس عن
الانضمام إليه ، وهذه الحملة الإعلامية أذاعها نصر بن سيار ضد الحارث في
قصيدته النونية التي تجرى على هذا النمط^(٨) :

دع عنك دنيا وأهلا أنت تاركهم ماخيرُ دنيا وأهل لا يدومونا
إلا بقية أيامٍ إلى أجل فاطلب من الله أهلا لا يموتونا
وأكثرُ ثَقَى الله في الأسرارِ مجتهدا إن الثَقَى خيرُه ما كان مكنونا
واعلم بأنك بالأعمالِ مرتَهَن فكن لذاك كثيرُ الهِم محزوننا

(١) العناة : جمع عان ، وهو الأسير .

(٢) الغل : القيد .

(٣) الطبري : ٤٩/٧ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر . والشعر العري : ص : ١٢١ .

(٤) الكشف : الذين لا تروس معهم ، أو الذين لا يثبتون في القتال ، ولا يصدقون في الحرب .

(٥) الضجر : القلق .

(٦) الطبري : ٥٢/٧ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر . والشعر العري : ص : ١٢٣ .

(٧) جَعْرٌ : لقب أشرس في خراسان .

(٨) الطبري : ١٠٠/٧ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر . والشعر العري : ص : ١٢٣ .

إِنِّي أَرَى الْعَبْنَ الْمُرْدَى بِصَاحِبِهِ
تَكُونُ لِلْمَرْءِ أحياناً فتمنحه
بَيْنَا الْفَتَى فِي نَعِيمِ الْعَيْشِ حَوْلَهُ
تَحْلُو لَهُ مَرَّةً حَتَّى يُسْرَّ بِهَا
هَلْ غَائِبٌ^(٣) مِنْ بَقَايَا الدَّهْرِ تَنْظَرُهُ
فَامْنَحْ جِهَادَكَ مَنْ لَمْ يَرْجُ آخِرَهُ
وَأَقْتُلْ مَوَالِيَهُمْ مِنْنا وَنَاصِرَهُمْ
وَالْعَائِيْنَ عَلَيْنَا دِينَنَا وَهُمْ
وَالْقَاتِلِينَ سَبِيلُ اللَّهِ بَغِيْتُنَا
فَاقْتُلْهُمْ غَضَبًا لِلَّهِ مُتَّصِرًا
أَرْجَاؤُكُمْ لَكُمْ^(٥) وَالشَّرْكَ فِي قَرْنٍ^(٦)
وَهَلْ تَعْيِيُونَ مِنَّا كَاذِبِينَ بِهِ
يَأْتِي الَّذِي كَانَ يَبْلِي اللَّهُ أَوْلَكُمْ

من كان في هذه الأيام مغبوناً
يوماً عِثاراً ويوماً تمنح اللينا
دهر فأمسى به عن ذاك مزبونا^(١)
حيناً وَتَمَقَّرُهُ^(٢) طعماً أحياناً
إلا كما قد مضى فيما تُقْصَوْنَا
وكن عدواً لقوم لا يصلوننا
حيناً تكفرهم والعنهم حيناً
شرُّ العباد إذا خابرتهم ديننا
لُبْعِدْ مَا نَكَّبُوا^(٤) عما يقولونا
منهم به ودع المرتاب مفتونا
فأنتم أهل إشرارك ومُرجُونَا
غالي ومُهْتَضِمٍ حَسْبِي الَّذِي فِينَا
على النفاق وما قد كان يُبْلِينَا

هذه الدعاية التي استغل فيها الدين الإسلامي لم تجد نفعا ، فاختلفت
الأوضاع في خراسان ، فأرسل هشام بن عبد الملك إليها أسد بن عبد الله القسري ،
فلما علم عاصم بن عبد الله الهلالي بذلك صالح الحارث بن سريج التميمي ، وطالبا
هشاما أن يعمل بالكتاب والسنة ، وإلا حارباه معا . وقد ساندتهما أكثر القبائل
العربية في خراسان إلا بكرا فقال رئيسها يحيى بن الحضيض : « هذا خلع لأمر
المؤمنين »^(٧) فقال خلف بن خليفة البكري في موقف يحيى^(٨) :

أَيُّ هُمْ قَلْبِكَ إِلَّا اجْتَمَاعَا وَيَأْتِي رُقَادُكَ إِلَّا امْتِنَاعَا

(١) المزبون : المدفوع المنوع .

(٢) تمقره : من مقره إذا جعله مرا .

(٣) الغابر : هنا الباقي .

(٤) نكبوا : مالوا .

(٥) لركم : شدكم وألصقكم .

(٦) القرن : الخيل الذي يقرب به بعيران .

(٧) الطبرى : ١٠٢/٧ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر .

(٨) الطبرى : ١٠٢/٧ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر . والشعر العرنى : ص : ١٢٥ .

بغير سماع ولم تلقى
 حفظنا أمة في ملكها
 نُدافع عنها وعن ملكها
 أبى شعب^(٢) ما بيننا في القديم
 ألم نختطف هامة ابن الزبير
 جعلنا الخلافة في أهلها
 نصرنا أمة بالمشرفي
 ومنا الذى شد أهل العراق
 على ابن سُرَيْج نقضنا الأمور
 حكيم مقالته حكمة
 ولولا فتى وائل لم يكن
 ققل لأمة ترعى لنا
 إذا ابن حُصَيْن غدا باللواء
 إذا ابن حُصَيْن غدا باللواء

أحاول من ذات لهُو سماعاً
 ونُخْطِرُ^(١) من دونها أن تُراعاً
 إذا لم نجد يَدَيَّها امتناعاً
 وبين أمة إلا انصداعاً
 وننتزع الملك منه انتزاعاً
 إذ اضطرع الناس فيها اضطراعاً
 إذ انخلع الملك عنها انخلعاً
 ولو غاب يحيى عن الثغر ضاعاً
 وقد كان أحكمها ما استطاعاً
 إذا شئت القوم كانت جماعاً
 يُنْضِجُ فيها رئيس كراعاً^(٣)
 أيادى لم نُجْزَها واصطناعاً
 أشار النور به والضباعاً^(٤)
 ذكى وكانت معدُّ جداعاً^(٥)

وفى أثناء هذه الأحداث العظام بعث الشاعر العربى الكميت بن زيد
 الأسدى إلى أهل مرو بهذا الشعر :

ألا أبلغ جماعة أهل مرو
 رسالة ناصح يهْدِي سلاماً
 ولولا ذاك قد زارتك خيل
 فلا تنهوا ولا تَرْضَوْا بِخَسْفٍ
 وكونوا كالبغايا إن تُحْدِثْتُمْ
 وإلا فارفعوا الرايات سوداً

على ما كان من نأى وبعد
 ويأمر فى الذى ركبوا بجِد
 من المصرين بالفرسانِ تُردى
 ولا يغرركم أمد بعهد
 وإن أقررتم ضيماً لَوَغْدٍ
 على أهل الضلالة والتعدي

(١) نخطر : نخرج للقتال نشيطين .

(٢) الشعب : أبو القبائل الذى ينسبون إليه ، أى يجمعهم ويضمهم .

(٣) يقال للضعيف الدفاع : فلان لا ينضج الكراع ، والكراع : مادون الكعب من الدواب .

(٤) أشار النور به والضباعا : كناية عن ظفره بأعدائه ، وقتله لهم فى كل حرب يقتلهم فيها .

(٥) الجداع : الموت والهلاك .

فكيف وأنتم سبعون ألفا رماكم خالد بشييه قرد
ومن ولّى بدمته رزينا وشيعته ولم يوف بعهد
ومن غشّى قضاة ثوب خزي بقتل ألى سلامان بن سعد
فهلا باقضاع فلا تكونى توابع لا أصول لها بنجد
وكنّت إذا دعوت بني نزار أتاك الدهم من سبط وجعد
فجُدّغ من قضاة كل أنسيف ولا فازت على يوم بمجد^(١)

وصل أسد بن عبدالله القسرى إلى خراسان فقام بحبس عاصم بن عبدالله الهلالى لخروجه على الخليفة ، وحاسبه حسابا يسيرا ، فثار عليه محتجا بأنه ليس من العدل فى شىء أن يكون أسد عدوه خصما وقاضيا فى وقت واحد ، فيقول^(٢) :

تخاصمنى بجيلة ثم تقضى لأنفسها لبس الحكم ذاك
إذا ما كان خصمك يا ابن عمرو هو القاضى الذى يقضى علاكا^(٣)
وحسبك من بلاء أن تؤلى قضاء فى أمورك من دهاكا^(٤)

ويبدو أن أسدا قد مضى يسومه سوء العذاب ، ولم يهتم بصرخات الاحتجاج التى رفعها ، وأرسلها إليه من السجن ، فكبر عليه ذلك ، وتمنى لو هلك قبل أن يقبض عليه ، وفى ذلك يقول^(٥) :

أضحت بجيلة من خوفى مسلطة خطب جليل لعمرى شأنه عجب
يا ليتنى مئ لم تظفر بجيلة بى كذلك الدهر بالإنسان ينقلب
يقول الشاعر أبو نائلة صالح بن الأبار معرضا بمغراء بن أحر التميمى القيسى ، واصما له بالغدر والخيانة والتنكر لمن أحسن إليه ، ورفع مكانته ، ومشيدا بنصر بن سيار وسياسته العادلة ، وكان نصر قد أحسن إلى مغراء وجعله على رأس وفد من الخراسانيين والشوام الذى سيره إلى العراق ، فلما تمثل الوفد أمام هشام ، قام مغراء بإغراء وإيعاذ من يوسف ابن عمر الثقفى القيسى والى

(١) الطبرى : ٩٩/٧ - ١٠٠ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر .

(٢) معجم الشعراء : ص ١١٨ . والشعر العربى : ص : ١٢٩ .

(٣) علاكا : أى عليك .

(٤) دهاه : ختله وأصابه بمنكر .

(٥) معجم الشعراء : ص ١١٨ . والشعر العربى : ص : ١٢٩ .

العراق ، فعاب نصرا ، ثم علم نصر بما حدث ، فتغير لقيس ، وأوحشه ما صنع مغراء ، فلنترك أبا نميلة ليقول ذلك في شعره^(١) :

فاز قِدْحُ الكلبي^(٢) فاعتقدت مغـ راء في سَعْيِهِ عُرُوقُ لُثَمِ
فَأَيَّنِي تُمِيرُ ثم أَيَّنِي أَلْعَيْدُ مغراء أَمْ لَصَمِيمِ
فلئن كان منكم لا يكون الغدرُ والكفرُ من خصال الكريم
ولئن كان أصله كان عبدا ما عليكم من غدره من شتم
وَلَيْتَهُ لَيْسَتْ وَأَيُّ وُلَاةٍ بأيادٍ بيضٍ وأمرٍ عظيم
أُسَمِّتَتْهُ حتى إذا راح مغبو طأً بخيرٍ مِنْ سِيَّهَا المَقْسُومِ
كاد ساداتِهِ بِأَهْوَنَ مِنْ نهقِ عِيرٍ بِقَرَّةٍ مَرْقُومِ^(٣)
فضربنا لغربنا مثلَ الكلـ ب ذميماً والذمُّ للمذموم
وحَمَدْنَا لَيْثاً ويأخذ بالفضـ ل ذوو الجود والندى والحُلُومِ
فاعلمنْ بِأَبْنِي القساورة^(٤) الغلب ب^(٥) وأهل الصفا^(٦) وأهل الحطيم^(٧)
أن في شكر صالحينا لَمَّا يد حض قولَ المَرهَقِ^(٨) الموصوم^(٩)
قد رأيَ الله ما أتيت ولن ينقـ ص نبج الكلابِ زُهرَ النجوم
ثم أسرف نصر في إهانة القيسية ، فقال في ذلك بعض الشعراء^(١٠) :

لقد بَغَضَ اللهُ الكرامَ إليكم كما بَغَضَ الرحمنُ قيساً إلى نصرٍ

(١) الطبرى : ١٩٦/٧ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر . والشعر العربى : ص : ١٣٢ .

(٢) الكلبي : هو حملة الكلبي وكان من أعضاء الوفد ، وحين نقص مغراء نصرا عند هشام بأنه شيخ متهاك كذبه حملة وقال : (كذب والله ما هو كما قال هو هو) .

(٣) المرقوم : المخطط المزين .

(٤) القساورة : جمع قسورة وهو العزيز الذى يقهر غيره .

(٥) الغلب : الغالبون .

(٦) الصفا : أحد جبلي المسعى .

(٧) الحطيم : حجر مكة ، أو جدار الكعبة .

(٨) المرهق : الذى يغشى الحارم .

(٩) الموصوم : المعيب فى نسيبه .

(١٠) الطبرى : ١٩٧/٧ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر .

رَأَيْتُ أبا لَيْثٍ يُهَيِّئُ سَرَاتِهِمْ^(١) وَيُذْنِي إِلَيْهِ كُلُّ ذِي الْوَلِّ^(٢) غُمْرٍ^(٣)

تصوير الغزوات الحربية في أفغانستان :

أوردنا الشعر العربي الذي قيل في خراسان وأنشده الشعراء فيها تصويرا للأحداث ، والأزمات السياسية منظما على الأعوام ، لا على الأغراض ليكون دليلا على ثبوت الحوادث التاريخية يثبتها ، ويؤيدها ، ويؤكددها ، فإننا نصنع الصنيع نفسه في تصوير الغزوات الحربية ، وفي الشعر العربي الذي لهج به الشعراء والفرسان في تقديم الغزوات الحربية ، وتصويرها لكي يتلاءم أيضا مع المباحث التاريخية السابقة ، وليكون مكملًا لها ، ومؤيدا ، ولكي نتبين مواقف الشعراء ، والفرسان ، ومواقف قبائلهم من هذه الغزوات الحربية التي قام بها العرب في أفغانستان وخاصة في الجزء الهام الذي يسمى بطخارستان في التاريخ الإسلامي ، والشعر في الحقيقة تصوير صادق لكل ما جرى من الأحداث الحربية والعسكرية وعرض لكل تفاصيلها في لحظة النصر ، وساعة الشدة ، ووقت الأزمة فهو يصور أدوار الجميع في هذه الحروب من الفرد العادي إلى القبيلة وزعيمها ، ومن الجندي العادي إلى الجيوش وقوادها وقادتها . فيه تصوير صادق للقائد الموفق المظفر ، وللقائد الخفق المقلب ... تصوير صادق لكل هذا وذلك .

والشعر الذي قيل وأنشد في تصوير الحروب والغزوات نوعان نوع أنشده الجنود الأبطال وهم يفتحون خراسان ، ويحتلون مدنها ونوع آخر أنشده الشعراء والفرسان في تصوير الغزوات تصويرا فنيا . كما سيأتي ... وقبل أن نقوم باستقصاء النوع الثاني لكثيره نود أن نقف عند الأشعار التي قالها الجند وأنشدوها أثناء الحروب والاكتماس والاحتلال والفتح لما لها من أهمية تاريخية خاصة بل لأنها تفوق في دقتها الروايات التاريخية التي نقلها المؤرخون عن فتح خراسان بأيدي المسلمين ، لأنها تعطينا صورة صحيحة واضحة لبداية الفتح الإسلامي ، وأحداثه وتطورات ، ونهايته .

(١) السراة : جمع سرى وهو الشريف .

(٢) الوال : الذي لا يحكم العهد أو العقد ولا يؤكده .

(٣) الغمر : المغفور الذي لم يجرب الأمور ، ولم تحنكه التجارب .

وأول ماتشير إليه أشعار الجند المقاتلين أن الفتح تم بقيادة الأحنف بن قيس التميمي سنة ٢٢ هـ - ٦٤٢ م في خلافة عمر بن الخطاب (رض) وأنهم غلبوا في هذا الفتح على نيسابور ، و مرو الروذ الأفغانية ، و مرو الشاهجان ، و طوس ، و هرات الأفغانية ، و بلخ في شمال أفغانستان وقاتلوا الجنود الذين أعانوا يزدكرد الساساني الهارب ، وفي ذلك يقول البطل ربعي بن عامر أحد الجند الذين اشتركوا في القتال^(١) :

ونحن وردنا من هراء^(٢) مناھلا^(٣) رواء^(٤) من المروين إن كنت جاهلا
وبلخ^(٥) ونيسابور قد شقيت بنا وطوس و مرو قد أزرن^(٦) القنابلا^(٧)
أنحنا^(٨) عليها كورة بعد كورة نفضهم حتى احتوتنا المناھلا
فلله عينا من رأى مثلنا معا غداة أزرن^(٩) الخيل تركا وكابلا
و حين تقدم (خاقان) واحتل (بلخ) وتقدم إلى (مرو الروذ) لاقاه
الأحنف بن قيس التميمي ، وقتل ثلاثة من أبطاله وفرسانه ارتحل أبياتا صور فيها دور
القائد ، وواجهه الذي ينبغي أن يقوم به ، منها قوله^(١٠) :

إن الرئيس يرتبي^(١١) ويطلُع^(١٢) ويمنع الخلاء^(١٣) إما أربعوا^(١٤)
وقوله^(١٥) :

إن على كل رئيس حقاً أن يخصب الصعدة^(١٦) أو تندقا^(١٧)

(١) ياقوت ٤١٠/٢ . والشعر العربي : ص : ١٥٢ وشعر الفتوح الإسلامية للنعمان عبدالمتعال القاضي

ص : ١٣٤ طبعة القاهرة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .

(٢) المناهل : جمع منهل ، وهو مورد يطؤه الطريق .

(٣) الماء الرواء : الكثير المروي والماء الرواء : العذب .

(٤) القنابل : جمع قنبلة ، وهى الطائفة من الخيل .

(٥) أناخ : البعير : أبركه .

(٦) الطبرى : ١٧٠/٤ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر . والشعر العربي : ص : ١٥٣ .

(٧) يرتبى : يلعب الراية وهى المكان المشرف .

(٨) الخلاء : الخيلون الفارغون .

(٩) أربعوا : أطمأنوا .

(١٠) الطبرى : ١٦٩/٤ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر . والشعر العربي : ص : ١٥٣ .

(١١) الصعدة : القناة المستوية ثبت كذلك ولا تحتاج إلى تنقيف .

(١٢) تندق : تكسر .

وبعد سنتين من خلافة عثمان بن عفان قام (نيزك) في شمال أفغانستان بالثورة ضد العرب المسلمين ، واستولى على مدينة (بلخ) التاريخية الأفغانية ، وأرغم من بها من المسلمين العرب إلى (مرو الروذ) الأفغانية ، وكان عليها عبدالرحمن بن سمرة ، فكتب ذلك إلى عثمان بن عفان ، وقام الفرسان الشعراء بوصف ثورة أهل خراسان ، ونصحوا ألا يستهان بها ، وطالبوا عثمان بن عفان بالمساعدة لقمع هذه الثورة الخطيرة وفي ذلك يقول أسيد بن المششم التيمي^(١) :

ألا أبلغا عثمان عني رسالة فقد لقيت عنا خراسان بالغدر
فأذك هداك الله حربا مقيمة بمرى خراسان العريضة في الدهر
ولا تفترز^(٢) عنا فإن عدونا لآل كنازاء الممدن^(٣) بالجر^(٤)

فقام عثمان بن عفان رضى الله عنه بنذب عبدالله بن عامر عامله على البصرة لمساعدة المسلمين المحاصرين في خراسان ، فخرج على رأس حملة تأديبية ، ودخل خراسان وبث جنوده في أطرافها ، فافتتحها في مدة سنتين ، وأعاد الولاية المسلمين عليها ، فقال أسيد بن المششم التيمي يذكر استرداد خراسان ، وخضوع أهلها ، وتجديد الصلح معهم^(٥) :

ألا أبلغا عثمان عني رسالة لقد لقيت عنا خراسان ناطحا
رميناهم بالخيال من كل جانب فوّلوا سراعاً واستقادوا^(٦) النواح
غداة رأوا الخيل العرب^(٧) مغيرة تُقرب منهم أسدُهن الكوالحا^(٨)
تنادوا إلينا واستجاروا بعهدنا وعادوا كلابا في الديار نوابحا

(١) ياقوت ٤١٢/٢ والشعر العربي ص ١٥٣ - ١٥٤ .

(٢) افترز : اعتزل وانقطع .

(٣) الممدن : المتكاثرين .

(٤) الجر : موضع على الفرات قرب الحيرة ، كانت فيه وقعة بين المسلمين والساسانيين في خلافة عمر بن الخطاب ، دارت فيها الدوائر على المسلمين . (انظر ياقوت : ٨٢/٢) .

(٥) ياقوت : ٤٢١/٢ . والشعر العربي : ص : ١٥٤ وشعر الفتوح الإسلامية للنعمان عبدالمتعال القاضي

ص ١٤٤ طبعة القاهرة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .

(٦) استقادوا النواح : سألو نساءهم المفجوعات أن ينتقمن لهم من قاهريهم .

(٧) الخيل العرب : العربية العتيقة السليمة من الهجنة .

(٨) الكوالح : جمع كالح ، وهو العابس .

إن الشعراء العرب الذين ألبوا بنهاية آخر ملوك الساسان (يزدكرد) الثاني الهارب من السيف الإسلامي الصارم يذهبون إلى أنه لم يقتل بل انخلع قلبه من الخوف ، وتوقف فؤاده رهبة حين رأى أبطال المسلمين مقبلين على (مرو الشاهجان) التي كان يحكمها سورى من الغور ، يتعقبونه ، ويلاحقون فلوله من جنوده الساسانيين فلجأ إلى طاحونة على نهر (رَزِيْق) فلقى حتفه فيها خوفا من المسلمين مما سهل مهمتهم ، ويسر لهم استرجاع المدينة ، وذلك قول أبى بجيد نافع ابن الأسود التميمي يقول^(١) :

ونحن قتلنا يزدجردَ ببعدة ^(٢)	من الرعب إذ ولى الفرار وغارا
غداة لقيناهم بمرور نخالهم	نمورا على تلك الجبال ونارا
قتلناهم في حربة طحنت بهم	غداة الرزِيْق إذ أراد جوارا
ضممنا عليهم جانبهم بصادق	من الطعن مادام النهار نهارا
فو الله لولا الله لا شيء غيره	لغادت عليهم بالرزِيْق بوارا

هذه الأمثلة والنماذج الشعرية توضح أن الشعراء الذين ساهموا في فتح خراسان الأفغانية ، وفي عمليات استرجاعها كانوا أدق من المؤرخين الذين نقلوا وقائع الحروب ، وأحداث الفتوحات في خراسان ومن أجل ذلك فإن أشعارهم ترتفع إلى درجة الوثائق الدقيقة التي يعتد بها في تاريخ أفغانستان خلال الفتوحات الإسلامية لأنها خالية من التناقض ، وتؤكد أن الفتح الإسلامي قد بدأ في أفغانستان في سنة ٢٢ هـ - ٦٤٢ م . والفتوحات الأخرى كانت إما للاسترجاع أو لفتح أقاليم ومقاطعات جديدة في أفغانستان .

أما النوع الثاني من الشعر العربي الذي تغنى به الشعراء العرب في أفغانستان الخراسانية فهو كثير ومتنوع وأول مايلقانا من شعر الغزوات الإسلامية في أفغانستان شعر قيل في غزوة قلعة (بادغيس) الأفغانية ففي سنة ٨٤ هـ - ٧٠٣ م هاجم يزيد بن المهلب قلعة (بادغيس) في ولاية (بادغيس) الأفغانية بالقرب من (هراة) الأفغانية وكان الزعيم الثائر (نيزك) ينزل بها ، فصالحه على

(١) ياقوت : ٧٧٧/٢ . والشعر العربي : ص : ١٥٤ - ١٥٥ . وشعر الفتوح الإسلامية للنعمان

عبدالمعتل القاضي ص ١٤٤ طبعة القاهرة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .

(٢) البعدة : من بعدة الأمر إذا حربه .

أن يدفع ما في القلعة من الخزائن ، ويرتحل بعياله عنها . فقال كعب بن معدان الأشقرى يصور علو القلعة الشاهق الذى يطاول عنان السماء حتى إن أضواءها لتتراءى فى الليل المظلم ، وكأنها النجوم المتلألئة ، فلما تقدم إليها ، وطوقها وقع الذعر والخوف فى قلوب أهلها ووافقوا على أداء الجزية ، ثم مضى يشيد بيزيد بن المهلب وأنه شديد النكاية بأعدائه^(١) :

وباذغيسَ التى من حلّ ذُرْوَتِها	عزالملوكَ فإن شاجارَ ^(٢) أو ظلما
منيعَةً لم يَكِدْها ^(٣) قبله مَلِكٌ	إلا إذا واجهت جيشا له وَجَمًا ^(٤)
تخال نيرانها من بعد منظرِها	بعضَ النجوم إذا ما ليلها عتما
لما أطافَ بها ضاقت صدورُهم	حتى أقروا له بالحكم فاحتكما
فذلّ ساكنُها من بعد عزته	يعطى الجزى ^(٥) عارفا بالذل مهتضمًا ^(٦)
وبعد ذلك أياما نعددها	وقبلها ما كشفت الكرب والظلما
أعطاك ذاك ولئى الرزقِ يَقسِمُه	بين الخلائق والمحروم من حرما
يداك إحداها تسقى العدو بها	سما وأخرى نداها لم يزل ديمًا
فهل كسبَ يزيد أو كنائلُه	إلا الفرائد وإلا النيل حين طما
ليسا بأجودَ منه حين مَدَّها ^(٧)	إذ يعلوانِ جِذاب ^(٨) الأرض والأكما ^(٩)

وفى سنة ٨٥ هـ - ٧٠٤ م قام المفضل بن المهلب بالهجوم على (بادغيس) الأفغانية مرة ثانية ، فافتتحها ، وقَسَمَ ما اغتنمه بين المسلمين ، فنال كل واحد منهم ثمانية دراهم ، ثم أغار على (آخرون) و (شومان) على الساحل الشمالى من نهر (جيحون - آمو) وفرّق ما اغتنمه أيضاً على المسلمين ، فقال

(١) الطبرى : ٣٨٦/٦ . وابن الأثير : ٤٩٩/٤ . والشعر العرى : ص : ١٥٧ .

(٢) شا : شاء .

(٣) لم يكدها : لم يقهرها .

(٤) وجم : سكت على غيظ ، واشتد حزنه .

(٥) الجزى : جمع جزية ، وهى المال الذى يؤخذ من أهل الذمة .

(٦) المهتضم : المرتضى .

(٧) المد : زيادة ماء النهر .

(٨) الجذاب : جمع حذب ، وهو الغليظ المرتفع من الأرض .

(٩) الأكما : جمع أكمة : وهى مادون الجبل .

كعب بن معदान الأشقرى قصيدة يصف فيها سماحة خلقه ، ورجاحة عقله ، الأمر الذى يجعله ملجأ للعرب ، يأتون إليه يطلبون جوده ومعروفه ، فينصرفون عنه راضين داعين له بما نالوا من نواله ، يقول (١) :

ترى ذا الغنى والفقر من كل معشر	عصائب شتى ينتنون المفضل
فمن زائر يرجو فواضل سبيه	وآخر يقضى حاجه قد ترحلا
إذا ما انتونا غير أرضيك لم نجد	بها متوى خيرا ولا متعللا
إذا ما عددنا الأكرمين ذوى النهى	وقد قدموا من صالح كنت أولا
لعمري لقد صال المفضل صولة	أباحث بشومان المناهل والكلا
ويوم ابن عباس تناولت مثلها	فكانت لنا بين الفريقين فصلا
صنفت لك أخلاق المهلب كلها	وسرّبت من مسعاه ما تسربلا
أبوك الذى لم يسع ساع كسعيه	فأورث مجدا لم يكن متحصلا

وفى سنة ٩٠ هـ - ٧٠٨ م ثار الزعيم (نيزك) أو تمرد فى (طخارستان) فى شمال أفغانستان ، فثارت معه الأقاليم الشمالية والغربية الأفغانية كلها تقريبا ، لأنه تعاون معه فى هذه الثورة أو التمرد ملوك كل من بلخ ، ومرو الروذ ، والطالقان ، والفارياب ، والجوزجان ، وكلها الآن ولايات أفغانية ، فأخذهم قتيبة بن مسلم الباهلى بالشدة والقسوة ، وعاملهم بالعنف ، حتى استردها ، وتوغل فى طخارستان الأفغانية متعقبا الزعيم المتمرد (نيزك) إلى أن دخل شعب (حلم) المهلك ، فحاصر الزعيم الثائر (نيزك) فى القلعة ، وعجز عن اقتحامها ، فتحايل عليه بالصلح فخرج إليه فقتله ، فاستاء بعض العرب هذا الغدر ، فوجه إليه شاعر الأزد ثابت قطنة نصائحه مطعمة بالنقد ، والطنن ، والهجاء ، ودعاه ألا يركن إلى الخديعة لأن عاقبتها هلاك وفناء ، إذ يقول (٢) :

لا تحسن الغدر حزما فرما ترقى به الأقدام يوما فزلت

أما المغيرة بن حبياء التميمى فأسرف فى مدح قتيبة بن مسلم الباهلى لقمعه

(١) الطبرى : ٣٩٧/٦ - ٣٩٨ ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ، والشعر العربى بخراسان ١٥٨ .

وابن الأثير : ٩٧/٤ ، طبع بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

(٢) الطبرى : ٤٥٩/٦ ، وابن الأثير : ٥٥٢/٤ ، والشعر العربى بخراسان ١٦١ ، وابن الأثير : ١١٤/٤ ،

طبع بيروت سنة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

ثورة الزعيم (نيزك) واسترسل يصفه بالبطولة ، والعظمة ، والدفاع عن الإسلام ، وعن ديار الإسلام ، وعن المسلمين ، وهو الذخر لكل كارثة ، والعدة لكل حادثة ، وخطب ، وشدة ، وقد أودع ذلك في قصيدتين أولاهما تائية طويلة لم ينقل الطبرى إلا مطلعها وهو^(١) :

لعمري لنعمت غزوة الجند غزوةً قضت نجبها من نيزك وتعلت
وثانيتها ميمية سردها الطبرى برمتها ، وهى تجرى على هذا النمط^(٢) :

لَمَنْ الدِّيارُ عَفَتْ بِسَفْحِ سَنَامٍ^(٣) إِلَّا بَقِيَّةَ أَبْصَرٍ^(٤) وَثَمَامٍ^(٥)
عَصَفَ الرِّياحُ ذِيولَها فمَحَوَّها وجرين فوق عِراصِها بتمام
دارٌ لَجارِيَةٍ كَأَنَّ رُضايَها مسكٍ بِشابِ مِزاجِها بِمِدام
أَبْلَغُ أبا حَفْصٍ قَتِيبةً مَدَحَتِ وأقرأ عليه تحيتى وسلامى
يَاسِيفُ أبلغُها فَإِنْ ثَناءَها حَسَنٌ وَإِنَّكَ شَاهدٌ لِمقامى
يَسْمُو فَتَنُضَعُ^(٦) الرِّجالُ إِذا سَما لِقَتِيبةِ الحامى حِى الإسلام
لَأَعْرَ^(٧) مَن تَخِبُ لِكُلِّ عَظِمة نَحْرٍ^(٨) يَياحُ بِهِ العَدُو لَها^(٩)
يَمِضُ إِذا هابَ الجَبانُ وَأَحْمِشَتْ^(١٠) حَرَبٌ تَسْعُرُ نارُها بِضِرام
تُرَوَّى الفَناءُ مَعَ اللِّواءِ أَمامِها تَحْتَ اللِّوامِعِ والنَّحورِ دوامى
والهَمامُ^(١١) تَفْرِيه^(١٢) السِّيوفُ كَأَنَّهُ بِالقَلاعِ حِينَ تَراهُ قَيضُ^(١٣) نَعام

(١) الطبرى : ٤٥٨/٦ - طبعة ثانية - دار المعارف بمصر . والشعر العربى : ص : ١٦١ .

(٢) الطبرى : ٤٦٠/٦ - طبعة ثانية - دار المعارف بمصر . والشعر العربى : ص : ١٦١ .

(٣) سنام : جبل مشرف على البصرة فى العراق . وجبل لبنى دارم بين البصرة والجمامة .

(٤) الأبصر : جبل صغير قصير يشد به أسفل الحياء إلى وتد .

(٥) الثام : نبت ضعيف له خوص يحشى به خصائص البيوت ويسد .

(٦) تنضع : تنطأ من وتخفض رؤوسها .

(٧) الأغر : أبيض الوجه مستبشرة .

(٨) النحر : الخاذق الماهر والعاقل المجرب .

(٩) الهام : الجيش الكثير كأنه يلتهم كل شئ . واللهم من الرجال : الرغيب الرأى ، العظيم الكاف .

(١٠) أحمشت : ألهمت .

(١١) الهام : جمع هامة ، وهى الرأس أو أعلاها .

(١٢) تفرية : تقطعه .

(١٣) القيض : قشرة البيضنة اليابسة التى خرج فرخها ، أو ماؤها كله فصدعت وتشققت .

وترى الجياد مع الجياد ضوامرا بفنائيه لحواث الأيام
 ومن أنزل نيزكا من شاهقي والكُرز^(١) حيث يروم كل مرام
 وأخاه شقرانا سقيت بكأسه وسقيت كأسهما أبا إذا
 وترك صولا حين صال مُجَدَّلا^(٢) يركبته بدواير^(٣) وحوام^(٤)

كذلك قام نهار بن توسعة البكرى بمدح قتيبة بن مسلم الباهلي لقضائه على المرتدين الناكثين ، وصب عليهم غضبه بشدة ، وعسفه بقوة ، فإنه إنما فعل ذلك جزاء ما يستحقون من العقاب الأليم . يقول^(٥) :

أراك الله في الأتراك حكما كحكم في قريظة والنضير
 قضاء من قتيبة غير جور به يُشقى الغليل من الصدور
 فان ير نيزك خزيأ وذلا فكم في الحرب حُمق من أمير

قتيبة بن مسلم الباهلي له فتوحات كثيرة في خراسان ، وفي بلاد ماوراء النهر قام بها دفاعا عن الإسلام والمسلمين . وهذه بعض الأمثلة لذلك ففي سنة : ٩٣ هـ - ٧١١ م قام بفتح (خوارزم) وللشاعر العري كعب الأشقرى قصيدة في ذلك . وفي ٩٣ هـ - ٧١١ م قام بفتح (سمرقند) وللشاعر العري كعب الأشقرى قصيدة في ذلك . وفي ٩٦ هـ - ٧١٤ م قام بفتح (فرغانة) وللشاعر سوار بن عبد الله قصيدة في ذلك . وفي ٩٦ هـ - ٧١٤ م قام بفتح (كاشغر) وللشاعر سوار بن عبد الله قصيدة في ذلك . وفي ٩٦ هـ - ٧١٤ م أرسل وفدا إلى الصين ، وللشاعر نفسه قصيدة في ذلك . وفي كل مناسبة من هذه المناسبات مدحه الشعراء العرب مدحا لا يسع المقام لتقديم النماذج الشعرية ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى وهي خارجة عن النطاق الأفغاني الجغرافي في الوقت الحاضر . وكان لهذه الانتصارات الموفقة صداها العظيم في كل من خراسان ، والعراق . ذلك لأنه قام في خراسان بدور بارز وهام في ميدان الفتوحات

(١) الكرز : لعله أصله : كُرز : أفغاني معرب وهو المدرب المحرب من الرجال .

(٢) المجدل : المصروع .

(٣) الدواير : الأعقاب .

(٤) الحوامى : ميامن الخافر ومياسره .

(٥) الطبرى : ٤٦٠/٦ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر . والشعر العري : ص : ١٦٣ .

الإسلامية والميادين السياسية ، ولعله من أجل ذلك وصفه ابن حزم بأنه ..
(صاحب خراسان ، ذو الآثار المشهورة)^(١) .

ولما ولي أسد بن عبدالله القسرى ، اتجه في فتوحاته نحو أفغانستان
المركزية ، وقصر عن متابعة حركة الغزو والحرب والفتح فيما وراء النهر ،
واكتفى بمهاجمة نواحي (هراة) الجبلية . ففى سنة ١٠٧ هـ - ٧٢٥ م غزا بلاد
الغور في أفغانستان المركزية ، فعمد أهلها إلى أثقلمهم وأموالهم ، فسيروها
ووضعوها في كهف ليس إليه طريق . فأمر باتخاذ توابيت ، ووضع فيها الرحال ،
ودلاها بالسلاسل فاستخرجوا ما قدروا عليه من تلك الأموال النفيسة ، فقال
ثابت قطنة بمدحه^(٢) :

أرى أسدا تَضْمَنَ مُفْطِطَاتِ ^(٣)	تَهَيَّيْهَا الْمُلُوكُ ذُوو الْحِجَابِ
سما بالخيل في أكنافِ مرو	تَوْفَزُهُنَّ ^(٤) بَيْنَ هَلَا ^(٥) وَهَابِ ^(٦)
إلى غُورَيْنِ حَيْثُ حَسَى أَرْبُ ^(٧)	وَصَلَّ ^(٨) بِالسَّيْفِ وَالْحِرَابِ
هدانا الله بالقتلى تراها	مَصْلَبَةً بِأَفْوَاهِ الشَّعَابِ
ملاحم لم تَدْعُ لِسِرَاقِ كَلْبِ	مِهَاتَرَةٍ وَلَا لِبْنَى كَلَابِ
فأوردها النِّهَابِ وآب منها	بِأَفْضَلِ مَا يَصَابُ مِنَ النَّهَابِ
وكان إذا أناخ بدار قوم	أَرَاهَا الْخَزَائِثَ مِنَ الْعَذَابِ
ألم يزر الجبال جبال ملح	تَرَى مِنْ دُونِهَا قِطْعَ السَّيْحَابِ
بأرعن ^(٩) لم يدع لهم شريدا	وَعَاقِبَهَا الْمُحِضُ ^(١٠) مِنَ الْعِقَابِ

(١) جهرة أنساب العرب ص ٢٤٦ .

(٢) الطبرى : ٤١/٧ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر . والشعر العرى : ص : ١٧٤ .

(٣) المفططات : الشدائد الشنيعة .

(٤) التوفز : الوئوب .

(٥) هلا : زجر للخيل لتسرع في العدو .

(٦) هاب : دعاء لما لكى تقبل وتتقدم .

(٧) الأرب : الداهية .

(٨) الصل : الضرب الشديد .

(٩) الأرعن : الجبل الشاهق .

(١٠) الممض : المؤلم الموجه .

وفي سنة ١٠٨ هـ - ٧٢٦ م عبر النهر إلى (الختل) فاستجلب أميرها خاقان ، فتهقّر إلى (بلخ) فأتبّعه خاقان ، وأصاب الجند في تلك الغزوة جوع شديد . ويقال إنه رجع مغلولاً إلى خراسان فتغنى عليه الصبيان بأبيات من الرجز باللغة الدرية فضحوه بها ، وتهكموا عليه فيها^(١) وهو :

از ختلان آمذى برو تباه آمذى بيدل فراز آمذى^(٢)

وفي سنة ١٠٩ هـ - أغار مرة أخرى على (غورين) فأوقع بأهلها خسائر كبيرة . فقال ثابت قطنة يمدحه^(٣) :

أرى أسدا في الحرب إذ نزلت به تناول أهل السبل^(٥) خاقان رده^(٦)
فَحَرَّقَ ما استعصى عليه وخرَّباً أتلّك وفود الترك ما بين كابل
وُغُورِينَ إذ لم يهروا منك مهرباً فما يغمر الأعداء من ليث غابة
أبي ضاريات حَرَّشُوهُ^(٧) فَعَقَّباً^(٨) أَرَبْ كأن الورس^(٩) فوق ذراعيه
كره المَحْيَا قد أسنَّ وجرَّباً أَلَم يَك في الحِصْنِ المبارك عصمة
لجندك إذ هابَ الجبان وأرهاباً بنى لك عبد الله حِصْناً ورثته
قديماً إذا عُدَّ القديم وأنجبا

ويبدو أن أسد بن عبدالله القسري قد قام بهذه العمليات الحربية في هذه المناطق والأقاليم ، ليقوم بتطهيرها تطهيراً كاملاً تمهيداً للانتقال من (مرو الشاهجان) إلى مدينة (بلخ) في أفغانستان الشمالية ، وقد انتصر في هذه العمليات الحربية الخاطفة على (نمرون) ملك (غرجستان) وعلى أهل الغور ، والغورين .

(١) الطبري : ٤٤/٧ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر .

(٢) آريانا دائرة المعارف ج ٣ ص ٤٣١ . كابل .

(٣) الطبري : ٤٦/٧ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر . والشعر العربي : ص : ١٧٥ .

(٤) أوجب : عمل عملاً يدخله الجنة .

(٥) السبل : أمير الختل .

(٦) الردء : المعين .

(٧) حرشوه : أغروه .

(٨) عقب : كمر ورجع .

(٩) الورس : صبغ أصفر .

وفي سنة ١١٩ هـ - ٧٣٧ م غزا أسد بن عبدالله القسرى في ولايته الثانية (الختل) فاستغاث أميرها بخاقان ، فعاد أسد إلى (الجوزجان) الأفغانية ، فأتبعه خاقان بجنده فدارت معارك شديدة بين الطرفين في (الجوزجان) الأفغانية ، ساعد فيها الحارث بن سريج التميمي خاقان ، وقد تمكن أسد بن عبدالله القسرى من إلحاق الهزيمة بهما ، فوليا الأدبار إلى (طخارستان) الأفغانية العليا ، فارتجز ابن السجف المجاشعي هذه الأرجوزة بمدح بها أسدا ، وهو يقول^(١)

لو سرت في الأرض تقيس الأرضاً تقيس منها طولها والعرضاً
لم تلق خيراً مرة ونقضاً من الأمير أسد وأمضى
أفضى إلينا الخير حين أفضى وجمع الشمل وكان رفضاً
ما فاته خاقان إلا ركضاً قد فض من جموعه ما فضا
يا ابن سريج قد لقيت حمضاً حمضا به يُشقى صداغ المرضى

وصفوة القول في هذه الأشعار التي قالها الشعراء في الغزوات والحروب والمعارك أن القبلية ، والعصبية ، والحزبية هي الصفات الغالبة عليها ، وهي الظواهر المميزة لها ، يتضح ذلك في صورة واضحة في اعتداد الشعراء الفرسان ببطولاتهم في المعارك والحروب ، وأدوار قبائلهم وحلفائهم في النضال . وقلما ارتفع الشعراء إلى مستوى التفكير في المصلحة العامة ، مصلحة الأمة الإسلامية التي كانت تتكون من العرب كثيرا ، ومن غيرهم قليلا . فنادرا ما كان شعراء الحلفين المتنافسين يفيئون إلى وعيهم القومي العام ، ورشدهم الوطني الكبير ، كل حزب يفكر في نفسه وفي قبيلته ، وكل حزب بما لديه فرحون .

تصوير الغزوات الحربية فيما وراء خراسان الأفغانية :

المنطقة الواقعة فيما وراء النهر (نهر جيحون - آمودريا) تحتلها الآن روسيا الشيوعية ، وقد كانت جزءا هاما من آريانا الأفغانية دائما كما كانت مقرا لحكومات إسلامية مستقلة إلى عصور متأخرة إلى أن قامت روسيا الشيوعية باختلالها . وقد كانت ميدانا لمعارك المسلمين الأوائل في صدر الفتوح الإسلامية

(١) الطبري : ١٢٤/٧ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر . والشع العربي : ص : ١٨٢ .

في أفغانستان الخراسانية أيام الأمويين ، وفي أيام الدولة الأموية بلغ الفتح الإسلامي إلى مملكة الصين بعد أن فتح المسلمون الأقاليم الواقعة فيما وراء النهر . وكان جيش الإسلام في تلك الأقاليم جيشاً عظيماً . فإن جيش يزيد بن المهلب كان يتكون من مائة ألف مقاتل سوى المتطوعين من أهل البلاد الخراسانية الأفغانية ممن أسلموا ، ودخلوا في الإسلام عن إيمان و يقين . وقد قاد يزيد بن المهلب هذا الجيش الإسلامي العظيم حتى وصل إلى حصون (دهستان) بعد أن قتل من أهلها أربعة عشر ألفاً .

وقد أمعن المسلمون من العرب والخراسانيين الأفغانيين غزوا حتى وصلوا (سمرقند) و (الصغد) وقد سقط من أبطالهم في هذه الحروب الدامية عدد كبير منهم المسيب بن بشر وغيره ، وقد قطعت في إحدى هذه المعارك يد أحد المجاهدين المسلمين اسمه (البخترى أبو عبد الله المرائي) فأخذ السيف بشماله فقطعت أيضاً فبدأ يذب بيديه المقطوعتين حتى استشهد . وكان الشاعر ثابت قطنة على مسيرة الجيش فضرِبَ عظيماً من عظماء العدو فقتله ، فقال يصف في هذه الحروب استثناء المحاربين حتى كادت نساؤهم تحالط المشركين محاربات مجاهدات^(١) :

فدث نفسي فوارسَ من تميم	غداة الروع في ضنك المقام
فدث نفسي فوارسَ أكتفوني	على الأعداء في رهج القتام
بقصر الباهل وقد رأوني	أحامي حيث ضن ^(٢) به المحامي
بسيفى بعد حطم الرمح قدماً	أزودهم بذمي شطب حسام
أكُرُّ عليهم اليعموم كرا	ككر الشرب آنية المدام
أكُرُّه به لدى الغمرات حتى	تجلت لا يضيق بها مقامى
فلولا الله ليس له شريك	وضرى قوتس الملك الهمام
إذا لسعت نساء بنى دثار	أمام الترك بادية الخدام
فمن مثل المسيب في تميم	أنى بشر كقادمة الحمام

وقال جرير يذكر القائد الإسلامي المسيب بن بشر^(٣) :

(١) الطبري : ٦١٠/٦ - طبعة ثانية - دار المعارف بمصر . والشعر العربي : ص : ١٧٢ .

(٢) ابن الأثير : (حيث ضربه) .

(٣) الطبري : ٦١١/٦ - طبعة ثانية - دار المعارف بمصر .

لولا حماية يربوع نساءكم كانت لغيركم منهن أظهار^(١)
 حامى المسيب والخيلاں فى رَهْجِ إذ مازن ثم لا يحمى لها جار^(٢)
 إذ لا عقال يحامى عن ذماركم ولا وزارة يحمىها وزار^(٣)

وحين قدم سعيد بن عمرو الحرشى خراسان ، والناس بإزاء العدو فى بلاد
 الصغد ، فخطبهم وحثهم على الجهاد ، فقال : (إنكم لاتقاتلون عدو الإسلام
 بكثرة ولا بعدة ، ولكن بنصر الله ، وعز الإسلام ، فقولوا : لاحول ولا قوة
 إلا بالله^(٤) . وأنشأ يصف بطولته بإنشاده لشعره ، ويشد عضده بفخر الأهل
 والقبيلة ويقول :

فلسْتُ لعامر إن لم ترونى أمام الخيل أظعن^(٥) بالعوالى
 فأضرب هامة الجبار منهم يعضب الحد حودث بالصقال^(٦)
 فما أنا فى الحروب بمستكين ولا أخشى مصالاة الرجال
 ألى لى والدى من كل ذم وخالى فى الحوادث خير خال
 إذا خطرْتُ أمامى حتى كعب وزافت كالجبال بنو هلال^(٧)

وقد قام سعيد الحرشى بتلوين ما وراء النهر (جيحون - آمودريا) وقد
 تمكن من قتل أحد الدهاقين وكان يدعى (سنبقرى) فبات العسكر يتناشدون
 ما قاله الراجز :

إذا سعيد سار فى الأخماس فى رَهْجِ يأخذ بالأنفاس
 دارت على الترك أمر الكاسى وطارت الترك على الأحلاس
 ولوا إفرارا عطل القباس^(٨)

(١) ديوانه : ١٩٨ .

(٢) الديوان : (أزمان شبة لا يحمى ونعار) .

(٣) الطبرى : ٦١١/٦ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر .

(٤) الطبرى : ٦٢٠/٦ - ٦٢١ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر .

(٥) ابن الأثير : (نطعن) .

(٦) ابن الأثير : (الأرض) .

(٧) الطبرى : ٦٢١/٦ طبعة ثانية . دار المعارف بمصر .

(٨) الطبرى : ١٢/٧ طبعة ثانية . والشعر العربى : ص ١٧٤ .

وكان الفتح والنصر قد يميل عن المجاهدين المسلمين فلا يقوم ذلك عقبة في طريق الجهاد في سبيل الله ، وكما كان من بين هؤلاء المجاهدين المسلمين العرب من فارق الحبيبة ليحارب في سبيل الله ، من بين هؤلاء الأبطال الجندى الشاعر (الشرعى الطائى) الذى يذكر فتاته (هنداً) وهو يحارب في تلك البلاد النائية ، واصفاً لها ما يلاقيه هو ومعشره من المسلمين في ربوع الصغد ، وقد أثنى ملوك الترك فيهم الجراح ، فقال :

تذكرت هنداً في بلاد بعيدة	فيالك شوقاً هل لشملك مجمع
تذكرتها والشاش بينى وبينها	شعب عصام والمنايا تطلع
بلاد بها (خاقان) جثم زحوفه	ونيلان في سبعين ألفاً مقنّع
إذا دب خاقان وسارت جنوده	أنتنا المنايا عند ذلك شرع
هنالك - هند - مالنا النصف منهم	وما إن لنا ياهند في القوم مطمع
ألا رب خود خدلة قد رأيتها	يسوق بها جهّم من السغد أصمّع
أحامى عليها حين ولّى حبيها	تنادى إليها المسلمين فتسمع ^(١)

وفى فتوح هذه المناطق البعيدة وجد شعر يحن فيه المجاهدون إلى وطنهم ، ويتشوقون إلى أهلهم وذويهم ، ويدمون اغترابهم ، ووحشة هذه المناطق البعيدة ، يقول أحد المجاهدين فى الحنين إلى أرض نجد والحجاز ، وإلى الخيام المنصوبة فوق ترابها^(٢) :

أكرر طرفى نحو نجد وإثنى	برغى وإن لم يدرك الطرف أنظر
حنينا إلى أرض كأن ترابها	إذا أمطرت عود ومسك وعنبر
بلاد كأن الأفحوان بروضة	ونور الأفاقى وشى برد محبر
أحن إلى أرض الحجاز وحاجتى	خيام بنجد دونها الطرف يقصر
وما نظرى من نحو نجد بنايع	أجل - لا - ولكنى إلى ذاك أنظر
أفى كل يوم نظرة ثم عبرة	لعينك مجرى مائها يتحدر
متى يستريح القلب إما مجاوز	بحرب ، وإما تازح يتذكر

(١) الطبرى : ٨٥/٧ ، والشعر العربى بخراسان ١٧٩ .

(٢) ياقوت الحموى : معجم البلدان ٧٤٧/٤ ، والنعمان عبدالمتعال القاضى : شعر الفتح الإسلامية فى

صدر الإسلام ١٤١ .

وقال ابن عرس العبدى يمدح نصرا يوم الشعب ، ويذم الجنيد لأن نصرا
أبلى يومئذ :

يأنصر أنت فتى نزار كلها	فلك المآثر والفعال الأرفع
فرجت عن كل القبائل كربة	بالشعب حين تخاضعوا وتضعضوا
يوم الجنيد إذ القنا متشاجر	والنحر دام والخوافق تلمع
مازلت ترميهم بنفس حرة	حتى تفرج جمعهم وتصدعوا
فالناس كل بعدها عتقاؤكم	ولك المكارم والمعالى أجمع ^(١)

وقال نصر بن سيار يذكر يوم الشعب ، وقتال العبيد^(٢) :

إني نشأت وحسادى ذوو عدد	ياذا المعارج لا تنقص لهم عددا
إن تحسدوني على مثل البلاء لكم	يوما فمثل بلائى جرّ لى الحسدا
يأبى الإله الذى أعلى بقدرته	كعبى عليكم وأعطى قومكم عددا
أرمى العدو بأفراس مكلمة	حتى اتخذن على حسادهن يدا
من ذا الذى منكم فى الشعب إذ وردوا	لم يتخذ حومة الأثقال معتمدا
فما حفظتم من الله الوصاة ولا	أنتم بصبر طلبتم حسن ما وعدا
ولا نهاكم عن التوثاب فى عقب	إلا العبيد بضرب يكسر العمدا
هلا شكرتم دفاعى عن جنيدكم	وقع القنا وشهاب الحرب قد وقدا

خرج مالك بن الربيع التميمى مع سعيد بن عفان إلى خراسان وغزا معه
بلاد الأصغد وسمرقند ، فتحاذل سعيد أمام الصغد ، وفضل الصلح على الفتح ،
فحثه مالك على القتال ولكنه لم يستمع إليه ، فازداد مالك برما به ، ونقمة عليه ،
ورماه بالوهن ، ورقة العقيدة ، ونافيا إياه عن والده عثمان . فيقول^(٣) :

مازلت يوم الصغد ترعد واقفا	من الجين حتى خفت أن تنتصرا
وما كان فى عثمان شئ علمته	سوى نسله فى رهطه حين أدبرا

(١) الطبرى : ٨٥/٧ ، والشعر العربى بخراسان ١٩٤ ، وقد مر ذكر هذه الأشعار فى ص ٦٢٦ .
(٢) الطبرى : ٨٤/٧ ، والشعر العربى بخراسان ٢١٩ ، وابن الأثير : ١٧٠/٥ ، وقد مر الاستشهاد بهذه
الأشعار فى ص ٦٢٣ من هذا الكتاب .
(٣) الطبرى : ٣٠٦/٥ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر . والشعر العربى : ص : ١٥٥ .

ولولا بنو حرب لظلت دماؤكم بطون العظايا من كسير وأعورا
ولكن سعيدا لم يلق بالآلى هذه النعرة الشعرية اللاذعة ، بل استمر يسلم
الصغد ويساومهم ، فاتهمه مالك بن الربيع التميمي بقلة الفضل والخير ، باعثا في
نفسه أمل الانتصار باستعراضه الانتصارات التى أحرزها يوم (طاسى) ويوم
(النهر) وقد أبلى فيهما مالك والمقاتلون الآخرون أحسن البلاء ، يقول^(١) :

يا قل خيرُ أميرٍ كنتُ أتبعهُ أليس يرهبنى أم ليس يرجونى
أم ليس يرجو - إذا ما الخيل شَمَّصها وقعُ الأسنَةِ - عطفى حين يدعونى
لا تحسبنا نسينا مِن تَقادُمِهِ يوما بطاسى ويوم المر ذا الطين

أغارَت فرقة من جنود مسلم بن زياد على (خجندة) على شاطئ نهر
(سيحون - سردريا) فانهمزت ، فقال (أعشى همدان) أحد الجنود المغلوبين
يصف أسفه لانكساره ، ويتمنى لو وقع أسيرا ، أو لقى وجه ربه شهيدا^(٢) :

ليت خيلى يوم الخجندة لم تهزم وغودرتُ فى المكر سليبا
تحضرُ الطيرُ مصرعى وتروحُ إلى الله بالدماء خضيبا

وفى سنة خمس وثمانين هاجم المفضل بن المهلب على (آخرون)
و (شومان) بما وراء النهر ، فانتصر ، وفرق الغنيمة بين الغزاة ، فقال كعب
الأشقرى قصيدة شخص فيها رجاحة عقله ، وسماحة خلقه ، وجلالة أعماله ،
وجوده وكرمه وسخاءه ، مما جعله قلة القبائل العربية فى (خراسان) الأفغانية ،
يفدون إليه يطلبون معروفه وعطاياه ، وينصرفون عنه راضين مستبشرين بما أخذوا
من نواله ، فكان خير خليف لأبيه الذى بلغ شأوا لم يبلغه أحد غيره^(٣) .

وفى سنة اثنتى عشرة ومائة كانت وقعة الشعب على مشارف (سمرقند)
بين كل من الجنيد بن عبدالرحمن المرى و (خاقان) فاتخذ الجيش الإسلامى فى

(١) ياقوت : ٤٨٨/٣ . والشعر العرى : ص : ١٥٦ .

(٢) فوح البلدان ص : ٤٠٣ . وياقوت : ٤٠٤/٢ . وابن الأثير : ٩٧/٤ . والشعر العرى : ص : ١٥٦ .

(٣) الطبرى : ٣٩٧/٦ - ٣٩٨ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر . والشعر العرى : ص : ١٥٨ ، راجع
ص ٦٨٠ من هذا الكتاب .

بدايتها انخذاً شديداً مروعا ، استشهد فيها عدد كبير من المسلمين ، كما استشهد فيها سورة بن الحر التميمي عامل (سمرقند) وهو في طريقه لإنقاذ الجنيد . ومع أن الجنيد قد انتصر في نهاية المعركة ، ودخل (سمرقند) منتصرا ، فإن نشوة هذا النصر لم تنس العرب المسلمين مرارة الهزيمة لكثرة الشهداء ، ومن أجل ذلك هتف الشعراء في خراسان الأفغانية بالجنيد لائمين وناقدين وحاقدين لأنه لم يقدر قوة خصمه (خاقان) الترك ، فقام عدد من الشعراء في خراسان الأفغانية برفع تقاريرهم الشعرية إلى المسؤولين المسلمين في الدولة الأموية ، فقام ابن السجف المجاشعي بتقديم تقريره السياسي إلى هشام بن عبد الملك عن بداية معركة الشعب يوضح فيه ما حاق بالمسلمين من الهزيمة والعار ، انظر إليه يقول في تقريره الشعري^(١) :

أذكر يتامى بأرض الترك ضائعة هزلى كأنهم في الحائط الحجل^(٢)
وارحم وإلا فهبها أمة دمرت لا أنفس بقيت فيها ولا ثقل^(٣)
لا تأملن بقاء الدهر بعدهم والمرء ما عاش ممدود له الأمل
لاقوا كتائب من خاقان معلمة^(٤) عنهم يضيق قضاء السهل والجبل
لما رأوهم قليلا لا صريح^(٥) لهم مبدوا بأيديهم لله وابتهلوا
وباعوا رب موسى بيعة صدقت ما في قلوبهم شك ولا دغل^(٦)

أما الشاعر العربي الشرعي الطائي فقد قدم تقريره إلى خالد بن عبد الله القسري وإلى العراق بين فيه قوة خصمهم ونكايته بهم . وقد مر آنفا تقريره الشعري^(٧) .

وأما خالد بن المောက် العبدى المعروف بابن عرس فرفع تقريراً ثالثاً إلى خالد بن عبد الله القسري ضمنه أساءه للدمار الذى حل بالجيش الإسلامى فى

(١) الطبرى : ٨١/٧ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر . والشعر العربى : ص : ١٧٨ .

(٢) الحجل : الكروان .

(٣) الثقل : المتاع والحشم .

(٤) معلمة : بارزة معلوم مكانها .

(٥) الصريح : المغيث .

(٦) الدغل : الفساد .

(٧) راجع ص ١٨١ من هذا الكتاب .

معركة (الشعب) فيما وراء النهر . وعاب فيه على الجنيد جهله ، وسوء تدييره ، وهجاه هجاء مقذعا ، وشهر بأخطائه تشهيرا ، ودعا عليه بالموت . وهو في ذلك يقول^(١) :

أين حماة الحرب من معشر كانوا جمال المنسر^(٢) ^(٣) الحارذ
بادوا بآجال توافوا لها والعائر^(٤) المهمل كالبائس
فالعين تجري دمعها مسبلا ما لدموع العين من ذائد
أنظر ترى للميت من رجعة أم هل ترى في الدهر من خالد
كنا قدما يتقى بأسنا ونдрأ الصادر بالسوارذ
حتى منينا بالذى^(٥) شامنا من بعد عز ناصر^(٦) أبـد
كهاقر الناقة لا يشنى مبتدئا ذى خنق جاهد
فتفت ما لم يلثم صدغه بالجحفل^(٧) المحتشد^(٨) الزائد
تبكى لها إن كشفت ساقها جدعا وعقرا^(٩) لك من قائد
تركنا أجزاء^(١٠) معبوضة يقسمها الجازر^(١١) ^(١٢) للناهد
ترقت الأسياف مسلولة تزيل بين العضد والساعد
تساقط الهاماث من وقعها بين جناحي مبرق راعد
أضحت سمرقند وأشياعها أحدثة الغائب والشاهد
ليتك يوم الشعب في حفرة مرموسة^(١٣) بالمدبر الجامد

(١) الطبرى : ٨٦/٧ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر . والشعر العربى : ص : ١٨٠ .

(٢) المنسر : القطعة من الجيش تمر أمام الجيش الكبير .

(٣) الحارذ : الجاد الغاضب المانع .

(٤) العائر : الأعور .

(٥) شامنا : أخزانا ، وجلب علينا العار .

(٦) الآبد : الدائم المقيم .

(٧) الجحفل : الجيش الكثير .

(٨) المحتشد : المجتمع .

(٩) جدعا وعقرا : يقال فى الدعاء على الإنسان جدعا وعقرا . نصبوهما بفعل مضمر لا يظهر .

(١٠) معبوضة : مذبوحة .

(١١) الجازر : الذابح .

(١٢) الناهد : الصامد للعدو والشارع فى قتاله .

(١٣) مرموسة : مطمورة .

جنيد ما عيصك^(١) منسوبة نبعا^(٢) ولا جدك^(٣) بالصاعد
 خمسون ألفا قتلوا ضيعة وأنت منهم دعوة الناشد
 لا ترين الحرب من قابل ما أنت في العدو بالحامد
 قلدته طوقا على نحره طوق الحمام العرد الغارد
 قصيدة حبرها شاعر تسعى بها البرد إلى خالد

شن نصر بن سيار آخر ولاية خراسان لما وراء النهر (نهر جيحون -
 آمودريا) حملة قوية على (سمرقند) و (الشاش) و (فرغانة) وتمكن من قتل
 (كورصول) خليفة خاقان ، فقال أبو نميلة صالح بن الأبار في ذلك بيتين من
 الشعر هتف بهما عند رجوع نصر بن سيار سالما بعد أن قاومه (كورصول)
 مقاومة عنيفة ، واستطاع أن يمنعه من عبور نهر (الشاش) وهو يقول فيهما^(٤) :

كنا وأوبة نصر بعد^(٥) غيبته كراقب التوء حتى جاده المطر
 أودى بأخرم^(٦) منه عارض برد مسترجف^(٧) بمنايا القوم منهمر

اجتاز أشرس بن عبدالله السلمى النهر ، وسير كتيبة بقيادة رجل اسمه
 مسعود أحد بنى حيان لتكون طليعة له ، فأكمن الترك كمينا لها ، وقتلوا عددا
 من أبطالها ، فرجع مسعود إليه مهزوما . فقال أحد الشعراء من الجند يهزأ به ،
 ويسجل هزيمته وفشله^(٨) :

خابت سرية مسعود وما غنمت إلا أفانين من شيد^(٩) وتقريب^(١٠)

(١) العيص : الأصل ، ومنصوبه : بدل اشتال مما قبله .

(٢) النبع : شجر تتخذ منه القسي .

(٣) الجد : الحظ .

(٤) الطبرى : ١٧٦/٧ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر . والشعر العربى : ص : ١٨٤ .

(٥) بعد غيبته : فى رواية أخرى : (عند غيبته) .

(٦) أخرم : فارس صفدى .

(٧) مسترجف : خافق مضطرب .

(٨) الطبرى : ٥٧/٧ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر . والشعر العربى : ص : ١٧٧ .

(٩) الشد : العدو السريع .

(١٠) التقريب : أن يرفع الفرس يديه ويضعهما معا إذا عدا عدوا دون الإسراع .

حلوا بأرض قفار لا أنيس بها وهن بالسفح أمثال اليعاسيب^(١)

وفي السنة الثامنة بعد المائة قطع أسد بن عبدالله القسرى النهر إلى الختل ، فاستجلب أميرها خاقان ، فتقهقر أسد إلى ما دون النهر ، فأتبعه خاقان ، وأصاب الجند في تلك الغزوة جوع شديد . ويقال إنه رجع مغلولا إلى خراسان ، فتغنى عليه الصبيان بأبيات من الرجز فضحوه بها ، وتحكموا عليه فيها^(٢) وقد مرت بنا قصيدة الشاعر ثابت قطنه في ذلك^(٣) .

وقد أوقع سعيد بن عمرو الحرشى الهزيمة على الصغد في (خجنده) وقتل منهم ثلاثة آلاف ، فيهم بعض رؤسائهم وأمرائهم ، لأنهم غدروا ببعض الأسرى المسلمين ، فقال ثابت قطنه في ذلك يعبر عن سروره وفرحه وسعادته لما أنزله الحرشى بالصغد من العذاب والنكال^(٤) :

أقر العينَ مصرعُ^(٥) كارزنج وكشين^(٦) وما لا قي ييار
ودياوشنى وما لاقي جلنج بحصن خجند إذ دمروا فباروا

قال الشاعر العربى (الهجرى) في خراسان : يهجو سعيد بن عبدالعزيز هجاء فيه التحقير له ، والتشنيع عليه ، لأنه واجه الثائرين من الصغد في (سمرقند) متخاذلا متراجعا متراخيا ، ومع ما في هذا الهجوم من الفحش ، فإننا نتجاسر على ذكره وإنشاده لأنه يدل على حقيقة الرجل ، وسياسته المتخاذلة ، يقول الهجرى الشاعر^(٧) :

سريت إلى الأعداء تلهو بلعبة وأيرك مسلول وسيفك مغمد
وأنت لمن عاديت عرس حفية وأنت علينا كالحسام المهند

(١) اليعاسيب : جمع يعسوب ، وهو طائر دون الجراد أو أعظم منها ، طويل الذنب لا يضم جناحيه إذا وقع ، تشبه به الخيل في الضمر .

(٢) الطبرى : ٤٣/٧ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر .

(٣) راجع ص ٦٨٤ - ٦٨٥ من هذا الكتاب .

(٤) الطبرى : ١٠/٧ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر . والشعر العربى : ص : ١٧٣ .

(٥) كارزنج : عظيم من عظماء الصغد .

(٦) كشين : عظيم من عظماء الصغد .

(٧) حسين عطوان : الشعر العربى . في خراسان ١٧٣ .

فلله درُّ الصغد لما تحزبوا ويا عجباً من كيدك المتردد

الخصائص الفنية :

الشعر العرني في أفغانستان الخراسانية كان يصدر عن تجربة صادقة فهو نقى طبيعي خال من التقليد ، والهدوء ، والتطويل ، والتنقيح ، والتهذيب ، موضوعاته جديدة ، مصوغ في ثورة نفسية في مقطوعات قصيرة تناسب الحياة التي كان يعيشها الشاعر العرني في خراسان الأفغانية ، حيث لم يكن لديه متسع من الوقت والجو الهادئ ليقوم بعملية التنقيح والتهذيب التقليدية ، ولقد أنشد الشعراء العرب الشعر في موضوعات جديدة تماماً نابعة من طبيعة حياتهم العسكرية والقتالية ، وفي ظروف طارئة عاجلة سريعة ، يجري معها ويلازمها ويسابقها . فإن هو تريت أو انتظر قليلاً أو طويلاً سبقتة إلى الأسماك ، وجعلت ما يقوله من المقطوعات الشعرية غير ذي أهمية أو قيمة ، فهو إذن لا يستطيع بل ليس في إمكانه أن يتريت طويلاً ، أو ينتظر في مثل تلك الأحداث العسكرية والقتالية ، وفي مثل تلك الظروف العاجلة السريعة الطارئة ، فهو مضطر إلى أن يقول الشعر ، وأن ينشده في تلك الظروف والأحوال في مقطوعات قصيرة سريعة شأنها في ذلك شأن بلاغات عسكرية أو إعلانات سياسية دون الانتظار إلى موقف قبيلته أو حزبه الذي ينتمى إليه ، ليقوم بصياغة هذا الشعر أو الموقف في بيان مطول ، ثم يقوم بمراجعته مراجعة فنية حتى يخرج خلقاً فنياً كاملاً ، وبالإضافة إلى ذلك فإن الشاعر العرني كان يقاتل في الميدان ، ويحارب الأعداء ، ويشهد المعركة بنفسه ، وهو والحالة هذه لا يستطيع الصبر كثيراً حتى يعبر عما خامر فكره خلال المعركة التي خاضها ، وحتى يعبر عن دوره فيها ، وعن دور قبيلته وموقفها منها ، وإنما يتعجل ليقوم بنشر البيان السياسي ، والبلاغ العسكري في الجو المناسب والوقت الملائم . فأهم ما يميز الشعر العرني في أفغانستان الخراسانية في العصر الأموي أنه لم يصغ في مطولات بل في مقطوعات قصيرة .

ومادام الشعر العرني في خراسان قد اختار له صورة المقطوعات فإن ذلك أفضى بالشاعر العرني الخراساني في أفغانستان أيام الأمويين إلى أن يلغى التقاليد الفنية في القصائد الطويلة ، فهو لم يبدأ مقطوعته الشعرية بالمقدمة المعروفة كالطللية

أو الغزلية ، أو غيرها من المقدمات المعروفة في القصائد العربية . فمقطوعته تدور حول موضوع محدد ، يدخل عليه الشاعر مباشرة دون تمهيد أو تقديم ، لا يجوز له التفريع أو الاستطراد فيها ، بل يجب التركيز والتكثيف ، والضغط على الهدف والغرض الرئيسى فى المقطوعة الشعرية . وإذا وجدنا فى شعر خراسان العربى بعضا من الشعر الطويل المبدوء بالمقدمة بحكم اتساع الوقت والظرف ، فإن الشاعر العربى الخراسانى فى أفغانستان قد حولها من المقدمة الطللية ، أو الغزلية إلى صورة مقدمة حية تنبض بالحنين إلى الوطن ، والإشتياق إلى الديار ، كما قام بهذا التحول فى مقدمة القصيدة المغيرة بن حبناء التميمى التى مهد بها لمدح قتيبة بن مسلم الباهلى^(١) ، وكما فعل ثابت قطنة فى مدح نصر بن سيار^(٢) . كذلك تحول الشاعر العربى فى خراسان بالمقدمة الغزلية من وصف التذلل ، والتضرع ، والخضوع ، والخشوع للمرأة ، وتشخيص محاسنها ومفاتها الجسدية ، إلى الحديث للمحبة عن دوره البطولى فى ميادين المعارك ، والحروب ، والقتال ، وثباته فى النزال ، والنضال ، وبث المحبة آلامه فى مواقع الخطر ، وآماله فى مواقع أخرى فى حياته البعيدة عن الخطر ، ونذر الموت ، كما يظهر ذلك فى مقدمة الشرعى الطائى لقصيدته العينية التى ذم فيها الجنيد بن عبدالرحمن المرى لانزاهه فى أول معركة الشعب^(٣) . ومثلها مقدمة لجريز بن عرادة التميمى أدار فيها حوارا بينه وبين صاحبه^(٤) . وفى الجملة فإن شاعر المقطوعة الشعرية العربية قد لأم بين المقدمة والمقطوعة وموضوعهما ملائمة دقيقة فنية ، وتأثر بالظرف الذى نظمت فيه ، والهدف الذى قيلت من أجله ، فإنه بكل دقة تمكن من افتتاح مقطوعة الهزيمة والرتاء بالحديث عن الموت والحياة ، وصدر المقطوعات التى تطالب بالحقوق الضائعة بالحديث عن الأرق والهم الشاغل . وأسلوب الشعر العربى فى خراسان متين ورصين ناصع .

وقد نجم عن تسرعه فى نظم المقطوعة انتشار الأخطاء النحوية والصرفية

(١) الطبرى : ٤٥٨/٦ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر . وحسين عطوان : الشعر العربى فى خراسان

٢٣٠ ، وص ٦٨١ من هذا الكتاب .

(٢) الطبرى : ٥٦/٧ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر . و ١١٩ من هذا الكتاب .

(٣) الطبرى : ٧١/٧ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر . و ص ١٨١ من هذا الكتاب .

(٤) نقائص جريز والفردق : ٣٦٩/١ .

وعملت فيها الضرورات العروضية ، وغيرها من الأخطاء النحوية .

والشيء الغريب واللافت للنظر حقا ، والداعى إلى الاستغراب والدهشة أن الشعراء العرب في أفغانستان الخراسانية الذين عاشوا فيها واستمتعوا بمناظرها الجميلة لم يعبروا في أشعارهم عن خراسان الأفغانية ، ولم يعيروا بيئتها الطبيعية الجميلة الفاتنة ، وبيئتها السكانية الآرية الأصيلة أى نوع من الاهتمام أو العناية ، فنحن أثناء البحث والدراسة لم نجد أحدا من الشعراء العرب الذين أنشدوا أشعارا كثيرة في مناسبات كثيرة ، وموضوعات عديدة وصف أنهار خراسان الكثيرة الجارية أو جبالها العالية الشاهقة ، أو وديانها الهادئة الرائعة ، أو أمطارها الغزيرة ، أو ثلوجها الوفيرة ، أو أهلها الآريين الطيبين ، أو أى جانب من جوانب الحياة فيها بينما نرى الآداب الآرية القديمة كالآدب الوىدى ، والآدب الأوستى ثم الآدب السنسكرتى ، والآدب الزردشتى ، وغيرها من الآداب واللغات الآرية في أفغانستان القديمة تحمل في ثناياها تاريخا حقيقيا للبيئة الأفغانية منذ أقدم العصور حتى أحدث العصور ، وليس لهذا الإهمال من الشعراء العرب من تفسير إلا أن أقول : لقد حالت الغزوات والحروب الدامية المستمرة من أن يروا هذه الطبيعة الجميلة الفاتنة ، كما أنهم كانوا حربا على الكفر في أفغانستان الخراسانية ، ولم تكن أفغانستان وطنا لراحتهم ، فلم يهتموا بجمالها وبسكانها الآريين الطيبين ، وهناك احتمال آخر لتفسير هذه الظاهرة وهو أن الشعر العربى الذى قيل في هذه الموضوعات قد ضاع ، كما أن هناك احتمال ثالث لهذه الظاهرة وهو أن انهماك الشعراء في حياتهم العسكرية والسياسة القبلية قد شغلهم عن العناية بهذه الموضوعات الأدبية الطبيعية التى هى طبيعة الآدب أو آدب الطبيعة في أفغانستان .

عودة إلى الآدب فى التاريخ والسياسة :

أبو مسلم الخراسانى^(١) والحركات السياسية والأدبية فى أفغانستان :

عرفنا فيما مضى أن أول جيش إسلامى وصل إلى أفغانستان سنة ١٨ هـ -

٦٣٩ م أو فى سنة ٢٠ هـ - ٦٤٠ م أو فى ٢٢ هـ - ٦٤٢ م أو فى سنة ٢٣ هـ -

(١) اقرأ أبا مسلم الخراسانى فى : تاريخ يعقوبى ٤٣٩/٢ ، والطبرى ١٥٨/٩ - ١٥٩ و ١٧٢ ، ومروج الذهب ٢٤٤/٢ ، وتاريخ الإسلام - إبراهيم حسن إبراهيم ٩٤/٢ وما بعدها .

٦٤٣ م ، وقام بفتح هرات الأفغانية التاريخية الشهيرة ، وتوالى بعد ذلك الحروب والغزوات والفتوحات الإسلامية في مختلف أنحاء أفغانستان ، ولقد نشأت مع هذه الحروب الإسلامية التى استمرت في جميع أنحاء الأقاليم الأفغانية والمناطق الملحقة. بها مثل (سيستان - سجستان) و (هرات) و (قندهار) و (زابلستان - زابل) و (كابلستان - كابل) و (بلخ - بخدي) و (طخارستان - تخار) و (بلوچستان) ، وكذلك في كل من (السند) و (ملتان) ، نشأت مع هذه الحروب مقاومة خراسانية قوية إلا أن الهجوم الإسلامى كان أقوى وأشد من أن تقف تلك المقاومة في طريقه ، أو تمنعه من تقدمه إلى الأمام ، وقد حقق ما حققه من الانتصارات الباهرة في تلك البقاع ، بيد أن بذور تلك المقاومة في خراسان استمرت في النمو داخل النفوس في إطار عصبية وطنية وقومية شاملة داخل أفغانستان وخارجها ، وكانت تقاوم في الداخل القبائل العربية التى كانت منتشرة في أفغانستان الخراسانية ، أما في الخارج ففرى مثال هذه النزعة العصبية في إسماعيل بن يسار النسائي ذلك الشاعر الخراساني الذى دخل يوما على هشام بن عبد الملك في خلافته ، فاستنشده ، فأنشده قصيدة يقول فيها^(١) :

إني وجدتكَ ما عودى بذي خور	عند الحفاظ ، ولا حوضي بمهدوم
أصلى كريم ومجدي لا يقاس به	ولى لسان كحد السيف مسموم
أحمى به مجد أقوام ذوى حسب	من كل قوم بتاج الملك ^(٢) معوم
جَحَاجِج ^(٣) سَارِةٌ يُلْجِج ^(٤) مَرَازِيَةَ	جُرْدٍ عِتَاقِي ^(٥) مَسَامِيحٍ مَطَاعِيمِ

حتى يقسول :

أَسْدُ الْكَتَائِبِ يَوْمَ الرَّوْعِ إِنَّ زَحْفُوا وَهُمْ أَذْلُوا مَلُوكَ التَّرِكِ وَالرُّومِ

(١) الأصفاني : الأغاني ٤/٢٢٣ مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م ، القاهرة : وتاريخ

أفغانستان بعد از اسلام ١/٢٣٧ .

(٢) معوم : من عم رأسه إذا لفت عليه العمامة .

(٣) جحاجج : جمع جحجج : وهو السيد المسارع في المكارم .

(٤) المرازبة : جمع مرزبان وهو رئيس القوم .

(٥) العتاق : من الخيل النجائب .

يَمْشُونَ فِي حَلَقِ الْمَآذِي^(١) سَابِقَةً مَشَى الضَّرَاعِمَةَ الْأَسَدَ^(٢) اللَّهُائِمِمْ
هناك إِنْ تَسْأَلِ تُنَبِّئِي بِأَنَّ كُنَّا جُرُثُومَةً قَهَرَتْ عِزَّ الْجَرَائِمِمْ

فغضب هشام . وقال أعلى تفتخر ، وإيأى تنشد قصيدة تمدح بها نفسك وأعلاج قومك ؟ فأمر بتعذيبه وإبعاده إلى الحجاز^(٣) . هذا نموذج من نماذج استمرار بذور المقاومة والمفاخرة في داخل نفوس الخراسانيين ، ونموذج آخر من هذه النماذج هو بشار بن برد الطخارستاني (الطخاري) الأعمى الذي قتل بتهمة الردة عن الإسلام في سنة ١٦٧ هـ — ٧٨٣ م ، ينادى علنا ، ويطالب جهرا بإحياء الدين الزردشتي الذي كان يعتنقه أجداده الأفغان في (طخارستان) الأفغانية ، يقول^(٤) :

الْأَرْضُ مَظْلَمَةٌ وَالنَّارُ مُشْرِقَةٌ وَالنَّارُ مَعْبُودَةٌ مُذْ كَانَتِ النَّارُ

فيجب في نظره إحياء عبادة النار المشرقة المضيفة المعبودة منذ القدم . وله أيضا^(٥) :

سَأُخْبِرُ فَأُخْبِرَ الْأَعْرَابَ عَنِّي وَعَنَّهُ حِينَ تَأْذُنُ بِالْفِجَارِ
أَحِينَ كُشِيتَ بَعْدَ الْعُرَى خَزْأً وَتَادَمَتِ الْكَرَامُ عَلَى الْعَقَارِ ؟
تُفَاخِرُ يَا بَنَ رَاعِيَةٍ وَرَاعٍ بَنَى الْأَحْرَارِ حَسْبَكَ مِنْ خَسَارِ
وَكُنْتَ إِذَا ظَلِمَاتٌ إِلَى قَرَّاجٍ شَرِكْتَ الْكَلْبَ قِي وَلِغِ الْإِطَارِ

هذه المقاومة وبذورها كانت موجودة منذ أن بدأت الحروب الإسلامية في أفغانستان الخراسانية ، وكانت شديدة خفية أيام الأمويين الذين كانوا يعاقبون كل من يظهر بالمظهر القومي غير الإسلامي بقوة وجبروت حاسمين ، فتحولت المقاومة من المقاومة الجهرية إلى دعوة سرية كامنة ظهرت فيما بعد ، وانفجرت

(١) المآذى : كل سلاح من الحديد . والمآذية : الدرع البيضاء .

(٢) اللهايم : جمع لهيم ، وهو السائق الجواد من الخيل والناس .

(٣) الأغاني ١٢٠/٤ .

(٤) تاريخ الأدب في إيران (الترجمة العربية) ج ١ ص ٣٨٧ .

(٥) الأغاني ٢٣/٣ .

أيام العباسيين على أشدها^(١) . وكان لهذا كله أسباب وعلل . يمكن تلخيصها كما يلي :

١ - كانت الشعوب في أفغانستان الخراسانية وفي المقاطعات الملحقة بها ذات مجد عظيم ، وتاريخ قديم ، وسيادة ثابتة ، وحضارة عريقة ، وثقافة واسعة ، وحياة اجتماعية راسخة ، وحكومات محلية دائمة ، وآداب أصلية عريقة^(٢) ولغات قومية خالدة . وتقاليدها قديمة راسخة ، لم تكن ترضى بالرضوخ للأجنبي بسهولة ويسر ، وإن كان هذا الأجنبي الذي دخل بلادها وفي يده قبس من نور يريد إضاءة الطريق لها ولأجيالها القادمة . وإذا كانت هناك فترات من الزمن قد دخل فيها الأجنبي أفغانستان في العصور القديمة قبل الإسلام ، فإنه لم يمكث فيها طويلا ، إما أرغم على الرحيل إلى الأبد كالمورين ، أو أصبح جزءا من أهل البلاد بدويانه فهم ، وبحلوله في التقاليد الأفغانية حلولا كاملا بحيث ينسى ذاته إلى الأبد وكلية كالعناصر التي تركها الإغريق أيام حروب الإسكندر في أفغانستان . وفي الحقيقة هذا هو شأن جميع الأقليات بالنسبة للأكثرية في جميع البلاد وفي كل العصور والأزمنة ، هذه الحقيقة تقول : إن الأقلية تذوب في الأكثرية ، باستثناء الإسلام وأتباعه .

٢ - فتح المسلمون العرب بلادا كثيرة وعديدة في الشرق ، وفي الغرب ، وأسروا أعدادا هائلة من أهل تلك البلاد ، وقد أطلق عليهم اسم الموالي ، وهم في الحقيقة أسرى الحرب ، وكان المسلمون العرب يعاملونهم معاملة طيبة ، إلا أنهم - في بعض الأحيان والأزمان والأحوال - كانوا يلاقون سوء العذاب والهوان والتمييز والعصبية^(٣) التي يحاربها الإسلام في كل زمان ومكان ، ولقد كان هذا السلوك من بعض الحكام في بعض العصور والظروف ، سببا من أسباب القضاء على الحكم العربي الإسلامي في أفغانستان الخراسانية . وكان بعض الولاة يرسلون أعدادا كثيرة من الأهالي إلى دار الخلافة ليعملوا في مجالات مختلفة كالأعمال الزراعية وغيرها من

(١) اقرأ تفصيل ذلك في ضحى الإسلام ١ / الفصل الثاني بعنوان الصراع بين العرب والموالي .

(٢) اقرأ تفصيل ذلك في ضحى الإسلام ١ / الباب الثاني بعنوان الثقافات في ذلك العصر .

(٣) اقرأ التفاصيل في ضحى الإسلام ١ / الفصل الثاني تحت عنوان الصراع بين العرب والموالي .

الخدمات المنزلية ، وكان أجر كل واحد منهم في عصر معاوية خمسة عشر درهما ، وفي أيام عبدالملك عشرون درهما ، وفي أيام سليمان خمسة وعشرون درهما ، وفي أيام هشام ثلاثون درهما ، وكان بعض المستولين يرمون التعاليم الإسلامية التي تدعو إلى المساواة عرض الحائط ، ولم يكن لهذا القول الحكيم ... ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ أى معنى في نظرهم ولا لقوله عليه الصلاة والسلام ... « لا فضل للعربى على العجمى إلا بالتقوى » أى معنى في نظر هذا البعض^(١) .

٣ - ازدياد نفوذ من يسمون بالموالى ، وكثرة عددهم من ناحية وتخوف بعض الولاة من قوة شوكتهم من ناحية أخرى ، كل ذلك خلق ، وولد بين الجانبيين نوعا من الرقابة ، والتنافس ، والانتباه .

٤ - في بعض العصور عادت العصبية إلى حالتها كما كانت قبل الإسلام ، فكان بينهم وبين بنى هاشم في الإسلام كالذى كان بينهم قبل الإسلام ، ومن نتائج ذلك كانت الحرب بين القبيلتين الأزدي ، وتميم في أفغانستان في أيام الأمويين ، والأولى يمنية ، والثانية عدنانية ، وقد تأثر الفريقان في ذلك بالعصبية الأموية القبلية ، لأن الحكم الأموى كان يحمل بين ثناباه نزعة عربية قبلية الأمر الذى أعاد تلك العصبية المقيمة إلى الحياة الإسلامية مرة أخرى بعد أن كان الإسلام قد قضى عليها ، ولم تستطع أن ترفع رأسها إلا أيام الأمويين .

تاريخ ميلاد الزعيم أى مسلم الخراسانى :^(٢)

ولد في سنة ١٠٠ هـ - ٧١٨ م على الأغلب ، وكان عمره عند قتله سبعة

(١) يراجع في هذا المعنى :

أ) پروهانده عبدالحى حبيبي - أفغانستان بعد از اسلام ٢٣٦/١ - ٢٤٢ .

ب) أحمد أمين - ضحى الإسلام ٣١/١ وفجر الإسلام - الفصل الثانى .

ج) جورجى زيدان - تاريخ تمدن الإسلامى ٨٧/٤ .

د) الدكتور أحمد فريد رفاعى : عصر المأمون ٨٤/١ طبعة القاهرة سنة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م .

(٢) أبو عمر عثمان منهاج الدين بن محمد سراج الدين الجوزجاني : طبقات ناصرى : صفحات مختلفة ،

وپروهانده عبدالحى حبيبي : أفغانستان بعد از اسلام : صفحات مختلفة .

وثلاثين عاما ، وعلى قول المقدسي ولد في سنة ١٠٢ هـ - ٧٢٠ م ويقدر عمره عند قتله سنة ١٣٧ هـ - ٧٥٤ م بخمسة وثلاثين عاما . ترعرع الرجل في (أصفهان) في عائلة (العجلى) وهى عائلة تشتهر بالعلم والزعامة ، وتعلم مع أولاد عيسى العجلى .

عاش في مكة المكرمة أربعة أعوام تقريبا ، وفي سنة ١٢٨ هـ - ٧٤٥ م عاد إلى خراسان وعمره تسع عشرة سنة مع الدعاة العباسيين ، فوصل إليها في سنة ١٢٩ هـ - ٧٤٦ م في منتصف الشهر الجمادى الأولى ، وأعلن عن عزمه في أول رمضان سنة ١٢٩ هـ ، واتخذ قرية (سيدنك - سفيدنج) قاعدة لأعماله السياسية والعسكرية أيام أن كان نصر بن سيار يتولى ولاية خراسان أيام الخليفة الأموى مروان بن محمد ، وقد أخبره نصر بن سيار وأنذره عن هذا الخطر الخراسانى ولكنه كان مشغولا بالحروب مع الخوارج فلم يستطع أن يعمل شيئا للقضاء على هذه الحركة الخطيرة ، فواصل الزعيم أبو مسلم الخراسانى نشاطه الخطير حتى استولى على مدينة (مرو) دار الإمارة الأموية في خراسان سنة ١٣٠ هـ - (١) ٧٤٧ م .

كيف بدأ الزعيم أبو مسلم الخراسانى نشاطه لتأسيس الخلافة العباسية :

في السنوات الأخيرة من القرن الأول الهجرى كانت الدعوة تتحرك في النفوس ببطء وطيد وبأقدام ثابتة تحرك أعماق الإمبراطورية الأموية من الداخل ، وكان رئيس هذه الحركة العباسية البطيئة محمد بن على بن عبد الله بن عباس من أعيان بنى هاشم ، وقد اختار اثنى عشر من الزعماء للقيام بالأعمال القيادية في مجال الدعوة العباسية ، منهم أبو على شبل بن طهمان الهروى زوج ابنة الزعيم أبى مسلم الخراسانى ، وقد انتعشت بعد هذا لإجراء الدعوة العباسية في خراسان ، وبدأت نشاطها علنا وجهرا ، وقد اشترك فيها ذلك الخراسانى الذى يدعى أبو مسلم الخراسانى (٢) .

(١) تاريخ أفغانستان بعد از اسلام ٢٦١/١ وما بعدها .

(٢) الطبرى : ٥١٦/٥ وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام ٢٤٥/١ وما بعدها .

أبو مسلم وأبو سلمة خلال الهمداني وتأسيس الخلافة العباسية :

بينما كان أبو مسلم الخراساني أمين آل محمد يحاول القضاء على الحكم الأموي في خراسان ، كان زعيم خراساني آخر وهو أبو سلمة خلال الهمداني وزير آل محمد يمهّد الطريق للخلافة العباسية في الكوفة نفسها ، وقد أعلن ولاءه للخليفة العباسي السفاح في سنة ١٣٢ هـ - ٧٤٩ م في نفس السنة التي بايعه فيها الزعيم أبو مسلم الخراساني .

أصبح أبو مسلم الخراساني الشخصية الفريدة في خراسان والزعيم الأول فيها وكان الخليفة العباسي مضطرا إلى أن يستشيريه في كل ما يتعلق بالشئون الخاصة بخراسان ، ولهذا الغرض الاستشاري ، أوفد السفاح شقيقه أبا جعفر المنصور إلى خراسان في سنة ١٣٢ هـ - ٧٤٩ م ليتبادل الرأي مع الزعيم أبي مسلم الخراساني وليقوم معه بالتفاهم ، والمشورة في شئون خراسان ، ولما عاد المنصور من خراسان حدث أن قتل أبي سلمة خلال الهمداني في شهر رجب سنة ١٣٢ هـ ، ووجهت التهمة إلى الزعيم أبي مسلم الخراساني ومنذ هذا التاريخ بدأت أول مبادرة شقاق علنية بين الجانبين الخراساني والعباسي . في مجال العلاقات السياسية بينهما .

بلاد الغور والزعيم أبو مسلم الخراساني والتعاون المشترك لتأييد العباسيين :

في أيام عروج الزعيم أبي مسلم الخراساني السياسي والعسكري كان ملوك الأسرة الغورية السورية الحاكمة يحكمون المناطق الجبلية من البلاد الخراسانية الواسعة ، وكان في هذه الأيام بالذات الأمير (پولاد - فولاد) وابنه الأمير (كرور پهلوان) من آل (الشنسب) على رأس هذه الأسرة التي كانت تحكم هذه الولاية منذ أقدم العصور ، وكانا من أنصار الزعيم الخراساني أبي مسلم والعباسيين في نضالهم في سبيل الوصول إلى الخلافة ، وكانت عاصمة الدولة الغورية في هذه الأيام هي مدينة (منديش) في بلاد الغور^(١) . هذه الأسرة الغورية السورية وحكامها قد ساهموا في النضال الذي كان يقوم به الزعيم أبو مسلم الخراساني في سبيل تأسيس الخلافة العباسية ، وقد قالوا وأنشدوا قصائد

(١) أبو عمر عثمان منهاج الدين بن محمد سراج الدين الجوزجاني - طبقات ناصري - تحقيق يوهاند عبدالحى حبيبي - طبعة كابل سنة ١٣٤٣ هـ ش .

عراء في اللغة الأفغانية سيأتى تفصيل ذلك في القسم الأدنى المقارن إن شاء الله تعالى . وقد شارك هؤلاء الحكام والأمراء الغوريون في المعارك التى كان يقودها الزعيم أبو مسلم الخراسانى بالسيف والقلم معا^(١) :

ما قيل فيه من الأشعار وما قاله من الأقوال :

قام الخليفة العباسى المنصور بقتل أبى مسلم الخراسانى في سنة ١٣٧ هـ - ٧٥٤ م فقال المنصور بعد إتمام عملية القتل^(٢) :

زعمت أن الدين لا يقتضى فاستوف بالكيل أباً مجرم
سقيت كأساً كنت تُسقى بها أمرٌ في الخلق من العلقم
ويقوله في ذلك الشاعر العربى أبو دلامة الأسدى ، ويخاطب أبا مسلم بأبى مجرم كما فعل المنصور فيقول^(٣) :

أباجرم ما غير الله نعمة على عبده حتى يغيرها العبد
أفي دولة المنصور حاوت عدة ألا إن أهل الغدر آباءك الكرد
ويقول اليعقوبى : إن المنصور عندما قتل أبا مسلم قال هذين البيتين^(٤) :

اشرب بكأس كنت تسقى بها أمر في فيك من العلقم
كنت حسبت الدين لا يقتضى كذبت والله أباً مجرم
وفي الفخر بالزعيم أبى مسلم يقول على بن حمزة بن عمارة بن حمزة بن يسار^(٥) :

نقلنا إلى آل النبى خلافة وملكا وجدناه مضيقا مضيقا^(٦)
ولولا سيوف الله فينا لأصبحت ملوك بنى مروان في الدين رعا

(١) محمد هوتك بن دارد - حوزة خزانة ص ٣٠ طبعة كابل سنة ١٣٣٩ هـ ش = ١٩٦٠ م طبعة ثانية .

(٢) الطبرى : ٤٩١/٧ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر .

(٣) ابن خلكان - وفيات الأعيان ٢٨٣/١

(٤) تاريخ اليعقوبى ٣٦٨/٢ .

(٥) پوهاند عبدالحى حبيبي - تاريخ أفغانستان بعد از اسلام ٢٩٥/١ طبعة كابل سنة ١٣٤٥ هـ ش =

١٩٦٦ م .

منعنا خَمَّاناً^(١) بالقواضب والقنا جلادا ومازلنا أعز وأمنعا
أبومسلم عَمَى وإن كان سيّدا همّاما قريبا مصر حيا سميديعا^(٢)
ألسنا الأولى صالوا على ألفى بالهدى ودانوا بنى العباس مرعاً ومنسما
ونحن سئمنا المارقين بياسنا إلى أن رأينا عودهم قد تخزعا

وكان الزعيم أبومسلم يردد هذه الأشعار وهي من إنشاده^(٣) :

قد نلت بالحزم والكتان ما عجزت عنه ملوك بنى مروان^(٣) إذ حشدوا
مازلت أسعى بجهدى فى دمارهم والقوم فى غفلة فى الشام قد رقدوا
حتى طرقتهم بالسيف فانتبهوا من نومة لم ينمها قبلهم أحد
ومن رعى غنما فى أرض^(٤) مسبعة ونام عنها تولى رعيها الأسد

وقد ارتجز أبو مسلم أثناء إحدى المعارك فقال^(٥) :

من كان ينوى أهله فلا رَجَعَ فَرَّ من الموت وفى الموت وقع

وقال أبو إسحاق لأبى مسلم : ارجع إلى أمير المؤمنين المنصور واعتذر إليه
مما كان ، فأجمع على ذلك ، فقال له نيزك : قد أجمعت على الرجوع ؟ قال :
نعم ، وتمثل^(٦) :

ما للرجال مع القضاء محالة ذهب القضاء بجيلة الأكرام
ومن كتبه التى كانت كالأوامر العسكرية قوله وكتابه إلى قحطبة^(٧) :

-
- (١) خَمَّان الناس : خشارتهم ، أى الدون منهم . مختار الصحاح ١٩١ مادة (خ م ن) .
(٢) وفيات الأعيان ٢٨٢/١ . الكامل ٢٢٨/٥ . تاريخ أفغانستان ٢٥١/١ . والدكتور أحمد فريد رفاعى :
عصر المأمون ٨٦/١ طبعة القاهرة ١٣٤٦ هـ .
(٣) فى الكامل : ملوك بنى سامان .
(٤) فى الكامل : معشبة .
(٥) الطبرى : ٤٧٨/٧ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر .
(٦) الطبرى : ٤٨٦/٧ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر .
(٧) الطبرى : ٣٩٢/٧ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر .

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فناهض عدوك ، فإن الله عزوجل ناصرك ، فإذا ظهرت عليهم فأتخن في القتل » .

ولما انتصر أبو مسلم على عبدالله بن علي ، وعلم بذلك المنصور أرسل إليه رسولا لإحصاء الغنائم ، فغضب أبو مسلم وقال : ^(١) « أمين على الدماء ، خائن في الأموال » .

(١) الدكتور حسن إبراهيم حسن - تاريخ الإسلام السياسي والديني - ٩٨/٢ .

الحركات الأدبية والعلمية والسياسية بعد قتل أبى مسلم الخراسانى

لأسرة البرمكية البلخية :

قتل أبو مسلم الخراسانى ، واستمرت الأمور فى يد الخلافة العباسية رغم حركات الاحتجاج فى خراسان إلى أن مات الخليفة الهادى سنة ١٧٠ هـ - ٧٨٦ م وتولى هارون الرشيد الخلافة العباسية ، وكان أول عمل له فى خراسان هو عزل أبى العباس فضل بن سليمان الطوسى ، وتعيين جعفر بن محمد بن أشعث واليا على خراسان بدلا منه .

ولاية الفضل بن يحيى البرمكى فى خراسان الأفغانية :

تمر الأيام والحركات الوطنية الانفصالية تشتد وتضعف وفقا للظروف ، والأحوال السياسية والعسكرية ، والبلاد الخراسانية ترى وتشهد ولاية وحكاما وأمراء عباسيين يأتون إليها ، ثم يمشون منها ويغادرونها بعد أن يذيقوا أهلها من المسلمين الأفغان إما حلوا لذيذا وفقا لما تقتضيه الأهواء السياسية ، وإما مرا قاسيا تبعا للأحوال العسكرية إلى أن يحل دور أسرة خراسانية أخرى من (بلخ) فى شمال أفغانستان ، فقد جاء أحد زعمائها وهو الفضل^(١) بن يحيى البرمكى البلخى ، إلى خراسان واليا من طرف الخليفة هارون الرشيد ، فى سنة ١٧٨ هـ - ٧٩٤ م ليقوم بإصلاح ماأفسده الولاة من قبله ، وكان الرجل البلخى الخراسانى يتمتع بمزايا خاصة طيبة لم تكن توجد فى غيره من الولاة الأوائل الذين عملوا فى خراسان ، ومن مزاياه العديدة أنه كان من أقرب الشخصيات السياسية فى البلاط فى بغداد وأبرزها نفوذا ، ومن مزاياه أيضا أنه كان أدرى الناس بأحوال البلاد ،

(١) محمد أحمد يرائق : البرامكة فى ظلال الخلفاء ٤١ ، ٤٣ ، ٦٢ - ٦٤ ، ٦٨ ، ٧٥ والجهشيارى : كتاب الوزراء ١٨٩ - ١٩٥ طبعة القاهرة ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م .

وبأحوال أهلها ، وآلامهم ، وأمانهم السياسية والاجتماعية ، حيث كانت الأسرة (البرمكية) تتمتع - في بلخ الأفغانية - بسمعة طيبة وعريضة في الميادين السياسية والاجتماعية والدينية منذ أقدم العصور .. قبل الميلاد ، وبعد الميلاد ، وكذلك قبل الإسلام وبعد الإسلام ، ومن هنا نراه بمجرد وصوله إلى خراسان يقوم بإصلاحات جذرية مكنت أهلها من التمتع بنوع من الاستقرار والهدوء والسكون والشعور بالطمأنينة والرضا وراحة البال ، ومن تلك الإجراءات الإصلاحية الجذرية التي قام بها البرمكي البلخي في خراسان في المجالات الإدارية ، والسياسية والعسكرية :

١ - قام بضم كل من (سيستان) في أفغانستان الجنوبية الغربية و (باميان) في أفغانستان المركزية الغربية ، و (كابليستان) في أفغانستان المركزية ، إلى الإدارة العامة ، وأصبحت بذلك تابعة للسلطة العليا في خراسان ، كما أصبحت الحكومة المركزية الخراسانية مسئولة مباشرة عن شئون جميع مناطق وأقاليم أفغانستان ، وقضى بذلك على الاستقلال الداخلي لكل ولاية تقريباً^(١) .

٢ - قام بإجراءات حاسمة بالنسبة لشئون الأمن ، فاستطاب الأمن ، والسلام ، وانتشر الهدوء والاطمئنان في ربوع أفغانستان واتحدت البلاد تحت ظل راية واحدة ، وإدارة مركزية قوية واحدة تتمتع بثقة الناس فيها .

٣ - بناء المساجد ، والربط ، والسدود ، وأحواض المياه ، وحفر الآبار ، والأنهار^(٢) وغيرها من المنافع والمصالح العامة لخدمة الناس ورفاهيتهم .

٤ - تأسيس تشكيل جيش خراساني كان قوامه خمسمائة ألف جندي خراساني وقد أرسل عشرين ألفاً من هذا الجيش إلى بغداد . وفي هذا الجيش يقول الشاعر العربي مروان بن أبي حفصه^(٣) :

(١) . يراجع : الفخري ص ٢٨١ . تاريخ سيستان ص ١٥٤ . الكامل ٥٠/٦ . الطبري : ٢٥٥/٨ وما بعدها . وزين الأخبار .. وتاريخ أفغانستان بعد أراسلام ج ١ ص ٣٤٣ وما بعدها . طبعة كابل سنة ١٣٤٥ هـ = ١٩٦٦ م .

(٢) . الطبري : ٢٥٧/٨ طبعة ثانية ، ومحمد أحمد برائق : البرامكة في ظل الخلفاء ٧١ .

(٣) . الطبري : ٢٥٧/٨ طبعة ٦ ، ومحمد أحمد برائق : البرامكة في ظل الخلفاء ٧١ .

أَثْبَتَ خَمْسَ مِئِينَ فِي عِدَادِهِمْ مِنْ الْأُلُوفِ الَّتِي أَحْصَتْ لَكَ الْكُتُبُ

٥ - قام بفتوحات جديدة في كابل ، وطهر (المعبد الملكي بكابل - شاه بهار كابل) وفي هذه الفتوحات وغيرها من الأعمال العظيمة التي قام بها البرمكي البلخي في سبيل توطيد الحكم العباسي في خراسان ، يقول الشاعر العربي مروان بن أبي حفصة^(١) :

نَفَى عَنْ خِرَاسَانَ الْعَدُوَّ كَمَا نَفَى ضَحَى الصَّبْحِ جِلْبَابَ الدَّجَى فَتَعَرَّدَا
أُبْجَتَ جِبَالُ الْكَابِلِ وَلَمْ تَدْعُ بَنَ لَنْيرَانَ الضَّلَالَةُ مَوْقِدَا

٦ - قام بتطوير صناعة الكاغز (الورق) في خراسان ، وكان أحد مصانع ومراكز هذه الصناعة في (سمرقند) وقد قام بنقل هذه الصناعة إلى بغداد ، ومن هناك انتشرت في أوروبا عن طريق الأندلس^(٢) .

٧ - استطاع الفضل بن يحيى البرمكي البلخي^(٤) أن ينهى الاضطرابات الدامية في خراسان ، وأن يقرب خراسان والخراسانيين إلى الخلافة العباسية بحكمة بالغة ، وسياسة ماهرة ، ودراية فائقة ، وقد استطاع بسياسته هذه أن يطيع المناطق والأقاليم الجبلية الغورية في أفغانستان الوسطى ، وقد أصبحت العلاقات بين الأسرة الغورية الشنسية وبين دار الخلافة العباسية وطيدة طيبة بعد هذه الإجراءات التي قام بها البرمكي البلخي في سبيل تصفية الجو لهذه العلاقات الأخوية الإسلامية ، وقد استمرت العلاقات كذلك في أيام الخليفة هارون الرشيد ، وفي أيامه وبعد عام ١٨٠ هـ - ٧٩٦ م أصبحت إمارة البلاد الغورية السورية الأفغانية في أفغانستان الوسطى في يد الأمير (بنجي نهاران) الغوري ، وكان ينازعه في ذلك الأمير (شيش بن بهرام) حتى رفعاً نزاعهما هذا إلى دار الخلافة في بغداد ، فقام الخليفة هارون

(١) الطبري : ٢٥٩/٨ طبعة ثانية ، ومحمد أحمد برائق : البرامكة في ظلال الخلفاء ٧٢ .

(٢) تعرد : تمرد وانكشف .

(٣) دكتور عيسى صديق - تاريخ فروهنگ ص ٤٠٧ . ومقدمة ابن خلدون ص ٢٥٠ . وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام ٣٤٧/١ .

(٤) محمد أحمد برائق : البرامكة في ظلال الخلفاء : ٤١ ، ٤٣ ، ٥٦ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٨ ، ٧٥ ، والجهشياري : كتاب الوزراء والكتاب ١٩١ .

الرشيذ بتقسيم أمور وشئون الإمارة بين الزعيمين الأميرين الأفغانيين بحيث تمكن من إرضاء الاثنين ، فلقب الأمير (بنجى نهاران) بلقب قسم أمير المؤمنين ، وبذلك أصبح أميراً على البلاد الغورية في أفغانستان ، بينما سلم قيادة الجيش والبطولة في بلاد الغور إلى الزعيم (شيش بن بهرام) والملك الغوريون العظام الذين حكموا قروناً طويلة في كل من البلاد الأفغانية والهندية من نسل الأمير (بنجى نهاران)^(١) الغوري قسم أمير المؤمنين .

استمرت ولاية الفضل بن يحيى البرمكي البلخي في خراسان إلى سنة ١٧٩ هـ - ٧٩٥ م ثم عزله الخليفة هارون الرشيد ، وعين بدلاً منه المنصور بن يزيد الحميري ، ولكنه لم يستطع السيطرة على الشؤون في البلاد ، فجاء على بن عيسى بن ماهان إلى خراسان والياً للعباسيين لإدارة الشؤون في البلاد الخراسانية^(٢) ، وقد استمرت ولايته في خراسان ودامت لمدة عشر سنوات من ١٨٠ - ١٩٠ هـ - ٧٩٦ - ٨٠٥ م . وكان يعاونه ويساعده في إدارة حكم البلاد الكاتب الخراساني حفص بن منصور المروزي^(٣) صاحب كتاب (خراج خراسان) . وقد حاول على بن عيسى بن ماهان تهدئة الحالة في البلاد الخراسانية بالضرب والحرب والقتال .. حارب أبا الخصيب وهيب بن عبدالله النسائي الذي سماه الناس بالخارجي . كما حارب حمزة السيستاني الخارجي ، وقد وصل في حروبه إلى (قندهار) و (زابلستان) و (كابل) ويقول الشاعر العربي أبو القرقار في مدحه^(٤) :

كاد عيسى يكون ذا القرنين بلغ المشرقين والمغربين
لم يدع كابل ولا زابلستان ن فما حولها إلى^(٥) الرخجين

(١) أبو عمر عثمان مناهج الدين بن محمد سراج الدين الجوزجاني - طبقات ناصري ج ١ ص ٣٢٦ . طبعة ثانية سنة ١٣٤٢ هـ . ش = ١٩٦٣ م . كابل . تاريخ أفغانستان بعد از اسلام ١/٣٤٨ .

(٢) زين الأخبار ٢٠٩ الترجمة العربية .

(٣) تاريخ أفغانستان بعد از اسلام ١/٣٤٩ وزين الأخبار ٢٠٩ الترجمة العربية .

(٤) الطبري ٢٧٣/٨ . طبعة ثانية - دار المعارف بمصر .

(٥) الرخجان : هما الرخد والرخج . وهما عبارة عن وادي قندهار وأرغندلو الحالي والرخجان : أيضا شاطئ نهر أرغندلو . والمراد هنا شاطئ نهر أرغندلو من الجانبين .

وقد انهزم عيسى بن علي بن ماهان في معركة دارات بينه وبين حمزة السيستاني سنة ١٨٢ هـ - ٧٩٨ م ففر هاربا من ميدان المعركة وفي هذا قال شاعر عربي يعبر عيسى بن علي بن ماهان لهربه من حمزة السيستاني^(١) :

يا ابن علي أين تسرى في القلاة وكنت ليث الغاب قبل مرسلا
بين يدي حمزة في قلة فصرت في الجبن لدينا مثلا

ثم توالى انتصارات حمزة السيستاني في الحروب التي تجرى بين الجانبين إلى أن انهزم أخيرا ، وفر هاربا إلى (كهستان - قهستان) بصحبة أربعين من أنصاره .

إن أحداث أفغانستان الخراسانية من سنة ١٧٩ هـ - ٢١٣ هـ أحداث عظيمة ومؤلة ، وقد دارت هذه الأحداث الهائلة المؤلة بين الخارجي حمزة السيستاني ، وبين ولاية وحكام الخلافة العباسية وخاصة بينه وبين علي بن عيسى ابن ماهان وأبنائه إلى أن مات حمزة السيستاني الخارجي في مكان بين (قندهار) و (زمينداور = أرض داور)^(٢) . سنة ٢١٣ هـ = ٨٢٨ م .

البرامكة في التاريخ الأفغاني :

غرفنا فيما مضى رجلا واحدا من رجالات هذه الأسرة البرمكية البلخية العريقة أثناء الحديث عن ولاية خراسان أيام الخلافة العباسية وهو الفضل بن يحيى البرمكي البلخي . والآن وباختصار شديد أريد أن أتحدث بإيجاز عن أصل هذه الأسرة ، وعن تاريخها ومنزلتها التاريخية قديما وفي العصور الإسلامية ، وما قامت به ، وقدمته من الأعمال السياسية والاجتماعية والعلمية ، والأدبية في مختلف العصور^(٣) .

إن الأسرة البرمكية البلخية أسرة أفغانية لها تاريخ قديم وعظيم في مدينة بلخ

(١) مؤلف مجهول - تاريخ سيستان ١٥٧ طبعة طهران سنة ١٣١٤ هـ . ش ، وبوهاند عبدالحى حبيبي :

تاريخ أفغانستان بعد از اسلام ٣٥٢/١ .

(٢) من المحتمل أن يكون ذلك المكان هو (بهش = بنهش = نيش = غورك) الحالية .

(٣) محمد أحمد براتق : البرامكة في ظلال الخلفاء ٦٨ - ٧٥ ، وعصر المأمون ١٣٥/١ .

في أفغانستان الشمالية ، يرتبط اسم هذه الأسرة الأفغانية بمعبد (النوبهار) التاريخي العتيق الذي كان يقوم بما يقوم به المسجد والمدرسة من الخدمات العلمية والأدبية والدينية اليوم ، لأن أجداد هؤلاء الذين يعرفهم التاريخ باسم البرامكة كانوا سدنة هذا المعبد التاريخي في بلخ التاريخية الأفغانية^(١) ، وفي هذا يقول أحد شعراء العرب :

أوحش النوبهار من بعد جعفر ولقد كان بالبرامك يعمر
كلمة برمك :

(برمك) ليس اسم شخص معين ، وإنما كان اسم أسرة ، وكان يلقب به كل من يصل من أفراد هذه الأسرة إلى منصب سدانة معبد (النوبهار) التاريخي في (بلخ) الأفغانية ، وكان ملوك (كابل) و (زابل) في أفغانستان ، وملوك الهند والصين يقومون بزيارة معبد (النوبهار) التاريخي المقدس ، فكانوا يقبلون يدي (البرمك = السادن) للتبرك ، وكانوا يقدمون إليه الهدايا والعطايا والندور^(٢) .

أما القاضي أحمد بن خلكان ، وهو منسوب إلى هذه الأسرة البرمكية^(٣) ، فيقول في نسب (برمك) برمك بن جاماس بن يشتاسف^(٤) ، ولقد تحول اسم (برمك) إلى جعفر في اللغة العربية .

(برمك) اسم مركب من كلمتين : (برم) الجلال ، والعظمة ، والقيادة ، والرئاسة في اللغة البشتونية ، و (ك) ويأتي للتحليل والتعظيم ، والتحييب في اللغة البشتونية ، ومعنى (برمك) بعد التركيب ، وبناء على هذا التحليل اللغوي : القائد العظيم أو الرئيس المحبوب ، أو الجليل المقصم^(٥) .

(١) يوهاند عبد الحى حبيبي - أفغانستان بعد از اسلام ج ١ ص ٣٧٧ - كابل سنة ١٣٤٥ هـ . ش = ١٩٦٦ م ، والبرامكة في ظلال الخلفاء ١١ - ١٥ .

(٢) يوهاند عبدالحى حبيبي - أفغانستان بعد از اسلام ج ١ ص ٣٧٨ - كابل سنة ١٣٤٥ هـ . ش = ١٩٦٦ م ، والبرامكة في ظلال الخلفاء ١٢ - ١٣ .

(٣) تاريخ أفغانستان . بعد از اسلام ٣٧٨/١ .

(٤) أحمد بن محمد بن خلكان - وفيات الأعيان ج ١ ص ١٠٥ .

(٥) في البرامكة ص ١١ غير ما ذكرته ، ومن المعروف أن بعض الباحثين يقلدون بعض الإيرانيين في أقوالهم التي لا تمت إلى الحقيقة بصلة .

جعفر = برمك الأول :

أول من عرف من هذه الأسرة البرمكية البلخية في الإسلام هو هذا الذي اشتهر في الإسلام باسم (جعفر = برمك) الذي أسلمت أسرته في سنة ٣٠ هـ = ٦٥٠ م . وكان معاصرا للوليد بن عبد الملك ، وكان أدبيا ، وكاتبا ، وعالما ، وصل إلى منصب الكتابة في أيام الوليد^(١)

ومن مشاهير البرامكة البلخيين : خالد بن برمك من الزعماء الخراسانيين الذين قاموا ببذل جهود عظيمة في سبيل تأسيس الدولة العباسية ، وكان قائدا في الجيش الخراساني^(٢) . وقصة كرمه وتعاطفه مع الشاعر الطخاري بشار بن برد ليست في حاجة إلى البيان ، كما أن زندقة بشار وميوله الخراسانية المتطرفة ليست في حاجة إلى الشرح . ويحيى بن خالد البرمكي البلخي الذي تولى في أحضان الخلافة العباسية ، والذي يقول فيه إبراهيم الموصلي^(٣) :

ألم تر أن الشمس كانت سقيمة فلما ولي هارون أشرف نورها
بيمن أمين الله هارون ذى الندى فهارون واليها ويحيى وزيرها

قام هارون الرشيد بقتل جعفر بن يحيى^(٤) ، ويسجن يحيى نفسه مع ابنه الفضل وموسى ، وقام بمصادرة جميع أموال البرامكة ، وبعد ثلاث سنوات قضاهما يحيى في السجن توفي فيه فجأة في سنة ١٩٠ هـ - ٨٠٥ م ، وقد وجد على فراشه بعد موته هذين البيتين^(٥) :

وحق الله أن الظلم لؤم وأن الظلم سرعه ويحيم
إلى الديان يوم الدين نمضى وعند الله تجتمع الخصوم

والفضل بن يحيى البرمكي البلخي الذي كان مرييا لمحمد الأمين ثم أختبر

-
- (١) سياست نامه ص ١٧٨ . وأفغانستان بعد از اسلام ٣٨١/١ طبعه كابل .
(٢) الطبرى : ٣٨٩/٧ . والكامل ١٨٣/٥ . وتاريخ يعقوبى ٣٤٣/٢ . ومحمد أحمد برانق : البرامكة في ظلال الخلفاء ١٤ .
(٣) الفخرى : ص ١٨٠ - وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٣٤٣/١ - ٣٤٨ ، والبرامكة في ظلال الخلفاء ٣٧ ، وعصر المأمون ١٣٩/١ .
(٤) محمد أحمد برانق : البرامكة في ظلال الخلفاء ١٨٠ - ٢٩٦ .
(٥) وفيات الأعيان ٢٤٦/٢ .

وزيراً لهارون الرشيد ، وذلك في سنة ١٧٤ هـ - ٧٩٠ م ، وجعفر بن يحيى البرمكي البلخي الذي يشتهر بالسيف والقلم والفصاحة والبلاغة والأدب ، وكان من تلاميذ الإمام أبي يوسف في الفقه الحنفي ، وفي مجلسه كانت تناقش المسائل الفقهية ، والمواضيع الأدبية والعلمية .

دور البرامكة العلمي والثقافي والأدبي : (١)

إن البرامكة البلخيين قد ساهموا في جعل بغداد عاصمة للعلم والثقافة والأدب ، وفي جعل بيتها بيئة علمية وثقافية وأدبية راقية ، وهم الذين ساهموا مساهمة فعالة مؤثرة ، في تغيير كلي وجذري في الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والأدبية التي كانت سائدة في العصر السابق ، كل ذلك بتشجيع كبير لاحدود له من الخلفاء العباسيين ، وبجانب ذلك كانوا أصحاب ذوق رفيع في العلم والثقافة والأدب والتقاليد الاجتماعية والعادات العريقة ، كانوا مع تمسكهم بالدين الإسلامي الحنيف ، متمسكين بتلك التقاليد والعادات العلمية والأدبية أيضاً ، إلى جانب تمسكهم ببعض المفاخر الوطنية الأخرى ، وقد قاموا - بتشجيع من الخلفاء - بنقل المفاخر العلمية والثقافية إلى دار الخلافة العباسية ببغداد ، ولعل هذا كان سبب اتهامهم بالكفر والزندقة والشرك البغيض ، استمع إلى الأصمعي حيث يقول (٢) :

إذا ذكر الشرك في مجلس أضاءت وجوه بنى برمك
وإن تليت عندهم آية أتوا بالأحاديث عن مزك

ونحن نعرف جيداً ، ونعلم أن البرامكة (٣) من أسرة عريقة في المعرفة والعلم والسياسة ، وفي الحياة الأدبية ، وكان أهل هذه الأسرة قبل الإسلام سادة معبد (النوبهار) (٤) في بلخ (الأفغانية) وكانوا ذردشتيين أيام الزردشتية في أفغانستان ، وكانوا بوذيين أيام البوذية في أفغانستان ، بعد أن تحول معبد

(١) محمد أحمد برائق : البرامكة في ظلال الخلفاء ١٠٣ - ١٠٥ .

(٢) ابن قتيبة : المعارف ١٤٨ ، وأفغانستان بعد از اسلام ٣٩٩/١ ، والبرامكة في ظلال الخلفاء ٢٢٠ ،

والدكتور أحمد فريد رفاعي : عصر المأمون ١٣٥/١ - ١٣٧ .

(٣) الدكتور أحمد فريد رفاعي : عصر المأمون ١٣٥/١ - ١٣٧ .

(٤) محمد أحمد برائق : البرامكة في ظلال الخلفاء ١٢ ، والدكتور أحمد فريد رفاعي : عصر المأمون

١٣٦/١ .

(النوبهار) التاريخي من مدرسة للزردشتية إلى مدرسة للبوذية ، فكانت لهم صلات عميقة بالأديان الآرية ، والزردشتية ، والبوذية ، وبآدابها كما كانت لهم ارتباطات ثقافية بالأدب الصيني والهندي لعلاقة التجاور بين الدول الثلاث : أفغانستان والصين ، والهند ، وكانوا بوذيين قبل أن يتشرفوا بالدخول في الإسلام ، ولهذا كله فإنهم لعبوا دورا ممتازا في نقل الثقافة والفنون الأفغانية ، والهندية ، والصينية ، والإيرانية إلى البلاد العربية عن طريق أفغانستان ، نظرا لمعرفتهم بتلك الفنون والآداب والمعارف الجميلة المفيدة ، ذلك لأن الملوك والأمراء في كل من أفغانستان ، والهند ، والصين كانوا يأتون إلى (بلخ = بخدي) مهد الأديان الآرية والزردشتية ، والبوذية في أفغانستان ومهد البرامكة ومعبدهم الديني والعلمي (النوبهار) لأداء الطقوس الدينية فيه ، والتبرك بالبرامكة سددته ، وتقديم النذور والهدايا إليهم طلبا لدعائهم ، واستعانة بهم في قضاء حاجاتهم . وعندما دخل أفراد هذه الأسرة البرمكية البلخية في الإسلام ، وانتقلوا بعد ذلك إلى بغداد دار الخلافة العباسية ، حاولوا أن يخدموا الإسلام علميا وأدبيا وثقافيا ، ليكون المسلم مسلحا بالسلاح العلمي والأدبي والثقافي ، فعملوا على تطوير العلوم والفنون الأفغانية والهندية ، والصينية تطورا يناسب الطبيعة الإسلامية ، ثم حاولوا جلبها إلى بغداد دار الخلافة ، كما جاهدوا جهادا صادقا في سبيل جلب الأطباء ، والعلماء إلى دار الشفاء ، وإلى دار الترجمة في بغداد ، وأرسلوا وفودا علمية وفنية إلى البلاد الهندية للتزود بفنونها وعلومها ، ومعارفها المختلفة ، وينظم حياتها الاجتماعية .

وقد ساعدتهم في ذلك ما كان لهم من مال وفير ، وكرم واسع ، ونفوذ قوى ، وسلطان ، وجاه عظيمين ، وهم مع كل ذلك مثقفون - كما قلت - ثقافة واسعة مع العلم ، والأدب ، والبلاغة ، والفصاحة ، وحسن البيان عربيا وغير عربى ، فكانوا لذلك يعملون على نشر الثقافة .. الأفغانية ، والهندية ، والصينية ، والفارسية ليس إلا خدمة للثقافة العربية . فابن النديم يروى عند الكلام عن كتاب المجسطي في الهيئة ، يقول إن أول من عني بتفسيره ونقله إلى اللغة العربية يحى ابن خالده^(١) البرمكي البلخي ، كما أنه أمر بتفسير كتاب في الطب للعالم الهندي

ر ١) ابن النديم : الفهرست ١٦٨ .

(منكه)^(١) فهو لاء البرامكة البلخيون وإن عنوا بالثقافة الخراسانية ، فقد عنوا بجانبها أيضا بالثقافات : العربية ، والأفغانية ، والفارسية ، والهندية ، والصينية ، واليونانية ، وغيرها من أنواع الثقافة في البيئة التي كانوا يعيشون فيها .

وهكذا قامت الدولة العباسية على مساهمة الخراسانيين ، كما نعلم وتثقت بالثقافة الخراسانية وغيرها من أنواع الثقافة والعلوم والآداب على مساعي الخراسانيين من بلغ الأفغانية ، وتشجيع من الخلفاء العباسيين .

ما قيل في البرامكة من الأشعار :

في سنة ١٧٠ هـ - ٧٨٦ م قلد الرشيد يحيى بن خالد البرمكي للبلخي الوزارة ، ودفع إليه خاتمه ، في ذلك يقول إبراهيم الموصلي^(٢) :

ألم تر أن الشمس كانت سقيمة فلما ولي هارون أشرق نورها
يؤمن أمين الله هارون ذي الندى فهارون واليها ويحيى وزيرها

ولي الرشيد موسى بن يحيى بن خالد البرمكي البلخي الشام^(٣) ، وكانت الفتن بين أهلها على أشدها ، فأقام بها وأصلح بين أهلها ، وسكنت الفتنة العنصية القبلية ، ورد الرشيد الحكم فيهم إلى يحيى بن خالد البرمكي ، فعفا عنهم ، وأقدمهم بغداد ، وفي ذلك يقول إسحاق بن حسان الخزيمى^(٤) :

مَنْ مُبْلَغٌ يَحْيَى وَدُونُ لِقَائِهِ زَارَاتُ كُلِّ خَنَابِسٍ هَمَامٌ
يَارَاعَى الْإِسْلَامَ غَيْرَ مَفْرُطٍ فِي لَيْنٍ مُعْتَبِطٍ وَطِيبٍ تَشَامُ
تَعْلَى مَشَارِبُهُ وَتُسْقَى شَرِبَةً وَيَبِيتُ بِالرَّبَوَاتِ وَالْأَعْلَامِ
حَتَّى تَنْخَنخُ ضَارِبًا بِجِرَانِهِ وَرَسَتْ مَرَاسِيهِ بَدَارِ سَلَامِ
فَلِكُلِّ ثَغْرِ خَارِسٍ مِنْ قَلْبِهِ وَشُعَاعُ طَرْفٍ مَا يُفْتَرُ سَامِ

(١) ابن النديم : الفهرست ١٦٨ ، والدكتور أحمد فريد رفاعي : عصر المأمون ٣٨٩/١ . طبعة القاهرة : ١٣٤٦ هـ = ١٩٢٨ م .

(٢) الطبري : ٢٣٣/٨ ، وقد جاء ذكر هذين البيتين في ص : ١٨٦ من هذا الكتاب .

(٣) محمد أحمد برائق : البرامكة في ظلال الخلفاء ٦٤ ، وعصر المأمون ١٤١/١ .

(٤) الطبري : ٢٥١/٨ ، والدكتور أحمد فريد رفاعي : عصر المأمون ١٤١/١ . طبعة القاهرة سنة ١٣٤٦ هـ = ١٩٢٨ م .

وقال في موسى بن يحيى بن خالد البرمكى البلخى غير أبى يعقوب (١) :

قد هاجت الشام هيجا	يُشيب رأس وليده
فصب موسى عليها	بخيليه وجنوده
فدانت الشام لَمَّا	أنى نسيجُ وحيدة
هو الجواد الذى بذ	كل جودٍ بجوده
أعداه جود أبيه	يحيى وجود جدوده
فجاد موسى بن يحيى	بطارف وتليده
ونال موسى ذرى الجـ	د وهو حشو مهوده
خصصته بمدحى	مشوره وقصيده
من البرامك عود	له فأكرم بعوده
حووا على الشعر طراً	خفيفه ومديده

تمكن الفضل بن يحيى البرمكى البلخى من إحضار يحيى بن عبيدالله ابن حسن من (الديلم) إلى بغداد بعد التصالح معه ، فبلغ الرشيد الغاية في إكرام الفضل بن يحيى البرمكى ، ففى ذلك يقول مروان بن أبى حفصة (٢) :

ظَفِرَتْ فلا شئت يد برمكية	رَتَقَتْ بها الفَتَق الذى بين هاشم
على حين أعياء الراتقين الثامه	فكفوا وقالوا ليس بالمتلائم
فأصبحت قد فازت يدك بخطه	من المجد باق ذكرها في المواسم
ومازال قدحُ الملك يخرج فائزاً	لكم كلما ضمَّ قدح المساهم

وأنشد أبو ثمامة الخطيب فيه (٣) :

للفضل يوم الطالقان وقبله يوم أناخ به على خاقان

(١) الطبرى : ٢٥٢/٨ طبعة ثانية . والبرامكة في ظلال الخلفاء ٦٥ ، والدكتور أحمد فريد رفاعى : عصر المأمون ١٤١/١ طبعة القاهرة ١٣٤٦ هـ .

(٢) الطبرى : ٢٤٣/٨ طبعة ثانية . والبرامكة في ظلال الخلفاء ٦٣ .

(٣) الطبرى : ٢٤٣/٨ - ٢٤٤ طبعة ثانية . ومحمد أحمد برائق : البرامكة في ظلال الخلفاء ٦٤ . طبعة دار المعارف بالقاهرة ، والدكتور أحمد فريد رفاعى عصر المأمون ١٤١/١ ، طبعة القاهرة سنة ١٣٤٦ هـ .

= ١٩٢٨ م .

ما مثل يوميه اللذين تواليا في غزوتين توالتا يومان
سد الشغور ورد ألفة هاشم بعد الشتات ، فشعبها متدان
عَصَمَتْ حكومته جماعة هاشم من أن يُجَرَّد بينها سيفان
تلك الحكومة لا التي عن لبسها عظم النبا وتَفَرَّقَ (١) الحكمان

فأعطاه الفضل مائة ألف درهم ، وخلع عليه ، وتغنى به المغنى المشهور
إبراهيم الموصلي (٢) .

وفي سنة ١٧٨ هـ - ٨٩١ م شخص الفضل بن يحيى البرمكى البلخى إلى
خراسان واليا عليها ، فأحسن السيرة بها ، وبنى بها المساجد والرباطات ، وغزا
ماوراء النهر (نهر جيحون = آمو) واتخذ بخراسان جندا من أهلها بلغ عددهم إلى
خمسماية ألف رجل ، وأرسل عشرين ألف رجل إلى بغداد (٣) . وفي ذلك يقول
الشاعر العرنى مروان بن أبى حفصة (٤) :

ما الفضل إلا شهاب لا أقول له عند الحروب إذا ما تأفل الشهب
حام على ملك قوم عز سهمهم من الوراثة في أيديهم سبب
أُتِمَّتْ يَدُ لَبْنَى سَاقِ الْحَجِيجِ بِهَا كَتَائِبُ ما لها في غيرهم أرب
كَتَائِبُ لَبْنَى الْعَبَّاسِ قَدْ عَرَفَتْ ما ألف الفضل منها العجم والعرب
أَثَبَتْ خَمْسَ مِئِينَ فِي عِدَادِهِمْ من الألوف التي أخصبت لك الكتب
يُقَارِعُونَ عَنِ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ أُولَى بِأَحْمَدَ فِي الْفِرْقَانِ إِنْ تُسَبُّوا
إِنَّ الْجَوَادَ ابْنَ يَحْيَى الْفَضْلَ لَا وَرَقَ يبقى على جود كَفَيْهِ وَلَا ذَهَبُ
ما مرَّ يوم له مذ شدَّ مثزره إلا تَمَوَّلَ أَقْوَامَ بما يهبُ
كم غايته في الندى والبأس أحرزها للظالمين مَدَاهَا دُونَهَا تَعْبُ
يعطى اللهى حين لا يعطى الجواد ولا يَنْبُو إِذَا سَلَّتِ الْهِنْدِيَةُ الْقَضْبُ
ولا الرضا والرضا لله غايته إلى سِوَى الْحَقِّ يَدْعُوهُ وَلَا الْعَضْبُ

(١) يشير إلى الحكومة التي كانت بين على ومعاوية على يد أبى موسى الأشعرى ، وعمرو بن العاص رضى
الله عنهم جميعا .

(٢) الطبرى : ٢٤٤/٨ - طبعة ثانية - دار المعارف بمصر .

(٣) الطبرى : ٢٥٧/٨ - طبعة ثانية - دار المعارف بمصر . وابن الأثير : ٩٩/٥ بيروت .

(٤) الطبرى : ٢٥٧/٨ - طبعة ثانية - دار المعارف بمصر . وابن الأثير : ١٠٠/٥ بيروت .

قد فاض عُرفُكَ حتى ما يُعَادِلُهُ غَيْثٌ مُغِيثٌ ولا بَحْرٌ له حَدَبٌ

وكان مروان بن أبي حفصة^(١) قد أنشد الفضل بن يحيى البرمكي البلخي في معسكره قبل خروجه إلى خراسان الأفغانية موطن آبائه وأجداده ، هذه الأبيات الشعرية^(٢) :

ألم تر أنَّ الجودَ من لَدُنْ آدمَ تَحَدَّرَ حتى صار في راحة الفضل
إذا ما أبو العباس راحت سماؤه فيألك من هَطْلٍ وبالك من وَبَل
إذا أم طفل راعها جوعُ طفْلِها دعته باسم الفضل فاستعصم الطفل
ليحيا بك الإسلام إنَّكَ عِزُّه وإنَّكَ من قوم صغيرهم كهل

وقد أمر له الفضل بن يحيى البرمكي البلخي بمائة ألف درهم ، وكساه ، وحمله على بغلة^(٣) ، وقد سمع يقول : أصبت في قدمتي سبعمائة ألف درهم^(٤) وفيه يقول^(٥) :

تَحَيَّرْتُ لمدح ابن يحيى بن خالد فحسبي ولم أظلم بأن أُنخِّيرا
له عادةٌ أن ييسط العدل والندی لمن ساس من قحطان أو من تنزرا
إلى المنبر الشرقى سار ولم يزل له والد يعلو سريرا ومتبرا
يُعَدُّ ويحیی البرمكي ولا يُرى لَدَى الدَّهْرِ إِلَّا قائداً أو مؤمرا

ومدحه سلم الخاسر ، فقال^(٦) :

وكيف تخافُ مِنْ يُوسُفَ بدار تَكْنَفُها البرامكةُ البُحورُ
وقومٌ منهم الفضلُ بنُ يحيى نَفِيرٌ ما يُوازِنُه نَفِيرُ
له يومان : يوم ندَى وبأس كأنَّ الدهرَ بينهما أسِيرُ

- (١) الطبرى : ٢٥٧/٨ - ٢٥٨ ، طبعة ثانية . وابن الأثير : ١٠٠/٥ ، طبع بيروت .
(٢) الطبرى : ٢٥٨/٨ ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر . وابن الأثير : ١٠٠/٥ ، طبع بيروت سنة ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .
(٣) الطبرى : ٢٥٨/٨ ، الطبعة الثانية ، وابن الأثير : ١٠٠/٥ ، طبع بيروت ١٣٩٨ هـ .
(٤) الطبرى : ٢٥٨/٨ ، الطبعة الثانية ، وابن الأثير : ١٠٠/٥ ، طبع بيروت ١٣٩٨ هـ .
(٥) الطبرى : ٢٥٨/٨ ، الطبعة الثانية ، وابن الأثير : ١٠٠/٥ ، طبع بيروت ١٣٩٨ هـ .
(٦) الطبرى : ٢٥٨/٨ ، الطبعة الثانية ، وابن الأثير : ١٠٠/٥ ، طبع بيروت ١٣٩٨ هـ .

إذا ما البرمكى غدا ابنَ عشرٍ فهِمَّتْهُ وزيرٌ أو أميرٌ
ولما قدم الفضل بن يحيى البرمكى البلخي من خراسان استقبله الرشيد ،
والقواد ، والكتاب والأشراف فأغدق عليهم بالصلوات الوفيرة ، فمدحه مروان
ابن أبى حفصة (١) :

حَمْدُنا الَّذي أَدى ابنُ يحيى فأصَبَحَتْ	بِمَقْدَمِهِ تَجْرِي لَنَا الطيرُ أسْعِدَا
وما هَجَعَتْ حتى رَأَتْهُ عيُونُنا	وما زِلَنْ حتى آبَ بالدمع حُشِدَا
لقد صَبَحَتْنا خيلُهُ ورجالُهُ	بَارُوعَ بَدَّ النَّاسَ بأَسَا وسُودَا
نفى عن خراسان العدو كما نفى	ضحى الصبح جَلَبَابَ الدَّجَى فَتَعَرَّدَا (٢)
لقد رَأَى مَنْ أَمْسَى بِمَرُوسِيهِ	إِلَيْنَا ، وقالوا شَعْبُنا قد تَبَدَّدَا
عَلَى حِينِ أَلْقَى قُفْلَ كُلِّ ظَلَامَةٍ	وأطلق بالعفو الأسيرَ المقيَّدَا
وَأَفْشَى بِلَا مَنْ مع العدلِ فِيهِمْ	أَيَادِي عُرِفَ باقياتِ وَعُودَا
فَأَذْهَبَ رُوعَاتِ الخَافِ عَنْهُمْ	وَأَصْبَرَ بَاغِي الأَمْنِ فِيهِمْ وَأُورِدَا
وَأَجْدَى عَلَى الأَيْتَامِ فِيهِمْ يُعْرِفُهُ	فَكَانَ مِنَ الآبَاءِ أَحْنَى وَأَعُودَا
إذا النَّاسُ رَأَوْا غايةَ الفضلِ في النَّدى	وَفِي اليَاسِ القُوهَا مِنَ النُّجْمِ أُبْعِدَا
سَمَا صَاعِدَا بِالْفَضْلِ بِحَيٍّ وَخَالِدٍ	إِلَى كُلِّ امرٍ كانَ أَسْتَى وَأَمْجَدَا
يَلِينُ لِمَنْ أَعْطَى الخَلِيفَةَ طَاعَةً	وَيُسْقَى دَمَ العاصي الحسامَ المَهْنَدَا
أَذَلَّتْ مَعَ الشَّرِكِ النِّفاقَ سِوْفُهُ	وَكَاثَتْ لِأَهْلِ الدِّينِ عِزًّا مُؤَبَّدَا
وَشَدَّ القُوَى مِنْ بَيْعَةِ المِصْطَفَى الَّذِي	عَلَى فَضْلِهِ عَهْدُ الخَلِيفَةِ قُلَّدَا
سَمِيَ النَّبِيُّ الفاتِحَ الخاتِمَ الَّذِي	بِهِ اللَّهُ أَعْطَى كُلَّ خَيْرٍ وَسَدَّدَا
أَبْجَتْ جِبَالَ الكابليِّ ولم تَدْعُ	بِهَنْ لِنيرانِ الضلالةِ مُوقِدَا
فَأَطْلَعَتْهَا خَيْلاً وَطِفْنَ جَمُوعُهُ	قَتِيلًا وَمَأْسُورًا وَفَلَا مُشْرِدَا
وعادت على ابنِ البرم نَعْمَاكَ بَعْدَمَا	تَحَوَّبَ مَحْذُولًا يَرى المَوْتَ مُفْرَدَا

(١) الطبرى : ٢٥٩/٨ الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ، ومحمد أحمد برانق : البرامكة فى ظلال الخلفاء

٧٢ - ٧٣ ، والكتور أحمد فريد رفاعى : عصر المأمون ١٤٣/١ ، طبعة القاهرة سنة ١٣٤٦ هـ

١٩٢٨ م .

(٢) تعرّد : تمرد وانكشف .

وقال حفص بن مسلم^(١) : دخلت على الفضل بن يحيى حين مقدمه من خراسان ، وبين يديه بدر تفرق بخواتيمها ، فما قُصَّتْ بَذْرَةٌ منها ، قُفِلَتْ : كفى الله بالفضل بن يحيى بن خالد وجود يديه بخل كل بخيل فقال لي مروان بن أبي حفصة : وددت أنى سبقتك إلى هذا البيت ، وأن على غرم عشرة آلاف درهم^(٢) .

ولما قتل جعفر بن يحيى البرمكي البلخي في سنة ١٨٧ هـ - ٨٠٢ م قال في ذلك الشاعر العربي الرقاشي^(٣) وكان قتله ليلة السبت الأول من الصفر :
أيا سبَّ ياشِرَ السُّبُوتِ صَبِيحَةً وياصفرُ المشوُّومُ ما جئتُ أشاماً
أنى السبَّ بالأمر الذى هدَّ ركننا وفى صفر جاء البلاء مصحماً

ما قيل في البرامكة من الشعر بعد زوال أمرهم :

وفيهم يقول الرقاشي ، وقد قيل أن هذا الشعر لأبى نواس^(٤) :

الآن استرخنا واستراحت ركائبنا	وأمسك من يجدي ومن كان يجتدي
فقل للمطايا قد أمنت من السرى	وطى الفياق قد فدا بعد فنددى
وقل للمنايا قد ظفرت بجعفر	ولن تظفري من بعده بمسود
وقل للعطايا بعد فضل تعطلي	وقل للرزايا كل يوم تجددى
ودونك سيفاً برمكياً مهتداً	أصيب بسيف هاشمى مهتداً

وفيهم يقول في شعر له طويل^(٥) :

-
- (١) الطبرى : ٢٦٠/٨ ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر .
(٢) الطبرى : ٢٦٠/٨ ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر .
(٣) الطبرى : ٣٠٠/٨ ، الطبعة الثانية ، وابن الأثير : ١١٦/٥ ، طبع بيروت ١٣٩٨ هـ .
(٤) الطبرى : ٣٠٠/٨ ، الطبعة الثانية ، والعقد الفريد ٣٥٠/٥ ، ومحمد أحمد برائق : البرامكة في ظلال الخلفاء ٣٠٤ ، وابن الأثير : ١١٦/٥ ، طبع بيروت ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .
(٥) الطبرى : ٣٠٠/٨ ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ، والبرامكة في ظلال الخلفاء ٣٠٤ ، طبعة دار المعارف بمصر .

إِنَّ يَغْدُرِ الزَّمَنُ الْخَوْنُ بَنًا فَقَدْ غَدَرَ الزَّمَانُ بِجَعْفَرٍ وَمُحَمَّدٍ
 حَتَّى إِذَا وَضَحَ النَّهَارُ تَكَشَّفَتْ عَنْ قَتْلِ أَكْرَمِ هَالِكٍ لَمْ يُلْحَدِ
 وَالْبَيْضُ لَوْلَا أَنَّهَا مَأْمُورَةٌ مَا قُلَّ حَدٌّ مَهْنَدٍ بِمَهْنَدِ
 يَا آلَ بَرْمَكٍ كَمْ لَكُمْ مِنْ نَائِلٍ وَنَدَى كَعْدَ الرِّمْلِ غَيْرَ مَصْرَدِ
 إِنَّ الْخَلِيفَةَ - لَا يَشْكُ - أَحْوَكُ لَكِنَّهُ فِي بَرْمَكٍ لَمْ يُولَدِ
 نَازَعْتُمُوهُ رِضَاعَ أَكْرَمِ حَرَةٍ مَخْلُوقَةٍ مِنْ جَوْهَرٍ وَزَبَرْجَدِ
 مَلِكٌ لَهُ كَانَتْ يَدُ فَيَاضَةٍ أَبَدًا يَجُودُ بِطَارِفٍ وَبِمُتَلَدِ
 كَانَتْ يَدًا لِلْجُودِ حَتَّى غَلَّهَا قَدَّرَ فَأَضْحَى الْجُودُ مَغْلُولَ الْيَدِ

وفيهم يقول سيف بن إبراهيم^(١)

هَوَتْ أَنْجُمُ الْجَدْوَى وَشَلَّتْ يَدُ النَّدَى وَغَاضَتْ بِحُورَ الْجُودِ بَعْدَ الْبَرَامِكِ
 هَوَتْ أَنْجُمٌ كَانَتْ لِأَبْنَاءِ بَرْمَكٍ بِهَا يَعْرِفُ الْحَادِي طَرِيقَ الْمَسَالِكِ
 وَقَالَ ابْنُ أُمٍّ كَرِيصَةً^(٢) :

كُلُّ مُعِيرٍ أَرِيرٍ مَرْتَبَةً بَعْدَ فَتَى بَرْمَكٍ عَلَى غَرَرٍ
 صَالَتْ عَلَيْهِ مِنَ الزَّمَانِ يَدٌ كَانَ بِهَا صَائِلًا عَلَى الْبَشَرِ
 وَقَالَ الْعَطْوَى أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ^(٣) :

أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا قَوْلُ وَاشٍ وَعَيْنٌ لِلْخَلِيفَةِ لَا تَنَامُ
 لَطَفْنَا حَوْلَ جَذْعِكَ وَاسْتَلَمْنَا كَمَا لِلنَّاسِ بِالْحَجَرِ اسْتِلَامُ
 عَلَى الدُّنْيَا وَسَاكِنَهَا جَمِيعًا وَدَوْلَةً أَنْ بَرْمَكٍ السَّلَامُ

وفي قتل جعفر بن يحيى البرمكي البلخي قال أبو العتاهية^(٤) :

قَوْلًا لِمَنْ يَرْتَجِي الْحَيَاةَ أُمَّا فِي جَعْفَرٍ عِبْرَةٌ وَبِحِمَاةِ
 كَانَا وَزَيْرَى خَلِيفَةَ اللَّهِ هَا رَوْنُ هُمَا مَا هُمَا خَلِيلَاهُ

(١) الطبري : ٣٠١/٨ ، والبرامكة في ظلال الخلفاء ٣٠٥ ، طبعة دار المعارف بمصر .

(٢) الطبري : ٣٠١/٨ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر .

(٣) الطبري : ٣٠١/٨ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر .

(٤) محمد أحمد برائق : البرامكة في ظلال الخلفاء ٣٠٦ . طبعة دار المعارف .

فذاكم جعفر برمتيه
والشيخ يحيى الوزير أصبح قد
شئت بعد التجميع شملهم
كذاك من يسخط الإله بما
سبحان من دانت الملوك له
طوبى لمن تاب بعد غرته
في حلق رأسه ونصفاه
نحاه عن نفسه وأقصاه
فأصبحوا في البلاد قد تاهوا
يرضى به العبد يحزه الله
أشهد أن لا إله إلا هو
فتاب قبل الممات طوباه

الفنون والآداب واللغات الأفغانية بعد الفتوحات الإسلامية في أفغانستان

فنون النحت والحفر والنقش وصناعة التماثيل والأصنام :

مهّدت الحياة الثقافية والتطورات الفنية الطريق لإنشاء المدرسة الباخترية الفنية ، وتطورها في أفغانستان القديمة ، وكانت عناصر هذه المدرسة مزيجاً من الفنون الآرية الأفغانية الإغريقية ، والهندية ، والصينية ، وبما لا شك فيه أن فن النحت ، والحفر ، وصناعة التماثيل ، والأصنام كان من أهم أهداف هذه المدرسة الباخترية الفنية ، وقد أثر الفن الإغريقي ، وخاصة فن (لى سى) المثل الإغريقي الشهير ، في الفن الآرى الباخترى ، القديم في أفغانستان القديمة ، تأثيره القوى المؤثر ، يدل على ذلك تماثيل (هذه) وأصنامها التاريخية في أفغانستان الشرقية لما فيها من أوجه التشابه بين الفنين الباخترى والإغريقى القديمين ، إلا أن فنانى المدرسة الباخترية الأفغانية قد سبقوا أساتذة المدرسة الإغريقية في كثير من النواحي الفنية ، ذلك لأن الفن الباخترى في النحت يمتاز بمزايا كثيرة جديدة ليست موجودة في الفن الإغريقى القديم مما يدل على أن الفنانين الباخترين هم الذين اخترعوا تلك المزايا الفنية في هذا النوع من الفن ، ولذلك فقد لعب الفن الباخترى في النحت دوراً هاماً في تاريخ فنون أفغانستان الجميلة ، ولقد استمر تأثير هذا الفن ، وخاصة في صناعة التماثيل والأصنام وفي فن النحت ، والحفر ، والتصوير حتى العصر الكوشانى إلى أن ظهرت المدرسة الكوشانية الفنية في أفغانستان ، وقد قامت بدورها بالتأثير الفعال في الفن الساسانى ، وهو بدوره ترك أثره الفنى في الفنون البيزنطية ، والروسية ، والصينية . هذه من ناحية ومن ناحية أخرى فإن الفن الهندى ، وبخاصة في النحت الهندى له دوره الفعال في التأثير والتأثر في الفن الباخترى ، فالفن الباخترى ، وخاصة فن النحت الباخترى وفن صناعة التماثيل والأصنام يتكون من ثلاثة عناصر أساسية .. الأول العنصر الآرى ، الثانى العنصر الإغريقى الثالث العنصر الهندى بالإضافة إلى تأثير العنصر الصينى في الفنون عامة ، ومن هذه العناصر الثلاثة يتكون فن النحت الباخترى .

ومن خلالها استثمر يؤدي عمله الفني في أفغانستان القديمة والحديثة معا ، وقد مرت بنا أمثلة ونماذج لفن النحت والحفر ، وفن صناعة التماثيل في العصور القديمة ، وقد استمرت الجذور الأصيلة لهذا النوع من الفن تتقدم وتتطور وتقطع مراحلها المختلفة إلى العصور المتأخرة في التاريخ الأفغاني ومن بين فنون النحت ، والرسم ، والنقش ، والزركشة في أفغانستان فن اشتهر في الأدب الأفغاني بالرسم والنقش القندهاري ، والتماثيل القندهارية ، والألعاب القندهارية الفنية ، وهذه الفنون القندهارية كانت مشهورة منذ العصور القديمة في البلاد الأفغانية ، وقد احتفل بها الأدب الأفغاني لحسنه وجماله وبراعته الفنية .

فن الأدب ، والفكر والعلم ، والثقافة :

من المعروف أن أفغانستان القديمة في القرنين السادس والسابع الميلاديين كانت مسرحا هاما من مسارح اختلاط الفنون ، والآداب ، واللغات . والأفكار ، والحضارات الشرقية والغربية ، وكانت النتيجة الطبيعية لكل هذه المعارك الفنية ، والصراعات الحضارية واللغوية والفكرية والأدبية أن تكونت فيها ثقافة مشتركة هي في الحقيقة (ثقافة أفغانية = آرية - إغريقية - بوذية) يغلب عليها الطابع الإقليمي المحلي الأفغاني الأصيل . وقد استمرت في البيئة الأفغانية إلى أن حل بها العصر الكوشاني . ومن المعروف تاريخيا أن الحضارة الكوشانية في أفغانستان هي التي رأت ظهور الإسلام في أفغانستان ، وهي التي صادفت الإسلام في بلاد الأفغان عندما دخلها لأول مرة على أيدي المسلمين من العرب . وكانت الحضارة والفنون الكوشانية الأفغانية منتشرة في أفغانستان وفي الدول المحيطة بها كالهند ، والباكستان ، والأجزاء الغربية من الصين ، وفيما وراء النهر المحتل ، وفي إيران الشرقية وكانت الإمبراطورية الكوشانية ذات هذه الحضارة والفنون ، والآداب رمزا للوحدة السياسية تشد تلك الأقطار إلى قلبها ، ومركزها في أفغانستان الوسطى في (كاپيسا) وقد استمرت الحضارة الكوشانية وفنونها الجميلة من النحت ، والنقش ، والرسم ، والأدب وغيرها من الفنون في أفغانستان تمر على مراحلها المختلفة ، وتقطع أشواطا بعيدة إلى أن دخلت في المرحلة الجديدة .. مرحلة دخول المبادئ الإسلامية ، وفنونها الجميلة ، فكانت أفغانستان على ذلك

ملتقى حضارات ، وآداب وفنون ، ولغات ، وعلوم ومعارف مختلفة في عصور وعهود مختلفة ، ومن هنا نرى المؤرخ الإنجليزي (تاينبي) يقول في كتابه (بين اكسوس وجيلم) إن أفغانستان كانت منبعاً ومعبداً للثقافات ROUNDABOUT ومن أهم الحضارات التي نشأت في البلاد الأفغانية القديمة على مر العصور أو التي نشأت في أفغانستان ثم انتشرت في الأقطار المجاورة لها ، أو التي نشأت في الأقطار المجاورة وانتشرت في أفغانستان ، وتأثرت بالبيئة والحياة الأفغانية ، واصطبغت بالصبغة الأفغانية في الجو الجغرافي الأفغاني :

- ١ - الحضارة الآرية الوبدية الأفغانية وعلومها وآدابها ولغاتها .
- ٢ - الحضارة الآرية الأوستية الأفغانية ، وعلومها وآدابها ولغاتها .
- ٣ - الحضارة الآرية الباخترية الإغريقية الأفغانية ومعارفها وآدابها ولغاتها .
- ٤ - الحضارة الآرية البوذية الأفغانية ومعارفها وآدابها ولغاتها .
- ٥ - الحضارة الآرية الإغريقية البوذية الأفغانية وعلومها وآدابها ولغاتها .
- ٦ - الحضارة الآرية الكوشانية الأفغانية وعلومها وآدابها ولغاتها .
- ٧ - الحضارة الآرية الكوشانية الساسانية الأفغانية وعلومها وآدابها ولغاتها .
- ٨ - الحضارة الآرية الأفغانية الإسلامية وعلومها وآدابها ولغاتها .

هذه بعض من الحضارات والمدنات العظيمة التي التقت على التراب الأفغاني منذ العصور القديمة حتى العصور الإسلامية ، وكانت كل حضارة من هذه الحضارات تضارع حضارات الصين ، والهند ، والرومان ، والپارت في تلك العصور ، ولم تكن أقل منها رونقاً ورقياً وأدباً وفناً ، ولغة ، لأنها كانت تتمتع بآدابها وفنونها ولغاتها ، وتقاليدها المستقلة ، وبنظم حياتها السياسية والاجتماعية والثقافية والفنية ، عاشت في أفغانستان القديمة آخذة ومعطية ، ذهبت من أفغانستان وسارت وانتشرت هنا وهناك ، وجاءت إلى أفغانستان وحضرت وانتشرت فيها مطعمة بالقومية الأفغانية القديمة (الآرية) وقد اشتهرت فنون هذه الحضارات والمدنات العظيمة في التاريخ الفني والأدبي بأسماء عديدة كالفن الآري وأدبه ، والفن الوبدي وأدبه ، والفن الأوستي وأدبه ، والفن الباختری وأدبه ، والفن الإغريقي الباختری ، والفن البوذي الباختری ، والفن الكوشاني وأدبه ، والفن الساساني الكوشاني ، والفن الأفغاني الإسلامي وآدابه . وكانت هذه الحضارات

والمدينات العظيمة كحلقات متصلة لسلسلة من السلاسل الثقافية تعاقب بعضها بعضا في ترتيب زمني منظم ، حتى استكملت الحلقة الأخيرة من حلقاتها الذهبية وهى حلقة الحضارة الآرية الأفغانية الإسلامية بعناصرها الأساسية .. البشتونية ، والدرية ، والتركية الشرقية ، والإسلامية التى صبغت العناصر الأخرى بالصبغة الذهبية الرائعة الفريدة ، وتغلغلت بعد ذلك فى البلاد المحيطة بأفغانستان على أيدي الأفغانين حيث استقرت هناك وطيدة الأركان ثابتة البنيان .

الأدب البشتونى اليختونى الأفغانى فى هذه الفترة :

الأدب البشتونى الأفغانى عنصر من عناصر هذه الحضارة التى ترعرعت فى أفغانستان ، وقد تأثر كغيره من عناصرها بالفتوح الإسلامية فى البلاد الأفغانية لأنها كانت شديدة ومؤثرة لم تترك جانبا من جوانب الحياة الأفغانية أو ناحية من نواحيها إلا وقد أثرت فيها تأثيرا قويا عميقا ، فبالإضافة إلى السيطرة العسكرية والتسلط السياسى على البلاد الأفغانية ، كانت بمثابة أجل محتوم قضى على الحياة الروحية ، والاجتماعية ، والأدبية ، واللغوية ، والثقافية الأفغانية القديمة ، وأصبحت اللغة العربية التى دخلت أفغانستان مع دخول المسلمين العرب ، لغة أدب ، وعلم ، ومعرفة ، وثقافة ، وكننتيجة طبيعية لذلك كله نرى ، بعد مضي مدة من الزمن ، نرى الشعراء من أهل البلاد ينسجون الشعر باللغة العربية ، ونرى الكتاب ينثرون باللغة العربية ، ونرى اللغات الإقليمية المحلية القومية تهمل إهمالا ، وكأنها لم تكن شيئا مذكورا ، كما أنه نرى وقد برع واشتهر مثات من أبناء هذه البلاد (الآرية - الخراسانية - الأفغانية) فى الأدب والعلم والمعرفة ، وأيضا فى الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية وغيرها من فنون الحياة وأساليبها ، وسلاحهم فى ذلك هو اللغة العربية وآدابها وفنونها وعلومها التى برزوا فيها بعد أن أتقنوها إتقاناً .

ليس لدينا الآن أى نوع من الآثار الأدبية الأفغانية المكتوبة فى أوائل أيام ظهور الإسلام فى أفغانستان ، ولكن مع هذا هناك آثار تاريخية وأدبية نادرة عثرت عليها فى العصور المتأخرة تنتمى إلى العصر الإسلامى العباسى فى أفغانستان ، وهى مع هذا تدل دلالة قاطعة على متانة وأصالة اللغة (اليختونية = البشتونية =

الأفغانية) وتقدم آدابها ورقبها في صدر الإسلام ، وقبله من العصور القديمة بينما عثرنا على آثار أدبية شعرية متينة رائعة وصيغة عالية في اللغة العربية أيام الفتوحات الإسلامية في أفغانستان ، وقد مرت بنا نماذج لذلك أثناء فتح (هرات) وغيرها من المدن الأفغانية .

نحن نعرف أن آل (شنسب) الغوريين السوزيين في بلاد الغور الأفغانية كانوا من مؤيدي آل البيت في الخلافات التي كانت قائمة بين الأمويين والعباسيين شأنهم في ذلك شأن بقية الخراسانيين ، ومن المعروف الثابت أن الأمير (يولاد) الشنسي ينتمي إلى هذه الأسرة الشنسية الغورية السورية ، وكان يحكم البلاد الغورية الأفغانية في حوالى سنة ١٣٠ هـ - ٧٤٧ م ، وكان هذا الأمير الغورى (يولاد) الشنسي من أنصار أئى مسلم الخراسانى في دعوته وجهاده في سبيل تأييد آل البيت النبوى (ﷺ) وقد تولى ابنه الأمير (كرور جهان پهلوان) إمارة البلاد الغورية ، وجلس على كرسى الحكم في مدينة (منديش) الغور في سنة ١٣٩ هـ - ٧٥٦ م وقد اشترك في حروب كثيرة خاضها أبو مسلم الخراسانى تأييدا لآل البيت النبوى ، وقد حاز فيها الأمير (كرور جهان پهلوان) (١) انتصارات عظيمة سجلها في القصيدة الرائعة التي سيأتى ذكرها . وقد قتل في سنة ١٥٤ هـ - ٧٧٠ م في حروب (بوشنك) بالقرب من (هرات) الأفغانية ، وكان الأمير (كرور) هذا حاكما عادلا ، وقائدا عظيما ، وإداريا حاسما ، وشاعرا بختونيا ممتازا ، ولهذا الشاعر الأمير ، والمقاتل المغوار ، والقائد المنتصر قصيدة حماسية رائعة باللغة (اليختونية = اليشتونية = الأفغانية) وصلت إلينا في كتاب (پته خزانه = الكنز المكنون) للأديب المؤرخ (محمد هوتك بن داود) وقد نقلها عن كتاب (التاريخ السورى) للكاتب الأفغانى الشهير (محمد بن على البستى) مطلعها :

إننى أسد فى هذا العالم ليس فيه من هو أكثر منى بطولة
لا فى الهند ، ولا فى السند ولا فى تخار ولا فى كابل
ولا فى زابل كذلك ، ليس فى من هو أكثر منى بطولة

(١) محمد هوتك بن داود - پته خزانه = الكنز المكنون - طبعة كابل سنة ١٣٣٩ هـ .

وهناك شعر آخر يصل تاريخه إلى القرن الثاني الهجرى أيضا وهو باللغة (الخلجية = الفلجية = البختونية = البشتونية = الأفغانية) وهذا الشعر للأمير (خانان = خاقان) اللويكى الذى كان يحكم (غزنة) وإقليم (كرديز) والمناطق الواقعة بينهما من البلاد الأفغانية القديمة . وعندما هاجم المسلمون مدينة (غزنة) التجأ (خانان) اللويكى إلى (كابل شاه = ملك كابل) فقام ملك (كابل) بكتابة هذا البيت من الشعر البختونى إلى (خوانين = أمراء) (غزنة) اللويكيين بالنيابة عن (خانان) اللويكى اللاجئ :

في أرض غزنة دفن (لويك) وأضاع اللويكيون عظمهم
ولكننى استنفر جيشى ... ؟ فلا تتعاون مع العرب^(١)

هذه النصوص وغيرها من الآثار الأدبية ، والنقوش التاريخية ، والأدبية دليل على أن الأدب البختونى = البشتونى كان على درجة عالية من الرقى فى صدر الإسلام ، خلال ظهوره فى ربوع أفغانستان ورباها ، كما تدل متانتها ورسالتها وجزالتها وقوة أساليبها ووضوح معانيها وأفكارها على رقى الأدب (البختونى = البشتونى) وعلى رقى اللغة البختونية البشتونية الأفغانية قبل ظهور الإسلام فى بلاد الأفغان بقرون^(٢) ، ومع ظهور الإسلام فيها جاء الأدب العربى ، ودخل البلاد الأفغانية مع الفتوح الإسلامية فآثر فى جميع موضوعاته وألوانه تأثيرا عميقا كما سيأتى .

الأدب الدرى^(٣) الأفغانى فى هذه الفترة :

الأدب الدرى الأفغانى عنصر ثان من عناصر الحضارة الآرية الأفغانية الإسلامية التى ترعرعت فى أفغانستان ، وقد نشأ الأدب الدرى فى أفغانستان وترعرع فيها ، وعاش جنبا إلى جنب مع الآداب البختونية الأفغانية ، يدل على ذلك الدلائل الآتية :

(١) عبد الحمى حبيى - دپشتو أدبياتو تاريخ ج ٢ ، ص ٣٨ طبعة ثانية سنة ١٣٤٢ هـ.ش

(٢) پوهاند عبد الحمى حبيى : دپشتو أدبياتو تاريخ : مواضع وصفحات مختلفة .

(٣) محمد محسن : تاريخ أدبيات درى در أفغانستان : مواضع وصفحات مختلفة .

١ - نقش يغلان^(١) التاريخي الذي يشتمل على كميات بختونية ودرية مما يدل على أن اللغتين الشقيقتين البختونية والدرية وآدابهما وفنونهما كانتا تعيشان ، كما هو الحال الآن ، في هذه البلاد الأفغانية من أقدم العصور التاريخية القديمة ، وهما لا تزالان كذلك تعيشان متعانقتين في أفغانستان الحاضرة في تلاحم ووئام دائمين .

٢ - إن المتون والنصوص الأدبية الدرية التي وصلتنا من العصور الإسلامية الأولى على درجة عالية من المتانة والرصانة مما يدل على أن اللغة الدرية وآدابها قد قطعت مراحلها الأولية حتى نضجت ووصلت إلى هذه الدرجة من الرق والتقدم الذي نراها عليه في هذه النصوص والمتون الأدبية الرائعة .

هذه بعض التماذج الأدبية للأدبين البختوني والدري في أفغانستان وذلك بالإضافة إلى لغات أفغانية أخرى وآدابها المختلفة التي تعتبر عناصر من عناصر الحضارة الإسلامية الأفغانية في البلاد الأفغانية .

اللغات الأفغانية في هذا العصر من تاريخ أفغانستان :

كانت البلاد الأفغانية الخراسانية أثناء ظهور الإسلام ، وانتشاره فيها ، مسرحاً لصراع لغوي شديد حيث كانت اللغات الآتية تتصارع في مختلف مناطقها وأقاليمها :

١ - اللغة البشتونية البختونية الأفغانية في جميع ، أو أكثر أنحاء أفغانستان في تلك الأزمنة من التاريخ الأفغاني الإسلامي .

٢ - اللغة الدرية الأفغانية في كثير من المناطق والأقاليم الخراسانية من أفغانستان القديمة .

٣ - اللغة السنسكريتية في المناطق والأقاليم الشرقية الأفغانية وذلك بجانب اللغة البختونية الأفغانية .

(١) پوهاند عبدالحی حبیبی : مادر زبان دری : صفحات مختلفة .

٤ - اللغة البهلوية في بعض المناطق الشمالية والغربية الأفغانية بجانب اللغتين البختونية والدريّة الأفغانيّتين .

٥ - اللغة العربيّة التي دخلت أفغانستان حديثاً مع الفتوحات الإسلاميّة في الربع الأول من القرن الأول الهجريّ على التفصيل الذي سيأتى قريباً .

وقد تطورت هذه اللغات الأفغانية إلى خمس وثلاثين^(١) لغة ولهجة حية في جميع أنحاء أفغانستان الحديثة .

الثقافة الإسلاميّة العربيّة في هذا العصر من التاريخ الأفغاني :

في الربع الأول من القرن الأول الهجريّ وصلت الفتوحات الإسلاميّة العربيّة إلى أفغانستان ، وخاصة إلى المناطق والأقاليم الجنوبيّة الغربيّة منها ، وبدأت بذلك المعارك العسكريّة ، والدينيّة ، والثقافيّة ، والأدبيّة ، واللغويّة ، وانتشرت على أثرها العناصر الحضاريّة الإسلاميّة في البلاد الأفغانيّة ، واستمرت في العراق والصراع الحاميّ الشديد مع الألوان الحضاريّة ، والثقافيّة القديمة في أفغانستان لمدة قرنين من الزمن حتى تغلبت عليها أخيراً ، ثم وضعت قدمها في كل من السند والهند ، وذلك بجهود ونضال قام به أبناء هذه المنطقة التي تسمى الآن أفغانستان .

ففي سنة ٣٠هـ و ٣١هـ — ٦٥٠م و ٦٥١م هاجم عبد الرحمن بن سمرة بلاد (داور) و (رنج = قندهار) و وادي (هلمند) وقد حطم صنم (الزور = الزون) المصنوع من الذهب الخالص ، ذى العينين من الياقوت النفيس^(٢) ، كما حطم معبده المشهور في هذه البلاد .

كذلك قام قيس بن الهيثم السلمي في سنة ٤٠هـ — ٦٦٠م^(٣) بتحطيم معبد (النوبهار) في مدينة (بلخ) التاريخيّة ، وكان في تلك الأيام تسيطر عليه الديانة البوذية .

(١) آريانا دائرة المعارف ٧٩١/٣ ومابعدها .

(٢) فتوح البلدان ص ٤٨٦ .

(٣) فتوح البلدان ص ٥٠٦ .

هذه الأعمال البطولية ، وغيرها قد قام بها المسلمون الأوائل وكان الإيمان بالمبادئ الإسلامية يملأ قلوبهم ، وكان الإخلاص في الأعمال النضالية يسيطر على أفكارهم ، إلا أن هذه الحالة لم تستمر طويلا ، فبعد قوتين من الزمن تغيرت الحال والأحوال حيث كان العباسيون يتقبلون الهدايا من الأصنام وغيرها التي كان يقوم بإرسالها إليهم ملوك وأمراء (خراسان = أفغانستان) وهذا محمد بن طاهر البوشنجي يرسل إلى الخليفة العباسي المستعين في سنة ٢٥١ هـ - ٨٦٥ م هدايا من أفيال ، وأصنام ، وروائح كابل ، وكذلك عندما استولى عمرو بن الليث الصفاري في سنة ٢٨٣ هـ - ٨٩٦ م على غنائم كثيرة فيها عدد من التماثيل والأصنام التي حصل عليها عندما استولى على (بست) و (داور) الأفغانيتين وأرسلها إلى الخليفة المعتضد الذي قام بعرضها في بغداد ليشاهد بها الناس^(١)

هذا وغيره كثير ، دليل قاطع على أن نظرة العباسيين إلى التماثيل والأصنام والفنون العجمية كانت قد تغيرت عما كانت عليه فيما مضى في القرنين الأول والثاني الهجريين ، وكان هذا التغيير نتيجة طبيعية لاختلاط وامتزاج الثقافتين العربية الإسلامية والأفغانية المحلية الوطنية ، ذلك لأن أفغانستان كعادتها تعطي وتأخذ ، ومن هنا نرى العالم الإنجليزي (تاينبي) يقول : إن أفغانستان مهد ومرتع لنشأة الأفكار ، والثقافات ، والحضارات . وهي بالإضافة إلى أنها كذلك فعلا تلعب دورا هاما في سريان الآداب والثقافات^(٢) والحضارات منها وإليها ، فالثقافة الإسلامية العربية تتخذ من أفغانستان مسرى لها ومهدا ومرتعا فتنتقل عن طريقها بعد أن هضمها أهلها هضمًا وتسربت في نفوس أهلها تسرب الدم في العروق ، تنتقل إلى الشمال وإلى الشرق ، وقد اتجهت إلى الشمال عن طريق (مرو - بلخ - تخار) إلى أن استقرت فيما وراء النهر ، وانتشرت في مناطقه المختلفة هناك . كما انتقلت الثقافة الإسلامية من (سيستان = سجستان) و (زابل = زابلستان) ، و (كابل = كابلستان) إلى بلاد السند والهند ، وعن طريق وميرات وادي (بولان) و وادي (كَومل) وأودية جبال (سبين غر) و وادي

(١) مروج الذهب ٢٣٧/٤ ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحمد ، الطبعة الخامسة ، القاهرة سنة ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م .

(٢) أ.ج. أربري وآخرون : تراث فارس ١٣٠ الترجمة العربية .

(خير) الشهير . ولقد بدأ هذا السيل الجارف المتدفق من الثقافة والحضارة والفتوحات العسكرية من القرن الأول الهجرى ، واستمر إلى القرن الخامس الهجرى ، وفي هذه المدة وصلت الثقافة والصناعة والفن والفكر والدين والآداب العربية والأفغانية ولغاتها إلى تلك البلاد والأقطار المجاورة لأفغانستان^(١) شمالا وشرقا بالوسائل والطرق الآتية :

١ - عن طريق الفتوحات الإسلامية على أيدي المسلمين من العرب والأفغان الذين دخلوا في الإسلام عن صدق وإخلاص ، واعتنقوه بقلوب مؤمنة صافية صادقة فكانت النتيجة الطبيعية لهذه الفتوحات والغزوات الإسلامية تشكيل وتأسيس حكومات إسلامية أفغانية لخدمة الدين الإسلامى ، والثقافة الإسلامية واللغة العربية في البلاد المفتوحة^(٢) كالـدولة الغزنوية والغورية^(٣) والدرانية ، وفتوحات هذه الدول وحكوماتها في البلاد الهندية ظاهرة ومشهورة للجميع . وكان قد مهد لهذه الفتوحات والحكومات القائد الإسلامى المهلب بن أبى صفرة ، حيث وصل في فتوحاته سنة ٤٤ هـ - ٦٦٤ م إلى ساحل (أباسين) نهر السند . وأغلب الظن أنه وصل منطقة (أتك) الحالية عن طريق أفغانستان ، ومن هناك وصل إلى (ملتان) ومنها إلى بلاد (قيقان) (قلاط بلوچستان) وهو أول من وضع حجر الأساس لنشر الثقافة الإسلامية في بلاد السند والهند وذلك قبل أن يصل إليها محمد بن القاسم في سنة ١٢ هـ - ٧١٠ م .

٢ - عن طريق الوعظ والإرشاد والدعوة الإسلامية ، وقد قام بتنفيذ هذه الدعوة الإرشادية العلماء والفقهاء في الدين الإسلامى ، وكان مركزها هو الجنوب الغربى من أفغانستان اليوم ومن هناك انتقلت المبادئ الإسلامية بآدابها إلى جنوب الهند .

٣ - ساهم في انتشار هذه الدعوة الإسلامية ، وفي انتشار مبادئها الثقافية

(١) أج أبرى وآخرون : تراث فارس ١٢٥ ، فصل : فارس والهند بعد فتح محمود .

(٢) دكتور محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ٩٠ .

(٣) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى ١٦٣/٤ - ١٧٣ .

والحضارية ، والأدبية ، والفنية الأدباء ، والشعراء ، والكتاب والعلماء من العرب والأفغانيين المسلمين ، إن هؤلاء جميعا رفعوا راية الثقافة الإسلامية ، والآداب الإسلامية عالية في ربوع السند والهند ، وذلك بعد أن مهدت لهم الفتوحات العسكرية .

٤ - ساهم الخراسانيون الأفغان ، وبالأخص هؤلاء الذين يطلق عليهم الموالى في نقل الثقافة الخراسانية إلى الثقافة العربية ، وبالعكس . كما لعبت أفغانستان الخراسانية دور الوسيط النشط في نقل الثقافة الإسلامية العربية إلى السند والهند ، والصين^(١) ، كما قام العلماء الخراسانيون الأفغان بنقل الثقافة الهندية ، وما وصل إلى أفغانستان من الثقافة الصينية إلى الثقافة العربية بمهارة فائقة ، وقد بدأت هذه الحركة الفكرية في سنة ١٥٤ هـ - ٧٧٠ م على قول العلامة البيروني عالم البلاط الغزنوي في أفغانستان ، وفي سنة ١٥٦ هـ - ٧٧٢ م كما يقول القاضي يوسف القفطي .

ذلك لأن تعاليم الدين الإسلامي غيرت الأحوال^(٢) في أفغانستان ، قامت بتغيير مجرى الحياة السياسية ، والعسكرية ، والثقافية ، والأدبية ، والاجتماعية ، وغيرها من جوانب الحياة الأفغانية رأسا على عقب ، وكانت الضربة القاضية بالنسبة للديانة البوذية في البلاد الأفغانية ، وكانت الدولة (اليفتلية) أو دولة (الهياطلة) في (طخارستان) قد مهدت لهذه الضربة بتوجيه ضرباتها القاسية إلى البوذية قبل دخول الإسلام إلى أفغانستان ، تلك الضربات الشديدة القاسية التي هزت أركانها الراسخة في البلاد الأفغانية ، وكان ذلك بعد سنة ٥٠٠ الميلادية ، وفي أثناء هذه الضربات التي وجهتها إلى هذه الديانة البوذية قامت بهدم المعابد البوذية في وادي (كابل) و (كندهارا) وهذه الضربات كانت الأولى من نوعها تلقتها البوذية في البلاد الأفغانية الخراسانية الآرية على أيدي (الهياطلة) وذلك قبل أن تتلقى الضربة الإسلامية القاضية على أيدي المسلمين من العرب ، والتي قضت

(١) أج آربري وآخرون : تراث فارس ، فصل : فارس والهند بعد فتح محمود ١٢٥ .

(٢) أج آربري وآخرون : تراث فارس ، فصل الفن الإسلامي ببلاد فارس ، وفصل : الدين والدكتور محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ٢١٩ - ٢٢٢ ، وبارتولد : الحضارة الإسلامية ٧٩ .

على كل أثر لها إلى الأبد ونهائيا .

سيطر الإسلام على الحياة العلمية ، والأدبية ، والاجتماعية ، بعد أن انتشر في ربوع أفغانستان وآمن به الأفغانيون عن عقيدة صادقة ، وعن صدق وإخلاص ، فاشتهر في البلاد من أهل البلاد عدد ضخم من العلماء ، والأدباء ، والشعراء ، والكتاب ، بعد أن تشربت قلوب الأفغانيين الإسلام . نعم ! كانت الحياة العلمية والأدبية والفنية راکدة في أفغانستان أيام ظهور الإسلام ، وانتشاره فيها ، ولكن مع هذا لم تكن القصور الملكية في (كابل) وغيرها خالية من العلماء والشعراء والأدباء ، ولقد استمرت هذه الحركة العلمية والثقافية تعاني من الركود أثناء الحروب إلى أن ظهرت الحركة العلمية الإسلامية ، والأدبية العربية .

الفصل الثالث

مساهمة علماء أفغانستان الخراسانية
في العلوم المختلفة

مساهمة علماء أفغانستان الخراسانية في العلوم المختلفة

اتسعت الفتوحات الإسلامية في الشرق ، وبخاصة في الأراضي التي تشكل اليوم أفغانستان الحديثة ، وكان من الطبيعي اشتراك المغلوبين - بأسماء مختلفة - في الحياة العربية في دور الخلفاء والأمراء ، والولاة ، والحكام يساهمون في الحركات الثقافية ، والعلمية ، والأدبية ، وكان هؤلاء المغلوبون يتكلمون بلغات أفغانية من البشتونية والدرية وغيرهما قبل أن يلتحقوا بدور الخلفاء والأمراء ، لهذا أو لغيره من الأسباب والعلل المعروفة للجميع تسرب الفساد إلى لغة القرآن والحديث ، ومن هنا بدأت محاولات علمية لحماية اللغة العربية من هذا الفساد الخطير ، وكان أبو الأسود الدؤلي أول ^(١) من بدأ هذا النوع من المحاولات العلمية فهو الذي وضع الأساس للمدرسة النحوية البصرية في القرن الأول الهجري ، وكانت المدرسة الكوفية تنافسها في ميدان النحو ^(٢) .

وبالإضافة إلى ذلك بدأ العلماء أيضا جمع اللغة العربية ، وآدابها فقسموا اللغة إلى الفصيح والأفصح ، وإلى الجيد والأجود ، وإلى الضعيف والمنكر ، والمتروك ^(٣) . كما حاولوا جرح وتعديل رجال اللغة ورواتها ^(٤) ، منهم الثقة ، ومنهم الضعيف ، ومنهم الصادق ، ومنهم الكاذب ، حتى وصل الأمر بأبن الأنباري إلى أن يقول : إن الكلمات قسمان ، كلمات متواترة وآحاد ، فأما المتواترة فلغة القرآن ، وما تواتر من السنة ، وكلام العرب ، وهذا قطعاً يفيد العلم ، وأما الآحاد فما تفرد بنقله بعض أهل اللغة ، ولم يوجد فيه شرط التواتر ^(٥) . وقد مرت اللغة العربية في تدوينها وجمعها على المراحل الثلاث الآتية :

-
- (١) ضحى الإسلام ج ٢ ص ٢٨٥ .
 - (٢) ضحى الإسلام ج ٢ ص ٢٨٣ .
 - (٣) ضحى الإسلام ج ٢ ص ٢٥٨ .
 - (٤) ضحى الإسلام ج ٢ ص ٢٥٩ .
 - (٥) ضحى الإسلام ج ٢ ص ٢٦٣ .

١ — مرحلة جمع الكلمات العربية وتدوينها حسبما اتفق من غير ترتيب وتنظيم ، غير ترتيب السماع ، كما فعل ذلك العلماء الأولون في روايتهم للغة وفي تفسيرهم للكلمات عربية متفرقة لا رابط بينها^(١) .

٢ — مرحلة جمع الكلمات العربية الخاصة بموضوع معين ، وتدوينها في مكان معين ، مثل ما روى عن الأصمعي أن (من أصوات الخيل : الشخير والنخير ، والكريز . وكانت نتيجة ذلك أن أنتج العلماء إلى تأليف كتب كثيرة في موضوع واحد^(٢) .

٣ — مرحلة وضع المعاجم اللغوية التي تشمل كل الكلمات العربية على طريقة معينة ، وعلى نمط خاص ليرجع إليه من أراد البحث عن معنى كلمة عربية ، والعالم الجليل الخليل بن أحمد أول من فكر في هذا الموضوع الهام^(٣) ، وقد اتبع في عمله هذا طريقة علماء (السنسكريت)^(٤) .

أتيت بهذا الإيجاز لهذا الموضوع الهام لأقول : إن علماء من (خراسان = أفغانستان) قد اشتركوا في هذه الجهود العلمية القيمة والجهود البناء التي بذلت في هذا الشأن فنفخوا فيها الروح الخراسانية في قوالب اللغة العربية ، ذلك لأنه كانت هناك في العصر العباسي في كل من أفغانستان الخراسانية والعراق مراكز عديدة للحركات الأدبية ، والعلمية ، والفكرية تم فيها تدوين العلوم الدينية والأدبية ، فترعرعت وازدهرت ازدهارا عظيما . عاش الأصمعي في كل من مكة المكرمة ، والمدينة المنورة مدة من الزمن ، ولكنه لم يسمع فيهما قصيدة واحدة سليمة من الخطأ^(٥) ، بينما استطاع العلماء في كل من العراق وأفغانستان الخراسانية المحافظة على العلوم الإسلامية والأدبية والعربية ، واستطاعوا أن يحافظوا عليها متلائمة مع الروح الثقافية التي كانت سائدة قديما . ومن المعروف أن علماء أفغانستان وعلى رأسهم أبو حنيفة النعمان رحمة الله صاحب المذهب وصاحب المدرسة الفكرية ، قد اخترعوا القياس ، واستعملوه بجانب

(١) ضحى الإسلام ج ٢ ص ٢٦٤ بتصرف .

(٢) أحمد أمين - ضحى الإسلام ٢/٢٦٤ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٦٦ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٦٧ .

(٥) المرجع السابق ص ٢٦٨ .

القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، والإجماع ، وقد تأثر به أى (بالقياس)
الخليل بن أحمد في اللغة والنحو ، حيث قال بأهميته فيهما . (١)

نعم ! دونت أصول النحو واللغة في البصرة ، ثم في الكوفة بالعراق وقد
لعب في ذلك البصريون والكوفيون الدور الأهم ، ولكن دور العلماء في أفغانستان
الخراسانية لم يكن أقل من دور أشقائهم في كل من البصرة والكوفة ومنهم من
ينتمى إلى البصريين ، ومنهم من ينتمى إلى الكوفيين ، وذلك بالإضافة إلى من كان
خارج جماعة البصريين وجماعة الكوفيين .

كذلك لعب علماء أفغانستان = خراسان دورهم الهام في العلوم العقلية
والنقلية ، وبصفة عامة قام هؤلاء العلماء في أفغانستان الخراسانية بأداء دورهم في
الحياة الاجتماعية ، والدينية ، والسياسية ، والفكرية ، والعقلية ، والعلمية ، وعلى
الجملة كان لهم شأن عظيم في اللغة والأدب والعلوم العقلية والنقلية .

(١) المرجع السابق ص ٢٦٩ .

العلوم النقلية

الأحاديث والتفسير والقراءات :

نشأ التفسير فرعاً من فروع الحديث ، قالت عائشة رضى الله عنها : لم يكن النبى ﷺ يفسر شيئا من القرآن إلا آيات تعد علمهن إياه جبريل (١) ، ثم جاء الصحابة رضى الله عنهم فقاموا بتفسير آيات من القرآن الكريم ، وبخاصة على بن أبى طالب ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، وأبى بن كعب رضى الله عنهم ، ثم جاء التابعون رضى الله عنهم فقاموا برواية ما فسرهم الصحابة رضى الله عنهم من الآيات القرآنية ، كما قاموا هم أنفسهم بتفسير آى من الذكر الحكيم . وقد استمرت عملية التفسير تزيد ضخامة فى غير تنظيم ولا ترتيب إلى أن جاءت الخطوة الثانية ، وهى جمع وتدوين كل أقوال الصحابة والتابعين رضى الله عنهم فى الأمصار المختلفة ، وكان هذا النوع من جمع التفسير جمع لباب من أبوابه . ثم كانت الخطوة الثالثة ، وهى وضع التفسير لكل آية من القرآن الكريم ، أو جزء من آية مرتبة حسب ترتيب المصحف الشريف كما فعل ذلك ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٢) ، ومن العلماء الخراسانيين الذين ساهموا فى علوم الحديث ، والتفسير ، والقراءة ، وفى العلوم النقلية بصفة عامة :

أبو عبيدة الهروى :

هو أحمد بن محمد بن عبد الرحمن القاشانى الهروى ، كان من تلاميذ أبى منصور الهروى ، وهو من أكابر العلماء صاحب الغريين فسر فيه غريب القرآن ، وغريب الحديث ، قال ياقوت الحموى : هو من (باشان) من قرى هرات ، وجاء فى دائرة معارف القرن العشرين : الهروى نسبة إلى هراة ، والقاشانى نسبة

(١) تفسير الطبرى : ٢٩/١ ، وضحى الإسلام ١٣٨/٢ .

(٢) أحمد أمين : ضحى الإسلام ١٤٠/٢ .

إلى قاشان ، وهى قرية بهراة ، وقد توفى أبو عبيدة العروى القاشانى سنة ٤٠١ هـ (١) .

إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلى :

وهو المشهور بابن راهوية المروزي ، ولد سنة ١٦١ هـ أو ١٦٦ هـ — ٧٨٢ م فى (مرو) بخراسان ، وللحصول على الأحاديث النبوية سافر إلى العراق ، والحجاز ، والشام ، وكان شيخا لمسلم ، وابن قتيبة (٢) وأخذ منه الأحاديث كل من الإمام أحمد بن حنبل ، والإمام البخارى ، والإمام الترمذى والإمام النسائى (٣) ، مات سنة ٢٣٨ هـ — ٨٥٢ م فى نيسابور بخراسان . ومن مصنفاته .

١ — المسند فى الحديث (٤)

٢ — تفسير القرآن الكريم (٥)

ابن سلام الهروى :

هو أبو عبيد القاسم بن سلام الهروى الخراسانى ، من (هرات) الأفغانية ، وهو من أعظم علماء الحديث ، والفقه ، والأدب ، ولد فى (هرات) الأفغانية سنة ١٥٤ هـ = ٧٧٠ م ، وتعلم فيها ثم سافر إلى العراق ، واشتغل بالقضاء لمدة ثمانى عشرة سنة ثم سافر إلى مكة المكرمة فى سنة ٢١٤ هـ = ٨٢٩ م وتوفى بها سنة ٢٢٣ هـ (٦) — ٨٣٧ م (٧) . وقيل مات بالمدينة المنورة (٨)

وهو أول من ألف فى غريب الحديث وأقدم نسخة مخطوطة من هذا الكتاب موجودة فى مكتبة الأزهر نسخت عام ٣١١ هـ — ٩٢١ م . ويقول ابن

(١) الطبقات الكبرى : ٨١/٤ ، البداية والنهاية ٣٤٤/١١ ، ومعجم الأدباء ٢٩٠/٤ ، ووفيات الأعيان ٧٩/١ ، دائرة معارف القرن العشرين ٥٩/٦ ، وهرات ٧١ .

(٢) كارل بروكلمان - تاريخ الأدب العربى ١٥٧/٣ طبعة ثانية ، والأعلام ٢٨٤/١ طبعة ثانية .

(٣) پوهاند عبدالحى حبيبي - تاريخ أفغانستان بعد از اسلام ٢٦٨/١ .

(٤) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ١٥٧/٣ . طبعة ثانية .

(٥) پوهاند عبدالحى حبيبي : تاريخ أفغانستان بعد از اسلام ٧٧٣/١ .

(٦) قال ابن قتيبة : إنه مات فيها سنة ٢٢٤ هـ . راجع الأعلام ١٠/٦ طبعة ثانية .

(٧) پوهاند عبدالحى حبيبي : تاريخ أفغانستان بعد از اسلام ٧٦٩/١ .

(٨) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ١٥٥/٢ طبعة ثانية .

النديم في فهرسته : إن عدد مؤلفاته يبلغ إلى واحد وسبعين كتاباً^(١)

إبراهيم بن طهمان المروزي :

هو الحافظ الإمام إبراهيم بن طهمان بن شعبة الخراساني (أبو سعيد) من باشان بمحافظة هرات في أفغانستان الغربية . مفسر من فقهاء أصحاب الحديث ، ولد بهرات ، وسكن نيسابور . وقد توفي سنة ١٦٣ هـ — (٢) ٧٧٩ م بمكة المكرمة . وقد رُوي عنه في الصحاح الستة^(٣) من آثاره : السنن في الفقه ، المناقب ، كتاب العيدين ، وكتاب التفسير^(٤) .

عبد الله بن المبارك المروزي :

هو عبد الله بن المبارك أبو عبد الرحمن المروزي الحنظلي ، ولد سنة ١١٨ هـ — ٧٣٦ م في مرو بخراسان وقد صاحب أبا حنيفة ، وأخذ عنه العلم . كان مولعا — في بداية حياته — بالعزف على العود والطنبور ، وذات ليلة رأى في المنام طائرا فوق شجرة يقول : ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما أنزل من الحق ﴾ فانتبه وحطم عوده وطنبوره ، ودخل مرحلة جديدة من العلم والزهد . وكان حافظا عابدا سخيا شجاعا كيسا مأمونا ثقة حجة خيرا . قال فيه العباس بن مصعب : جمع الحديث والفقه والعريية والشجاعة والتجارة والسخاوة والمحبة . وتوفي سنة ١٨١ هـ — ٨٢٧ م ، وقبره في هيت مدينة على الفرات مشهور يزار . من آثاره الكثيرة : كتاب الزهد ، السنن في الفقه ، كتاب التفسير ، كتاب العيدين^(٥) ، والتاريخ^(٦) .

(١) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ١٥٥/٢ - ١٥٩ طبعة ثانية .

(٢) وفي رواية سنة ١٦٨ هـ .

(٣) محمود تونكي : معجم المصنفين ١٦٨/٣ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام ٧٧٣ .

(٤) الفهرست : ٢٢٨/١ ، معجم المصنفين ١٦٦/٣ ، وتهذيب التهذيب ١٢٩/١ - ١٣١ ، ومعجم المؤلفين ٤١/١ .

(٥) الزركلي : الأعلام ٦٥٦/٤ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام ٧٨٦/١ ، وبروكلمان : تاريخ الأدب العربي ١٥٣/٣ ، ودائرة معارف القرن العشرين ٦/٦ .

(٦) الفهرست : ٢٢٨/١ ، تذكرة الحفاظ ٢٥٣/١ - ٢٥٧ ، وكحالة : معجم المؤلفين ١٠٦/٦ .

محمد الفرياني :

ولد محمد بن يوسف بن واقد المعروف بالفرياني الكبير سنة ١٢٠ هـ ٧٣٧ م ، وتوفي سنة ٢١٢ هـ — ٨٢٧ م ، محدث ، مفسر ، فقيه . روى عنه البخاري سنة وعشرين حديثا . ومن آثاره العلمية : كتاب التفسير ، الزكاة ، الصلاة ، الصيام ، والطهارة^(١) ، وكان مشهورا بعلمه في الكوفة ومكة المكرمة .

سريج المروزي :

هو أبو الحارث سريج بن يونس المروزي البغدادى ، محدث ، مفسر ، فقيه ، مقرر . من أشهر علماء التفسير والحديث والفقه . من آثاره المشهورة : التفسير ، الناسخ والمنسوخ ، القراءات ، والسنن في الفقه^(٢) .

حسن بن واقد المروى :

من العلماء المشهورين في علوم التفسير والحديث والفقه في عصره . وقد توفي سنة ١٥٩ هـ — ٥٧٧ م ، وقد تولى القضاء في مرو . من آثاره العلمية : كتاب التفسير ، وكتاب الوجوه في القرآن^(٣) .

أبو زكريا يحيى بن عون المرى :

أصله من سرخس في خراسان ، محدث ، حافظ ، مؤرخ ، عارف بالرجال . ولد سنة ١٥٨ هـ — ٧٧٥ م ، وتوفي سنة ٢٣٣ هـ — ٨٤٨ م بالمدينة المنورة ، وقيل بمكة . من آثاره : كتاب التاريخ والعلل ، ومعرفة الرجال^(٤) .

أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري :

محدث ، حافظ ، ولد سنة ٢٠٢ هـ — ٨١٧ م ، أو في سنة ٢٠٦ هـ ، وتوفي سنة ٢٦١ هـ — ٨٧٤ م في مدينة (نصر آباد) من قرى نيسابور . ومن

-
- (١) هدية العارفين : ١٠/٢ ، الأعلام ٢٠/٨ - ٢١ ، ومعجم المؤلفين ١٤٠/١٢ - ١٤١ .
(٢) تاريخ أفغانستان بعد از اسلام ٧٧٣/١ ، الفهرست ٢٣١/١ ، شنرات الذهب ٨٤/٢ - ٨٥ .
(٣) الفهرست ٢٣٣/١ وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام ٧٧٣/١ ، وبروكلمان : الأدب العربى ١٦١/٣ .
(٤) تاريخ بغداد ١٧٧/١٤ - ١٨٧ ، الفهرست ٢٣١/١ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام ٧٧٥/١ .

أشهر كتبه في العلوم الإسلامية : الجامع الصحيح ، الكنى والأسماء ، أوهام المحدثين ، طبقات التابعين ، وكتاب التمييز في الحديث ^(١) .

أبو داود سليمان الجارود بن الأشعث السجستاني :

محدث ، حافظ ، فقيه ، رجل ، وجمع ، وصنف ، وخرّج ، ولد سنة ٢٠٢ هـ — ٨١٧ م ، وتوفي بالبصرة سنة ٢٧٥ هـ — ٨٨٨ م ، وقد صنف في الحديث السنن ، ويبدو أنه كان ينافس الصحيحين منافسة قوية ، ولكنه لم يتمكن من ذلك . من تصانيفه كتاب السنن المشهور . وهو نجم من نجوم العلم اللامعة في خراسان الأفغانية ^(٢) .

أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى :

محدث ، حافظ ، مؤرخ ، فقيه . ولد سنة ٢١٠ هـ — ٨٢٥ م ^(٣) في قرية (بوج — بوغ) بالقرب من نهر (جيحون — آمو) وحصل على العلم في كل من خراسان ، والعراق ، والحجاز ، وهو من تلاميذ الإمام البخارى والإمام البغلائي . وأخيرا استقر به المقام في وطنه حتى توفي سنة ٢٧٩ هـ — ٨٩٢ م بعد أن فقد بصره . ومن آثاره العلمية : الجامع الصحيح ، الشمائل في شمائل النبي صلى الله عليه وسلم ، العلل في الحديث ، رسالة في الخلاف والجدل ، تسمية أصحاب رسول الله ، والتاريخ ^(٤) .

(١) بروكلمان : تاريخ الأدب العربى : ١٧٩/٣ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٧٨١/١ ، والخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٠٠/١٣ — ١٠٤ ، وابن خلكان : وفيات الأعيان ١٠٩/٢ — ١٢٠ ، والنوى : تهذيب الأسماء واللغات ٨٩/٢ — ٩٢ ، وكحالة : معجم المؤلفين ٢٣٢/١٢ — ٢٣٣ .
(٢) بروكلمان : تاريخ الأدب العربى : ١٨٥/٣ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٧٨٢/١ ، والأعلام ١٨٢/٣ ، والخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٥٥/٩ — ٥٩ ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ ١٤٢/٧ ، وابن خلكان : وفيات الأعيان ٢٦٨/١ — ٢٦٩ ، وابن كثير : البداية ٥٤/١١ — ٥٦ .

(٣) وفي تاريخ أفغانستان بعد از اسلام ٧٨٣/١ : (ولد سنة ٢٠٠ هـ = ٨١٥ م) .

(٤) دائرة معارف القرن العشرين : ٦٧١/٢ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام ٧٨٣/١ ، وبروكلمان : تاريخ الأدب العربى : ١٨٩/٣ و ١٩٢ ، والأعلام : ٢١٣/٧ ، وابن النديم : الفهرست ٢٣٣/١ ، والصفدي : الوفاى ٢٩٤/٤ — ٢٩٦ ، والياقنى : مرآة الجنان ١٩٣/٢ ، وأبوالفداء : المختصر في

أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب النسائي :

محدث ، حافظ ، ولد في نساء بخراسان سنة ٢١٥ هـ — ٨٣٠ م ، وهو من تلاميذ الإمام البغلافي والإمام السجستاني ، وغيرهما من علماء خراسان . وسكن مصر حتى عام ٣٠٢ هـ — ٩١٤ م ، ثم انتقل إلى دمشق ، ولما أتي أن يفضل معاوية على غيره ضرب ودس بالأقدام ، وحمل مريضا إلى الرملة ، فمات بها سنة ٣٠٣ هـ — ٩١٥ م ، ودفن بمكة المكرمة . ومن تصانيفه العلمية : السنن الكبرى والصغرى ، الخصائص في فضل علي بن أبي طالب وأهل البيت ، كتاب الضعفاء والمتروكين ، مناسك النسائي ، وجمع مسند مالك بن أنس ، ومسند علي ابن أبي طالب^(١) .

أبو رجاء قتيبة بن سعيد بن جميل البغلاني :

من علماء الحديث المشهورين في خراسان الأفغانية ، محدث ، نسابة ، إنجباري ، ولد سنة ١٥٠ هـ — ٧٦٧ م^(٢) في بغلان بأفغانستان الشمالية ، وعاش في بغداد ، وتوفي سنة ٢٤٠ هـ — ٨٥٤ م وقبره لا يزال مشهورا في بغلان في أفغانستان . وقد روى عنه الإمام البخاري ، والإمام مسلم^(٣) ، ومن تلاميذه الإمام الترمذي ، والإمام النسائي . وصنّف التاريخ والطبقات^(٤) .

أبو القاسم عبد الله بن محمد (أو : حمد) بن عبد العزيز البغوي :

محدث ، حافظ . ولد سنة ٢١٠ هـ — ٨٢٥ م . وقيل سنة ٢١٤ هـ — ٨٢٩ م ، وتوفي سنة ٣١٠ هـ — ٩٢٢ م^(٥) . وكان عالما من علماء خراسان

(١) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ١٩٦/٣ ، ومقدمة تيسر الوصول ١٠/١ ، وتاريخ أفغانستان بعد أزل اسلام ٧٨٤/١ ، ودائرة معارف القرن العشرين ١٨٦/١٠ ، وابن العماد : شذرات الذهب . ٢٣٩/٢ .

(٢) وفي معجم المؤلفين ١٢٨/٨ : (ولد سنة ١٤٩ هـ) .

(٣) الأعلام : ٦٧/٦ ، وتاريخ أفغانستان بعد أزل اسلام ٧٨٦/١ .

(٤) معجم المؤلفين : ١٢٨/٨ .

(٥) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ٢٢١/٣ ، وعبد الحمى حبيبي : تاريخ أفغانستان بعد أزل اسلام . ٧٨٦/١ .

في الحديث النبوى الشريف . ومن آثاره : المسند ، حكايات أى نظام ، ومعجم الصحابة^(١) .

أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي :

ولد سنة ٢٠٤ هـ — ٨١٧ م في بغداد ، وتوفى سنة ٢٩٤ هـ — ٩٠٦ م في (سمرقند) وهو أيضا من علماء خراسان المشهورين في العلوم الثقيلة ، وبالأخص في الحديث . وله مصنفات في هذا الفن^(٢) .

أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض القرياني :

وهو أحد الأئمة المشهورين في العلوم الإسلامية في خراسان الأفغانية ، رحل من المشرق إلى المغرب وأدرك العلماء واتصل بهم ، وولى القضاء في (الدينور) وسكن بغداد ، واجتمع في مجلس املائه ثلاثون ألفا ممن كان يكتب . وتوفى ٣٠١ هـ = ٩١٣ م في بغداد . ومن آثاره كتاب دلائل النبوة ، وكتاب القدر^(٣) .

حماد بن زيد السجستاني :

وهو من (سيستان = سجستان) الأفغانية ، ولد سنة ٩٨ هـ — ٧١٦ م ، وتوفى سنة ١٧٩ هـ = ٧٩٥ م . كان من أشهر حفاظ الحديث الشريف ، وكان ضريرا فاقد البصر ، وكان — رحمه الله — يحفظ أربعة آلاف حديث من الأحاديث النبوية الشريفة ، وكان ملقبا بشيخ العراق في عصره^(٤) .

عبد الله بن عثمان بن جبلة الأزدي المروزي :

أحد العلماء المشهورين في علم الحديث في خراسان ، حافظ للحديث ،

(١) ابن النديم : الفهرست ٢٣٣/١ ، والذهبي : تذكرة الحفاظ ٢٧٣/٢ — ٢٧٦ ، وابن كثير : البداية ١٦٣/١١ — ١٦٤ ، وكحالة : معجم المؤلفين ١٢٦/٦ .

(٢) تذكرة الحفاظ : ٢٤٩/٢ ، وطبقات الشافعية ٢٠/٢ — ٣٣ ، وشذرات الذهب ٢١٦/٣ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٧٨٦/١ ، وبروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ١٥٩/٣ .

(٣) السمعاني : كتاب الأنساب ٤٢٨ ، وبروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ١٥٩/٣ .

(٤) الزركلي : الأعلام ١٠٣/٢ ، وعبدالحى حبيبي : تاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٧٨٦/١ — ٧٨٧ ، والذهبي : تذكرة الحفاظ ٢١١/١ ، وابن حجر : تهذيب التهذيب ٩/٣ .

ثقة ، ولد سنة ١٤٥ هـ — ٧٦٢ م ، وتوفي سنة ٢٢١ هـ — ٨٣٥ م ، وكان من حفاظ الأحاديث النبوية الشريفة في خراسان ، وولاه عبد الله بن طاهر القضاء على (الجوزجان) في شمال أفغانستان ، فاستعفى^(١) .

إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني :

من حفاظ ، وعلماء ، ورواة الحديث النبوي الشريف ، وقد توفي في بغداد سنة ٢٥٩ هـ — ٨٧٢ م . وكانت له مهارة في العلوم الإسلامية الأخرى . ويلقب بمحدث الشام . من مؤلفاته : المترجم ، كتاب في الجرح والتعديل ، وكتاب في الضعفاء^(٢) .

محمد بن أحمد بن حبان البستي :

محدث ، حافظ ، مؤرخ ، فقيه ، لغوي ، واعظ ، مشارك في الطب والنجوم وغيرهما . ولد في مدينة (بست) الأفغانية بوادي (هلمند) بأفغانستان ، وتولى القضاء في (سمرقند) ولما اتهم بالزندقة بسبب تعريفه للنبوة بأنها خاصة من العلم والعمل يكمل الشخص بها ، سافر الى مدينة (نسا) وبعد مدة من الإقامة في كل من (نسا) و (نيسابور) عاد إلى (سمرقند) وجلس بها لإملاء الحديث وتعليمه إلى أن توفي بها سنة ٣٥٤ هـ — ٩٦٥ م عن ثمانين عاما . ومن تصانيفه الكثيرة : الثقات ، معرفة القبلة ، الطبقات الأصهبانية ، المسند الصحيح في الحديث ، وروضة العقلاء ونزهة الفضلاء^(٣) .

أبو سليمان حمد (أحمد) بن محمد بن إبراهيم الخطاطي البستي :

ولد سنة ٣١٩ هـ — ٩٣١ م في مدينة (بست - BUST) التاريخية الأفغانية بوادي (هلمند) بأفغانستان الجنوبية الغربية . محدث ، مفسر ، لغوي ،

(١) الزركلي : الأعلام ٢٣٨/٤ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام ٧٨٧/١ ، والتبريزي ١٢٩/٣ ، ومصابيح العشاق ٣٣٢/٨ ، وتزيين الأسواق ٨٥/١ .

(٢) الزركلي : الأعلام ٧٦/١ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام ٧٨٧/١ ، والذهبي : تذكرة الحفاظ ١١٧/٣ ، وابن كثير : البداية ٣١/١١ ، وكحالة : معجم المؤلفين ١٢٨/١ — ١٢٩ .

(٣) طبقات الشافعية : ١٤١/٢ ، وتذكرة الحفاظ ١٢٥/٣ ، والسيوطي : تدريب الراوي ٣٢ ، والنجوم الزاهرة ٣٤٣/٣ ، وبروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ٢٠٥/٣ — ٢٠٧ ، والبداية ٢٥٩/١١ ، واللباب ٢٣٧/١ ، والصفدي : الوافي ٣١٧/٢ ، ومعجم المؤلفين ١٧٣/٩ .

شاعر . وقد صَنَّف في الحديث والتفسير نقدا وشرحا . وتوفي في مدينة بست مسقط رأسه سنة ٣٨٦ هـ — ٩٩٦ م . وهو صاحب مؤلفات في العلوم الإسلامية والدراسات القرآنية ، من تصانيفه القيمة : معالم السنن في شرح كتاب السنن لأبي داود ، غريب الحديث ، شرح البخاري ، أعلام الحديث ، إصلاح الغلط ، وله شعر ^(١) .

أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين المروزي :

ومو من أهالي (مروالروذ) العلماء في أفغانستان الغربية بالقرب من هرات الأفغانية . ولد سنة ٢٩٧ هـ — ٩٠٩ م في (مروالروذ) بأفغانستان ، ثم ارتحل إلى بغداد بالعراق ، واستوطنها محدثا وخطيبا . وقيل إنه كتب ٣٣٠ مصنفا ، كما قيل إنه صَنَّف تفسيراً للقرآن الكريم في ألف جزء . توفي ببغداد سنة ٣٨٥ هـ — ٩٩٥ م ^(٢) .

أحمد بن علي بن سعيد المروزي :

أحد العلماء المشهورين البارزين في العلوم الإسلامية ، وبخاصة في الحديث النبوي الشريف ، وقد صَنَّف في حدود سنة ٢٩١ هـ — ٩٠٤ م في مدينة (سمرقند) رسالة قيمة في الجمعة وفوائدها ، ومن كتبه أيضا كتاب العلم ^(٣) . هذا عدد يسير من عدد ضخم كبير من العلماء الخراسانيين في العلوم الإسلامية التقليدية .. التفسير والحديث والقراءات ، هؤلاء العلماء وغيرهم من علماء أفغانستان الخراسانية ، وما جاورها من البلاد ، قد قاموا بالتدوين ، والتفسير ، والتأليف ، والتصنيف ، والنقد ، والتعديل ، والشرح ، والتوضيح خدمة للعلوم والثقافة الإسلامية التي يعتبر التفسير والحديث أهم مصادرها الأساسية . ونأتى بعد ذلك إلى أساس آخر من أسس هذه الثقافة وأركانها

(١) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ٢١٢/٣ ، والثعالبي : قيمة الدرر ٢٣١/٤ — ٢٣٣ ، وياقوت الحموي : معجم الأديباء ٢٤٦/٤ — ٢٦٠ ، والذهبي : تذكرة الحفاظ ٢٠٩/٣ — ٢١١ ، والقفطي : إنباه الرواة ١٢٥/١ .

(٢) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٢٦٥/١١ — ٢٦٨ . وابن الجوزي : تلبس إبليس ١٢٣ ، وبروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ٢١٤/٣ .

(٣) الزركلي : الأعلام ١٦٤/١ ، وبروكلمان : تاريخ الأدب العربي ٢٠٣/٣ ، وكحالة معجم المؤلفين ٨/٢ .

الرئيسية ، وهو الفقه والفقهاء الذين ساهموا في العلوم والثقافة الإسلامية بفقههم وعلمهم وثقافتهم الاجتماعية^(١) .

الفقه والفقهاء :

أول من ساهم في تدوين الفقه الإسلامي من علماء خراسان في العصر العباسي :

عبد الله بن المبارك المروزي الحنظلي :^(٢)

فقد قام بتدوين المسائل الفقهية الإسلامية المستنبطة من الأحاديث النبوية الشريفة مرتبة في أبواب خاصة (ودون العلم في الأبواب والفقه) كما يقول الذهبي في تذكرة الحفاظ^(٣) .

مكحول بن أبي مسلم :

هو مكحول بن أبي مسلم بن شاذل الكابلي من أشهر الفقهاء في عصره وكان إمام أهل الشام ، وكان من حفاظ الحديث النبوي الشريف ، ولد في (كابل) عاصمة أفغانستان الحالية ، وفي حروبها أسر ، واعتق في مصر ، فصار حرا ، فتعلم الفقه ، والحديث ، ورحل في سبيل ذلك إلى العراق ، وإلى المدينة المنورة ، ثم استقر به المقام في دمشق ، وبها توفي سنة ١١٢ هـ أو ١١٨ هـ ، وفيه يقول الزهرى : لم يكن في عصره أعرف منه في الفتاوى الدينية . وهو معلم الأوزاعي ، وأبوه من أهل (هرات) الأفغانية وأمه ابنة لملك من ملوك كابل^(٤) ولأنه كان (كابليا) من أهل أفغانستان كاتن ينطق حرف القاف كافا ، وحرف الحاء هاء ، شأنه في ذلك شأن الأفغانيين اليوم^(٥) . وكان عبد الرحمن بن سمره

(١) پوهاند عبدالحی حبیبی ، تاریخ افغانستان بعد از اسلام : ٧٦٢/١ وما بعدها .

(٢) لتعدد مزايا شخصية ابن المبارك فقد ورد ذكره في الصفحات الآتية : ٧٤٠ ، ٧٤٦ ، ٧٥٦ ، ٨١٩ من هذا الكتاب ، ومعجم المؤلفين ١٠٦/٦ ، وهدية العارفين ٤٣٨/٧ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٧٧٥/١ و ٨٠١ .

(٣) أحمد أمين - ضحى الإسلام ١٧١/٢ ، والذهبي : تذكرة الحفاظ ٢٥٣/١ - ٢٥٧ .

(٤) أحمد أمين - فجر الإسلام ص ١٥٤ ، وتذكرة الحفاظ ١٠١/١ ، ووفيات الأعيان ١٢٢/٢ .

(٥) پوهاند عبدالحی حبیبی - تاریخ افغانستان بعد از اسلام : ٧٩١/١ طبعة كابل ، والأعلام ٢١٢/٨ . وتذكرة الحفاظ ١٠١/١ ، الذهبي - تاريخ الإسلام .

هو الذى أسره بعد سنة ٣٦ هـ — ٦٥٦ م فيمن أسره من أهل (كابل)^(١)
كوسج المروزي :

هو إسحاق بن منصور بن بهرام المروزي الشهير بكوسج فقيه حنبلي ومن رجال الحديث ، ولد في (مرو) بخراسان ، وسافر إلى العراق ، والحجاز ، والشام ، ثم استقر به المقام في (نيسابور) ومات فيها سنة ٢٥١ هـ — ٨٦٥ م ، ومن مؤلفاته (كتاب المسائل في الفقه) أخذه من أمالي الإمام أحمد بن حنبل ، وهو مخطوط^(٢) .

أبو عثمان عمرو بن عبيد :

هو أبو عثمان عمرو بن عبيد الكابلي الأصل^(٣) ، البصري النشأة ، القدرى المذهب ، شيخ المعتزلة ، وكان من الزهاد المتقين المشهورين ، وتولى الإفتاء مدة ، ومع هذا فإنه من المتهمين بالكذب والبدع والضعف . وقد أسر جده في أيام عبد الرحمن بن سمرة في حروب كابل بعد عام ٣٦ هـ — ٦٥٦ م ، . ومات سنة ١٤٤ هـ — ٧٦١ م^(٤) ، وقد اشتهر في أيام الخليفة العباسي المنصور بالعلم والمعرفة والتقوى^(٥) . ولما مات رثاه المنصور بهذه الأبيات^(٦) :

صَلَّى إِلَهِهِ عَلَيْكَ مِنْ مَتَوَسَّدٍ قَبْرًا مَرَّرَتْ بِهِ عَلَى مَرَّانٍ
قَبْرٌ تَضْمَنَ مُؤْمِنًا مَتَحَنَفًا صَدَّ إِلَهِهِ وَدَانَ بِالْقَبْرِانِ
فَلَوْ أَنَّ هَذَا الدَّهْرَ أَبْقَى صَالِحًا أَبْقَى لَنَا حَقًّا أَبَا عُثْمَانَ
قال الذهبي : وقد كان الخليفة العباسي المنصور يخضع لزهده عمرو وعبادته ، وكان يقول^(٧) :

- (١) تاريخ سيستان ص ٨٥ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٧٩٠/١ - ٧٩١ .
- (٢) تاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٧٩١/١ ، والأعلام ٢٨٩/١ ، وطبقات الخنابلة ١١٣/١ ، وطبقات الخنابلة اختصار التاليسى ٧٤ .
- (٣) تاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٧٩٢/١ .
- (٤) وقيل سنة ١٤٣ هـ .
- (٥) تاريخ سيستان ص ٨٥ ، ومروج الذهب ١٩٢/٢ ، والأعلام ٢٥٢/٥ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٧٩٢/١ ، ووفيات الأعيان ٣٨٤/١ ، والبداية والنهاية ٧٨/١٠ ، والخور العين ١١٠ .
- (٦) ميزان الاعتدال للذهبي ٢٧٩/٣ ، دار المعرفة - بيروت .
- (٧) تاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٧٩٢/١ ، وميزان الاعتدال للذهبي ٢٧٩/٣ .

كلكم يطلب صيد — كلكم يمشی روید — غیر عمرو بن عبید
أبو عبد الله نافع :

هو أبو عبد الله نافع الكابلي الأصل^(١) ، المديني النشأة^(٢) ، من الأئمة
التابعين بالمدينة المنورة ، وأسر بعد عام ٣٦ هـ — ٦٥٦ م^(٣) في حروب عبد
الرحمن بن سمرة التي قام بها في كابل العاصمة الأفغانية . غاش بمدينة الرسول
(صلى الله عليه وسلم) وهو من الأئمة الثقات في الحديث ، وكان علامة في فقه
الدين لا يعرف له خطأ في جميع ما رواه^(٤) وقد أوفده الخليفة الأموي عمر بن
عبد العزيز إلى مصر لتعليم الأحاديث والسنة^(٥) ، وقد توفي — رحمه الله —
سنة ١١٧ هـ — ٧٣٥ م ، أو في سنة ١٢٠ هـ — ٧٣٨ م .

أحمد بن حنبل المروزي :

هو أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المروذي
البغدادى ، وكان أبوه واليا في (سرخس) وكان أسلافه من أهل (مرو) في
خراسان . خرجت أمه وهى حامل بأحمد من مدينة (مرو) فولد أحمد في بغداد
سنة ١٦٤ هـ — ٦٨٠ م ونشأ فيها وقد تعلم العلم حتى أصبح إماما عظيما في
الفقه الإسلامى ، سافر إلى الكوفة ، والبصرة ، ومكة المكرمة والمدينة المنورة ،
والشام ، واليمن ، والإمام أحمد بن حنبل غنى عن التعريف ومؤلفاته مشهورة .
وقد مات في بغداد سنة ٢٤١ هـ — ٨٥٥ م . وهو إمام في الحديث والفقه ،
وصاحب المذهب الحنبلى . له من الكتب : المسند يحتوى على نيف وأربعين ألف
حديث ، الناسخ والمنسوخ ، كتاب في الزهد ، المعرفة والتعليل ، والجرح
والتعديل^(٦) .

(١) تاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٧٩٢/١ ، وتاريخ سيستان ٨٥ .

(٢) . الأعلام ٣١٩/٨ .

(٣) تاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٧٩٢/١ ، وتاريخ سيستان ٨٥ .

(٤) تهذيب التهذيب ٤١٥/١٠ ، والأعلام ٣١٩/٨ .

(٥) تاريخ الإسلام للذهبي ١٠/٥ ، وتهذيب التهذيب ٤١٤/١٠ ، والأعلام ٣١٩/٨ .

(٦) تاريخ التشريع الإسلامى ٢٨١ ، والأعلام ١٩٢/١ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٧٩١/١ —

٧٩٣ ، وصفة الصفوة ١٩٠/٢ ، وابن خلكان : وفیات الأعيان ١٢/١ ، وابن عساكر ٣٨/٢ ،

وابن النديم : الفهرست ٢٢٩/١ ، وتاريخ بغداد ٤١٢/٤ — ٤٢٣ .

أبو حنيفة النعمان بن ثابت :

هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى (بضم الأول وفتح الثالث) ولد جده في (كابل) العاصمة الأفغانية ، وولد والده في (نسا) بخراسان ، وقد أسرى في معارك (كابل) المشهورة ، ونقل إلى العراق مع من نقل من الأسرى الأفغانين في حروب فتح (كابل) وقد ولد أبو حنيفة النعمان سنة ٨٠ هـ — ٦٩٩ م ، في الكوفة ، وتوفي سنة ١٥٠ هـ — ٧٦٧ م ، في بغداد^(١) وهو تابعي تقي ، وفقه عظيم ، وقد قال الفقيه المعروف والمحدث الشهير عبد الله بن المبارك المروزي في مدح أبي حنيفة النعمان :

لقد زان البلاد ومن عليها إمام المسلمين أبو حنيفة بآثار وفقهه في حديث كآيات الزبور على الصحيفة فما في المشرقين له نظير ولا بالمغربيين ولا بكوفة^(٢) وقال الإمام الشافعي رحمه الله :

رأيت الناس كلهم عيالا على قاضي القضاة أبي حنيفة^(٣) وكان أبو حنيفة عالما ، فقيها ، تاجرا ، وصاحب مذهب ، ومدرسة فكرية ، ومن أهم مؤلفاته : (مع ملاحظة اختلاف نسبتها إليه) :

- ١ — الفقه الأكبر — يحتوى على عشرة أبواب في عقيدة أهل السنة .
- ٢ — الفقه الأكبر — الثاني — كتاب ثان بهذا الاسم ينسب إليه .
- ٣ — الفقه الأكبر — الثالث — برواية تلميذه أبي المطيع الحكم عبد الله البلخي^(٤) .
- ٤ — الفقه الأبسط : برواية تلميذه السابق الذكر أيضا^(٥) .
- ٥ — مسند أبي حنيفة : جمع روايات الإمام أبي حنيفة من الأحاديث النبوية
- ٦ — وصايا أبي حنيفة : بأسماء مختلفة ، بعضها مطبوع :

(١) تاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٧٩٣/١ : ٧٩٤ .

(٢) الفهرست ص ٢٨٤ . والأعلام ٤/٩ . وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٧٩٣/١ - ٧٩٤ .

(٣) تاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٧٩٤/١ . والأعلام ٤/٩ ، وضحي الإسلام ١٧٦/٢ وما بعدها .

(٤) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ٢٣٧/٣ ، وعمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ١٠٤/١٣ .

(٥) عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ١٠٤/١٣ ، وبروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ١٤٠/٣ .

- أ — وصية أبي حنيفة لابنه حماد
 ب — وصية أبي حنيفة لتلميذه
 ج — وصيته إلى تلاميذه
 د — وصايا مجهول تحديدها
 ٧ — كتاب العالم والمتعلم
 ٨ — القصيدة النعامية ، وهي مدح النبي صلى الله عليه وسلم .
 ٩ — رسالة إلى عثمان البتي يدافع فيها عن نفسه ويعدد تهمة القول بالإرجاء عن نفسه
 ١٠ — مجادلة لأحد الدهريين مخطوط
 ١١ — معرفة المذاهب مخطوط
 ١٢ — نصائح مخطوط
 ١٣ — الضوابط الثلاثة مخطوط
 ١٤ — رسالة الفرائض مخطوط
 ١٥ — الدعاء المأثور عن أبي حنيفة مخطوط
 ١٦ — المنبهات على الأمور الواجبات مخطوط
 ١٧ — قصيدة لأبي حنيفة^(١) مخطوط

ولد أبو حنيفة في عهد عبد الملك بن مروان ، ونشأ في أيامه حتى بلغ السادسة من عمره ، ورأى قسوة الحجاج وسلطانه في العراق ، مات الحجاج وعمر أبي حنيفة خمسة عشر عاما ، سمع عدل عمر بن عبد العزيز وهو شاب ، وشاهد آثار عدله في العراق ، عاشر نهاية الأمويين وبداية العباسيين ، وشاهد يزيد بن المهلب يحكم العراق حكما عربيا كما شاهد الفتن وعاشها في إمارة كل من خالد بن عبد الله القسري ، ونصر بن سيار في خراسان الأفغانية ، ورأى قومه من الأفغان يعملون على أنتقال الخلافة من الأمويين إلى العباسيين .

في ظل هذه الأحداث والفتن ، ومظاهر الحياة الحضارية والسياسية عاش

(١) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ٢٣٥/٣ - ٢٤٥ ، والخطيب : تاريخ بغداد ١٣/٣٢٣ ، ابن أبي الوفاء : الجواهر المضية ٢٦/١ - ٣٢ ، والذهبي : تذكرة الحفاظ ١٥١/١ ، ابن ثغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٢/٢ - ١٥ .

أبو حنيفة في مدينة الكوفة بالعراق ، وقد أثرت هذه الأحداث في نفسه وأعمل فيها فكره ، وكان في زمانه بعض الصحابة (رضى الله عنهم) وكبار التابعين ، وقد سمع الأحاديث منهم .

وكان يجلس في حلقة المتكلمين في مسجد الكوفة ، فتسلح بسلاح العلم والثقافة من الفقه الإسلامى ، والشعر ، والنحو العربى ، وبنظريات المتكلمين في القضاء ، والقدر ، والكفر ، والإيمان ، وبجانب ذلك كان أبو حنيفة يحترف التجارة . فقد أكتسبه هذا وذلك فائدة كبرى ، إذ جعله يتصل بالحياة بجانبها العلمية والعملية .^(١)

العلماء الفقهاء الإقليميون :

فقهاء بلخ :

بلخ مدينة تاريخية عريقة ذات تاريخ عريق في الدين ، والعلم والأدب ، والتجارة ، والسياسة فهى تشتهر منذ القديم بالمعبد التاريخى الشهير (النوبهار)^(٢) الذى مرت عليه المراحل الدينية في العصور الآرية والزرذشتية ، والبوذية ، وكان المعبد بمنزلة المدرسة في العصر الحديث يؤدى ما تؤديه اليوم الجامعات من الخدمات العلمية والأدبية ، والدينية معا .. وكان المعبد يضم حوالى ٣٦٠ غرفة^(٣) خاصة بالعلماء ورجال الدين ، وكانت مركزا تجاريا أيام أن كان (طريق الحرير) همزة الوصل بين تجارة الشرق والغرب عن طريق أفغانستان ، فبالإضافة إلى البضائع التجارية الأفغانية كانت تصل إليها القوافل التجارية المحملة بالبضائع الصينية ، والهندية لتواصل طريقها من هناك الى الغرب . وتشتهر المدينة التاريخية الأفغانية هذه في الأوساط العلمية الصينية ، والهندية ، والعربية وتطلق عليها

(١) يراجع المراجع الآتية : ضحى الإسلام ١٧٦/٢ ومابعدها . تاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٧٩٣/١ ومابعدها . كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربى : ٢٣٥/٣ ، ومناقب أبى حنيفة ص ٩٥ . ومعجم المصنفين ١٤٤/٢ . وتاريخ التشريع الإسلامى ص ٢٣٨ . ومقالات الإسلاميين ص ١٣٨ . الملل والنحل .

(٢) سى يوكى : الكتاب الأول ١١٠ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٦٦٦/١ .

(٣) كتاب البلدان ٣٢٣ وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٦٦٧/١ .

المصادر العربية لقب (أم المدائن)^(١)

كانت مدينة (بلخ) الأفغانية عاصمة للدول الآرية القديمة كالدولة (الپاراداتية) والدولة (الآسية) وغيرهما^(٢) ، كما كانت عاصمة للدولة الباخترية الأولى ، وقد ظلت إلى جانب ذلك واحدة من أكبر مدن العالم قرونا طويلة لحوالى أربعة آلاف عام منذ أن ظهرت الحضارة على وجه هذه الأرض وقد ذكرت في الكتب الآرية القديمة باسم (بلهیکا — BALHIKA) وقد توالى عليها بعد الإسلام ثلاثة عصور ... الأول أيام المغول بقيادة جنكيزخان ، والثانى أيام الأتراك بقيادة (تيمور لنگ) والثالث أيام الفتوحات الإسلامية فى القرن الخامس عشر الميلادى .

وتوجد فى مدينة (بلخ — بخدى) التاريخية آثار للمباني التاريخية قبل الإسلام وبعده من بينها مبنى معبد (النوبهار) قبل الإسلام ومبنى المسجد الأزرق بعد الإسلام .

ولاية (بلخ) إحدى الولايات الأفغانية فى الشمال حاضرتها مدينة (مزار شريف) التى تنازع مدينة النجف فى العراق ، إذ تنسب إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه ، اعتقادا بوجود ضريحه فيها . وهى تبعد عن كابل العاصمة الأفغانية حوالى ٤٨٣ كيلو مترا ومدينة (بلخ) التاريخية العريقة الآن مدينة صغيرة تقع على أميال قليلة من مدينة (مزار شريف) . وإلى هذه المدينة العريقة ينسب عدد ضخم من العلماء والمفكرين وعلماء الحديث والتفسير فى العصور الإسلامية وهذه قائمة سريعة بأسماء عدد من الفقهاء الذين أنتجتهم (بلخ) الأفغانية :

أبو المطيع الحكم بن عبد الله البلخى :

من قضاة بلخ المشهورين ، وقد صحب الإمام أبا حنيفة ، وكان مشهورا بالعلم ممدوحا بالفقه ، وهو الذى روى كتاب الفقه الأكبر عن أبى حنيفة ، وكان

(١) حدود العالم ٦١ ، وابن حوقل ٤٤٢ ، ٤٤٨ ، وأحسن التقاسيم ٣٠٢ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٤٧٨/١ .

(٢) أحمد على كهزاد ومحمد عثمان صدق : تاريخ أفغانستان ٢١٤/١ .

من العلماء الأفاضل في خراسان الأفغانية . وتوفي سنة ١٩٩ هـ — ٨١٤ م^(١) .

أبو عمر حفص بن عبد الرحمن البلخي :

هو حفص بن عبد الرحمن بن عمر بن فروخ أبو عمر البلخي ، من العلماء الثقات المشهورين ، تولى القضاء ، وكان أفقه أصحاب الإمام أبي حنيفة في خراسان الأفغانية ، وقد جاء ذكره في كل من الترمذى والنسائى . وقد توفي سنة ١٩٩ هـ — ٨١٤ م^(٢) .

أبو عبد الله الحسين بن محمد بن خسرو البلخي :

كان من الفقهاء والعلماء المشهورين في بلخ الأفغانية ، سمع الكثير ، وجمع مسند الإمام أبي حنيفة في الأحاديث النبوية . وتوفي سنة ٢٢٢ هـ — ٨٣٧ م^(٣) .

خالد بن سليمان البلخي :

وهو خالد (وقيل حارث) بن سليمان أبو معاذ البلخي ، صاحب أبا حنيفة ، وأبا المطيع ، وأبا يوسف في الدرس والتحصيل ، قال فيه الإمام أبو حنيفة بأنه يصلح للفتيا في المسائل الدينية ، وقال فيه الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه : [أحب صحبة ثلاثة من خراسان : سعيد المقبرى ، والمتوكل بن حمران ، وأبو معاذ . ومن مفاخر أفغانستان أنهم جميعا من بلخ الأفغانية^(٤)] .

أبو عبد الرحمن مسلم بن سالم البلخي :

من العلماء المشهورين ، ومن الفقهاء الثقات في بلخ الأفغانية الخراسانية ،

(١) طبقات خليفة بن خياط ٣٢٤ ، وتاريخ بغداد ٢٢٣/٨ ، والفضائل ١٤٦ ، والنوازل : باب التواريخ ، وبروكلمان : تاريخ الأدب العربى : ٢٤٠/٣ ، ويوهاند عبدالحى حبيبي : تاريخ أفغانستان بعد أراسلام : ٧٩٩/١ ، والجواهر ٢٦٦/٢ ، ومشايخ بلخ من الحنفية ٦١ .
(٢) الجواهر ٢٢١/١ ، ويوهاند عبدالحى حبيبي : تاريخ أفغانستان بعد أراسلام ٧٩٩/١ ، ومشايخ بلخ من الحنفية ٦٠ .

(٣) بروكلمان : تاريخ الأدب العربى : ٢٤٠/٣ ، وابن أفى الرقاء : الجواهر ٢١٨/٢ ، وتاريخ أفغانستان بعد أراسلام : ٧٩٩/١ ، ومشايخ بلخ من الحنفية ٦٤ ، ٨٧ .
(٤) النوازل : باب التواريخ ، وطبقات خليفة بن خياط ٣٢٤ ، والمجروحين ٢٧٨/١ ، ويوهاند عبدالحى حبيبي : تاريخ أفغانستان بعد أراسلام : ٨٠٠/١ ، ومشايخ بلخ من الحنفية ٦٠ ، ٨٥ .

رحل إلى بغداد لتحصيل الحديث الشريف ، والعلوم الإسلامية الأخرى ، وكان من المرجحة فحبسه الخليفة هارون الرشيد في بغداد^(١) .
عبد الوهاب بن عبد ربه البلخي^(٢) :

كان — رحمه الله — من العلماء المشهورين في الفقه والحديث الشريف في جميع أنحاء خراسان وبخاصة في بلخ في شمال أفغانستان ، وهو من رواة الإمام الثوري في كتاب الإمام البخاري . ولم أعثر على تاريخ وفاته وميلاده ، وعلى مكان مماته .
عمر بن ميمون الرماح البلخي^(٣) :

كان من المشهورين في الفقه الإسلامي ، ومن حسنات بلخ في العلوم الإسلامية ، أخرج له الترمذي وكان من العلماء الزاهدين ، تنازل عن القضاء لأخيه واستوطن مكة المكرمة ، وله صحبة مع الإمام أبي حنيفة ، وقد أثنى عليه الإمام كثيرا ، وقد جاء ذكره في كتاب ابن ماجه . توفي سنة ١٧١ هـ — ٧٨٧ م

عتاب بن محمد بن شاذب^(٤) :

أحد فقهاء بلخ وحسناتها في العلوم الإسلامية من الفقه والحديث والتفسير ، وكان — رحمه الله تعالى — يتمتع بشهرة علمية في خراسان الأفغانية ، وقد جاء ذكره في كتاب الإمام البخاري .

مكي بن إبراهيم أبو السكن البلخي^(٥) :

فقيه محدث من علماء بلخ ، ومن شيوخها المشهورين ، ويلقب بالصدوق ، وبشيخ خراسان ، وله صحبة مع الإمام أبي حنيفة ، وروى عنه الفقه

(١) يوهاند عبدالحى حبيبي : تاريخ أفغانستان بعد أزاسلام : ٨٠٠/١ ، ومعجم المصنفين : ٥٣/٢ .

(٢) يوهاند عبد الحى حبيبي : تاريخ أفغانستان بعد أزاسلام ٨٠٠/١ .

(٣) الجواهر ١٨٢/١ ، ٢٨٦ ، ٣٩٩ ، ومناقب الكردي ٢٤٢/٢ ، وطبقات الصوفية ٢١ ، ٤٩ ، والطبقات الكبرى ٦٩/١ ، ٨٠ ، ٨٠٨ ، وتاريخ أفغانستان بعد أزاسلام ٨٠٠/١ .

(٤) تاريخ أفغانستان بعد أزاسلام ٨٠٠/١ .

(٥) تاريخ بغداد ٣/٢ ، ٣٠٢/٦ ، والجامع الصحيح ٢٠٤/١ ، وقته أهل العراق ٦٣ ، وتذكرة الحفاظ

٢٤٢/٢ ، ومناقب الكردي ٣٦٥/١ .

والحديث ، وسمع منه محمد بن اسماعيل البخارى ، وأثنى عليه الإمام أحمد بن حنبل . توفى سنة ٢١٥ هـ — ٨٣٠ م بعد أن ترك التجارة ، وجاور بمكة المكرمة اثنتى عشرة سنة .

مقاتل بن حيان البلخي^(١) :

وهو من العلماء الثقات ، وقد جاء ذكره في البخارى ، ومسلم ، وأبى داود ، والنسائى ، وقد أدرك ضحبة عمر بن عبد العزيز ، والحسن البصرى ، وأبى حنيفة ، وكان عالما مفسرا من الثقات في الأئمة والمحدثين والزهاد ، كان واليا على بلخ ، كما تولى القضاء في سمرقند ، وتوفى في إحدى قرى بلخ سنة ١٣٥ هـ .

المتوكل بن همران البلخي^(٢) :

أحد علماء بلخ المشهورين في العلوم الإسلامية ، وذو شهرة علمية في خراسان ، تولى قضاء بلخ مدة ٥٢ سنة ، وصحب بعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات مقتولا في بلخ سنة ١٤٢ هـ .

نصر بن عبد الكريم البلخي^(٣) :

كان أحد علماء بلخ المشهورين في العلوم الإسلامية بخراسان الأفغانية ، وهو فقيه ، وروى الحديث الشريف ، وصحب أبا حنيفة ، مات ببغداد سنة ١٦٩ هـ .

متوكل بن شداد البلخي :

وكان من علماء الفقه الإسلامى في خراسان . وكانت شهرته العلمية لاتقل عن شهرة غيره من أقرانه^(٤) .

(١) الفضائل ٧٣ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٨٠٠/١ ، ومشايخ بلخ من الحنفية ٥٠ ، ٥٢ ، ١٢٨ ، ٧٩ ، ٧٦ .

(٢) تاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٨٠٠/١ ، ومشايخ بلخ من الحنفية ٥٠ ، ٧٦ ، ١٢٨ .

(٣) تاريخ بغداد ٢٧٨/١٣ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٨٠٠/١ ، ومشايخ بلخ ١٢٩ ، ١٤٠ .

(٤) محمود تونكى الهندى - معجم المصنفين ٥٣/٢ وما بعدها طبعة بيروت ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٧٩٩/١ - ٨٠٠ .

أبو محمد حسن بن محمد الليثي البلخي^(١) :

من علماء خراسان المشهورين في مدينة بلخ الأفغانية ، وقد تولى القضاء في (مرو) وهو المعروف بالأعش^(٢) .

أبو حفص عمر بن هارون البلخي^(٣) :

من العلماء والفقهاء المشهورين الذين جاء ذكرهم في كل من (الترمذی) (ابن ماجه) وقد توفي في سنة ١٩٤ هـ — ٨٠٩ م . ومن آثاره : أجزاء في الحديث .

عصام بن يوسف البلخي^(٤) :

فقيه محدث مشهور من فقهاء ومحدثي خراسان في مدينة بلخ التاريخية . وقد توفي سنة ٢١٥ هـ — ٨٣٠ م ومن آثاره مختصر في الفقه .

إبراهيم بن أدهم البلخي^(٥) :

من الزهاد المشهورين في (بلخ) الأفغانية . وقد توفي في ١٦٢ هـ — ٧٧٨ م . وقد جاء ذكره في أدب المفرد للإمام البخاري .

شقيق بن إبراهيم البلخي^(٦) :

فقيه محدث ، وزاهد صوفي من علماء خراسان في مدينة (بلخ) الأفغانية ، وقد توفي سنة ١٩٤ هـ — ٨٠٩ م .

فقهاء الجوزجان :

الجوزجان : إحدى الولايات الشمالية في أفغانستان حاضرتها مدينة (شبرغان) وهي تبعد عن كابل العاصمة الأفغانية ٥٨٦ كيلو متراً ، ومن أشهر

(١) پوهاند عبد الحی حبیبی : تاریخ افغانستان بعد از اسلام ٨٠٠/١ طبعه کابل .
(٢) محمود تونکی : معجم المصنفین ٥٣/٢ وما بعدها « پوهاند عبدالحی حبیبی : تاریخ افغانستان بعد از اسلام : ٨٠٠/١ .

(٣) البغدادی : هدية العارفين ٧٨/١ ، وعمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ٥/٨ .

(٤) البغدادی : هدية العارفين ٧٨/١ ، وعمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ٢٨٢/٦ .

(٥) پوهاند عبدالحی حبیبی : تاریخ افغانستان بعد از اسلام : ٨٠٠/١ طبعه کابل .

(٦) معجم المصنفين ٥٣/٢ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٨٠٠/١ طبعه کابل .

علماء الجوزجان في علم التاريخ هو أبو عمر عثمان بن منهاج الدين بن سراج الدين الجوزجاني مؤرخ ملوك الدولة القورية التي بسطت نفوذها في كل من البلاد الأفغانية والهندية ، ومن فقهاؤها المشهورين :

أبو سليمان موسى بن سليمان الجوزجاني (١) :

وهو من تلاميذ الإمام محمد الشيباني ، وكان مشاركا لمعلي بن منصور ، عرض عليه المأمون القضاء فلم يقبل ، وقد توفي بعد سنة ٢٨٠ هـ - ٨٩٣ م (٢) وفي قول آخر بعد المائتين (٣) ، ومن آثاره : السير الصغير وال نوادر وغير ذلك (٤)

أبو بكر أحمد بن إسحاق الجوزجاني (٥) :

أخذ العلم عن أبي سليمان موسى الجوزجاني ، وكان عالما جامعاً بين الفروع والأصول ، ومن آثاره القيمة : كتاب الفرق والتمييز وكتاب التوبة .

فقهاء مرو :

مرو الروذ ، ومرو الشجان مدينتان خراسانيتان مشهورتان تقدر المسافة بينهما بحوالي مائة وستين ميلا تقريبا ، ومرو الروذ تقع على نهر (مرغاب) الأفغاني وعلى بعد مسيرة يوم من مدينة مرو الروذ وعلى نهر (مرغاب) أيضا تقع بلدة (قصر أحنف) الشهيرة . ومن أشهر رجال مرو الروذ الأفغانية خالد بن عبد الملك المروزي الذي يعد من أكبر علماء الفلك في العالم الإسلامي . والتشابه بين المدينتين الخراسانيتين الأفغانيتين كبير شكلا ومعنى ولهذا التشابه البشري والتدخل الجغرافي ، والتداخل السكاني ، والتخاطب الاجتماعي ، والتوحد العلمي والثقافي والتشارك التاريخي ، أصبح من الصعوبة بمكان الفرق والتمييز بين علمائهما

(١) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ٢٥٧/٣ ، ويوهاند عبد الحى حبيبي : تاريخ أفغانستان بعد از اسلام ٨٠٠/١ ، ومحمد عبد الحى اللكنوى : الفوائد البهية في تراجم الحنفية ٢١٦ طبعة بيروت سنة ١٩٩٠ .

(٢) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ٢٥٧/٣ ، ويوهاند عبد الحى حبيبي : تاريخ أفغانستان بعد از اسلام ٨٠٠/١ .

(٣) محمد عبدالحى اللكنوى : الفوائد البهية في تراجم الحنفية ٢١٦ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) محمد عبد الحى اللكنوى : الفوائد البهية في تراجم الحنفية ١٤ طبعة بيروت سنة ١٩٩٠ .

ورجالهما المشهورين المنسوبين إليهما ، فالمروذى أو المروزي يمكن أن يكون (مرويا) والمروى يحتتمل أن يكون (مروزيا) أو (مروزيا) منسوبين الى كل من (مرو الروذ) الأفغانية ، و (مرو الشاهجان) التاريخية الأفغانية المحتلة .

أبو عاصم محمد بن فضل بن عطية المروزي^(١) :

عالم جليل من علماء مرو ومن فقهاء العظام المشهورين بالعلم في خراسان ، روى عنه الترمذى ، وابن ماجه ، والنسائى ، وقد توفى في سنة ١٨٠ هـ — ٧٩٦ م له الفضل في نشر الفقه فيما وراء النهر (نهر جيحون — آمو) .

أبو عصمة نوح بن يزيد أبى مريم :

وهو الملقب (بالجامع) وهو أول من قام بتدوين الفقه الحنفى وتولى القضاء فى (مرو) وتوفى فى سنة ١٧٣ هـ — ٧٨٩ م^(٢) .

أبو إسحاق إبراهيم بن ميمون الخراسانى المروزي :

قتل فى سنة ١٣١ هـ — ٧٤٨ م . وهو من العلماء الثقات الذين اعتمد عليهم الإمام البخارى ، وأبو داود ، والنسائى^(٣) .

عبد الله بن المبارك المروزي :

توفى فى سنة ١٨١ هـ — ٧٩٧ م . وقد تردد اسمه كثيرا فى صفحات هذا الكتاب ، راجع الصفحات : ٧٤٠ ، ٧٤٦ ، ٧٥٦ ، ٨١٩ .

فضل بن موسى المروى :

سمع الحديث النبوى الشريف من (الثورى) وقد جاء ذكره فى الصحاح

(١) يوهاند عبد الحى حبيى : تاريخ أفغانستان بعد از اسلام ٨٠١/١ طبعة كابل .

(٢) الأعلام ٢٨/٩ ، وبروكلمان : تاريخ الأدب العربى : ٢٤٤/٣ — ٢٤٥ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٨٠١/١ ، وتهذيب التهذيب ٤٨٦/١٠ — ٤٨٩ ، وميزان الاعتدال ٢٤٥/٣ ، ومجمع المؤلفين ١١٩/١٣ ، ومجمع المصنفين ٥٣/٢ .

(٣) تاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٨٠١/١ ، والزركلى : الأعلام ٢٨/٩ ، وبروكلمان : تاريخ الأدب العربى : ٢٤٥/٣ .

السة . توفي في سنة ١٩١ هـ — ٨٠٦ م^(١) .

يحيى بن نصر المروى :

رحل من (مرو) إلى (بغداد) لتحصيل الحديث ، وقد سمع الحديث من ابن شبرمة . وقد توفي في بغداد سنة ٢١٥ هـ — ٨٣٠ م^(٢) .

حسن بن واقد المروى :

من فقهاء (مرو) المشهورين ، وقد جاء ذكره في صحيح البخارى وأبى داود ، ومسلم ، وتولى القضاء في (مرو) مات سنة ١٥٩ هـ — ٧٧٥ م^(٣)

إسماعيل بن إبراهيم الصائغ :

أحد علماء وفقهاء (مرو) في خراسان الأفغانية ، وشهرته العلمية والفقهية في (مرو) ليست أقل من شهرة أقرانه من العلماء والفقهاء والمحدثين^(٤)

أبو غانم يونس بن نافع الخراساني المروزي :

من القضاة الثقات المشهورين ، وقد جاء ذكره في كل من أبى داود ، والنسائي ، وتوفي سنة ١٥٩ هـ — ٧٧٥ م . وهو من الفقهاء البارعين في (خراسان) الأفغانية . ذكره ابن حبان في الثقات وقال : يخطئ^(٥) ..

أبو حمزة محمد بن ميمون المروزي :

من العلماء والفقهاء المشهورين في (مرو) الخراسانية ، وقد جاء ذكره في الصحاح^(٦) الستة^(٦) وتوفي سنة ١٦٧ هـ — ٧٨٣ م^(٧) .

(١) تاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٨٠١/١ ، ومعجم المصنفين ٥٣/٢ .

(٢) يوهاند عبدالحى حبيبي : تاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٨٠١/١ طبعة كابل .

(٣) يوهاند عبدالحى حبيبي : تاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٨٠١/١ طبعة كابل .

(٤) معجم المصنفين ٥٣/٢ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٨٠١/١ .

(٥) ابن حجر : تهذيب التهذيب ٤٤٩/١١ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام ٨٠١/١ ، ومعجم المصنفين ٥٣/٢ .

(٦) تاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٨٠١/١ ، وتهذيب التهذيب ٤٨٦/٩ — ٤٨٧ ، ومعجم المصنفين ٥٣/٢ .

(٧) وفي رواية ١٦٦ هـ ، وفي رواية أخرى ١٦٨ هـ .

أبو سهل نصير بن باب المروزي الخراساني :

وهو من فقهاء وعلماء (مرو) الخراسانية المشهورين ، وكانت له شهرة علمية في الفقه الإسلامي وقد توفي في سنة ١٩٣ هـ — ٧٠٨ م^(١) .

محمد بن شجاع بن نهبان النبهاني المروزي :

كان من علماء الفقه الإسلامي في (مره) الخراسانية وله شهرة علمية في علم الفقه . كان مولى قریش . وسكن المدائن ، فقيه أهل الرأي في وقته ، ومات قبل المائتين بسنين^(٢) .

سهل بن مزاحم المروى :

وهو من علماء الفقه في خراسان ، ومن أنصار نشر العلوم الإسلامية في البلاد الأفغانية ، ولم يقبل القضاء في أيام المأمون . وله شهرة عظيمة في العلوم الإسلامية ، وبخاصة في الفقه الإسلامي^(٣) .

محمد بن مزاحم المروى :

وهو شقيق سهل السابق الذكر وكان من العلماء والفقهاء المشهورين وكان راويا مصدوقا في رواية الحديث . والمسائل الفقهية^(٤) .

نضر بن شميل المروى :

من علماء الفقه الاسلامي ، والنحو العربي المعروفين في خراسان الأفغانية ، توفي سنة ٢٠٣ هـ — ٨١٨ م وقد جاء ذكره في الصحاح الستة^(٥) .

عبد العزيز بن منيب المروزي :

من علماء الفقه الإسلامي الرحالين ، وقد جاء ذكره في كل من النسائي وابن ماجه^(٦) .

(١) تاريخ بغداد ٢٧٨/١٣ - ٢٨١ ، وتهذيب التهذيب ٢١٩/٩ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٨٠١/١ ، ومعجم المصنفين ٥٣/٢ .

(٢) تهذيب التهذيب ٢١٩/٩ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٨٠١/١ .

(٣) تاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٨٠١/١ ، ومعجم المصنفين ٥٣/٢ .

(٤) تاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٨٠١/١ ، ومعجم المصنفين ٥٣/٢ .

(٥) المصدران السابقان .

(٦) المصدران السابقان .

محمد بن محمد بن أحمد المروزي البلخي :

وهو المشهور بالحاكم الشهير ، تولى القضاء في (بخارى) ثم تولى الوزارة أيام الأمير الحميد أمير خراسان . من تصانيفه كتاب (الكافي في الفقه) أسسه على كتاب الجامع للشيبياني وزياداته . قتل شهيدا سنة ٣٤٤ هـ ، وقد سمع منه أئمة خراسان وحفاظها ، وكان إمام أصحاب أبي حنيفة في عصره^(١) :

فهاء هرات^(٢)

هرات : مدينة أثرية أفغانية قديمة ، وهي من أمهات المدن في خراسان الأفغانية وحاضرة الولاية الثالثة من الولايات الأفغانية . وتبعد عن (كابل) الأفغانية بحوالى ١٠٥٧ كيلو مترا تقع بين (سيستان — سجستان) و(قندهار) و(بلاد الغور) و(بادغيس) و(مرو الروذ) و(الجوزجان) وترويه مياه (هري رود) فهي لذلك تقع في منطقة خضراء يانعة رائعة افتتحها الأحنف بن قيس في خلافة عثمان بن عفان (رضى الله عنه) .

وفي مدح (هرات) يقول العلامة التفتازانى :

لقد جمعت فيها المحاسن كلها وأحسنها الإيمان واليمن والأمن^(٣)
وفيه يقول أبو أحمد السامى الهروى :

هرات أرض خصبها واسع ونسبتها اللقاح والنرجس
ما أحد منها إلى غيرها يخرج إلا بعدما يفلس^(٤)

هرات من أعظم وأجمل وأقدم المدن الأفغانية التى تحتفظ بأهميتها فى العالم الحديث ، كما أنها شاهد على عظمة العالم الإسلامى ومجده التليد فى عصر الخلافة الإسلامية ، وذلك لوجود كثير من الآثار الإسلامية الخالدة فيها ، كالمسجد الجامع الذى يعد من أعظم المساجد التاريخية الأثرية ، والذى بناه الملك الغورى السلطان

(١) الفوائد البهية فى تراجم الحنفية ١٨٥ ، وبروكلمان : تاريخ الأدب العربى : ٢٦٦/٣ ، وتاريخ أفغانستان بعد أؤاسلام : ٨٠/١ .

(٢) راجع : هرات ... تاريخها ، آثارها ، رجالها للأستاذ خليل الله خليل ، طبع بغداد سنة ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م .

(٣) المطول ص ٢ .

(٤) هرات ... تاريخها ، آثارها ، رجالها ، ص ١٣ ، طبع بغداد .

غياث الدين محمد بن سام و (مصلی هرات) الذى يعد تحفة رائعة من الفن الإسلامى ، ومدرسة (نجرشاه) التى قامت ببنائها الملكة الغورية (جوهر شاه) ابنة السلطان غياث الدين الغورى والتى تمت أعمال بنائها فى واحد وعشرين سنة وجامع الأمير على شيرالنوائى ومدرسته التاريخية بجواره ومدرسة السلطان حسن بايقرا ، وغيرها من الآثار الإسلامية . إن مدينة (هرات) الأفغانية أنتجت وقدمت عددا ضخما من العلماء والأدباء ، والشعراء ، والكتاب والفنانين ، والفقهاء إلى العالم الإسلامى ، وهذه قائمة مختصرة بعدد من هؤلاء الفقهاء فى مدينة (هرات) التى كانت مركزا هاما من مراكز العلم والمعرفة ، والثقافة والأدب والفن وجميع العلوم والفنون الإسلامية وبخاصة علم الفقه :

إبراهيم بن تهمان الهروى :

أحد الأعلام من المرجئة ، جاءت رواياته فى الأحاديث النبوية فى كتب الصحاح الستة . وقد تحدث عنه فى هذا الكتاب^(١) . وهو من (باشان) فى (هرات) الأفغانية . وقد عاش فى مكة المكرمة .

عائذ بن حبيب بن الملاح الهروى^(٢) :

وهو من شيوخ الإمام أحمد بن حنبل ، ومن العلماء الثقة المشهورين فى العلوم الإسلامية . وقد جاء ذكره فى رواية الحديث النبوى الشريف فى كل من النسائى وابن ماجه . وقد توفى فى سنة ١٩٠ هـ — ٨٠٥ م .

كنانة بن جبلة الهروى^(٣) :

أحد العلماء والفقهاء المشهورين فى (هرات) الأفغانية ، أخذ العلم والحديث خاصة من مواطنه إبراهيم بن تهمان السابق الذكر وشهرته العلمية فى الفقه والحديث عظيمة نادرة .

(١) راجع ص ٧٤٠ من هذا الكتاب ، بحث التفسير والحديث .

(٢) محمود تونكى الهندى : معجم المصنفين ٥٣/٢ ، ويوهاند عبدالحى حبيبي : تاريخ أفغانستان بعد

أزاسلام : ٨٠٢/١ ، وابن حجر : تهذيب التهذيب ٨٨/٥ .

(٣) تاريخ أفغانستان بعد أزاسلام : ٨٠٢/١ ، ومعجم المصنفين ٥٣/٢ .

أبو خالد هياج بن بسطام التيمي البرجى الهروى^(١) :

كان هياج الهروى من علماء (هرات) فى أفغانستان الغربية ، ومن فقهاء المشهورين فى العلوم والمعارف الإسلامية ، وبخاصة فى الفقه الإسلامى ، والحديث النبوى الشريف . وقد مات سنة ١٧٧ هـ .

معمر بن حسين الهروى^(٢) :

نجم آخر من نجوم (هرات) الأفغانية فى سماء أفغانستان العلمية وهو من أشهر العلماء والفقهاء فى علوم الحديث النبوى الشريف وفى علوم الفقه الإسلامى ، وكذلك له يد طولى فى العلوم الإسلامية الأخرى .

مالك بن سليمان الهروى^(٣) :

إن مالك بن سليمان الهروى فقيه ماهر من فقهاء هرات وقد تولى القضاء فيها وقد حسبه الدارقطنى من الضعاف فى الحديث النبوى الشريف .

فقهاء (كابل) العاصمة الأفغانية :

كابل : من المدن الأفغانية القديمة التاريخية ، وقد فتحها عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه لأول فى سنة ٣٦ هـ — ٦٥٦ م . ثم توالى حروب المسلمين هناك إلى أن استقر الإسلام فى قلوب أهل كابل . وقد استشهد الصحابى الجليل أبو رفاعة عبد الله بن حارث العدوى فى حرب (كابل) الأولى التى تم فيها فتح كابل ، وقبره المبارك لا يزال موجودا فى مقبرة الشهداء الصالحين فى (كابل) . ومن فقهاء كابل العلماء :

أبو مجاهد على بن مسلم :

وهو من علماء (كابل) الأفغانية ، وتولى القضاء فى (الرى) وهو من

(١) تهذيب التهذيب ٨٨/٥ ، ومعجم المصنفين ٥٣/٢ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام ٨٠٢/١ .

(٢) معجم المصنفين ٥٣/٢ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٨٠٢/١ .

(٣) المصدرين السابقين .

شيوخ الإمام أنى حنيفة النعمان والإمام الترمذى .^(١)

فقهاء (سيستان — سجستان) الأفغانية :

سيستان : ولاية سيستان إحدى الولايات الهامة التاريخية في الجنوب الغربى من أفغانستان المعاصرة حاضرتها مدينة (زرنج) أو (زرنك) بالاصطلاح الأفغانى ، ومدينة (زرنج) السيستانية هذه كانت من المدن الكبيرة الهامة في العصر الإسلامى الأول كان بها عدد كبير من المساجد ، والمدارس ، والحمامات والقصور والبساتين فتحت على أيدي المسلمين من العرب في حوالى سنة ٢٠ هـ — ٦٤٠ م . وكانت عاصمة للدولة الصفارية في أفغانستان . ونهر (هلمند) هو الذى كان يمد (سيستان — سجستان) وحاضرتها (زرنج) بالمياه ومدينة (زرنج) الحاضرة الإقليمية تبعد عن (كابل) العاصمة الأفغانية بحوالى ٩٣٤ كيلو مترا .

و(سيستان) كانت دائما وعلى مر العصور ، وبخاصة في العصور الإسلامية مركزا هاما من المراكز العلمية والثقافية والأدبية ، والنهضة الأدبية الإقليمية قد بدأت في سيستان — سجستان الأفغانية ، وأول مسجد إسلامى في التاريخ الأفغانى قد تم بناؤه أيضا في سيستان ، وقد قدمت للعالم الإسلامى عددا ضخما من العلماء والفقهاء والمحدثين ، وهذا عدد من هؤلاء الفقهاء العلماء :

الخليل السيجزى (... — ٣٧٨ هـ — ٩٨٨ م) :

هو أبو سعيد الخليل بن أحمد بن محمد بن الخليل بن موسى بن عبد الله بن عاصم السجزى الحنفى ، عالم ، أديب ، ناثر ، ناظم . سمع بدمشق وبنيسابور ، وتولى القضاء ، وتوفى بسمرقند . من تصانيفه : الدعوات والآداب والمواعظ^(٢)

(١) يوهاند عبدالحى حبيى : تاريخ أفغانستان بعد أراسلام : ٨٠٢/١ ، وعمود تونكى الهندى : معجم المصنفين ٥٣/٢ ومابعدها .

(٢) ابن قطلوبغا : تاج التراجم ٢٠ ، والقرشى : الجواهر المضية ٢٣٤/١ — ٢٣٥ ، والبغدادى : إيضاح المكنون ٢٩٥/٢ ، وعمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ١١٣/٤ .

دعلج السجزي (٢٦٠ - ٣٥١ هـ - ٨٧٤ - ٩٦٢ م) :

هو أبو إسحاق دعلج بن أحمد بن دعلج السجزي محدث ، فقيه . نزل بغداد وسمع بدمشق وبمكة وبخراسان ، وتوفي في جمادى الآخرة . من تصانيفه : المسند الكبير^(١) .

عبيد الله السجزي (... - ٤٤٤ هـ - ... - ١٠٥٢ م) :

هو أبو نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم بن أحمد بن محمد بن حاتم بن أحمد ابن محمد بن حاتم بن علوية بن سهل بن عيسى بن طلحة السجزي الوائلي^(٢) محدث فقيه ، طاف البلاد وسمع بخراسان والعراق والحجاز ومصر وجاور مكة إلى أن توفي بها في الحرم الشريف . من تصانيفه : الإبانة الكبرى في مسألة القرآن^(٣) .
عمر السجزي النوقاني :

هو أبو الحسن عمر بن أبي عمر السجزي النوقاني أديب شاعر فقيه من حسنات سجستان ، وله غير رحلة واحدة إلى خراسان والعراق في طلب الأدب والعلم . وحين استأذن صاحب للعودة إلى سجستان - سيستان وصفه بقوله : [... وأما الشعر فرحيب المبابة ، مشرق المطلع ، كثير البديع ، واسع الحظ ، يترقرق فيه ماء القبول]^(٤)

أحمد السجزي :

هو أحمد بن يعقوب السجزي المسمى بندانه ، وقد قتل صبيرا في بخارى سنة ٣٣١ هـ - ٩٤٢ م . من تصانيفه : ١ - أساس الدعوة ٢ - كشف المحجوب ٣ - تأويل شرائع ٤ - سوس البقاء والآخرة ٥ - كتاب الاتحاد ٦ - إثبات النبوة^(٥)

(١) الذهبي : تذكرة الحفاظ ٩٢/٣ ، وعمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ١٤٥/٤ .

(٢) الوائلي : القرشي : الجواهر المضية ٣٣٨/١ ، وحاجي خليفة : كشف الظنون ٢ ، وعمر رضا كحالة : معجم المؤلفين : ٢٣٩/٦ .

(٣) الذهبي : تذكرة الحفاظ ٢٩٧/٣ - ٢٩٨ ، وابن قطلوبغا : تاج التراجم ٢٩ ، والقرشي : الجواهر المضية ٣٣٨/١ ، وحاجي خليفة : كشف الظنون ٢ ، وعمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ٢٣٩/٦ .

(٤) الثعالبي : يتيمة الدهر ٣٤٢/٤ .

(٥) الميروني : كتاب الهند ٣٢ ، وبيروكلمان : تاريخ الأدب العربي ٣٥٣/٣ .

إياس السجزي :

هو إياس عبد الله فضل السجزي من حسنات (سيستان = سجستان)
الأفغانية ، وكان يشتهر بالعلم والتقوى والورع ، ضليع في علم الفقه وأصوله^(١) .

منصور السجستاني (٥٠٠ - ٢٩٠ هـ = ١١٠٣ - ٩٠٣ م) :

هو أبو الصالح منصور بن إسحاق بن أحمد بن أبي جعفر السجستاني فقيه ،
أصولي . صنف في أصول الفقه^(٢) .

يوسف السجستاني (... - ٦٣٨ هـ - ... - ١٢٤٠ م) :

هو يوسف بن أحمد السجستاني الحنفي فقيه من فقهاء سجستان . توفي
بسيواس بعد سنة ٦٣٨ هـ . من آثاره : منية المفتي في فروع الفقه ، وغنية
الفقهاء^(٣) .

فقهاء بست الأفغانية :

بست : مدينة أفغانية تاريخية عريقة تقع على شاطئ نهر هلمند الشهير ،
وتبعد عن كابل العاصمة بحوالى ٦٧١ كيلو مترا في الجنوب الغربى من أفغانستان
المعاصرة وتقدر المسافة بين كل من مدينة بست التاريخية عن مدينة لشكرگاه —
المعسكر بحوالى سبعة كيلو مترات . ومدينة بست هذه محاضرة لولاية هلمند في
الوقت الحاضر . وكانت مركزا هاما من المراكز الأدبية والعلمية في العصرين
الغزنوى والغورى ، ومن علماء بست المشهورين في الدراسات القرآنية والآداب
حمد بن محمد بن إبراهيم الخطاى البستى ، وأبو الفتح البستى ، وأبو حاتم
البستى ، وغيرهم ومن فقهاء بست المشهورين :

إسماعيل البستى (... - ٤٢٠ هـ - ... - ١٠٢٩ م) :

هو أبو القاسم إسماعيل بن على بن أحمد البستى ، الزيدى متكلم ، فقيه .

(١) راجع ص ٢٣٥ من هذا الكتاب .

(٢) حاجى خليفه : كشف الظنون ١١٤ ، والبغدادى : هدية العارفين ٤٧٢/٢ ، وعمر رضا كحالة :
معجم المؤلفين ١٠/١٣ .

(٣) البغدادى : هدية العارفين ٥٥٤/٢ ، وعمر رضا كحالة : معجم المؤلفين : ٢٧٠/١٣ .

توفي في حدود سنة ٤٢٠ هـ . له من المؤلفات في علم الكلام : الموجز ،
الإكفار ، والتفسير^(١) .

محمد البستي (... — ٦٩٥ هـ — ١٢٩٦ م) :

هو أبو الطيب محمد بن إبراهيم بن محمد البستي ، المالكي فقيه ، أديب ،
نحوى . توفي بقوص . من آثاره : مختصر شرح الإيضاح لابن أبي الربيع الأموى
في النحو^(٢) .

محمد بن حبان البستي (٢٧٠ — ٣٥٤ هـ — ٨٨٤ — ٩٦٥ م) :

هو أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي
البستي الشافعي محدث ، حافظ ، فقيه ، لغوى ، واعظ ، مشارك في الطب
والنجوم وغيرهما ولد في بست في البلاد الأفغانية بضعا وسبعين ومائتين . ويبدو
أن بست كانت تابعة لولاية سجستان من الناحية الإدارية . وفي النجوم الزاهرة
ولد سنة ٢٦٠ هـ وسمع خلافتي بخراسان والعراق والحجاز والشام ومصر والجزيرة
وغيرها ، وفقه الناس بسمرقند ، وولى قضاءها ، وقدم نيسابور ، ثم خرج إلى
وطنه سجستان ، وتوفي بمدينة بست في شوال . من تصانيفه الكثيرة : الثقات ،
معرفة القبلة ، الطبقات الأصفهانية ، المسند الصحيح في الحديث ، وروضة
العقلاء ونزهة الفضلاء^(٣) .

ناصر الكيلاني البستي (كان حيا سنة ٩٤٠ هـ — ١٥٣٣ م) :

هو ناصر بن الحسن الحسيني البستي الكيلاني ، الحنفي ، فقيه صوفي . من
آثاره : شرح مختصر القدورى ، مطالع النقش والنصوص في شرح الفصوص لابن
عربى ، وسماء مجمع البحرين ، فرغ منه سنة ٩٤٠ هـ^(٤) .

(١) الجنيدى : تراجم الرجال ٧ ، وعمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ٢٧٩/٢ .

(٢) السيوطى : بغية الوعاة ٦ ، وحاجى خليف : كشف الظنون ٢١٣ ، وعمر رضا كحالة : معجم
المؤلفين : ٢١٥/٨ .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية ٧٢ ، و ١٤١ — ١٤٣ ، وابن كثير : البداية ٢٥٩/١١ ، وابن الأثير :
اللباب : ٢٧٣ ، وابن ثغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٤٢/٣ — ٣٤٣ ، والصفدى : الوافى ٢١٧/٢ —
٢١٨ ، وعمر رضا كحالة : معجم المؤلفين : ١٧٣/٩ ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ
١٨٦/٨ .

(٤) البغدادى : هدية العارفين : ٤٨٨/٢ ، وعمر رضا كحالة : معجم المؤلفين : ٦٨/١٣ .

فقهاء لغمان :

أسماء هذه الولاية الأفغانية :

- ١ — لغمان — LAGHMAN من الأسماء المشهورة في الوقت الحاضر
- ٢ — لقمان — LAQMAN من الأسماء المشهورة في التاريخ الأفغاني .
- ٣ — لمغان — LAMGHMAN من أسمائها المشهورة أيضا في التاريخ القديم .

وهي إحدى الولايات أو المحافظات الثلاث في أفغانستان الشرقية ، وهي ننكرهار ، وكونر ، ولغمان . حاضرتها [ميتر لام — مهتر لام] وهذه الولاية الشرقية الأفغانية لغمان تبعد عن كابل العاصمة بحوالى ١٤٠ كيلو مترا ، ويتكلم أهلها اللغة البشتونية — البختونية — الأفغانية لغة أفغانستان القومية والرسمية ، وهم أكثر الأفغانين ثقافة ، وعلماء ، وأدبا ، وسياسة ، ومعرفة ، ونشاطاً والأرض في (لغمان) خصبة خضراء ، وجيلة رائعة فاتنة ، تحيط بها جبال عالية مكسوة بالثلوج والغابات الكثيفة . وقد أسلم أهلها في أواخر القرن الأول الهجرى كما يقول العتبي في كتابه (تاريخ اليني) .

ويقول الياقوت .. لامغان من قرى غزنة خرج منها جماعة من الفقهاء والقضاة ، وبيعداد بيت منهم ، وقيل لامغان كورة تشتمل على عدة قرى في جبال غزنة ، وربما سميت لمغان ، وقد نسب إليها فلغمان ولمغان ولامغان ، ولمقان ، ولقمان أسماء مختلفة لولاية أفغانية واحدة أو صور عديدة لاسم واحد لولاية أفغانية في أفغانستان الشرقية والمعاصرة .^(١)

بدخول الإسلام إلى أفغانستان ، وانتشاره فيها بدأت التيارات الثقافية والأدبية تتبادل بين أفغانستان والبلاد العربية فترى عددا كبيرا من العلماء والفقهاء والمحدثين ، والمفسرين وغيرهم من العلماء في العلوم المختلفة من مختلف الولايات

(١) مجموعة إحصائية — وزارة التخطيط الأفغانية ص ١ جدول رقم ١ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٢٤/١ ، ٩٨ ، ٤٣٢ ، ٤٤٨ ، ٤٧٩ ، ٦٠٩ ، ٦١٩ . وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٤٠/٢ ، ٩٥ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ٤١٠ ، ٤١١ . ومجلة المعلم الجديد ص ١١٦ ، الجزء ٣ ، السنة ٧ بغداد . وراجع أيضا : تاريخ اليني لمحمد عبدالجبار العتبي ، وتحقيق مالهند للبيروني ، وجهار مقاله للسمرقندى ، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ، والأنساب لعبدالكريم السمعاني .

الأفغانية يبرز في هذه العلوم والآداب والفنون .. وقد مرت بنا نماذج مختلفة في هذا الشأن .. وهذه قائمة أخرى من الفقهاء الذين ينتمون إلى ولاية أخرى من الولايات الأفغانية وهي ولاية لغمان :

أبو يعقوب إسماعيل بن عبد الرحمن :

هو أبو يعقوب إسماعيل بن عبد الرحمن بن عبد السلام بن الحسن بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن بشر بن منكو أبو يوسف اللمغاني كان أحد أساتذة مدرسة أبي حنيفة النعمان وقد توفي سنة ٥٣٦ هـ — ١١٤١ م^(١) .

أبو تمام محمد عبد الملك بن عبد السلام بن الحسن اللمغاني :

أحد علماء الفقه من هذه الأسرة اللغمانية في بغداد ، وقد توفي في سنة ٥٥٢ هـ — ١١٥٧ م^(٢) .

محمد بن عبد الرحمن بن الحسن اللمغاني :

وهو الشهير بأبي عبد الله الضرير ، وكان من فقهاء الحنفية توفي سنة ٥٥٤ هـ — ١١٥٩ م^(٣) .

أبو محمد عبد السلام بن إسماعيل بن عبد السلام بن الحسن اللمغاني :

وقد جاء ذكره في (الجواهر المضئية) باسم عبد السلام بن إسماعيل بن عبد الرحيم بن حسين اللمغاني ، وقد مارس القضاء في بغداد وهو من فقهاء الحنفية وكان أحد أساتذة المدرسة الحنفية^(٤) .

أبو يعقوب يوسف بن إسماعيل اللمغاني :

وكان من فقهاء الحنفية ، وقام بالتدريس بجامعة السلطان في بغداد وقد توفي سنة ٦٠٦ هـ — ١٢٠٩ م ودفن في (الخيزرانية)^(٥) .

(١) عبد القادر بن أبي الوفاء القرشي : الجواهر المضئية في طبقات الحنفية ٧٧/١ ، و خليل الله خليلي : الفقهاء اللمغانيون في بغداد .

(٢) عبد القادر بن أبي الوفاء : الجواهر المضئية في طبقات الحنفية ٧٧/١ .

(٣) المختصر للذهبي ٣١٤/٢ ، عبد القادر بن أبي الوفاء : الجواهر المضئية في طبقات الحنفية ٧١/١ ، و خليل الله خليلي : الفقهاء اللمغانيون في بغداد .

(٤) الجواهر المضئية في طبقات الحنفية ٣١٥/٢ ، والجامع المختصر ١٧٦ .

(٥) المرجعان السابقان ، و خليل الله خليلي : الفقهاء اللمغانيون في بغداد .

عبد الرحمن بن عبد السلام بن إسماعيل اللمغاني :

أحد أساتذة المدرسة الحنفية وفقهائها ، وتولى القضاء في بغداد وقد توفي سنة ٦٤٠ هـ — ١٢٤٢ م^(١) .

عبد الملك بن عبد السلام اللمغاني :

أحد أساتذة المدرسة الحنفية ، وفقهائها المشهورين ، توفي سنة ٦٤٨ هـ — ١٢٥٠ م^(٢) .

فقهائ غزنة :

غزنة مدينة أفغانية قديمة ، تبعد عن كابل العاصمة بحوالى ١٣٥ كيلو مترا جنوبا ، واسم غزنة يطلق على مدينة غزنة التي كانت عاصمة للدولة الغزنوية والغورية ، وعلى ولاية غزنة كلها ، وهى مدينة زاخرة بالآثار الإسلامية ، وبها ضريح السلطان محمود الغزنوى ، ومن علمائها المشهورين فى الفقه وغيره :

عبد الرب منصور الغزنوى :

وهو من فقهائها وعلمائها المشهورين ، وقد توفي سنة ٥٠٠ هـ — ١١٠٦ م ، ومن آثاره : « ملتقى الإخوان » على « القدرى » فى الفقه الحنفى^(٣) .

إبراهيم بن أحمد الغزنوى :

هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سليمان الفقيه الغزنوى الأصل ، الموصلى الموطن ، وقد كان من كبار أصحاب الإمام برهان الدين أبى الحسن على ابن الحسن البلخى ، وقد تفقه عليه ، وسمع منه الحديث ، وكان معه فى حلب . وقد استنابه برهان الدين بمدينة [بصرى] ثم ولّى قضاء [الرّها] بعد فتحها من أيدي الفرنج . وذكر ابن عساكر أن والده هو الذى تولّى القضاء بها ، وقال : إنه

(١) تاريخ علماء المستنصرية ١٢٣ ، وعبدالقادر بن أبى الوفاء : الجواهر المضىة فى طبقات الحنفية ٧٧/٢ ، و خليل الله خليلي : الفقهاء اللمغانيون فى بغداد .

(٢) تاريخ مدارس بغداد ٤١ ، و خليل الله خليلي : الفقهاء اللمغانيون فى بغداد .

(٣) تاريخ مضىة بغداد ٢٩٩/١ ، وبروكلمان : تاريخ الأدب العربى : ٣٧٠/٣ ، وتاج التراجم ٢٧ ، وكشف الظنون ١٦٣٢ ، ومعجم المؤلفين ١١١/٥ ، والفوائد البهية فى تراجم الحنفية ١٤٨ - ١٤٩

توفي يوم الأربعاء ١٢ ذى الحجة سنة ٥٦٠ هـ ، ودفن في جبل قاسيون^(١) .

عطاء بن يعقوب ناكل الغزنوى :

وهو أيضا من نجوم غزنة الأفغانية اللامعين في سماء الفقه والأدب والشعر ، يتميز بغزارة العلم ، وحسن القول ، إلى جانب مهارته الفائقة في إنشاد الشعر^(٢) .

أبو الحسن علي بن محمد الغزنوى :

هو أيضا من نجوم غزنة العريقة اللامعين في سماء الفقه والعلم ، ومن علماء أفغانستان الغزنوية ، ويتميز بالتفقه والتقوى والورع^(٣) .

أحمد بن محمد بن سعد الغزنوى :

هو مصنف المقدمة الغزنوية المشهورة ، وقد تفقه في الدين حتى بلغ درجة الرياسة في المذهب ، وقد توفي سنة ٥٩٣ هـ . من آثاره : المقدمة الغزنوية ، وكتاب الروضة في اختلاف العلماء ، وكتاب في أصول الفقه ، وكتاب في أصول الدين ، وسماه بروضة المتكلمين ، واختصره وسماه المنتقى^(٤) .

سعد بن عبد الله الغزنوى :

هو سعد بن عبد الله بن أبي القاسم أبو نصر الغزنوى ، من علماء غزنة الأفغانية المشهورين في العلوم والآداب . من آثاره العلمية : كتاب الغرائب والغوامض^(٥) .

عمر بن إسحق الغزنوى :

كان عمر بن إسحق بن أحمد أبو حفص سراج الدين الغزنوى إماما فارسا في البحث ، وأخذ العلم عن الإمام وجيه الدين الدهلوى ، وعن غيره . ولد في سنة ٧٠٤ هـ تقريبا ، وتوفي سنة ٧٩٣ هـ وفي قول آخر سنة ٧٧٣ هـ . له من

(١) الطبقات ١٩٨/١ - ١٩٩ والجواهر المضية ٢٦٦/٢ :

(٢) محمد فهمى أبو العنين : أفغانستان بين الأمس واليوم ٢٠ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) محمد عبدالحى اللكنوى : الفوائد البهية ٤٠ .

(٥) الفوائد البهية : ٧٨ .

التصانيف : شرح الهداية المسمى بالتوضيح ، والشامل في الفقه ، وزبدة الأحكام في اختلاف الأئمة الأعلام ، وشرح بديع الأصول ، وشرح المغنى ، والمعزة المتينة في ترجيح مذهب أى حنيفة ، وشرح الزيادات ، وشرح الجامعين ، ولم يكملها ، وشرح تائية ابن الفارض ، وكتاب في الخلاف ، وكتاب في التصوف ، وشرح المنار ، وشرح المختار ، ولوائح الأنوار في الرد على من أنكر على العارفين لطائف أسرار ، وعدة الناسك في المناسك ، وشرح عقيدة الطحاوى ، واللوامع في شرح جمع الجوامع ، وغير ذلك ^(١) .

محمد بن يوسف الغزنوى :

هو محمد بن يوسف بن على أبو الفضل الغزنوى ، كان من أكابر المحدثين ، والرواة المسندين ، والفقهاء المدرسين ، أصله من غزنة ، ومولده في بغداد سنة ٥٢٢ هـ ، وتوفي بالقاهرة سنة ٥٩٩ هـ ، وهو من الفقهاء والمحدثين المشهورين ، طاف بلاد الشام والعراق لتحصيل العلم ^(٢) .

فقهاء خراسان :

أفردت هذه الطائفة من العلماء بهذا العنوان لعدم تمكنى من تحديد الولايات التى ينتمون إليها في أفغانستان :

إسحاق بن سليمان الخراسانى :

من فقهاء خراسان وعلمائها المشهورين في علوم الفقه والحديث والتفسير وغيرها من العلوم الإسلامية ^(٣) .

زيد بن حبان بن حسن الخراسانى :

أحد العلماء والحفاظ والفقهاء المشهورين ، رحل إلى الأندلس ، وتوفي سنة ١٢٦ هـ - ٧٤٣ م ، وقد جاء ذكره في صحاح البخارى ، وأبى داود ، ومسلم ^(٤) .

(١) الفوائد البهية في تراجم الحنفية ١٤٩ ، وطبقات الفقهاء ١٢٩ - ١٣٠ ، ومعجم المؤلفين ٢٧٦/٧ - ٢٧٧ .

(٢) الفوائد البهية في تراجم الحنفية ١٤٩ .

(٣) پوهاند عبد الحى حبيبي : تاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٨٠٣/١ .

(٤) محمود تونكي : معجم المصنفين ٥٣/٢ وما بعدها ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٨٠٣/١ .

أبو علي نفيل بن عياض الخراساني :

أحد الفقهاء والمحدثين الذين ينتسبون أصلاً إلى خراسان ، وهو من شيوخ الحرم الشريف ، وكان يصاحب أبا حنيفة النعمان دائماً ، وقد جاء ذكره في كتب الأئمة : البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي^(١)

أبو سعد بن سالم القداح الخراساني .

من علماء خراسان وفقهائها المشهورين في العلم ، عاش في مكة المكرمة ، وكان يميل إلى المرجئة ، وقد ذكره كل من أبي داود والنسائي^(٢) .

علماء وفقهاء عدد من المدن والأقاليم الأخرى في خراسان :

الغرض من إفرا د عدد من العلماء والفقهاء في خراسان بهذا العنوان هو لإظهار أن هذه الأقاليم والمدن خارجة من نطاق أفغانستان المعاصرة ، ولكنهم ينتمون إلى خراسان المتحدة أيام عظمة الإسلام الأولى ، ومن المعروف أنها كانت تابعة للدول الأفغانية المختلفة .

فقهاء نيسابور :

نيسابور إحدى مراكز خراسان الأربعة ، وهي : (صرو) ، و (هرات) و (بلخ) و (نيسابور) المركز الأول محتل ، والثاني والثالث في أفغانستان والرابع في إيران .. وكانت هذه المراكز الأربعة تابعة للدول التي نبعت ونشأت في أفغانستان كالدولة الغزنوية ، والدولة الغورية في بلاد الغور وغيرهما من دول أفغانستان القديمة .

أبو علي جارود بن يزيد النيسابوري :

من علماء الفقه والحديث والتفسير في (نيسابور) بخراسان المتحدة أيام العصر الذهبي الإسلامي^(٣) .

(١) المصدران السابقان .

(٢) المصدران السابقان .

(٣) معجم المصنفين ٥٣/٢ وما بعدها ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٨٠٣/١ .

أبو علي حسين بن وليد النيسابوري :

من فقهاء (نيسابور) الخراسانية ، ومشهور باسم (كميل) وقد توفي سنة ٢٣٣ هـ — ٨٤٧ م . وجاء ذكره في النسائي ^(١) .

أبو منذر نعمان عبد السلام النيسابوري :

فقيه بارع ، وتقى من فقهاء (نيسابور) الخراسانية ، وقد جاء ذكره في كل من أبي داود ، والنسائي . وتوفي سنة ١٨٣ هـ — ٧٩٩ م ^(٢) .

أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري :

عاش في مصر وأخذ العلم بها عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكيم والربيع بن سليمان ، وكذلك سكن مكة المكرمة ، وتوفي في سنة ٣١٨ هـ — ٩٣٠ م وقيل سنة ٣٢٤ وقيل سنة ٣٠٩ أو ٣١٠ هـ ^(٣) .

أبو محمد الفضل بن شاذان بن الخليل النيسابوري :

من علماء وفقهاء (نيسابور) الخراسانية ، ومن تلاميذ العالم الكبير علي الرضا . وقد توفي سنة ٢٦٠ هـ — ٨٧٤ م ^(٤) .

أحمد بن إبراهيم (أو محمد) النيسابوري :

من علماء وفقهاء (نيسابور) الخراسانية ، عاش في خلافة العزيز ، والحاكم بين المائة الرابعة والخامسة . ^(٥)

تدوين العلوم الأدبية :

ساهمت خراسان في جميع العلوم الإسلامية ، وفنونها الأدبية ، ذلك لأن الاهتمام الأكبر لعلمائها بعد أن اعتنق أهلها الإسلام ، أن يخدموا اللغة العربية لغة القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، وأن يتفقهوا في الدين الإسلامي ،

(١) تاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٨٠٣/٣ ، وعمود الترنكي : معجم المصنفين ٥٣/٢ .

(٢) المصدران السابقان .

(٣) طبقات الشافعية لابن السبكي ١٢٦/٢ ، وبروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ٣٠٠/٣ .

(٤) فهرس الطوسي (الطبعة الثانية) ص ١٣٤ .

(٥) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ٣٥٥/٣ .

وقد تم لهم ذلك بنجاح باهر حتى ازدهرت العلوم الإسلامية بجميع فنونها على أيدي هؤلاء العلماء من أفغانستان الخراسانية بعد أن استأثرت اللغة العربية بالعلم والفن والأدب فأخرجت هذه البلاد (الخراسانية) الأفغانية عدداً عديداً من المفسرين ، والمحدثين ، والفقهاء ، والفلاسفة ، والأطباء ، والمتصوفة ، والمتكلمين ، والمؤرخين ، والجغرافيين ، واللغويين والأدباء والشعراء ، والكتاب ، وقد خدم هؤلاء جميعاً العلم ، والفن والأدب خدمة عظيمة ، بفضل جدهم ، وصبرهم على مواصلة البحث والدراسة وتحملهم المشاق في رحلاتهم العلمية والفنية والأدبية إلى أقاصي البلاد الإسلامية طلباً للعلم ، والفن ، والأدب ، واللغة فأسدوا بذلك إلى الثقافة والحضارة والآداب الإسلامية شيئاً عظيماً من العلوم والفنون والآداب .

النضر بن شميل المازني :

هو أبو الحسن النضر بن شميل المازني ولد في (مرو) بخراسان ولكنه أقام مدة طويلة بالبادية فتمكن من اللغة العربية ، وتعلم مذاهب النحاة بالبصرة فهو مروى المولد ، وخراساني الموطن ، ونبذ النشأة وعزى المعرفة والعلم ، ولما أتم تعليمه ، رجع إلى مرو فولاه المأمون القضاء فكان أول من ولي قضاء خراسان من أهل السنة^(١) ، وقد توفي سنة ٢٠٣ هـ - ٨١٨ م في مرو ، وله مصنفات كثيرة وقيمة في هذا العلم .^(٢)

ويقول ابن قتيبة المروزي : أنه صاحب الغريب ، والشعر ، والنحو والحديث ، والمعرفة^(٣) .

الأخفش الأوسط البلخي :

هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة ، أصله من بلخ الأفغانية ، وكان من تلاميذ سيبويه ، وقد حفظ كتاب أستاذه ، وخالفه في كثير من آرائه ، وعده (التبريزي) من شيوخ علم العروض . توفي سنة ٢٢١ هـ - ٨٣٥ م وقبل سنة

(١) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ١٣٨/٢ .

(٢) الأعلام ٣٥٧/٨ .

(٣) كتاب المعارف ص ٥٤٢ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٨١٠/١ ، وبروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ١٣٩/٢ .

٢١٥ هـ — ٨٣٠ م^(١) . فأخفشنا هذا بلخي الأصل أفغانية ، وعزى النشأة ، ونحو المعرفة ، وعروضي العلم بتوسيع .

وصل عدد مصنفاته في الفهرست لابن النديم إلى اثنين وخمسين كتابا^(٢) ، ولم يبق منها سوى ستة من كتبه القيمة^(٣) .

ابن سلام الهروي :

من مشاهير أئمة الأدب واللغة ، والنحو في (هرات) الأفغانية وقد مضى ذكره في هذه الرسالة في بحث الأحاديث والتفاسير والقراءات^(٤) فابن سلام هروي الأصل أفغانية ، وهروي المولد خراسانية ، وهروي النشأة والثقافة والمعرفة .

أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني :

من تلاميذ الأصمعي ، والأخفش ، وأخذ أيضا عن أبي عبيدة ، وأبي زيد وهو من علماء اللغة والشعر ، ومن تلاميذه المبرد . وقد توفي بالبصرة في حدود سنة ٢٥٠ هـ — ٨٦٤ م . ويقول ياقوت إنه توفي سنة ٢٥٥ هـ — ٨٦٩ م^(٥) ومن أشعاره اللطيفة :

أَبْرَرُوا وَجْهَ الْجَمِيِّ نَلْ وَلَأْمُوا مَنْ أَفْتَسَنَ
لَوْ أَرَادُوا عَفَافَنَا سَتَرُوا وَجْهَ الْحَسَنِ^(٦)

وقد ذكر ابن النديم في الفهرست أن مصنفات أبي حاتم السجستاني ومؤلفاته تبلغ إلى ٥٨ أو ٥٩ كتابا ، وقد بقي^(٧) منها خمسة من كتبه^(٨)

- (١) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ١٥١/٢٠ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام ٨١١/١ .
- (٢) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ١٥١/٢ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام ٨١١/١ .
- (٣) الأعلام ١٥٤/٣ طبعة ثانية سنة ١٩٥٤ ، وبروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ١٥٢/٢ .
- (٤) راجع ص ٧٣٠ من هذا الكتاب ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٦٧٩/١ ، ٨١١ .
- (٥) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ١٥٩/٢ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٨١١/١ .
- (٦) وفيات الأعيان ٢١٨/١ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٨١١/١ .
- (٧) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ١٦٠/٢ .
- (٨) تاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٨١١/١ .

شمر بن حمدويه الهروي :

هو أبو عمرو شمر بن حمدويه الهروي رحل من (هرات) الأفغانية إلى العراق ، وهو شاب ، وأخذ عن ابن الأعرابي وغيره ثم عاد إلى خراسان فأخذ عن أصحاب النضر بن شميل ، والليث بن المظفر . وألف كتابا كبيرا في اللغة على غاية من الكمال سماه (كتاب الجيم) ولكنه لم يسمح لأحد بنسخه ولما توفي الهروي سلمه بعض أقاربه إلى يعقوب بن الليث الصفاري ، وهو في الطريق إلى (فارس) فغرق الكتاب في جملة ما غرق من سواد المعسكر . وقد رأى الأزهري بعض الأجزاء الناقصة من هذا الكتاب القيم الذي يخل به مواطنه الهروي على اللغة العربية وآدابها ، توفي الهروي سنة ٢٥٥ هـ — ٨٦٩ م وهو صاحب مؤلفات كثيرة في هذا الفن من العلوم ^(١) .

إن العالم الهروي الأفغاني شمر بن حمدويه أقدم عالم خراساني يقوم بتأليف معجم لغوي عربي قيم بعد الخليل بن أحمد ، ولكنه ضاع لبخله ، ولم ينتفع به أحد من العلماء كما مر آنفا . هذا نموذج بسيط قمت بتقديمه هنا لإثبات ما قام به علماء أفغانستان الخراسانية في مجال تدوين العلوم الأدبية والفنية وسياقي الكلام مفصلا في بحث النثر الفني .

وهكذا ساهمت أفغانستان وأخرجت عددا عديدا من العلماء في العلوم الإسلامية المختلفة وتدوينها ، وهكذا استأثرت اللغة العربية بالعلم ، والأدب والفن في أفغانستان ^(٢) .

مشاهير أفغانستان الخراسانية في الأدب العربي :

كان سلطان الإمبراطورية الأموية سلطانا عربيا مبنيا على القبلية العربية متجاوبا معها تماما بتمام ، ولكن سرعان ما تقوض بنيان ذلك السلطان القبلي أمام صولة العجم الذين كانوا مغلوبين على أمرهم في عصر السلطان الأموي .. إلا أن قيامهم على الدعوة للعلويين ، ثم العباسيين أيقظ شعورهم القومي من جديد . وقد استطاع البرامكة ، وهم من أهل (بلخ) الأفغانية الحفاظ بالوزارة في العصر العباسي مدة طويلة ، وبالإضافة إلى هذا التحول السياسي سرعان ما ظهر أيضا تأثير العجم الأدبي في الآداب العربية .

(١) جمع الأمثال ٣٢٥/١ ، و بروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ٢٠٢/٢ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٨١٢/١ .

(٢) تاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٨٠٦/١ وما بعدها .

ومع هذا بقيت العربية لغة الأدب لدى العجم حيث كان عليهم أن يستخدموها في حياتهم الأدبية والعلمية والكتابية ، فقاموا بترجمة الأدب الدرّي ، والبهلوي وأضافوا بذلك إلى الأدب العربي ثروة غنية لا تقل أهمية عن تأثيرها في أَلُوم المختلفة التي ازدهرت ازدهارا عظيما في هذا العصر الأمر الذي يدعونا إلى أن نتساءل ، وجوبا ، عند البحث عن كل شاعر ، أو كاتب ، أو مصنف ومؤلف في هذا العصر ، عن أصله ، وموطنه الأصلي ، والأمة التي ينتسب إليها وسنرى ، كما رأينا فيما مضى ، عددا كبيرا يتّمسّ إلى تلك الأرض التي تكون أفغانستان اليوم ، وإلى تلك الأمة العريقة التي تعيش في وديانها الخضراء وتحت سمائها الصافية ... منهم من عاش عليها وقضى نحبها فيها بعد أن أدى دوره الأدبي ، ومنهم من انتقل إلى البلاد العربية أثناء الفتوحات الإسلامية ... وما أكثرهم .

الشعر العربي : (١)

كان قصيد الشعر العربي القديم يلفظ أنفاسه حيث لم يقو على مسيرة العصر الجديد ، ذلك لأن مواده ومعانيه كانت مرتبطة ارتباطا قويا بحياة البادية المتوارثة ، ولم يكن في إمكانه أن يتفق مع صلات السكان المختلطين من العرب والعجم - في المدن الكبيرة التي أصبحت مراكز هامة للحياة الفكرية والأدبية ، وهكذا انحل عمود الشعر العربي القديم في هذا العصر ، وإن كانت هناك محاولات حادة ، ومسااعي جادة تدعو بإلحاح شديد إلى التمسك بالقديم المتوارث ، ولكن المطبوعين من الشعراء الكبار استجابوا إلى داعية قرائحهم المتوقدة ، ولم يستجيبوا إلى دعوة التمسك بالقديم المتوارث ، وقد ساعدتهم في ذلك - في القرن الرابع الهجري - اعتراف النقد العلمي بقوالب الشعر الحديثة ، وقد رسخت بذلك قدم فن الشعر الحديث والجديد ، حتى أمكن ابن المعتز في كتابه (البديع) أن يسوى بين القدماء والمحدثين . وبدأ بعض الشعراء المحدثين يبدل محاولات فنية لصياغة الشعر في أوزان جديدة تخالف أوزان العروض المتوارثة القديمة .

فلنقد علماء اللغة ، ولطفيان الشعر الحديث ، ولذوق الأمراء والوزراء الفني الجديد قام يحيى البرمكي البلخي بتعيين إبان بن عبد الحميد اللاحقي رئيسا

(١) يوهاند عبدالحى حبيبي : تاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ١ / ٨١٤ ومابعدها .

لديوان الشعر في البلاط العباسي ، على أن ينقد ما يرفع إليه من المذائح الشعرية .
وكان هذا الإقدام الأدبي النقدي من نصيب خراسان أيضا . وليس من المبالغ فيه
لو قلنا : إن النهضة الشعرية الحديثة في العصر العباسي قد قامت على أيدي الأعاجم
من أفغانستان وإيران ، كما سنرى ذلك فيما يأتي من الفصول في هذا الباب .
بشار بن برد : (١)

هو أبو معاذ بشار بن برد^(٢) بصرى المولد والنشأة ، أفغانى الأصل من
طخارستان الأفغانية في شمال أفغانستان ، ولد سنة ٩٥ هـ - ٧١٤ م بالبصرة
ضريرا ، وفي ذلك يقول :

عميت جنينا والذكاء من العمى فجئت عجيب الظن للعلم موثلا
وهو من أعظم الشعراء المحدثين الذين عاشوا في العصرين الأموي
والعباسي ، وكان يفتخر بأنه من أولاد ملوك (طخارستان) الأفغانية ، وكان أبوه
(برد) الطخاري قد قدم إلى البصرة مع الأسرى الذين أسرهم المهلب
ابن أبي صفرة عند ماولى خراسان (٧٩ - ٨٢ هـ = ٦٩٧ - ٧٠٢ م) عاش
بشار بن برد بالبصرة ، ومدح بعض الأمراء ، وقيل^(٣) إنه كان يفضل مذهب
المجوس على الإسلام ، وفي ذلك يقول^(٤) :

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار
وقيل إنه تهادى إلى حد أنه فضل إبليس المخلوق من النار على آدم عليه
السلام المخلوق من الطين قائلا :

إبليس أفضل من أبيكم آدم فتنهوا يا معشر الفجار

(١) قال محمد الطاهر بن عاشور : (ولد بشار بالبصرة وكان مولده سنة ست وتسعين تقريبا) مقدمة
ديوان بشار بن برد ٩/١ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٨١٦/١ .

(٢) برد : قيل : إن معناها العبد وإن اسم أبيه (يرجوخ) وقيل : (جهنم) . قال يزيد بن مفرغ وهو من
شعراء صدر الدولة الأموية : (وشربت بردا ليتنى : من بعد برد كنت هامة) . انظر في ذلك : مقدمة
ديوان بشار بن برد ، شرح محمد الطاهر بن عاشور ٣/١ طبعة القاهرة .

(٣) محمد الطاهر بن عاشور : مقدمة ديوان بشار بن برد ١٦/١ و ٢٣ .

(٤) الدكتور أحمد فريد رفاعي : عصر المأمون ٢/٢٥٦ ، طبعة القاهرة ١٣٤٦ هـ .

والنار عنصرو وأدم طينة والطين لا يسمو سمو النار

وقد مات تحت سياط الخليفة المهدي ووزيره يعقوب بن داود بعد أن هجأهما وكان ذلك سنة ١٦٧ هـ^(١) - ٧٨٣ م . وذلك بعد أن بدأ المهدي^(٢) يتعقب عددا من الأشخاص المتهمين بالزندقة والإلحاد ، فقتل خلقا كبيرا منهم ، ولكن بشارا لم يصمت على هذا التقتيل الذي أنزله المهدي على أصدقائه المتهمين بالزندقة والإلحاد البغيض فإذا به يهجو المهدي نفسه كما يهجو وزيره يعقوب بن داود ، وكانت نتيجة هذا الهجاء - كما مر - قتل بشار نفسه تحت ضرب سياط زبانية الخليفة .

إن بشارا هو امرؤ القيس بالنظر إلى المحدثين^(٣) ، ومن أجل ذلك نهاه الخليفة المهدي عن التشبيب بالنساء ، لأن تأثير شعره كان قويا في الجنس اللطيف ، ويمتاز بشار بحسن التصرف في فنون الشعر^(٤) وشعر التشبيب والتغزل بخاصة ، وبقوة تصويره وما كانت تتركه حاستا السمع والشم من آثار عميقة في نفسه ، كل هذا بالإضافة إلى استقلاله وعدم أخذه من غيره^(٥) ، والاستقلال وعدم التقليد من أخص خصائص الآداب الأفغانية حتى اليوم ، ولكن قوة بشار ابن برد الطبخاري الشعرية والفنية تتجلى في شعر الهجاء .

يقال إن زبانية المهدي هم الذين فتحوا باب اللهو للناس في أيامه ، فلما فاض هذا السيل العارم حاول عبثا إيقافه ، وربما كان إقدامه على الإيقاف تظاهرا ، ولم يكن صادرا عن نية صادقة^(٦) .

كانت طبيعة بشار بن برد الطبخاري معقدة ، كان آرى الأصل أفغانية ، ورث من الآريين الأفغان كبرياء في المزاج ، وشدة في الحدة ، ونشأ عبدا ابن عبد

(١) محمد الطاهر بن عاشور : مقدمة ديوان بشار بن برد ٩/١ ، طبع القاهرة ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٨١٧/١ .

(٢) المصدران السابقان :

(٣) ابن رشيق : قراضة الذهب ١٦ .

(٤) أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ٢٥/٣ .

(٥) ابن رشيق : قراضة الذهب ٥٨ .

(٦) محمد الطاهر بن عاشور : مقدمة ديوان بشار بن برد ١٧/١ ، طبعة القاهرة :

وكان من الأمراء والأشراف^(١) في قومه في أفغانستان الشمالية ، وكان ضريرا أعمى بالولادة ، وكان فقيرا في أسرته ، فكان لذلك كله يحس كثيرا من المرارة ، وعندما نجحت الثورة العباسية على سواعد بنى العمومة في خراسان الأفغانية تمكن من التعبير عما كان يجول بخاطرهم في العصور السابقة .

وقد كان يتمتع بقوة التعبير الموروثة ، وأصالة البادية العربية ، بالإضافة إلى الإقدام ، والصراحة ، والشجاعة النادرة ، وكل هذه العناصر المختلفة جعلت طبيعة بشار الطخاري معقدة شديدة التعقيد .

وقد انعقد الاتفاق والإجماع بين الرواة والنقاد على أنه زعيم الشعارية الحديثة في العصر العباسي ، وهذه الزعامة ترجع إلى أنه تمسك بالأصول الأصيلة للشاعرية العربية ، من ناحية ، ومن ناحية ثانية فسح المجال لتجديد الشعارية العباسية لأحدثه ، تمشيا مع معيشتة الحضارية ، ورفقه العقلي وبذلك ازدهر الماضي البعيد والقريب في الحاضر ، ونما الحاضر من خلاله مما جعله يحتفظ بشخصيته الخالدة في أساليبه المطبوعة بالنصاعة ، والإيجاز والتركيز ، مع الدقة والوضوح والجمال ، ومع عدم خروجه من المعاني ، والأغراض البدوية القديمة ، وأما التجديد الواسع الذي حدث فيها لا يفصله عن التراث القديم .

وعجيب حقا أن يقهر الشعر العربي بشار الطخاري ، ويملك عليه نفسه ليكون أداة ازدهاره ، وبرهان شخصيته القرية التي ربط فيها الماضي الأصيل بالحاضر الراقى ويحكم عليه - بعد هذا - بأنه كفر بالعربية ، وكفر بالإسلام ، إنه لم يكن كذلك كما يقولون ويدعون ، ولكنه مما لاشك فيه أنه كان كافرا وملحدا وزنديقا بالقومية العربية الخاصة ، وبين الكفر بالإسلام والكفر بالقومية القبلية بون بعيد . ومن أغراضه الجميلة في المدح ما قاله في مدح خالد بن برمك البلخي^(٢) :

(١) الدكتور أحمد فريد رفاعي : عصر المأمون ٢/٢٥٣ . انظر إليه حيث يقول في ذلك :

وبنت قوما به جنة يقولون من ذا وكنت العلم
ألا أيها السائل جاهدا ليعرفني أنا أنف الكرم
نمت في الكرام بنى عامر فروعى وأصلى قريش العجم
فإني لأغنى مقام الفتى وأصبي الفتاة فما تعصم

(٢) الأغاني : ١٩٢/٣ . والديوان ٣/١٢٥ ، وأحمد فريد رفاعي ٢/٢٦٩ .

إذا جئته للحمد أشرق وجهه إليك وأعطاك الكرامة بالحمد
مفيد ومتلاف سبيل تراثه إذا ماغدا أو راح كالجزر والمد

ويقول في مدح عمر بن العلاء قائد المهدي الذي قضى على ثورة
الجزمية^(١) :

فتى لاينام على دمنسة ولا يشرب الماء إلا بدم
يلذ العطاء وسفك الدماء ويغدو على نعم أو نقم

ويقول في مدح عقبة بن سلم والى البصرة^(٢) :

إنما لذة الجواد ابن سلم في عطاء ومركب للقاء
كخراج السماء^(٣) سيب^(٤) يديه لقريب ونازح الدار نائى
ليس يعطيك للرجاء ولا الخو ف ولكن يلذ طعم العطاء
يسقط الطير حيث ينتشر الحب وتفشى منازل الكرماء
لايهاب الوغى ولا يعبد الما ل ولكن يهينه للشقاء
أرحى^(٥) له يد عطر النيب — سل^(٦) وأخرى سم على الأعداء

كان بشار الطخارى^(٧) مكبوتا أيام الأمويين يكتم ما في نفسه من العصبية
نصومه في (طخارستان) الأفغانية ، أما في العصر العباسي عصر انتصار العنصر
الآرى العجمي من الأفغان والفرس فإن شعوره بالعصبية الآرية الطخارية يتحول
إلى المظهر القومي جهرا دون خوف أو تردد ، وبدأ يفاخر العرب جهرا بماضى
قومه التليد في (طخارستان) الأفغانية ، وتصور هذه النزعة القومية عندة تصويرا

(١) المختار من شعر بشار للخالدين ص ٧٧ .

(٢) الديوان : ١١١/١ ، والأغاني : ١٨٩/٣ .

(٣) حراج السماء : الغيث .

(٤) السيب : العطاء .

(٥) أرحى : كريم يهتز للندى .

(٦) النيل : العطاء .

(٧) أحمد فريد رفاعى : عصر المأمون ٢/٢٥٣ ، طبعة القاهرة ١٣٤٦ هـ = ١٩٢٨ م .

دقيقاً، قضيدته التى يقول فيها^(١) :

هل من رسول مخبر عنى جميع العرب

ثم لا أدخل فى بيان ما امتاز به الشاعر الطخارى من الأغراض والفنون الشعرية ، فقد قام عدد كبير من الأدباء والعلماء بدراسة ذلك وإنما أريد بيان الموطن الذى ينتمى إليه بشار الطخارى ، وذلك قبل انتقال أسرته إلى دار الخلافة .

طخارستان = تخارستان = تخار^(٢)، موطن أسرة بشار بن برد :

تخار : إحدى الولايات الأفغانية فى أفغانستان الشمالية اليوم حاضرتها مدينة (تالقان = الطالقان) فى الوقت الحاضر ، وكانت مدينة (قندس) هى العاصمة المركزية لإمارة (طخارستان = تخار) أيام أن كان الملوك (التجانية = تكيان) يحكمون هذه الإمارة الأفغانية قبل الإسلام ، وبعد سقوط الدولة اليفتلية (دولة الهياطلة) عاصمة ولاية (طخارستان = تخار) تبعد عن كابل العاصمة الأفغانية اليوم بحوالى ٤٠٣ كيلومترات . و (طخار = تخار) فى الأصل اسم إحدى القبائل السبئية القديمة التى انتشرت فيما بعد فى جميع أنحاء أفغانستان . ويقول البلاذرى إن قيس بن الهيثم هو الذى فتح (طخارستان) الأفغانية صلحا أيام ولاية عبدالله بن عامر فى خراسان فى عهد خليفة المسلمين عثمان بن عفان رضى الله عنه^(٣) .

وقد أخرجت (طخارستان = تخار) عددا من العلماء والأدباء والكتاب المشهورين فى العلوم الإسلامية والأدبية والقنية ، منهم : صاحب بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ هـ = ٩٩٥ م ، وكان أصله من مدينة (الطالقان) حاضرة

(١) الأصفهاني : الأغاني ١٦٢/٣ ، وعبد الطاهر بن عاشور : مقدمة ديوان بشار بن برد ٣٧٧/١ ، طبعة دار المعارف بمصر .

(٢) پوهاند غبيلحي حبيبي : تاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ١٠٩/١ ومجموعة إحصائى وزارة التخطيط ص ١٤ الجدول رقم : ١٠ .

(٣) فتوح البلدان ص ٥٥٥ .

(طخارستان) ومحمد بن محمد الطالقاني المتوفى سنة ٤٦٣ أو ٤٦٦ هـ = ١٠٧٠ أو ١٠٧٣ م وأبو علي بن عبدالرحمن بن محمد السمنكاني المتوفى سنة ٥٥٢ هـ = ١١٥٧ م ، و (سمنكان) كانت بلدة من (طخارستان) أما الآن فهي ولاية مستقلة من الولايات الأفغانية ، وقد استوطنتها طائفة من عرب تميم بعد الفتح الإسلامي . وأبو الحسن الطالقاني من علماء الفقه الحنفي . والشاعر العربي الشهير بشار بن برد الطخاري .

حسين بن الضحاك الخليع^(١) :

أبو علي حسين بن الضحاك بن ياسر الشهير بالخليع من شعراء العجم بالعربية ، أصله من خراسان ، ولد بالبصرة سنة ١٦٢ هـ = ٧٧٩ م ومات في بغداد سنة ٢٥٠ هـ = ٨٦٤ م ، وكان في شببته يصاحب شاعر الخمریات أبانواس وهو مثله يحسن الخمریات والمجون ، ومن هنا لقب بالخليع .

نفاه المأمون من بغداد لاشتهاره بمدح الأمين ، فعاش في البصرة طوال عصر المأمون ، ثم عاد إلى بغداد بعد وفاته حينما استقدمه الخليفة الجديد المعتصم من البصرة ، وفي أواخر حياته أكرمه المنتصر ، وكان يقول له : إن في بقائك بهاء الملك ، وأما سبب ذلك الاحتقار وهذا الإكرام فهو عدم مبالاته في رعاية شعور من يتصل بهم من الممدوحين الأمر الذي كان يسبب له حيرة من أمره عند تقلب الأوضاع السياسية في الخلافة^(٢) .

وقد جزع بشدة حين توفي الأمين ، فرثاه بمرارة باكيا عليه بكاء حارا شديدا^(٣) :

هلا بقيت لسد فاقتنا أبدا وكان لغيرك التلّف
فلقد خلقت خلقتنا سلفوا ولسوف يعوز بعدك الخلف

(١) الدكتور أحمد فريد رفاعي : عصر المأمون ٢٦٥/٣ - ٢٧٧ ، وتاريخ أفغانستان بعد ازاسلام : ٨١٩/١ ، ومعجم الأدباء ٥/١٠ .

(٢) الأصفهاني : الأغاني ١٤٦/٧ وشنرات الذهب ١٢٣/٢ ، وتاريخ بغداد ٥٤/٨ ، وتاريخ أفغانستان بعد ازاسلام : ٨١٩/١ .

(٣) الدكتور أحمد فريد رفاعي : عصر المأمون ٢٦٧/٣ ، طبعة القاهرة سنة ١٣٤٦ هـ .

ولما تولى المنتصر الخلافة العباسية هناك بقصيدة رائعة قال فيها :

هَنَّتْكَ أمير المؤمنين خلافة جمعت بها أهواء أمة أحمد

فأعجب المنتصر بالقصيدة ، وقال له : إن في بقائك بهاء الملك كما مر آنفا .

له شعر كثير في الغزل رائع التصوير ، عذب الأسلوب ، حلو الألفاظ ، لذيذ الأنغام ، سهل الطيران ، ينمو من الأصل الذي ينتمى إليه ، ومن فصاحته العربية الأصيل . قال أبو نواس : جاءني محمد بن العلاء ، وكنت أتعشقه ، وفي يده نرجس ، فجلسنا نشرب ، ومعنا حسين بن الضحاك ، وطلع القمر ، فقلت له يا حسين أيهما أحسن القمر أم محمد ؟ فأطرق ساعة ثم قال : اسمع جواب الذي سألت عنه^(١) :

وصف البدر حسن وجهك حتى خلت أنى - ومأراك - أراكا
 وإذا تنفس النرجس الغض توهته نسيم شذاكا
 وأخال الذي لثمت أنيسى وجليسى ما باشرته يداكا
 فإذا لثمت لثمتك فيه فكأنى بذلك قبلت فاكا
 تحذع للمنى تعللنى فى لك بإشراق ذا ونفحة^(٢) ذاكا
 لأقيم^(٣) ما حيت على الشك ر لهذا وذاك إذ حكيكا

فقلت له : أحسنت والله ماشئت !! .

لم أتمكن من تحديد المدينة الخراسانية التي تنتمى إليها أسرة الشاعر الخراساني الأفغاني حسين بن الضحاك ، ولكنه لا شك في خراسانيته يدل على ذلك مذهبه في الشعر الذي فيه شيء كثير من المزاج الآرى ... لكثرة عكوفه على الخمر ، والجون حتى لقب بالخليع^(٤) ، وحتى أصبح اسمه مقرونا باسم معاصره أبى نواس زعيم الماجنين والمخامرين في العصر العباسي . ويلاحظ أن حسين الخليع لم يفاخر في شعره بأعجميته الخراسانية . وكان يظهر بشيء من الحشمة المصطنعة في مجونه ،

(١) الأصفهاني : الأغاني ١٦٩/٧ .

(٢) وفي قول آخر : بهجة بدل نفحة .

(٣) وفي قول آخر : لأدمن يا حبيبي على الود .

(٤) الدكتور أحمد فريد رفاعي : عصر المأمون ٢٦٦/٣ ، طبعة القاهرة عام ١٣٤٦ هـ = ١٩٢٨ م .

يعيش في أوساط الخلفاء والوزراء والأمراء الارستقراطية ، وليس معنى ذلك أن الحسين بن الضحاك كان أقل من أستاذه أئى نواس في المجون والشغف به وبالخمر ، لأنه كان مقتوناً بالخمر فتنة أجداده الآرين بالمشروبات الروحية كمشروب (السوما) المقدس الذى أصبح فيما بعد إلها مقدسا من الآلهة الآرية العديدة أيام الجاهلية الأفغانية الآرية القديمة .

مروان بن سليمان الخراسانى^(١) :

هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أئى حفصة ، كان أصله من العجم كبشار الطخارى ، وإسحاق الصغدى ، وخلف الأحمر ، والحسين بن الضحاك الخليع وغيرهم من الكتاب والأدباء الذين جاء ذكرهم في هذا الكتاب ، وقد كان جد أبيه أبو حفصة يهوديا خراسانيا . وقد ولد مروان الخراسانى سنة ١٠٣ هـ = ٧٢١ م ، وكان أبوه شاعرا أيضا ، وعاش في (الإمامة) حيث كان أبوه عامل خراجها أيام مروان بن الحكم الأموى . وقد اشتهر بمدح المهدي ، وكان كلما قدم بغداد لمدح الخليفة يراجعه ويرأوده حنين شديد إلى البادية ، فيرجع إلى (الإمامة) سريعا بعد أن يفرغ من مدح الخليفة ، شأنه في ذلك شأن البدوى الأصيل الذى يلح عليه الحنين إلى البادية وأهلها ، وقد قتله بعض الشيعة سنة ١٨٢ هـ = ٧٨٩ م لأنه انتقص أهل البيت في شعره .

مدح الخليفة بقصيدة طويلة وصف فيها ناقته التى كانت مطيته ، والقيافى الشاقة من (الإمامة) إلى باب الخليفة في بغداد ، ثم جاء أبو العتاهية فأنشد الخليفة بيتين من الشعر ضعضع بهما شعر مروان الخراسانى ، فسوى الخليفة بينهما في الجائزة ، فازداد بذلك أسفه وكآبته .

هذه القصة الأدبية ، وهذه القصيدة التى أنشدها أمام الخليفة يدل على أنه كان يذهب في شعره مذاهب الأوائل من الشعراء العرب ، ومن هنا نرى بعض اللغويين ، والأدباء يفضلونه على غيره ، ومن هنا نرى محمد بن الأعراى يختم به

(١) يوهاند عبدالحى حبسى : تاريخ أفغانستان ٨٢٢/١ ، والأصفهاني : الأغاني ٤٩/٩ ، وابن جنى : الخصائص ٣٣٠/١ .

الشعراء ، ويصرف النظر عن غيره من الشعراء^(١) .

ومن ظريف مديحه قوله في معن بن زائدة الشيباني يصور سيادته وشرفه وكرمه وشجاعته :

معن بن زائدة الذي زيدت به شرفاً إلى شرف بنو شيبان
إنَّ عُدَّ أيامُ الفَعَالِ فإنما يوماً يوم ندىَّ ويوم طعانِ
وقد ظل يمدحه حتى مات سنة ٢٥٢ هـ = ٧٦٩ م ومن رائع تأيينه له
لاميته المشهورة ، وفيها يقول معبرا عن حزنه العميق ، وأساه الشديد :

أقمنا باليمامة بعد معن مقاما لا نريد له زبالا
وقلنا أين نرحل بعد معن وقد ذهب النوال فلا نوالا
ويقول في الغرض نفسه في تأيينة أخرى :

قل للمنية لا تبقى على أحد إذ مات معن فما ميث بمفقود
ولما مات المنصور ، وولى المهدي بعد وفاته ، وفد عليه ومدحه مديحا لم
يكن عاديا بل بالإضافة إلى مدحه بالكرم والشجاعة والخلال الكريمة كان مديحا
سياسيا إذ قصد فيه وعمد إلى الدفاع عن حقوق العباسيين في الخلافة^(٢) ، حيث
يقول :

هل نطمسون من السماء نجومها بأكفكم وتسترون هلالها
أو تحجدون مقالة عن ربكم جبريل بلغها النبي فقاها
شهدت من (الأنفال) آخر آية يثرائهم فأردتم إبطاها

العباس الخراساني^(٣) :

وهو العباس بن الأحنف الخراساني ، وهو من أولاد العرب المستوطنة في خراسان
هؤلاء الذين اختلطوا اختلاطا مزجيا قويا بالعجم ، ولعل قريحته الغزلية في الشعر كانت

(١) الخصائص ١/ ٣٣٠ .

(٢) العصر العباسي الأول ص ٢٩٨ .

(٣) تاريخ أفغانستان بعد أراسلام : ٨٢٣/١ .

ميراثاً عن أجداده الخراسانيين^(١) .

إن العباس الخراساني من أشهر شعراء الغزل في العصر العباسي وهو شاعر مطبوع بديع الطبع ، لطيف الحس ، صحيح الذهن ، مرهف الشعور ، يذهب في الفن مذهب عمر بن أبي ربيعة . نشأ شاعرنا العباس الخراساني في بغداد ، وترى فيها ، ونادم هارون الرشيد ، ولازمه في بعض غزواته ، توفي سنة ١٩٢ هـ = ٨٠٨ م وقيل سنة ١٩٨ هـ = ٨١٣ م ، وكانت وفاته في بغداد ، وقيل في البصرة ، وقيل في الصحراء .

لا يكدأ يوجد له شعر في غير الغزل^(٢) ، كان العباس شاعرا غزلا مطبوعا ، وله مذهب حسن ، ولد يباحة شعره رونق ، ولعانيه عذوبة ولطف ولم يكن يتجاوز الغزل إلى مديح ، ولا هجاء ، ولا يتصرف في شيء من هذا المعاني ، ولقد قدمه أبو العباس المبرد في كتاب (الروضة) على نظرائه وأطنب في وصفه ، وقال : رأيت جماعة من الرواة يقدّمونه ، وقال : كان العباس من الظرفاء ، ولم يكن من الخلقاء ، وكان غزلا ، ولم يكن فاسقا ، وكان ظاهر النعمة ، ملوكي المذهب ، شديد الترف ، وذلك بين في شعره ، وكان قصده الغزل ، وشغله النسيب ، وكان حلوا مقبولا ، غزلا غزير الفكر ، واسع الكلام كثير التصرف في الغزل وحده ، ولم يكن هجاء ولا مدحا^(٣) .

وأكثر غزله يدور حول جارية فاتنة تسمى (فوز) وله فيها شعر كثير ، وغزل وفير ، من مثل قوله :

الحبُّ أول ما يكون لجاجة	تأقّى به وتسوقه الأقدارُ
حتى إذا سلك الفتى لججَ الهوى	جاءت أمورٌ لا تُطاق كِبَارُ
تَزَفُّ البكاء دموعَ عينك فاستعير	عيناً لغيرك دمعها مدرارُ
من ذا يُعيرك عينه تبكى بها	أرأيتَ عينا للبكاء تعارُ

وهو في هذا ومثله يصف حبا لا يحمد أواره ، وذلك بعد ماتعلق قلبه بها ، وأخذ يصور شكواه وتضرعه ، وماولعته من نيران العشق في قلبه وله من رسالة شعرية رائعة أرسلها إليها :

(١) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ٢٣/٢ .

(٢) أحمد فريد رفاعي : عصر المأمون ٣٩٣/٢ - ٣٩٩ .

(٣) أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ٣٥٢/٨ ، ٣٤٣/١٦ - ٣٤٥ طبعة دار الكتب المصرية .

أزَيْنَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ أَجِيئِي دَعَاءَ مَشُوقٍ بِالْعِرَاقِ غَرِيبِ
كَتَبْتُ كِتَابِي مَا أَقِيمُ حُرُوفَهُ لَشِدَّةِ إِعْوَالِي وَطُولِ نَحْيِي
أَخْطُ وَأُحْمُو مَا أَخْطُ بِعَبْرَةٍ تَسَحُّ عَلَى الْقِرْطَاسِ سَحَّ ذَنْوِبِ
أَيَّا (فُورُ) لَوْ أَبْصَرْتَنِي مَا عَرَفْتَنِي لَطُولِ نَحْوِي بَعْدَكُمْ وَشَحْوِي
وَأَنْتِ مِنَ الدُّنْيَا نَصِيْبِي فَإِنْ أَمْتُ فَلَيْتَكَ مِنْ حُورِ الْجَنَانِ يَصِيْبِي
أَرَى الْبَيْنَ يَشْكُوهُ الْمَحْبُونُ كُلَّهُمْ فَيَارِبُ قُرْبٍ دَارَ كُلِّ حَبِيبِ

وقد ظل العباس بن الأحنف الخراساني يهتف باسمها وحبا ويتغزل بها غزلا عذرياً حتى وافته المنية ، وغزل العباس عُذْرِي طاهر نقي يمتاز بالعذوبة والجزالة اللفظية ، وبغزارة المعاني والخواطر ، ولم يتردد في خلاعة أُنَى نواس ومجونه الخليع . وفي هذا يقول ابن المعتز : (كان يتعاطى الفتوة على ستر وعفة وله مع ذلك كرم ومحاسن أخلاق وفضل من نفسه ، وكان جواداً لا يلبق درهما ولا يجبس ما يملك) .

على العكوك الخراساني (١) :

هو علي بن جبلة الملقب بالعكوك ، ولد سنة ١٦٠ هـ = ٧٧٦ م في بغداد وأصل أسرته من شيعة خراسان ، وكان أعمى بالولادة ، أو من صغره ، وقد اشتهر بمدح كل من القائدين أُنَى دلف القاسم بن عيسى العجلي ، وأُنَى غانم حميد ابن عبد الحميد الطوسي ، وقد غلا في مدحهما الأمر الذي أثار غضب المأمون عليه ، فأمر بإخراج لسانه من قفاه ، فأخرجوه ، ومات . وكانت وفاته سنة ٢١٣ هـ = ٨٢٨ م (٢) .

كان شاعراً - في قول الشعر - ماهراً ، وفناناً - في الفن - بارعاً ، وكان في اللون أسمر ، وفي الجسم غليظاً ، وقيل إن الأصمعي هو الذي لقّبه بالعكوك حسداً وحقداً ، ومعناه القصير السمين .

(١) يراجع : تاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٨٢٤/١ . والأعلام ٧٥/٥ ، وعصر المأمون ٤٣١/٢ ، والأغانى ١٠٠/٨ - ١١٤ ، وبيروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ٣٧/٢ ، وتاريخ بغداد للخطيب ٣٥٩/١١ ، وشذرات الذهب ٣٠/٢ .

(٢) العصر العباسي الأول للدكتور شوقي ضيف ٣٥١ ، وابن قتيبة ٨٤٠ ، وابن المعتز ١٧١ .

كان المعكوك أى الشاعر القصير الغليظ يجيد المدح إلى أبعد حدوده ، وكان يعرف كيف يتصرف بمعانيه داخل الألفاظ الرشيقة والكلمات العذبة ، ومن طريف معانيه قوله^(١) :

يأسو الذى يجرح أعداؤه وما لما يجرحه آس
وقوله أيضا :

كانهم والرماح شابكة أسد عليها أظلت الأجم
وقوله فى مديح أبى دلف القاسم بن عيسى العجلي^(٢) :

لو همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر
ولو أن خلق الله فى جسم فارس وبارزه كان الخلى من العمر
وله فيه أيضا^(٣) :

ملك تئذى أنامله كابلاج الثور عن مطيرة
مستهل عن مواهبه كابتسام الروض من زهرة
إنما الدنيا أبو دلف بين مغزاه ومحتضرة
فاذا ولّى أبو دلف ولت الدنيا على أثره

وله فى مدح أبى غانم حميد بن عبد الحميد الطوسى قوله^(٤) :

حميد يقاسم الدنيا بناقله وسيفه بين أهل النكت والدين
أنت الزمان الذى يجرى تصرفه على الأنام بتشديد وتلين
لو لم تكن كانت الأيام قد فنيث بالمكرمات ومات المجد منذ حين
صورك الله من مجد ومن كرم وصور الناس من ماء ومن طين

وكل ما قدمناه من التماذج الشعرية دليل براعته فى التصوير الفنى ، ووضع الشعر فى لغة سهلة ميسورة ، وفى ألفاظ عذبة ، وأساليب مؤنقة ، ولعل مزاجه

(١) العصر العباسى الأول ٣٥٤ ، طبع دار المعارف بمصر .

(٢) العصر العباسى الأول ٣٥٤ ، وشعر على بن جبلة ٥٥ ، دار المعارف بمصر .

(٣) العصر العباسى الأول ٣٥٣ ، وشعر على بن جبلة ٦٧ ، طبع دار المعارف بمصر .

(٤) العصر العباسى الأول ٣٥١ - ٣٥٢ ، شعر على بن جبلة ١١١ ، دار المعارف بمصر .

الْحَادِ دَقْعَهُ دَقْعًا إِلَى الْإِكْثَارِ مِنَ الْمُبَالَغَةِ فِي نَعْتِ مَمْلُوحِيهِ .

مروان بن محمد الخراساني^(١) :

مروان بن محمد الخراساني الأصل ، بصرى النشأة ، يقال إنه كان قبيح المنظر واللسان ، وطويل القامة ، وقد لقب لذلك بالشمقمق (الطويل) ومن هنا عاش فقيرا ، وعانى من متاعب الدنيا كثيرا ، قدم بغداد أيام الخليفة هارون الرشيد والبرامكة ، إلا أن الرشيد ووزرائه البرامكة لم يظهروا به ، ولعل هذا ما جعله يهجو الفضل بن يحيى البرمكى ، ومنصور بن زياد كاتب الرشيد ، ومن هنا نراه يتوجه إلى البلاد العجمية ، فيجد هناك محسنا ومسيقا ، فيمدح المحسن ، ويصب كأس غضبه على المسيء ، ويعود إلى بغداد كسيرا بائسا كل ذلك لخشونته وجفوته وطول لسانه ، وتعجله في اللوم والهجاء : فساءت حالته الاجتماعية والمالية معا ، واشتد هو ضيقا بالدنيا بما رحبت ، وعاش يتجرع الفاقة والجوع والبؤس الشديد .

وهو في مذهبه الشعري يذهب مذهب بشار بن برد الطخارى في الافتخار بآبائه وأجداده الأعاجم ، وفي فن الهجاء أظنه يفوق بشارا ، إذ ملأ أهاجيه بالفحش والألفاظ البذيئة ، حتى لنرى شاعرا مثل بشار يخشاه خشية ، ويخاف أهاجيه ، ولكي يكف عنه الشمقمق لسانه البذيء رتب له مائتى درهم في كل سنة كضريبة ، وأتاه مرة فلم يسرع بأداء الضريبة السنوية المفروضة عليه ، وبعد أن دار حوار بين الشاعرين بشار والشمقمق حول هذه الضريبة ، قال أبو الشمقمق يهجو بشارا :

إني إذا ما شاعر هجانيه ولجّ في القول له لسانيه
أدخلته في إست أمه علانية بشار يا بشار

وأراد أن يقول : (يا ابن الزانية) فوثب بشار فأمسك فاه وقال أراد أن يشتمنى ،

(١) المرزباني : معجم الشعراء ٣١٩ ، والخطيب : تاريخ بغداد ١٤٦/١٣ ، والأغانى ١٩٥/٣ ترجمة بشار ، والزركلی : الأعلام ٩٧/٨ ، وابن المعتز ١٢٦ ، والعقد الفريد ٣٥/٣ ، و ٢١٥/٦ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٨٢٥/١ .

ثم دفع إليه مائتي درهم ، وقال له : لا يسمعن هذا منك الصبيان ،
ياأبا الشمقمق .

وذات يوم قال له : يا أبا معاذ ، إني مررت بصبيان فسمعتهم يتشدون :

هللينه هللينه طعن قثاة لتينه
إن بشار بن برد تيس أعمى في سفينه

فأخرج إليه بشار مائتي درهم فقال : خذ هذه ولا تكن راوية الصبيان يا أبا الشمقمق .
فاضطر بشار بن برد الطخاري إلى أن رمى له الضريبة من الدراهم المعدودات
خشية من لسعة البديء .

إن أشعاره التي صور فيها بؤسه ، وفقره الشديدين قد مست قلوب الناس مسا
عميقا مؤثرا ، يقال : إن بعض إخوانه أراد أن يخفف عنه ما هو فيه من سوء الحال ، فقال
له : روى في بعض الأحاديث النبوية أن العارين في الدنيا هم الكاسون في يوم القيامة ،
فقال : ساخرا : إن كان - والله - ما تقول حقا ، لأكونن بزازا يوم القيامة ، ثم أنشد
قائلا :

أنا في حال تعالى اللـ ه رى أى حال
ليس لي شيء إذا قيمـ ل لمن ذا قلت ذال
ولقد أهرلْتُ حتى محت الشمسُ خيال
ولقد أفلسْتُ حتى حل أكلى لعيالى

ومن طريف هجائه قوله في بعض الثقلاء :

أسمجُ الناس جميعا كلهم كذبابٍ ساقطٍ في مرقه
وقوله في هجاء بخيل :

كفاه قُفْلُ ضاع مفتاحه قد يمس الحدادُ من فُتْحِهِ

ويصور حالة الطبقة العامة البائسة في بغداد ، التي كانت تكدح لتملأ
الطبقة الخاصة المترفة بطونها ، ويرمز إلى ذلك بتعاسة عياله ومن طريف تصويره
لذلك قوله :

ما جمع الناسُ لدنياهم أنفعَ في البيت من الخُبزِ
والخُبزُ باللحمِ إذا نلتَه فأنت في أمنٍ من التُّرْزِ^(١)
وقد دنا الفطرِ وصبيائنا ليسوا بذى تمرٍ ولا أرزِ
كانت لهم عَنزٌ فأودى^(٢) بها وأجدُّوا من لبنِ العَنزِ
فلو رأوا خُبْزاً على شَاهِقٍ لَأَسْرَعُوا للخُبزِ بِالْجَمْرِ^(٣)
ولو أطاقوا القفزَ مافاتهم وكيف للجائعِ بالقفْزِ

وعلى هذا النحو استطاع أبو شمعون أن يخلط تعاسته وتعاسة أولاده بتعاسة الطبقة العامة في بغداد ، وأن يرمز بذلك إلى هذا في براعة فائقة .

على بن الجهم السامي الخراساني^(٤) :

هو أبو الحسن على بن الجهم بن بدر السامي الخراساني ، المنسوب إلى قبيلة (سامه) العراقية التي هاجرت من العراق إلى خراسان أيام استيطان العرب هناك :

مذهبي واضح وأصلى خراسا ن وعزى بعزكم موصول

في شعره دقة ، وفي كلامه رقة ، وقد نال حظوة الخليفة المتوكل في بغداد ، ولما هجاه أو هجى أحد أعوانه ، حبسه ، ثم نفاه - لقبح هجائه - إلى خراسان وطنه ، وهناك تولى تعذيبه طاهر البوشنكي وإلى خراسان ، وصلبه وهو حي يوما كاملا ، ثم توجه بعد انتهاء مراحل التعذيب إلى الشام ، وفي طريق العودة من (حلب) إلى بغداد قتل في حرب مع قطاع الطرق من بنى كلب ، وكان ذلك سنة ٢٤٩ هـ = ٨٦٣ م . وقد ولد صاحبنا هذا على الغالب سنة ١٩٠ هـ = ٨٠٥ م .

(١) التُّرْز : الهلاك .

(٢) أودى بها : هلك .

(٣) الجمر : القفر .

(٤) يراجع :

ابن خلكان : وفيات الأعيان / ١ / ٣٥٠ ، ومحمد بن عمر المرزباني : معجم الشعراء ص ١٤٠ ، والخطيب : تاريخ بغداد ١١ / ٣٢٧ ، وأبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ١٠ / ٢٢٤ ، وعبدالله بن المعتز : طبقات الشعراء ١ / ١٥٢ ، وبيروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ٣٧ / ٢ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٨٢٥ / ١ .

وفي حبسه يقول لصاحبه^(١) :

قَالَتْ حُبِسْتُ فَقُلْتُ لَيْسَ بِضَائِرٍ أَوْ مَا رَأَيْتِ اللَّيْثَ يَأْلَفُ غِيْلَهُ ^(٣) وَالشَّمْسُ لَوْلَا أَنَّهَا مَحْجُوبَةٌ وَالْبَدْرُ يُذَكِّرُكَ السَّرَّارِ ^(٤) فَتَنْجَلِي وَالغَيْثُ يَخْصِرُهُ الْعَمَامُ فِيمَا يُرَى وَالنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا مَخْبُوءَةٌ وَالزَّاعِيَةُ ^(٧) لَا يَقِيمُ كَعُوبَهَا	حَبْسِي وَأَيُّ مُهَنْدٍ ^(٢) لَا يُعْمَدُ كَيْسَرًا وَأَوْبَاشُ السِّبَاعِ تَرْدُدُ عَنْ نَاطِرِيكَ لَمَّا أَضَاءَ الْفَرْقَدُ أَيَّامُهُ وَكَأَنَّهُ مُتَجَسِّدُ إِلَّا وَرَيْقُهُ ^(٥) يَرَّاحُ ^(٦) وَيَرْعَدُ لَا تُصْطَلَى إِنْ لَمْ تَنْهَ الْأَزْدَ إِلَّا الثَّقَافُ وَجَذْوَةٌ تَتَوَقَّدُ

وعندما أخذ صاحبا الشاعر على بن الجهم في خراسان إلى المكان الذي صلب فيه يوما كاملا ، وأمر فيه بخلع ملابسه ، أنشد قصيدة طويلة منها^(٨) :

ما عابه أن برّ عنه لباسه فالسيف أهول ما يرى مسلولا إن يُتَدَلَّ فالبدْر لا يُزْرَى به أن كان ليلةً يَمِّه مبدولا

وكتب إلى أخيه وهو في السجن^(٩) :

تضافرت الروافض والنصارى وعابوني وما ذنبى إليهم إذا ما عُدَّ مثلهم ^(١٠) رجالا عليهم ^(١١) لعنة الله ابتداءً	وأهل الاعتزال على هجائي سوى علمي بأولاد الزناء فما فضل الرجال على النساء وعودا في الصباح وفي المساء

(١) الديوان ص ٤١ - ٤٢ .

(٢) المهند : السيف .

(٣) الغيل : أجمة الأسد .

(٤) السرار : آخر أيام الشهر .

(٥) ريق الغمام : أوله .

(٦) تكرر معه الرياح والعواصف المطيرة ، من راح اليوم يراح ريحا : كان شديد الريح .

(٧) الزاعية : ضرب من الرماح الجيدة تنسب إلى رجل من الحزرج يقال له زاعب ، كان يعمل الأسنة .

(٨) ديوان على بن الجهم ١٧٢ ، طبع بيروت ، والعصر العباسي الثاني ٢٦٩ ، الطبعة الثانية .

(٩) ديوان على بن الجهم ٨٤ ، والعصر العباسي الثاني ٢٦١ ، الطبعة الثانية .

(١٠) مثلهم : في الأغاني (مثلكم) .

(١١) عليهم : في الأغاني (عليكم) .

يقولون : فى أحد صباح أيام الربيع ، بينا كانت السحابة تغطى وجه السماء ، وكانت السماء المغطاة بالسحاب تمطر رويدا رويدا ، وبلطف ورقة ، دخل شاعرنا على بن الجهم على عبدالله بن طاهر البوشنكى ، وأنشد أمامه (١) :

أما ترى اليوم ما أحلى شمائله صحو وغيم وإبراق وإرعاد
كأنه أنت يامن لا شبيه له وصل وهجر وتقريب وإبعاد
فباكر الراح واشربها مُعْتَقَةً لم يدّخر مثلها كسرى ولا عاد
واشرب على الأرض إذ لاحت زخارفه زهرٌ ونورٌ وأوراق وأوراد
كأنما يؤمّننا فعلُ الحبيب بنا بذل ويخل وإبعاد وميعاد
وليس يذهب عنى كلّ فعلكم رشد وغى وإصلاح وإفساد

فقال من عبدالله بن طاهر البوشنكى ثلاثمائة دينار ، وحمله وخلع عليه ، وأمر بأن يغنى فى الأبيات .

وكانت الصداقة والمودة بين كل من شاعرنا على بن الجهم والشاعر العربى أبى تمام الطائى قوية خالصة حيث صوّرها هذا الأخير تصويرا رائعا جميلا ، وذلك يقوله (٢) :

أو يختلف ماء الوصال فماؤنا عذب تحدر من غمام واحد
أو يفترق نسب يؤلف بيننا أدب أقمناه مقام الوالد

وأشعار على بن الجهم مقسمة بين الهجاء والمدح والغزل والثناء والاستعطاف والوصف والفخر والحكمة ، وأكثر مدائحها فى المتوكل إذ كان قد تحول إلى ما يشبه أداة الإعلام له ، يقوم بالدعاية له ، ويدافع عنه فى أشعاره (٣) :

به سلم الإسلام من كل ملحدٍ وحلّ بأهل الزينغ قاصمة الظهر

(١) الأغاني : ٢٢٤/١٠ ، وتجريد الأغاني لابن واصل الحموى ، القسم الأول ، الجزء الثالث ١٢٠١ ، القاهرة ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م .

(٢) ديوان أبى تمام ٤٠٧/١ ، والعصر العباسى الثانى ٢٥٧ .

(٣) الديوان ص ٢٢٢ .

النثر الفني :

على سنن من طبائع الحياة ، بدأ النثر يتطور تطوراً واسعاً ، إذ تهيأ له المجرى عن طريقين :

- ١ - طريق النقل والترجمة ، وقد عنى بها البرامكة وزراء العباسيين إلى حدود بعيدة ، كما عنى بها أفراد مختلفون آخرون بتشجيع من وزراء العباسيين من البرامكة وغيرهم ، كل ذلك كان بتشجيع عظيم من الخلفاء العباسيين أنفسهم .
- ٢ - طريق الإسلام ، وقد دخلت شعوب هذه المنطقة ، واعتنقت الإسلام وانتقلت إلى العربية بكل ماورثته من الفنون ، والآداب ، والعادات ، والتقاليد ، وغيرها من فنون الحضارة ، وأنواع الثقافة .

وبهذين الطريقين الهامين تحولت الثقافات والفنون الآرية والهندية واليونانية إلى اللغة العربية ، واستقرت في القوالب الأدبية والفنية العربية مما ساعد على تطوير النثر العربي تطوراً لم يسبق له مثيل ، وقد أظهر النثر العربي مرونة واسعة ، واتسع صدره لكل هذه الفنون والآداب ، وأصبح كمجرى نهر كبير لها ، وحتى للفلسفة والعلوم الأخرى ، إذ سرعان ما صبت كلها في قوالب عربية مناسبة . وكان هذا إيذاناً بتعدد ألوان النثر العربي ، وفروعه من النثر العلمي ، والنثر الفلسفي ، والنثر التاريخي ، وحتى النثر العربي الفني بدأ يتأثر تأثراً عميقاً باللغات الأجنبية ، وبأساليبها وملكاتهما . ولم يقف النثر العربي عند هذا الحد ، بل انبرت العبقرية العربية تضع العلوم اللغوية والشرعية في قواعد علمية ثابتة ، الأمر الذي ساعد على تيسير اللغة العربية ، وجعلها لغة علمية ، ترسم المعاني ، والقوالب رسماً دقيقاً للفنون والآداب ، والعلوم بجميع أنواعها ، وألوانها . كل ذلك كان له آثار بعيدة المدى في النثر العربي وألوانه المختلفة ، امتدت إلى استحداث أسلوب مولد جديد ، احتفظ للغة العربية بمقوماتها ، ووضحها ، وحرص على الأداء البليغ تقبله الآذان ، والقلوب تقبلاً حسناً جميلاً - وهو أسلوب قام على هجر الألفاظ الجافة البدوية البعيدة عن الذوق الحضري كما ارتفع عن استعمال الألفاظ المبتذلة العامة ، بجانب عنايته بفصاحة اللفظ ، وجزالته ورسائله ، واتخذ لنفسه أصولاً بيانية رائعة تشبع فيه الرونق ، والجمال والروعة والجلال . وبذلك تحولت الدواوين في هذا العصر إلى ما يشبه مدارس بيانية ، إذ كان من الضروري للشبان الذين كانوا يعملون فيها من أن يتقنوا صياغة الكلام ، بحيث

لا يدخله ضعف ، ولا ابتذال ، ولا يعلو على أفهام الناس ، وكل ذلك معناه أن النثر تهيأت له أسباب كثيرة ومتنوعة ليزدهر ، وينمو ، وليستوعب العلوم محتفظا بطوابعه العربية الأصيلة .

لا أريد إطالة الحديث عن النثر الفنى ، وألوانه وفنونه المختلفة ، وأساليب تطويره ، وطرق تحوله ، ومجراه ، هذا التحول والمجرى الذى نراه عليه فى هذا العصر ، ذلك لأن الفصل خاص بمشاهير (أفغانستان = خراسان) الذين ساهموا مساهمة عظيمة فى هذا المجال الأدبى العظيم ، ومع هنا أرائى أبدأ بالأعمال الأدبية والعلمية العظيمة التى قام بها هؤلاء المشاهير من علماء ، وكتاب ، وأدباء أفغانستان الخراسانية ، وفى ميادين الإنتاج الأدبى ، والترجمة والنقل ، تلك الأعمال الجبارة التى أثرت فى الأدب العربى عامة والنثر خاصة .

بديع الزمان^(١) :

هو أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذانى ، ولد سنة ٣٥٨ هـ = ٩٦٩ م . وفى سنة ٣٨٠ = ٩٩٠ م سافر إلى (جرجان) وانتقل منها فى سنة ٣٨٤ هـ = ٩٩٤ م إلى (نيسابور) ولقى بها (الخوارزمى) وهو فى ذروة شهرته ، وبعد مناظرات أدبية بينهما قام بجولة فى ربوع (سيستان = سيجستان) الأفغانية ، وفى جميع أنحاء (أفغانستان = خراسان) ولعله استقر به أخيرا المكان فى غزنة الأفغانية ، وقد توفى سنة ٣٩٨ هـ = ١٠٠٧ م فى مدينة (هرات) الأفغانية .

مقاماته^(٢) :

يرجع الفضل إليه فى ابتكار فن المقامات فى الأدب العربى وقد بقيت لنا من مقاماته الأدبية اثنتان وخمسون مقامة ، أكثرها مختلفة المعانى ، والأغراض متحدة

(١) الثعاللى : اليتيمة ١٩٥/٤ - ٢٥٦ تحقيق محمد محى الدين عبدالحمد ، وابن خلكان : وفیات الأعيان ٤٧/١ - ٤٨ ، والذهبي : تذكرة الحفاظ ٢١٧/٣ ، وياقوت : معجم الأدباء ١٦١/٢ - ٢٠٢ ، وابن كثير : البداية والنهاية ٣٤٠/١١ .

(٢) فن المقامات بين المشرق والمغرب : الدكتور يوسف نور عوض طبعة بيروت عام ١٩٧٩ م .

فى القالب الأدى ، والأسلوب الفنى ، ففى المقامة الأولى من مقاماته يصدر أحكامه النقدية فى المفاضلة بين الشعراء القدامى والمحدثين ، وفى المقامة الرابعة عشرة يقوم بعقد موازنة أدبية بين الحافظ وابن المقفع ، وفى مقامته الخامسة عشرة يحكى حديث عدد من المجانين فى التحامل والتهاجم على المعتزلة وفى المقامة الخامسة والعشرين يقوم بتقديم نماذج من لحن القول عند المباشرة والجماع ، وفى المقامة الثلاثين يصور مساجلة عقدها سيف الدولة فى وصف الفرس وفى المقامة الحادية والثلاثين يحكى المحتالين الساسانيين ، ويعرض الحكم الإسكندرى فى مقامته الثانية والأربعين ، والمقامة الثانية والخمسون تشتمل على قصة طريفة من حياة البدو .

ومنها ست مقامات فى مدح ولى نعمه : خلف بن أحمد أمير (سيستان = سجستان) الأفغانية .

وبديع الزمان يصرح فى إحدى رسائله ، ويفتخر بأنه قام بتصنيف أربعمئة مقامة أدبية .

رسائله :

أما رسائل بديع الزمان الهمداني التى يبلغ عددها إلى مائتين وثلاث وثلاثين رسالة فأكثرها فى مسائل أدبية ، وفى علاقاته الخاصة . وتوجد مخطوطة فى القاهرة : ثانى ١٥٩/٣ .

شعره :

بديع الزمان الهمداني يجمع بين الكتابة ، والرسالة ، والشاعرية ، أما شعره فليس إلا كلاما منظوما مزخرفا على الصنعة اللفظية ، وأنواع البديع . وديوان شعره المخطوط موجود فى (باريس) أول ٢١٤٧ رقم ٢ . ونشره محمد شكرى المكى فى القاهرة سنة ١٣٢١ هـ = ١٩٠٣ م .

بديع الزمان في أفغانستان :

ترك بديع الزمان مدينة (نيسابور) واتجه إلى أفغانستان فذهب أول ما ذهب إليه من المدن الأفغانية مدينة (زرنج) عاصمة (سيستان = سجستان) إحدى الولايات الأفغانية اليوم ، وكان أميرها في ذلك الوقت الرجل العالم ، والأديب الفاضل الأمير خلف بن أحمد ، فرحب ببديع الزمان بكل ترحيب ، ولقى منه كل تكريم وإجلال احتراماً لأدبه ، وفضله ، وعلمه ، ولأجل ذلك أهدى بديع الزمان مقاماته الأدبية إلى هذا الأمير الفاضل^(١) ومدحه بقصيدة مطلعها^(٢) :

سماء الدجى ما هذه الخدق النحل أصدر الدجى حال وجيد الضحى عطل
لك الله من عزم أجوب جيوه كأتى في أجفان عين الردى كحل

وأغلب الظن أن إقامة بديع الزمان^(٣) في (سيستان = سجستان) الأفغانية قد طالت لما عرف عن أميرها الفاضل من حب وتقدير وتشجيع للأدباء والشعراء والعلماء ، وفي هذه المدة قام بإنشاء ست مقامات من مقاماته الأدبية التي انشأ الجزء الأكبر منها في (نيسابور) الخراسانية . وهذه المقامات الست كلها في مدح الأمير خلف بن أحمد أمير (سيستان = سجستان) الأفغانية .

وفي المقامة الناجية يحال بديع الزمان احتيالا موقفا لكي يمدح خلف بن أحمد أمير (سيستان) فيقول^(٤) :

سجستان أيتها الراحلة وبحرا يوم المنى ساحله
ستقصد أرجان أن زرتها بواحدة مائة كامله
وفضل الأمير على ابن العميد كفضل قريش على باهله

وقد ترك لنا بديع الزمان في ديوان رسائله تراثا وافرا من الأدب الرفيع انطبعت فيه عواطفه ، وانعكس عليه وجدانه ، والموضوعات التي تناولها بديع

(١) دائرة المعارف الإسلامية - الطبعة العربية - مجلد ٤ ص ٤٧٢ .

(٢) التعليل : يتيمة الدهر ٣٠٠/٤ تحقيق محمد محى الدين عبدالحمد .

(٣) الدكتور مصطفى الشكعة : بديع الزمان المهنائي رائد القصة العربية ١٨٥ .

(٤) المرجع السابق ص ٣٤٦ .

الزمان في رسائله كثيرة فيها مدح ، واستجداء ، وهجاء ، وعتاب ، وعزاء ،
وشكوى وتهنئة وغيرها من الموضوعات العامة والخاصة . وقد مدح الأمير خلف
ابن أحمد وهو في (سيستان = سجستان) الأفغانية ، كقوله يمدح الأمير خلف
ابن أحمد ويصف كرمه :

(..... جزى الله هذا الملك السيد أفضل ما جازى مولى عن عبده ومخدوما عن
خدمه ، ومنعما عن نعمه ، فلو أن البحر مدده ، والسحاب يده ، والجبال ذهبه
لقصرت عما وهبه ، حقا أقول أن التمرة بالبصرة أقل خطرا من البدرة بهذه
الحضرة ، ولا أراها تحمل إلى المنتجعين إلا تحت الذيل في جتح الليل ولا شيء أكثر
وجودا من الدينار بهذه الديار)^(١) .

وله رسائل أخرى رائعة في مدح الأمير خلف بن أحمد أمير (سجستان =
سيستان) الأفغانية ، وكلها من التراث العربي القيم الذى أنتجه في أفغانستان .

في غزوة الأفغانية :

غضب بديع الزمان من الأمير خلف بن أحمد ، فتوجه إلى غزنة عاصمة
الدولة الغزنوية في أفغانستان ، وذلك بعد أن وجه إليه هذه الرسالة الشديدة
اللهجة :

(كتانى أطال الله بقاءك ، وقد كنت نذرت أن لا أحاطب حضرته ، ثم
روى لى القاضى حديثا طرق إلى نقض ما نذرت ، وسمعت منشدا ينشد^(٢) :

لحا الله صعلوكا مناه وهمه من العيش أن يلقي لبوسا ومطعما

فقلت أنا معنى هذا البيت ، لأنى قاعد فى البيت ، آكل طيب الطعام ،
وألبس لين الثياب ، ويقاض علىّ بذل ، ولا يفوّض إلىّ شغل ، ويمألى وطيّ ،
ولا يدفع لى خطب ، وهذا والله عيش العجائز ، والزمن العاجز^(٣) ، وكنت أيام

(١) - الرسائل ص ١٦٣ - ١٦٤ ، والثعالبي : يتيمة الدهر ٢٧٩/٤ تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد ،

والدكتور مصطفى الشكعة : بديع الزمان الممذاني رائد القصة ١٩٧ .

(٢) - الثعالبي : يتيمة الدهر ٢٦١/٤ ، تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد .

(٣) - الثعالبي : يتيمة الدهر ٢٦١/٤ ، تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد .

مقام الأمير أرى المسافة بين الرتب قريبة ، وأجدنى أولاً كالثانى ، وثانياً كالأول ، وأرى الآن ترتيباً جديداً ، وتفاوتاً بعيداً ، وكنت أحسبني متأخراً إذا شاء تقدم ، ومتواضعاً لو أراد تعظم ، ومسوداً لو زاحم من ساد لملك الوساد ، وأرانى اليوم محوجاً إلى التأخر ، ملجأً إلى التصغر) إلى أن يقول :

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاً ولم أطلب قليلاً من ﴿المال﴾

وهكذا يغادر بديع الزمان (سيستان = سجستان) إلى بلاد أخرى فى أفغانستان ، يجوب حواشها ، ويطوف فى ربوعها الفاتنة إلى أن يصل (غزنة) عاصمة السلطان محمود الغزنوى ، وكان السلطان محمود يهوى لقاء الأدباء ، والعلماء ، ويشجعهم على الإقامة عنده ، فرحب بديع الزمان فى بلاطه ، فعاش فى كنف السلطان الغزنوى محمود الزابلى فى مدينة (غزنه) فى قلب أفغانستان عيشة رخيّة هنيئة ، ومدحه بقصيدة مطلعها (٢) :

تعالى الله ماشاء وزاد الله إيمانى
أفريدون فى التاج أم الإسكندر الثانى

وله رسالة قيمة كتبها فى هزيمة السامانيين فى (سرخس) التى لحقت بهم فى سنة ٣٨٩ هـ = ٩٩٨ م . ويحتمل أن يكون بديع الزمان قد اتصل بالسلطان محمود فى هذه السنة أو قبلها بقليل .

وكتب بديع الزمان فى فتح (بهاضية) (٣) التى أختضعها السلطان محمود الزابلى :

(.....) (٤) ولم ينطق التاريخ بما كان ، ولا الوحى بما يكون ، لأن الله تعالى

(١) : الرسائل : ١١٥ - ١١٦ ، ومصطفى الشكعة : بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية ص ١٨٦ طبعة القاهرة .

(٢) : الثعالى : بتيمة الدهر ٢٩٦/٤ ، ويراون : تاريخ الأدب فى إيران .

(٣) : وردت فى الكامل لابن الأثير ١٣٠/٩ طبعة ليدن باسم (بهاطية) وهى مدينة فى الهند فتحها السلطان محمود الغزنوى سنة ٣٩٥ هـ = ١٠٠٤ م .

(٤) : الدكتور مصطفى الشكعة : بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية ص ٢٥٣ - ٢٥٤ ، ورسائل ألى الفضل بديع الزمان الهمذاني ٩ - ١٠ .

خص أحدا من عبادہ ، ليس النبیین ، بما خص به الأمير السيد یمن الدولة ، وأمین الملة ، ودون الجاحد - إن جحد - أخبار الدولة العباسية ، والمدة المروانية ، والسنین الحریة ، والبیعة الهاشمية ، والأیام الأموية ، والإمارة العدویة ، والخلافة التیمیة ، وعهد الرسالة ، وزمان الفطرة ، ولولا الإطالة لعددنا إلى عاد ، وثمود بطنا بطنا ، وإلى نوح وآدم قرنا قرنا ، ثم لم یجد قائل مقال إن ملكا وإن علا أمره وعظم قدره ، وكبر سلطانه ، وهبت ریحہ ، طرق الهند فأسر طاغیتها بسطة ملك ثم خلاه ، وعرض الأرض قوة قلب ، وصح سجستان وهی المدينة العذراء ، والخطة العوراء ، والطیة الفراء ، فأخذ ملكها أخذة عز وعنف ، ثم خلاه تخلية فضل ولطف ، ثم لم یلبث أن خاض البحر إلى (بهاضية) والسیل واللیل جنودها والشوك والشجر سلاحها ، والضّح والریح طریقها ، والبر والبحر حصارها ، والجن والإنس أنصارها ، فقتل رجالها ، وغنم أموالها ، وساق أفيالها ، وكسر أصنامها وهدم أعلامها ، كل ذلك فی فُسْحَةٍ من فسحات شتوة ، قبل أن یطرقتها الصیف توسطها السیف ، وهو الله مالک الملك یؤتی الملك من یشاء ، وینزعه ممن یشاء ، ثم حکمت علماء الأمة ، واتفق قول الأئمة ، إن سیوف الحق أربعة وسائرھا للنار سیف رسول الله فی المشركین ، وسیف أئی بكر فی المرتدین ، وسیف علی فی الباغین ، وسیف القصاص بین المسلمین ، وسیوف الأمير وفقه الله فی موافقه لا تخرج عن هذه الأقسام . فسيفه بظاهر (هرات) فیمن عطل الحد ، واتهم بأنه ارتد ، وسيفه بظاهر (غزنه) سد فی وجه العقوق ، نوعا من الکفر والفسوق ، وسيفه بظاهر (مرو) فیمن نقض العهد بعد تغلیظه ، ونبذ الیمن بعد تأکیده وسيفه بظاهر (سجستان) فیمن نبه الحرب بعد رقودها ، وخلع الطاعة بعد قبولها وسيفه الآن فی دیار الهند ، سیف قرنت به الفتوح ، وأثنت علیه الملائكة والروح واختص بفضلہ الإمام ، واشترك فی خیره الأنام ، وأرخت بذکره الأيام ، وأحفیت بشرحه الأقلام ^(١) .

فی هرات الأفغانیة :

غادر بدیع الزمان (غزنه) لأسباب غیر معروفة وفی تاریخ غیر معروف

(١) الرسائل ص ٩ - ١٠ وبدیع الزمان الحماني رائد القصة ص ١٥٤ - ١٥٥ .

على وجه التحديد ، إلا أنه غادرها على كل حال متجها إلى مدينة أفغانية أخرى من مدن أفغانستان القديمة ، وهى مدينة (هرات) ويبدو أن طبيعة (هرات) وجمالها ، وفناتها الفطرية ، وخيراتها الوفيرة ، قد استهوت ، فأقام فيها ، وتزوج من ابنة ألى على الحسين بن محمد الحشنامى أحد سادة (هرات) المشهورين ومن أعيانها الفضلاء ، فحسنت حاله ، واقتنى مالا وضياعا ، وأنجب أولادا .

و (هرات) الأفغانية بلدة جميلة ذات زروع وزهور ، شأنها فى ذلك شأن بقية البلاد الأفغانية ، وكانت إلى جانب ذلك تتماز بأنها طريق للتجارة بين الشرق والعراق ، ولا تزال كذلك إلى يومنا هذا ، فهى عاصمة لولاية كبيرة من ولايات أفغانستان . وبديع الزمان رجل فنان بطبعه فلا عجب أن اختارها دارا لإقامته فى حياته ، ومنامه بعد مماته^(١) .

وفاته فى (هرات) الأفغانية :

اتفق المؤرخون على أن بديع الزمان الهمداني قد توفى فى مدينة (هرات) الأفغانية سنة ٣٨٩ هـ = ٩٩٨ م . ويذكر ابن خلكان رأيين اثنين فى وفاته ...
الرأى الأول : أنه مات مسموما^(٢) . والرأى الثانى : ويشاركه فيه كثيرون من المؤرخين فهو أنه أصيب بغيبوبة طويلة ، فظن الناس أنه مات ، وعجلوا بدفنه ، فأفاق فى قبره ، وسمع صوته فى الليل ، فنبشوا عليه فوجدوه ميتا من هول القبر وقد أمسك لحيته بيده^(٣) . وهكذا ودع الحياة أديب شاب خلد ذكره بآثاره الرائعة بعد أن أسدى إلى اللغة العربية ، وأمتة الإسلامية تراثا قيما مجيدا من درر الشعر العربى ، وجواهر من النثر العربى بين قصة طريفة أو مقالة بليغة ، أو مقامة عجيبة .

ولبديع الزمان رسائل أخرى عديدة فى (هرات) الأفغانية وشعونها العامة ، من هذه الرسائل رسالة كتبها بديع الزمان فى شأن أحد الحكام فى (هرات) وقد صدر أمر بنقله إلى جهة أخرى فى أفغانستان ، فكتب بديع الزمان إلى السلطان

(١) دكتور مصطفى الشكعة - بديع الزمان الهمداني ص ٥٦

(٢) وفيات الأعيان ٦٨/١ .

(٣) شذرات الذهب لابن العماد ١٥٠/٣ .

يزكيه ويطلب استبقائه في (هرات) . وله رسالة أخرى رائعة كتبها يشكو من زيادة الضرائب المفروضة على أهل (هرات) ويصور فيها الغلاء والمجاعة في (هرات) في تلك الأيام . وله ثلاث رسائل أخرى كتبها في الموضوع نفسه ، ووجهها إلى الحكام والمسؤولين يطلب منهم العناية والرحمة بحال الناس في (هرات) .

وهذه الرسائل التي أنشأها بديع الزمان خلال قيامه في المدن الأفغانية وبخاصة في مدينة (هرات) في غرب أفغانستان ، في الواقع وحقيقة الأمر مقالات صحفية تهاجم الغلاء ، وتحارب الفساد ، والتعسف في فرض الضرائب الباهظة على الناس ، وهذه الرسائل الأدبية الفنية تعتبر مصدرا ومرجعا هاما للحياة الأدبية والاجتماعية ، والسياسية . فهي نثر فني رائع من جهة ونقد بناء من جهة أخرى .

آرية أدب بديع الزمان :

يقول المستشرق (نيكلسن) ويعبر عن رأيه في طبيعة مقامات بديع الزمان قائلا : (ونجد في مقامات الهمداني قربا من الأسلوب التمثيلي المسرحي الذي لم يستعمله الساميون قط ، وقد تصور الهمداني بطله محتالا ماهرا متشردا أفاقا ينتقل من مكان إلى مكان مزودا نفسه بحضور ذاكرته التي تسعفه بالبلاغة والشعر اللذين يكتسبان السامعين . والشخصية الثانية شخصية الراوي يقابل الآخرين ، ويقص مغامراته ، ويردد إنشاءاته الرائعة . ومقامات الهمداني قد أصبحت النموذج لهذا النوع من الكتابة والأساليب التي اخترعها والتي ظلت دون تغيير في أعمال تلاميذه الكثيرة) وقد أيد في ذلك الدكتور مصطفى الشكعة^(١) .

ويقول المستشرق الفرنسي (ايوار) : (..... ومقاماته في الحقيقة أفاصيص نعرف فيها الأصل الآري ، وهي قصيرة بعض الشيء ، ولكنها مكتوبة بأسلوب بارع وصعب حيث يستخدم الكلمات اللغوية النادرة الاستعمال) إن اللون الآري ، أو العنصر الآري واضح ، وظاهر وثابت في أدب بديع الزمان

(١) الدكتور مصطفى الشكعة : بديع الزمان الهمداني رائد القصة العربية ٢٧٧ ، ٣٢٠ ، ٣٢٣ ، ٣٦٩ ،

النثرى والفنى فى مقاماته الشهيرة ، وهذا رأى كثير من العلماء^(١)

أبو أحمد منصور بن محمد الأزدى الهروى^(٢) :

أبو أحمد منصور بن محمد الأزدى الهروى من العلماء والكتاب الذين يجمعون بين العلم والأدب ، وبين الشعر والكتابة ، وبين الفضيلة والقضاء ، فقد كان منصور الهروى كاتباً فى النثر ممتازاً وكان شاعراً للخليفة العباسى القادر بالله كما كان قاضياً فى (هرات) الأفغانية . وقد توفى منصور بن محمد الهروى سنة ٤٤٠ هـ = ١٠٤٨ م^(٣) .

وله رسائل أدبية قام بجمعها الميدانى تحت عنوان : منية الراضى برسائل القاضى . وهى مرتبة حسب الموضوعات :

- ١ - الشكر . ٢ - المدح . ٣ - الشوق . ٤ - اللوم .
- ٥ - الشكوى والاعتذار . ٦ - الزيارة والعزاء . ٧ - الفكاهة .
- ٨ - الوصف والتشبيه . ٩ - الدعوات .

وقد شاع ذكر منصور بن محمد الهروى فى الآفاق ، واتفق الفضلاء على علمه وفضله نظماً ونثراً على الإطلاق ، كما يقول عبد الغافر الفارسى فى كتابه (السياق) وفيه يقول : (للمنصور ووالده أعقاب بهراة وبيت مشهور بالعلم)^(٤) .

(١) براون : تاريخ الأدب فى إيران ٤٣٩ ، ومحمد تقى بهار : سبك شناسى ٣٢٦/٢ - ٣٢٧ ، والشكعة بديع الزمان رائد القصة العربية ٢٧٧ وصفحات أخرى عديدة .

(٢) الباخرزى : دمية القصر ١٥٣/٢ تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو ، والزركلى : الأعلام ٢٤٣/٨ ، وعمر رضا كحالة : معجم المؤلفين : ٢١/١٣ .

(٣) الزركلى : الأعلام ٢٤٣/٨ ، والثعالى : يتيمة الدهر ٢٤٣/٤ ، وإرشاد الأريب ١٨٩/٧ - ١٩١ ، وطبقات السبكى ٢٦/٤ .

(٤) يراجع ص المصادر الآتية :

تتمة اليتيمة للثعالى ٤٦/٢ - ٥٣ ، وطبقات الشافعية للسبكى ١٩٦/٤ . ودمية القصر للباخرزى ص ١٢٤ - ١٢٥ ، والشنرات ١٩٢/٣ والجواهر لعبد القادر بن أبى الوفاء ١٨٤/٢ والدكتور ناجى معروف - عروبة العلماء ٤٥٠/١ وكارل بروكلمان ١٢٢/٢ .

علم العربية :

إن الغموض الذى يحيط بمنشأ علم العربية الأول ، وموضوع تأثيره بالتماذج الأجنبية أو عدم تأثيره بها ، وعلى يد من بدأت بحوثه الأولية ، وما مدى تأثير سيويو العجمى ، وأبى الأسود الدؤلى ، ومعاذ بن مسلم فى ذلك ؟ وهل انبثق النحو العربى من العقلية العربية الخالصة ، أم هناك دور فى ذلك للنحو الآرى^(١) ، ولينطق أرسطو ؟؟ كل هذه المسائل وغيرها من التساؤلات التى تجرى على ألسنة العلماء والباحثين ، والدارسين ، أى كل هذه المسائل وتلك الموضوعات والتساؤلات العلمية الهامة لا أريد الخوض فيها ، لماذا ؟ لأنه أولا : قد تناولها العلماء بالبحث ، والتحقيق والتدقيق ، فى كتبهم ومؤلفاتهم ، ولم يتفقوا على رأى واحد . وثانيا : لأنها مسائل وتساؤلات لا تدخل فى إطار هذا المبحث الذى خصصته لمساهمة مشاهير (أفغانستان = خراسان) فى الآداب والعلوم العربية . ومما لا شك فيه أن علماء (أفغانستان = خراسان) قد ساهموا ، واشتركوا فى تكوين علم العربية ، وفى سبيل تقدمه ورقه .

وقد قسم العلماء مذاهب النحاة إلى ثلاث مدارس : البصريون ، والكوفيون والبغداديون ، وفى كل هذه المدارس النحوية العربية نجد عددا كبيرا من علماء أفغانستان القديمة الإسلامية ، قد قاموا بأدوار علمية ممتازة ، ودفعوا بذلك عجلة علم العربية إلى الأمام ، وهذه شلة من العلماء الأفغان الخراسانيين الذين ساهموا فى هذا المجال العلمى .

الأخفش الأوسط البلخى^(٢) :

وهو من علماء (بلخ) الأفغانية فى العلوم العربية ، وقد مر ذكره فى مبحث تدوين العلوم الأدبية ، وكان من أبرز أعضاء مدرسة البصرة النحوية ، وهو من تلاميذ إمام النحو سيويو .

(١) الآرى : تعبير دقيق يشمل الجوانب الثقافية الثلاث : الأفغانى ، والإيراني ، والهندي ، فهو أدق وأشمل من التعبيرين المشهورين .. الهندي والفارسي .

(٢) راجع ص ٧٧٤ من هذا الكتاب ، وبروكلمان : تاريخ الأدب العربى : ١٥١/٢ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٨١١/١ .

أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي^(١) :

من علماء (هرات) الأفغانية في العلوم العربية ، وهو من تلاميذ الأصمعي وأبي عبيدة ، وأبي زيد الأنصاري ، ومن أعضاء مدرسة البصرة النحوية ، وقد مر ذكره في مبحث العلوم النقلية ... الأحاديث والتفاسير والقراءات .

أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني^(٢) :

من أوفى أعضاء المدرسة النحوية البصرية ، ومن تلاميذ الأصمعي وأبي عبيدة ، وأبي زيد الأنصاري ، وقد مر ذكره في بحث تدوين العلوم الأدبية .

أبو عمرو شمر بن حمدويه الهروي^(٣) :

من علماء (هرات) الأفغانية في اللغة ، وهو من أعضاء مدرسة الكوفة النحوية ، وقد أتينا بذكره في هذا البحث .

أبوبكر محمد بن عزيز بن أحمد بن عزيز السجستاني^(٤) :

كان أبوبكر السجستاني من تلاميذ أبي بكر الأنباري ، وهو من (سيستان = سجستان) الأفغانية ، وقد توفي سنة ٣٣٠ هـ = ٩٤١ م ، وكان من أعضاء مدرسة الكوفة النحوية . وله كتاب (اشتقاق أسماء نطق بها القرآن ..) وقيل إن (كتاب الأصول) له أيضا .

(١) راجع ص ٢٣٦ من هذا الكتاب ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٧٦٩/١ ، والطبقات الكبرى ١٥٥/٢ ، وهرات ٦٩ - ٧٠ ، طبع بغداد .

(٢) راجع ص ٢٧٥ من هذا الكتاب ، وبروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ٢٥٩/٢ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٨١١/١ .

(٣) راجع ص ٢٧٦ من هذا الكتاب ، وجمع الأمثال ٣٢٥/١ ، وبروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ٢٠٢/٢ ، تاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٨١٢/١ .

(٤) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ٢١٦/٢ .

أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة المروزي^(١) :

ولد مؤسس مدرسة بغداد النحوية ابن قتيبة سنة ٢١٣ هـ = ٨٢٨ م ، وكان أبوه أعجميا من (مرو) خراسان ، درس ابن قتيبة علوم اللغة دراسة واسعة ، ثم ولي القضاء في (دينور) مدة ، ثم انتقل إلى بغداد ، فاستمر في التعليم والتدريس والتأليف والتصنيف إلى أن توفي سنة ٢٧٦ هـ = ٨٨٩ م ، وكان من أهم أهدافه من ذلك تعليم الكتاب ، وأصحاب الدواوين ، وإسعافهم بالثقافة الأدبية والتاريخية ، والدفاع عن القرآن الكريم ، والحديث الشريف تجاه مطاعن الفلاسفة ، وأهل الشدة من علماء الكلام ، وله كتب كثيرة في العلوم العربية .

وابن قتيبة المروزي يعد أكبر وأعظم كاتب ومؤلف وناقد أدبي ظهر في عصره ، وهو سني محافظ يظهر ذلك في آرائه الدينية ، والنقدية ، إذ يقول في مقدمة (الشعر والشعراء) ... لن يُفَضَّلَ المتقدم من الشعراء لمجرد تقدمه ولن يحتقر المتأخر لمجرد تأخره ، فإن البلاغة لم يقصرها الله على زمن دون زمن ولا على قوم دون قوم ، وهذه النظرة نظرة إنصاف تصدر عن دراية نقدية فائقة إلا أن محافظته لا تسمح له ليطلق عنانه لآرائه في هذا الاتجاه فيعود قائلا : ليس للشعراء المتأخرين أن يخرجوا عن المذهب القديم . ولا شك في أن هذه النظرة مستمدة من البيئة السنية التي كان يعيشها ابن قتيبة المروزي ومن الحق أن نقول بصراحة إنه محافظ أميل إلى التجديد ، وروح العصر المعاصرة وكان على نقيض شعراء (خراسان = أفغانستان) من جنسه يحارب ما يسمى بالشعبوية ، أو الميول القومية العجمية ، وله معارك حامية ضد أصحاب هذا المذهب القومي العجمي . ولسيطرة المحافظة عليه حاول بقوة إدخال الثقافات الأجنبية : الآرية ، والهندية ، والإغريقية على الثقافة الإسلامية ، لتتلاشى تلك الثقافات في بحر من المزيج الإسلامي ، ولينتهي وجودها الخارجي المستقل وأروع صورة لهذا كله كتابه (عيون الأخبار) بكتبه العشرة . ومن هنا نراه اكتسب أهمية خاصة ، ومكانة ممتازة ، إذ أسلوب ابن قتيبة فيه أسلوب أدبي رائع أسلوب يمتاز بوضوح الهدف ، وصفاء المزاج بين تلك الثقافات .. الآرية الأفغانية والهندية ، والفارسية ،

(١) ابن الأنباري : نزهة الألباء ٢٧٢ - ٢٧٤ ، القفطي : إنباه الرواة ٢٤٣/٢ والدكتور شوقي ضيف : العصر العباسي الثاني ٦١١ ، السيوطي : بغية الوعاة ٢٩ ، والخطيب تاريخ بغداد ١٧٠/١٠ .

والإغريقية ، وقام بتنسيقها وترتيبها وتقديمها في ثوب إسلامي رائع جميل ، تستريح لأسلوبه الأذن ، وتجذب فيه القلوب والعقول متعة روحية لا نهاية لها .

إن ممثل مدرسة بغداد الأول ابن قتيبة المروزي قد تجاوز بذلك دائرة النحو ، وإطار العربية ، وحقا كان ينظر إلى دراساته اللغوية على أنها إنتاج أدبي عام ، ولقد كان كذلك حقا . ومن أنى من بعده من العلماء لم يهتم اهتماما كبيرا على الاختلافات القديمة التقليدية ، بل عمد إلى توحيد مزايَا المدرستين السابقتين في مذهب جديد مختار^(١) .

أبو الفضل محمد بن أبي جعفر المروزي الهروي^(٢) :

أبو الفضل محمد الهروي من تلاميذ المبرد ، وثعلب ، وهو من علماء (هرات) الأفغانية ، وهو من أصل أفغاني وتوفي سنة ١٣٩ هـ = ٩٤٠ م . وله مؤلفات عديدة .

أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي^(٣) :

أصله من (فاراب) وترامى به الاغتراب إلى (اليمن) فسكن (زبيد) وصنف بها كتابه (ديوان الأدب) ورجع بعد ذلك إلى وطنه ، وقد توفي سنة ٣٥٠ هـ = ٩٦١ م .

أبو منصور محمد بن أحمد بن أزهر بن طلحة الأزهرى الهروي :

ولد في (هرات) بأفغانستان سنة ٢٨٢ هـ = ٨٩٥ م ، وأخذ بها العلم عن أبي الفضل الهروي ، ثم قدم في شبابه إلى بغداد ، فأخذ بها العلم ، وقد وقع

(١) راجع المصادر الآتية : السيوطي : بغية الوعاة ٢٩ ، والخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٠/١٧٠ ، وابن الأنباري : نزهة الألباء ص ١٧٢ - ١٧٤ ، وشذرات الذهب ٢/١٦٩ ، والقفطي : إنباه الرواة ٢/١٤٣ ، والنجوم الزاهرة ٣/٧٥ ، وبروكلمان - تاريخ الأدب العربي ٢/٢٢١ . ودكتور شوقي ضيف : العصر الثاني ص ٦١١ .

(٢) يراجع : البلدان لياقوت : الإرشاد ٦/٤٦٤ بغية الوعاة للسيوطي ص ٢٩ . بروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ٢٣٨/٢ .

(٣) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ٢/٢٥٨ .

أسيرا عند قبائل عربية أثناء عودته من أداء فريضة الحج بين المدينة المنورة والكوفة ، فاستفاد من مجاورتهم لغة ونوادير ، ثم رجع إلى (هرات) الأفغانية واشتغل فيها بالتدريس إلى أن توفي سنة ٣٧٠ هـ = ٩٨٠ م ، وله مؤلفات كثيرة في العلوم العربية أهمها (تهذيب اللغة)^(١) .

كافي الكفاة أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباسي الطالقاني^(٢) :

ولد في (الطالقان) في أفغانستان الشمالية سنة ٣٢٤ هـ = ٩٣٦ م ، وقيل سنة ٣٢٦ هـ = ٩٣٨ م . وقيل إنه ولد في (اصطخر) وكان أبوه كاتباً ، وكان يشتغل بالأدب ، والتأليف ، والتصنيف ، وكانت ميوله شيعية .

وقد لقب كافي الكفاة الطالقاني (بالصاحب) أيضاً لأنه كان صاحب مؤيد الدولة في صباه ، بدأ دراسته مع أبيه ، وأخذ عنه مذهبه الديني والسياسي ، وأتمها في بغداد ، فوصل إلى الوزارة لدى البويهيين ، واستطاع أن يستمر فيها لمدة ثماني عشرة سنة قام فيها بتشجيع العلم والأدب ، لأنه كان كثير الخطوة والبر ، والعطايا للعلماء ، والأدباء والكتاب ، ومن هؤلاء العلماء ابن فارس ، وأبو الفرج الأصفهاني ، وبديع الزمان الهمداني ، وغيرهم . كما كان هو نفسه شاعراً وأديباً ، وكتاباً ممتازاً ، وقد توفي الصاحب بن عباد الطالقاني في (الري) سنة ٣٨٥ هـ = ٩٩٥ م وله مؤلفات كثيرة ومفيدة في العلوم العربية^(٣) .

أبو عبيد أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الهروي الباشاني :

أصله من (باشان) بهرات الأفغانية ، وكان من تلاميذ الأزهرى الهروي^(٤) أحد علماء (هرات) وكذلك كان من تلاميذ الخطابي البستي^(٥) من

(١) ابن الأثير : الكامل ٥١/٩ ، ومقدمة التهذيب ص ٢٠ ومعجم البلدان ٩٥١/٤ وطبقات الشافعية ١٠٦/٢ ، وبروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ٢٦٣/٢ .

(٢) مدينة (الطالقان) الآن حاضرة لولاية (طخارستان) الأفغانية . وهي تبعد عن كابل العاصمة بحوالي ٤٠٣ كيلومترات والشاعر (بشار بن برد) من أشهر شخصيات ولاية (طخارستان) الأفغانية .

(٣) يراجع بيتمة الدهر : ٣١/٣ . ومابعدھا ، والنجوم الزاهرة : ١٦٩/٤ - ١٧١ بغية الوعاة للسيوطي ص : ١٩٦ ، وبروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ٢٦٨/٢ ، شذرات الذهب ١١٣/٣ .

(٤) راجع ص ٣٠٨ من هذا الكتاب .

(٥) راجع ص ٧٤٥ من هذا الكتاب ، وبروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ٢١٢/٣ .

علماء (بست) الأفغانية، وقد توفي سنة ٤٠١ هـ = ١٠١١ م .

له كتاب الغريبين في القرآن والحديث . وقد جاء ذكر هذا الكتاب بأسماء مختلفة .. مثل : كتاب غريبى القرآن والحديث ، أو كتاب الغريبين في لغة كلام الله وأحاديث رسوله ، أو غريب القرآن والسنة وتفسيرهما^(١) .

أحمد بن محمد البشتى الخارزنجى :

ولد في قرية عند (بشت) من نواحي (نيسابور) وكان إمام أهل الأدب في خراسان ، وقد شهد له بذلك علماء العريق ، ومشايخها في الأدب ، ويثنى عليه الميداني في كتابه (مجمع الأمثال) كثيرا . وقد توفي سنة ٤٠٨ هـ = ١٠١٧ م ومن مؤلفاته (كتاب التكملة على كتاب العين للخليل بن أحمد)^(٢) :

(١) بروكلمان : تاريخ الأدب العربى : ٢٧١/٢ .

(٢) راجع : الإرشاد ٦٤/٢ - ٦٦ ، بغية الوعاة ص ١٦٩ . وبروكلمان : تاريخ الأدب العربى : ٢٧٢/٢ .

الأدب الصوفي في أفغانستان^(١)

إن أدب التصوف أدب إلهي راق ، وعاطفة صادقة سامية ، يستمد أصوله من قوله عليه الصلاة والسلام : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » فأهل التصوف أدبهم إلهي ، وتهذيب ظاهرهم إلهي ، وإصلاح باطنهم إلهي فصاروا بذلك مؤدبين ، مهذبين ، مصلحين .. لله ، وبالله ، وفي الله قال عبدالله المبارك المروزي : أدب الخدمة أعز من الخدمة . وقال ابن عطاء : النفس مجبولة على سوء الأدب ، والعبد مأمور بملازمة الأدب ، فجدير من كانت درجته هذه أن يتأدب في سلوكه لله ، وأن تصوم جوارحه لله ، وتهيم روحه في رضا الله ، وتقوم نفسه في عبادته حتى ينال الوصال الإلهي المقدس . إن آداب التصوف مستمدة من آداب السنة ، وأخلاق الإسلام ، فمن تخلق بها صار صنوفيا صادقا ، وأديبا بارعا . وذلك فضل من الله يؤتيه لمن يشاء وهو بما يفعل حكيم عليم .

فالآدب الصوفي أدب إسلامي رفيع ، مهما تعددت مذاهبه ، وتباينت اتجاهاته ، وتباعدت تياراته ، واختلفت عصوره ، فإنه لا يخرج عن الروح الإسلامية فالتصوف الحقيقي روح الإسلام ، والآدب الصوفي روح الأدب ، التصوف هو الكمال الروحي بأجلى معانيه ، والآدب الصوفي هو الكمال الأدبي بأجلى معانيه ، وهو التطهير الخلقي والأدبي بأوسع مدلولاته ، وهو الارتفاع بالإنسان والآدب من حضيض الظلام إلى قمم النور ، فهو خلاصة الحكمة في الآداب الإسلامية ، وخلاصة النور في الفضائل الحميدة ، وهو خلاصة الدراسات النفسية والروحية والقلبية في الفكر الإسلامي ، وهو الثمرة الكبرى في المعارف الإسلامية ، وهو الذي ملأ الجوانب الخالية من قلوب المسلمين ، والجوانب الخالية في الآداب الإسلامية . والتصوف هو الذي ارتفع بالشعر ، وبالنثر إلى درجة فنية عالية ، واستخدم النثر سلاحا نبيلًا للدعوة إلى الله ، كما استخدمه في تجميل الحياة

(١) تاريخ أفغانستان بعد أزماسلام : ١/٩٩٨ وما بعدها .

وتطهيرها ، وفي مقاومة البغى والعدوان المادى . إن تراث التصوف الأدبى ثروة عظيمة وقيمة هائلة فى الآداب الإسلامية .

ثم التصوف كلمة لها رنين خاص تستجيب له أسماع الأفغانيين وتصغى إليه قلوبهم ، وتبدو نفوسهم فى جلال الحديث عنه - وكأنها انتقلت من حياتها الجاهدة المكدودة إلى حيث تنعم بالذى هى مشوقة إليه ، وهل يشوقها شئ أكثر مما يشوقها أن ترى الإنسان الأفغانى وقد غمره التصوف ، وأبعده من الخوف ، وأدخله إحساسا حقيقيا بالأمان ، يحو من ذاكرته ما أرهق مضجعه من تلك المعانى المادية الإلحادية التى ترسبت فى النفوس خلال تاريخ ماضى مظلم ، إن من يتأمل التاريخ الأفغانى الطويل منذ العصور القديمة حتى العصور الحديثة ، يكاد يخرج بنتيجة مؤداها أن العقيدة ، والنظرة الصوفية جزء منها مطلب أساسى هام فى الحياة ، لم يتنازل عنه الأفغان مهما كلفهم الأمر من التضحيات ومن هنا نرى ونجد أن عناية الأفغان بإقرار هذه العقيدة ، وتمكينها من نفوسهم عقيدة فى القلوب قبل أن تكون فكرة فى العقول . هذه كانت حالهم أيام أن كانوا يؤمنون بالعقيدة الويدية . الآرية القديمة ، ثم أيام أن آمنوا بالزردشتية ثم البوذية ، وأخيراً بالإسلام المقدس . وأترك هذه المقدمة الموجزة لأنتقل منها إلى الحديث عن التصوف والعقيدة عند الآريين الأفغانيين لأعبر بها إلى الأدب الصوفى فى أفغانستان فى العصر الإسلامى وما أسداه الأفغان فى هذا المجال .

العقيدة والتصوف عند الآريين :

أفغانستان الحالية ، و (آريانا) القديمة هى المهد والمنبت الأصيل للقبائل الآرية ، منها انتشرت غربا إلى البلاد الفارسية الإيرانية اليوم ، وشرقا إلى (بهارت = البلاد الهندية) اليوم ، وهبت الفرس الديانة الزردشتية التى نشأت فى (بلخ = بخدى) وترعرعت فيها على يدي بانها وراعيا الأول المصلح السنارى (زردشت) ثم تولى أمرها ملوك وأمراء الأسرة (الأسبى) فى (بلخ) الأفغانية ، كما وهبت الهنود الديانة الويدية ، عندما هاجرت القبائل الآرية إلى الهند قبل الميلاد بنحو خمسة عشر قرنا ، حاملة معها تلك الهبة المقدسة .

فقد كان للآريين فى الهند دينهم الذى حاولوا نشره فيها ، وكان لهم كتابهم

المقدس (الويدا) الذى كان يمثل عقليتهم الأدبية ، وعقيدتهم الدينية إن كتاب (الويدا) من أقدم الأسفار الدينية تاريخاً ، فقد بدأ جمعه مع بداية الغزو الآرى فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وقد استغرق جمعه فى صورته الكاملة بضعة قرون . ويعتقد المؤرخون أن جمعه ، وتدوينه بدأ فى القرن الثلاثين قبل الميلاد . وكتاب (الويدا) الدينى مكتوب باللغة (السنسكريتية) ومعناها العلم والمعرفة ، مما يعنى أن هذا الكتاب الآرى الدينى يتضمن المعرفة الحقيقية بالدين ، والعبادة ، والأخلاق ، والتشريع ، والحكمة . ويعتقد الأفغان والهنود أن هذا الكتاب الدينى يمثل الحكمة الإلهية الحقيقية الأزلية الأبدية التى تهب (الريشيون = الحكماء) لتلقيها ، وتدوينها بطريق الإلهام الشخصى ، والجمع عن طريق الرواية ، وذلك بعد أن ظل الآريون يتناقلونها شفاهاً قروناً متطاوله .

ويتكون كتاب (الويدا) الأدبى من أربعة أقسام تختلف فيما بينها باختلاف الموضوعات .

وقد حافظ الآريون فى الهند على أسفار (الويدا) من الضياع الذى لحق الأسفار المنظومة فى بعض البلاد الأخرى ، ولما كانت (الويدا) وما بعدها من شروح الأسفار الدينية قد كتبت باللغة (السنسكريتية) القديمة ، وقد انقرضت هذه اللغة الآرية السنسكريتية القديمة على مرور الزمن ، فقد ظل أمر هذه الأسفار الدينية (الويدية) ومعرفة مجهولاً حتى القرن العاشر الميلادى إلى أن قام عالم البلاط الغزنوى فى أفغانستان . البيرونى بنقل الكثير من محتويات (الويدا) وشروحها ، وتفسيرها فى كتابه القيم (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مردولة) .

وفى منتصف القرن السابع عشر الميلادى ، وما بعده قام العلماء من الأفغان والهنود ، والفرس ، والأوربيين بحل رموز تلك اللغة ، وترجمة المخطوطات (الويدية) وقد قاموا بذلك بإعطائنا صورة واضحة كاملة ، وصحيحة عن الديانة (الويدية) ومراحل تطورها ، وما لحق بها من الشروح ، والتفسير ، والتطورات .

وكانت الديانة (الويدية) أساساً رئيسياً للديانات ، والعقائد الهندية

الأخرى كالبرهمية وغيرها ، ومن هنا نراها هي الأخرى تقدر أسفار (الويدا) الأربعة وتجعلها أساسا لتعاليمها الدينية .

ولو تركنا الشرق ... الهند وديانتها الويدية الآرية التي بذرت فيها بذور الديانات الهندية الآرية الأخرى ، وألقينا نظرة عاجلة على المهجر الغربي للآريين الذين استوطنوا (فارس = إيران) الحالية ، نرى مؤسس الديانة (الزردشتية) (الآرية) (زردشت) يعلن تأسيس هذه الديانة في مدينة (بلخ = بخدي) ثم يعتنقها الملك الآري (كشتاسب) مما جعل الديانة تتقوى وتنتشر في جميع أنحاء (آريانا) الأفغانية ، حتى تصل إلى المهجر الآري الغربي (فارس = إيران) لتختل مكائنها السامية العالية لدى ملوك وأباطرة (فارس = إيران) الحالية . وأصبحت الديانة الرسمية في البلاد الفارسية .

و (الزردشتية) لها كتاب مقدس كالديانة (الويدية) وهو (الأوستا) ويتألف من واحد وعشرين سفرا تحتوي على نحو ألف فصل ، فيها العقيدة (الزردشتية) وشريعتها ، وشرحها ، وتاريخ (زردشت) ورسالته ، وقد حاول الإسكندر القضاء على هذا الكتاب الزردشتي ، إما بإحراقه ، أو بنقله إلى بلاده الإغريقية ، حتى تولى (فولوحييس = بلاش) الأول مؤسس الأسرة (البارتية) الحكم سنة (٥١ - ٨٧ م) فعمل على تدوين ما بقي في صدور الناس من كتاب (الأوستا) الديني ، وقام بإتمام هذا العمل الديني والأدبي ، في القرن الثالث الميلادي الملك (أردشير) مؤسس الدولة الساسانية . وقد بلغ كل مادون في هذين العهدين إلى واحد وعشرين سفرا تحتوي على ثلاثمائة وثمانية وأربعين فصلا .

وكانت (الزردشتية) أساسا للديانات والعقائد التي نشأت في البلاد الأفغانية والفارسية . وأتباع هذه الديانة الزردشتية الآرية كانوا موجودين في البلاد الأفغانية خلال الفتوحات الإسلامية ، وبعدها إلى أن قضى الإسلام عليها وعلى أتباعها .

تحدث باختصار عن هاتين الديانتين اللتين نشأتا في البلاد الأفغانية الآرية ، ومنها انتشرت شرقا ، وغربا مع انتشار الآريين ، لأين ما كان عليه الآريون من

التمسك بالعقيدة ، والاهتمام بأمرها ، والعناية بها من أقدم العصور إلى أحدث العصور ، وحيث إن أفغانستان كانت ومازالت مصدرا ، ومنبتا ، ومهدا خصبا للعقيدة ، والأدب ، والفن ، والثقافة ، فلا غرو إذا كان أهلها في الإسلام قد قاموا بتقديم أروع النماذج في العلوم العربية بصفة عامة ، وفي الأدب بصفة خاصة ، وفي الأدب الصوفي بالأخص . أخرجت عددا كبيرا من أدباء الصوفية في العصور المختلفة .

وهذه شلة من أهل التصوف في أفغانستان الخراسانية أقدمها باعتبارها نموذجا من النماذج الأدبية التي أخرجتها أفغانستان نظرا لأهميتهم الخاصة ، وهم كتاب الصوفية العظام الذين ظهروا في أفغانستان في هذه الفترة من الزمان ويدخل في عدادهم بعض الأسماء اللامعة ممن اشتغلوا بهذا النوع من التفكير والأدب الصوفي . ومن أبرز هؤلاء اللامعين :

إبراهيم بن أدهم^(١) :

ومن هؤلاء الصوفية : أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم البلخي ، من أهل (بلخ = بخدي) الأفغانية في شمال أفغانستان ؛ كان أميرا من أبناء الملوك خرج يوما للصيد فهتف به هائف أيقظه من غفلته ، ورجع إلى الزهد والورع وترك متاع الدنيا والتزين بها . وخرج إلى مكة ، وصاحب سفيان الثوري ، ودخل الشام فكان يعمل فيه ، ويأكل من عمل يده . مات سنة ١٦١ هـ = ٧٧٧ م .

وقصة الأمير الصوفي إبراهيم بن أدهم البلخي تشبه قصة (بوذا) الذي

(١) المصادر : تراجع المصادر الآتية :

- ١ - حلية الأولياء ٣٦٧/٧ - ٣٩٥ ، ٣/٨ - ٥٨ .
- ٢ - طبقات الشعرائي ٨١/١ .
- ٣ - الرسالة القشيرية ص ٩ .
- ٤ - صفة الصفوة ١٢٧/٤ - ١٣٢ .
- ٥ - شذرات الذهب ٢٥٥/١ .
- ٦ - الأعلام ٢٤/١ .
- ٧ - طبقات الصوفية للسلمى ص ٢٧ - ٣٨ طبعة ثانية ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م .
- ٨ - أفغانستان بعد از إسلام ٩٠٧/١ .
- ٩ - دائرة معارف القرن العشرين ١٢/١ ، الطبعة الثالثة .

كان في الأصل أحد أمراء (نيبال) كلاهما كانا من الأمراء وكلاهما اختار حياة الزهد ، والورع مع ملاحظة الفرق بين الزهدين الإسلامي والبوذي .

وفيه يقول محمد بن حيان أبو الأحوص البغوى : (رأيت خمسة ، مارأيت مثلهم قط : إبراهيم بن أدهم ، ويوسف بن أسباط ، وحذيفة بن قتادة ، وهشيم العجلي ، وأبو يونس القوى) .

ومن أقواله المشهورة في التصوف : كتب إلى سفيان الثوري يقول : « من عرف ما يطلب ، هان عليه ما يذل ، ومن أطلق بصره ، طال أسفه ، ومن أطلق أمله ، ساء عمله ، ومن أطلق لسانه ، قتل نفسه » . ومن وصاياه الخالدة : « اتخذ الله صاحباً ، وذو الناس جانبا » .

شقيق بن إبراهيم البلخي :

وهو من أشهر مشاهير خراسان الأفغانية في التصوف وأدبه ، ينتمي إلى قبيلة (الأزدي) العربية من أهل (بلخ = بخدي) الأفغانية في شمال أفغانستان حسن التوكل ، وحسن الكلام فيه ، وهو أول من تكلم في علوم الأحوال ، في خراسان وكان أستاذاً حاتم الأصم ، وأخذ الطريقة الصوفية من إبراهيم بن أدهم البلخي^(١) وقد استشهد في (كولان) بما وراء النهر سنة ١٩٤ هـ^(٢) = ٨١٠ م^(٣) في الجهاد في سبيل الله .

ومن أقواله المأثورة : « العاقل لا يخرج من هذه الأحرف الثلاثة :

الأول : أن يكون خائفاً لما سلف منه من الذنوب .

والثاني : لا يدري ما ينزل به ساعة بعد ساعة .

والثالث : يخاف من إبهام العاقبة ، لا يدري ما ينتج له » .

ومن أقواله المأثورة أيضاً : « التوكل أن يطمئن قلبك بموعد الله » .

(١) طبقات الصوفية ٦١ .

(٢) الأعلام : ٢٤٩/٣ .

(٣) تاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٩٠٨/١ .

حاتم الأصم البلخي^(١) :

ومن صوفية أفغانستان في هذه الفترة من الزمان حاتم الأصم . وهو حاتم ابن عفوان ، أو حاتم بن عنوان بن يوسف الأصم أبو عبد الرحمن ، وهو من قدماء مشايخ خراسان ، من أهل (بلخ = بخدي) الأفغانية في شمال أفغانستان وقد صحب مواطنه البلخي شقيق بن إبراهيم ، وكان أستاذ أحمد بن خضرويه ، وقد مات في (واشكرد) عند رباط يقال له (رأس سرون) فيما وراء النهر سنة ٢٣٧ هـ = ٨٥١ م .

ومن أقواله المأثورة : « يعرف الإخلاص بالاستقامة ، والاستقامة بالرجاء ، والرجاء بالإرادة ، والإرادة بالمعرفة »^(٢) .

أحمد بن خضرويه البلخي^(٣) :

منهم أبو حامد أحمد بن خضرويه البلخي ، وهو من كبار مشايخ خراسان في (بلخ = بخدي) الأفغانية ، وقد صحب أبا تراب النخشي ، وحاتما الأصم ، ورحل إلى أبي زيد البسطامي . وله كتاب (درجات المقبلين)^(٤) وقد توفي سنة ٢٤٠ هـ = ٨٥٤ م^(٥) .

ومن أقواله المأثورة في التصوف : « في الحرية تمام العبودية ، وفي تحقيق العبودية تمام الحرية »^(٦) .

الفضيل بن عياض الخراساني^(٧) :

وهو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر الخراساني من ناحية (مرو)

(١) طبقات الصوفية ص ٩١ وصفة الصفوة ١٣٤/٤ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٩٠٨/١ .

(٢) طبقات الصوفية ص ٩٤ .

(٣) طبقات الصوفية ص ١٠٣ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٩٠٨/١ .

(٤) تاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٩٠٨/١ .

(٥) عبدالله الأنصاري - طبقات الصوفية ص ٨٢ .

(٦) طبقات الصوفية للسلمي ص ١٠٤ .

(٧) الأعلام : ٣٦٠/٥ وطبقات الصوفية للسلمي ص ٣ طبعة القاهرة ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام :

٩٠٧/١ .

ينتمي إلى قبيلة (تميم) العربية في خراسان ، وهو من قرية يقال لها (فُندين) من قرى (مرو) وقال بعض المؤرخين إنه ولد في (سمرقند) ونشأ في (أبيورد) وقد توفي في سنة ١٨٧ هـ = ٨٠٢ م . وهو من شيوخ الحرم المكي ، ومن محدثيه .

ومن أقواله المأثورة في التصوف قوله : « أحق الناس بالرضا عن الله أهل المعرفة بالله عز وجل »^(١) .

بشر بن الحارث الحافي المروزي^(٢) :

وهو بشر بن الحارث بن عبدالرحمن بن عطا بن هلال بن ماهان بن عبدالله الحافي ، وكنيته (أبونصر) أصله من (مرو) من قرية يقال لها (بَكِرْد) أو (مَابَرَسَام) سكن بغداد ومات بها ، وكان عالما ورعا ، ولد سنة ١٥٠ هـ = ٧٦٧ م . ومات سنة ٢٢٧ هـ = ٨٤١ م . وهو من تلاميذ يونس بن أسباط سعى في بغداد إلى ربط التصوف بموقف سني متشدد معارض للتشيع^(٤) ومن أقواله المأثورة : « يأتي على الناس زمان ، لا تقر فيه عين حكيم ، ويأتي عليهم زمان تكون الدولة فيه للحمقى على الأكياس »^(٥)

محمد بن الفضل البلخي^(٦) :

ومن صوفية أفغانستان المشهورين في هذه الفترة أبو عبد الله محمد بن الفضل بن العباس ابن حفص ، أصله من (بلخ = بخدي) الأفغانية في أفغانستان الشمالية ، سكن (سمرقند) فيما وراء النهر ، ومات بها سنة ٣١٩ هـ = ٩٣١ م وهو من أجلة مشايخ خراسان .

(١) طبقات الصوفية للسلمي ص ١٠ .

(٢) طبقات الصوفية للسلمي ص ٣٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٤١ .

(٤) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ٥٧/٤ .

(٥) طبقات الصوفية للسلمي ص ٤٢ .

(٦) انظر ترجمته في : حلية الأولياء ٢٣٢/١٠ . وصفة الصفوة ١٣٨/٤ . وطبقات الشعرا ١٠٦/١ .

وطبقات الصوفية للسلمي ص ٢١٢ .

ومن أقواله المأثورة : « ذهاب الإسلام من أربعة : أولها : لا يعملون بما يعلمون . والثاني : يعملون بما لا يعلمون . والثالث : لا يتعلمون ما لا يعلمون . والرابع : يمنعون الناس من التعلم »^(١)
عبدالله بن المبارك المروزي^(٢) :

وهو من الزهاد المعروفين في خراسان ، ولد سنة ١١٨ هـ = ٧٣٦ م . وتوفي سنة ١٨١ هـ = ٧٩٧ م . وله بالإضافة إلى المآثر الفقهية والعلمية ، كتاب (الزهد والرقائق) . وقد مر ذكره مرارا^(٣)
أبو على الجوزجاني^(٤) :

ومن صوفية أفغانستان المشهورين أبو على الحسن بن علي الجوزجاني من ولاية (جوزجان) الأفغانية في أفغانستان الشمالية . وهو من كبار مشايخ خراسان ، له التصانيف المشهورة . تكلم في علوم الآفات ، والرياضيات ، والمجاهدات وربما تكلم أيضا في شيء من علوم المعارف والحكم . وقد صحب محمد بن علي الترمذی ، ومحمد بن الفضل ، وهو قريب السن منهما .

ومن أقواله المأثورة : « ثلاثة أشياء من عقد التوحيد : الخوف ، والرجاء ، والمحبة . فزيادة الخوف من كثرة الذنوب لرؤية الوعيد . وزيادة الرجاء من اكتساب الخير لرؤية الوعد . وزيادة المحبة من كثرة الذكر لرؤية المنة . فالحائف لا يستريح من الهرب ، والراجي لا يستريح من الطلب ، والمحب لا يستريح من ذكر المحبوب . فليخوف نار منورة ، والرجاء نور منور ، والمحبة نور الأنوار »^(٥) .
أبوزيد البسطامي^(٦) :

ومن صوفية خراسان أبوزيد طيفور بن عيسى بن آدم بن سروشان

-
- (١) طبقات الصوفية للسلمي ص ٢١٤ .
 - (٢) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ٥٦/٤ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٩٠٧/١ .
 - (٣) انظر ص : ٢٣٧ ، ٢٤٣ ، ٢٥٣ من هذا الكتاب .
 - (٤) انظر ترجمته في : حيلة الأولياء ٣٥٠/١٠ وطبقات الشعرائ ١٠٥/١ وطبقات السلمى ص ٢٤٦ .
 - (٥) طبقات الصوفية للسلمي ص ٢٤٦ .
 - (٦) انظر : طبقات الصوفية للسلمي ص ٦٧ وتاريخ الأدب العربي ٦٢/٤ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٩٠٨/١ .

البسطامي ، وكان أبوه سروشان مجوسيا ثم أسلم^(١) . وقد عاش أبويزيد البسطامي عيشة زهد بالغة الروايات المتأخرة في تصويرها مبالغة شديدة ، وتوفي سنة ٢٦١ هـ = ٨٧٥ م أو ٢٦٤ هـ = ٨٧٧ م . وقد قام (أولجايتو) ببناء قبة على قبره سنة ٧٠٠ هـ = ١٣٠٠ م^(٢) .

ومن أقواله الماثورة : « العابد يعبد به بالخال ، والعارف الواصل يعبد به في الحال »^(٤) .

أبو الحسن علي بن أحمد البوشنكي^(٥) :

ومن علماء صوفية أفغانستان ، أبو الحسن علي بن أحمد بن سهل البوشنكي (البوشنجي) وهو من (يوشنك = بوشنج) بالقرب من (هرات) الأفغانية في أفغانستان الغربية ، لقي أبا عثمان ، وصحب - بالعراق - ابن عطاء ، والجري ، وبالشام طاهرا ، وأبا عمرو ، والدمشقي ، وهو من أعلم مشايخ وقته بعلوم التوحيد وعلوم المعاملات ، وكان ذا خلق ، متدينا ، متعهدا للفقراء . مات سنة ٣٤٨ هـ = ٩٥٩ م .

ومن أقواله الماثورة في التصوف ، وقد قال في حقيقته : « اسم ولا حقيقة وقد كان قبل حقيقة ولا اسم » والمروعة عنده : « ترك استعمال ما هو محرم عليك مع الكرام الكاتبين » . ويقول أبو بكر الرازي سمعت أبا الحسن البوشنجي يقول : « الناس على ثلاث منازل : الأولياء : وهم الذين باطنهم أفضل من ظاهرهم . والعلماء : وهم الذين سرهم وعلايتهم سواء . والجهال : وهم الذين علانيتهم تخالف أسرارهم ، لا ينصفون من أنفسهم ، ويطلبون الإنصاف من غيرهم »^(٦) .

(١) تذكرة الأولياء : فارس - للطار . وكشف المحجوب - فارس - للهجويري .

(٢) طبقات الصوفية للسلمي : ص ٦٧ ، والأعلام ٣/ ٣٣٩ .

(٣) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ٦٢/٤ .

(٤) طبقات الصوفية للسلمي ص ٦٩ .

(٥) الرسالة القشيرية ص : ٣٧ . ونتائج الأفكار القدسية ٥/٢ - ٧ .

(٦) طبقات الصوفية للسلمي ص ٤٥٩ - ٤٦٠ .

أبو حفص النيسابورى^(١) :

ومن علماء الصوفية فى خراسان فى هذه الفترة من الزمان أبو حفص عمرو ابن سلم (سلمة) وهو من أهل قرية تسمى (كورد آبساذ) من قرى (نيسابور) فى خراسان ، على باب مدينة (نيسابور) وكان أحد الأئمة والسادة فى أيامه بخراسان ، وقد توفى سنة ٢٧٠ هـ = ٨٨٣ م . وقد كان من مرافقى أحمد بن خضرويه البلخى^(٢) .

ومن أقواله الماثورة : « المعاصى بريد الكفر ، كما أن الحمى بريد الموت »^(٣) ويقول . « مداخل قلبى حق ولا باطل ، منذ عرفت الله »^(٤) .

حمدون القصار^(٥) :

ومنهم أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمارة القصار النيسابورى شيخ أهل الملامة فى (نيسابور) فى (خراسان) ومنه انتشر مذهب الملامة وقد صنف أباتراب التخشى الذى يأتى ذكره ، وغيره من علماء الصوفية فى (نيسابور) . وكان على مذهب سفيان الثورى^(٦) .

وقد توفى أبو صالح حمدون القصار سنة ٢٧١ هـ = ٨٨٤ م . فى (نيسابور) ودفن فى مقبرة (الحيرة)^(٧) .

ومن أقواله الماثورة قوله : « من ضيع عهد الله عنده فهو لآداب شريعته أضيع » ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ . وقال : « استعانة المخلوق بالمخلوق كاستعانة المسجون بالمنجون » وقال : « لا ينجز من المصيبة إلا من يهمل ربه » . وقال : « نهان بالدنيا ، حتى لا يعظم »

(١) انظر : الرسالة القشرية ص ٢٢ ، وشذرات الذهب ١٥٠/٢ ، وطبقات الشعراى ٩٦/١ .

(٢) طبقات الصوفية للسلمى ص ١١٥ - ١١٦ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٩٠٨/١ .

(٣) المصدر السابق ص ١١٦ .

(٤) المصدر السابق ص ١١٨ .

(٥) الأعلام : ٣٠٥/٢ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٩٠٨/١ ، وحلية الأولياء ٣٣١/١٠ .

(٦) الأعلام : ٣٠٥/٢ .

(٧) طبقات الصوفية للسلمى : ص ١٢٣ .

في عينك أهلها ومن يملكها»^(١)

منصور بن عمار^(٢) :

ومن صوفية خراسان أبو السرى منصور بن عمار ، وأصله من قرية يقال لها (دندانقان) من قرى (مرو) وقيل من أهل (بوشنج) بالقرب من (هرات) الأفغانية ، وقيل من أهل (أبيورد) وقد أقام بالبصرة ، وكان من أحسن الناس كلاما في الموعظة ، وكان من حكماء المشايخ .

ومن أقواله المأثورة قوله : « سرورك بالمعصية ، إذا ظفرت بها ، شر من مباشرتك المعصية »^(٣) .

أبو تراب النخشبى^(٤) :

ومنهم أبو تراب عسكر بن حصين النخشبى ، ويقال : عسكر بن محمد بن حصين النخشبى ، صاحب أبا حاتم العطار البصرى ، وحاتما الأصم البلخى وهو من جلة مشايخ خراسان المشهورين بالعلم ، والتقوى ، والتوكل ، والزهد والورع^(٥) . وقد توفى في البادية سنة ٢٤٥ هـ = ٨٥٩ م .

ومن أقواله المأثورة قوله : « يأيها الناس أنتم تحبون ثلاثة ، وليست هي لكم : تحبون النفس ، وهى لله ، وتحبون الروح ، والروح لله ، وتحبون المال والمال للورثة ، وتطلبوا اثنين ، ولا تجدونهما ... الفرج والراحة ، وهما في الجنة »^(٦) .

(١) طبقات الصوفية للسلمى : ص ١٢٨ .

(٢) طبقات الصوفية للسلمى : ١٣٠ ، وطبقات الشعراى ٩٧/٩ ، والرسالة القشيرية ص ٢٣ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٩٠٨/١ .

(٣) طبقات الصوفية للسلمى : ص ١٣٤ .

(٤) حلية الأولياء : ٤٥/١٠ - ٥١ ، وطبقات الصوفية للسلمى : ص ١٤٦ ، وطبقات الشافعية : ٥٥/٢ ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٩٠٨/١ .

(٥) طبقات الصوفية للسلمى : ص ١٤٦ .

(٦) المصدر السابق : ص ١٤٨ .

هجویری الغزنوی^(۱) :

وهو عثمان بن أنى على الجلاىى الهجویری الغزنوی من غزنة الأفغانیة فی أفغانستان المركزیة . وهو صاحب كتاب (كشف المحجوب) الذى يتحدث فیة عن حیاة رجال الصوفیة ومذاهبهم الأدبیة والصوفیة . وقد توفى الهجویری الغزنوی سنة ٤٩٠ هـ = ١٠٩٦ م^(٢) .

(١) تاریخ أفغانستان بعد از اسلام : ٩٠٩/١ ، وبراون : تاریخ الأدب فی ایران ٣٦٣ .
(٢) تاریخ أفغانستان بعد از اسلام ٩٠٩/١ ، وص ٨٩٨ ، الهامش رقم ٣ .

الباب الثانى

الأدب العربى من الدولة الطاهرية إلى الدولة الغورية
العصور الإسلامية

الفصل الأول

الأدب في ظلال الدولة الطاهرية والصفارية والسامانية

الأدب في ظلال الدولة الطاهرية^(١)

التمهيد :

أفغانستان الخراسانية ، أو أفغانستان الآرية ، أو آريانا الأفغانية الخراسانية كانت مهدا للحضارات ، وملتقى للمدنيات والآداب واللغات والعلوم والأديان منذ العصور القديمة حتى اليوم ، نشأت فيها الديانة الآرية وآدابها كما نشأت فيها الديانة الزردشتية وآدابها ، ثم جاءت إليها الديانة البوذية بفلسفتها وآدابها ، وفي كل هذه الأديان ، والآداب ، واللغات لعبت أفغانستان دورها التاريخي حتى ظهر الإسلام فتلقته بإخلاص .

بدأت الفتوحات الإسلامية في (أفغانستان = خراسان) سنة ١٨ هـ = ٦٣٩ م ، أو سنة ٢٠ هـ = ٦٤٠ م ، أو سنة ٢٣ هـ = ٦٤٢ م . وقد قام الجيش الإسلامي بفتح (هرات) الأفغانية عنوة ، ثم توالى الفتوحات الإسلامية في مختلف أنحاء أفغانستان ، ودخل أهلها الإسلام وفي قلوبهم شيء من التفكير في الاستقلال الذاتي ، وفقا لما جبلوا عليه من حب للحرية والاستقلال ، ومن هنا يمكن القول على أن فكرة الانفصال كانت تخامر الشعب الأفغاني وهو يدخل الإسلام ، ويعتقه إيمانا وإخلاصا وقد ظهر هذا التفكير جليا وواضحا في أفكار الزعيم الخراساني (أبي مسلم) الذي مهد لقيام الدولة الإسلامية المستقلة في أفغانستان ... ولقد تأسست في أفغانستان أول دولة إسلامية تحت اسم (الدولة الطاهرية) .

عندما ازداد نفوذ الزعيم أبي مسلم الخراساني في أفغانستان وازداد أتباعه ، ولاحظ ذلك الولاة الأمويون ، فرفعوا تقاريرهم الرسمية إلى دار الخلافة الأموية ،

(١) عمر رضا كحالة : العالم الإسلامي ١٧٩/٢ الطبعة الثانية ، دمشق ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٨ م . ويوهاند عبدالحى حبيبي : تاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ١ : مواضيع مختلفة .

افتتح نصر بن سيار تقريره السياسى بهذا البيت من الشعر حيث يقول^(١) :

أرى جَدْعاً أن يثن لم يقو^(٢) ريض عليه ، فبادر قبل أن يثنى^(٣) الجذع .

كما رفع تقريراً آخر عن الأحوال فى البلاد الأفغانية الخراسانية الخطيرة التى بدأت تهدد الكيان الأموى علنا ، وقد كتب فى هذا التقرير هذه الأبيات الشعرية^(٤) :

أرى بين الرماد وميض جمر ويوشك أن^(٥) يكون له ضرام
فإن النار بالعودين تذكى وإن الحرب مبدؤها الكلام
فإن لم يطفها عقلاء قوم يكون وقودها جثث وهام
فقلت من التعجب ليت شعرى أليقظ أمية أم نيام ؟
فإن يك قومنا أضحو نياما فقل : قوموا فقد حان القيام

ولما يئس نصر بن سيار من (مروان) الخليفة الأموى طلب المساعدة من
والى (العراق) يزيد بن عمرو بن هبيرة الفزارى بعد أن أخبره بالأحوال الخطيرة
فى أفغانستان الخراسانية وكتب إليه هذه الأبيات^(٦) :

أبلغ يزيد وخير القول أصدقه وقد تبينت أن لا خير فى الكذب
أن خراسان أرض قد رأيت بها يبضا لو أفرخ قد حدثت بالعجب
فراخ عامين إلا أنها كبرت لما يطرن وقد سربلن بالزغب
فإن يطرن ولم يحتل لهن بها يلهن نيران حرب أيما لهب

وقد كانت نتيجة هذه الأحداث الخطيرة التى كانت تجرى فى (خراسان)

(١) پوهاند عبدالحى حبيبي : تاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٢٥٩/١ طبعة كابل سنة ١٣٤٥ هـ . ش = ١٩٦٦ م .

(٢) كما فى وفيات الأعيان : ٣٢٧/٢ ، وفى المجمل رايض .

(٣) پوهاند عبدالحى حبيبي : تاريخ أفغانستان بعد از اسلام : ٢٥٩/١ ، ووفيات الأعيان ٣١٧/٢ مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

(٤) الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١١٤ ، والطبرى : ٣٦٩/٧ ، وعصر المأمون ٨٥/١ .

(٥) وفى الطبرى : أحج بأن يكون له ضرام . الطبرى ٣٦٩/٧ .

(٦) الطبرى : ٣٦٩/٧ - ٣٧٠ ، ومروج الذهب : ١٧١/٣ ، والكامل ١٧٤/٥ ، وص : ١٥٣ من هذا الكتاب .

قيام الدولة العباسية.، تم قيلم دول أو دويلات منفصلة في أفغانستان وأولى تلك الدول أو الدويلات هي الدولة الطاهرية .

وقصة الدولة الطاهرية تبدأ في الحقيقة من الحرب بين المأمون والأمين ابني هارون الرشيد ، وكان طاهر ذو اليمينين قائد المأمون أفغاني الأصل^(١) من (پوشنك = پوشنج = فوشنج) الأفغانية بالقرب من مدينة (هرات) الأفغانية في أفغانستان الغربية ، وهو الذي حارب الأمين بشدة فهزمه شر هزيمة ، فمنحه المأمون إمارة خراسان سنة ٢٠٥ هـ = ٨٢٠ م مكافأة له على ذلك ، فنال هناك نوعا من الاستقلال . هذه من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان المأمون أعجمي الأم له صلة بالأفغانيين والفرس ، وهذه الصلة قد لعبت دورها في التقارب بين المأمون الخليفة ، وبين طاهر القائد ، وما كانت الحرب التي وقعت بين المأمون والأمين إلا حربا بين العرب من ناحية وبين الخراسانيين (الأفغان والفرس) من ناحية أخرى^(٢) ، ومن هنا يمكن أن نعتبر انفصال أفغانستان قد بدأ في الظهور جليا في أوائل القرن الثالث الهجري ، بعد أن مهد له الزعيم أبو مسلم الخراساني ، كما مر ، وأخذت قوة الدولة الطاهرية في (هرات) الأفغانية تزيد وتنمو تدريجيا حتى انتهت إلى أيدي الصفاريين في (سيستان = سجستان) الأفغانية ، وإلى السامانيين في (بلخ) الأفغانية في أفغانستان الشمالية ، وإلى الغزنويين في (غزنه) الأفغانية وإلى الغوريين في بلاد (الغور) الأفغانية ، وقد ضعف بذلك السلطان العربي وازداد السلطان الإسلامي قوة ومتانة ، وفي ذلك الجين ، وبعد مائتي سنة بدأت تظهر الآداب الأفغانية التي كانت قد هجرت الميدان ، وبدأ الشعراء والكتاب ينظمون ، ويكتبون باللغات الأفغانية ، بالإضافة إلى اللغة العربية ... لغة الدولة والأدب الراقى .

طاهر ذو اليمينين^(٣) :

هو طاهر بن الحسين بن مضعب بن فرخ من أهل (پوشنك) بالقرب من

(١) وم يكن فارسي الأصل كما يقولون .

(٢) محمد أحمد براني : البرامكة في ظلال الخلفاء ٩ من المقدمة .

(٣) الزركلي : الأعلام : ٣ / ٣١٨ ، وابن خلكان : وفيات الأعيان ١ / ٢٣٥ ، والبداية والنهاية ١ / ٢٦٠ ، والطبري : ١٢٩ / ٦ .

(هرات) الأفغانية . ولد سنة ١٥٨ هـ = ٧٧٤ م أو سنة ١٥٩ هـ = ٧٧٥ م ومنحه الخليفة العباسي المأمون إمارة (خراسان) سنة ٢٠٥ هـ = ٨٢٠ م مكافأة له على ما قام به من خدمات للخلافة العباسية ، وعلى ما قدمه للمأمون نفسه من انتصارات عسكرية حتى نال الخلافة ، وترجع على عرشها ومات طاهر مسموماً في ٢٠٦ هـ (١) = ٨٢١ م على يد الوزير أحمد بن أبي خالد بإيعاز من المأمون نفسه جزاء له على قطع الخطبة للخليفة ، ووضع نواة الدولة الطاهرية في (هرات) الأفغانية ، وإعلانه الإستقلال الذاتي ، فهدد المأمون وريه أحمد بن أبي خالد ، وصمم على قتله . إن لم يقتل طاهراً الخارج عليه في (هرات) الأفغانية . لأن المأمون كان قد استثنى الوزير أحمد بن أبي خالد الأحوال في تولية طاهر بن الحسين خراسان وكان الوزير قد استصوب ذلك . فأرسل إلى طاهر بن الحسين هدية فيها (كواخ) (٢) مسمومة ، فأكل منها ، ومات لساعته .

نعم ! مات طاهر بن الحسين البوشنكي مسموماً بعد أن وضع نواة الدولة الطاهرية في أفغانستان ، وتركها لابنه طلحة بن طاهر ، وبعد أن تمكن في مدة قصيرة من الاستيلاء على أقاليم (طخارستان) و (بلخ) و (ميمنه) في شمال أفغانستان ، و (مرو) و (هرات) و (نيسابور) في غرب أفغانستان ، و (كرمانيه) و (سيستان = سنجستان) في الجنوب الغربي من أفغانستان ، وبذلك استطاع توحيد تلك المناطق والأقاليم في شمال وغرب وجنوب أفغانستان الخراسانية في دولة واحدة تتمتع بالاستقلال الذاتي ، أمتد نفوذها إلى حدود بلاد الهند . وهي أول دولة تظهر بشبه الاستقلال عن حكومة بغداد في الشرق (٣) .

بوشنك :

(بوشنك = بوشنج = فوشنج) مدينة أفغانية تاريخية قديمة كان يعيش فيها فرع من فروع القبائل (اليفتلية = الهفتلية = الهياطلة) في حوالي سنة ٤٨٦ م .

(١) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين ٧٨٢/٥ - ٧٨٥ .

(٢) كواخ : ما يؤتم به ، أو الخلالات المشبهة . المعجم الوسيط ٧٩٨/٢ .

(٣) عماد بن علي بن طباطبا (ابن الطقطقي) - الفخرى في الآداب السلطانية والبول الإسلامية من ١٨٤ - ١٨٥ طبعة القاهرة .

وذلك بعد هزيمة الإمبراطور الساساني في الحروب التي دارت بين الهياطلة والساسانيين . وقد استمروا في الحياة في (بوشنكك = بوشنج) وفي (هرات) إلى أن وصل إليها الفاتح الإسلامي عبد الله بن عامر (رضى الله عنه) في حوالى سنة ٣٠ هـ = (١) ٦٥٠ م ففتحها .

وفي أوائل دخول الإسلام ، وانتشاره في أفغانستان كانت مدينة (بوشنكك) من أعظم وأكبر المدن في نواحي (هرات) الأفغانية ، وكان يبلغ اتساعها نصف اتساع (هرات) نفسها ، وكانت تجرى فيها الأنهار الجارية ، وكانت تعلق فيها الأشجار الكثيرة العالية ، وكانت تورد الخشب إلى بلاد أخرى وكان لها حصن ، ومن حوالها خندق ، ولها ثلاثة أبواب .. باب على المفتوح إلى جهة الغرب ، ونيسابور ، وباب هرات في الناحية الشرقية ، وباب (قهستان) في الطرف الجنوبي منها . وأهلها خليط من العجم وأقلهم من العرب (٢) .

وبوشنكك لأن بليدة في غرب أفغانستان ينسب إليها خلق كثير من العلماء المشهورين منهم : إسماعيل بن عبد الواحد البوشنجي المتوفى سنة ٢٦٧ هـ (٣) وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم البوشنجي المتوفى سنة ٢٩١ هـ (٤) ، وأبو بكر محمد ابن ألى الأزهر البوشنجي المتوفى سنة ٣٢٥ هـ (٥) ، وأبو الحسن على بن أحمد البوشنجي المتوفى سنة ٣٤٨ هـ (٦) ، وأبو الحسن جمال الإسلام عبد الرحمن بن محمد البوشنجي المتوفى سنة ٤٦٧ هـ (٧) ، وأبو الفتح المختار بن عبد الحميد البوشنجي المتوفى سنة ٥٣٦ هـ (٨) ، وأبو منصور أسعد بن محمد الفوشنجي

-
- (١) فتوح البلدان : ص ٤٩٩ ، وإيران شهر ص ٧٦ .
(٢) أحسن التقاسيم ٣٠٨ ، وحدود العالم ٥٧ ، والبلدان ٤٤ .
(٣) ابن العماد : شذرات الذهب ١١٢/٤ ، ١١٣ ، عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين : ١٧٨/٢ .
(٤) الذهبى : سير النبلاء ١٣٧/٩ ، وعمر رضا كحالة : معجم المؤلفين : ٢٠٢/٨ .
(٥) الذهبى : تذكرة الحفاظ ٢٠٧/٢ - ٢٠٨ ، وعمر رضا كحالة : معجم المؤلفين : ٢٠٢/٨ ، والزركلى : الأعلام : ١٨٥/٦ .
(٦) ابن النديم : الفهرست ١٤٨/٩ ، والسيوطى : بغية الوعاة : ١٠٤ ، وحاجى خليفه : كشف الظنون ٢٤٣ ، ٢٨٣ ، والزركلى : الأعلام : ٣١٥/٧ .
(٧) ابن الجوزى : المنتظم ٤٩٦/٨ ، والسبكى : طبقات الشافعية ٢٢٨/٣ - ٢٢٩ ، وابن شاكر الكتبي : وفوات الوفيات ٢٦٢/١ ، وعمر رضا كحالة : معجم المؤلفين : ١٩٢/٥ .
(٨) البغدادى : هدية العارفين ٤٢٣/٢ ، وعمر رضا كحالة : معجم المؤلفين : ٢١١/١٢ .

المتوفى سنة ٥٤٣ هـ^(١) ، وغيرهم من العلماء المشهورين في العلوم الإسلامية والعربية المتنوعة ، وفي العصور المختلفة .

وإلى (بوشنك = بوشنج = فوشنج) تنتمي الأسرة الطاهرية التي وضعت حجر الأساس للدول أو الدويلات المنفصلة في أفغانستان ، ومن هذه الأسرة الطاهرية البوشنجية الهروية الأفغانية استقل بالحكم هؤلاء الذين تقوم بترتيب ذكرهم في الجدول الزمني التاريخي فيما يأتي ، وقد استقلوا بإمارة خراسان ، وكانت الصدارة للإمارة في هذه الأسرة منقسمة بين الحواضر الثلاث : بوشنج ، وهرات ، ونيسابور .

الأدب والثقافة :

لا شك في أن حكم الطاهرين لأفغانستان الخراسانية كان حكما صالحا عربيا وقوميا ، لأنهم اهتموا بشئون البلاد المختلفة ، وتمكنوا من القضاء على القلاقل والاضطرابات في البلاد ، وأصلحوا الأحوال ، وأقروا الأمن ، وراقبوا النظم الإدارية ، وقطعوا يد الظلم ، والطغيان ، وراعوا الرعية ، واهتموا بالأوضاع الاقتصادية والمالية ، وأولوا عنايتهم الأحوال الاجتماعية في خراسان ، كما تعهدوا أهل العلم ، والمعرفة ، وأهل الأدب ، والفن والعرفان ، وأصبحت حاضرة ملكهم في عهدهم مركزا هاما من مراكز الثقافة الإسلامية ، فازدهرت أفغانستان الخراسانية الطاهرية ازدهارا .

وكان لاستقلال الأقطار الإسلامية في الشرق الذي وضع نواته طاهر بن الحسين البوشنجي لأول مرة في أفغانستان ، كان لهذا الاستقلال أثر كبير في خلق نهضة أدبية وثقافية مؤثرة ، ذلك بعد أن كانت دار الخلافة العباسية في بغداد مركزا للآداب ، والعلوم ، والفنون ، فقد ظهرت في الدول المنفصلة مراكز متعددة للآداب ، والثقافة والفن ، وبدأت تنافس دار الخلافة العباسية في التمسك بالأدباء والعلماء والكتاب ، والفنانين ، وتتفاخر بهم ، وتغدق عليهم الأموال والعطايا السخية . وأصبحت لحواضر تلك الدول المستقلة شخصية مستقلة متميزة في أدبها

(١) السمعاني : التجميع ٢/٦ ، وعمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ٢/٢٤٨ .

وعلمها وثقافتها ولغاتها ، وفنها ، وصار كل منها قبلة للأدباء والشعراء والكتاب والعلماء والفنانين ورجال الثقافة . وحاضرة الطاهريين في خراسان من بين تلك الحواضر المستقلة التي ازدهرت بالأدب والعلم والثقافة والمعرفة والفن والتي لعبت دورها الهام الممتاز في الآداب العربية والوطنية والإقليمية معا .

وإذا كان دور الحواضر الإقليمية في الدول المستقلة في البلاد الخراسانية تعدد المراكز الأدبية والثقافية والفنية في العالم الإسلامي ، فإن هذه الحواضر ودولها المستقلة وعلى رأسها حاضرة الطاهريين في خراسان - قد مهدت من غير شك الطريق للاستقلال الأدنى ، أو النهضة الأدبية الإقليمية الوطنية في تلك الدول الإسلامية المستقلة ومنها أفغانستان .

ومن المعروف أن خراسان كانت دائما مهدا للثورات الانفصالية وموطنا للحركات القومية ، كما كانت مركزا لتقدم اللغات والآداب والفنون والثقافات المختلفة وهذا عباس المروى ينسب إليه قصيدة باللغة الدرية أنشأها حينما قدم الخليفة العباسي المأمون مدينة (مرو) عام ١٩٣ هـ = ٨٠٨ م يمدحه فيها مع أنه كان يجيد الإنشاد باللغة العربية ، وهاك أبيات شعرية من قصيدته هذه يقول فيها^(١) :

أى رسافیده بدولت فرق خودبرفرقدین	کسترانیده بچود وفضل در عالم یدین
مرخلافت راتو بشایسته چو مردم دیده را	دین یزدان راتو بایسته چو رخ راهردوعین

الترجمة :

يامن باليمن جاوز مفرقك الفرقدین	وعلى العالم بالجود والفضل بسطت الیدین
فإنما أنت تليق للخلافة كإليق الإنسان للعین	وأنت للخلافة لازم كما تلزم للوجه العینین

وفيها يقول أيضا :

کس پراین منوال پیش ازمن جنین شعر نکفت مرزبان فارسی راهست این نوع بین

(١) تاريخ أدب فارس ، دكتور رضا زاده شفق ، جاب تهران ، ایران .

الترجمة :

لم يسبقنى إنسان بشعر كمثّل ماقلت منذ أن كانت اللغة الفارسية في الوجود إن تأثير الدولة الطاهرية ، وأهدافها القومية الانفصالية لم يقتصر على المجالات السياسية ، أو الاقتصادية ، أو الاجتماعية فحسب ، وإنما تعداها إلى الناحية الأدبية ، والثقافية ، والحضارية ، لأسباب ساعدت على أن تنهى الظروف والأحوال لانطلاقة أدبية ، وثقافية ، وفنية ، وفكرية ، ولغوية ، ستبلغ ذروتها فيما بعد . ومن أهم هذه الأسباب والعوامل قيام الثورة العباسية على مساعى الخراسانيين ، ثم كان من العباسيين أن حرروا جماهير المسلمين وشعوبهم ، وأزالوا الحواجز والقيود التى أقامها الأمويون بينهم وبين الحياة السياسية والفكرية والعلمية ، وحتى الحياة الاجتماعية ، وقد انطلقت طاقات المسلمين من خراسان الأفغانية مؤثرة في الحياة السياسية ، حتى استولت على أجهزة الحكم كلها . وهذه الطاقات المتدفقة المنطلقة لم تقتصر على هذه الناحية السياسية ، وإنما اندفعت بقوة أشد عنفا إلى المجال الثقافى ، والأدبى ، والعلمى ، فبينما أعطى الخراسانيون عقولهم الثقافة العربية والآداب العربية ، فمهدوا في الوقت نفسه الطريق لإنشاء وتنشيط الآداب القومية والإقليمية في خراسان الأفغانية ، وبرزوا في المجالات الفكرية والأدبية ، وعمت مآثرهم العلمية والأدبية العالم الإسلامى كله ، في كلا المجالين العربى ، والخراسانى ... أتقنوا اللغة العربية ، كإتقانهم اللغة الدرية^(١) ، وقاموا بترجمة الكتب الدرية إلى اللغة العربية ، فملكوا بذلك عنان العربية والأفغانية معا . أمة هذا شأن أبنائها في السياسة ، والثقافة والأدب ، والفن ، لايمكن أن يرضى أبنائها بضياع آدابهم ، ولغاتهم ، وثقافتهم ، وحضارتهم ، ومن هنا نرى الطاهريين أبناء هذه الأمة يضعون أول لبنة في إعادة بناء هذا الصرح الأدبى ، والثقافى ، والحضارى العريق .

ونحب الإشارة هنا إلى أن الحركة الأدبية ، والثقافية هذه كانت مستمرة من أيام أبى مسلم الخراسانى ، ثم من أيام البرامكة البلخييين^(٢) ، حتى وصلت إلى

(١) الدرية : اللغة الدرية الأفغانية التى يسميها العرب باللغة الفارسية .

(٢) محمد أحمد برائق : البرامكة في ظلال الخلفاء ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، طبعة القاهرة ١٣٨٥ هـ .

= ١٩٦٥ م ، ومعجم البلدان ٣٢٢/٨ .

الطاهريين فتولوا أمرها بشيء من العناية إلى جانب عنايتهم بالأدب العربى واللغة العربية . وقد استمرت كذلك حتى مرت على الصفاريين فى (سيستان = سجستان) الأفغانية ، والسامانيين فى شمال أفغانستان ، والغزنويين فى غزنة الأفغانية والغوريين فى أفغانستان الوسطى المركزية ، وغيرهم من البيوتات والأسر الحاكمة فى أفغانستان ... كل يعمل بوجهين ... بوجه عربى تقريباً إلى الخلافة العربية طبقاً لقوتها وضعفها ثقافياً ، وسياسياً ، وبوجه إسلامى إقليمى داخل غلاف أدبى وثقافى قومى ... إلى أن تتحول هذه الحركة إلى الحركة الأدبية والثقافية المحضة عليها غلاف ذهيبى إسلامى ... حتى أحييت لغاتهم ، وآدابهم ، ودولهم فيما بعد ... ومن المحقق الثابت تاريخياً أن رجال خراسان البارزين من أمثال الزعيم أبى مسلم الخراسانى ، ورجاله ومن أمثال البرامكة البلخيين ، وآل سهل ، وآل طاهر بن الحسين كانوا يذكرون طغيان هذه الحركة ، شارك فيها معهم عالم ، وأديب ، وشاعر كأبى عبيدة اللغوى الإخبارى المشهور ، والكاتب الأديب سهل بن هارون أحد صنائع البرامكة البلخيين ، والشاعر القدير بشار بن برد الطخارى الذى يقول مشيداً بعبادة النار معبودة قومه فى (طخارستان) الأفغانية :

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة منذ كانت النار

ويقول متبادياً فى تفضيل إبليس المخلوق من النار معبودة قومه الطخاريين فى أفغانستان الشمالية ، على آدم عليه السلام المخلوق من الطين أب العرب حسب ظنه^(١) :

إبليس أفضل من أيكم آدم فتنهوا يامعشر الفجار
النار عنصرو وآدم طينة والطين لايسمو سمو النار

ونحن نعرف ماكان بين بشار بن برد ، وبين البرامكة من الود والتودد ، والحماية والرعاية ، ولم يكن ذلك إلا لأنهم كانوا جميعاً من شمال أفغانستان المعاصرة .

وقد ساعدهم فى ذلك بقاء لغاتهم ، وآدابهم ، وتقاليدهم حية مسيطرة على

(١) مقدمة ديوان بشار بن برد طبعة تونس .

أفكارهم القومية ، وكذلك بقاء عقائدهم حية ، نظرا لمعاملة الإسلام الحسنة السمحة ، إذ نظر الإسلام إلى المجوسية نظرة طيبة ، وعاملها معاملة طيبة بأن لم يقض عليها قضاء مبرما ، وبذلك ظلت المجوسية حية حياة قوية ، وقد ظلت تعاليم الديانة الآرية حية مهيمنة في أشكال مختلفة وصور متعددة ... فهي استمرت في ممارسة الحياة العقلية والدينية باسمها التاريخي الشهير ... (الزردشتية) في عصورها الأولى ، ثم باسم (المانوية) في عصر من العصور ثم باسم (المزدكية) في عصورها المتأخرة إلى أن نزلت عليها وعلى من اعتنقها النكبة القاسية في العصر العباسي . إن الإسلام لم يفعل بها كما فعلت النصرانية بالفلسفة والفلاسفة عندما انتصرت في اليونان ، وأغلقت المدارس الفلسفية في (أثينا) واضطهدت الفلاسفة الإغريق فمنهم من فر هاربا ، ومنهم من تنصر . لم يفعل الإسلام بالديانة الزردشتية كما فعلت النصرانية بالفلسفة . وقد اضطُرَّ العباسيون أخيرا إلى اتخاذ مثل هذه الإجراءات القاسية ضد تلك العقائد الآرية نظرا لأن أصحابها ومعتقديها قد بدأوا نشاطا هداما ضد الإسلام والمسلمين الذين عاملوهم معاملة حسنة ، فكان العباسيون لذلك مضطرين إلى اتخاذ تلك الإجراءات الحاسمة ضدهم .

وما كان ليستطيع بشار ، وغير بشار أن يقول ذلك - إن ضح أنه قاله -^(١) لو علم أن المجتمع خال من يحميه ، ويسنده ، وقد كان في الدولة من كان يتمتع بمكانة هامة نتيجة لتوسع النفوذ الخراساني (الأفغاني - الفارسي) تحت حكم العباسيين .

الدولة الطاهرية^(٢) أول دولة أفغانية تأسست في أفغانستان ، ولما كان أفراد هذه الأسرة الطاهرية الفوشنجية الهروية الأفغانية يدينون بالولاء للخلفاء العباسيين^(٣) ، فإن الخلفاء العباسيين بدورهم كانوا يوافقون على تعيين الحكام من بين هذه الأسرة الطاهرية الأمر الذي أضفى على هذه الأسرة طابعا وراثيا . وقد امتاز الطاهريون بحب الأدب ، والشعر ، والكتابة ، والعلوم عامة والواقع أن سلطة الخليفة العباسي كانت قد انتهت إلى الأبد في (أفغانستان = خراسان)

(١) مقدمة ديوان بشار بن برد ٢٤ - ٣٩ طبعة تونس .

(٢) نقلا عن تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق : Hitti History of The Arabs P. 461 .

(٣) الدوري : دراسات في العصور العباسية المتأخرة ١١٠ - ١١١ .

ولم يكن يعترف به كرئيس للعالم الإسلامى إلا شفويا فقط ، وذلك باعتباره ، قبل كل شيء ، رمزا دينيا أكثر منه سياسيا ... وكانت موافقة الخلفاء العباسيين على تعيين الحكام الطاهريين موافقة شكلية وصورية لم تكن تغير من حقيقة الأمر شيئا .

استمرار اللغات الوطنية وآدابها القومية :

انتشرت العلوم العربية فى البلاد الأفغانية من الصرف ، والنحو والأدب ، والفن ، واللغة ، وغيرها من العلوم الدينية ، وسيطر الأدب العربى على الأذهان فى بلاد الأفغان ، وانتصر على الآداب القومية من البشتونية ، والدرية انتصارا عظيما ، كما انتصرت اللغة العربية على اللغات الوطنية انتصارا باهرا ومع ذلك فقد استمرت الآداب القومية الأفغانية ، واللغات الوطنية ، وغيرها من اللهجات الأفغانية عامة فى التداول والاستعمال بين الشعوب الأفغانية المختلفة إلا أنها لم تكن لغات رسمية للدولة الإسلامية ، ولم تكن بالتالى تشجع من طرف الأمراء والحكام ، والولاة من العرب المسلمين ، ومع هذا الإهمال وعدم الاهتمام والتشجيع فقد استمرت الفنون الأدبية الشعبية بين حياة عامة الناس حياة نشطة ، بعيدة عن المجال الحكومى الرسمى ، كالأدب الشعبى من الشعر ، والقصص ، والفنون ، والأمثال ، والحكم الشعبية ، والوطنية ، وكانت الدولة الطاهرية فرصة ذهبية لتعود مرة أخرى إلى الحياة الأدبية حية .

ويعد الشاعر الأفغانى أبو محمد هاشم بن زيد السروانى البستى من أكثر الشعراء شهرة وجودة من شعراء البختونية (البشتونية) فى هذا العصر وقد كان يقول الشعر بثلاث لغات : البختونية ، والدرية ، والعربية ، وله كتاب باسم (د سالو وجهه = نسيم الصحراء)^(١) كما يعد (حنظلة البادغيسى)^(٢) من أكثر شعراء الدرية شهرة فى ذلك العصر وقد عاش فى عصر عبد الله بن طاهر ، وله ديوان شعر مفقود .

(١) عبد الحى حبيبي - دپشتوآدياتو تاريخ ٢/٢ - ٩ طبعه ثانية كابل .

(٢) اريانا دائرة المعارف : ٤٣٧/٣ طبعة كابل سنة ١٣٣٥ هـ = ١٩٥٦ م .

الشعر العربي في أفغانستان أيام الدولة الطاهرية :

ومن شعراء العربية المشهورين في العصر الطاهري علي بن جبلة الملقب بالعكوك الذي طال به المقام عند عبدالله بن طاهر ، وقد امتدحه كثيرا ، ونال منه صنات طائلة ، ومن أشهر ممدوحيه بالإضافة إلى عبدالله بن طاهر حميد بن عبد الحميد الطوسي^(١) . وأبودلف القاسم بن عيسى العجلي^(٢) والحسن بن سهل وزير المأمون^(٣) . وليس فيما بقي من شعره مدائح كثيرة في عبدالله بن طاهر ، والحسن بن سهل لا لأن قصائده فيها ضاعت بل لأنه اتصل بهما في آخر حياته .

قال علي بن جبلة يمدح عبدالله بن طاهر^(٤) :

راعاه الشيب إذ نزل	وكفاه من العذل
وانقضت مدة الصبا	وانقضى اللهو والعزل
قد لعمري ^(٥) دملته	بخضاب فما اندمل
فأبك للشيب إذ بدا	لا على الرقع والطلل
وصل الله للأمير	ر عرى الملك فاتصل
ملك عزمه الرما	ن وأفعاله الدول
كسروى بمجده	يضرب الضارب المثل
وإلى ظل عـ	يلجأ الخائف ^(٦) الوجـ
كل خلق سوى الأما	م لأنعامه ^(٧) حول
ليته حين جـ	بالغنى جاد بالقفل

وقال علي بن جبلة في طاهر بن الحسين^(٨) :

(١) الطبرى : ٥٤٩/٨ ، ٥٥٣ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٦ ، ٥٦٩ ، ٥٧٤ ، ٦٠٩ ، ٦١٤ ، ٦٥٩ ، ٢٨٧/٩ .

(٢) الأغاني ٢٤٨/٨ .

(٣) وفيات الأعيان : ٣٩٠/١ .

(٤) الأغاني : ١١٠/١٨ .

(٥) دمله : أخفاه وواراه .

(٦) الوجـ : المذعور .

(٧) الخول : ما أعطى الله الإنسان من النعم .

(٨) وتنسب هذه الأبيات لعوف بن محم ، وغيره أيضا .

عجبت لحرّاقَة^(١) بن الحسين كيف تعوم ولا تُعرق
بحران من تحتها واحسد وآخر من فوقها مطبق
وأعجب من ذاك عيْدَانُهَا وقد مَسَّهَا كيف^(٢) لا تُسورق

وكان طاهر بن الحسين يقول الشعر وينشده ، ومن شعره حين تم له
قتل الأمين^(٣) :

قتلت الخليفة في داره وأنهت بالسيف أمواله
وقال أيضا^(٤) :

ملكتم الناس قسرا واقتدارا وقُتِلْتُ الجابرة الكبارا
وَوَجَّهْتُ الخلافة نحو مرو إلى المأمون تبتدر ابتدارا

خرج (مهزم بن الفرز) مع طاهر بن الحسين إلى خراسان ، فلما جاء
الشتاء قسم طاهر الوبر على أصحابه ، وأغفل حظ (مهزم) فدخل (مهزم) إليه
فقال : أيها الأمير ، قلت بيتا ، قال : أنشده ، فقال^(٥) :

كَفَى حَزْناً أَنَّ الْفَرَاءَ كَثِيرَةً وَأَتَى بِمَرُ الشَّاهِجَانِ بِلَا قَرَو
فقال لمن حضر : أجيئوا الرجل ، فكأنه ارتج عليهم ، فقال (مهزم) : أنا
أولى بإجابة نفسي ، قال : فافعل ، فقال :

صَدَقْتُ لَعَمْرِي إِنَّهَا لَكَثِيرَةٌ وَلَكِنَّهَا عِنْدَ الْكَرَامِ أَوْلَى السَّرَو
فَإِنْ كُنْتُ عَبْدِيًّا فَمَا بِكَ حَاجَةٌ إِلَى لُبْسِ قَرَو فِي الشَّتَاءِ مَعَ^(٦) الْعَسَو

كان طاهر بن الحسين بخراسان يتعشق جارية في جيرانه يقال لها (ديندا)

(١) الحرّاقَة : السفينة .

(٢) ابن المعتز : طبقات الشعراء ١٨٩ ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر .

(٣) الطبري : ٤٩٩/٨ .

(٤) الطبري : ٤٩٩/٨ .

(٥) ابن طيفور : بغداد في تاريخ الخلافة العباسية ٦٣ ، بغداد ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م .

(٦) أبو الفضل أحمد بن طاهر الكاتب (ابن طيفور) بغداد في تاريخ الخلافة العباسية ص ٦٤ ، بغداد

١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م .

وكانت توصف بجمال أخاذ عجيب ، ولما صار إلى مدينة السلام وقع في سجنه
جار لعشيقتة (ديدا) فأرسل إليه رقعة لطيفة يخبره فيها أنه حبس بجرم يسير
وتوسل إليه بجوار (ديدا) فلما قرأ طاهر الرقعة كتب في ظهرها :

وَيَا جَارَ (ديدا) لَا تَخَفْ سَيَجَن طَاهِرٌ قَوْلِيكَ لَوْ تَدْرِي عَلَيْكَ شَفِيقُ
أَيَا جَارَ (ديدا) أَنْتَ فِي سَيَجَن طَاهِرٌ وَأَنْتَ لَدَيْدَا مَا عَلِمْتَ ^(١) طَلِيقُ

ثم كتب في أسفل البيتين يخلى سبيله ، ويعطى أربعة آلاف درهم ، وعليه
لعنة الله ، فقد حرك منى ساكنا ^(٢) .

قال أحمد بن عبدالرحمن المهلبى : ديذا صناجة ^(٤) كانت بنيسابور بارعة في
صناعتها تنزل في موضع يقال له (دروان كوش) بنيسابور ، وفيها يقول طاهر في
شعر له ^(٤) :

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أُبَيِّنَ بَعْدَهَا بَلِيلَةَ مَسْرُورٍ بَحِيثُ أَرِيدُ
وَهَلْ تُرْجَعُنْ خَيْلِي إِلَى رِبَطَاتِهَا وَيَجْمَعُنِي وَالْمَازِقِينَ صَبِيسُ
وَهَلْ عَرَفْتَ (ديدا) مَقَامِي وَمَوْقِفِي إِذَا أُضْهِمْتُ نَارٌ وَلَيْسَ رَقُودُ

قال أبو العباس محمد بن علي بن طاهر : كانت (ديذا) الصناجة تنزل عند
ميدان زياد ، وفي (ديذا) يقول طاهر بن الحسين ^(٥) :

أما أنى لك ديذا أن تزوريني يوما إلى الليل أو تستزيريني

أرسل طاهر بن الحسين إلى جارية له يعلمها أنه يصير إليها في يومه
فأصلحت ما تريد أن تصلحه ، ثم خرج يريدها ، فاعترضته في قصره جارية
أخرى ، فاجتذبتة ، فدخل إليها ، وأقام عندها باقى يومه ، فلما كان من الغد

(١) المصدر السابق .

(٢) ابن طيفور : بغداد في تاريخ الخلافة العباسية ص ٦٤ ، بغداد سنة ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ .

(٣) صناجة : الصنج : صفيحة مدورة من صفر يضرب بها على أخرى . وصفائح صفر صغيرة مستديرة
تثبت في أطراف الدف أو في أصابع الراقصة يرق بها عند الطرب وآلة موسيقية ذات أوتار . المعجم
الوسيط ٥٢٥/٢ .

(٤) ابن طيفور : بغداد في تاريخ الخلافة العباسية ص ٦٥ ، بغداد سنة ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م .

(٥) ابن طيفور : بغداد في تاريخ الخلافة العباسية ص ٦٥ ، طبعة سنة ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م .

كتبته إليه الأولى (١) :

ألا يا أيها الملك الهمام لأمرك طاعة ولنا ذمام
خلقنا للزيارة واغتفلنا ولم يك غير ذلك والسلام

شكى منصور الحمري إلى طاهر بن الحسين كلثوم بن عمرو العتاي ، فبعث
طاهر إلى العتاي ، وأخفى منصورا في مجلسه ، فسأل طاهر العتاي أن يفصح عن
منصور فقال : إنه لا يستحق ذلك ، فدعا منصورا ، فخرج ، فقال : ولم
لا أستحق ذلك منك ؟ فقال له العتاي (٢) :

أَصْحَبْتُكَ الْفَضْلَ إِذْ لَا أَنْتَ مَعْرِبُهُ كَلَّا وَلَا لَكَ فِي اسْتِصْحَابِهِ أَرْبُ
لَمْ تَرْتَبْطُكَ عَلَى وَصْلَى مَحَافِظَةٍ وَلَا أَجَارَكَ مَا أَغْنَى بِكَ الْأَدَبُ
مَا مِنْ جَمِيلٍ وَلَا عَرَفَ نَطَقَتْ بِهِ إِلَّا إِلَيَّ وَإِنْ أَنْكَرْتَ تَنْتَسِبُ

كان عبدالله بن طاهر قائدا شجاعا ، وأديبا ظريفا ، وشاعرا جيد الغناء ،
ولقد نسب إليه صاحب الأغاني أصواتا كثيرة أحسن فيها ، ونقلها أهل الصنعة
عنه ، وله شعر رائع ورسائل طريفة . أعطاه المأمون مال مصر لسنة ، فوهبه كله
وفرقه في الناس ، ورجع صفرا من ذلك فغاض المأمون فعُله ، فدخل إليه يوم مقدمه
فأنشده أبياتا قالها في هذا المعنى ، وهى :

نَفْسِي فِدَاؤُكَ وَالْأَعْنَاقُ خَاضِعَةٌ لِلنَّائِبَاتِ أَيُّهَا غَيْرُ مَهْتَضَمٍ
إِلَيْكَ أَقْبَلْتُ مِنْ أَرْضٍ أَقَمْتُ بِهَا حَوْلِينَ بَعْدَكَ فِي شَوْقٍ وَفِي أَلَمٍ
أَقْفُوْهُ مَسَاعِيكَ اللَّائِي خُصِّصْتُ بِهَا حَذُوَ الشَّرَاكِ عَلَى مِثْلِ مِنَ الْأَلَمِ
فَكَانَ فَضْلِي فِيهَا أَنْنَى تَبَعٌ لِمَا سَنَنْتَ مِنَ الْإِنْعَامِ وَالنِّعَمِ
وَلَوْ وُكِّلْتُ إِلَى نَفْسِي غَنِيْتُ بِهَا لَكِنْ بَدَأْتُ فَلَمْ أَعْجِزْ وَلَمْ أَلَمِ

فضحك المأمون وقال له : والله ما نَفَسْتُ عليك مَكْرَمَةً نلتها وأحدثت حسن
عندك ذكرها ، ولكن هذا شيء إذا عَوَّدته نفسك افترقت ، ولم تقدر على لم
شعثك وإصلاح حالك . وزال ما كان في نفسه (٣) .

(١) المصدر السابق :

(٢) المصدر السابق .

(٣) الدكتور أحمد فريد رفاعي : عصر المأمون : ٢٩٥/٣ ، طبعة القاهرة ١٣٤٦ هـ = ١٩٢٨ م .

قال عبد الله بن طاهر بن الحسين وهو بمصر يحاصر لعبيد الله بن السري^(١) :

بَكَرْتُ تُسْبِلُ دَمْعاً إِذْ رَأْتُ وَشَكَ بَرَّاحِي
وَبَدَّلْتُ صَقِيلاً وَيَمِيناً بِيُوشَاحِي
وَتَمَادَيْتُ بِسَيْرٍ لِقُدُوْ وِ رَوَاجٍ
زَعَمْتُ جَهْلاً بِأَنِّي تَعَبْتُ غَيْرَ مُرَاجٍ
أَقْصِرِي عَنِّي فَإِنِّي سَأَلْتُ قَصْدَ فَلَاحِي
أَنَا لِلْمَأْمُونِ عَبْدٌ مِنْهُ فِي ظِلِّ جَنَاحٍ
إِنْ يُعَافِ اللَّهُ يَوْمًا فَقَرِيبٌ مُسْتَرَا حِي
أَوْ يَكُنْ هُلُكٌ فَقُولِي بِعَوِيْلٍ وَصِيَا حِ
حَلْ فِي مَصْرٍ قَتِيْلٍ وَدَعِي عَنْكَ التَّلَاحِي

قال أحمد بن يزيد بن أسد السلمي : كنت مع طاهر بن الحسين بالرقعة ،
وكانت لي به خاصية أجلس عن يمينه ، فخرج علينا يوما راكبا ، ومشينا بين
التيه ، وهو يتمثل^(٢) :

هَلْ عَلَيْكُمْ بَدَارِي فَأَهْدُمُوهَا فَإِنِهَا تَرَاثُ كَرِيمٌ لَا يَخَافُ الْعَوَاقِبَا
مِمَّا إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبَا
سَأَدْحِضُ عَنِّي الْعَارَ بِالسَّيْفِ جَالِبَا عَلَيَّ قَضَاءُ اللَّهِ مَا كَانَ جَالِبَا
ثم اجتمعنا مع ابنه عبد الله في ذلك القصر بعينه ، فخرج علينا راكبا وهو
يتمثل^(٣) :

يَا أَيُّهَا الْمُتَمَنِّي أَنْ يَكُونَ فَتًى مِثْلَ ابْنِ لَيْلَى لَقَدْ خَلَّى لَكَ السَّبِيلَا
انْظُرْ ثَلَاثَ خِلَالٍ قَدْ جَمَعْنَ لَهُ هَلْ سُبُّ مِنْ أَحَدٍ أَوْ سَبٌّ أَوْ بَخْلَا

قال الحسن بن يحيى بن عبد الرحمن الفهري : لقينا البُطَيْنَ الشاعر الحمصي
ونحن مع عبد الله بن طاهر فيما بين سلمية وحمص ، فوقف على الطريق ، فقال
لعبد الله بن طاهر^(٤) :

(١) ابن طيفور : بغداد في تاريخ الخلافة العباسية ٨٠ - ٨١ .

(٢) المصدر السابق ٥٤ - ٨٥ .

(٣) المصدر السابق ٨٥ .

(٤) المصدر السابق ٨٧ - ٨٨ .

مَرْحَبًا مَرْحَبًا أَهْلًا وَسَهْلًا بَابِن ذِي الْجُودِ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ
مَرْحَبًا مَرْحَبًا أَهْلًا وَسَهْلًا بَابِن ذِي الْعُرَيْنِ فِي الدَّعْوَيْنِ
مَرْحَبًا مَرْحَبًا بِمَنْ كَفَّهُ الْبَحْ رُ إِذَا فَاضَ مُزِيدَ الرَّجْوَيْنِ
مَا يُبَالِي الْمَأْمُونُ أَيَّدَهُ اللَّهُ هُ إِذَا كُنْتُمَا لَهُ بَاقِيَيْنِ
أَنْتَ غَرَبْتَ وَذَاكَ شَرَقَ مُقِيمًا أَيُّ فَتَقَى أَتَى مِنَ الْجَانِبَيْنِ
وَحَقِيقَ إِذْ كُنْتُمَا فِي قَدِيمِ لِرِزْقِي وَمَصْعَبِ وَحْسِينِ
أَنْ تَنَالَا مَا نِلْتُمَا مِنَ الْمَجْدِ بِدِ وَأَنْ تَعْلُوا عَلَى الثَّقَلَيْنِ
فَأَمْرٌ لَهُ بِسَبْعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ فِي مَقَابِلِ سَبْعَةِ آيَاتٍ مِنَ الشَّعْرِ قَالَهَا فِي
مدحه .

قال الحسن بن براق : أهدى عبدالله بن طاهر إلى المأمون قينة ، وأمرها أن
تنشد شعرا لعبدالله بن طاهر ، فلما جلست في مجلس المأمون أنشأت تقول
كما أمرها عبدالله (١) :

أَعْمَدِي سَيْفِي وَقُولِي جَمَّ يَاسَيْفُ طَوِيلَا
قَدْ فَتَحْتَ الشَّرْقَ وَالْغَرْ بَ وَأَمَنْتَ السَّيْلَا

فلما فرغت قال لها المأمون لا تقطعي صوتك ، وقولي ما أقول لك (٢) :

بَنَّا نِلْتَ الَّذِي نِلْتَ تَ فَدَعْ عَنْكَ الْفُضُولَا
أَنْتَ لَوْلَا فِي الشَّ كَّةِ لَمْ تَسَوْ فَتَيْلَا

ثم قال أرجعي إليه هذا فإن شاء بعد فليردك .

قال أبو السمرء ، كنت يوما عند عبدالله بن طاهر ، وليس في المجلس غيري ،
وأنا بالقرب منه ، ودخل أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم ، فاستدعاه ، عبدالله
ابن طاهر وناجاه بشيء فاعتمد إسحاق على سيفه وأصغى لمناجاته ، وطالت
النجوى بينهما ، ثم انقطع ماكانا فيه ، ونظر إلى عبدالله بن طاهر فقال :
يا أبا السمرء (٣) :

(١) ابن طيفور : بغداد في تاريخ الخلافة العباسية ص ٨٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٨٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٩٠ .

إِذَا النَّجِيَّانِ دَسَا عَنْكَ أَمْرُهُمَا فَارْتُجِ بِسَمْعِكَ تَجْهَلْ مَا يَقُولَانِ
وَلَا تُحْمِلْهُمَا ثِقَلًا بِخَوْفِهِمَا بِهِ تُنَاجِيهِمَا فِي الْمَجْلِسِ الدَّانِي

قال أبو السمراء : فما رأيت أكرم منه ، وأرفق تأديبا ، ترك مطالبتى في هفوى بحق الأمراء ، وأدبنى أدب النظراء .

قال المأمون يوما لأصحابه : هل تعرفون رجلا برع بنفسه حتى مدأهله وبرز على جميع أهل دهره في نزاهة نفسه ، وحسن سيرته ، وكرم حزيته ؟ فأمسك القوم جميعا بعد القيل والقال : فقال المأمون : ذاك عبدالله بن طاهر وليته مصر وأموالها حمة ، فما تعرض لدينار منها ولا درهم ، وماخرج عن مصر إلا بعشرة آلاف دينار ، وثلاثة أفراس ، وحمارين ، ولكنه غرس يدى ، وخرج أدنى ، ولأنشدتكم أبياتا في صفته ، ثم تمثل ^(١) :

حَلِيمٌ مَعَ التَّقْوَى شَجَاعٌ مَعَ الْجَدَا نَيْدِي حِينَ لَا يَنْدِي السَّحَابُ سَكُوبُ
شَدِيدٌ مَنَاطِ الْقَلْبِ فِي الْمَوْقِفِ الَّذِي بِهِ لِقُلُوبِ الْعَالَمِينَ ^(٢) وَجَيْبُ
وَيَجْلُو أُمُورًا لَوْ تَكَلَّفَ غَيْرُهُ لِمَاتِ خُفَاتَا ^(٣) أَوْ يَكَاذُ يَذُوبُ
فَتَى هُوَ مِنْ غَيْرِ التَّحَلُّقِ مَا جَدَّ وَمِنْ غَيْرِ تَأْدِيبِ الرُّجَالِ أَدِيبُ

قال أبو مسلم عبدالرحمن بن حمزة بن عفيف ، حدثنى أبى : خرجنا إلى الصيد مع طلحة بن طاهر فطفنا فلم نصب شيئا ، ومعنا أبو السحيل ، وأحمد بن أبى نصر يلعب بالشطرنج ، قال : فالتفت إلى فقال : رأيت مثل هذا اليوم ؟ قال قلت : وقد حضرنى فيه أبيات ، ثم أنشأت أقول ^(٤) :

كَيْفَ بِالصَّيْدِ لَنَا يَا قَوْمُ لَا بَلَّ كَيْفَ كَيْفًا
بَلَّ بِمَحْدُودِينَ ^(٥) قَدْ هَـ زَا لَنَا رُمْحًا وَسَيْفًا
فَلَوْ أَنَّ الْوَحْشَ طَرَأَ حُشِرَتْ مَشْتَى وَصَيْفًا

(١) ابن طيفور : بغداد فى تاريخ الخلافة العباسية ص ٩١ .

(٢) الجدا : المطاء والمطر العام . وفى الحديث : « اللهم اسقنا غيثا غدقا ، وجدا طبقا » .

(٣) الوجيب : الخفقان والاضطراب .

(٤) الخفت : السكون ، والسكوت ، والضعف ، وانقطاع كلام المريض .

(٥) ابن طيفور : بغداد فى تاريخ الخلافة العباسية ص ٩٢ .

(٦) المحدودان : هما أبو السحيل ، وأحمد بن أبى نصر .

وَحَرَجْنَا وَهُمَا مَعَنَا فَمَا صِدْنَا. ^(١) خُشِيفًا

ولما مات طلحة بن طاهر بن الحسين في (بلخ) في أفغانستان الشمالية رثاه الشاعر أبوالسحيل بشعر له طويل ، يقول فيه ^(٢) :

أَلَيْمٌ يَبْلُغُ ^(٣) عَلَى الْقُبُورِ مُسْلِمًا إِنَّ الْقُبُورَ حَقِيقَةٌ بِالْمَامِ
شَوْقًا إِلَى جَدِّ أَقَامَ يَقْفِرَةً مَنْ كَانَ مُعْتَلِيًّا عَلَى الْأَقْوَامِ
يَاقْبَرُ طَلْحَةَ فِيكَ مَثْوَى سَيِّدٍ لِمُسَوِّدِينَ مُهْذَبِينَ كِرَامِ
مِنْ مَعْشَرِ ثُرَى السُّيُوفِ أَكْفُهُمْ لَا يَخْسِرُونَ سَوَاعِدًا لِلطَّامِي

وفي البكاء على قصور الأسرة الطاهرية الأفغانية البوشنكية يقول الشاعر العربي أبو محمد عوف بن محلم الشيباني من شعراء القرن الثاني محمدا مكان تلك القصور التاريخية والحي الذي بنيت فيه تلك القصور ^(٤) .

يا ابن الذى دان له المشرقان طرا ^(٥) ودان له المغربان
إن ، الثانين وبلغتهما قد أحوجت سمعى إلى ترجمان
وصيرت بينى وبين الورى عناة ^(٦) من غير جنس العنان
وبدلتنى من نشاط الفتى وهمه هم الدثور ^(٧) ^(٨) الهدان
وأبدلتنى بالقوام ^(٩) الحذا وكنت كالصعدة ^(١٠) تحت اللسان

(١) الخشيف : تصغير الخشف وهو ولد الظبية أول مايولد .

(٢) ابن طيفور : بغداد في تاريخ الخلافة العباسية ص ٩٤ ، بغداد ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م .

(٣) بلخ : مدينة تاريخية قديمة كانت تدعى (بخدي) وكانت مركزا هاما من مراكز الديانات الآرية ، والزرذشتية ، والبوذية ، والدين الإسلامى المقدس .

(٤) أبو الفضل محمد بن حسين كاتب يهقى - تاريخ مسعودى معروف بتاريخ يهقى ٨٩٨/٢ ، طبعة طهران سنة ١٣٢٦ هـ . ش .

(٥) طرا : الطر يفتح الطاء : ماطلع من الوبر وشعر الحمار ونحوه بعد النسل . والطر بالضم : الطرف ، والجانب ، والناحية ، والخاصية والجماعة . الجمع أطرار .

(٦) العنان : مايبدو لك من السماء إذا نظرت إليها . والسحاب . وناحية كل شئ والعنان للجم .

(٧) الدثور : المتدثر . ودثر الشئ قدم ودرس .

(٨) الهدان : الأحق الجافى الوحى الثقيل فى الحرب . والنوام الذى لا يكر .

(٩) الحذا : الانحاء وهو الانعطاف .

(١٠) الصعدة : القناة تنبت مستوية فلاتحتاج إلى تثقيب

فهمت من أوطار وجدى بها
وما بقى فى . لمستمع
أدعو إلى الله وأثنى به
قربانى بأنى أنتمنا
وقبل منعاى إلى نسوة
سقى قصور الشاذياخ^(٣) الحيا
فكم وكمن دعوة لى بها
لا بالغوان^(١) أين معنى الغوان
إلا لسانى ويحسى لسان
على الأمير المصعبى^(٢) الهجان
من وطنى قبل اصفرار البنان
أوطانها حمران والمرقبان
قبل وداعى وقصور^(٤) الميان
ما أن تخطاها حروف الزمان

وقد بكى الشاعر العربى محمد بن حبيب الضبى على هذه القصور الطاهرية
التي اندثرت بعد اندثار الطاهريين ، حيث يقول^(٥) :

وكان الشاذياخ مناخ ملك
وكانت دوركم للهو وقفنا
فعين الشرق باكية عليكم
كذلك يكون من صحة التراضى
وكذلك يقول فى ذلك .

فتلك قصور الشاذياخ بلاقع
وأضحت خلاء شاذمهروأصبحت
وغنى مغنى الشرب فى آل طاهر
عفا الملك من أولاد طاهر مثلما
وأيامهم كانت لديهم ودائعا
خراب يباب والمبان مزارع
معطلة فى الأرض تلك المصانع
بماهوراى العين فى الناس رائع
عفاحسم من أهله فمتالع
فأرهقههم دهر فرد الودائع

(١) الغانى : صاحب المال الكثير . والغانية : المرأة الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة . الجمع : غوان .
(٢) لهجان : من الأشياء الجيدة الكريم ، والرجل الهجان : كريم الحسب نقيه .
(٣) الشاذياخ : اسم مكان فى نيسابور .
(٤) الميان : اسم حى من الأحياء خارج نيسابور قديما .
(٥) تاريخ يهقى : ٨٩٩/٢ . وابن الفقيه - كتاب البلدان .

الأدب في ظلال الدولة الصفارية^(١)

التمهيد :

عاشت خراسان الأفغانية ، أو أفغانستان الخراسانية تحت ظل الدولة الطاهرية فتره من الزمن تتموج بأحاسيس إسلامية مخلوطة بالأحاسيس والمشاعر الوطنية الانفصالية وفي هذه الفترة تمهدت الطريق للتطور ، وقد بدأت أفغانستان الخراسانية تتطور تطوراً إسلامياً ، وذلك بعد إتمام فتحها مباشرة ، إذ بدأت الآداب والثقافة الإسلامية تنتشر فيها انتشاراً عظيماً وسريعاً ، وبدأت تمد الهند والبلاد المجاورة الأخرى بهذا الغذاء الروحي المقدس ، ثم بدأت بإظهار شخصيتها المنفصلة في التعبير عن معارضتها الشديدة العملية التي قامت بها في وجه الحكم الأموي المبني على الأسس القبلية الخالصة ، وفي سبيل ذلك أيد الخراسانيون جميع الحركات التي كانت تقوم في وجه الأمويين ، وقد شهدنا كيف وقفوا وراء الزعيم الخراساني أبي مسلم حينما أعلن حركته التي تعتبر أساساً للدول الخراسانية التي وضع نواتها طاهر بن الحسين البوشنجي في (هرات) الأفغانية ، حتى تمكنوا من إظهار الأمويين ، وقيام الخلافة العباسية في بغداد ، ثم بدأت الحركة الأفغانية الانفصالية تظهر ظهوراً واضحاً في سنة ١٣٢ هـ = ٧٤٩ م ، لأن الخراسانيين في أفغانستان الخراسانية كانوا من وراء تلك الحركات التي أدت إلى نجاح العباسيين ، وطرد الأمويين . هذه بالنسبة للحركة الانفصالية ، ولكن الوطن الأفغاني بدأ يعبر عن نفسه تعبيراً وطنياً قومياً بقيام الدول والإمارات المستقلة التي بدأت بالدولة الطاهرية التي تلتها الدولة الصفارية التي أسسها بالظهير يعقوب بن الليث الصفاري التي نتحدث عنها في هذا الفصل . وكذلك بدأت اللغات الوطنية وآدابها القومية تنشط من جديد بقيام هذه الدول والإمارات الوطنية ، أو قبلها بقليل حيث استقبل الخليفة العربي العباسي المأمون بقصيدة باللغة الدرية كما مر في بعض الأحيان الدولة الطاهرية^(٢) .

(١) عمر رضا كحالة : العالم الإسلامي ١٨٠/٢ ، الطبعة الثانية ، دمشق سنة ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٨ م .

(٢) راجع ص : ٣٣٣ - ٣٣٨ من هذا الكتاب .

الدولة الصفارية :

وقصة الدولة الصفارية تبدأ بالزعيم السيستاني يعقوب بن الليث حينما أسس هذه الأسرة الحاكمة في (سيستان = سجستان) في سنة ٢٤٧ هـ = ٨٦١ م ، وهذه الدولة الصفارية تمثل الحركة الاستقلالية في خراسان الأفغانية وهي على هذا تعتبر امتدادا للدولة الطاهرية التي قضى عليها يعقوب بن الليث .

انتهى أمر الدولة الطاهرية في عام ٢٥٩ هـ = ٨٧٢ م ، بعد أن هزم محمد بن طاهر آخر أفراد الأسرة الطاهرية على يد جيش من الثوار من إقليم (سيستان = سجستان) الأفغانية برئاسة يعقوب بن الليث الصفاري ، ثم أصبح يعقوب هذا سيدا على خراسان ، و (هرات) الأفغانية ، بعد أن أسقط الدولة الطاهرية ، ووسط نفوذه على (كرمان) و (فارس) و (أصفهان) وقد احتفظ الصفاريون بالحكم طويلا في (سيستان = سجستان) وقد حدثت في هذه السنوات المحدودة للحكم الصفاري حادثة ذات مغزى مهم ... وهي أن يعقوب الصفاري قد سمح للشعراء بنظم الشعر باللغة الدرية .

يعقوب بن الليث الصفاري^(١) :

ولد مؤسس الأسرة الصفارية الحاكمة يعقوب بن الليث في قرية من قرى سيستان الأفغانية ، وهو زعيم مغامر شجاع بدأ حياته مع أخيه عمرو يشتغلان بصناعة الصفر ، ثم التحقا بفرق المتطوعة لمحاربة الخارجين على الخلافة العباسية في (سيستان) الأفغانية تحت قيادة صالح بن النضر الكناني ، وكان يعقوب ذا مواهب عالية ، وفروسية ، وشجاعة نادرة ، وإقدام ، فما لبث أن أظهر أمره ، وذاعت فروسيته بين إخوانه من المتطوعة كجندى باسل ، له تجربه وحكمة في الفنون القتالية ، كان يتميز بخلق عسكري رفيع ، أساسه الإقدام مع الخشونة والتواضع مع المواساة . وبعد وفاة صالح بن النضر الكناني وقع الاختيار على يعقوب بن الليث^(٢) للقيادة ، وقد برهن بمواهبه القيادية على مقدرة وكفاءة ، حارب الخارجين على الدولة ، ودمر قراهم ، وأعاد الأمن والهدوء إلى (سيستان = سجستان) الأفغانية ، وأظهر الطاعة للخليفة في بغداد وكاتبه بأنه يعمل بأمره ، ويقاوم لأجله^(٣) .

(١) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين : ٥١٤/٥ ، ومابعدها .

(٢) على بن أحمد بن الأثير - الكامل في التاريخ ٢٢/٧ ، ٦٥ .

(٣) يراجع : الدكتور أحمد محمود السادق : تاريخ بخارى ٩٤ الترجمة العربية ، والدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ٦٤/٣ - ٧٠ الطبعة السابعة ، وابن خلكان : وفيات الأعيان ٣١٢/٢ =

طهر (سيستان = سجستان) من الخارجين على الدولة ، واحتل (هرات) و (بوشنج) سنة ٢٥٣ هـ = ٦٧٢ م وأعاد فتح كابل سنة ٢٥٧ هـ = ٨٧٠ م كما أعاد فتح طخارستان ومكران من المدن الأفغانية القديمة ، كما فتح (فارس) حتى وصل في فتوحاته إلى الحدود الشرقية الأفغانية ، فأخضع لنفوذه بلاد (السند) و (ملمتان) وأخيرا استولى على (طبرستان) وأحاط بذلك خطا أحمر علامة خطر منذرا للدولة الطاهرية التي لم يبق عندها إلا الحاضرة (نيسابور) وأجزاء قليلة من (خراسان) .

وقام بإرسال الهدايا إلى الخليفة العباسي المعتمد كعنوان لطاعته له ، كما أرسل إليه أصنام معبد (كابل)^(١) التي فتحها عنوة مع أصنام (باميان)^(٢) دليلا على جهاده في سبيل إعلاء كلمة التوحيد . إلى هذا الحد كان يعقوب بن الليث الصفارى يقدم ولاءه ، وطاعته للخلافة العباسية ويسعى لإرضائها ، وتأييدها ، فمنحته التقليد على بعض ماملكه ، ولكن كثيرا مما وضع يده عليه كان تحت تصرف الطاهرين الذين كانت الخلافة تعطف عليهم .

أحسن يعقوب الصفارى بقوته ، وشدة شوكته ووجد الفرصة سانحة للاستيلاء على البلاد الشرقية من الخلافة العباسية ... (أفغانستان وإيران) فاستقر رأيه على احتلال (نيسابور) قاعدة الدولة الطاهرية ، وذلك بعد أن أدرك ضعف الطاهريين ، فدخلها ، وحبس محمد بن طاهر^(٣) ، وأهل بيته وكاتب الخلافة العباسية ليبرر فعله بأن أهل خراسان هم الذين طلبوا منه هذا الإجراء نظرا لضعف الإدارة السياسية في البلاد ، وانتشار الظلم ، والفساد فيها ، وهكذا استطاع الزعيم السيستاني يعقوب بن الليث الصفارى أن يحمل الخليفة العباسي المعتمد على الاعتراف بسلطانه على البلاد التي وضعها في قبضته ، وهكذا نجح يعقوب بن الليث في تكوين الدولة الصفارية التي استطاعت في مدة قصيرة أن تنشر نفوذها

= والطبرى ٢٣٢/١١ ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ ١٥٣/٧ ، ومؤلف مجهول : تاريخ سيستان

١٩٣ ، وزين الأخبار ٢٢٠ - ٢٢٥ الترجمة العربية .

(١) الطبرى ٤٧٦/٩ ، طبعة ثانية دار المعارف بمصر ..

(٢) سيد جهادشاه - بمجناه د. تاريخ به رناكى ص ٣٣١ طبعة پشاور سنة ١٩٦٥ م = ١٣٨٤ هـ .

(٣) الطبرى ٥٠٧/٩ طبعة ثانية - دار المعارف بمصر ..

على أفغانستان ، وإيران ، وما وراء النهر ، حتى بلاد السند ، (ملتان) في إقليم (البنجاب) . وكان يعقوب الصفارى يدير دولته هذه من عاصمته في (سيستان) من مدينة (زرنج) التاريخية .

وقد حاولت الخلافة العباسية منعه من المضى في طريق الاستيلاء والقضاء على الطاهريين ، ولكنه لم يبال بذلك ، وتحدى الخلافة معتمدا على الجيش ، وطاعة الجند له ، وطالب الخلافة بمزيد من الامتيازات السياسية ففعلت ذلك لأنها كانت مضطرة إلى ذلك حيث كانت تواجه قوتين لم تكن تريد مواجهتهما في وقت واحد ، وهما قوة الصفاريين الذين احتلوا خراسان ، وفارس (أفغانستان وإيران) وقوة صاحب الزنج في البصرة ، وكانت قد امتدت إلى الأراضى الإيرانية في (الأهواز) . ولذلك كان لابد للخلافة من التساهل ليستعد الموفق أخو الخليفة لحرب الزنج . ولكن يعقوب بن الليث الصفارى غره هذا التساهل من ناحية ، واعتماده على جيشه من ناحية أخرى ، أراد أن يسير الجيش إلى الخلافة ليرغمها على الإذعان لقوته ، فاضطرت الخلافة إلى مقابله ، ومواجهته مواجهة قتالية لتضع حدا لجماحه وكسر شوكلته ، فخرج جيش الخليفة بقيادة أخيه الموفق ، وخرج الخليفة المعتمد بنفسه مع الجيش ، والتقى الجيشان ، وحين رأى جند الصفاريين الخليفة على رأس الجيش العباسى انضموا إلى الجيش العباسى ، وحملوا على الجيش الصفارى ، فاهزم يعقوب بن الليث تاركا في الميدان غنائم^(١) كثيرة^(٢) .

عاد محمد بن طاهر إلى منصبه رئيسا لشرطة بغداد بعد أن تمكن من التخلص من أسر الصفاريين خلال المعركة ، وعاد يعقوب إلى (سيستان) الأفغانية ليستعد لمعركة أخرى قادمة ... ولهذا لم ينتظر طويلا ... واستولى على (الأهواز) وطرد منها الزنج^(٣) يمهّد الطريق لدخول العراق ، وكانت الخلافة

(١) أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى - تاريخ الأمم والملوك ٥١٦/٩ - ٥١٩ .

(٢) الطبرى : ٥١٤/٩ طبعة ثانية دار المعارف بمصر .

(٣) يقول المسعودى في مروج : إن يعقوب بن الليث كان يقول في سفرته هذه أبياتا من الشعر ينكر على

المعتمد وعلى الموالى إضاعتهم الدين ، وإهمالهم أمر صاحب الزنج :

خراسان أحويا وأعمال فارس	ومأنا من العراق بآس
إذا ما أمور الدين ضاعت وأهملت	ورثت فصارت كالرسوم الدواسر
خرجك بعون الله ممنا ونصرة	وصاحب رايات الهدى غير حارس

العباسية مستعدة لحربه مرة أخرى ، فأرسلت إليه رسولا للاستئالة وكسب الوقت ، وكان يعقوب بن الليث مريضا عند وصول الرسول العباسي ، فجلس ، وأحضر عنده سيفاً ، ورغيفاً ، وبصلاً ، ثم أمر بإحضار الرسول إليه وقال له : قل للخليفة إني غليل ، فإن مت ، فقد استرحت منك ، واسترحت مني ، وإن عوفيت فليس بيني وبينك إلا السيف هذا ، حتى آخذ بسيفي ، أو تكسرنى ، وتفقرني فأعود إلى هذا الخبز والبصل ، وعاد الرسول ، فلم يلبث يعقوب أن مات^(١) وكانت وفاته سنة ٢٦٥ هـ = ٨٨٩ م وذلك بعد أن حكم البلاد سبع عشرة سنة تقريباً . وقبل أن يتمكن من الحملة الثانية على الخلافة العباسية في بغداد .

عمرو بن الليث :

بعد وفاة يعقوب بن الليث تولى عمرو بن الليث أمور الدولة الصفارية الفتية ، في سنة ٢٦٥ هـ = ٨٧٩ م^(٢) وكتب إلى الخلافة بطاعته ، فاعترف الخليفة الموفق بولايته ، وبذلك تولى عمرو بن الليث ما كان بيد أخيه يعقوب ، وأرسل إلى الخليفة هدية عموداً من الذهب ، ووافق على أن يدفع للخلافة عشرين ألف درهم كل سنة^(٣) ، وبدأ بعد ذلك بتنظيم أمور الدولة ، وشئون البلاد ، وكانت الخلافة العباسية تبيت للدولة الصفارية ، وكانت قد تخلصت من صاحب الزنج ، وحركته وكان في إمكانها توجيه الضربة إلى الصفاريين ، فأصدر الخليفة العباسي المعتمد قراراً بعزل عمرو بن الليث الصفاري ، وقلد خراسان محمد بن طاهر ثم سير جيشاً لقتال عمرو بن الليث الصفاري في (فارس) فانتصر على الجيش الصفاري ، ثم توجه الموفق بنفسه لمقابلة عمرو بن الليث الصفاري في (فارس) وتمكن من تدهوره إلى (سيستان = سجستان) بعد أن ألحق بقواته الخسائر والهزيمة^(٤) .

-
- (١) علي بن أحمد بن الأثير - الكامل في التاريخ ١١٦/٧ .
 (٢) سيد بهادر شاه كاكاخيل - مختان د . تاريخ به رناكي ص ٣٣٣ .
 (٣) فضل أحمد - رهنای آفغانستان ص ٧١ طبعة كابل سنة ١٣٢٨ هـ . ش .
 (٤) الطبري : ١٤٤/٨ ، وحسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ٣٧٥/٣ - ٣٧٦ ، وابن طباطبا : الفخرى في الآداب السلطانية ٢٢١ ، والمسعودي : مروج الذهب ٣٤٤/٢ ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ ٧ مواضع مختلفة ، الجاحظ : الرسائل الثلاث ٧٦ - ٧٧ ، والدكتور محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق الطبعة الثانية ١٩٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .

لم تتمكن الخلافة العباسية من القضاء على الدولة الصفارية فالتجأت إلى الخراسانيين أنفسهم لينزلوا إلى ميدان المعارك فيما بينهم ، وفي موت كل فريق ، وهزيمته خير للخلافة العباسية ... وخلّاص من الأعداء ... طلب الخليفة العباسي المعتضد إلى (السامانيين) في (بخارى) القضاء على عمرو بن الليث الصفارى^(١) ، ومن ناحية أخرى كان عمرو بن الليث يريد الاستيلاء على بلاد ماوراء النهر (جيحون = آمو) تمهيدا لتشكيل دولة عظيمة تجمع بين جنبتها جميع المناطق الخراسانية ، وقد اشتبكت قوات الطرفين في ميدان بالقرب من مدينة (بلخ = بخدي) الأفغانية في سنة ٢٨٧ هـ = ٩٠٠ م^(٢) ، وتمكن السامانيون من إلحاق الهزيمة بالصفاريين ، وأسر عمرو بن الليث الصفارى ، وتم إرساله إلى الخليفة الذي سجنه إلى أن مات سنة ٢٨٩ هـ = ٩٠١ م في سجن ببغداد^(٣) .

الأدب والثقافة في حكم الصفاريين :

إن الحكم الصفارى يمثل مرحلة جديدة من مراحل الاستقلال السياسي والفكرى في هذه البلاد البعيدة من دار الخلافة العباسية ، بدأ فيها الشعور القومى قويا على ما سنراه في النقاط الآتية :

استقلال الحكم الصفارى استقلالاً كاملاً ، والاهتمام الكامل بتكوين جيش وطنى يقظ للدفاع أولاً عن حدود الدولة ، ولتوحيد بقية أجزاء خراسان ثانياً ، والدولة الصفارية أول دولة قامت بإحياء وتنشيط العسكرية الوطنية الفطرية في نفوس القبائل الأفغانية ، بإخضاعها القبائل الفلجية الأفغانية ، واختارت منها عدداً كبيراً من الجنود للعمل في جيوشها^(٤) وحدثت في مدة قصيرة عدداً من الولايات الأفغانية داخل أفغانستان ، وطهرتها من الفساد والتفكك السياسى ، وهى : سيستان ، وهرات ، وزابلستان ، وكابلستان ، وطخارستان ، وبلخ ، ونيسابور ،

(١) فضل أحمد : رهنای افغانستان ص ٧١ طبعة كابل سنة ١٣٢٨ هـ . ش . وفي الطبرى : أنه مات سنة ٢٨٩ هـ : ٨٨/١٠ طبعة ثانية دار المعارف .

(٢) الدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى ٦٧/٣ الطبعة الثامنة ، القاهرة .

(٣) سيد بهادر شاه ظفر كاكاخيل : پخوانه د . تاريخ به رناكى ٣٣٣ ، طبعة پشاور سنة ١٩٦٥ م = ١٣٨٤ هـ .

(٤) سيد بهادر شاه كاكاخيل : پخوانه د . تاريخ رناكى ص ٣٣٢ - ٣٣٣ .

وكرمان ، وخارج الحدود الأفغانية استولت على فارس ، وطبرستان وآمل ،
وخوزستان ، وأصبحت (زرنج) حاضرة سيستان عاصمة لهذه الدولة الصفارية
الفتية^(١) .

تمكن الإسلام من قلوب الأفغانيين ، وهو إحدى حسنات الدولة الصفارية
التي قامت على إجهاض الدولة الطاهرية ، وتعتبر امتدادا لها من الناحية الاستقلالية
وإحياء القومية الأفغانية ، لا شك في أنها ارتكبت بعضا من الأخطاء السياسية في
نظرتها إلى الخلافة العباسية ، وثقتها بقوتها العسكرية ، على أنها في إمكانها القضاء
على الخلافة ، إلا أنها من ناحية أخرى قامت بخدمة جليلة وعظيمة للإسلام في
الديار الأفغانية ، فهذه الدولة هي التي حبيت الإسلام إلى قلوب الشعب الأفغاني ،
وشجعت وأشعرت على أن الدين الإسلامي دين الحرية ، ودين المساواة ، ولا فضل
لعربي على عجمي إلا بالتقوى ، ومن هنا نرى الأفغانيين ينضمون إلى الجيوش
الصفارية في أعداد كبيرة . فالدولة الصفارية وإن كانت تعادى الخلافة العباسية
التي ذبحت وقتلت عددا كبيرا من الخراسانيين الذين قدموا لها خدماتهم السياسية ،
والعلمية ، والثقافية ، من أمثال أبي مسلم الخراساني ، وطاهر بن الحسين ،
وابن المقفع ، وبشار بن برد الطخاري ، وجعفر بن برمك وغيرهم ، فإنها لم تكن
تنكر للإسلام فضله وللقرآن قدره فهي لم ترفع أبدا شعار الكفر والإلحاد في البلاد
ويصدق عليها قول الشاعر الذي يقول :

وضممت الفخر من أطرافه سودد الفرس ودين العرب

على أن الخطأ الكبير الذي وقعت فيه هذه الدولة الصفارية اتجاهها واهتمامها
الكبير بتصفية الجو العربي السياسي في خراسان ، والعداوة الشديدة مع دار الخلافة
العباسية في ميدان السياسة ، ثم اتجاهها اتجاهها محليا ، داخل الحدود المعروفة لخراسان
الأفغانية ، مع أنه كان لا بد لبقائها ودوام حياتها من أن تتجه شطر الشرق ، كعادة
ملوك الأفغان قديما ، وكما فعل الغوريون ، والغزنويون من بعدهم ، إن كانت قد
فعلت ذلك تكون قد حققت أشياء كثيرة ... منها خدمة الإسلام وانتشاره في
الهند بين القبائل الهندية واحترام المسلمين لها ، هذه وغيرها أشياء كانت الدولة

(١) فضل أحمد : رهنای افغانستان ص ٧٠ طبعة كابل سنة ١٣٢٨ هـ . ش .

الصفارية تؤمن بها ، بالإضافة إلى كسب عطف الخلافة ، وتقديرها لها ، وكفها عن مساعي إسقاطها .

انتشرت اللغة العربية وأدبها في أرجاء خراسان الأفغانية ، وكان ذلك أمرا طبيعيا بعد فتح العرب المسلمين لها ، وانتشرت بانتشار الدين الإسلامى فيها ، وسيطرت على عقول الناس وأفكارهم في أرجائها ، وشعروا في الأعماق بضرورة تعلم اللغة العربية وآدابها ، لأنها لغة القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف ، وقد أفضى ذلك إلى انكماش لغاتها الوطنية وآدابها القومية الإقليمية في صدور العامة من الناس . استمرت الحالة على هذا المنوال لمدة قرنين من الزمن ، أو أقل منها بقليل ، لانجد أثرا للغات القومية في أفغانستان الخراسانية وآدابها الوطنية ، ذلك لأن اللغة العربية قد شاعت فيها وذاعت ، وأصبحت اللغة الرسمية بالإضافة إلى كونها لغة الدين والأدب ، والعلم والثقافة ، والمعرفة ، والفن ، حتى قامت الدول المستقلة في الأقاليم الخراسانية ، وقامت ببعث القومية الأفغانية في البلاد الأفغانية والقومية الفارسية في البلاد الإيرانية ، كما قامت بإحياء الآداب الوطنية فيها ، على أن ذلك كله مظهر من مظاهر السيادة الحضارية ، بيد أن العربية ظلت أساسا متينا للثقافة الإسلامية بفروعها العربية والأفغانية ، وكان العلم بها ، والتفنن فيها أمرا ضروريا للأديب ، والكاتب ، والعالم ، والفنان ، وكانت لغة العلماء ، والأدباء ، والكتاب ، والفنانين من الأفغان ، والفرس ، فكانت جمهرة التأليف بالعربية للأفغان والفرس = (العجم) والكثرة الكثيرة للتراث الأدبى العربى لذوى السجية في القول منهم كما يقول الفليسوف الاجتماعى ابن خلدون إن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم العجم ، والسبب في ذلك أن الملة لم يكن فيها علم ، ولا صناعة لمقتضى أحوال السذاجة ، والبداءة ، وإنما كان الرجال ينقلون أوامر الله ونواهيهِ في صدورهم ، وقد عرفوا مأخذها من الكتاب ، والسنة بماتلقوه من صاحب الشرع ، وأصحابه .

ولما نشأت الدويلات المستقلة في أفغانستان الخراسانية كالتطاهرية والصفارية وغيرها ، ظهرت اللغات الوطنية الكامنة في النفوس ، ونشطت آدابها القومية المختفية في الأوساط الشعبية حيث لم يكن في الإمكان استئصالها من الوجود النفسى ، والشعبى الأصيل ، ثم وجدت اللغات والآداب القومية والوطنية

سبيلها وطريقها إلى البلاط الملوكي وإلى الأدب ، والعلم والمعرفة ، والفن من جديد ، وقد مرت بنا أمثلة لذلك في الدولة الطاهرية أو قبلها بقليل ، وكانت اللغات القومية حية بين الأوساط الشعبية العامة ، وتعيش معيشتها ، وتحى حياتها العامة ، وفي ذلك يقول الشاعر العربي المتنبي عندما سافر إلى البلاد العجمية ، ووجد صعوبة بالغة في التفاهم مع أهلها :

ولكن الفتى العربى فيها غريب الوجه والسيد واللسان
ملاعب جنة لوسار فيها سليمان لसार بترجمان

عاشت اللغات القومية وآدابها الوطنية مع الشعب ، وبالشعب ، ولم يعرف التطور والتقدم والتحول إليها سبيلا إلا بعد أن بدأت الدويلات المستقلة في أفغانستان الخراسانية تظهر الاهتمام بها ، وتمهد السبيل والطريق والظروف لإحيائها ، وتنشيطها من جديد ، وكانت الدولة الطاهرية أول دولة خراسانية مستقلة تبدأ بالتمهيد لإحياء التراث اللغوى ، والأدبى في البلاد الأفغانية وفي البلاد الإيرانية أيضا ، وإن كانت اهتماماتها في الظاهر على الناحية السياسية أكثر ، وأقوى وأمتن ، وأشد من اهتماماتها بالآداب ، واللغات الأفغانية ، والفارسية ، حيث كان الطاهريون لم يكن لهم دراية كافية باللغات والآداب الوطنية ، في أفغانستان الخراسانية نظرا لنشأتهم في دار الخلافة العربية والبيئة العربية في بغداد .

إن المرحلة التي مرت بها الآداب الإقليمية ولغاتها الوطنية أيام الدولة الصفارية كانت أقوى تأثيرا في الأوساط الأدبية ، والثقافية ، والعلمية والفنية من المرحلة السابقة أيام الدولة الطاهرية ، وهذه المرحلة الزمنية تعتبر خطوة أخرى قوية ومؤثرة تخطوها الآداب ، واللغات الوطنية الإقليمية في ظل الدولة الصفارية بجانب اللغة العربية وآدابها ، إلا أنها كانت تابعة لا متبوعة ، ذلك لأنه :

نشأ يعقوب بن الليث الصفارى في طبقة متوسطة أو أقل من ذلك ونحن نعرف أن الطبقات المتوسطة في البلاد الأفغانية كانت المرجع ، والمصدر والمهد الأصيل للغات الوطنية الإقليمية ، ولاشك في أن حياته الأولى كانت متأثرة بالأصالة الإقليمية من اللغات ، والآداب ، والعادات ، والتقاليد ، وفي كل النواحي الثقافية فهو إذا بطبيعة الحال أميل إلى الثقافة والأدب واللغة الوطنية من

اللغة العربية وآدابها . ومن الطبيعي أن يشجع الآداب الإقليمية الأفغانية والفارسية . أضف إلى ذلك أنه ولد ، وعاش ، وترعرع في قرية من قرى ولاية (سيستان = سجنستان) الأفغانية ، ثم انتقل إلى العاصمة (زرنج = زرنك) ومن المعروف أن (سيستان) بحاضرتها وقرائها ، ومراكزها مركز من أهم مراكز الثقافة الوطنية الإسلامية ، والآداب الإقليمية ، ولغاتها ، وهي بعيدة عن دار الخلافة ، وعن لغتها العربية . وعن نفوذها الأدبي العربي . الأصيل هذا بالإضافة إلى أنه يقال : إن يعقوب بن الليث الصفاري لم يكن له علم ودراية باللغة العربية وآدابها ، ويقول صاحب كتاب (تاريخ سيستان) إنه لم يكن يفهم ما يمدح به باللغة العربية على منابر المساجد في (سيستان) أيام الجمعة والمناسبات الأخرى للوطنية والدينية ، وكان كاتبه محمد بن وصيف يقوم بترجمة ما يقال في تلك الخطب ، والمواظ ، والمناسبات ، وكان محمد بن وصيف هذا يجيد اللغة العربية ، واللغة الدرية ، وقد مدح يعقوب بن الليث باللغة الدرية بقصيدة مطلعها^(١) :

أى أميريكه أميران جهان خاص وعام بنده وچاكر ومولای وسكُ بندو غلام
الترجمة :

أيها الأمير إن أمراء العالم من خاص وعام هم عبيد لك ، وخدام وموال وخدام لكلايك .
وليس معنى هذا كله أنه كان يعادى اللغة العربية ، أو يكرهها ، أو يكره آدابها ويعاديا ، كما كان يعادى الخلافة العباسية ، وخلفاؤها العباسيين في بغداد ، وكان سبب ذلك سياسى بحث لم يتجاوز إلى كراهية اللغة العربية وكراهية آدابها .

يقول مؤلف (تاريخ سيستان)^(٢) عندما قام يعقوب بن الليث بفتح (هرات) الأفغانية في أفغانستان الغربية ، ودخلها ، قام الشعراء بمدحونه بالأشعار العربية منها :

قد أكرم الله أهل المصر والبلد بملك يعقوب ذى الأفضال والعدد
قد آمن الناس محواه وعزته ستر من الله في الأمصار والبلد

(١) آريانا دائرة المعارف = دائرة المعارف الآرية : ٢٤٣٣/٣ طبعة كابل وتاريخ سيستان ط طهران .
(٢) تاريخ سيستان : كتاب قيم لمؤلف مجهول تم تأليفه في سنة ٤٤٥ هـ = ٧٢٥ م ص ٢٠٩ طبعة طهران .

فلما سمع هذه الأشعار التى تمدحه وتثنى عليه لم يفهم منها شيئا . وكان كاتب رسائله محمد بن وصيف السجزي حاضرا فى هذا المجلس ، فقال يعقوب ابن الليث : الشئ الذى لا أفهمه لماذا يجب أن يقال ؟ فبدأ الأديب محمد وصيف السجزي قول الشعر ، وإنشاده باللغة الدرية^(١) .

الأسرة الصفارية التى امتدت مدة حكمها فى إحدى الولايات الأفغانية وهى ولاية (سيستان) إلى العصر الغزنوى ، كانت تحب العلم والعلماء والأدب والأدباء ، والفن ، والفنانين ، ومن أشهر الشعراء الذين كانوا يجيدون الإنشاد باللغتين فى البلاد الصفارية محمد بن وصيف السجزي ، وبسام كرد الخارجى ، ومحمد بن مخلد .

أبوأحمد خلف بن أحمد^(٢) أحد أمراء الأسرة الصفارية فى (سيستان) الأفغانية كان من عشاق العلم والمعرفة ، ومن محبى الأدب والأدباء ، ومن مشجعى الفضل والفضلاء^(٣) ، قد قام بجمع العلماء والفضلاء وأهل العلم والفضل والمعرفة وطلب إليهم بتأليف وتصنيف وكتابة تفسير كبير للقرآن الكريم ، وقد صرف على تنفيذ هذا العمل العظيم عشرين ألف دينار^(٤) ، وقد تناول العلماء فى هذا التفسير العظيم الجوانب الآتية :

- ١ - أقوال المفسرين المختلفة فى تفسير القرآن الكريم وآراءهم .
- ٢ - وجوه القراءات المختلفة فى قراءة القرآن الكريم ونظريات القراء .
- ٣ - آراء ونظريات العلماء النحوية والصرفية المختلفة فى نظم القرآن الكريم .
- ٤ - الأحكام الإسلامية الشرعية من آيات القرآن الكريم .

(١) اللغة الدرية : يسميها العرب باللغة الفارسية ، وهو تعبير غير دقيق .

(٢) اسمه بالكامل : خلف بن أبى جعفر أحمد بن محمد بن خلف بن الليث الصفارى . وأم أبى جعفر : السيدة بانو ابنة محمد بن عمرو بن الليث الصفارى . راجع : جهار مقالة ١٣١ ، الترجمة العربية ، طبعة القاهرة سنة ١٣٦٨ هـ = ١٩٤٩ م .

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ٢١٥/٧ - ٢١٦ طبع بيروت ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م ، و تحليل الله خليلي : سلطنت غزنويان ٤٧ .

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ٢٥٦/٧ ، الهامش .

وكانت إحدى نسخ هذا التفسير القيم موجودة ومحفوظة في مدرسة الصابوني في (نيسابور) الخراسانية . وقد رآه أبو الشرف في حوالى سنة ٦٠٣ هـ = ١٢٠٦ م في مكتبة (أصفهان) ويقول : إن عدد أجزاء هذا التفسير كان يبلغ إلى مائة جزء^(١) .

ولبديع الزمان الهمداني موقف أدنى آخر مع الأمير الأديب الفاضل خلف ابن أحمد عندما اتجه إلى سيستان الأفغانية تاركا مدينة (نيسابور) الخراسانية فلقى ببديع الزمان الهمداني من الأمير خلف بن أحمد أمير سيستان كل تكريم ، وإجلال فأهدى إليه مقاماته^(٢) ومدحه بقصيدة رائعة مطلعها^(٣) :

سماء الدجى ماهذه الخدق النجل أصدر الدجى حال وجيدالضحى عطل
لك الله من عزم أجوب جيوبه كأتى في أجفان عين الردى كحل
وكتب ببديع الزمان الهمداني يمدح الأمير الفاضل الكريم خلف بن أحمد
أمير (سيستان) الأفغانية يمدحه ويصف كرمه الواسع :

(.... جزى الله هذا الملك السيد أفضل ماجازى مولى عن عبده ،
ومخدوما عن خدمه ، ومنعما عن نعمه ، فلو أن البحر مدده ، والسحاب يده ،
والجبال ذهبه ، لقصرت عما وهبه ، حقا أقول : إن الثمرة بالبصرة أقل خطرا من
البدرة بهذه الحضرة ، ولا أراها تحمل إلى المنتجعين إلا تحت الذيل في جنح الليل
ولا شئ أكثر وجودا من الدينار بهذه الديار)^(٤) .

إن ببديع الزمان الهمداني قد بالغ في وصف ممدوحه أمير (سيستان)
الأفغانية ، ولعلّه قد اقتبس هذا الوصف والمعنى من قوله تعالى^(٥) : ﴿ قل لو كان البحر
مدادا لكللمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ﴾ .

(١) حاجى خليفه : كشف الظنون ٣٠٩ ، والبيرونى : الآثار الباقية ٣٣٢ ومابعدهما ، وأحمد أمين : ظهر الإسلام ٢٨٧/١ ، وخليل الله خليلي : سطلنت غزنويان ٤٧ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية : الطبعة العربية مجلد ٤ ص ٤٧٢ ، والثعالى : يتيمة الدهر : ٣٠٠/٤ تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد ، طبعة دار الفكر بالقاهرة .

(٣) ديوان ببديع الزمان ٦٥ ، والثعالى : يتيمة الدهر ٢٧٩/٤ ، تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد .

(٤) الرسائل ١٦٣ - ١٦٤ .

(٥) سورة الكهف ، الآية رقم : ١٠٩ .

ومجدحه في رسالة أخرى فيقول : (.... وسرنا حتى وردنا عرصة العدل ، وساحة الفضل ، ومربع الحمد ، ومشروع الجود ، ومطلع الجود ، ومنزاع الأصل ، ومشعر الدين ، ومفرع الشكر ، ومصرع الفقر ، حضرة الملك العادل أي أحمد خلف بن أحمد ، فكأن ما أضفناه كأنا زرعناه ، فأثبت سبع سنابل ، وكأن ما فقدناه كأنا أقرضناه هذا الملك العادل ، وكأنما سمي خلفا ليكون عن كل فائت خلفا ، وعن كل مامضى عوضا ، وكأنما جئنا ليضيق علينا العالم ، ويغض إلينا بني آدم ، فيجعل جنسنا (سبستان) وقيدنا الإحسان ، وكأنما خلق للنديا تحجيلا ، وللملوك تحجيلا ، وكان هذا العالم قد أحسن عملا ، فجعل هذا الملك ثوابه ، وكان هذا الملك قد أذنب مثلا ، فعجل هذا العالم عقابه ... ثم أنه زيف بلقياء وفود الكلام ، كما زيف بلقياء ملوك الأنام ، وأفسدني على الناس جميع الأجناس ، فما أرضى غيره أحدا ، ولا أجده مثله أبدا ، وإن طلبت ملكا في أخلاقه مت ولم ألقه ، أو كريما في جوده عذمت قبل وجوده ، فحرس الله سلطانه من ملك وسع أرزاق فضيق أخلاق ، وأغلى ثمنى فما يشتريني أحد وعظم أمرى فما يسعني بلد ، وهذا وصف إن أطلته طال ونشر الأذيال واستغرق القرطاس بل الأنفاس ، واستنفذ الأعمار بل الأعصار ولم يبلغ المعشار)^(١) .

كان بديع الزمان الهمداني قد خرج عليه اللصوص وهو في الطريق من (نيسابور) إلى (سيستان) الأفغانية ، وذلك قبل وصوله إلى هذا الملك الفاضل العادل الكريم حتى إذا ورد حضرته الكريمة أنساه كرمه كل شيء ، ويصف هذه الحضرة الكريمة بأنها مصرع الفقر ، ثم يتعزى بما ضاع منه في عملية اللصوص من مال بما أفاءه الملك عليه ، ثم يمضى في مدح ممدوحه أمير (سيستان) الأفغانية قائلا : (.... وكأنما سمي خلفا ليكون عن كل فائت خلفا ...) ، إلى غير ذلك من الصفات الحميدة الجليلة العديدة التي أضفاها بديع الزمان على ممدوحه الذي توفر على مدحه والثناء عليه حينما من الدهر غير قليل^(٢) .

لم يكن الأمير الأديب ، والأمير العالم ، والأمير الفاضل خلف بن أحمد أمير (سيستان) الأفغانية وحده كعبة العلم والعلماء ، والأدب والأدباء ، والفضل

(١) الرسائل ص ٧٣ .

(٢) الثعالبى : بئمة الدهر ١٩٤/٤ - ٢٤١ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد .

والفضلاء ، بل أمراء الأسرة الصفارية في (سيستان) الأفغانية كانوا جميعا مقصد العلماء والأدباء ، والشعراء ، والفنانين لو استثنينا جهل مؤسس الأسرة يعقوب بن الليث الصفارى باللغة العربية ، وهذا أبوبكر محمد بن العباس الخوارزمي^(١) من أهم وأشهر كتاب عصره الذين يجمعون بين الكتابة والشعر ، أو بين النثر والشاعرية ، يترك بلده (خوارزم) في ريعان شبابه ليطوف بجميع أصقاع الشرق الإسلامي ، فتوجه إلى العراق ليتركه إلى حلب ليتصل بصاحبها سيف الدولة ، ثم يتجه إلى (بخارى)^(٢) فيما وراء النهر (آمو = جيحون) ومنها توجه إلى (نيسابور) وفيها مدح الأمير أبانصر الميكالي^(٣) ، ثم تركها قاصدا (سجستان = سيستان) الأفغانية ، وهناك استقر به المكان لدى الأمير طاهر بن محمد بن شار الذي أكرم وفادته ، ولكن أبابكر الخوارزمي الذي عرف بالتقلب ما لبث أن انقلب على الأمير الطيب . والرجل الأمير فهجاه بقوله^(٤) :

ألا أبلغ بنى شار كلامى ومن لم يلقهم فهو السعيد
علام ابتعم فرسا عتيقا وليس لديكم علف عتيد
وفيم حبستم فى البيت بازا يحيص الطير عنه أو يحيد
فلا قربتموه فعلمتموه ولا خليتم عنه يصيد

فسجنه مدة فاستغاث بالأمير أبى نصر الميكالى بقصيدة منها^(٥) :

كتابى أبانصر إليك وحالتى كحال فريس فى مخالب ضيعم
أرق من الشكوى وأدمى من النوى وأضعف من قلب الحب المتيم
غدوت أخا جوع ولست بصلئم ورحت أخا غرى ولست بمحرم
وقعت بفخ الخوف فى يد طاهر وقوع سليك فى حبال خثعم
وماكنت فى تركيك إلا كتارك يقينا وراض بعده بالتوهم

(١) الثعالبي : يتيمة الدهر ٣٤٦/٤ - ٣٤٧ تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد طبعة دار الفكر بالقاهرة

(٢) الثعالبي : يتيمة الدهر ٢٠٤/٤ تحقيق محى الدين عبدالحميد .

(٣) الثعالبي : يتيمة الدهر ٢٠٤/٤ تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد .

(٤) الثعالبي : يتيمة الدهر ٢٠٦/٤ تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد .

(٥) الثعالبي : يتيمة الدهر ٢٠٥/٤ تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد .

تمكن السامانيون من إلحاق الهزيمة بالصفاريين في معركة حامية فاصلة دارت بين الجانبين في سهل بالقرب من مدينة (بلخ) الأفغانية في شمال أفغانستان ، وقد أسر عمرو بن الليث في هذه المعركة الفاصلة وتم إرساله إلى الخليفة العباسي في بغداد ليقتضى عليه وعلى دولته الصفارية قضاء أهديا . وقد أشار ابن خلكان في (وفيات الأعيان) إلى هذه الأحداث التي جرت بين الصفاريين والسامانيين والخليفة العباسي في هذه الفترة من تاريخ أفغانستان فقال :

قال بعضهم : كنت عند أبي علي الحسين بن محمد بن الفهم الحدث فدخل رجل من أصحاب الحديث فقال له : يا أبا علي رأيت عمر بن الصفار أمس على جمل فالج من الجمال التي كان أهداها عمر بن الليث الصفاري منذ ثلاث سنين للخليفة العباسي في بغداد ، فأنتشد أبو علي قائلا^(١) :

وحسبك بالصفار نبلا وعزة يروح ويغدو في الجيوش أميرا
حباهم بأجمال ولم يدر أنه على جمل منها يقاد أسيرا
وعمل في ذلك على بن محمد بن نصر بن بسام الشاعر المقدم ذكره هذه الأبيات من الشعر :

أيها المغتر بالدن	يا أما بصرت عمرا
أركب الفالج بعد الـ	ملك والعزة قسرا
وعليه برنس للسخ	ط إذلالا وقهرا
رافعا كفيه يدعو	الله إسرارا وجهرا
أن ينجيه من القتـ	ل وأن يعمل صفرا

ومن شعراء هذا العصر أبو الحسن أحمد بن محمد السجزي كاتب الأمير خلف بن أحمد ، فقد اتفق أن مر على (باخرز) فمدح زعيمها الوقور الشيخ أبا الطيب الخداس بهذه القصيدة^(٢) :

دنا البين فانهل الدموع السواكب	وعاد إلى قلبي الهموم الذواهب
وقد جزعت نفسي غداة بدالها	غراب بتفريق الأحبة ناعب

(١) شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٤٢٩/٦ طبعة بيروت .
(٢) دمية القصر : ٣٥٣/٢ طبعة القاهرة .

وقائلةٍ والدمعُ يستر خدَّها
روبيدك أخبرني لأية طيبةٍ
فقلتُ لها عما قليلٍ وربُّما
وهاجرةٍ مسمومةٍ قد تطايرت
ترقرق فيها الالُ حتى كأنه
رجعتُ إلى صبرٍ وأحكمْتُ عُقْدَه
وشِفَانٍ^(١) ليلٍ قد صبرْتُ لبرده
تقعقعت الأسنانُ في الفمِ وانزوت
صَلَا القومُ أكبادا لهم ينفثونها
إلى أن تَقْرَى^(٢) الليل عن قرنٍ ساطعٍ
وما كل من قد رام أمرا بمدرك
فإن ساعد الجُدَّ السعيدُ فَمُسْعَدُ
عليك بمن أسمى وفي الفضل والعلا
أبى الطيب الشيخ الأصيل الذى له
وإن زرتَه نلتَ المراد وفوقه

غداةً استقلتُ بالرجالِ الركائبِ
رحلتُ وبيِّنَ لى متى أنت آيب
يقول الفتى من أمره وهو كاذب
لو قد تها نحو السماءِ جنادب
إذا ما ارتقى تلك البلادَ مشارب
وللنفس فوراثٌ بها ونحائب
فأصبحتُ مقرورا ولونى شاحب
مفاصلنا من برده^(٣) والرواجب
على أعمل باتت تَجِيها الضوارب
مشتٌ نحونا منه سراعا ذوائب
ولا كل سهم قد رمى القلبَ صائب
وإن عمل الحرمان فيه فخائب
له شيمٌ محمودة وضرائب
من المجد من فوق الثريا مراقب
وعاد كليل الحيد منه النوائب

والأمير أبو أحمد خلف بن أحمد بن محمد السجزي^(٤) أمير (سيستان)
الأفغانية أيضا من شعراء هذا العصر ومن علمائه وكتابه وأدبائه ، يقول فيه
الباخرزى : صاحب قرانه ، والصاحب المبرز على أقرانه ، والمشار إليه من أشراف
أطراف العالم ، والمخاطب على أعواد المنابر بالعدل العالم ولم تزل حضرته مورد
الآمال ، ومصدر الأموال ، وله (تفسير) يقع في حمل بغير وهو كمال قال
أبو الفتح البستي فيه^(٥) :

خلف بن أحمد أحمد الأخلاف أرنى بسؤدده على الأسلاف

(١) الشفان : الريح الباردة مع مطر .

(٢) الرواجب : مفاصل أصول الأصابع .

(٣) تَقْرَى : هنا بمعنى تكشف .

(٤) الامير خلف : كان علما مفضلا على العلماء عاش بضعا وسبعين سنة ومات في الحبس في بلاد الهند

سنة ٣٩٩ هـ . الأنساب ، والكمال ، واللباب .

(٥) دمية القصر : ٣٤٦/٢ طبعة القاهرة .

وقصده أبو الفضل بديع الزمان الهمداني فوصله بألف دينار^(١) ومن شعره الجيد هذه الأبيات التي أنشدها له الشيخ أبو محمد الحمداني :

يقولون لا تشرب ولستُ بصخرة	من الصمم في واد على نشز ^(٢) وعبر
ولكنني من عصبية آدمية	كثير هموم القلب ممتلئ الصدر
فلولا دفاعُ الكأس عني وذُبُّها	لذبت كما ذاب اللجين ^(٣) على الجمر

(١) دمية القصر : ٣٤٦/٢ طبعة القاهرة .

(٢) النثر : المكان المرتفع .

(٣) اللجين : الفضة .

الأدب في ظل الدولة السامانية^(١)

التمهيد :

عرفت أفغانستان الخراسانية الآرية حتى الآن دولتين إسلاميتين هما الطاهرية ثم الصفارية ، الأولى كانت تمهيد للثانية وكلتاهما تمهيد للثالثة وهى السامانية التى نتحدث عنها فى هذا الموجز .

فتحت البلاد الأفغانية على مراحل ، وفى أزمنة مختلفة ... بدأت فى أوائل القرن الأول الهجرى ، واستمرت إلى أوائل القرن الثانى الهجرى تمكن بعد ذلك الإسلام من قلوب الأفغانيين ، وحل فى قلوبهم حلول الروح فى الجسد ، ولا يعادل الأثر الذى تركه الإسلام فى أفغانستان ، أى أثر آخر ، ذلك لأن الإسلام استطاع أن يشكل أسس الحياة اليومية ذاتها وقد قسم تاريخ أفغانستان العريق إلى مرحلتين ، أو إلى عصرين ... عصر ما قبل الإسلام ، والعصر الإسلامى ، وهذا بالإضافة إلى الأثر العميق الذى تركه فى الثقافة الأفغانية ، فالدين الإسلامى ليس ديناً فحسب ، بل هو دين ، وحضارة ، وثقافة ، وهو تشريع ، ونظام ، وحياة ، ومن هنا نرى الأفغانيين ، يحاولون الحصول على الاستقلال السياسى ، ويجاهدون فى سبيل الانفصال عن تبعية الخلافة العباسية ، ولكنهم لم يحاولوا أبداً الخروج على الدين الإسلامى لأنه دين ، وتشريع ، ونظام للحكم ، فهو دين ودنيا .

كانت الخلافة الأموية إمبراطورية عربية عاصمتها دمشق ، ومنها زحفت الجيوش الإسلامية شرقاً وغرباً ، واستطاع الأمويون أن يحتفظوا بالسلطة حتى سنة ١٣٢ هـ = ٧٥٠ م ، وكانت أيام حكمهم فى البلاد الأفغانية عربية خالصة بعيدة عن المساواة ، والتسامح الإسلامى . وقد استطاع العباسيون أن يستغلوا هذه الناحية فى السياسة الأموية ، وأن يتمكنوا من استيلاء الحكم ، وقد استطاعوا بعد ذلك أن يحلوا محل الأمويين فى أفغانستان الخراسانية ، وذلك ببراعة زعيم من

(١) محمد فريدلجى : دائرة معارف القرن العشرين ٩/٥ وما بعدها .

خراسان وهو أبو مسلم الخراساني ، حتى قيل إن الثورة العباسية في الحقيقة وواقع الأمر ثورة خراسانية وليست عباسية ، وهي - فعلا - خراسانية أكثر منها عربية . وقد تمكن الخراسانيون بمكانة هامة ومقام مرموق بعد قيام الخلافة العباسية في البلاد العربية والخراسانية وقد مهد ذلك الطريق لقيام الدول أو الدويلات الانفصالية في كل من أفغانستان وإيران ... (خراسان) والدولة الأولى من هذه الدول الإسلامية الانفصالية هي الدولة الطاهرية في (هرات) الأفغانية التي اتخذت من (نيسابور) عاصمة لها . ثم تلتها الدولة الصفارية في (سيستان = سجستان) الأفغانية وها هي الدولة السامانية تظهر في الشمال من أفغانستان .

الدولة السامانية^(١) :

وقصة الدولة السامانية في الشمال الأفغاني تبدأ برجل من أشراف مدينة (بلخ = بخدي) الأفغانية في شمال أفغانستان يدعى (سامان) وكان له ابن يدعى (أسد) وعندما كان المأمون في مدينة (مرو) التحق بخدمته المدعو (أسد) وأبناؤه الأربعة ، وقد رفع من شأنهم خلال قيام الدولة الطاهرية في أفغانستان الخراسانية ، تولى نوح بن أسد (سمرقند) وأحمد بن أسد (فرغانة) ويحيى بن أسد (الشاش = تاشكند) وإلياس بن أسد (هرات) ولما ولي طاهر بن الحسين بلاد خراسان أقرهم في هذه البلاد . وقد وصل أحد أفراد هذه الأسرة البلخية وهو إبراهيم بن إلياس بن أسد إلى أن عين قائداً عاما للقوات المسلحة في الدولة الطاهرية ، وقد ازداد نفوذ هذه الأسرة الخراسانية البلخية قوة وانتشارا حتى أصدر الخليفة العباسي المعتمد في سنة ٢٦١ هـ = ٨٧٤ م مرسوما بتولية نصر بن أحمد بن أسد بن سامان على بلاد ما وراء النهر ، واتخذ (سمرقند) حاضرة له ، وقد ولي أخاه إسماعيل بن أحمد على (بخارى) . وظل السامانيون يتعاضدون بصدق وإخلاص مع الطاهريين ، وكانوا يؤيدون الطاهريين في الصراع بينهم وبين

(١) يراجع الدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ٧١/٣ - ٨٢ ، الطبعة الثامنة ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ ٩٩/٧ - ١٠٠ ، والطبري ١١/١٢ ، ١٩ ، ومسكويه ١٠٠/٢ - ١٠٤ ، وتاريخ بخارى ٩٣ - ١٢٥ ترجمة الدكتور أحمد محمود السادقي ، وتاريخ بخارى ٨٦ ترجمة الدكتور أمين عبدالمجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي ، وعمر رضا كحالة : العالم الإسلامي ١٨٠/٢ الطبعة الثانية ١٣٧٧ هـ .

الصفاريين ، ولما ضعف أمر الدولة الطاهرية ، واستولى الصفاريون على خراسان جعلت الخلافة العباسية بلاد ما وراء النهر إقليماً مستقلاً ، وأقرت عليه السامانيون تقديراً لإخلاصهم ، ووفائهم للخلافة . واستمر حكم هذه الأسرة البلخية من سنة ٢٦١ هـ = ٨٧٤ م إلى سنة ٣٨٩ هـ = ٩٨٨ م على مدى مائة وثمانية وعشرين عاماً في البلاد الأفغانية وفيما وراء النهر وفي أجزاء ومناطق من بلاد الفرس .

قلنا إن نصر بن أحمد بن أسد بن سامان ولى أخاه إسماعيل على (بخارى) وقد تمكن إسماعيل من القضاء على القلاقل في إقليمه : قضى على عصابات اللصوص ، وقام باسترضاء النبلاء والأشراف في البلاد ، ولما قوى مركزه السياسى والعسكرى ، شك أخوه نصر في تصرفاته ، ولهذا ساءت العلاقة بينهما أدت إلى حرب وقع فيها نصر أسيراً في يد إسماعيل ، ولكنه صفح عنه ، واستمر في ولايته . ولما توفى نصر في سنة ٢٧٩ هـ = ٨٩٢ م آلت الزعامة إلى إسماعيل ، وقد استطاع - بعد أن هزم الصفاريين - أن ييسط سلطانه على خراسان ، وأن يستولى على أجزاء كثيرة من بلاد الفرس ، وبذلك أمن حدود بلاده من الغرب ، واعترفت الخلافة العباسية بإماراته على جميع أنحاء أفغانستان القديمة الإسلامية .

وقد حكم من هذه الأسرة السامانية البلخية أفغانستان الإسلامية الخراسانية أحد عشر سلطاناً وحاكماً .

الأدب والثقافة في حكم السامانيين^(١) :

أخذت بوادر الضعف والانحلال تظهر في الدولة السامانية منذ منتصف القرن الرابع الهجرى ، ذلك لأن النزاع بدأ يبدو ويظهر في ذلك الوقت بين أفراد الأسرة السامانية أيام نصر الثانى بن أحمد بن إسماعيل السامانى لميوله إلى الدعوة الإسماعيلية ، وخروج القواد السنين عليه ، ولما وقف نصر الثانى على الخطر المهدق به من قولده السنين نزل عن الإمارة لابنه نوح الذى قتل عدداً كبيراً من القواد

(١) پوهاند عبدالحى حبيبي - تاريخ مختصر أفغانستان ١٢٢/١ - ١٢٦ . بتصرف وأبو العنين فهمى محمد أفغانستان بين الأمس واليوم ص ٣٨ - ٣٩ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٩ م . وآريانا دائرة المعارف ٣٠٧/٣ - ٣٠٨ طبعة كابل سنة ١٣٣٥ هـ = ١٩٥٦ م . وجماعة من العلماء الأفغان - أفغانستان ص ٤١ - ٤٢ طبعة كابل سنة ١٣٣٤ هـ . ش . وخليل الله خليلي - هرات تاريخها . آثارها . رجالها ٢٥/١ طبعة بغداد سنة ١٩٧٤ م ، وحسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى ٧١/٣ - ٨٢ .

الذين دخلوا في المذهب الإسماعيلي ، كما قتل أبو عبد الله بن أحمد النسفي أحد دعاة هذا المذهب في أفغانستان السامانية .

وبلغ نفوذ السامانيين أقصاه في أواخر القرن الثالث الهجري ، حيث كانوا يسيطرون على (أفغانستان - إيران) في دولة واحدة وتحت نفوذ سياسي عام يصدر من أفراد هذه الأسرة البلخية . فازدهرت خراسان ، وكانت تنقسم إلى أربعة أقسام ... قسم يتبع العاصمة الأولى (بلخ) وآخر يتبع العاصمة الثانية (هرات) وثالث يتبع العاصمة الثالثة (نيسابور) وقسم سياسي رابع يتبع الحاضرة الرابعة (مرو) وفي العهد الساماني وصل الرحالة العربي المقدسي إلى خراسان ، وقال في وصف أهل خراسان : إنهم أشد الناس تفقها ، وبالخلق تمسكا وهم بالخير والشر أعلم ... ورسومهم رسوم أقاليم العرب . وامتدح سيرة السامانيين في الحكم فقال : إنهم من أحق الملوك سيرة ، هذا فضلا عما عرف عنهم من إجلال للعلم ، والعلماء ، والأدب ، والأدباء ، وقال ابن خلكان عنهم : إنه كان يغلب عليهم العدل ، والدين ، والعلم ^(١) .

وكان اعتماد السامانيين على جيش من القبائل التترهكية الأفغانية الشديدة البأس ، والمراس ، هؤلاء الذين تسميهم كتب التاريخ بالأتراك وهذا اشتباه تاريخي عظيم وقع فيه المؤرخون لعدم معرفتهم أنساب القبائل الأفغانية ، واشتبهت عليهم كلمة (التترهكي) فجعلوها (التركي) ثم جمعوها على (الأتراك) واختفت عنهم الحقيقة لهذا السبب ، وقد كان لاعتمادهم هذا آثار سيئة وبعيدة المدى على السامانيين ... لإضعاف ، ثم تعجيل بزوال حكمهم إلى الأبد .

بسطت الدولة السامانية البلخية سلطانها ونفوذها على بلاد خراسان واستجابت لتيار الحركة القومية الاستقلالية ، وكان تأثيرها في الآداب والثقافة - على ما اعتقد - أكثر ظهورا ، وأوضح طريقا ، وأشد وقعا ، وأعمق جذورا من تأثير الحركة الاستقلالية السياسية والأدبية والثقافية في الدولتين السابقتين الطاهرية ^(٢) والصفارية ^(٣) بالبلاد الخراسانية الأفغانية ، والدليل على ذلك أن

(١) الدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ٧١/٣ - ٨٢ ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥٤/٩ - ٥٦ .

(٢) الدكتور محمد أسعد طلس : تاريخ العرب - الجزء السادس ٢٢ الطبعة الثانية سنة ١٣٩٩ هـ .

(٣) المصدر السابق .

السامانيين قد قاموا بإحياء اللغات ، والآداب ، والثقافات الوطنية الإقليمية الحديثة ، تلك التي كانت تجمع بين المؤثرات الإسلامية ، والعربية والإقليمية الوطنية ، وبدأت اللغات الوطنية تصبح ميدانا للفكر ، والأدب ، والثقافة كما ظهر شعراء من أهل البلاد ، وكان ظهورهم مقدمة للشعراء الخراسانيين من أمثال الفردوسي في العصر الغزنوي ، وغيره من الشعراء الذين عبروا تعبيراً صحيحاً عن القومية الإقليمية ، وعن الثقافة الوطنية .

وكان لهم الفضل في نشر الحضارة الإسلامية في أواسط آسيا ، وأقاموا فيما وراء النهر مراكز ثقافية ، كانت عاملاً هاماً ومؤثراً في نشر الإسلام وحضارته ، وفي نشر الثقافة الإسلامية وآدابها الإسلامية ، وبدأ الشعب في هذه المنطقة من العالم الإسلامي يتحول إلى عنصر حضارى إسلامي مفيد ، وفعال ، وانبثقت عن التأثير الساماني الإسلامي دولة أفغانية أخرى في قلب أفغانستان ، وهي التي تشتهر باسم الدولة الغزنوية ، وهي دولة أفغانية اتخذت من مدينة (غزنة) عاصمة ، ومركزاً لنشر الثقافة والحضارة الإسلامية ، وآدابها في ربوع الهند الوثنية ، وكانت هذه الدولة الغزنوية الأفغانية في أول أيامها تعمل باسم الدولة السامانية ، ثم حلت محلها . وكانت مدينة (بخارى) بمثابة العلماء ، وكعبة الأدباء ، والكتاب ، والشعراء ، والفضلاء . كانت بخارى في الدولة السامانية مثابة المجد ، وكعبة الملك وجميع أفراد الزمان ، ومطلع نجوم أدباء الأرض ، وموسم فضلاء الدهر^(١) وكانت مكتبة نوح بن نصر الساماني (عديم المثل ، فيها من كل فن من الكتب المشهورة بأيدي الناس ، وغيرها مما لا يوجد في سواها ولا سمع باسمه فضلاً عن معرفته)^(٢) .

وفي الأدب والثقافة القومية ، فقد استجابت الدولة السامانية للزراعات القومية في الثقافات الوطنية في خراسان الأفغانية ففى عهد السامانيين بدأت الكتابة الأدبية باللغات الوطنية الإقليمية في الآداب ، والتأليف ، والشعر والنثر ، إلى جانب اللغة العربية وآدابها ، وفي عهد السامانيين بدأ الروح الوطنى في الأدب عامة ، وحفل بلاطهم بكثير من الشعراء الخراسانيين الذين أشهدوا الشعر وقاتلوه ،

(١) الثعالبي : نتيحة الدهر ٩٠/٤ ، وسعيد نفيسي : تاريخ نظم ونثر در إيران ٢٧/١ .

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ١٥٢/١ - ١٥٣

ونظموه باللغة العربية ، واللغة البختونية واللغة الدرية ، وقد أورد (محمد عوفى) مؤلف كتاب (لباب الألباب) أسماء سبعة وعشرين شاعرا عاشوا فى هذا العصر . وأحد هؤلاء المشهورين أبو الحسن شهيد البلخى ، وهو شاعر مطبوع كان ينشد الشعر وينظمه باللغتين العربية والدرية . وقد نقل صاحب (لباب الألباب) إحدى منظوماته باللغة العربية^(١) .

لقد ارتقت وتقدمت الآداب ، والفنون ، والعلوم ، فى العصر السامانى وخاصة الأدب الدرى بشعره ونثره ، وقد عرفنا من كتاب (لباب الألباب) أن عددا كبيرا من الشعراء قد عاش فى العصر السامانى ، وترك تراثا وطنيا حافلا ، فكذلك نرى النثر قد تقدم فى هذا العصر وارتقى واضطلع العلماء بالتأليف والترجمة النثرية كترجمة تاريخ الطبرى الذى ترجمه أبو على محمد البلخى ، وكتاب (الأبنية عن حقائق الأدوية) لأبى منصور الموفق الهروى ، وغيرهما^(٢) .

وكان السامانيون معاصرين للخلافة العباسية كالتاهريين والصفاريين ومن المعروف أن التاهريين وضعوا أول لبنة فى صرح الأدب الوطنى ، وفى صرح إحياء اللغات الوطنية الإقليمىة ، وجاء الصفاريون فأضافوا إليها لبنات جعلت صرح الأدب واللغات الوطنية يرتفع رويدا رويدا حتى جاء السامانيون وتسلموا البناء الأدى الذى تأسس - من جديد - فى العصر التاهرى ، وارتفع قليلا فى العصر الصفارى ، فعمروه ، وأشادوه ، ودب فيه ديب من الحياة الأدبية ... حتى ساروا بالأدب القومى إلى مدارج الارتقاء ، كذلك كان لهم ميل شديد إلى تشجيع الأدب العربى شعره ونثره ، فكانت قصورهم مجمعا للشعراء ، والعلماء ، قرض كثير منهم الشعر العربى ، كما ترك كثير من هؤلاء العلماء آثارا قيمة فى شعبة من شعب العلوم ، والفنون ، ذلك لأن هؤلاء السامانيين كانوا يعملون على ترويح العلوم ، وتشجيع التأليف ، وتقريض الشعر ، فالدولة السامانية شجعت العلم ، وخدمت اللغة العربية والأدب العربى والعلوم الإسلامية ، والفلسفة الإسلامية

(١) يراجع : الدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ٨٢/٣ ، الطبعة الثامنة ، وتاريخ بخارى ٩٣ - ١٢٥ ، ترجمة الدكتور أحمد محمود الساداقى . وسعيد نفيسى : تاريخ نظم ونثر در إيران ٢٧/١ ، ومابعدها .

(٢) وينسب إلى الشاعر الرودكى كتاب باسم تاج المصادر ، وكتاب آخر إلى أحوص السعدى .

العربية ، خدمات يعجز دونها وصف القلم .

هذا العصر من عصور أفغانستان التاريخية تعددت فيه الأقاليم والولايات ، والإمارات ، والبيئات ، إمارة الطاهريين في (هرات) و (نيسابور) وإمارة الصفاريين في (سنجستان = سجستان) وإمارة السامانيين في (بلخ) و (بخارى) نعم تعددت الإمارات والبيئات تعددا واسعا كبيرا غير أن هذا التعدد لم يحمل تفضلا بين شعوب تلك الإمارات والولايات في الثقافة العربية ، والأدب العربى ، والشعر العربى خاصة ، فقد كان شاعر من الشعراء يقول شعرا فيطير بين الإمارات حتى يصل إلى عاصمة الخلافة العباسية بعد أن يستكمل طيرانه بين حواضر الإمارات من (بخارى) فيما وراء النهر ، و (بلخ) في أفغانستان الشمالية ، و (هرات) في أفغانستان الغربية ، و (زرنج) حاضرة (سيستان) الأفغانية ، حتى (نيسابور) حاضرة الدولة الطاهرية ، فكذا قد كان كتاب من الكتب يؤلف مثلا في (بلخ) الأفغانية بخراسان ، فيدرس في (بخارى) و (هرات) و (زرنج) و (نيسابور) وحتى في بغداد ، والقاهرة ، ودمشق ، وفي المغرب العربى ، وبذلك كانت الثقافة العلمية العربية ، والآداب العربية ، والفنون العربية مشتركة بين أهل هذه الإمارات ، وبين أهل كل تلك البلاد الإسلامية . وبالمثل كان الشعر - كما قلت - فلم يكن يظهر ديوان شعر لشاعر من الشعراء في تلك الإمارات ، والولايات والبيئات حتى يتلقفه الرواة والعشاق في بلدان العالم الإسلامى فضلا عن الإمارات ، وكان هذا أحد أسباب الوحدة بين الإمارات التى ظهرت في أقاليم أفغانستان المختلفة . وظلت لذلك اللغة العربية لغة الأدب ، والفن ، والعلم ، والثقافة في هذه الإمارات شأنها في ذلك شأن الأقاليم الأخرى في الخلافة العباسية ، وظلت اللغة العربية حية إلى جانب الشروع في إحياء اللغات والآداب الإقليمية الوطنية المحلية .

وللأمراء السامانيين وملوكهم فضل كبير وعظيم في تشجيع الآداب ، والعلوم والفنون ، وبخاصة الأدب الدرى الذى بدأ ينتعش منذ القرن الثالث الهجرى^(١) ، وبدأ العلماء ، والشعراء ، والكتاب يكتبون باللغات المحلية الأفغانية

(١) الدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام : ٨٢/٣ ، وسعيد نفيسى : تاريخ نظم ونثر در إيران ٢٧/١ ، طبع طهران .

كالپشتونية والدرية وغيرهما ، وقد بدأ الروح الوطنى والقومى يظهر فى الأدب والفن منذ ذلك الوقت ... ومن أشهر تلك الكتابات : مقدمة شاهنامة ألى المنصورى التى قام بكتابتها أبو منصور المعمرى باسم منصور محمد بن عبدالرازق فى سنة ٣٤٦ هـ^(١) ، وترجمة تاريخ الطبرى الذى قام بترجمته أبوعلى محمد بن محمد البلعمى فى سنة ٣٥٦ هـ بأمر منصور بن نوح السامانى . وترجمة تفسير الطبرى^(٢) التى اشترك فيها عدد من العلماء الأجلاء بأمر منصور بن نوح السامانى .

أما الطب والفلك وغيرهما من العلوم فقد كان العلماء فى أفغانستان السامانية يؤلفون فيها باللغة العربية ، ومن أشهر الكتب فى الطب فى هذا العصر الكتاب المنصورى الذى قام بتأليفه أبوبكر الرازى ، وقد أهداه إلى ألى صالح منصور بن إسحاق السامانى الذى ولى (سيستان = سجستان) الأفغانية بالنيابة عن السامانيين . وقد روى ابن سينا أنه رأى فى مكتبة مدينة (بخارى) حاضرة الدولة السامانية من طرائف الكتب وأحسنها ما لم يره ، ولم يسمع بمثله من قبل .

وقد اشتهر فى هذا العصر كثير من الشعراء الذين نظموا كثيرا من القصائد الشعرية باللغات المحلية ، وباللغة العربية ، أو بهما جميعا ، ومن أشهرهم ابن سينا أحد فلاسفة المسلمين ، وقد نظم كثيرا من القصائد الشعرية باللغة العربية من ذلك قوله فى النفس^(٣) :

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف وهى التى سفرت ولم تتبرقع
حتى إذا قرب المسير إلى الحمى ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع
وغدت تغرد فوق ذورة شاهق والعلم يرفع كل من لم يرفع
وتعود عاملة بكل خفية فى العالمين فخرقها لم يرفع

ومن الشعراء الذين أنشدوا الشعر باللغة العربية فى هذا العصر مهيار

(١) قيل إن مؤلف هذا الكتاب القيم مجهول .

(٢) سعيد نفيسى : تاريخ نظم ونثر در إيران : ٢٧/١ ، طبعة طهران .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٥٣/١ - ١٥٤ ، والدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام

الدليلى المتوفى سنة ٣٩٤ هـ = ١٠٠٣ م . وبالإضافة إلى ذلك هناك في هذا العصر عدد ضخم من الشعراء والكتاب قالوا الشعر بالعربية ، وأنشدوه بها ، وكتبوا ، وألفوا بهذه اللغة يمكن للباحث الاطلاع على تاريخ حياتهم ، وأعمالهم الأدبية ، المنظومة والمنثورة ، وعلى المادة الأدبية الخصبه الخاصة بهم في كتابين مشهورين وهما : (يتيمة الدهر) لأبى منصور الثعالبي ، و (دمية القصر) للباخرزى وكذلك في كتب : ابن الأثير ، وابن خلكان ، والعنتبي ، وغيرهم من الكتاب والمؤلفين في الأدب والتاريخ .

وكانت حركة الرحلات العلمية في هذا العصر نشطة ، وهذا الشاعر الخراسانى والرحالة المشهور الذى كان يعيش في العصر السامانى وهو (ناصر خسرو) قد قام بزيارة أبى العلاء المعرى في (معرة النعمان) ببلاد الشام ، كما زاره غيره من علماء خراسان في هذا العصر ، وفي هذا يقول أبو العلاء المعرى :
يُزورنى الناس : هذا أرضه يمن من البلاد ، وهذا داره الطيبس

على أیه حال نهض علماء الدولة السامانية بالعلوم ، والفنون ، والآداب ، وتركوا آثارا طيبة في كل شعبة من شعبها ، وفي كل فرع من فروعها ، سواء من اتصل منهم بقصور السامانيين ، أو من كانوا في خارجها ، ويعيشون في عصرها . وكانت قصور هؤلاء السامانيين مجتمعاً للشعراء أيضا وقد قرض كثير منهم الشعر باللغة العربية أيضا كما مرت الإشارة إلى ذلك .

وقد عاصرت هذه الدولة السامانية ثلاث دول أو إمارات أخرى ، وهى : دولة الغوريين في قلب أفغانستان ، ودولة الزياريين ، ودولة آل بويه في إيران ، وكانت قصورهم منتجعا لكثير من شعراء العربية ، وكتابها ، ومؤلفيها وقد عمل كل هؤلاء على ترويج العلوم ، وتشجيع التأليف ، وإنشاد الشعر ، وقول النثر .

العصر السامانى وعملية التأثير والتأثر :

وفي هذا العصر بدأت عملية التأثير الأدبى واللغوى ، والاختلاط الثقافى ، والامتزاج الفكرى تظهر واضحة في المجالات الفكرية ، والميادين الأدبية والموضوعات اللغوية ، وذلك لأن :

١ - بدأت اللغات المحلية القومية في أفغانستان خلال العصر الساماني تظهر في الميادين الأدبية والفكرية ، وتبدأ منافستها للغة العربية علنا وجهرا ، بعد أن استفادت من اللغة العربية في هذا المجال ، وبدأ الاختلاط الأدنى ، والتمازج اللغوي ، والتماسل الثقافي يؤتي ثماره ، وبدأ الشعراء والمفكرون والعلماء يهتمون باللغات المحلية الأفغانية وباللغة العربية اهتماما واضحا لافتنا للنظر حيث بدأ العلماء بترجمة كتب عربية إلى اللغات المحلية الأفغانية ، كما بدأ الشعراء ينشدون القصائد الشعرية باللغات المحلية ... ولقد كانت لهذه الحركة الفكرية نتائجها السيئة والطيبة معا .

٢ - ومنذ العصر الساماني بدأت اللغات المحلية الأفغانية تؤثر في اللغة العربية ، وذلك بعد أن بدأت تنافس اللغة العربية في الميادين الفكرية ، وخاصة في المجال الأدنى . وبدأت بعض الكلمات المحلية الأفغانية تظهر في اللغة العربية وللغالبى كلام كثير في هذا الشأن ، وهو يؤكد بأن كلمات الكوز ، والديباج ، والفريوزج ، والبلور ، والفالوذج ، والنرجس ، والياسمين ، والجلنار ، والمسك ، والعنبر ، والكافور ، والصندل ، وغيرها كلمات عجمية دخلت اللغة العربية . وهذه الكلمات مستعملة حتى الآن في اللغتين الأفغانيتين الرئيسيتين : البشتونية والدرية في أفغانستان .

٣ - ومنذ هذا العصر الساماني بدأت اللغة العربية وآدابها تؤثر تأثيراً قويا واسعا في اللغات الأفغانية المحلية أسلوبا ولغة واصطلاحا ... فدخلتها كلمات عربية ، واصطلاحات عربية ، وأساليب عربية خالصة ، سواء في ذلك المصطلحات الدينية والإدارية والأدبية ، كالزكاة ، والحج ، والمؤمن ، والكافر ، والدعاء وغيرها من الاصطلاحات الدينية دخلت اللغات الأفغانية ، كما دخلتها كلمات إدارية ومصطلحات حكومية كالدولة ، والإدارة ، والمحكمة ، والحكومة ، وغيرها من الاصطلاحات الإدارية والأدبية التي يستحيل حصرها .

٤ - ومنذ العصر الساماني بدأ الأدباء والشعراء والكتّاب ، والمثقفون عامة باستعمال الكلمات العربية والاصطلاحات الأدبية العربية بقدر واسع

وهائل ، وقد ازداد هذا الإقبال المؤثر قوة وبسرعة في العصور التي تلت
العصر الساماني .

ومن الأمراء من كان يقول الشعر باللغة العربية كالأمير نصر بن أحمد
الساماني الذي كان من أهل العلم والفضل ، وهو الذي يقول في رافع بن هرثمة
صاحب الدعوة لبني طاهر بن الحسين^(١) :

أخوك فيك على خير ومعرفة إن الذليل ذليل حيثما كانا
لولا زمان نخون في تصرّمه ودولة ظلمت ما كنت إنسانا

(١) محمد فزید وجدی : دائرة معارف القرن العشرين : ٩/٥ - ١٠ بیرو -

الفصل الثانى

الأدب فى ظلال الدولة الغزنوية والسلجوقية والغورية

الأدب في ظلال الدولة الغزنوية^(١)

التمهيد :

أفغانستان الخراسانية الآرية الآن تعيش في ظل الدولة الإقليمية الرابعة وهي الدولة الغزنوية التي تنسب إلى مدينة (غزنه) في قلب أفغانستان ، بخلاف الدول الإقليمية الثلاث التي تنسب إلى أسماء موسسها ، وبالدولة الغزنوية الأفغانية تبدأ في تاريخ أفغانستان مرحلة جديدة من مراحل تاريخها الطويل ، وهي الدولة الأولى من الدول الإسلامية في أفغانستان تعيد إلى الأذهان فتوحات الآريين في البلاد الهندية ، وأعمالهم الأدبية هناك .

أفغانستان مهد الدول الإقليمية الإسلامية المستقلة ، فالطاهريون من (بوشنج) في (هرات) الأفغانية يكونون الدولة الطاهرية^(٢) في (هرات) و (نيسابور) والصفاريون يشكلون دولتهم الصفارية^(٣) على أنقاض الدولة الطاهرية في (سيستان = سجستان) الأفغانية ، ثم يأتي دور الدولة السامانية^(٤) ومنشئوها من أهل (بلخ) الأفغانية في أفغانستان الشمالية ، ويكونون دولتهم على الشاطئ الشمالي من نهر (آمو = جيحون) الذي يفصل بين (بلخ) و (بخارى) وهذه دولة رابعة من الدول الإقليمية المستقلة تأتي إلى الوجود ، تقفز إلى الميدان في غزنه الأفغانية في قلب أفغانستان الخراسانية الإسلامية .

(١) سيد بهادر شاه ظفر كاك خيل : بحثانه د. تاريخ په رنا كى ٣٥ طبعة يشاور ، ومحمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين ٢٨/٥ - ٣٥ .

(٢) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين ٧٨٢/٥ - ٧٨٩ .

(٣) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين ٥١٤/٥ - ٥١٩ ، وطبقات ناصرى ٢٢٧/١ .

(٤) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين ٩/٥ - ١٤ .

الدولة الغزنوية :

الپتکین^(١) :

قلنا فيما مضى : إن الدولة الصفارية يمكن اعتبارها أول دولة إسلامية مستقلة تظهر اهتمامها بالعنصر العسكري الكامن في فطرة الشعوب الأفغانية الآرية وقد استمر هذا الاهتمام ، وهذه العناية في الدولة السامانية ، وكان السامانيون يعتمدون على قوادهم من قبائل الأفغان ، منها قبيلة (الترهكي) الأفغانية الشهيرة التي ظلها المؤرخون قبيلة (تركية) لتشابه الاسمين في النطق ، والشكل والصورة ومن هؤلاء القواد الذين كان السامانيون يعتمدون عليهم (ألتکین) الذي يعتبره المؤرخون من الموالى الأتراك اشتباها منهم بين كلمتي (الترهكي) و (التركي) أى (الترهك) و (الترك) . كان (الپتکین) قائداً في الجيش الساماني في خراسان^(٢) الأفغانية ، ثم عين حاكماً في (هرات) الأفغانية في أفغانستان الغربية . وفي سنة ٣٥١ هـ = ٩٦٠ م كان (أبوبكر لاويك) يقوم بإدارة إمارتي (كابليستان) و (زابلستان) من مدينة (غزنة) الأفغانية بالنيابة عن السامانيين ، وبأمر منهم وبموافقتهم ، ولكنه في قتال عنيف جرى بين القائدين الأفغانيين السامانيين انتصر فيه (الپتکین) على خصمه واستولى على (غزنة) ووضع فيها لأول مرة حجر الأساس للدولة الغزنوية^(٣) في قلب أفغانستان . وقد توفي (الپتکین) في سنة ٣٥٣ هـ = ٩٦٣ م ، وخلفه ابنه (إسحاق) ثم تولى الحكم (بلكاتکین) ومن بعده (بيوتکین) ولم يكن أحد منهم أهلاً لذلك فآل الأمر إلى زوج ابنة (الپتکین) ، القائد الأفغاني الشهير (سبكتکین) في سنة ٣٦٧ هـ = ٩٦٦ م^(٤) .

سبكتکین^(٥) :

يرجع ظهور قوة الدولة الغزنوية إلى القائد المغامر المسلم (سبكتکین)

- (١) سير الملوك ١٤٥ ، وطبقات ناصري ٢٢٧/١ ، وأفغانستان بعد از اسلام ٣٤/١ - ٣٥ .
- (٢) سيد بهادر شاه ظفر كاكاخيل - مختاره د تاريخ په رناكي ص ٣٥٠ طبعة پشاور .
- (٣) المرجع السابق .
- (٤) خيلبي : سلطنت غزنويان - مواضيع مختلفة ، وجلالي : غزنة وغزنويان - مواضيع مختلفة .
- (٥) يوهاند عبدالحى حبيبي : تاريخ أفغانستان بعد از اسلام ٣٤/١ - ٣٥ ، وسير الملوك ١٤٥ وطبقات =

الذى تولى (غزنه) وملحقاتها بأمر السامانيين وباسمهم فى (بخارى) بدأ أول مايدأ بالإصلاحات الداخلية فى أفغانستان ، فقام بتوحيد البلاد ، وصمم على أن تكون دولته فى أفغانستان قوية ، فألف لذلك بين القلوب ، والأفكار ، وبادل الثقة بالشعب الأفغانى ، واعتمد على جنوده الأفغان ، وثبت دعائم وحدة وطنية إسلامية صهرت الفوارق القبلية المتمكنة من القبائل الأفغانية ، وجمعت الأفغان وغيرهم من القبائل فى أفغانستان على كلمة الإسلام لتكون منطلقه إلى حروبه المنتصرة الظافره ، وفى سبيل ذلك استولى على (بست = BUST^(١)) فى وادى (هلمند) و (قصدار) ثم بدأ بطرد ملوك كابل (كابلشاهان) واستولى على خراسان الشمالية وأحكم قبضته على المناطق المركزية والغربية من أفغانستان ، وعامل - فى كل ذلك - القبائل الأفغانية معاملة طيبة ، ولأجل ذلك تزوج ابنة أحد رؤساء القبائل الأفغانية فى (زابلستان) الأفغانية ، وتوطدت العلاقات الأخوية بينه وبين تلك القبائل الأفغانية ، ودخل الأفغان (البشتونيون = البختونيون) بعد ذلك فى الجيش بأعداد ضخمة كما يقول (العتبى)^(٢) وساعدوا (سبكتكين) ثم أبنه محمودا من زوجته الزابلية فى فتوحاته فى البلاد الهندية .

كان (سبكتكين) يعترف للسامانيين بالسيادة ، ويحارب ، ويفتح البلاد باسمهم مع أنه كان من الناحية العملية مستقلا ، وأكثر نفوذا منهم ، ولقب لذلك بناصر الدولة تقديراً لفتوحاته ، وحروبه لأجل إعادة النظام إلى نصابه ، والقضاء على الخارجين على النظام الساماني .

(جبيال) أحد ملوك (كابل = كابلشاهان) البوذيين كان قد نقل عاصمته من كابل إلى (وبيند) فى المناطق الشرقية الأفغانية بالقرب من نهر (أباسين = أندوس = السند) تحت ضغط الحملات الإسلامية المتوالية على عاصمته القديمة (كابل) وكان نفوذه فى هذا الوقت يسيطر على المناطق الواقعة بين (سرهند) بالهند ، و (لمغان = لغمان) فى أفغانستان الشرقية طولا ، بين (كشميسر) و (ملتان) .

= ناصرى ٢٢٧/١ . وسيد بهادر شاه ظفر كاكاخيل : مخزنه ذ تاريخ زناكى ٣٥٠ ، طبعة پشاور .

(١) محمد أمان صافى : المراكز الأدبية فى أفغانستان ... بست ومكانها الأدبية والتاريخية . لم يطبع بعد .

(٢) تاريخ الجيى ٥٠/١ - ٥٤ .

في (البنجاب) عرضاً^(١) . وعندما قويت شوكة الدولة الغزنوية في (غزنه) في قلب أفغانستان ، واتحدت القبائل الأفغانية مع القائد الأفغاني والمؤسس الحقيقي للدولة الغزنوية (سبكتكين) رأى (جييال) ذلك خطراً عليه ، وعلى ملكه الممتد بين أفغانستان والهند ، فاتجه على رأس جيش إلى (غزنه) للقضاء على الدولة الإسلامية الناشئة التي تهدد كيان دولته الواسعة معتمداً في ذلك على ماكان يتوقعه من المساعدات الهندية^(٢) : علم (سبكتكين) ذلك فتحرك لمقابلته فاشتبك الجيشان في معركة طاحنة دامية في وادي (غورك = غوزك) على الطريق الرئيسي بين (جلال آباد) و (لغمان = لغمان) في أفغانستان الشرقية ، وهي أول معركة حامية يخوضها (سبكتكين) ضد ملوك الشرك ، والطغيان المشهورين باسم (ملوك كابل = كابلشاهان) الأفغانيين البوذيين ، وكان النصر في هذه المعركة من نصيب (سبكتكين) وتم الصلح بين الطرفين مع معارضة محمود بن سبكتكين على خمسين فيلا ، وعلى مال وأرض يقوم (جييال) بتسليمها للدولة الغزنوية^(٣) التي انتصرت في هذه المعركة .

ولما عاد (جييال) إلى عاصمته قبض على من معه من المسلمين الذين جاءوا معه لتسلم مااتفق عليه من المال ، وجعلهم عوضاً عن رهائنه عند الغزنويين ، فلما سمع (سبكتكين) بذلك ، سار مرة أخرى لتأديب (جييال) وكان ميدان المعركة هذه المرة أحد المواقع في (ننگرهار) بأفغانستان الشرقية بين (جلال آباد) و (پشاور) وكانت هذه المعركة هي الفاصلة بين المسلمين الأفغان ، والمشركون الأفغان حيث لحقت الهزيمة الساحقة بالملك البوذي (جييال) وجيشه ، ولم تقم له قائمة مرة أخرى في تاريخ أفغانستان ، وهو آخر (ملوك كابل = كابلشاهان) الذي يشتهر عند المؤرخين العرب بملك الهند ، أو بملك (البنجاب) نظراً لانتقال مركز ثقله إلى البنجاب بالهند ونظراً لعقيدته البوذية الهندوكية ، وبذلك دخلت المناطق الشرقية من أفغانستان .. (لغمان)

(١) سيد بهادر شاه ظفر كاكاخيل - نختانه د. تاريخ په رنكې ص ٣٥١ .

(٢) خليلي : سلطنت غزنويان ، مواضيع مختلفة ، وجلال غزنه وغزنويان ، مواضيع مختلفة ، وبهواند عبدالحى حبيبي : أفغانستان بعد از اسلام ١ / مواضيع وصفحات مختلفة .

(٣) سيد بهادر شاه ظفر كاكاخيل : نختانه د تاريخ په رنكې ص ٣٥١ .

و (ننگرهار) و (كور) في الدولة الغزنوية الإسلامية باستثناء (پشاوړ) التي طهرها ابنه محمود الغزنوي .

وهذا أول عمل قومي يقوم به (سبكتكين) في المجال العسكري والسياسي في أفغانستان الشرقية ، وقد قام بإتمام هذا العمل القومي الإسلامي السلطان الزابلي محمود الغزنوي ، وقد توفي (سبكتكين) سنة ٣٨٧ هـ^(١) = ٩٩٧ م^(٢) ، وتولى ابنه إسماعيل شئون المملكة الصغيرة في قلب أفغانستان الكبيرة ، وكان ابنه الثاني محمود الزابلي واليا في غرب أفغانستان ، مقيما في (نيسابور) في ذلك الوقت^(٣) .

محمود الغزنوي الزابلي^(٤) :

محمود أبوه (سبكتكين) وأمه ابنة أحد رؤساء القبائل الأفغانية من (زابلستان) الأفغانية ، ولد في شهر المحرم سنة ٣٦١ هـ = ٩٧١ م ، واستطاع أن يتولى السلطة ، ويعلو العرش في (غزنة) الأفغانية سنة ٣٨٨ هـ = ٩٩٨ م^(٥) وقد توفي سنة ٤٢١ هـ = ١٠٣٠ م .

ومن أعماله في السياسية الداخلية اهتمامه بالغا بالقبائل الأفغانية من الشعب (الپختونی = الپشتونی) أخواله . وقد أخلصوا له في التعاون معه ، وخصوصاً في الشؤون العسكرية والقتالية ، انظر إلى أحد شعرائهم كيف يصور وقوفه مع السلطان (الزابلي محمود الغزنوي) في معركة حامية دامية ، وقد خذله فيها أفراد جيشه من القبائل الأخرى التركية وغيرها^(٦) :

تركونامردو داسی ودنکل دنام و ننگه زه پوختون وم جه ولاړوم د سلطان ترسنگه
توره په لاس کی به سوراً ورد عرصات و ختم دبت شکن سره به در دسومنا و ختم

(١) . دائرة معارف القرن العشرين ٢٩/٥ .

(٢) . وقيل في سنة ٩٩٦ وكان عمره عند وفاته ٥٦ سنة .

(٣) . خليلي ؛ سلطنة غزنويان ، مواضيع مختلفة ، و جلالی : غزنة و غزنويان ، مواضيع مختلفة .

(٤) . دائرة معارف القرن العشرين ٢٨/٥ - ٣٥ .

(٥) . وقيل في سنة ٩٩٩ م .

(٦) . سيد بهادر شاه ظفر - بحثانه د . تاريخ په رنای ص ٣٥٩ .

الترجمة :

إن الأتراك تنازلوا عن العزة والشرف وكنت أنا الپشتون الوحيد واقفا بجانب السلطان وفي يدي سيف خضت به نار العرصات ومع محطم الأصنام دخلت قلعة السومناث وفي أيامه ظهرت الدولة الغزنوية في المجال الإسلامي والقومي ظهوراً واضحاً ، وقد امتاز عهده بتوحيد الأقاليم المختلفة في أفغانستان تحت لواء الدولة الغزنوية^(١) ، ثم بالجهاد في البلاد الهندية .. إن قوة محمود الغزنوي التي لاتحد ، قد ظهرت فجأة ، وأنه بدأ عهده بوضع يده على مملكته الصغيرة في قلب أفغانستان التي ورثها عن أبيه (سيكتكين) ولكنه لم يلبث أن غزا الهند اثنتي عشرة مرة ، وضم إلى مملكته الصغيرة مملكة (البنجاب) وأخضع بلاد الغور في أفغانستان الوسطى ، وبلاد ماوراء النهر ، ووالى لبنى (بويه) ضرباته القاسية التي انتهت باستيلائه على أصفهان^(٢) ..

وفي سبيل القضاء على المناوشات ، ووحدة البلاد الأفغانية قضى على الأسرة الحاكمة في (الجوزجان) الأفغانية في أفغانستان الشمالية ، وأنهى حكم الصفاريين في (سيستان) الأفغانية في الجنوب الغربى من أفغانستان ، وأخضع أسرة آل (الشنسب) ببلاد الغور^(٣) في المناطق المركزية الأفغانية كما أخضع فيها حكام (غرجستان) وطرد عن الحكم حكام وأمراء (كَرديز) الأفغانية في أفغانستان الجنوبية ، وأزال سلطان الحكام القدامى في (پيشاور) في الشرق الأفغانى وأخضع الأمراء والحكام في (الملتان) وبلاد السند في الشرق الأفغانى ، وأزال من الوجود أسرة آل سهراب في (بلوچستان) في الجنوب الأفغانى ،

(١) الدكتور أحمد محمود الساداقى : تاريخ المسلمين في الهند ٨٧ ، ومحمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ٧٩ ، والدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ١٧٠/٣ ، وأرنولد : الدعوة إلى الإسلام ٢٨٨ ، واس خلكان : وفيات الأعيان ٨٤/٢ - ٨٥ ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ ١٣٠/٩ .

(٢) حسن إبراهيم حسن - تاريخ الإسلام السياسى ٨٧/٣ .

(٣) استولى على بلاد الغور : هاجم السلطان محمود بلاد الغور ثلاث مرات :

المرّة الأولى : في سنة ٤٠١ هـ = ١٠١٠ م عن طريق هرات واشترك في الهجوم بنفسه .

المرّة الثانية : في سنة ٤٠٥ هـ = ١٠١٤ م عن طريق بست وخواريين في الهجوم بنفسه .

المرّة الثالثة : في سنة ٤١١ هـ = ١٠٢٠ م عن طريق هرات بقيادة مسعود الغزنوى .

واستولى على (البنجاب) واتخذ مدينة لاهور قاعدة له من الناحية العسكرية وقاعدة لانتشار الثقافة والآداب الإسلامية في بلاد الهند ، وقضى على السامانيين في بلاد ماوراء النهر ، وأخضعهم لسلطانه ، واتخذ أخوه نصر مدينة (نيسابور) قاعدة له ، وأزال سلطان البويهيين في (ألرى = طهران) وملك (قروين) وقلاعها ، كما أزال حكم الأتراك في بلاد ماوراء النهر ، وكون لتنفيذ هذه الأعمال الحدودية جيشاً إسلامياً عظيماً أكثر أفراده من القبائل الأفغانية (البشتونية = البختونية) ليقوم بجانب ذلك بإتمام الفتوحات الغزنوية الإسلامية في البلاد الهندية^(١) ، وقد قام بها تحت علم الجهاد في سبيل الله . فالسلطان الزابلي محمود الغزنوي أول إمبراطور أفغانى في أفغانستان الإسلامية يسيطر على الإمبراطورية العظيمة التى كان اليفتيون (الهياطلة) قد كونوها في القرن السادس الميلادى على أعقاب طرد الساسانيين في أفغانستان (آريانا) الأفغانية ، وقد كان اليفتيون (الهياطلة) أنفسهم قد استولوا على هذه الإمبراطورية الواسعة الشاسعة التى أسسها الكوشانيون في أفغانستان القديمة (آريانا) وهذه الإمبراطورية التى مرت عليها ثلاث مراحل مختلفة قد أعاد (أحمد شاه بابا) الإمبراطور الأفغانى تشكيلها ، وتكوينها من جديد في العصور المتأخرة من عصور تاريخ أفغانستان الإسلامية^(٢) . إن هذه الفتوحات التى قام بها السلطان الزابلي محمود الغزنوي لنشر الإسلام وحضارته ، وثقافته ، وآدابه في ربوع الإمبراطورية هى التى خلدت ذكره ، وذكرى الدولة الغزنوية . كان محمود يجمع في شخصه بين المزايا الدينية الإسلامية ، والعسكرية الأفغانية والقيادية الآرية ، والسياسية الخراسانية ، والقومية الأفغانية الإسلامية معا . دفعته عاطفته الدينية الإسلامية إلى الجهاد في سبيل إعلاء كلمته ، ودفعته ميوله العسكرية الأفغانية إلى تطهير البلاد الأفغانية وتوحيدها تحت لواء الدولة الغزنوية ، وبشخصيته القيادية الآرية تمكن من جمع شمل القبائل الأفغانية الآرية من حوله للاستفادة منها في حروبه في الداخل ، وفي الخارج ، وشخصيته السياسية الفريدة البارعة دعت إلى إرضاء الخلافة في بغداد

(١) خليل : سلطنت غزنويان ، مواضيع مختلفة ، وجلالى : غزنة وغزنويان ، مواضيع مختلفة ، وكاكا خليل پشتهان د. تاريخ په رناكى ، صفحات وموضوعات مختلفة .
 (٢) أحمد شاه بابا : ديوانه - تحقيق عبدالحى حبيبي ، وعتيق الله بجواك : غوريان - مواضيع مختلفة ، وعبدالحى حبيبي : لوى أحمد شاه بابا .

ولأجلها قتل الرافضة ، والإسماعيلية ، والقرامطة ، والجهمية ، والمشبهة^(١) ،
ولأجلها نفى المعتزلة وضيق عليهم الخناق والنطاق . كان يرسل الخير بعد كل فتح
في الهند إلى الخليفة العباسي القادر بالله يخبره بما فتح الله على المسلمين في الهند .
وفي هذا يقول ابن خلكان :

(وكتب محمود الغزنوي إلى الديوان في بغداد كتاباً ، يذكر فيه ما فتح الله
تعالى على يديه من بلاد ، وأنه كسر الصنم المعروف بسومنت و ذكر في كتابه أن
هذا الصنم عند الهنود يحیی ويمیت ، ويفعل مايشاء ، ويحكم مايريد ، وأنه إذا
شاء أبرأ جميع العلل .. ، وفي خدمته من البراهمة ألف رجل يخدمونه ، ثلاثمائة
رجل ، وخمسمائة امرأة يغنون ، ويرقصون عند بابه ، ويجرى من مال الأوقاف
المرصدة له لكل طائفة من هؤلاء رزق معلوم .. ، ولما وصل المسلمون إلى القلعة
وجدوها حصناً منيعاً ، ففتحوها في ثلاثة أيام ، ثم دخلوا بيت الصنم ، وحوله
من الأصنام الذهب المرصع بأصناف الجواهر عدة كبيرة محيطة بعرشه ، يزعمون
أنها الملائكة ، وأحرق المسلمون الصنم المذكور ، فوجدوا في أذنه نيفا وثلاثين
حلقة ، فسألهم محمود عن معنى ذلك (ف قيل له) كل حلقة عبارة عن
ألف سنة^(٢) .

وقد واصل خلفاء السلطان الزابلي محمود الغزنوي سياسته في توجيه
حملاتهم لفتح الهند ، بعد أن كان محمود قد اتخذ مدينة (لاهور) مقراً لحكومته ،
وقاعدة لعملياته في تلك البلاد ، ففتح ابنه مسعود^(٣) أجزاء أخرى من البلاد
الهندية ، كما قام ابنه مودود بفتح عدة حصون فيها ، وغزا إبراهيم بن مسعود بلاد
الهند عدة مرات ، وحصل على عدة انتصارات ، وهكذا مهدت هذه الفتوحات
الإسلامية التي قامت بها الدولة الغزنوية في البلاد الهندية الطريق أمام الغوريين
الأفغان الذين نشروا الإسلام بإخلاص وعن إيمان في ربوع الهند وعمقها ،
وتأصلت فيها الحركة الإسلامية بجهودهم ، ووفائهم للإسلام الشديد .

(١) العنبي : تاريخ اليميني ٢/ ٢٣٨ ، وأحمد أمين : ظهر الإسلام ١/ ٢٨٣ .

(٢) وفيات الأعيان ٢/ ٨٤ - ٨٥ .

(٣) الدكتور / إبراهيم حسن إبراهيم - تاريخ الإسلام السياسي ٣/ ٩٦ .

وقد أخذت الدولة الغزنوية في الوهن أيام أولاد السلطان الزابلي محمود الغزنوي الذين لم يستطيعوا في أى وقت ، وعلى أية حال أن يحرزوا مثل ماكان يحرزه هو من القوة ، والحنكة ، والسلطة ، والانتصارات الباهرة ، هذه الدولة أخذت في الاضمحلال رويداً رويداً إلى أن وقع آخر الغزنويين وهو (تاج الدولة خسرو ملك = ملكشاه) أسيراً في أيدي الغوريين الأفغان سنة ٥٧٩ هـ = ١١٨٣ م ، وحبس في قلعة (بلروان) في (غرجستان) في أفغانستان الغربية ، ثم أعدم هو وولده (بهرام شاه) سنة ٥٨٧ هـ = ١١٩١ م . وبذلك انتهت الدولة الغزنوية وتم إخماء النظام الغزنوي عن النظم السياسية في أفغانستان^(١) .

كان السلطان الزابلي محمود الغزنوي حامياً للعلوم ، والفنون ، والآداب ، بقدر ماكان قائداً وسياسياً ، ومسلماً مجاهداً ، وقد اجتمع في مدرسته^(٢) التي أقامها في (غزنة) الأفغانية وفي بلاطه فيها جمع غفير من الشعراء ، والأدباء والعلماء ، والفضلاء ، وأصبحت (غزنة) الأفغانية مجمعاً علمياً عجزت العواصم الآسيوية الأخرى من مداراتها في ميدان الأدب ، والشعر ، والفن ، والعلم ، والمعرفة .

وقد اتسعت الدولة الغزنوية في أفغانستان حتى أصبحت تضم إيران الحالية غرباً ، وبلاد ماوراء النهر شمالاً ، وشمال البلاد الهندية شرقاً ، و (سيستان = سجستان) جنوباً ، أو بعبارة أخرى كانت تضم في إطارها السياسي والجغرافي أفغانستان المعاصرة ، وباكستان الحديثة ، وإيران الحالية ، وجميع أقاليم ماوراء النهر المحتلة التي تعيش اليوم تحت الاستعمار الأحمر الروسي . وقد ورثها الغوريون الأفغان بحدودها الأربعة أو أكثر اتساعاً في الحدود الشرقية . وكانت للدولة الغزنوية عاصمتان الأولى وهي المركزية وهي مدينة (غزنة) التي تشتهر الدولة باسمها منسوبة إليها ، ويشتهر ملوكها منسويين إليها أيضاً ، والعاصمة الثانية هي مدينة (بست) في وادي (هلمند) على شاطئ نهر هلمند الشهير وكانت عاصمة شتوية يقضى فيها الملوك والسلاطين والأمراء الغزنويون أيام الشتاء تهرباً

(١) تاريخ البيهقي - الترجمة العربية ، مواضيع مختلفة ، وخليلى : سلطنت غزنويان ، مواضيع مختلفة ، وجلالى : غزنة وغزنويان ، صفحات مختلفة .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٩/٩١ ، وابن خلكان : وفیات الأعيان ٢/١١٣ .

من برد غزنة الثّارّس . وكانت لهم عاصمة ثالثة فى (البنجاب) وهى مدينة (لاهور) وقد اكتسبت الأهمية من ناحيتين : .. الأولى : كونها قاعدة عسكرية للعمليات العسكرية فى البلاد الهندية . والثانية : كونها مركزاً هاماً من مراكز نشر الإسلام وآدابه فى البلاد الهندية .

الأدب والثقافة فى العصر الغزنوى : (١)

راج الأدب والفن ، والعلم ، والمعرفة ، والثقافة فى هذا العصر ... عصر الغزنوين فى أفغانستان ، وكان الأمراء ، والوزراء فى العاصمة (غزنة) وفى حواضر الولايات المنتشرة فى أنحاء البلاد ، كانوا من أصحاب الأدب ، والعلم ، والثقافة ، وكانت العاصمة ، والحواضر .. غزنة ، وبست ، وزرنج ، وهرات ونيسابور ، وأصفهان ، وبلخ ، وبخارى ، وسمرقند وطبرستان مواطن للأدب ، والعلم ، والثقافة ، والحضارة الإسلامية ، ومقصد الشعراء والأدباء ، والعلماء ورجال الثقافة ، والمعرفة ، وقد بلغت الدولة الغزنوية فى أفغانستان أوجها الأدبى ، والعلمى ، والحضارى فى أيام السلطان الزابلى محمود الغزنوى ، وبمجهوده الطيب ، وصارت (غزنة) مركزاً للأدب ، والعلم ، والسياسة ، وقاعدة رئيسية للاشعاع الأدبى ، والحضارى للثقافة الإسلامية العربية فى (آسيا) كلها (٢) .

نحن نعرف تكوين الدولة الطاهرية (٣) سنة ٢٠٥ هـ = ٨٢٠ م فى (هرات - نيسابور) بخراسان ، نظراً لما عجز فى نفوس الأفغانين من نزعة إلى الاستقلال والحرية ، لتتولد منها الدولة الصفارية (٤) ، ثم الدولة السامانية (٥)

(١) الدكتور محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ٢١٩ - ٢٢٢ ، وابن الأثير : الكامل فى التاريخ ٩١/٩ ، وابن خلكان : وفیات الأعيان ١١٣/٢ ، وثرث فارس الترجمة العربية : ١٢٥ ، ١٥٩ ، ٢٢٣ ، ١٥٧ ، ٣٦٩ ، وظهر الإسلام ٢٨٣/١ ، وبراون : تاريخ الأدب فى إيران ١١٤/١ ، وكتاب المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ١٦/٨ ، وخطبى : سلطنة غزنويان : مواضيع مختلفة ، وتاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ٥٨٧/٢ - ٥٩٣ ، وجلالى : غزنة وغزنويان : مواضيع وصفحات عديدة ومختلفة .

(٢) الدكتور محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ٢١٩ .

(٣) الدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى ١٤٢/٣ .

(٤) الدورى : دراسات فى العصور العباسية المتأخرة ١١٠ - ١١١ ، والطبرى ١٥/٨ ، ٣٣ - ٣٤ .

(٥) بروكلمان : تاريخ الشعوب ١١٣/٢ ، والدكتور محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ٨٣ .

تمهيداً لظهور الدولة الغزنوية^(١) للقضاء على تلك الدويلات التي انتشرت في جميع أنحاء أفغانستان ، وإيران ، فتساقط واحدة إثر أخرى تساقط أوراق الأشجار في الخريف . وإذا كان هناك لظهور تلك الدول المستقلة في غرب ، وجنوب ، وشمال ، وقلب أفغانستان (خراسان) تأثيرها السيء الضار على الدولة الإسلامية ، فإنه قد أدى - مع ذلك - إلى تأكيد الأدب ، والثقافة ، وتطور الحضارة ، وازدهار العلوم والفنون ، والآداب ، والمعارف ، كما أدى إلى تنوع في فروع المعرفة الإسلامية ، ذلك لأن تلك الدول الإقليمية اتخذت من بلاطاتها ما يشبه المراكز العلمية للبحوث ، والآداب ، يأوى إليها العلماء ، والشعراء ، والفضلاء ، فعمت النهضة الأدبية كل بلاط في كل حاضرة ، وغمرت روح الأدب والشعر كل تلك الأرجاء من خراسان الأفغانية . وكان لمدينة (غزنة) في ذلك نصيب ما بعده نصيب ، ونشاط ما بعده نشاط .

هل قضت الدولة الغزنوية على الآداب بقضائها على الدويلات ؟ :

نعم ! ظهرت الدولة الغزنوية في قلب أفغانستان ، وقامت بالقضاء على تلك الدول والدويلات التي كانت منتشرة هنا وهناك في كل من أفغانستان وإيران ووحدتها تحت لواء إسلامي واحد ، شعاره واحد ، وهو الإسلام فهل قضت هذه الدولة على أوجه النشاط الأدبي ، والعلمي ، والثقافي ، والحضاري في تلك الحواضر التي كانت تقوم بها أيام الدول الإقليمية ، والدويلات الوطنية ؟ وهل كان نشاطها السياسي والعسكري والثقافي والأدبي ضاراً كما يزعم ؟ الجواب بالقطع : لا ! ذلك لأن ظهور الغزنويين ، وقيام الدولة الغزنوية في قلب أفغانستان يعني أول ما يعني :

يعني ظهور الغزنويين أولاً المحافظة على النهضة الأدبية ، والثقافية والحضارية والعلمية ، وتشجيعها وترويجها وازدهارها ، ازدهاراً يناسب شأن الدولة الغزنوية وعظمتها التي كانت تنافس الخلافة نفسها في كثير من الميادين العلمية ، والأدبية ، والسياسية . صحيح أن محموداً قضى على تلك الحواضر الإقليمية للدول والدويلات والإمارات الإقليمية المنتشرة في جميع أنحاء خراسان ، وكانت مراكز

(١) خليلي : سلطنة غزنويان : مواضيع مختلفة ، وجلال : غزنة وغزنويان : مواضيع وصفحات مختلفة .

للنهضات الأدبية ، والفكرية والعلمية الرائعة ، لكنه قام باقتناص الأدباء والعلماء ، والمفكرين الذين كانوا يزاحمون تلك الحواضر الإقليمية ليستأثر بهم استثنائاً ، ولينموا العلم والأدب والفن في ظله نمواً ، ول يتم ذلك كله في بلاطه وتحت بصره وسمعه ، ففي ظله ، وفي بلاطه ، وفي ظل دولته العظيمة تطور الشعر ، وتقدم الأدب ، وارتقى الفن ، وفي عهده نضج البحث العلمي نضجاً ، وتنوع الباحثون تنوعاً ، ونشط العلماء نشاطاً ، وازدهر الأدب ازدهاراً ، وازداد لروعة ، وتطورت الحياة الأدبية والعلمية ، والثقافية تطوراً عظيماً ، فجذبت نهضة أدبية نشيطة ، وقامت غزوة الأفغانية بدورها الأدبي ، والعلمي ، والثقافي ، والحضاري ، ولاتسى في ذلك كله دور الحواضر الإقليمية كمراكز أدبية وعلمية أقل شأنًا مما كانت عليه قبل أن يقضى عليه السلطان الزابلي محمود الغزنوي كحواضر سياسية لتلك الأقاليم التي أخضعها لسلطانه .

ويعنى ظهوراً الغزنويين ثانياً تغلب السنة على الشيعة ، والقضاء على الإلحاد والكفر ، إذا استطاعوا صد الزحف الشيعي الذي قام به البويهيون ، وانطلقوا به إلى دار الخلافة العباسية في بغداد نفسها ، وكان الفاطميون يحاولون السيطرة على الشيعة وانتشارها في هذه المناطق والأقاليم إذ كان همهم القضاء على الخلافة السنية ليحل محلها خلافة شيعية ، وثقافة شيعية ، وآداب شيعية ، وظلت تعمل في السر والخفاء خوفاً من الغزنويين في أفغانستان لإتمام هذا العمل الشيعي إلى أن قضت عليها الدولة السلجوقية نهائياً ، يقول الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام : وامتلئ يمين الدولة محمود بن سبكتكين أمر القادر بالله ، وبث كلمته في عماله بخراسان وغيرها في قتل المعتزلة ، والرافضة ، والإسماعيلية ، والقرامطة ، والجهمية والمشبهة ، وصلبهم ، ونفاهم ، وأمر بلعنهم على المنابر ، وشردهم من ديارهم ^(١) . وبذلك فوت السلطان الزابلي محمود الغزنوي على الطامعين والخارجين فرصة الانقضاض على الخلافة العباسية في بغداد .

كما يعنى ظهور الغزنويين ثالثاً انتشار الإسلام وآدابه وثقافته ، وحضارته في ربوع الهند الواسعة الشاسعة ، إذ امتدت فتوح الغزنويين إلى مختلف أجزاء الهند

(١) العتبي : تاريخ العيني ٢٣٨/٢ - ٢٥١ ، خليل : سلطنة غزنويان : مواضيع مختلفة ، وأحمد أمين : ظهر الإسلام ٢٨٣/١ ، والذهبي : تاريخ الإسلام .

ومَنَاطِقها ، ووصلت الدعوة الإسلامية إلى عمقها حاملة معها الآداب ، الإسلامية ولغتها العربية ، حيث الثراء الوفير ، والمال الكثير ، فامتدت الرقعة الإسلامية ، وزاد الترف ، وازدهر الاقتصاد ، مما جعل الحركة الفكرية والأدبية ، والعلمية تنشط ، وتزدهر ، وأصبحت الدولة الغزنوية بذلك وجهاً من وجوه العظمة الإسلامية وعظمة آدابها^(١) ، والوقار الإسلامي والحضارى والثقافى والأدبى ، فالأدباء ، والعلماء ، والشعراء ، والمفكرين الذين دعاهم محمود تحت عامل الثراء والترف والازدهار الاقتصادى كانوا وفرة هائلة وعددا ضخماً ، فعدد الشعراء فى بلاطه يصل إلى أربعمائة أو يزيدون ، وعلى رأس العلماء ، والأدباء والمفكرين فى بلاطة^(٢) : البيرونى ، والفارابى ، والبيهقى ، والعتبى ، والثعالبى . وهذا جانب من عظمة أفغانستان العلمية والأدبية فى (غزنة) الأفغانية التى اغرقها شجاعة الأفغان ، وأموال الهند فى سبيل من الترف والحضارة والازدهار ، حتى لقد أصبحت (غزنة) الأفغانية من أعظم المدن فى هذا العصر الزاهر كما كانت مدينة (بلخ = بخدى) فى العصور القديمة فى شمال أفغانستان ، وكما كانت مدينة (هرات) فى العصر المتأخر فى غرب أفغانستان .

وكان من الطبيعى أن يقوم السلطان الزابلى محمود الغزنوى بمثل هذه الأعمال العظيمة للإسلام ، ذلك لأن دولته الغزنوية تأسست أساساً على القواعد الدينية الإسلامية وحضارتها ، وكانت تعتمد فى قيامها السياسى ، وتطورها الأدبى والحضارى على الجانب الدينى الإسلامى ، كل أعمالها السياسية ، والعسكرية والأدبية والحضارية ، والفكرية ، والعلمية تقوم على هذا الجانب الهام ، تقوم بفتحاتها فى الهند باسم الدعوة الإسلامية ، وتخضع روحياً للخلافة العباسية فى بغداد باسم الإسلام ، وتخضع أعمالها الحضارية والثقافية والأدبية للحضارتين العربية والآرية باسم الإسلام . وبهذا المنطلق بدأ صاحب الدولة الغزنوية محمود الزابلى الغزنوى يدك حصون الهند الحصينة ، وقلاعها المتينة ، ويخطم أصنامها الكثيرة ، ويغنم أموالها الوفيرة ، ويرفع فيها راية الإسلام عالية خفاقة .

(١) الدكتور على الشافى : الأدب الفارسى فى العصر الغزنوى - مواضيع مختلفة ، وجلالى : غزنة وغزنويان مواضيع مختلفة .

(٢) محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ٢٢١ ، وبراون : تاريخ الأدب فى إيران ١٣٢/٢ الترجمة العربية ، طبعة القاهرة .

تطور الحياة الأدبية والحضارية في العصر الغزنوي :

لاشك أن الحياة الأدبية مرتبطة إلى حد كبير بالحياة السياسية ، والاجتماعية ، بل إن الحياة الأدبية تنعكس دائما على حياة الشعب الاجتماعية والسياسية ، وتتفاعل معها فيظهر لنا نتاج أدبي مترف ، أو خليع ، أو وقور ، أو قلق ، كل ذلك نتيجة للحياة التي يعيشها الناس ، والإحساسات التي تحسها الأمة ، ومن المعروف أن الأمة بشعبها ، والحكومة بسلاطنتها كانت تحس في العصر الغزنوي ، تلك الإحساسات الإسلامية بحرارة دافعة ، وألوان من الترف ، وعديد من القصور والصروح المزخرفة يعيش فيها السلطان بوزرائه ، وأمرائه ، وشعرائه وأدبائه ، وعلمائه ، ومفكره ، وهكذا نجد قلة مسرفة مبذرة وبجانبها كثرة معسرة محرومة تعيش في ألوان من ضنك وفاقة مما كان لكلاهما أثر في الأدب ، والثقافة ، وفي جميع ألوان الحضارة الإسلامية في الدولة الغزنوية في أفغانستان ... تطورت الحياة ، وازدهر الأدب ، وأصبح على العلماء أن يحتذوا النماذج التي أثرت عن العصر الساماني ، حيث كانت الدولة الغزنوية وريثتها ، وكان عليهم أن يجدوا أكثر حتى تنالهم عطايا السلطان الزابلي محمود الغزنوي وحظوته ، وأمواله التي غنمها في الهند في حروبه الإسلامية ، وللسبب نفسه كثر الأدباء والشعراء ، وازداد العلماء ، وتعدد الكتاب ، والمفكرون في أفغانستان الغزنوية في هذا العصر الزاهر بألوان من الفكر .

قامت الدولة الطاهرية في أفغانستان الخراسانية ، وكانت صلتها بالأدب العربي ، والثقافة العربية أقوى من صلتها بالآداب ، واللغات الإقليمية القومية ، وعلى أعقابها قامت الدولة الصفارية بالقوة القومية والاندفاع الوطني على عكس الطاهرية التي قامت باختبار من الخليفة وبموافقته ، وكانت ذات صبغة خراسانية أفغانية ، وبالتالي كانت صلتها بالحضارة القومية ، والآداب الوطنية ، واللغات الإقليمية أقوى من صلتها وعلاقتها باللغة العربية وآدابها . وعلى أنقاض الصفاريين جاءت الدولة السامانية إلى الوجود ، وبالقياص إلى الطاهريين والصفاريين فإن السامانيين يمتازون بإحياء الثقافات الوطنية في البلاد الخراسانية ، وكانت لها صلة بالآديين ... العربي ، والقومي . والميول السياسية للدول الثلاث كانت تتجه اتجاها واحدا وهو الاستقلال . ثم تأتي الدولة الرابعة وهي الدولة الغزنوية ، فتجعل من

قلب أفغانستان مركزا وقاعدة لعملياتها العسكرية والثقافية ، والأدبية ، والحضارية وكان لها من الوسائل الأدبية ، والمادية والعسكرية ، والفكرية ما جعلها تحتل مكانة مرموقة في التاريخ الأدبي في أفغانستان ، والدول المجاورة لها ، وفي العالم الإسلامي كله ، وكانت صلة الدولة الغزنوية بالآداب والفنون قوية بصفة عامة .. ولذلك نراها وقد تطورت سياسيا ، وعسكريا ، وأدبيا ، وفكريا ، وعلميا ، وفنيا معا فكانت متوهجة الفكر ، رفيعة الأدب ، متألفة في سماء العلم ، والفكر ، والحضارة ، والثقافة ، منتصرة في ميدان القتال ، والحرب ، والمعركة ، والوعى . وكانت الحضارة من دين ، وعلم ، وأدب ، وفكر ، وفلسفة ، وصناعة في أيام الدولة الغزنوية أرقى ، وأقوى منها في أيام الطاهريين ، والصفاريين والسامانيين ، وكان الأدباء ، والشعراء ، والكتاب ، والمؤلفون في البلاط الغزنوي أنشط أدبا وشعرا ، وكتابة ، وتأليفا ، وأكثر نبوغا ، وأعظم إدراكا لمسائل الأدب ، وفنون الشعر ، وألوان من الكتابة والتأليف ، ونحن بذلك لانكر على الأدباء والشعراء والكتاب في ظل الدول التي سبقت الدولة الغزنوية ، أدهم وشاعريتهم وكتابتهم ، إلا أن رجال الأدب والعلم في البلاط الغزنوي في أفغانستان قد جاءوا إلى الحياة الأدبية والعلمية والفكرية فوجدوا سابقهم قد بنوا لهم أسسا متينة ومحكمة من النتائج الأدبي ، والفكري ، والعلمي ، والثقافي ، فبدأوا ينسجون على منوالهم تارة ثم يتفنون تارة أخرى ، حتى وصل إنتاجهم إلى حد الكمال فالأولون في العصور الطاهرية ، والصفارية ، والسامانية أصحاب فضل لأنهم اخترعوا ، وابتكروا ، وفتحوا الطريق ، ومهدوه ، وسلكوه إلى حد ما ، والآخرون في العصر الغزنوي أصحاب فضل . فلقد تفننوا فأبدعوا ، وأتوا بكل جديد جميل في المجالين العربي والقومي الإقليمي معا ، ووصلوا في ذلك إلى حد الكمال . ولو أننا استعرضنا الحياة الأدبية في العصر الغزنوي في أفغانستان الغزنوية لوجدناها متطورة ، ومزدهرة كل الازدهار ، يربحها الأمراء والحكام ، والولاة من الأسرة الغزنوية الذين يحرصون الشعراء ، والعلماء ، والأدباء ، والمفكرين ، والكتاب بالعطايا والمنح ، والخطوة ، والتشجيع ، والعطف ، والتأييد المادي والمعنوي مما جعل من تلك الفترة من تاريخ أفغانستان الغزنوية عصر الحياة الأدبية الرفيعة المترفة في المجالين الوطني القومي ، والعربي الإسلامي .

في هذه البيعة الإسلامية الغزنوية في أفغانستان نجد كثيراً من الشعراء ، والأدباء ، والعلماء ، والمفكرين ، والكتاب نبغوا ولعبوا دورهم في الأدب ، ومن هؤلاء من هو من أصل عرني ، ومن هو من أصل إقليمي (أفغاني - إيراني) فإذا ذكرنا (غزنة) ذكرنا معها البيروني مثلاً ، وإذا ذكرنا (بست) ذكرنا معها الشاعر الكبير ، والأديب العظيم أباالفتح البستي ، وإذا ذكرنا (هرات) ذكرنا الهمداني ، وإذا ذكرنا (نيسابور) ذكرنا الثعالبي ، وإذا ذكرنا (سيستان) ذكرنا الأمير الأديب خلف بن أحمد ، وإذا ذكرنا (كابل) ذكرنا معها نافع الكابلي ، وإذا ذكرنا (بلخ) ذكرنا معها أدهم البلخي ، كل هؤلاء العلماء والأدباء في مراكزهم العلمية ، والأدبية ، قدموا للحضارة والثقافة الإسلامية والآداب العربية ، والإقليمية القومية من الشعر والأدب ، والفن ، ما ازدهرت به ازدهاراً ، ونهضت به نهضة .

إدماج الأسس الثقافية والحضارية في إطار ذهبي واحد :

إن إدماج الثقافة الإغريقية في الثقافة الآرية الأفغانية وإدماج الإغريق بالآريين الأفغان كان من أعز الأمانى التي كان الإسكندر المقدوني يحلم بها ، ولتحقيق هذا الحلم قام بتأسيس عدد من المدن باسم الإسكندرية في غرب ، وشمال أفغانستان الآرية ووسطها ، وقد نجح فيه إلى حد ما بعد هذا المجهود العسكري والثقافي الذي بذله في هذا الصدد ... وكانت الثقافة الإغريقية قد غزت الأوساط الحاكمة في البلاد ، ولم تكن تعرف سبيلها إلى الأوساط الشعبية العامة ، والطبقات التي كانت تشكل المجتمع في ذلك الوقت من التاريخ الآري الأفغاني ، ثم أتت البوذية بفلسفتها ، وانتشرت في المعابد ، وفي الأوساط الدينية ، وبين رجال الدين البوذي ، واعتنقها الإمبراطور العظيم (كنيشكا) وقدم لها من الخدمات الخالصة الصادقة ما جعلها تزدهر في الإمبراطورية الكوشانية الشاسعة وفي الهند نفسها بعد أن استولى عليها أو على أكثر أجزائها ، ومع هذا كله ، كان نشاطها هي الأخرى محصوراً بين المدن الرئيسية ، والأوساط الحكومية ، وبين رجال الدين وفي المعابد الدينية البوذية وكان الشعب وعامة الناس في المجتمع العام بعيداً كل البعد عنها وعن فلسفتها ، لم تكن في استطاعة الثقافة اليونانية الإغريقية ،

كما لم تكن في استطاعة البوذية وفلسفتها رغم احتلالهما الطويل أن تأخذا في مجموعهما المكانة التي أخذتها الحضارة الإسلامية ، والدين الإسلامى في مجموعة في أفغانستان الغزنوية ... من اللغة ، والأدب ، والثقافة ، والدين ، والحياة الاجتماعية بجميع فروعها ، وكان لابد أن يتأثر كل شىء قديم لايمت بصلة إلى الإسلام ابتداء من اللغة ، والفكر ، والثقافة ، كان لابد أن يؤثر فيها الإسلام وحضارته ، وأدبه ، وخاصة بعد أن مهد لذلك السلطان الزابلى محمود الغزنوى بانتصاراته ، وأعماله الجبارة فى الداخل وفى الخارج معا . دخل الإسلام ودخلت حضارة الإسلام ، وتعاليم الإسلام إلى قلوب الشعب الأفغانى وأمسكت بأوتارها بشدة فى القرى ، وفى جميع أنحاء أفغانستان الغزنوية ، تمكن الإسلام وتعاليمه وحضارته من القلوب ومن أعماقها فى المدن ، والأقاليم ، وفى حواضرها جميعا - والحق أنه منذ الفتح الإسلامى أثر المسلمون العرب تأثيراً عجبياً وعميقاً وسريعاً فى البلاد الأفغانية الخراسانية بينما فشلت الثقافة الإغريقية والفلسفة البوذية فى ذلك فشلا ذريعاً .

ومن الصعوبة بمكان أن يقبل أى شعب من الشعوب تغيير لغته التى هى وسيلة تعبيره عما يختلج داخله من الأفكار باستثناء اللغة العربية لأن الشعوب التى فتحها المسلمون العرب قبلتها بسهولة ويسر ، وهضمتها بعد أن أقبلت عليها تتعلمها ، وتتخصص فيها ، لأنه لم يكن فى استطاعة أية لغة أخرى غير العربية أن تقوم على ماقامت به لأنها :

١ - لغة القرآن ، ولغة الحديث ، ولغة الدين الإسلامى الذى ينظر إلى الفرد فى المجتمع بعملة لا بمنظره ، أو جنسه ، أو شرف نسبه ، لا قيمة لذلك كله فى نظر الإسلام ، فهو دين المساواة والعمل الجاد .

٢ - ولم تكن هناك أية لهجة قادرة على أن تحدث فى الأفكار ، والنفوس تأثيرا عميقا أكثر سموا ورفعة من تأثير اللغة العربية مما جعل تلك الشعوب التى قبلت الإسلام واعتنقته عن إيمان ، أن تقبل اللغة العربية قبولاً حسناً ، وتقدم لها أفكارها البناءة للعمل فى خدمتها . وهذه ميزة أخرى نجحت فيها اللغة العربية بينما فشلت فيها اللغات الأخرى .

٣ - وكان للعامل الدينى أثره الهام فى تعزيز مكانة اللغة العربية فى قلوب الشعوب التى آمنت . ولما كانت اللغة ، والدين يساند بعضهما بعضا الأمر الذى جعل الشعوب التى خضعت للدين الإسلامى ، عرفت اللغة العربية طريقها إلى أعماق قلوبهم ، وانضمت إلى العالم الإسلامى روحا وجسما ولغة وأدبا وثقافة ، وأصبحت اللغة العربية لغة الأدب ، والعلاقات الاجتماعية والدبلوماسية الإسلامية .

٤ - وكان لغزارتها ، ورقتها ، وكلمها ، إجمالها تأثير فى أن تعبر عن جميع الفروق الدقيقة للفكر الإسلامى ، وعن جميع الدقائق الفكرية والعلمية ، والحضارية فى هذا العصر ، وقد احتلت المكانة الأولى فى الدواوين والكتابة ، والعلوم والآداب ، والفنون .

هكذا كانت اللغة العربية ، وهكذا كانت آدابها ، وهكذا كانت انتصاراتها فى الميادين السياسية والدينية ، والحضارية ، والثقافية ، والأدبية ، وكانت تواصل سيرها الحثيث فى الحياة العامة ، والخاصة فى العصر الغزنوى فى أفغانستان لولا تلك العقبة الصعبة التى قام بوضعها فى طريقها الوزير الاسفراينى فى طريق سيرها داخل البلاط الغزنوى ، حيث حاول تحويل الدواوين من اللغة العربية إلى اللغة الدرية الأفغانية حتى جاء الوزير الميوندى (الميمندى) ووضع اللغة العربية فى مسارها الطبيعى ، وأعاد الدواوين ، وجعلها باللغة العربية مرة أخرى . ولكن الوزير الاسفراينى كان قد فتح الباب لهذا التغيير .

مكانة غزبة الأدبية والثقافية :

كان لاستقلال الأقطار الإسلامية أثر كبير فى خلق نهضة أدبية وثقافية كبيرة ، ذلك نظرا لظهور عدد كبير من المراكز الأدبية والثقافية فى هذه الدول والدويلات ، والإمارات التى كانت تنافس عاصمة الخلافة العباسية فى بغداد فى الافتخار بالأدباء ، والعلماء ، وأصبح كل مركز منها قبلة العلماء ، والشعراء ، والكتاب ، ونبغ فيه كثير من المفسرين ، والحدثين ، والفقهاء ، والنحاة ، والفلاسفة ، والمؤرخين ، والفنانين .

ومن أهم مراكز الأدب والثقافة والحضارة والعلم مدينة (غزنة) حاضرة

الدولة الغزنوية في أفغانستان ، تلك المدينة الأفغانية العريقة التي اتخذها (سبكتكين) عاصمة لدولته ، فقد أسهم ابنه السلطان الزابلي محمود الغزنوي في تشجيع الحركة العلمية والأدبية والثقافية ، الذي نقل إلى مدينة (غزنة) أجمل ما وصلت إليه يده عند فتحه الهند ، كما أنشأ بها مسجدا ^(١) ، وألحق به مدرسة ، وكان يقوم بالتدريس فيها نخبة من كبار العلماء . اهتم محمود الغزنوي بالحركة الدينية ، وكان هو نفسه مولعا بالحديث ^(٢) والفقه ^(٣) ، فالتفت حوله كثير من العلماء ، وتنافس أهل المذاهب على كسبه ، اعتقادا منهم في أنه إذا اعتنق مذهبا من المذاهب الإسلامية المشهورة ساد في الأقاليم الواسعة التي يحكمها السلطان الزابلي محمود الغزنوي .

ظلت مدينة (غزنة) العاصمة الغزنوية في أفغانستان إلى جانب كونها حاضرة سياسية ، حاضرة العلم ، والشعر ، والفن ، والأدب عامة ، ذلك لأن السلطان الغزنوي محمودا قد قام بتقريب العلماء ، والأدباء ، والمؤرخين والكتاب والمؤلفين ، تذكر على سبيل المثال لا الحصر أبا الفتح البستي الشاعر المبدع الذي اشتهر بجودة شعره ، ونثره ، وقد استفاد كثيرا من اشتغاله بالكتابة للسلطين ، وللمأراء . كذلك كان لأبي النصر محمد بن عبد الجبار العتبي مؤرخ الدولة الغزنوية مكانة كبيرة عند محمود الغزنوي ، وكتابه يعد أكبر مصدر في تاريخ الدولة الغزنوية في أفغانستان ، وقد حاز شهرة كبيرة بين الكتب الأدبية والتاريخية وبديع الزمان الهمداني الذي عاش في كنف السلطان الزابلي محمود الغزنوي في (غزنة) عيشة رخيّة ، ومدحة بقصائد رائعة منها :

تعالى الله ما شاء	وزاد الله إيماني
أفريدون في التاج	أم الإسكندر الثاني
أم الرجعة قد عادت	إلينا سليمان
أظلت شمس محمود	على أنجم سامان

(١) على بن أحمد بن الأثير - الكامل في التاريخ ٩١/٩ .

(٢) ابن خلكان - وفيات الأعيان ١١٣/٢ .

(٣) ابن تغري بردي - النجوم الزاهرة ٢٧٣/٤ .

وَأَمْسَى آلَ بَهْرَامِ (١)	عَبِيدًا لِابْنِ خَاقَانَ (٢)
إِذَا مَارَكَبُ الْفَيْلِ	لِحَرْبٍ أَوْ لِمَيْدَانِ
رَأَتْ عَيْنَاكَ سُلْطَانَا	عَلَى مَنْكَبِ شَيْطَانِ (٣)
فَمَنْ وَاسِطَةُ الْهِنْدِ	إِلَى سَاحَةِ جَرَجَانَ
وَمَنْ قَاصِيَةُ السِّنْدِ	إِلَى أَقْصَى خِرَاسَانَ
عَلَى مَقْتَبِلِ الْعَمَرِ	وَفِي مَفْتَحِ الشَّانِ
فَيَوْمًا رَسَلَ الشَّاهُ	وَيَوْمًا رَسَلَ الْخَانَ (٤)
فَمَا يَغْرِبُ مِنَ الْغَرِّ	بِ عَنْ طَاعَتِكَ إِثْنَانِ
أَيَّا وَالِي بَغْدَادِ	وَيَا صَاحِبَ هَمْدَانَ
تَأْمَلُ مَائِئِي فَيْلٍ	عَلَى سَبْعَةِ أَرْكَانِ (٥)
يَقْلِبُهُنَّ أَسَاطِينَ	وَيَلْعَبُنَّ بِشُعْبَانِ (٦)
وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ	مِنَ الْجُنْدِ تَمُوجَانِ (٧)

وكذلك أنشأ أبو منصور الثعالبي القصائد في مدح السلطان الزابلي محمود الغزنوي كقوله :

يَا خَاتَمَ الْمَلِكِ يَا قَاهِرَ الدِّ	أَمْلَاكَ بَيْنَ الْأَخْدِ وَالصَّفْحِ
عَلَيْكَ عَيْنُ اللَّهِ مِنْ فَاتِحِ	لِلْأَرْضِ مُسْتَبْتُولِ عَلَى النُّجْجِ
رَايَاتِهِ تَنْطِقُ بِالنَّصْرِ بَلْ	تَكَادُ تَمْلَأُ كُتُبَ الْفَتْحِ
فَاسْعِدْ بِأَيَّامِكَ وَاسْتَغْرِقِ الدِّ	أَعْدَاءَ بِالْكَبْحِ وَالذَّبْحِ

رواد الثقافة والآداب في العصر الغزنوي : حسن أحمد بن محمد الميوندی :

ومن أشهر وزراء السلطان الزابلي محمود الغزنوي في السياسة والأدب ،

- (١) آل بهرام : السامانيون .
- (٢) خاقان : خاتان أحد أمراء الأسرة اللويكية التي كانت تحكم غزنة قبل الغزنويين ، آخر حاكم في هذه الأسرة هو أبو علي أبوبكر الذي هزمه سيكتكين في حرب (چرخ) بالقرب من كابل .
- (٣) الشيطان : يريد به الفيل .
- (٤) خان : لقب من ألقاب الملوك والأمراء الأفغانيين .
- (٥) أركان : أركان الجيش وهي : القلب ، والميمنة ، والميسرة ، والجناحان ، والساقة والمقدمة .
- (٦) شعبان : يريد به خرطوم الفيل .
- (٧) بروان : تاريخ الأدب في إيران ١١٤/٢ ، والثعالبي : بيتمة الدهر ٢٩٦/٤ .

وحسن البيان أبو القاسم أحمد بن حسن الميوندى (الميمندى) الذى اشتهر ببلاغة الكلام ، وفصاحة العلم ، وعلوهمم ، وسعة النظر ، وغزارة العلم ، وحسن السياسة ، وهو الذى رفع ألوية الكتاب فراجت سوق الكتابة ، وتقدمت الآداب وأمر الكتاب بكتابة اللغة العربية فى دواوين الدولة الغزنوية فى أفغانستان ، وكان الرجل قديرا فى ألوان من الكتابة فطارت توقيعاته فى البلاد ، ولاشوارد الأمثال وأبيات المعانى من القصائد الطوال ، ففى كل ناد نداء بالخالص ، وفى كل مشهر شهادة باستحسانها^(١) .

أبو القاسم أحمد بن حسن الميوندى (الميمندى) ابن بار لأحد أشرف وسادة (ميوند = ميمند) بين (قندهار) و (كرشك)^(٢) أو بين (هلمند) و (أرغنداو) وتبعد عن (قندهار) بحوالى ٤٥ كيلومترا^(٣) وينسب إليها أفراد الأسرة (الميوندية) الشهيرة . وفى أيام الغزنويين كان يربط بين (بست) و (لشركاه) و (ميوند) طريق مشهور . وكانت بها قصور وبساتين الوزراء الميونديين . وللبهقى قول صريح فى ذلك . وللفرخى قصيدة فى ذلك أيضاً^(٤) .

وفى (ميوند) وقعت الواقعة للقوات البريطانية المعتدية على أيدي القوات الأفغانية فى سنة ١٨٨٠ م . ومعركة (ميوند) من أشهر المعارك الأفغانية فى تاريخ أفغانستان الحديثة حيث منيت فيها القوات الإنجليزية بهزيمة ساحقة^(٥) . وبها النصب التذكارى الذى أقامه الأفغانيون بمناسبة انتصارهم على الإنجليز ، وبجانبه المقبرة التى دفن فيها الشهداء الأفغان ، مقبرة قتلى الإنجليز الذين تركتهم القوات البريطانية بعد أن هربت من ميدان المعركة^(٦) .

من توقيعات الوزير أحمد بن حسن الميوندى البديعة قوله على التماس قدمه

(١) العتبي : تاريخ اليمنى ١٣٠/٣ . وخليلى : سلطنة غزنويان : مواضيع مختلفة ، وجلال : غزنة وغزنويان : صفحات عديدة .

(٢) خليلى : سلطنة غزنويان : مواضيع مختلفة ، وجلال : غزنة وغزنويان : صفحات مختلفة .

(٣) أحمد على كهزاد : لشركاه ١٣٢ ، وتاريخ البهقى ٥٦١ - ٥٦٢ ، الترجمة العربية طبعة القاهرة .

(٤) ديوان فرخى ، وأحمد على كهزاد : لشركاه : صفحات مختلفة .

(٥) أرنولد توينبى - بين آمودريا وجننا - ص ٥٩ - ٦٠ طبعة القاهرة .

(٦) المصدر السابق ص ٦٠ وسلطنة غزنويان ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .

جماعة من أهالى (لغمان = لغمان) يطلبون إعفاءهم من الخراج : (الخراج خراج أدائه دواؤه) .

كان الوزير أحمد بن حسن أخ السلطان الزابلي محمود الغزنوى فى الرضاة وقد قام بأعمال عظيمة خدمة له ولإمبراطوريته الغزنوية وكان جزاؤه جزاء سنار حيث عاش مسجوناً فى سجن قلعة (كالنجر) بالقرب من (كشمير)^(١) .

وقد أعيد للوزارة مرة ثانية بعد وفاة السلطان الزابلي محمود الغزنوى وفى أيام ابنه السلطان مسعود الغزنوى . وفى هذا للشاعر الأفغانى السيستانى فرخى قصيدة باللغة الدرية^(٢) .

أنشد العميد الرخجى القهستانى ، قال أنشدنى أبو الفتح المظفر بن الحسن الدامغانى لنفسه فى الوزير الشيخ أبى القاسم أحمد بن الحسن الميمندى (الميوندى)^(٣) :

ولقد يثمت من الوزير ومن بنيه زائدة
ورميهم عرض الجدار فليس فيهم فائدة
وغسلت من معروفهم كلتا يديّ بواحدة

وفى سنة ٤٢٤ هـ = ١٠٣٢ م توفى الأستاذ الرئيس الوزير أحمد بن الحسن الميمندى (الميوندى) فى مدينة (هرات) الأفغانية ، فقال أبونصر مشكان قطعة فى رثائه ، ومنها هذا البيت^(٤) :

ياناعيا بكسوف الشمس والقمر
بشرت بالنقص والتسويد والكم

وفى وفاة هذا الوزير الأفغانى الغزنوى قال أبوالفضل البيهقى مؤرخ الغزنويين :

(١) خليلى : سلطنت غزنويان : مواضع وصفحات مختلفة ، وجلال : غزنة وغزنويان : مواضع مختلفة ، وعبدالحى حبيبي : تاريخ أفغانستان بعد از اسلام ١ / مواضع مختلفة .

(٢) خليل الله خليلى : سلطنت غزنويان ٢٩٢ ، طبع كابل ١٣٣٣ هـ ش ، وجلال : غزنة وغزنويان : مواضع وصفحات مختلفة .

(٣) دمية القصر وعصرة أهل العصر : ١٩١/١ طبعة القاهرة .

(٤) تاريخ البيهقى ص ٣٨٧ الترجمة العربية طبعة القاهرة .

(تموت هذه الوزير ماتت المهابة ، والشهامة ، والديانة ، والكفاية ، والعظمة) (١)
وفي هذه المدينة (هزات) الأفغانية مات أبونصر مشكان الذى رثى
(الميوئدى) بقطعة شعرية. وقد أحسن ابن الرومى القول فى هذا المسمى حيث
قال (٢)

وتسلبنى الأيام كل وديعة ولاخير فى شيء يرد ويسلب
كستنى رداء من شباب ومنطقا فسوف الذى ماقد كستنى ينهب
وهذان البيتان يصدقان عليه ، وكأنهما قد قيلاً فيه .
أبوالفتح :

كان كاتب حاكم (بست) الأمير (بايتوز) وعندما انهزم فى معركة دارت
بينه وبين (سيكتكين) حاول الكاتب الشاعر أبوالفتح البستى الاختفاء فى مدينة
(بست) إلا أن (سيكتكين) أمر بإحضاره ليعينه كاتباً فى ديوان (غزنة)
فاعتذر عن ذلك حتى يتعين مصير ولى نعمه (بايتوز) أمير (بست) فتوجه
بموافقة (سيكتكين) إلى (الرخج = وادى أرغنداو وقندهار) وعاش هناك إلى
أن عينه (سيكتكين) كاتباً فى ديوان (غزنة) واستمر كذلك إلى أن توفى
(سيكتكين) وتولى ابنه محمود أمور الدولة الغزنوية وفى أيامه أيضاً كان يؤدى
أعمال ديوان الرسائل فى بلاط (غزنة) حتى سنة ٤٠٠ هـ = ١٠٠٩ م ،
ولأسباب غير معلومة غادر (غزنة) فى هذه السنة وفيها توفى (٣) . ويقول ابن
خلكان إنه توفى فى سنة ٤٠١ هـ = ١٠١٠ م فى مدينة (بخارى) .

كان ينشد الشعر باللغتين العربية والذرية (٤) وكانت قصائده العربية
وخاصة نونيته المشهورة تترجم فى البلاد الأفغانية وكان العلماء يدرسونها فى
الحلقات اللغزانية (٥) . وهو أديب كبير له شعر جيد (٦) ، ونثر جيد ، يعتمد فى

(١) المصدر السابق ، خليل : سلطنة غزنويان : مواضيع مختلفة .

(٢) المصدر السابق ، خليل : سلطنة غزنويان : مواضيع مختلفة .

(٣) تاريخ اليمنى - وسلطنة غزنويان ص ٢٨٠ - ٢٨١ ، وكحالة : معجم المؤلفين ١٨٦/٧ .

(٤) اللغة الذرية : هى المشهورة فى الاصطلاح العربى باللغة الفارسية .

(٥) «منا» فقر الله جلال آبادى : قطب الإرشاد ص ٥٢١ طبعة الهند .

(٦) ومن آثار أبى الفتح البستى : ديوان شعر ، وشرح مختصر الجوينى فى فروع الفقه الشافعى .

شعره إلى المعنى الدقيق فيصوغه في لفظ رشيق ، وفي نثره أكثر من الأمثال ، والجمال اللفظي كالسجع والازدواج ، والتجنيس ، وقد قال الثعالبي : إن له طريقة خاصة به ، فهو صاحب الطريقة الأنيقة في التجنيس الأنيس ، والبديع التأسيس ، وكان يسميه المتشابهة ، ويأتى فيه بكل طريقة لطيفة . وتتجلى طريقته هذه في أقواله هذه : (من أصلح فاسده أرغم حاسده) و (من أطاع غضبه أضاع أدبه) و (عادات السادات ، سادات العادات) و (الخيبة تهتك الهيبة) و (من كان عبد الحق فهو حر) و (المنية تضحك من الأمية) و (معنى المعاشرة ترك المعاصرة) و (من سعادة جحك وقوف عند حذك) ^(١) وله مهارة فائقة في هذا الباب ، وله الشيء الكثير من هذا النوع .

وكذلك طريقته الفنية في شعره بنوعية العرنى والبرى من دقة المعنى وأناقة اللفظ ، ورشاقته ، وذلك في مثل قوله ^(٢) :

لا يغرنك أنتى ليعن المس فغرنى إذا انتضيت حسام
أنا كالورد فيه راحة قوم ثم فيه لآخرين زكام
وقوله :

وقد يليس المرء خز الثيا ب ومن دونها حالة مضنية
كمن يكسئ خده حمرة وعلتها ورم في الريه
وقوله :

تحمل أخاك على مابه قما في استقامته مطمع
وأنى له تخلق واحد وفيه طبائعه الأربع
وعندما غضب عليه السلطان الزابلى محمود الغزنوى قام بإنشاد هذه القطعة :

قل لله أمير أدام ربي عزه وأنا له من فضله مكنونه
إلى جنيت ولم يزل أهل النهى يهبون للخدام ما يجنونه

(١) خليل الله خليلي : سلطنت غزنويان ص ٢٨٢ - ٢٨٢ . وظهر الإسلام ١/٢٨٥ .

(٢) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين ١٨٦/٢ ، الطبعة الثالثة ١٩٧١ م .

ولقد جمعتُ من العيوب فنونها فاجمع من العفو الكريم فنونه
من كان يرجو عفو من كان فوقه عن ذنبه فليعف عَمَّنْ دونه

إن شعر أئى الفتح البستى ونثره يدلان على رقة ذوقه ، وسعة ثقافته فى العلوم والفنون المختلفة ، بالإضافة إلى استفادته من اشتغاله بالكتابة للسلاطين والأمراء فى كل من (بست) و (غزنة) الأفغانيتين .

وقد ذكر صاحب كتاب (لباب الألباب) فى الجزء الأول من كتابه قطعة شعرية له باللغة الدرية .

فأبو الفتح البستى ^(١) كان من الشعراء البارعين فى اللغتين الدرية والعربية فهو شاعر ذو لسانين ، وكان ماهرا فى الصناعات البديعية وله قصيدة معروفة يخبرنا المتنبى بأنها كانت عالية الشأن فى زمانه يحفظها الناس عن ظهر قلب ، ومازال (المنشدون) ينشدونها إلى الآن فى مقاهى (القاهرة) ومطلعها :

زيادة المال فى دنياه نقصان وربحه غير محض الخير خسران

وقد امتازت أيام محمود الغزنوى بتقدير الأمراء والحكام لرجال الفن والأدب حيث كان هذا الأمير يحاول جاهدا أن يتفوق على أقرانه فى كثرة رجال العلوم والآداب والفنون فى بلاطه ، وكانت المراكز الأدبية والعلمية والثقافية فى ذلك الوقت من تاريخ أفغانستان (غزنة) عاصمة السلطان الزابلى محمود الغزنوى ، ونيسابور حاضرة أخيه أئى المظفر نصر ، و (هرات) فى غرب أفغانستان ، و (بلخ) فى شمال أفغانستان ، و (بست) فى الجنوب الغربى من أفغانستان حاضرة الأمير (بايتوز) و (بخارى) عاصمة السامانيين الذين قضى عليهم النظام الغزنوى وغيرها من المدن الرئيسية المختلفة فى أفغانستان الخراسانية يمكن أن تكون مدينة من هذه المدن الأفغانية موضوع بحث أدبى ممتع . ويقول المستشرق (براون) : علم السلطان الزابلى محمود الغزنوى بوجود عدد من

(١) يراجع : أستاذ تحليلى - سلطنت غزنويان ص ٢٨٠ ، والثعالبى - تيمية الدهر ٢٠٤/٤ - ٢٣١ .
وأحمد أمين - ظهر الإسلام ٢٨٤/١ . ادوارد برلون - تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدى ص ١١٤ . وضيا بك - خرابات ٢٧١/١ - ٢٧٣ ، والثعالبى : تيمية الدهر ٢٨٤/٤ - ٣١٢ ، وابن كثير : البداية والنهاية ٢٧٨/١١ ، وحاجى خليفة : كشف الظنون ٧٧٢ ، ١٣٣٦ ، وعمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ١٨٦/٧ طبعة دمشق ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٩ م .

رجال العلم والفن والأدب والفلسفة في مجلس مأمون بن مأمون في (خوارزم) فكتب إليه يطلب إرسالهم إلى (غزنة) فلبى هذا الطلب عدد من هؤلاء العلماء منهم البيروني ، وحضر مع من حضر إلى (غزنة) الأفغانية^(١) .

أبوريحان البيروني^(٢) :

كان حضور العلامة البيروني إلى (غزنة) في أفغانستان نعمة كبرى لا تقدر ، لأنه هو الذي تمكن من استغلال فتوح السلاطين الغزنويين في الديار الهندية استغلالاً علمياً وأدبياً وتاريخياً ، وهو الذي وضع العلوم الهندية في الرياضة والفلسفة والإلهيات في أيدي العرب المسلمين . وكان البيروني هذا درة نادرة في تاج الغزنويين كما كان العلامة الفخر الرازي درة في تاج الغوريين وابن سينا في تاج السامانيين .

ولد البيروني في سنة ٣٦٣ هـ = ٩٧٣ م . وقضى حياته موزعة بين (خوارزم) و (خيوه) و (طبرستان) و (غزنة) في أفغانستان ، ومن أخصب أيامه العلمية هي التي قضاها في (غزنة) الأفغانية ، وفي هذا يقول :

مضى أكثر الأيام في ظل نعمة	على رتب فيها علوت كراسيا
فأل عراق قد غدوني يدّرهم	ومنصور منهم قد تولى غراسيا
وشمس المعالي ^(٣) كان يرتاد خدمتي	على نفرة منى وقد كان قاسيا
وأولاد مأمون ومنهم عليهم	تبدي بصنع صار للحال آسيا
وآخرهم مأمون ^(٤) رفّه حالتي	ونوّه باسمي ثم رأس راسيا
ولم ينقبض محمود ^(٥) عنى بنعمة	فأغنى وأقنى مغضيا من مكاسيا
أبو الفتح ^(٦) في دنياى مالك ربقتي	فهاه بذكراه الحميدة كاسيا
فلا زال للدنيا وللدين عامرا	ولالزال فيها للغواة مواسيا

(١) كاول بروكلمان : الشعوب الإسلامية ١٦٧ الترجمة ، الطبعة الخامسة ١٩٦٨ م بيروت .

(٢) دائرة معارف القرن العشرين ٤٩٠/٢ ، الطبعة الثالثة ١٩٧١ م .

(٣) هو شمس المعالي قابوس بن وشكّير أمير (طبرستان) .

(٤) مأمون وأولاده أمراء (خوارزم) .

(٥) هو السلطان الزابلي محمود الغزنوي بن سيكتكين .

(٦) هو أبو الفتح البستي الشاعر الأفغاني المشهور الذي تقدم ذكره .

عاش البيروني في (غزنة) إلى أن مات السلطان الزابلي محمود الغزنوي ، وفي أيام السلطان مسعود أهدى إليه موسوعته النفيسة في علم الفلك (القانون المسعودي في الحياة والنجوم) فوصله السلطان مسعود بأموال طائلة فلم يقبلها البيروني بعذر الاستغناء عنها ^(١) . وهكذا أصبحت أفغانستان وعاصمتها القديمة (غزنة) مقراً دائماً للبيروني حتى مماته فيها سنة ٤٤٠ هـ = ١٠٤٨ م ^(٢) وهناك أقوال أخرى في ذلك ، وعندما بدأ السلطان مسعود الغزنوي غزواته في الهند اصطحب البيروني معه حيث درس العلوم والأحوال الهندية في هذه الأسفار القيمة . كان البيروني حقا يخدم العلم للعلم ، ولم يكف لحظة عن التفكير .

أبو ريحان البيروني يعتبر خبير اللغات الشرقية فألى جانب اللغة الخوارزمية تعلم اللغة الدرية (الفارسية) واللغة العربية في مستهل حياته العلمية ثم أضاف إليها اللغات السنسكريتية ، واليونانية ، والسريانية ، وليس من المستبعد معرفته باللغة الأفغانية وقد اتخذ من (غزنة) الأفغانية مستقراً دائماً له في حياته وبعد مماته . ففى كتبه عن العقاقير والجواهر يذكر اسم الشيء باللغات العربية واليونانية ، والسريانية ، والفارسية ، والتركية ، فيمدح اللغة العربية بحسن أدائها للمعاني ، ويفضلها على الدرية ^(٣) .

وقد خلف البيروني عددا كبيرا من المؤلفات يصل إلى مائة وثمانين كتابا ، نشر هو بنفسه فهرسا بأسماء مائة وثلاثة منها وذلك في مؤلفه (رسالة في فهرس كتب محمد بن زكريا الرازي) الذي نشره (ماكس كراوزه) عام ١٩٣٦ م ^(٤) . وأكثر إنتاجه قد تم في أفغانستان .

ويطول بنا القول والحديث لو عددنا أسماء كبار الأدباء والعلماء والمفكرين والفنانين الذين أنجبهم أفغانستان في العصر الغزنوي . فقد أخرجت هذه البلاد مالا يحصى من رجال الأدب ، والفن ، ومن رجال العلوم الدينية كالتفسير ، والحديث ، والفقه ، واللغة ، خدموا العلم خدمة كبرى بمجدهم ، وصيرهم على

(١) ياقوت ٣٠٨/٦ .

(٢) يرى بعض المؤرخين أنه كان حيا يرزق في سنة ٤٤١ هـ = ١٠٤٩ م .

(٣) ظهر الإسلام ٢٨٨/١ .

(٤) البيروني - سلسلة أعلام العرب ص ٢٨ .

البحث الأدبي والعلمي ، نذكر منهم بالإيجاز والاختصار :

أبو منصور الثعالبي ^(١) :

فقد أهدى كتابه (غرر أخبار ملوك الفرس) إلى شقيق السلطان الزابلي محمود الغزنوي المعروف باسم أبي المظفر نصر الغزنوي في (نيسابور) وأهدى كتابه (لطائف المعارف) إلى صاحب إسماعيل بن عباد الطالقاني وزير فخر الدولة البويهى .

بديع الزمان الهمذاني ^(٢) :

الذى يقول في بلدة (همذان) التى يكرهها :
همذان لى بلد أقول بفضله لكنه من أقبح البلدان
صبيانه فى القبح مثل شيوخه وشيوخه فى العقل كالصبيان
وله قصائد جميلة رائعة فى مدح السلطان الزابلي محمود الغزنوي وقد مر ذكره فى هذا البحث ^(٣) .

أبو العباس فضل بن أحمد الاسفراينى ^(٤) :

كان أبو العباس الاسفراينى من (نيسابور) وزيراً للسلطان الزابلي محمود الغزنوي فى أفغانستان ، وكان قليل البضاعة فى الصناعة العربية ، فانتقلت المخاطبات ^(٥) والمكاتبات فى الديوان الغزنوي فى (غزنة) الأفغانية من اللغة العربية إلى اللغة الدرية ، حتى كسدت سوق البيان العربى فى أفغانستان فى أيام وزارته التى اتسمت بالعصبية للدرية ضد العربية . وبارت بضاعة إجادة البيان .

(١) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين ٧٥٤/٢ ، و خليل الله خليلي : سلطنة غزنويان ٣٤٧ .

(٢) دائرة معارف القرن العشرين ٧٧/٢ وما بعدها .

(٣) انظر ص ٢٨٩ - ٢٩٧ من هذا الكتاب .

(٤) خليل الله خليلي : سلطنة غزنويان ٢٨٢ .

(٥) أحمد أمين : ظهر الإسلام ٢٨٤/١ ، الطبعة الرابعة .

ولما سعدت الوزارة (بالميوندى) أمر بتحاشى الكتابة بالدرية ^(١) .

أبوعلی حسن بن محمد بن عباس ^(٢) :

وهو المشهور فى التاريخ الأفغانى باسم (حسنك) من أسرة (مىكال) الأدبية العلمية الشهيرة ، وقد تولى الوزارة فى أفغانستان بعد الوزير أحمد حسن الميوندى أيام السلطان الزابلى محمود الغزنوى . وقد أعدم أيام السلطان مسعود بن محمود بتهمة (القرمطة) فى سنة ٤٢٢ هـ = ١٠٣٠ م فى مدينة (بلخ) فى شمال أفغانستان .

وللشاعر السیستانی (فرخى) قصيدة رائعة فى مدحه باللغة الدرية ^(٣) ..

أبونصر محمد بن عبدالجبار العتبى ^(٤) :

صاحب كتاب (تاریخ الیمینى) الذى ألفه باللغة العربية وأهداه إلى یمین الدولة السلطان الزابلى محمود الغزنوى ، وهو كتاب قیم فى تاریخ السلطان ، وأیه (سبکتکین) وللكتاب أهمية خاصة من حیث اشتماله على التاريخ الصحیح لعصر محمود الغزنوى فى تاریخ أفغانستان . وقد وصف العتبى فى كتابه هذا بعض ماعمله السلطان الزابلى محمود الغزنوى من الأعمال الأدبية ، والبطولية ، وبناء المساجد والمدارس ^(٥) .

أبوسعید عبدالحى بن الضحاک بن محمود الکردیزى ^(٦) :

وهو صاحب كتاب (زین الأخبار) القیم الذى ألفه باللغة الدرية وهو من الكتب التاريخية القديمة الجيدة فى تاریخ أفغانستان و (الکردیزى) من ولاية

(١) العتبى : تاریخ الیمینى ١٧٠/٣ .

(٢) خليل الله خليلی : سلطنت غزنویان ٢٩٣ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٩٣ - ٢٩٦ .

(٤) دائرة معارف القرن العشرين ١٣٩/٦ .

(٥) سلطنت غزنویان ٣٥٢ ، وراجع أيضا تاریخ الیمینى للعتبى .

(٦) الدكتور رضا زاده شفق : تاریخ أدب فارسى ص ١٢٠ .

(پكتيا) فى أفغانستان الجنوبية ، وحاضرتها مدينة (كَرْدِيز) التاريخية . وكانت مدينة (كَرْدِيز) هذه من آخر معاقل (الخوارج) فى أفغانستان . وكتاب (زين الأخبار) هذا يتضمن تاريخاً مختصراً لأفغانستان وإيران قبل الإسلام وبعده ، كما يتضمن تاريخ الخلفاء (رضى الله عنهم) حتى حوادث ٤٣٢ هـ = ١٠٤٠ م . وقد تم تصنيف هذا الكتاب فى عهد السلطان عبد الرشيد بن محمود الغزنوى وقد استغرق تأليفه أربع سنوات من ٤٤٠ - ٤٤٤ هـ = ١٠٤٨ - ١٠٥٢ م . والكتاب مهم من الناحية التاريخية إذا لاحظنا أن مؤلفه أفغانى عاش فى البلاط الغزنوى وقد شاهد ما سجله فى كتابه بكلتا عينيه .

وأكتفى بهذا القدر من الإتيان بأسماء الكتاب والشعراء ، والمؤلفين الذين كانوا يعيشون فى العصر الغزنوى .

الشعر والنثر العربى فى أفغانستان فى هذه الأيام

كانت مدينة (غزنة) من أجل المدن الأفغانية وأكثرها ازدهاماً بالمساجد ، والعلماء ، والشعراء ، والكتاب ، والتي يصفها الكتاب والمؤلفون والمؤرخون بأنها مدينة الاثنى عشر ألف مسجد ^(١) وقد طاف بها أكثر من شاعر من شعراء اللغة العربية ، واللغات القومية من البيختونية والدرية . وفى اهتمامه على المساجد يقول العتبى ^(٢) :

(لما عاد السلطان يمين الدولة إلى دار الملك بغزنة أحب أن ينفق ما أفاء الله عليه فى عمل بر يشيع جدواه ، وكان قد أوعز باختطاط صعيد من ساحة غزنة للمسجد الجامع ، إذ كان ما اختط قديماً على قدر أهلها ، فوافق عوده حصول المراد من تقطيعه وتوسيعه ، وإقامة الجدران على ترايعه ، فصب بدر المال على الصناعات ، كما صب دماء الأبطال يوم القراع ... ونقل إليه من أقطار الهند والسند

(١) Dictionnaire, géographique, historique et littéraire de la Perse et des contrées adjacentes — Paris. P. 406.

نقلاً عن الدكتور على الشافى - الأدب الفاريسى ص ٣٩ .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ٩/٩١ ، وابن خلكان : وفیات الأعيان ٢/١١٣ ، وخليلى : سلطنة غزنويان : مواضيع مختلفة ، والدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى ٣/٥٨٦ ، وجلالى : غزنه وغزنويان : مواضيع مختلفة ، والعتبى : تاريخ اليمنى : مواضيع مختلفة ، وخليلى : سلطنة غزنويان : مواضيع مختلفة .

جنوباً توافق قنودا ورسانة ، وتناسبت تدويرا وتخانة . وقد فرشت ساحتها بالزهر منقولا من كل فج عميق ، ومضرب سحيق .. أشد ملاسة من راحة الفتاة وصفحة المرأة فأما الأصباغ فروضة الربيع ضاحكة الثغور تستوقف الأبصار ، وتقييد النظائر ، وأما التذهيب فهو ضباب الذهب الأحمر أفرغت عن صور الأصنام المجلودة ، والبددة (١) المأخوذة ، فطلقت تعرض على النار بعد أن كانت آلهة للكفار .

وقد أفرد السلطان لخاصته بيتا في المسجد مشرقا عليه ، فرشاه واذاده من الرخام ، قد أحيط بكل رخامة مربعة محراب من الذهب الأحمر مكلا باللازورد ، في تعاريج من ألوان المنثور والورد - وأمام هذا البيت مقصورة بتعاريج عليها منضوبة تسع ثلاثة آلاف غلام ، متى شهدوا للقرض أخذوا أماكنهم منها صقروفا ، وأقبلوا على انتظار الأذان عكروفا .

وفي المدرسة يقول :

وقد أضيف إلى المسجد مدرسة فيحاء ، تشتمل بيوتها من مناط الأرض إلى مناط السقوف على تصانيف الأئمة الماضيين ، من علوم الأولين والآخرين منقولة من خزائن الملوك ، نقبوا عن ديار العراق ، ورباع الآفاق ، حتى اقتنتوها بخطوط كفرائد سموط ، مصححة بشهادات التقييد ، وعلامات التخفيف والتشديد ، ينتابها فقهاء دار الملك وعلماءها للتدريس والنظر في علوم الدين ، على كفاية ذوي الحاجة منهم ما يهيمهم ، جراية وافرة ، ومعيشة حاضرة .

وفي وصف أفعالها وكثرتها يقول :

وناهيك من بلد محتوى على مراض ألف قيل ، يشغل كل منها بناسسته (٢) ومارته (٣) دار كبيرة ، وخطوة وسيدة - إن الله تعالى إذا أراد عمر البلاد وكثر العباد (٤) .

(١) البددة : جمع يد وهو الصنم .

(٢) ساسة الفيل : خداه ومن يقومون بأمره .

(٣) مارة الفيل : جمع مائر ، وهو الذى يقوم على طعام الفيل .

(٤) نقلت هذه العبارات من كتاب (تاريخ العتبي = تاريخ اليمنى)

وقال ياقوت ^(١) : وقد نسب إلى هذه المدينة من لا يعد ولا يحصى من العلماء . وقال السمعاني ^(٢) : وقد خرج منها جماعة من العلماء في كل فن .

بعض النماذج الشعرية والنثرية من العصر الغزنوي :

إن الغزنويين شجعوا الحركات الدينية ، والعلمية والأدبية تشجيعاً عظيماً ، فقد ساروا في ذلك على أسلوب العصر في أن يزينوا الإمبراطورية الغزنوية في أفغانستان بالعلم والعلماء ، والأدب والأدباء ، والشعر والشعراء كما يزينوا تيجانهم باللآلئ ، وخروبيهم بالفتوحات . وقد سارت الحركات الأدبية ، والعلمية ، والدينية في الإمبراطورية الغزنوية على مستويين مختلفين قوية في الأقاليم التي دخلها الإسلام قبل الغزنويين وأخضعوها لنفوذهم ، ضعيفة في الأقاليم الجديدة التي فتحها الغزنويون ودخلها الإسلام وأدبه ، ولغته مع فتوحهم . وهذا أمر طبيعي قام بتطبيقه وإتمامه وتكميله الغوريون الذين ورثوا الإمبراطورية الغزنوية بكاملها وأضافوا إليها مناطق وأقاليم حديثة في البلاد الهندية بعد أن تأصل فيها الإسلام ، ولغة الإسلام ، وحضارة الإسلام .

ومن الشعراء الذين قالوا الشعر باللغتين العربية والدرية الأفغانية وأنشدوه في البلاط الغزنوي ، أبو الفتح علي بن محمد البهتلي ^(٣) الذي كان قبل ذلك شاعر الأمير (بست) الذي تغلب عليه الأمير (سبكتكين) وكان أبو الفتح من أحسن كتابه في ديوانه ، ومن أحسن مداحيه في شعرائه وقد اضطر إلى الالتحاق بالبلاط الغزنوي بعد أن انتهى أمر إمارة (بست) على يد الأمير الغزنوي (سبكتكين) وكانت إحدى الإمارات الأفغانية الهامة في وادي (هلمند = هندمند) في الجنوب الغربي من أفغانستان .

ومن شعره في مدح الأمير (سبكتكين) ما قاله في انتصاره على (أبي علي

(١) معجم البلدان : وظهر الإسلام ٢٨٠/١ .

(٢) الأنساب : وظهر الإسلام ٢٨٠/١ .

(٣) عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ١٨٦/٧ ، والتهالبي : يتيمة الدهر ١٨٤/٤ ، وابن كثير : البداية

والنهاية ٢٧٨/١١ ، والخنوساري : روضات الجنات ١٨٢ - ١٨٣ . وخطي : سلطنة غزنويان :

صفحات مختلفة ، وجلالي : غزوة غزنويان ، وعبدالحى حبيبي : تاريخ أفغانستان بعد از اسلام

١/ مواضيع مختلفة . وتاريخ اليمنى : مواضيع وصفحات عديدة .

سيمجور) فى المعركة التى دارت بين الطرفين فى (طوس) سنة ٣٨٥ هـ = ٩٩٥ م وفيها يقول (١) :

ألم تر ما أتاه أبو على وكنت أراه ذا رأى وكيس
عصى السلطان فابتدرت إليه رجال يقلعون أبا قبيس
وصير طوس معلقة فصار عليه الطوس أشام من طويس
وعندما مات الأمير (سبكتكين) رثاه أبو الفتح البستى بهذه الأبيات (٢) :

قلت إذا مات ناصر الدين والدو لة حياه وبه بالكرامة
وتداعت جموعه بافتراق هكذا هكذا تكون القيامة

وقد اجتاز بعض الأفاضل بداره فى (غزنه) الأفغانية بعد وفاته بأيام قلائل
وقد تشعثت فأنشد قائلا (٣) :

عليك سلام الله من منزل قفر فقد هجرت لى شوقا قديما وماتندرى
عهدتك مذ شهر جديدا ولم أخل صروف الدهر تبلى معانك فى شهر

خاض السلطان الزابلى محمود الغزنوى حروبا ضارية ضد المشركين فى
أفغانستان فى الأيام الأولى من حكمه بعد وفاة أبيه (سبكتكين) ليمهد الطريق
لغزواته الإسلامية فى الهند ، وما أحسن ما قاله شاعر عربى من شعراء غزنة
الأفغانية فى تلك الحروب (٤) :

قل للأمير عبت حتى قد أتاك الفيل . عبدا
سبحان من . جمع الحاس من عنده قربا وبعدا
لو مس أعطاف النجو م جرين فى الترييع سعدا .
أو سار فى أفق السما ء لأثبت زهرا وزوردا

الصيد من أهم المشاغل الشعبية والملكية والسلطانية فى أفغانستان منذ
عصور قديمة قبل الإسلام وبعده ، وفى العصور الحديثة ، وكان شأن الغزنويين

(١) تاريخ البيهقى : ص ٢٢٣ . الترجمة العربية - طبعة القاهرة سنة .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان : ١٧٦/٥ طبعة بيروت .

(٣) المصدر السابق .

(٤) تاريخ أبى نصر العتبى على هامش الكامل فى التاريخ لابن الأثير : ٨٨/١٢ .

شأن غيرهم من ملوك وسلاطين افغانستان الإسلامية . خرج الأمير مسعود بن السلطان الزابلي محمود الغزنوى من (غزنة) العاصمة متوجها إلى (هرات) في غرب أفغانستان ، وهو أمير لم يتبوأ سرير الملك والسلطنة بعد ، فقتل ثمانية من الأسود في يوم واحد ، واصطاد واحدا بالوهق ^(١) ، فنظم الخواجة أبوسهل الزوزنى أبياتا من الشعر في ذلك وكتبها . فأعجب بها الأمير ، واستحسنها الجميع ، وهذه أبيات منها قالها (الزوزنى) في مدح الأمير مسعود وشجاعته ومهارته في الصيد ^(٢) :

السيف والرمح والنشاب ^(٣) والوتر ^(٤) غنيت عنها وحاكى رأيك القدر
وان نهضت لأمر عز مطلبه إلا انتنيت وفي أظفارك الظفر
من كان يصطاد في ركض ^(٥) ثمانية من الضراغم ^(٦) هانت عنده البشر
إذا طلعت فلا شمس ولا قمر وإذا سمحت فلا بحر ولا مطر

وقد قال هذا السيد الفاضل الشيخ الزوزنى صدقا وعدلا لأن الشجاعة والمهارة في الصيد والقنص من الصفات التى يشتهر بها الشعب الأفغانى وأمرأؤهم وملوكهم وسلاطينهم من عصور قديمة ، وقد مارس الأمير مسعود بن السلطان الزابلي محمود الغزنوى فى صباه وشبابه الرياضيات المختلفة كالمصارعة وحمل الأثقال والمبارزة وغيرها من تربية الجوارح والحواصل من الطيور وغيرها ليعد نفسه لمثل هذه المواقف ، والأدب الأفغانى بغصنية البختونى والدرى وبفروعهما المختلفة حافل. يمثل هذه الآداب المنظومة والمنشورة التى أنشدها الشعراء الأفغان باللغات الأفغانية المختلفة فى العصور الأدبية القديمة والحديثة ، وقد سجلوا فيها تلك البطولات الرائعة التى قام بها الأفغان بين رجل عادى وأمير ومليك وسلطان . ولم يكن النشاط الاجتماعى منحصرًا بالرياضيات البدنية بل كانت هناك رياضيات

(١) الوهق : الحبل فى أحد طرفيه أنشوطه يطرح فى عنق الدابة والإنسان حتى يؤخذ . جمع أوهاق .

(٢) أبو الفضل البيهقى : تاريخ البيهقى ص ١٣٣ الترجمة العربية - طبعة القاهرة .

(٣) النشاب : النبل . واحده : نُشَابَة .

(٤) الوتر : جمع الوترَة . ومعلق القوس . جمع أوتاد ، ووتاد .

(٥) ركض : ركضت القوس السهم : دفعته . وركض الرجل : عدا مسرعا .

(٦) الضراغم : جمع مفردة (الضيرغام) ، وهو الأسد الصبارى الشديد .

فكرية تجرى بين الأدباء والشعراء والعلماء والفنانين ، وخاصة في أيام الغوريين والغزنويين .

ويمدح الشاعر أبو نصر الخالدي النسفى السلطان مسعود الغزنوى بهذين البيتين من الشعر ^(١) :

الله أكبر والمسعود من سعدا بالله قد أنجز الرحمن ما وعدا
حكم من الله أن الأرض يملكها مسعود ثم بنوه تخلدوا أبدا

وكانت المناظرات ، والمناقشات ، والمحاورات الأدبية الرائعة والمجالات العلمية تدور بين العلماء ، والأدباء ، والشعراء ، والكتاب ، باللغات الأفغانية ولكن اللغة العربية كانت اللغة الرئيسية والأساسية لهذه المناظرات الأدبية والعلمية التى كانت تدور وتجرى على السنة هؤلاء جميعا في بلاط (غزنة) في أفغانستان . وهذه المناظرات الشعرية كثيرة وعديدة ولكننى سأضرب لذلك مثالا واحدا تحاشيا من التطويل ، فقد دارت مناظرة أدبية شعرية بين القاضى الفاضل منصور أحد علماء (هرات) الأفغانية وشعرائها ، وكان القاضى منصور مغرى بالشراب ، مغرما بالإطراب ^(٢) ، واضعا فلسفة (خذ العيش ودع الطيش) نصب عينيه ، وبين الشيخ الفاضل أنى سهل الزوزنى الذى كان من نداء ، وشعراء ، وعلماء ، وأدباء البلاط الغزنوى في أفغانستان أيام السلطان مسعود الغزنوى الذى كان مقيما في ذلك الوقت في (هرات) الأفغانية ، وكان يعد العدة لمحاربة السلاجقة في هذه الأيام . والأبيات الشعرية التى كتبها الشيخ الفاضل أبو سهل الزوزنى إلى القاضى منصور من علماء هرات ^(٣) :

أيها الصدر الذى دانت لعزته الرقاب انتدب ترض الندامى هم على الدهر كتاب
واسغ غصة شراب ليس يكفيها الشراب واحضرن لطعام بناد منه للشوق التهاب
ودع العذر وزرنا أيها المحض اللباب بينك المر عذاب وسجايك عذاب

(١) الباخري : دمية القصر ١٣٨/٢ .

(٢) الباخري : دمية القصر ١٥٥/٢ .

(٣) أبو الفضل محمد بن حسين كاتب يهقى - تاريخ مسعودى معروف بتاريخ يهقى ٧٢١/٢ طبعة طهران

سنة ١٣٢٦ هـ ش ، والباخري : دمية القصر ١٣٨/٢

إنما أنت غناء وشراب وشباب جودك الموجود بحر فضلك الوافي سحاب
إنما الدنيا ظلام ومعاليك شهاب

فأجابه القاضي أبو أحمد منصور بن محمد الأزدي الهروي من أفاضل قضاة
هرات : قائلا^(١) :

أيها الصدر السعيد القرم اللباب وجهك الوجه المضيء رأيك الرأي الصواب
عندك الدنيا جميعا وإليها لى مآب ولقد أقعدنى السكر وأعيانى الجواب
فى ذرى من قد حوى من شىء يستطاب ولو استطعت قسمت الجسم قسمين لطاب
غير أنى عاجز عنه وقلبى ذو التهاب فبسطت العذر عنى فى أساطير الكتاب

فأجابه الشيخ الفاضل أبو سهل الزوزنى قائلا :

أيها الصدرتين ليس لى عنك ذهاب كل ما عندك فخر كل مادونك عاب
وجهك البدر ولكن بعد ما نجاب السحاب قريك المحبوب روض صدك المكروه غاب
عودك المقبول عندى أبد الدهر يصاب أنت إن أبت إلينا فكما آب الشباب
أو كما كان على المحل فى الغيث انصباب بل كما ينتاش ميت حين ورائه التراب

فكتب القاضي منصور بعد ما أدركه السكر :

نام رجلى مذ عبرت القنطرة فاقبلن إن شئت منى المذرة
إن هذا الكأس شىء عجيب كل من أغرق فيه أسكره

وفى وفاة أبى نصر منصور مشكان كاتب رسائل محمود ومسعود الذى
توفى فى هرات قيلت مرثى ، وأقوال التعازى ، وأبيات من الشعر الذى يعبر عن
الأسف الشديد ، والحزن العميق على وفاته ومن تلك الأقوال والأبيات والتعازى
ما قاله تلميذه أبو الفضل البيهقى^(٢) :

(ختتمت الكفاية والبلاغة والعقل به) وهو مصداق هذا المعنى الذى
يقوله أبو القاسم الأسكافى^(٣) :

(١) أبو الفضل البيهقى : تاريخ المسعودى المعروف بتاريخ البيهقى ٦٥٢ ، ترجمة الدكتور يحيى الخشاب
وآخرين ، طبعة القاهرة .

(٢) أبو الفضل البيهقى - تاريخ البيهقى ٧٢٦/٢ طبعة طهران سنة ١٣٢٦ هـ . ش .

(٣) المصدر السابق ٧٢٧/٢ .

ألم تر ديوان الرسائل عطلت بفقدانه أقلامه ودفاتره
وكان تلميذه أبو الفضل البيهقي يقول ويردد هذه الأبيات الشعرية التي قالها
أبو المظفر القاييني^(١) :

لا رعى الله سرب هذه الزمان إذ دهانا في مثل ذاك اللسان
ما رأى الناس ثاني المثني أى ثان يرى لبكر الزمان
كان في نفسه العليّة في عز وفي كبرياء ذى سلطان
كان في لفظه نبيا ولكن ظهرت معجزاته في المعاني
ويقول البيهقي : لم أمر بباب داره يوما من غير أن أذكر هذين البيتين
اللذين قالهما أبو العباس الضبي يوم مروره على دار صاحب بن عباد بعد
وفاته^(٢) :

أيها الباب لم أعلا اكتساب أين ذاك الحجاب والحجاب
أين من كان يفرع الدهر منه فهو الآن في التراب تراب
وكان علماء عصره وشعراء دهره ، ورفاق زمانه يقولون ويرددون هذه
الأبيات الشعرية^(٣) :

أكوى الفؤاد والقلوب ومزقها وجرح النفوس والأكباد وأحرقها
وأغص الصدور بهم أصابها وأقذى العيون على فرع نابها
كتب محمد بن عميد الله الحسيني البلخي كتابا إلى القاضي أبى أحمد منصور
محمد الأزدرى الهروى صَدَّرَهُ بهذه الأبيات^(٤) :

لك الخير إن الدهر سلّم ومسالّم من الذم مذ تُحِبُّرُثُ أنك سالم
وإن زمانا سالمك صروفه زمان بقدر الدين والفضل عالم
ومهما تحاملك المكاره واتقت ذراك العوادي والخطوم الثوام
فإن أنا ظلّمت الزمان ظلّمته وغير زمان قد وفى لك ظالم

(١) المصدر السابق ٧٢٧/٢ .

(٢) المصدر السابق ٧٢٨/٢ .

(٣) المصدر السابق ٧٢٩/٢ .

(٤) دمية القصر : ١٥٥/٢ طبعة القاهرة .

وبعدها :

كتاني - أطال الله بقاء القاضي الجليل - كتابٌ من عَفَى عن قلبه أثره وانطوى عن سمعه خبره ، ومحا رسومَ مواصلته القِدَم ، وغيرها الأرواحُ والديم وهو - مع طول العهد ، واستمرار التناؤ والبعد - ثابتٌ في وداده ، دائمٌ على اعتقاده ، متحزمٌ بذمام الثناء والدعاء ، متمسكٌ بعُرى الولاء والإخاء .

والحمد لله كفاءَ حقِّه ، والصلاة على محمد خير خلقه ، جلدنا المصطفى محمد وآله . وقد كنت - والدارُ شاسعةٌ والعوائقُ متناسقةٌ متتابعةٌ والمسافةُ بيننا تُكَلِّ المطى الخواطرَ^(١) بل تكلُّ الأفكارَ والخواطرَ ، والدهرُ يُنْقِضُ من زماعي^(٢) أبرمَ ، واليأسُ على مرور الأيام يستحكم ، أتوقع مع ذلك وصاله ، وأترصد خياله ، والشوق يلهبُ ضرامه ، والصبر هيهات مرامه .

وربما أنتجعُ مساقطَ كلامه ، ومواقعَ أقلامه ، فأتسلى بها قليلا ، وأعلل هذا القلبَ تعليلا ، فكيف ظنُّه بالشوقِ وناره ، والقلبُ وأواره ، وقد قرب المزار ، وتدانَّت الديار ، وبيننا مسيرةٌ غاسقٍ لعاشقٍ ، قد اتصلت لي رياه ، وتمثل لي محياه ، فاحلم بهراة أضعاف ما احتلم الوليد^(٣) بمنهج^(٤) وأتسوقها وزانَ ماتسوق رسومٍ منهج^(٥) .

ولولا أني أسير حبائل هذه النعمة ، وحسير وظائف هذه الخدمة لنهضت نهضة الكرام ، بل ظفرت :طفرة^(٦) النظام ، بل امتطيت إليه الريح ، وطويت المهامه الفيح^(٧) ، وما على الله - أن يصلَ الحبلَ ، ويجمع الدارَ والشمْلَ ، فيبْلُ غليلَ أوقده البعدُ ، ويبْلُ عليلَ أكمده الوجودُ - بعزير ، ولا عن فضله ببعيد .

فالأمير أبو الفتح الحاتمي ، وهو الثقة فيما يؤديه ، والأمين على ما يذرهِ من

(١) المطى الخواطر : التي تخاطر بذنها فترفعه مرة بعد مرة وتضرب به فخذها .

(٢) الزماع : المضاء في الأمر والعزم عليه .

(٣) الوليد : وهو يعنى البحرى الوليد بن عبيد .

(٤) منج : مدينة كبيرة واسعة بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ ، وبين حلب عشرة فراسخ ومنها البحرى .

(٥) المنهج : بضم الأول الثوب الذى أسرع فيه البلى ، وبفتح الأول : الطريق الواضح .

(٦) الطفر : الثوب . وهو يعنى إبراهيم بن سيار النظام ، وطفرتة في علم الكلام .

(٧) الفيح : الواسعة .

هذه السفارة ويأتيه ، يصوّر له حالى واختصاصها ، ونفسى وإخلاصها ، ويورد - وإن أظنّب وأجاد ، وأبدا وأعاد - قليلا من كثير ما أنابه من ولائه ، وشرف اخائه متكثر ، وبجماله معتد مفتخر ، وعليه فى حسن الثناء وصالح الدعاء محافظ ، وله مراعى ملاحظ ، فليثق بما يورده عليه ، من هذه الجملة لديه ، وقد قيل : رسول الرجل رائد عقله ، وإذا كان مثله الرسول فلا أدري ما أقول ولا أزيد فإن تأكدت الحال ، واتسع المجال ، وسوّغ لى الاسترسال أرسلت نفسى على سجيّتها ، وقلت ما قلت . غير محتشم .

فإن رأى أن يُوقع هذه المباشطة الموقع المعهود من فضيله ، ويؤيئها المَرْتَع المألوف من كرمه وطوله ، ويؤنسني كلّ وقت بخطايه ، ومايسنح له من أوطاره وآدابه ، فعل ، إن شاء الله عز وجل .

الجواب من القاضى منصور رحمه الله :

فداؤك نفسى قد محتنى يدُ البلى	على أننى فيما ترى العينُ سالم
وهيات مالى فى السلامة مطمع	ولكننى مستسلم متسالم
أوَمَل أن ألقاك يوما وليتنى	فيلقى هشاما سالم الملك سالم
سَلَمْتُ ففى ظل السلامة تكتسى	ملايسها للمكرمات مسالم

كتانى - أطال الله بقاء السيد الأجل فالأجل ، والأعظم فالأعظم والأكرم فالأكرم ، والأنفس فالأنفس ، والأشرف فالأشرف ، وهلم جرا إلى ما وجد الخادم للحبل مجرّا ، من الثناء والدعاء ، والتقريض والإطراء ، وجميع ما يخرج من هذا الوعاء ، ويكفينى الاكتفاء - باسم حانٍ فلم أخرج من عيان إلى بيان .

ولولا الأخذ بالسنة من مطاولة الحبيب للحبيب ، وفرحة الأديب بالأديب وأنس الغريب بالغريب ، واهتزاز المريض للطبيب ، لأجلتُ مجلسه - آنسه الله - عن التثليل والتطويل ، والإبرام ، بمد الكلام .

ولكنى عرفت خُلُقاً عظيماً ، وطبعاً كريماً ، وسجية سرية ، وهمة عليّة ، فوثقتُ بالعفو ، واستيثار ماعندى من الكَدَر بما عنده من الصفو ، فأرسلت نفسى على سجيّتها .

وقد حدثت نفسي ، وأجلت فكري ، وشاورت صحتي ، وراجعت فهمي ووهمي ، واستعرضت نثري ونظمي ، في أن آتى بكلام بديع بعيد ، ونظام مايشك امرؤ أنه نظام فريد (١) .

فلما رأيته سلك من الدر ما سلك ، وسبك من التبر ماسبك ، وفرك من المسك مافرك ، وحرك من سلسلة الإعجاز ماحرك ، نبهت عقلي ، وقسنت خلتي بنقلي (٢) ونظرت في فترتي وشبري ، وتذكرت مذهب من خبري وسبري ، فقلت : ياأباأحمد ، أعزك الله ، اعلم الحال ثم اطلب المجال واعرف ثم اهرف ، ولاثروج الزيف على الناقد ، ولا تهد الطيف إلى الراقد ولا تتعرض للمس النجوم الثواقب ، ولا تسبح بقصير باعك في البحر ملتطم الغوارب ، واسكت فقد حان لك السكوت ، ونسج عليك العنكبوت ، وكادت تخلو منك البيوت ، وذهب السمع والبصر ، وبطل العين والأثر ، وتناثر الهم والكبر ، وجمع الشمس والقمر واضمحل الليل والسمر ، والمرء بين القضاء والقدر ، والشيب وكل شين ، والعمى وكل عيب ، وأحوال الزمان وماها تحفا ، وجفاء أهله ومن أين لهم جفا ، وبدون هذا ينفق الحمار .

ثم إن كان لابد فمن المصيدة :

وصل كتاب السيد الأجل السيد ، وما أعدت السيد تكريرا ولكن تقرير فالأول اسم وهو لابد به متسم حتى يكون سجعاً ، والثاني صفة جملة بها متصفة ومعانيها له منتظمة مرتصفة ، حتى يكون ثانيا ، واللفظ من ههنا لشعبة (٣) .

وقد تضمن من الفضل والإفضال ، والإحسان والإجمال ، والتوفر والإيجاب ، والرعاية والإكرام ، فيما أولانيه من بره الجزيل ، ورفعني إليه من قدره الجليل ، وذكرني به مالايتسب إلا إليه ، ولا يؤقف إلا عليه ، ولا يوجد إلا لديه ، ولا يجمع إلا تحت يديه ، من الجميل .

وهذا أيضا من ذلك القبيل ، تسجيع كما يراه ، وترجيع كما يرضاه ،

(١) الباخري : دمية القصر ١٥٨/٢ تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو ، طبعة القاهرة .

(٢) النقل : ما ينتقل به على الشراب .

(٣) يعني شعبه بن الحجاج المحدث المشهور المتوفى سنة ستين ومائة وهذا الايراد إلماح إلى طريقة المحدثين .

أو لا يرضاه^(١) .

ثم وقف الجمل ، وكثر الوحل ، وللسجع حرّكته ، وأراه تجّوز ، وإن لم يجزّ أجزيه ، والدليل عليه قول القائل : لا وحيرة الحمار في وحل الطين ولعل السيد يقول : هذا الشيخ - أيده الله - قد خرف وهذا سر قد عُرف وأنا به معترف ، ومن بحره مغترف ، وغيرى للذنب فيه مقترف .

إن قال فمقبول ، وإن عفا فالعفو عند رسول الله مأمول ، وهو حمد الله تعالى غصن من تلك النبتة ، وبغض من تلك الجملة ، وخليج من ذلك البحر ، وضياء من ذلك البدر ، فلا عجب أن اقتدى ، ولا بدع أن اهتدى .

فأما الجواب لفظا بلفظ ، وحرفا بحرف ، ومعنى بمعنى ، وكلمة بكلمة على الرسم بين الأفران ، والعادة بين الإخوان ، والطريقة بين أبناء الزمان فما أقل عقل الإنسان ، وما أعدّه من الصواب ، في هذا الجواب ، أن أعرض عن الهديان ، بعد ما جيل بين العير والتّوان ، وأنشد :

إن ابن حنيفة من بقية معشر (٢)

أبيات حسّان ، وقد أحسن منها كل الإحسان ، إلى آخر الدستان ، وقد جمعت بين الملح والأشنان^(٣) ووقفت انتهيت إلى هذا المكان .

شكر الله سعيه ، وحسب وجهه ، وسقي ربه ، وطيب ذكره ، ورفع قدره وتولى عني شكره ، بمجوده ومّنه .

ولاني وإن فارقت نجداً وأهله لمحترق الأحشاء شوقاً إلى نجد
أروح على وجيد وأغلو على وجيد وأعشق أخلاقاً خلقن من المجد

وإن تجمع الأيام بيني وبينه ، ثم يسمح خاطري بما أوردته بعد ، والسلام ولرأيه التوفيق ، والعلو ، والسداد ، والصواب ، والرشاد ، وكل ما ذكره في هذا الباب البلغا ، والخطبا ، الشعر والكتبا .

(١) البخارزي : دمية القصر ١٦١/٢ ، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو .

(٢) هذا صدر البيت وعجزة : « لم يغلبهم أبأؤهم باللوم » شرح ديوان حسّان ص ٣٩١ ، من قصيدته في جيلة بن الأهم الغساني .

(٣) الأشنان : حمض تفسل به الأيدي .

وهذا صحيح على القياس^(١) وإن لم يكن متداولاً بين الناس^(٢) وأعوذ بالله من الوسواس الخناس ، إن شاء الله تعالى وبه الثقة^(٣) .

وللتعليق على هذين النصين من النثر العربى فى العصر الغزنوى فى أفغانستان ، وهما لفحول الكتاب فى كل من (بلخ) فى شمال أفغانستان ، و (هرات) فى غربها ، هؤلاء الكتاب الذين كانوا يجمعون بين فننى القول من الكتابة النثرية وقول الشعر العربى ، إلى جانب إلمامهم باللغات القومية الأفغانية ، للتعليق عليهما أنقل ما قاله (الباخرزى) تعقيبا عليهما ، فأقول ناقلا^(٤) :

قال : (قلت : قد أوردت الكتابين على الوجه لما فيهما من ألفاظ كأنها غمزات ألاحظ ، واقتباسات من الأشعار ، واختلاسات من الأخبار ، وعندى أن الأيام لم تجد قط ولا تجود بمثل هذين الهمامين ، وأرجو أن لا أنسب فى هذا الحكم إلى الميل والميّن^(٥)) .

ومن المعروف أن الكاتبين العربيين الأفغانين يقلدان فى كتابيهما هذين النثر الفنى فى أدب المقامات ، النثر الذى يمتاز بالقافية والسجع وكأنه شعر ، ولا غرو فى ذلك إذا عرفنا حياة الكاتبين الشاعرين إذ هما ينتميان إلى العصر الأدبى الذى يشتهر بأدب المقامات النثرية والشعرية ومن المعروف أيضا أن مدينة (هرات) الأفغانية كانت أحد المراكز الأدبية التى عاش فيها أبو الفضل بدیع الزمان الهمداني صاحب المقامات الأدبية الشهيرة ، وغيره من الأدباء ، والكتاب ، والشعراء الذين ساهموا فى بناء الصرح الأدبى الشاىخ فى أفغانستان ، ذلك الصرح الخالد الذى وضع حجر أساسه فى أثناء الفتوح الإسلامية الأولى فى أفغانستان ، واستمر العمل الأدبى فيه يعلو ويرتفع فى العصور التالية حتى وصل القمة فى العصر الغورى وتشعبت فروعه وأغصانه الغضة فى هذا العصر .

وقد عاش فى هذه المراكز الأدبية والسياسة ، ومنها (هرات) و (بلخ)

(١) يعنى قوله : (والكتب) .

(٢) الباخرزى : دمية القصر ١٦٢/٢ تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو .

(٣) دمية القصر : ١٦٤/٢ طبعة القاهرة .

(٤) دمية القصر : ١٦٤/٢ طبعة القاهرة .

(٥) الميّن : الكذب .

في أفغانستان ، عاش فيها كثير من الكتاب ، والشعراء ، والعلماء منهم من هو من أصل أفغاني ، ومنهم من هو أصل عربي ، ومنهم من هو أصل أعجمي آخر غير الأصل الأفغاني ، والذي لا شك فيه أن جميع هؤلاء الأدباء من الشعراء والناشرين كانوا متأثرين بهذا اللون من الأدب في كل من الشعر والنثر ، وفنونهما المختلفة . وهنا نتنبه مرة أخرى إلى اللغات القومية الأفغانية وآدابها ، فإنها كانت تشارك اللغة العربية وأدبها في النشاط الأدبي بجميع فنونه وفروعه .

والذي لا شك فيه أيضا أن جميع المراكز والمدن الأفغانية الرئيسية كانت تساهم في الميادين العلمية ، والأدبية مساهمة فعالة ، وأن جميعها كانت ذات حظ وافر وغزير من الأدب العربي ، ومن الأدب الأفغاني ، ولا سيما بين العلماء والأمراء في المراكز الإقليمية الرئيسية الكبرى ، ذلك لأن اللغة العربية كانت لغة خطاب بين العلماء والمتأدبين ، ولغة أدب رفيع راق في تلك المراكز والمدن الأفغانية ، فبقيت العناية بها وبأدبها ودروسه في تلك المراكز العلمية والسياسية والأدبية مزدهرة ، وتمكنت من نفوس العلماء والأدباء ، والخاصة تمكننا قويا الأمر الذي جعل الأدب العربي يزدهر ازدهارا ويصادف تطورا كبيرا في أساليبه ، وأفانيه ، وموضوعاته ، وأفكاره ، ومعانيه ، فإذا ذكرنا في هذا العصر (هرات) الأفغانية ، ذكرنا القاضي أبا أحمد منصور بن محمد الأزدي الهروي ^(١) ، وإذا ذكرنا (غزنة) ذكرنا (أبا الحسن المومني الغزنوي) ^(٢) ، وإذا ذكرنا (فيروزكوه) ذكرنا (الإمام الفخر الرازي) ^(٣) ، وإذا ذكرنا (بسند) ذكرنا (أبا الفتح البستي) ^(٤) ، وإذا ذكرنا (بلخ) ذكرنا (أبا الحسن محمد بن عبيد الله الحسيني) ^(٥) ، وإذا ذكرنا (مزار) ذكرنا (أبا القاسم علي بن موسى الموسوي) ^(٦) ، وإذا ذكرنا (الرجج = قندهار) ذكرنا أبا بكر علي بن الحسن

(١) عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ٢١/١٣ ، والزركلي : الأعلام ٢٤٣/٨ ، والباخرزي : دمية القصر ١٥٣/٢ - ١٦٨ .

(٢) يوهاند عبدالحى حبيبي : تاريخ أفغانستان بعد از اسلام ١/ مواضع مختلفة .

(٣) عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ٧٩/١١ ، وابن خلكان : وفيات الأعيان ٦٠٠/١ .

(٤) الثعالبي : نتيحة الدهر ٢٨٤/٤ - ٣١٢ ، وحاجي خليفة : كشف الظنون ٧٧٢ ، ١٣٣٦ .

(٥) الباخري : دمية القصر ١٩٥/٢ - ٣١٠ تحقيق عبد الفتاح الحلو .

(٦) الباخري : دمية القصر ١٦٩/٢ - ١٧٦ تحقيق عبد الفتاح الحلو .

القهستاني^(١) وإذا ذكرنا (نيسابور) ذكرنا (أبوالفضل عبيدالله بن أحمد الميكالي)^(٢) ، وإذا ذكرنا (كندر) ذكرنا (أبانصر منصور بن محمد الكندري)^(٣) ، وإذا ذكرنا (بنجده) ذكرنا (أبأ حنيقة البنجدهي)^(٤) ، وإذا ذكرنا (الطالقان) ذكرنا (أبانصر أحمد بن إبراهيم الطالقاني)^(٥) ، وإذا ذكرنا (مرو الروذ) ذكرنا (محمد بن الحسن المروزي)^(٦) ، وإذا ذكرنا (شارك = جارك) بالقرب من بلخ ، ذكرنا (أبانصر نصر بن منصور الشاركي)^(٧) (المصباح) ، وإذا ذكرنا (اشكيزبان) بين (هرات) و (بوشنج) ذكرنا (الموفق التمار الهروي)^(٨) ، وإذا ذكرنا (باذ غيس) ذكرنا (أبانصر أحمد بن محمد بن عمر الباذغيسي)^(٩) ، وإذا ذكرنا (بوشنج) ذكرنا (أبالحسن عفيف بن محمد البوشنجي)^(١٠) ، وإذا ذكرنا (كرات) من نواحي (بوشنج) ذكرنا (أحمد بن الحسن الخطيب)^(١١) ، وإذا ذكرنا (سجستان = سيستان) ذكرنا (أبأحمد خلف بن أحمد السجزي)^(١٢) ، وإذا ذكرنا (بغشور) بين (هرات) و (مرو الروذ) ذكرنا (أبالقاسم أحمد بن إبراهيم البغشوري)^(١٣) ، وإذا ذكرنا (أندراب) ذكرنا (عبدالرزاق بن محمد الأندرابي)^(١٤) ، وكلهم نشأوا في هذه المدن الأفغانية ، وساهموا بأدبهم نثرا وشعرا ، وأساليهم الراقية ، وفنونهم المتنوعة في بناء الصرح الأدبي في أفغانستان .

-
- (١) الباخريزي : دمية القصر ٢١١/٢ - ٢٢٤ تحقيق عبد الفتاح الحلو .
 - (٢) الباخريزي : دمية القصر ٢٤٧/٢ - ٢٥٢ تحقيق عبد الفتاح الحلو .
 - (٣) الباخريزي : دمية القصر ٢٣٠/٢ - ٢٤٥ تحقيق عبد الفتاح الحلو .
 - (٤) الباخريزي : دمية القصر ٢٥٧/٢ تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو .
 - (٥) الباخريزي : دمية القصر ٢٥٨/٢ تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو .
 - (٦) الباخريزي : دمية القصر ٢٧٣/٢ تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو .
 - (٧) الباخريزي : دمية القصر ٢٩٣/٢ - ٢٩٥ تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو .
 - (٨) الباخريزي : دمية القصر ٣٠١/٢ - ٣٠٢ تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو .
 - (٩) الباخريزي : دمية القصر ٣٢٦/٢ - ٣٢٩ تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو .
 - (١٠) الباخريزي : دمية القصر ٣٣٠/٢ تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو .
 - (١١) الباخريزي : دمية القصر ٣٤٤/٢ - ٣٤٥ تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو .
 - (١٢) الباخريزي : دمية القصر ٣٤٦/٢ - ٣٤٧ تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو .
 - (١٣) پوهاند عبدالحی حبیبی : تاریخ افغانستان بعد از اسلام ١ / مواضع مختلفة .
 - (١٤) الباخريزي : دمية القصر ٦٧٦/١ تحقيق محمد التونجي .

وفي أيام السلطان أبي أحمد محمد بن محمود الغزنوي كان العميد أبوبكر علي ابن الحسن الرخجي القهستاني الذي يقول فيه الباخري : هو من الرخج أصلاً ونسباً ، وإن كان يعرف بالقهستاني لقباً^(١) ، من أشهر شعراء الغربة في وقته ، ومعنى عبارة الباخري أن العميد أبوبكر هذا أفغاني من أفاغنة قندهار وأرغنداو ، ومن الشعراء المشهورين في العصر الغزنوي في أفغانستان ، وقد التقى به الباخري سنة ٤٣٥ هـ = ١٠٤٣ م .

ومن شعر العميد أبي بكر الذي يمتزج بأجزاء النفس قوله في السلطان أبي أحمد محمد بن محمود الغزنوي^(٢) رحمهما الله تعالى ، وكان الصراع على السلطة في أفغانستان بينه وبين أخيه السلطان مسعود شديداً^(٣) :

يسرك أن أرى دَفِئاً حزينا	لك البشري بمائهوي رَضِينَا
ولكني إذا ما طِبْتُ نفسنا	بمائهوي فكيف أرى حزينا
رضاك رَضائي لا آباه شيئا	ولو قتل ولا أروى الجبينَا
ولو زدت للعذاب ولست تألو	لما استروحت بالشكوى أئينَا
قدت نفسي ولو ملكت يمتي	بنواها ما بخلت به يمينَا ^(٤)
وما ملكت يميني غير نفسي	وهاهي عنك لست بها ضمينَا
ولم أنفس ^(٥) على نفسي بحين ^(٦)	ولكن لم يحن لي أن أحنِينَا ^(٧)
أيا منسكين قلبي ذبت قسرا	وأعطيت الميغادة مستكينَا
نصحتك لو قبلت نصيحة لي	ولكن لا تحب الناصحينَا
لقد خلق الهوى يا قلب نارا	فمالك والهوى وتخلق طينَا
تذوب ولا تبوب رجاء يوم	يضم حشا المني منه جثينَا

(١) الباخري : دمية القصر ٢١١/٢ تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو .

(٢) هو السلطان أبو أحمد محمد بن محمود بن سيكتكين وقد تغلب عليه أخوه السلطان مسعود بن السلطان محمود الغزنوي الشهير .

(٣) الباخري : دمية القصر ٢١٣/٢ تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو .

(٤) يمين : قسما .

(٥) لم أنفس : لم أضن ولم أبخل .

(٦) الحين : الهلاك والموت .

(٧) جان الأمر : قرب واقتراب .

وین جوانخی نار تلظی کما تَلَقَى الْأَمِيرَ يَهْيُجُ حِينَا
 مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَبُو أَحْمَدَ دِ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَا
 جلال الدولة العليا دنیا جمال الملة الغلباء دینا
 ولی العهد عهد الملك طوی لنا إِذْ ظَلَّ ظِلُّ اللَّهِ فِينَا

ومن معانيه المبتكرة قوله في هذه القصيدة يُعَرِّضُ بأخيه السلطان مسعود
 الغزنوی یذمه ، ویثنی علی مملوحه^(١) :

فإلا تلقه جسما قويا فقد تلقى به الروح الأمينا
 براه هوى العلى حتى تراه كَنَصْلٍ حسامه حدا ولینا
 وليس الطبل في الهيجاء يُغْنِي غَنَاءَ السيف فاعلمه یقینا

ومن شعر العمید أنى بكر على بن الحسن الرخجى الملقب بالقهستانی في
 غیر هذا الموضوع^(٢) :

أهلا بطيف قد جلاه لنا الكرى وأنعمنا لو كان حقا ما أرى
 يامالعينى ليس يروى ظمئها نَظَرَى إِلَيْكَ وَإِنْ أُدِيمَ وَأَكْثَرَا
 فيزيدنى ما ازددت منه غلة مِلْحٌ أَرَى فِي مَاءِ وَجْهِكَ قَدْ جَرَى
 ويشف كبدى برد ريقك إنه بَرْدٌ يَزِيدُ بِهِ الْغَلِيلُ تَسْعُرَا
 يامن حكى شجر الصنوبر قده حقا لقد عَلِقَتْكَ أَفْئِدَةُ الْوَرَى
 إن القلوب حكث ثمار صنوبر عَلَّقَنَ مِنْ ذَاكَ الْقَوَامِ صُنُوبرَا

وفي هذا الشاعر الأفغانى العربى على بن الحسن الرخجى القهستانی يقول
 أبوحنيفة محمد بن محمد الرامينى الاسترابادى :

هل لظلام الليل من حادى أو لضياء الصبح من هادى
 أين نسيم الريح مُسْتَحْقَباً أعلام ضوء الفلق البادى
 أهلا به إن كان يُهْدِي الصَّبَا تحية مِنْ فَلَجِ الْوَادِي
 كم ليلة بت لميعاده منتصب المسمع والهادى
 شائمة منه عيون المتى حُلْبٌ مِيقَاتٍ وَمِيعَادِ

(١) دمية القصر : ٢١٥/٢ .

(٢) دمية القصر : ٢١٦/٢ .

ومنها في المدح^(١) :

يا أيُّهَذَا القمرُ المحتلَّى بين ظلامِ الزمَنِ العادِي
أُخلِّقُ بِذَاكَ الدسِتَ برَجاً فَقَدْ حُفَّ بضوءِ القمرِ البَادِي

وقد كتب الشاعر أبو علي القومي إلى القهستاني يقول^(٢) :

سلام كنشر الورد في رَيِّقِ الفجرِ وريخِ الخَزَامِي فوقها دَمْعَةُ القطرِ
على الشيخ مولانا الذي أنا عبده عنيْتُ أبا بكرٍ ومن كأيِّ بكرِ
فأجاب رحمه الله تعالى^(٣) :

سلامك يامولائي وهو سلامةٌ أَنِّي فسليمتَ الدهرُ من ثوبِ الدهرِ
تحيُّتُك الحسنى حياةٌ مديدةٌ يُعَدُّ بها عمرى مزيداً على عمرِ

ومن الأمراء الشعراء الذين كانوا يعملون بديوان رسائل السلطان أبي أحمد محمد بن محمود الغزنوي ، الأمير الأمين أبو الفتح الحاتمي الذي كان صاحب البريد في (هرات) الأفغانية ، وكان من بلغاء الكتاب والشعراء وله شعر باللسانين ، وحظ من البيانين ، وله شعر كالرياحين ، وخط كالبساتين^(٤) :

تبارك ربي ماذا الذي يرى الحُرُّ من كل نَذْلٍ سفيه
يقولون مالم يكن لم يُقَلَّ وهل كان في الله ما قيل فيه
وقوله^(٥) :

وحمامنا مثل الشبابِ مزاجه ومن ذا يؤدي للشبابِ معانيه
حكى العدن طيباً والجحيمَ حرارةً وخدامهم حورٌ تليهم زبانية
وقوله^(٦) :

(١) دمية القصر : ٧٥/٢ .

(٢) دمية القصر : ٩٥/٢ .

(٣) دمية القصر : ٩٥/٢ .

(٤) دمية القصر ٢٨١/٢ .

(٥) دمية القصر ٢٨١/٢ .

(٦) دمية القصر ٢٨١/٢ .

أما ترى الخمرَ مثلَ الشمسِ في قدح كالبدر فوق يدٍ كالغيثِ إذ صابت
فالكأسُ كافورةٌ لكنها انجبرث والخمرُ ياقوتةٌ لكنها ذابت
وقوله^(١) :

هما وهما لم يبقَ شيءٌ سواهما حديثُ صديقٍ أو عتيقٍ رحيق
وإني من لذاتِ دهرى قانعٌ بخلو حديثٍ أو بمر عتيق

ومن شعراء (هرات) الأفغانية في العصر الغزنوي والغوري : الموفق التمار
الهروي مؤدب أولاد الرئيس أبي نصر منصور بن إسماعيل وهو الذي يقول فيه
بعض فضلاء (زوزن)^(٢) :

سئلتُ عن الأفاضلِ في هراة فقلتُ القوم ضحضاخٌ وغَمَرَه
وذا التمارُ أفضلُ أم أخوه فقلتُ كلاهما عندي وقَمَرَه

ومن شعراء أيام السلطان مسعود بن محمود الغزنوي الشيخ أبونصر محمد بن
عمر الباذغيسي ، وكان قد ولي البريد في (هرات) أيام مسعود وقد عاش في ظل
الدولة الغزنوية مدة ثم انتقل من (هرات) إلى (زوزن) وعاش هناك حتى مات بها
وفي تنقل أحواله يقول^(٣) :

ياسادتي في قصتي إن تسمعوا عجبُ العجائب
رُعْتُ الهزابر برهانة ثم انهزمتُ من الثعالب
كنتُ امرأةً زمنَ الغنى جَمَّ المآربُ في المناقب
أغشى الملوك كما أريد لا ولا أحاشي ردَّ حاجب
وأرد بالرأي السديد يد السُمرُ في صدرِ النوائب
ومراكبي بِسماتها تُزهي على كِلِ المراكب
وجسأن داري مُثَلَّل بخذاءٍ وجهي كالكواكب
لما تغيرتِ الأممو رُ وعطَلْتُ تلك المَراتب
بِسَمَاءَةٍ قُيِّدْتُ ثم حُبِسْتُ في بيتِ العناكب

(١) دمية القصر ٢٨١/٢ - ٢٨٢ .

(٢) دمية القصر ٣٠١/٢ .

(٣) دمية القصر ٣٢٧/٢ .

ومن شعراء هذا العصر أيضاً أبو حفص عمر بن محمد الرخجي ^(١) الأفغانى
ومن إنشاده ^(٢) :

يا قومى إن غبت عنكم فإن قلبى لديكم
وإن قصدت سواكم فوجه قلبى إليكم
ومن إنشاده أيضاً ^(٣) :

أديب يضىء به المجلس علينا من أنفاسنا أنفس
إذا زارنا بعد طول اليكاس وكادت رسوم الهوى تدرس
تطيب بلقىاه أرواحنا فداءً لأنفاسه الأنفس
وقوله ^(٤) :

أبا الفضل يامن زاته الفضل والنجر أئبى الفضل إلا أن يكون لك الفخر
تبجح بأولاد كرام كأنهم نجوم إذا لاحت وطلعتك البدر
فلا سلب الأولاد ظلك سرمداً فإنهم نبت وأنت لهم قطر
يُمَدُّ بقاء المكرمات وعمرها إذا فى ظل البقاء لك العمر
فعش وابق مسروراً بهم فى سلامة وشانك تحت الأرض يهدمه القبر

ومن شعراء هذا العصر المعروفين أيضاً الفقيه أبو المظفر ناصر بن منصور بن
إبراهيم البستى المعروف بالغزال . ومن أقواله الشعرية قوله ^(٥) :

قف بالديار ونادها بسلام حيت من دمن ورسم خيام
كانت ربوعك للظباء أو انسا ما بها لنوافر الآرام
يادار جيرتنا عهدك جنة بنعيمها لودمت دار مقام
أيامنا اللاتي لبسنا ظلها بالأبرقين سقيت من أيام
فاذا الموم تطاولت فاطلب لها عيشا مداما بانتزاع مدام

(١) الرخج : قال ياقوت : كورة ومدينة من نواحي كابل . وهى الآن عبارة عن قندهار وأرغندلو .

(٢) دمية القصر : ٣٤٨/٢ .

(٣) دمية القصر : ٣٤٨/٢ .

(٤) دمية القصر : ٣٤٩/٢ .

(٥) دمية القصر : ٣٥٨/٢ .

صهباء تَسْطَعُ في الكؤوس كأنها
 وتخالها والشاربين كأنها
 وتكاد تخفى رقة ولطافة
 وإذا تَسَرَّبَ في العروق ذكاؤها
 من كف ساق لو سقاك بكفه
 وكأنها معصورة من خذو
 ومشى بكتان فخلت عناكبا
 أعجب بيدر سالم كئانه
 قم فاسقني ودع الرشاد لأهله
 واشرب بذكرى دولة الشيخ الجليـ
 ضرم الجوانح للمعالى لم يزل
 قد تيمته المكرمات فماله
 يحوى المغانم بالمغارم دهره
 قلم إذا ركب البنان تَنَشَّرَتْ

وله في الشيخ الأفغانى عبدالرازق بن أحمد بن الحسن الميمندى (١) :

أنكرت لمة رأته خضيبا
 وتصدت للوصل ثم صدت
 يامشيا جنى على صدودا
 ماعجب من حادثات الليالى
 ثم قالت رأيت زورا غريبا
 لا تصدني فما رأيت عجيبا
 وصدودا جنى على مشيبا
 أن ثريني الولدان فيهن شيبا (٢)

ومن شعراء غزنة في هذا العصر أبو الحسن المومى الغزنوى ومن شعره (٣) :

فهم من المجيد في حضيض وهم من الجيد في الرواى
 وهم إذا فتشوا وعدوا أعز من رجعة الشباب

(١) الميمند = الموند : مدينة وناحية بين (قندهار) و (بست) الأفغانية .

(٢) دمية القصر : ٣٥٩/٢ .

(٣) دمية القصر : ٣٦١/٢ .

ومنهم أيضا أبونصر تميم بن أحمد التميمي الغزنوي الذي يغلب على لسانه
لسان العجم ورباعياته تؤلف بين العاشق والمعشوق (١) :

خراسانُ اعتلى فيها الجفاءُ وأكثرُ أمرٍ سادتها جفاءُ
نَبَتْ بِي أرضُها ورحلتُ عنها وَقَلْتُ على خراسان العَفَاءُ

(١) دمية القصر : ٣٦٢/٢ .

الأدب في ظلال الدولة السلجوقية

التمهيد :

عنصر جديد يظهر في الميدان السياسي في أفغانستان الخراسانية الآرية ، وهذا العنصر هو العنصر السلجوقي الذي تمكن من الاستيلاء على أفغانستان الغربية ، وعلى عدد من المناطق الشمالية ، ولقد كانت القبائل السلجوقية من أتراك (الغز) تقطن المناطق الساحلية بين (جيحون = آمودريا) و (سيحون = سردريا) انهالت جماعة منها ما وراء النهر ، وأسلمت ثم وافق السلطان الزابلي محمود الغزنوي بإسكان عدد منهم في المناطق الشمالية من أفغانستان ، وقد استولت هذه الجماعة على هذه المناطق الشمالية في عهد السلطان مسعود الغزنوي بعد قتال كانت الهزيمة فيه من نصيبه ^(١)

وتبدأ قصة الدولة السلجوقية بمجموعة من القبائل التركية التي عرفت في التاريخ الإسلامي باسم (الغز) كانت تسكن الهضاب المحيطة بنهرى (سيحون) و (جيحون) تشتهر باسم زعيمها وهو (سلجوق بن دقاق) ^(٢) وقد اشتهرت هذه التسمية في العهد الإسلامي ، ولم تكن هذه القبائل تعرف باسم خاص بها قبل الإسلام ، ولعل (سلجوق) هو الذى قام بتوحيد هذه القبائل بزعامته ، وسار بها إلى البلاد الإسلامية فيما وراء النهر ^(٣) ، وأظهرت إسلامها هناك ، ثم نسبت إليه واشتهرت هذه الدولة باسمه ، وسميت بالدولة السلجوقية ، وقد قاد أبناء سلجوق وأحفاده هذه الدولة ، وسيطرتها على العالم الإسلامى . وكان السلطان الزابلي محمود الغزنوي قد أسكن أربعة آلاف أسرة من هذه القبائل في الساحل الجنوبي من نهر (جيحون = آمودريا) وقد حفر بذلك بكتلتا يديه حفرة

(١) فضل أحمد : رهنأى أفغانستان ٧٥ طبعة كابل سنة ١٢٣٨ هـش ، والدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى ١/٤ ومابعدها الطبعة الأولى .

(٢) وفى قول آخر (وقاق) وفى قول ثالث (يقاق) .

(٣) الدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ١/٤ ومابعدها ، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٧ م القاهرة .

للدولة الغزنوية في هذه المناطق الشمالية الأفغانية ، لأنه كان يطمع في استخدام هؤلاء القوم في جيشه حيث كان قد عرف أنهم في عدد الرمال ، ويبلغ عدد المقاتلين المسلحين منهم إلى مائتي ألف مقاتل ، حيث قامت أفراد تلك القبائل برعاية (طغرل) وأخيه (نجفري) في عام ٤٣١ هـ = ١٠٣٩ م بمحاربة ابنه مسعود الغزنوي في موقعة (دندانقان) وهزموه ^(١) شر هزيمة ، وأقبروا هذا الجزء من الإمبراطورية الغزنوية في تلك الحفرة التي حفرها السلطان الزابلي محمود الغزنوي ، ثم استولوا على (هرات) الأفغانية ، ووضعوا بذلك الأساس للدولة السلجوقية الكبرى .

كان (لسلجوق) أربعة أبناء : (اسرائيل) الذي حبسه السلطان الزابلي محمود الغزنوي مع عدد من وجوه قومه وقواده ، حتى مات سنة ٤٢٢ هـ = ١٠٣٠ م ^(٢) ، وكان لهذا العمل أثر سيء على مستقبل العلاقات بين الغزنويين الأفغان والسلاجقة الأتراك ، و (ميكائيل) الذي أسس أبنائه الدولة السلجوقية لأول مرة في شمال أفغانستان ، كما تم استيلاؤهم على (هرات) في غرب أفغانستان . و (موسى) و (يونس) و (طغرل بك بن ميكائيل) هو الذي هزم السلطان مسعود الغزنوي ^(٣) ، وأعلن للدولة السلجوقية في أجزاء من البلاد الأفغانية ، كما مر ، وكان لنصر السلاجقة في موقعة (دندانقان) تأثير حاسم في تاريخ العلاقات بين الدولتين الغزنوية والسلجوقية في أفغانستان ، حيث قوى أمر السلاجقة بعد هذه الحرب الفاصلة ، ولم يحاول أحد من الحكام ، والأمراء ، والولاة في الحكومة المركزية في (غزنة) أو في الأقاليم التصدي لهم ، فقوى أمرهم فتوافد الجند إليهم ، وقويت دولتهم ، وظفرت برضاء الخليفة والخلافة في بغداد واعترف الخليفة بدولتهم السلجوقية ، وانحسرت الدولة الغزنوية عن كثير من المناطق والأقاليم في خراسان .. (أفغانستان وإيران) .

(١) تحليل الله خليلي - هرات : تاريخها ، آثارها ، رجالها ص ٢٨ طبعة بغداد .

(٢) ابن الأثير - الكامل في التاريخ ١٧٧/٩ . والراوندي - راحة الصلور وآية السرور ص ١٥٠ - ١٥١ ترجمة إبراهيم الشواربي .

(٣) الدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ٤/٤ - ٥ ، وابن الأثير الكامل في التاريخ

طغرل بك : (١)

كان (طغرل) الأول قوى الشخصية ، شديد القيادة ، عظيم التدبير متوقد الذكاء ، نادر الشجاعة مما جعل أفراد أسرته ورجال القبائل ، وأفراد الجند يلتفتون حوله ، ويسلمون إليه الزغامة ، والقيادة ، والسلطان وتعاهدوا بالولاء له . وقد رأى أن تحقيق هدفهم في تكوين دولة كبرى يتطلب منه جمع الكلمة ، وتكتيل القوى ، وبذل كل واحد من السلاجقة في البيت السلجوقي جهده ، ولكي يبعد عنهم التنافس والتكالب ، والخصومة ، عين كل واحد منهم ، على ولاية من الولايات ، فأصدر أمره بتعيين شقيقه الأكبر (جغرى بك) حاكما في مدينة (مرو) ليقوم بإدارة أكثر مناطق خراسان (الأفغانية - الإيرانية) من هناك . وتنصب (موسى) عمه على مناطق (بست) و (هرات) و (سيستان) الأفغانية وعلى المناطق المجاورة لها من أفغانستان الغربية ، واختص أبا الحسن بن موسى بلاد (الغور) و (بوشنج) وأجزاء من (هرات) و (سيستان) وهكذا قام بتوزيع أفغانستان الغربية ، والجنوب الغربي منها على إخوته وأتباعه ، وهكذا قام بتقسيم التركة بين الورثة غير الشرعيين ، وقام بإعطاء وإهداء ما لا يملكه لمن لا يستحقه ، وسمح لجميع الولاة السلاجقة بحرية التصرف في ولايته وإدارته ، وضم ما يستطيع ضمه واستقطاعه من المناطق المجاورة لولايته .

واصل (طغرل بك) انتصاراته بعد ذلك في إيران (٢) ، بعد أن رفع الإسلام من شأن أسرته ، للاستيلاء عليها وطرد البويهيين منها ، ثم القضاء عليهم نهائيا في دار الخلافة في بغداد ، ثم توجيه ضرباته الشديدة إلى بلاد الرّوم التي كانت دائما تكن العداوة والكراهية الشديدة للإسلام والمسلمين . ونلاحظ أن (طغرل) اتجه منذ أول الأمر إلى الغرب ، إلى الثغر الرومي ، ولم يتجه إلى الشرق .. إلى البلاد الهندية كمعادة الملوك في أفغانستان دائما . اتجه غربا ولم يتجه شرقا نظرا لوجود الدولة الغزنوية في الشرق ، ثم نظرا لمكانة الدولة الغزنوية في العالم

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١٧٠/٥ ، ١٧١ ، ١٧١ ، ١٧٩ ، والدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ٤/٤ الطبعة الأولى سنة ١٩٦٧ م القاهرة .
(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١٨٠/٩ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ، والدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ٥/٤ ، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٧ م .

الإسلامي ولأن لها مستعمرات إسلامية في أجزاء كثيرة من البلاد الهندية التي فتحها باسم الإسلام الخفيف ، ولهذه الأسباب كلها وغيرها اكتفى (طغرل) بطرد الغزنويين من المناطق الشمالية والغربية من أفغانستان إلى حين ، واتجه نحو الغرب للاستيلاء على الأقاليم الفارسية الإيرانية ، وطرد البويهيين من بغداد ، وتوجيه الضربات إلى بلاد الروم ، وبعد هذه الانتصارات المتلاحقة وبعد بسط نفوذ السلاجقة في مناطق من أفغانستان ، وفي كل الأقاليم الفارسية في إيران ، والعراق وبلاد الشام ، وفي هذه الغمرة من الانتصارات قام الملك العجوز في السبعين من عمره بالزواج من ابنة الخليفة العباسي الشابة ، وقد أعاد بذلك إلى الأذهان ذكريات الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور الذي جعل من أسباب غضبه على الزعيم أبي مسلم الخراساني أنه أراد أن يتخذ لنفسه جارية كانت لعبدالله بن علي العباسي ، وكان هذا أحد أسباب قتله . وبهذه المقارنة يظهر ضعف الخلافة العباسية في هذه الأيام .. بعد هذا الأمر العجيب الذي يدل على ضعف أمر الخلافة مات الملك العجوز (طغرل) في رمضان سنة ٤٥٥ هـ ^(١) = ١٠٦٣ م وتولى عرش السلاجقة ابن أخيه (ألب أرسلان) ^(٢) .

سننجر :

وبعد مرور وانقضاء دوز كل من ألب أرسلان وملكشاه ألب أرسلان تمكن (بركيا رق) بن (ملكشاه) من التغلب على أخيه الأصغر (محمود) بعد صراع شديد دام لمدة سنتين تقريبا ، وتولى العرش السلجوقي في ٤٨٧ هـ = ١٠٤٩ م ، وعين أخاه (سننجر) حاكما لخراسان في سنة ٤٩٠ هـ ^(٣) = ١٠٥١ م ، وفي هذه الأيام كانت الدولة السلجوقية مقسمة بين الإخوة الثلاثة في خراسان (سننجر) ^(٤) بن (ملكشاه) يتصرف في أمورها وشئونها كما يشاء يساعده في ذلك وزيره فخر الملك بن نظام الملك بعد أن طرده (بركيا رق)

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٩/١٠ ، والراوندى ١٧٧ - ١٧٨ .

(٢) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ٢٧ - ٢٨ ، والدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ٣٥/٤ ، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٧ م ، القاهرة .

(٣) فضل أحمد : رهنماي أفغانستان ٧٦ طبعة كابل سنة ١٣٢٨ هـ ش .

(٤) الدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ٣٥/٤ ، طبعة القاهرة .

وعين بدلا منه مجد الملك القمي ، وفي إقليم (آذربيجان) محمد بن ملكشاه يحكم الإقليم بمساعدة الوزير مؤيد الملك بن نظام الملك بعد أن طرده (بركيارق) من الوزارة أيضا . وكانت الحكومة المركزية برئاسة (بركيارق) . وكان الصراع بين الإخوة الأعداء الثلاثة .. بركيارق بن ملكشاه ، وسنجر بن ملكشاه ، ومحمد بن ملكشاه مستمر لد خمسة أعوام من سنة ٤٩٢ هـ إلى ٤٩٧ هـ ، تداولوا فيها الهزيمة والنصر ، حتى سئم (بركيارق) كثرة الحروب ، فطلب الصلح وتم الاتفاق على أن يحمل كل واحد منهم لقب السلطان في المنطقة التي يحكمها وقت الاتفاق ، وكانت خراسان الأفغانية من نصيب (سنجر) وقد استمر الاتفاق حتى توفي (بركيارق) سنة ٤٩٨ هـ = ١١٠٤ م ، واعتلى العرش بعد موته أخوه محمد ، واستمر (سنجر) ^(١) في إقليم خراسان في أيامه . بموت (بركيارق) يبدأ عصر انقسام الدولة السلجوقية ، وأهم هذه الأقسام سلاجقة خراسان برئاسة (سنجر) .

والسلطان (سنجر) من السلاطين العظام في عصر انقسام الدولة السلجوقية . وقد كان واليا في خراسان قبل أن يحصل على اعتراف السلاجقة ودار الخلافة ، وذلك في أيام كل من أخويه (بركيارق) و (محمد) وقد ظل كذلك في خراسان ، ومن هنا فقد أطلق على السلاجقة الذين يمثلهم اسم سلاجقة خراسان تمييزا لهم عن سلاجقة العراق .

وفي أيام ولايته في خراسان كان قد تمكن من فتح (ترمذ) و (طخارستان) في شمال أفغانستان ، في سنة ٤٩١ هـ = ١٠٩٧ م وقام بضمهما إلى ملكه ^(٢) . وفي عام ٤٩٥ هـ = ١١٠١ م بسط نفوذه على إقليم ماوراء النهر . وقد بلغت قوته حدا جعلته يستولى على مدينة غزنة بعد هزيمة ملكها الغزنوي (أرسلان شاه) سنة ٥٠٨ هـ ^(٣) = ١١١٤ م ، وقد ازدادت قوته خطرا بعد انتصاره على ابن أخيه محمود الذي تولى السلطنة السلجوقية بعد موت أبيه محمد ^(٤) وأصبح بعد ذلك صاحب الأمر والنهي في مملكة السلجوق الكبرى ،

(١) التفاصيل : اقرأها في ابن الأثير - الكامل في التاريخ ١٠٤/١ - ١٣٨ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١٠٤/١٠ .

(٣) وفي حبيب السمر : سنة ٥٠٤ هـ = ١١١٠ م .

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٢٠٧/١٠ .

أصبح (سنجر) سلطان السلاجقة في خراسان والعراق ، وأتاب عنه ابن أخيه محمودا في العراق كما أصبحت سلطنة العراق في أيام حكمه الذي استمر أربعين عاما ^(١) تابعة له لا يرتقى عرشها إلا من ارتضاه ، وكان سلاطين العراق يدفعون له الجزية ، ويذكرون اسمه في الخطبة .

وكانت الحروب مستمرة في أيام السلطان (سنجر) ^(٢) وكان ينتصر في أكثرها إلا أن كثرة تلك الحروب جعلت الدولة تضعف ، وتفقد السيطرة على أطرافها وحدودها الواسعة فكثرت الإمارات والدول المستقلة من حولها وداخل حدودها ، وأهم هذه الدول في الداخل الدولة الغورية التي تعتبر من أقدم وأعرق الدول في أفغانستان وقد مرت على فترات من التاريخ بين الضعف والقوة ، أو بين الموت والحياة ، ولكنها لم تمت أبدا ، وأهم هذه الدول في الخارج الدولة الخوارزمية ، وقد هددتا معا الدولة السلجوقية من الداخل ومن الخارج ثم تمكنت الدولة الغورية العريقة الأفغانية من القضاء على النظامين السلجوقي والخوارزمي في أفغانستان ثم مدت نفوذها إلى البلاد الهندية بعد أن قضى هناك على النظام الغزنوي حتى أسست هناك الدولة الإسلامية الأولى في أعماق الهند .

اشتبك السلطان (سنجر) مع القبائل الغزية المهاجرة في (بلخ) في حروب دامية تمكنت القبائل الغزية من انتصارات حاسمة حتى وقع السلطان (سنجر) نفسه أسيرا لديها ، واستمر في أسرها لمدة ثلاث سنوات استطاع بعدها الهرب والوصول إلى عرشه في (مرو) الأفغانية ومات متأثرا بتلك الصدمة الشديدة في سنة ٥٥٢ هـ = ١١٥٧ م ، وبموت (سنجر) انتهى عهد السلاطين العظام . وسقطت الدولة السلجوقية في خراسان الأفغانية بعد أن استمرت في الحكم لمدة ١٥٨ سنة .

(١) الدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ٣٥/٤ - ٣٦ الطبعة الأولى سنة ١٩٦٧ م القاهرة .

(٢) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ٢٤٠ - ٢٤١ ، والدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ٣٦/٤ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧ م .

الأدب والثقافة في العصر السلجوقي :

السلاجقة أتراك - كما يقولون - لا يحسنون اللغة العربية ولا ينجدون فنونها ، ولا يرون لها جمالا معنويا ، وروثا لفظيا ، ولا يبتدون لذلك إلى مواطن فنتها وحلاوتها ، والناس أعداء ماجهلوا والسلاجقة يحسنون الفتح والغزو ، شأنهم في هذا شأن الأفغانيين ، ولأجل ذلك يحسنون فنون الحرب والضرب والقتال ، أما الأدب ، وفنونه ، وأما العرفان وجماله ، وأما العلوم وفنونها فلم يكن لهم فيها شأن ، ولا دور يذكر ، فإنه :

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

ولعل التباين الشديد ، والبعد البعيد بين طبيعة الأدب ، وطبيعة الحرب جعل ملكاتهم لاتجيد اللغة العربية ، وآدابها ، على أن الحياة التي كانت تعيشها السلاجقة بين الحرب غالبا ، والسلام أحيانا ، وبين الفتح غالبا والهزيمة أحيانا ، وبين الغزو غالبا ، والهدوء أحيانا مما أبعدتهم من ميادين تذوق اللغة العربية وآدابها ، وفنونها الجميلة الرائعة ، ومن هنا ترى الأدب العربي ، ورياضه الفنية قد صَوَّحَتْ ، وربوعه الجميلة قد أجذبت وأوديته الفسيحة الخلابه قد أحملت ، وكانت كارثة الكتابة أقل شدة من كارثة الشعر ، و كارثة الشعر أشد وأعنف من كارثة النثر ، ذلك لأن الشعر جمال وكمال يمكن الاستغناء عنه في مثل ظروف السلاجقة ، في حين أن الكتابة ضرورة من ضرورات الدولة ، وإن كانت الدولة السلجوقية تركية الأصل ليست لها علاقة قوية باللغة العربية وآدابها ، إلا أن الكتابة لا مندوحة منها للدولة .

وإذا كان عهد السلاجقة - في التاريخ الأفغانى - قد قذى في عين الأدب العربى ، وفنونه الجميلة ، وشجى في حلق الأدب العربى وجلاله وجماله ، فقد كان عهد خير ، وازدهار ، وبركة للأدب الإقليمى^(١) والعلوم^(٢) . فإن العلماء بعد

(١) شبلى النعمانى : شعر العجم ١٤٨ - ١٤٩ ، الترجمة الفارسية ، طبعة طهران ، وذبيح الله صفا : تاريخ أدبيات درلوان ٣٢٥/٢ .

(٢) حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي ٣٩٢ - ٤٠٠ ، وطبقات الشافعية ١٣٧/٣ ، وابن خلكان : وفيات الأعيان ٣٧٥/٣ ، وابن الفوطى الحوادث الجامعة (حوادث عام ٦٢٦) ورجلة ابن بطوطة ١٤١ - ١٤٢ ، طبعة مصر .

أن نضجت العلوم ظلوا يكتبون ، ويؤلفون ، وينتجون ، ويخرجون المؤلفات ، والمصنفات في علوم التاريخ ، والموسوعات الضخمة في مختلف العلوم ، والمعاجم الجامعة ، كما فعل ياقوت الحموي في معجمه ، وابن خلكان في وفياته . وفي هذا العهد ، عهد العلم ، قام العلماء بتدوين علمي البيان والبديع ، ولقد كان من مظاهر هذا العهد أيضا كثرة المدارس النظامية وانتشارها في العالم الإسلامي ، حتى لقد وسم هذا العهد بعهد المدارس كما اشتهر بعهد الموسوعات^(١) .

وكان اهتمام هذه الأسرة بتاريخ الآداب الإقليمية أكثر من اهتمام الدول الإقليمية السابقة ، لأن الآداب الإقليمية وخاصة الأدب الدرّي الأفغاني قد نضجت في هذا العهد ، وظهر فيه جماعة من الشعراء المشهورين^(٢) ، والعلماء المعروفين ، والمؤرخين ، والصوفية^(٣) من أمثال الحكيم السنائي الغزنوي^(٤) ، والراوندي^(٥) والغزالي ، وقد قدمت قصة (ويس ورامين) إلى السلطان السلجوقي الأول في ٤٤٠ هـ = ١٠٤٨ م ، وقد ترجمها فخر الدين أسعد الجرجاني من الفهلوية إلى اللغة (الدرية) .

• على أن بعض سلاطين الأسرة السلجوقية من أمثال (ملكشاه) و (سنجر) وغيرهما لم يكتبوا بأن يعيش الأدباء في كنفهم ، بل كانوا بالإضافة إلى ذلك يختارون الوزراء من أهل العلم والأدب والفضل كنظام الملك الذي كان يميل إلى العرب ، وكعميد الملك الكندري الذي كانت ميوله قومية إقليمية . وكانت (هرات) وغيرها من المراكز الإقليمية مجمعا للشعراء والأدباء ، وقد ذكر (الباخري) وهو من مشاهير الأدباء في هذا العصر ما يقرب من مائتين وخسبة وعشرين شاعرا في كتابه (دمية القصر) وقد أفاض في ذكر معاصريه . وقد

(١) نصير الدين أبوالرشيد : كتاب النقض ٤٧ - ٤٨ طبعة طهران سنة ١٣٣١ هـ . ابن الدويش : المختصر المحتاج إليه ١١٦/١ طبعة بغداد ١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م .

(٢) ذبيح الله صفا : تاريخ أدبيات دريآن ٢٣٥/٢ طبعة طهران ، والدكتور أحمد كمال الدين حلمي : السلاجقة ٢٩٠ - ٢٦٩ طبعة دار البحوث العلمية الكويت ١٣٩٥ هـ .

(٣) رضا زاده شفق : تاريخ أدبيات إيران ٢٤٦ - ٢٤٧ ، طبعة طهران .

(٤) براون : تاريخ الأدب في إيران ٣٩٥/٢ ، والجامي : نفحات الأنس من حضرات القدس ٣٧ طبعة الهند .

(٥) هو أبوبكر محمد بن علي بن سليمان الراوندي صاحب كتاب راحة الصدور وآية السرور .

هيأت فتوحات السلاجقة ساحات واسعات لا لشعراء خراسان فحسب بل كذلك لشعراء العربية أيضا .

وقد كان من ظواهر العصر السلجوقي الأدبية ارتقاء المذهب والأدب الصوفي في خراسان الأفغانية ، وقد اعتنقه جماعة من الشعراء ، والمشايخ والعلماء ، وقد جلت تلك المظاهر الصوفية الأدبية في آثارهم المنظومة والمنثورة .

ومن الناحية الثقافية والحضارية فإن المظهر القبلي في النظام والحياة البدوية في المظاهر العامة تغلب على السلاجقة، ومن هنا لم يكن سلاطين الدولة السلجوقية على درجة من الثقافة ، مما جعلهم في حاجة ماسة إلى استخدام كثير من الموظفين من أهل البلاد لاستعمالهم في المهام المختلفة . ومن أبرزهم ، وأهمهم الوزراء ، والحجاب (١) الذين استطاعوا أن يلعبوا دورا أدبيا ، وحضاريا ، وثقافيا ، وسياسيا في كثير من الأحداث واستطاعوا في كثير من الأحيان أن يسيطروا على سلاطين السلاجقة، ويوجهوهم وفق إرادتهم ، وكذلك أثرت البداوة في حالتهم الدينية والاجتماعية ... مالوا لأهل السنة ، والجماعة ، وأظهروا الولاء الكامل للخليفة العباسي (٢) ، واحترموا رجال الدين احتراما شديدا (٣) ، وأكرموا شيوخ الصوفية بالإجلال والإكرام (٤) وقد ظهرت هذه الظواهر الأدبية ، والثقافية ، والقبلية في تصرفاتهم الشخصية والجماعية ، والسياسية . إن سلاطين الأسرة السلجوقية لم يتمكنوا من تعلم القراءة والكتابة ، وأنواع العلوم حتى بعد حكمهم في البلاد (الأفغانية والإيرانية) الذي استمر أكثر من مائة عام ، ورغم هذه الحالة السيئة من الناحية الثقافية هيأت فتوح السلاجقة عددا من الميادين لا للثقافة الإسلامية في خراسان ، وشعرائها ، وعلمائها ، وكتابها فحسب ، بل للذين حفظوا التقاليد الثقافية والاجتماعية ، والسياسية لعصر الغزنويين الحضاري ومن هؤلاء الوزير نظام الملك الذي أسس المدارس النظامية الشهيرة في المدن

(١) أحمد كمال الدين حلمي : السلاجقة ٢٠٨ - ٢٠٩ ، عباس إقبال : وزارت در عهد سلاطين ١٨ ،

وحسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ٢٥٥/٣ ، والراوندي : راحة الصدور ٣٣٧ .

(٢) صدر الدين الخنيسي : أخبار الدولة السلجوقية ١٨ ، طبعة لاهور ١٩٣٣ م ، وعطا ملك الجويني :

جهانكشا ١١٧ ، وأرمينوس فامير : تاريخ بخارى ١٣٥ الترجمة العربية حاشية ١ .

(٣) نصير الدين أبو الرشد : النقض ٤٨٦ ، وذبيح الله صفا : تاريخ أدبيات در إيران ١٥٩/٢ .

(٤) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ٢٧٨/٣ ، وأبو حامد الغزالي : تهافت الفلاسفة ٤٠٣ .

الإسلامية^(١) في ذلك العصر السلجوقي الذي كان أكثر رجال العهد السلجوقي نفوذا وتأثيرا من الناحيتين الثقافية والسياسية ، ولم يكتف الرجل بتوجيه السلاجقة توجيها عمليا في الحقل السياسى والحضارى فحسب ، وإنما وضع منهجه السياسى الذى نفذه على أيدي السلاجقة في كتاب سياسى منهجى جليل ضمنه آراءه في السياسة ، ونظام الحكم ، وهو كتابه المشهور (سياست نامه)^(٢) وهذا الكتاب يصلح لأن يكون أساسا لفن الحكم ، والنظم السياسية والحضارية ولذلك قد تمت ترجمته من اللغة الدرية إلى عدة لغات مختلفة . وفي أيامه بنيت المدرسة النظامية في (هرات)^(٣) الأفغانية ، ولا تزال آثار السلاجقة العمرانية باقية في (هرات) الأفغانية .

وكان العصر السلجوقي من الناحية المذهبية امتدادا للعصر الغزنوى الذى تفوق فيه أهل السنة على الشيعة ، وقد استمر هذا التفوق في العصر السلجوقي ، والغورى ، وقد انتقلت المعارك بين الجانبين إلى الأطراف الغربية من خراسان ، وهذا النزاع المذهبى يعتبر امتدادا للنزاع بين المذهبين ... الحنفى والشافعى .. وبين الحنفية أصحاب الحضارة والثقافة العالية في المدن ، والشيعة المسيطرة على عقول أكثر أهل القرى الذين كانوا لا يزالون بعيدين عن الآراء السياسية ، والأقوال الجدلية .

وكانت الدواوين تنظم الصلة بين الحكومة المركزية والولايات في الأقاليم كما كانت همزة الوصل بين الولايات الإقليمية نفسها ، ومن أهمها ديوان الرسائل حيث كان يتولى كتابة الرسائل فيه الكتاب ، والأدباء ، والبلغاء ومن أهم الرسائل التى كانوا يقومون بتحريرها الرسائل السلطانية ، والسياسية ، وقد تمتع الكتاب الأدباء بالجلوس مع السلطان ، والواقع أن وظيفة كاتب الرسائل كانت من الوظائف الهامة في الدولة السلجوقية . وكان غالبا المرشح الأول لتولى منصب

(١) ابن خلكان : وفیات الأعيان ٣٩٦/١ ، وطبقات الشافعية ١٣٧/٣ ، ورحلة ابن جبير ٢٠٧ .
(٢) بهار : سبك شناسى ٩٥ ، ورضا زاده شفق : تاريخ أدبيات إيران ٢٤٩ ، وأحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة ٢٦٧ .

(٣) المدرسة المستنصرية ٨ - ١٢ طبعة بغداد ، والراوندى : راحة الصدور : صفحات متفرقة ، وطبقات الشافعية ٣/١٣٧ ، وابن الدينى : المختصر المحتاج إليه ١/١١٦ ، وابن الساعى الجامع المختصر ١٧٨ ، والعمرى : منية الأدباء ٢٠٥ .

الوزارة ، وقد ساعد ذلك في التنوع في الأسلوب ، والدقة في التعبير ، والروعة في التصوير ، فمناصب الوزارة ، والكتابة والدواوين ، وتعدد الفرق الإسلامية ، والصوفية من الموضوعات التي كثر الحديث عنها في هذا العصر^(١) .

ومن الناحية العلمية فإن في هذا العهد قام العلماء بتدوين علمي البيان والبديع ، وازدادت المدارس في المدن الرئيسية في جميع أنحاء المملكة الإسلامية يؤمها العلماء والمتعلمون ، حتى لقد وسم هذا العهد بعهد المدارس كما وسم بعهد الموسوعات ، وتركت الحركة العلمية آثارها في الآداب الإسلامية كما انتشرت مدارس الفرق الإسلامية المختلفة واشتد التنافس بين أفكارها ، وحاولت كل مدرسة فكرية ترويج مذهبها الفكري ، والانتصار على أعدائها . وقد بلغ لذلك نفوذ العلوم الدينية درجة عظيمة . ونستطيع أن نستشف من الكتب والأشعار في العصر السلجوقي أثر تلك الظواهر العلمية في الحياة الأدبية ووصل المسلمون في هذا العصر إلى قدر كبير من التقدم في كثير من العلوم ، واستفادوا في ذلك من الترجمة والاقتباس ، وكثرت المؤلفات باللغات العربية والإقليمية في علوم مختلفة مما جعل الكتاب والأدباء يلمون بأطراف من مختلف العلوم ، والفنون ، ويحرصون على إظهار ذلك في كتاباتهم ورسائلهم ، وقد راجت هذه الظواهر العلمية عند الشعراء في العصر السلجوقي^(٢) :

شعراء أفغانستان في العصر السلجوقي وكتابها :

أبو الفتح الحسن بن إبراهيم الصيمري^(٣) : من الشعراء العرب الرحل الذي استقر به المكان في (أندرابه)^(٤) وكان قوى الإرادة على المهمة ، وفيه يقول (الباخريزي)^(٥) : (وقد مدخته وهو بأندرابه) دار الملك . بهرو فما كان

(١) عباس : إقبال : وزارت در عهد سلاطين ١٨ ، وحسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ٢٥٥/٣ ، وابن خلدون : المقدمة ٢٠٨ طبعة بيروت ، والراوندي : راحة الصدور ٣٣٧ .

(٢) رضا زاده شفق : تاريخ أدبيات إيران ٢٧١ ، و بهار : سبك شناسي ٤٠٠ ، وذبيح الله صفا : تاريخ أدبيات در ایران ٩٧٢/٢ ، وأحمد كمال الدين حلمي : السلاجقة صفحات متفرقة .

(٣) دمية القصر : ١٦٩/١ . طبعة القاهرة .

(٤) اندرابه : قرية في أفغانستان بينها وبين (مرو) فرسخان . وكان للسلطان (سنجر) بها آثار وقصور . معجم البلدان : ٣٧٣/١ .

(٥) دمية القصر : ٣٧٠/١ طبعة القاهرة .

عَظْفُه عَنِ نَائِيَا ، وَلَا عِظْفُه مَنِ ثَانِيَا .

ومن شعره ما قاله^(١) :

كَلَامُكَ مُعْجَزٌ وَكَذَاكَ خِلْوُ مِنْ الْعَيْبِ الْمُهِجَّنِ لِلْكَلَامِ
فَدَعَ بَاخِرُزْ حَقًّا عَنْكَ وَآكَتَبَ نِظَامَ الْمُعْجَزِ الْحَسَنِ النِّظَامِ

وله أيضا هذان البيتان من الشعر قالهما في الشيخ (عيسى بن محمد بن عيسى) شقيق شيخ الدولة ثقة الحضرتين (على البركردري) وهما^(٢) :

عَلَيَّ كَاسِمُهُ أَبَدًا عَلَى وَعَيْسَى خَامِلٌ وَمَجَّ دَنِيَّ
هُمَا ثَمَرَانِ مِنْ شَجَرٍ وَلَكِنْ عَلَى مَدْرِكٍ وَأُخُوهُ نَيَّ

فصار ذلك سببا للوحشة ، والعداوة ، والكراهية بينهما ، وكانا قبل ذلك صديقين . ويقول (الباخريزي) أنه أنشده في (مرو) سنة خمس وأربعين وأربعمائة^(٣) هذين البيتين :

سَيِّئِي وَسَرِّى كُلُّ مَنِهَا بَطَلَا وَدَمْعُ عَيْنِي عَلَى الْخَدَّيْنِ قَدْ هَمَلَا
وَلَا أَقُولُ بَأْنَ الشَّيْبِ يَظْلُمْنِي بَعْدَ الثَّانِيْنَ لَا وَاللَّهِ قَدْ عَدَلَا

أبوطالب حمزة الأسدي :

ومن الشعراء العرب الذين ترامت بهم الأسفار إلى (خراسان) أبوطالب حمزة بن غاضرة الأسدي البغدادي ، وقد استقر به المقام والمكان في (بوشنج = فوشنج = بوشنك) في (هرات) الأفغانية فاستوطن بها ، وبنيت فيها مدرسة برسمه فأنثالت عليها وعليه التلامذة ، من جميع أنحاء أفغانستان يقتبسون من علمه . وقد أنشد في (بوشنج) سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة^(٤) :

أَضَعْتَ الشَّبَابَ وَصُنِّتَ الْمَشِيبَ بِرَفْضِ الْوَقَارِ وَخَلَعَ الرِّسْنَ
وَلَمْ تَرْعَ سَمْعًا إِلَى وَاعِظٍ فَحَتَّى مَتَى ذَا أَمَّا أَنْ أَنْ

(١) دمية القصر : ٣٧٠/١ طبعة القاهرة .

(٢) دمية القصر : ٣٧١/١ طبعة القاهرة .

(٣) دمية القصر : ٣٧٢/١ طبعة القاهرة .

(٤) دمية القصر : ٤٠١/١ طبعة القاهرة .

ولما أتى يوم وفاته ، وافق ذلك وفاة الإمام أبي الحسن على بن طالب
البلخي ، فزاهما شرف السادة أبو الحسن البلخي رحمهم الله أجمعين بقصيدة ،
وهي (١) :

لا تسلمُ العَصْمُ في خَلْقَاءَ (٢) راسية
ولا يقي الحوتُ في آذَى (٣) ملتطم
من المنون إذا نأبتهما حَدَقَا
فذا صريعُ نِصَالٍ قد رُصِدَنَ له
وهل سمعتُ بِشَيْعٍ غيرِ منصدع
نكا ابنُ غَاضِرَةٍ إذ شَدَّ أَرْجَلَهُ
مأْنُصِفُ الدَّهْرِ إذ أغرى بواحدةٍ
نجمان في أفقِ الآدابِ قد أَفْلا
كانا إذا نطقا في مشكل فتقا
كانا إذا نظما عقدا بلفظهما
كانا إذا مأفادا أبدا غررا
فالغمض بعدهما نِسْيٌ ومُطْرَحٌ
وأصبح العيشُ ممقوتا ولسْتُ أرى
يحرك الدهرُ مِنَّا ساكنا أبدا
نُصَابٌ منه بداءٌ لا دواءَ له

طَوْدٍ وَلَا الْحَقْبُ (٤) في بهماءٍ سُبْرُوتٍ (٥)
دَفَاعُ دُقَاعِهِ (٦) عن مُهْجَةِ الحوتِ
حتى تنبَعُ مكيا بمكبوتِ
وذا أَسْتِيرُ جِبَالٍ بِثُهَا الثُّوتِي (٧)
على الزمان وحيلٍ غيرِ مَثْبُوتِ
فَرَحاً بقلبي من شَدِّ ابْنِ طابُوتِ
فجيعتين بمغتال ومبغُوتِ
والدهرُ يُرْجِعُ يوما كل ما يوتي
وأفضحا كل منطوق ومسكوتِ
أزرى العقودَ بِمَرْجَانٍ وياقوتِ
ولم يُلَمَّا بمنحول ومنحوتِ
والبر يعثرُ في أذْيالِ مَبْهُوتِ
بعد الأَحْبَةِ عيشا غيرَ مَمْقُوتِ
ويوقظ الموتُ منا طَرْفَ مَسْبُوتِ
في طِبِّ أَهْرَنَ أَوْفَى سحر هاروتِ

أبو عباس الخوزاني :

ومنها أبو العباس الخوزاني ، و(خوزان) قرية من نواحي (هرات)

- (١) دمية القصر : ٤٠٤/١ طبعة القاهرة دار الكتاب العربي .
(٢) الخلقاء : الصخرة ليس فيها وسم ولا كسر . القاموس (خ ل ق) .
(٣) الحقب : لعله جمع الأحقب ، وهو حمار الوحش الذي في بطنه بياض أو الأبيض موضع الحقب .
القاموس (ح ق ب) .
(٤) السروت : القفر لا نبات فيه .
(٥) الآذَى : الموج .
(٦) الدفعا : قوة الموج ، أو السيل .
(٧) النوق : الملاح .

الأفغانية . وهى أيضا قرية من نواحي (بنجلده) ومن شعره^(١) :
أقول لشهر الصوم لما قضيته عليك سلام الله بوركّت راحلا
وقد كنتُ من سحبان أفصح لهجة فصير طبعي بإقلاؤك باقلا

عبدالرزاق الإندرابى :

والإمام عبدالرزاق بن محمد الأندرابى الذى كان من شعراء الوزير (نظام الملك الطوسى) يقول فيه (البخارى)^(٢) : (رأيت في المعسكر في طوس ، مُطَنَّباً في جوار الخيام النظامية ، منطويا في الخدمة على الإخلاص (كعادة الأفغان) مشرفا فيها بالاختصاص ، وأصغيت إلى كلامه في مجلس النظر ، فإذا هو ألد الخصام ، يتمسك من الجدل بعروة آمنة ، من الانقصاص (شأنه في ذلك شأن الأفغان) وله ميمية موسومة بمدح صاحب نظام الملك الطوسى^(٣) :

تأتى الأمور على النيات والهمم وان تَمَشَّتْ على الأقدار والقِسَم
والروحُ يصدر عن كيدٍ وعن تعبٍ والمملك يحرز بالصمصام والقلم

ومنها في المدح^(٤) :

لم يُجَرِّ لا قط في أثناء منطيقه كأنه مادرى لفظا سيوى نَعَم

أبو الحسن محمد الحسينى البلخى :

والسيد العالم شرف السادة أبو الحسن محمد بن عبيد الله الحسينى البلخى من الشعراء والعلماء ، والكتاب الذين كانوا يعيشون في هذا العصر والذين كانوا يجمعون بين الكتابة الفنية وفن الشعر ، كما كانوا يجمعون بين العصرين .. الغزنوى والسلجوقى فى أفغانستان . وشرف السادة البلخى سيد السادات ، وبحر العلماء ، وتاج الأشراف ، وهو فى الذروة العليا فى غرر الآداب ، والأنساب ، والشهرة فى البلاد والأمصار ، وفى العلوم والأدبية والإلهية ، كان له ديوان شعر رآه

(١) دمية القصر : ١٩٢/١ .

(٢) دمية القصر : ١٣٣/٢ طبعة القاهرة - دار الكتاب العربى .

(٣) دمية القصر : ١٣٣/٢ .

(٤) دمية القصر : ١٣٤/٢ .

(البخارزى) الذى لازمه عشرين سنة تلميذا له . وفى كتابه (دمية القصر) نماذج من أدبه نثره ونظمه من السلطانيات ، والغزليات ، والخمريات والفخریات والإخوانيات والاجتماعيات وقد مرت بنا رسالته التى خاطب بها القاضى منصور بن محمد المروى أيام السلطان مسعود الغزنوى ، وهناك قد عرفنا درجة كلامه من الجودة فى الإخوانيات . وهاك نموذجا من بيانه الساحر فى السلطانيات :

الرسالة السلطانية للحسينى البلخى فى فتح هرات :

كتب فى فتح (هرات) من السلطان (ألب أرسلان) كتابا إلى الرعايا بها ، قال^(١) :

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله مولى النعم من حمدها ، ومنزل النقم على من كندها^(٢) الكافل لشاركيها بالمزيد والثبات ، الخاذل لمستكرهها بالزوال والفوات ، الموالى بينهما لمن أحسن ولايتها ، والقاطع رعايته عن من أساء رعايتها الممتنع فى ظلها من ربتها بالعرفان ، المغيص بزلالها من غطها بالكفران ، يؤتيها من يشاء إذا أكرم جوارها ، وينزعها ممن يشاء إذا جهل أقدارها ، فله الحمد على توفيقه لحمده ، ثم على سائر نعيمه من بعده .

والحمد لله الذى بعث محمداً خاتم النبيين ، وأرسله رحمة للعالمين ، وهدانا به إلى توحيده ، وكنا فى الجاهلية الجهلاء ، وأرشدنا إلى تمجيده ، وكنا فى الفترة العمياء ، وعلمنا على لسانه فى محكم كتابه الاعتراف بِنِعْمِهِ ، والاحترار من نَقْمِهِ والارتباط بالشكر لمواهبه وقسيمه ، فصلوات الله على خيرته من خلقه ، وصفوته من بريته ، محمد عبده ورسوله ، وعلى آله وأصحابه .

والحمد لله الذى جعل الدولة القاهرة الجفرية^(٣) مخوفة بالإعزاز أينما توجهت راياتها ، ومكفوفة بالإعجاز أينما ثلثت آياتها ، ومنضورة بالرعب مسيرة شهر بل عام ، ومعتمدة للتظفر بمرام بعد مرام ، وإرغام للدول بعد إرغام ، قد أعلى

(١) دمية القصر : ١٨٢/٢ .

(٢) كند النعمة : كفرها .

(٣) الجفرية : نسبة إلى جفرى بك بن ميكائيل بن سلجوق .

الله كلمتها لتحجج بها على الغامطين لحقه ، القاسطين ^(١) في خلقه ، فيأتي بنيانهم من القواعد ، ويبيدهم بسيوف البوارق والرواعد .

فصل منه :

وعاود المتظلمون مجلسنا مستقرين ، وبارائنا وراياتنا مستنصرين ، فتصرفنا بعون الله وقوته في سائر أوليائنا ومواليها ، وخواصنا وحواشيها ، وانقضضنا على الخائن كالنجم الثاقب ، وأحطنا به من جميع الجوانب . وبدأنا مرة بعد أخرى بتذكيره أيام الله فيمن نقض عهده ، وتعدى حده ، وخالف أمره ، وأمن مكره ، فلم يزد دعائنا إلا فرارا ، واستقالتنا إلا إصرارا ، ومن غوايته إلا استكثارا ، إدلالا منه بوثاقه حصاره ، وتكاثف أنصاره ، فحاكمناه إلى الله تعالى ، وناصبناه الحرب صباحا ومساء ، وأسقيناه كؤوس الثكل بأعزته ملاء ولاء ، واتفق لنا عليه أكثر من عشرين وقعة تجلى منهم عن أسرى مكبلين ، وجرحى مجدلين ، وقتلى مزمّلين .

فصل منه :

وأما أرسالنا وهو النسر الواقع سيئا وكبراً ، والنحس الطالع غينا وأثرا ، فأئخنه بعض غلماننا في آخر وقعاتنا بطعنة مريجة ، احتملت بروحه إلى النار ، لجارة الكفار ، وبس عقبي الدار ، فسقط الخائن في يديه ، عند انشلام حديه وقشو الفشل في رجاله ، والنهب في أمواله ، فلم يَر بعد للمناجزة مجالاً ، وللمبارزة مساعاً ، وانجحر النجحارا ^(٢) ، أشبه فرارا ، وألزمه خزيا وعارا ، فلم تبد لنا صفحة غوايته إلى على السور كالنسور يليحون بالأسياف ، والحجف ^(٣) ويحامون بالأحجار والخزف ، ظنا خائبا منه بأن المصابرة والمطاوله يفضيان إلى العوائق المانعة من إرهاقه ، والحوادث المنفسة عن بخناقه .

فلما ألفت الشتوة جرائها ، ونثرت السحاب جُمائها ، وجرت العواصف أرادانها ، أوجب الرأي معاذ الراية العاليه إلى مقرها للإجماع وعقا منا للإجهاز على

(١) القاسطون : الظالمون . يشير إلى قوله تعالى : ﴿ قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد ﴾ سورة النحل : ٢٦ .

(٢) النجحر : دخل جحره .

(٣) الحجف : جمع الجحفه ، وهي الثرس من حلد نلا خشب .

الخائن والإتمام عليه ، فأقمنا بيوشنج ^(١) في خواص غلماننا ، وجرائد خيولنا وفرساننا ، ونصبنا على الخائن المسالح ^(٢) والمراصد ، وعسّرنا عليه المطالب والمقاصد ، وأخذنا عليه بأطراف الأرض وأقطار السماء ، وقطعنا عنه مواد المير والمراقق حتى الماء ، وهو مع ذلك يجاهد ويصابر ، ويباهت عقله ويكابر ، ويقاسم المسلمين في هزاة مساك أرماقهم ، وسداد إعوازمهم وإملاقهم ، وعلمنا نحن أن الخائن المليم لا يؤمن حتى العذاب الأليم .

هذه رسالة سلطانية من سلطانيات شرف السادة إلى الحسن محمد بن عبيدالله الحسيني البلخي وديوانياته التي تمثل النثر الفني الذي كان رائجا في العصور الغزنوية والسلجوقية والغورية في أفغانستان حق تمثيل ، وفي الحقيقة أن شرف السادة الحسيني البلخي كغيره من كتاب وأدباء عصره ، قد أغرم غراما كبيرا بالنثر الفني في أزهى عصوره ، وذلك إلى جانب غرامه بالشعر ، إذ له ديوان شعر رآه تلميذه (البخارزي) في دار العلم ببغداد ، وقد أخذ الكثيرون من الكتاب ، والأمراء والوزراء ينشغون الرسائل البديعة بنوعها الإخوانية والديوانية ذات طابع خاص تجوى فصولا ممتعة من الموضوعات المختلفة ، ولاشك أن عددا كبيرا من الأدباء والكتاب من أمثال شرف السادة البلخي قد تمثلوها بعد أن اقتنعوا بها ، فاتجه نشاطهم الأدبي والفني إلى فن النثر يظهرون فيه البراعة الفنية ، والإجادة اللغوية ، والمهارة الأدبية ، واهتموا بكتابة الرسائل الإخوانية والديوانية كما اهتموا بزخرفتها ، فكانت كلها أسجاع ومحسنات ، وألوان من البديع كأنها العرائس المجلوة ، وقد تفنن كاتبنا شرف السادة البلخي في رسالته الديوانية السلطانية هذه بإلباسها الأثواب الجميلة ، فطرزها بالدرر ، ووشاها بالحرير ، وربط بين أجزائها بخيوط التناسب ، وشدها بأسلاك التناسق ، وأجرى عملية الملازمة بين جملها بالتجانس والتطابق ، وزينها باستعادة من أخبار ، والنقاطة من آثار ، واختلاسة من أشعار ، وبلاغة من آداب ، وامتلاك لناحية البيان ، وتلاعب بالألفاظ ، وتلون في الأساليب ، وتنوع في الانتقال ، وتدرج في المعاني والأفكار ، هذا هو شأن شرف السادة البلخي في هذه الرسالة السلطانية الديوانية

(١) بوشنج : بلدة تزهة خصيبة في واد مشجر من نواحي هرات الأفغانية .

(٢) المسالح : هنا جمع المسلحة ، وهي المراقب أو موضع السلاح .

الرائعة روعة الآيات في الجمال والبيان . ولعل هذا الزخرف ، وذلك التلاعب بالألفاظ الذي غلب على شرف السادة محمد بن عبيدالله الحسيني البلخي وعلى غيره من كتاب ، وأدباء وشعراء عصره كان من تأثير البيئة التي عاشوا فيها متأثرين في ذلك بواجهات المناظر البديعة والأوضاع السياسية ، والعسكرية ، والاجتماعية التي كانت تحيط بهم في هذه الفترة من تاريخ أفغانستان الأدنى . وقد مر بنا نموذج من نماذج رسائله الإخوانية في تلك الرسالة التي كتبها إلى القاضي منصور في (هرات) الأفغانية .

النماذج الشعرية :

نتقل بعد ذلك إلى النماذج الشعرية التي تمثل هذا العصر الأدبي من العصور الأدبية في أفغانستان ، وأبدأ بتقديم نموذج شعري لشرف السادة أبوالحسن محمد ابن عبيدالله الحسيني البلخي لأنه من الشخصيات الأدبية والعلمية تجمع بين فن الكتابة والشعر ، وقد اخترت من شعره وهو كثير وجيد وممتاز ، هذا الشعر الغزلي لأن غزلياته الرقيقة تشتمل على المعاني الدقيقة .

شعر أبي الحسن محمد الحسيني البلخي :

قال السيد العالم شرف السادة أبوالحسن محمد بن عبيدالله الحسيني البلخي (١) :

لو كنت أعلم أن هَجْرَكَ دائم	لمنعتُ حبكُ أن يطور ^(٢) فؤادي
أو كنت أعلم أن نَوْعَكَ ^(٣) مخلف	لمنعتُ طيفكُ أن يزور وسادي ^(٤)
ولكنك أربح فيك فيضَ مدامي	وسلُّوا أحشائي وطيبَ رُقادي
لكن ظننتُ بأن وَجْدِي ربما	يُجِدِّي ويغنم فيك طولَ جهادي
ويجود لي حثُّ الجيادِ وكُدِّها	بالرِّي من غُلِّي وفرطِ جوادي ^(٥)
لربما أكدى وإن بلغَ المَدَى	حِذْقُ الطَّلُوبِ وخيلةُ المرادِ

(١) دمية القصر : وعصرة أهل العصر : ١٩٣/٢ طبعة القاهرة .

(٢) وفي قول آخر : (أن يطوف فؤادي) ويطور فؤاده : يقرب منه .

(٣) التَّوَهُ : النجم .

(٤) الوساد : الخدعة .

(٥) الجواد : العطش أو شدته .

وقوله :

عَادَ رُسْمُ الْكَلَاكِلَاتِ^(١) الطوال
ولقد تَبَتْ برهةً فبدا لى
إلقينا من مرسلات طول
حالكاتٍ كأنها العذب السـ
مُتَعَبَاتٍ من النسيم تراها
وإذا ما ظمئن أوردنَ رَفَهَا
فهى تسقى من ذوبهن سُلَافاً
أَسَدَ الْمِسْكِ طيبهن وأزرى
أَيَّاسَتْ ثم أطمعت حين لاحت
فَانْتَنَتْ صَبَوْتِي وَعَادَ نَحْبَالِ
حُسْنُهَا فِي إِطْرَافِهَا فَبَدَالِ^(٢)
أَسْلَمْتُنَا إِلَى لَيْالٍ طَوَالِ
وَدُّ أَنَاثُ عَلَى قُدُودِ الْعَوَالِ
أَبْدَا فِي بَدَالِ لَامٍ بَدَالِ^(٣)
بَرْدَاً مِنْ ضَوَاحِلِ كَاللَّالِ
قَدْ أُحِلَّتْ فَلَا يُفِيْقُ نَحَالِ
بِالْعَوَالِِي فَهَنْ غَيْرُ غَوَالِ
فِي سَوَادِ النَّوَى وَعَرِفَ الْوَصَالِ

شعر على بن محمد البرکردزى :

وشيوخ الدولة ثقة الحضرتين أبو الحسن على بن محمد بن عيسى
البرکردزى^(٤) شخصية أفغانية أخرى تجمع بين العلم والأدب والفن ، وهو إلى
جانب ذلك ذو لسانين يكتب بالدرية الأفغانية والعربية ، وكان الغالب عليه علم
الحساب ، كما قال فيه (الباخزرى)^(٥) :

لولا غَنَى الجبارِ عن خلقه لكان مستوفى يوم الحساب
أو كما قال الأديب البارع الزوزنى فيه ، وما أحسن ما قال^(٦) :

وقالوا إمام في الحساب مُقَدَّمُ فما باله يعصى بغير حساب

وكان (البرکردزى) سخياً كالبحر ، مشهوراً كالشمس ، جامعاً بين أدنى
البنان والبيان ، على طرفي القلم واللسان ، جامعاً بين الفنين الأفغانى والعربى ،
(١) الكلاكلات : جمع الكلاكلة ، وهى القصيرة الغليظة ، ولعل (الطوال) بعدها عطف بيان عليها ،
كأنه أراد القصار الطوال .

(٢) (بدا) الثانية من بدو الرأى ، أى خطوره على الدهن .

(٣) واللام مع الدال (لد) وبداهما (دل) من الدلال .

(٤) البرکردزى : البرکردزى .

(٥) دمية القصر وعصرة أهل العصر : ٢٢٧/٢ طبعة القاهرة .

(٦) دمية القصرة : ٢٢٧/٢ .

والأدبين الدرى والعربى ، وكتبه بالدريه بل والعربية مدونة فى الأوراق ، منقشة على الأحداق ، وله فيها فن لا يحيط به ظن ، وأسلوب من كافة أهل الصنعة مسلوب^(١) .

رأى شيخ الدولة البرکردزى الشيخ الفقيه الصميرى فى بعض الطرق أشعث أغبر ، مشوش العمامة ، طويل الأظفار ، مرقع الثياب ، لم ترأسانه سواكا ولا خللا ، حتى أدت به الحال من التقشف إلى الإفصاح والتكشف فقال شيخ الدولة^(٢) :

بنى الهدى وحق ذويه ساعى ما أريتك اليوم فيه
من تراخى العظام عند قيام وفتور^(٣) الكلام مع مايليه
تفت^(٤) المرء حين يقضى حلال وجمال يخفى أن يقتنيه
فاقضه لا عدمت وجهك تسلم من جلال يزرى بكل وجهه
وقد أحسن فى الاقتباس من كلام رب العالمين حيث يقول فى القرآن الكريم : ﴿ ثم ليقتضوا تفثهم ﴾^(٥) .

وقد كان يعيش شيخ الدولة (البرکردزى) فى أيام الوزير الخراسانى نظام الملك ، وفى أيامه مات ، بعد أن خلد اسمه وذكره فى الخالدين .
شعر على بن أبى طالب البلخى :

السيد الأجل أبو الحسن على بن أبى طالب البلخى نجم آخر من نجوم الأدب والفرن فى أفغانستان ، وغصن من أغصان دوحة الأدب العليا وزهرة من أزهار الروضة الغناء ، وهو ينتمى فى الأدب والنسب إلى شرف السادة أبو الحسن محمد ابن عبيد الله الحسينى البلخى ، لأنه عمه فى النسب ، وتلميذه فى الأدب ، وهذه القصيدة من أحسن شعره^(٦) الذى قاله فى الوزير الخراسانى نظام الملك :

(١) المرجع السابق .

(٢) دمية القصر : ٢٢٨/٢ .

(٣) الفتور : اللين والانكسار .

(٤) التفت : جاء فى غريب القرآن للسجستانى : (تفت : أى تنظيف من الروسخ ، وجاء فى التفسير أنه أخذ من الشارب والأظفار وتنف الإبطين وحلق العانة) .

(٥) سورة الحج آية كريمة رقم ٢٩ .

(٦) دمية القصر وعصرة أهل العصر : ٢٤٧/٢ طعة القاهرة .

أرقت وحجرى^(١) بالمدايع يشرق
ومازلت أحسى بالتبصر مهجة
خليل هلي لي بالعذبية^(٢) رجعة
وهل لي بأطراف الوصال تمسك
سقى مربع الميثاء ربعي بارقي
ويؤلسه وشياً من الخصب رائعا
بحيث الصبا فينان أخضر مورق
وكم قد مضى ليل على أبرق الجمي
تسرق في الهو أملس ناعما
وياحسن طيف قد تعرض موهنا
تنسمت رياه قبيل وروده
وقد نال أعناق النباهة من له
وزير غداً للملك حصنا ممنعا
يفوح إلينا من نسيم خصاله
أغر له في كل منبت شعرة
ويؤفد من سر الغيوب ذكاؤه
فلو فاخر السيف المصمم رأيه
ولو حل بالأرض الجديبة يمنه

وقلبي إلى شرقى رامة^(٣) شيق
يكر عليها بالصباة فيلق
وإن لم يعاودني الصبا المتأنق
وهل أنا من داء التفريق مُفرق
يشف^(٤) دماء المخل حين يُرثق^(٥)
إذا انهل من أرواقه فيه ريق
يغازلني والعيش صافٍ مُروق
مضىء ويوم بالشرق مُشرق^(٦)
وأطيب أنسي المرء ما يتسرق
وقلب الدجى من صولة الصبح يخفق
وما خلته يخنو على ويشفق
بخدمة مولانا الوزير تعلق
ومن رأيه للحصن سور وخندق
أريح كريح المسك بل هو أعقب
مساع إلى نيل الخامد سبق
كما السهم من جسم الرمية يَمُرُق
لعاد وحّد السيف خزيان مُطرق
اظلت بأنوار الربيع تفتق

شعر الأديب أبي بكر الخوشيري البخلي :

وللأديب أبي عبد الرحمن بن أبي بكر الخوشيري البلخي شعر جميل في
الصاحب نظام الملك^(٧) :

- (١) الحجر من العين : ما دار بها .
(٢) رامة : منزل بينه وبين (الرامة) ليلة في طريق البصرة إلى مكة .
(٣) العذبية : ماء بين ينبع والجار . والجار بلد على البحر قريب من المدينة .
(٤) يشفه : شفه : شربه كله .
(٥) يرثق : يركب .
(٦) المشرق : واد بين العذيب وعين شمس .
(٧) دمية القصر وعصرة أهل العصر : ٢٥٢/٢ طعة القاهرة .

قفا نبك من معسولة الثغر معهدا وقُلْ له مِنَا البكاءُ تعهدا
أظل عليه السحبُ تَلَطَّمُ خَدَه شَابِيئُهَا حتى غدا متخذدا
شعر أحمد بن إبراهيم الطالقاني :

وأبو نصر أحمد بن إبراهيم الطالقاني يمدح صاحب نظام الملك بقصيدة منها
هذه الأبيات الثلاثة (١) :

وخطوب بالوزارة من تناهى إليه المجد واجتمع الفُخَار
نظامُ الملِكِ ملكٍ أُمى شجاع وزيرٌ لا يُشَقُّ له غبار
لعضدِ الدولةِ الملِكِ المُقَدَّى على ماضى الملوكِ به افتخار
شعر القاضي نصر بن سيار الهروى :

وللقاضى أُمى الفتح نصر بن سيار الهروى شعر فى الوزير أُمى الفتح مسعود بن
محمد بن سهل وزير (بيغو) من قصيدة له (٢) :

للمحسنين نصيب من مدائحنا وللجسّانِ نصيب من قوافينا
نُظَرِي أباالفتح مسعودا وقد رُفِعَتْ فى كل وادٍ ونادٍ نارٍ مطرينا
وله فى وصف نار (السدق) (٣) :

رب ليلٍ كشعر ليلٍ سَوَاداً شقّ جلبابَها عن الأرضِ نار
وترى الأرضَ كالسّماءِ فكل قد تجلّى خلالها أنوار
بشّار كأنهن نجوم ونجوم كأنهن شرار
وله فى معناها (٤) :

وليلةٍ ساحتُنّى بها نوائبُ دهرى
يَدِمْنَا نُضِيعُ دُجَاهَا ما بين خمرٍ وخمر
فتلك ذائبُ خمرٍ وذاك جامدُ جمرٍ

(١) دمية القصر : ٢٥٨/٢ .

(٢) دمية القصر : ٢٧٤/٢ .

(٣) دمية القصر : ٢٧٦/٢ - ٢٧٧ .

(٤) دمية القصر : ٢٧٧/٢ .

وله في صفة النار أيضاً^(١) :

لها شرر مثل النجوم تطايرت فَمَرَّتْ دنانيراً وجاءت دراهما
قال البخارزى : كنت يوماً أطلع (ديوان شعره) وقد تنهى فيه إلى حد
الاستكثار تفننا في أوصاف النار ، فقلت في نفسي : عجباً لهذه الأوراق ، كيف
سلمت من الاحتراق ، وفي كل بيت منها بيت نار وإن لم يكن صاحبها عاقد
زُئارٍ .

التائج الأدبية :

ويمكننا أن نقوم باستنباط النتائج الأدبية الآتية من تلك النماذج الأدبية التي
قدمناها لتمثل أدب هذا العصر بنوعيه النظم والنثر ، وهذه النتائج الفنية ، والفكرية
واللغوية هي بإيجاز شديد :

- ١ - تسلط أسلوب أدب المقامات في الشعر والنثر ، وسيطرة طريقته الفنية في
عرض الأفكار ، وتصوير الأخيلة ، وتقديم المعاني ، والتلاعب بالألفاظ ،
والاهتمام بالسجع ، والبديع ، والعناية بالتأنق ، والإكثار من المحسنات .
- ٢ - تعانق الأدبين العربي والأفغاني ، وتبادل عملية التأثير والتأثر ، وتراحم
اللغات العربية والأفغانية ، وتداخل الأفكار الآرية والسامية ، ودخول
كلمات عربية في اللغات الأفغانية بحيث جعلتها تستثري بثروة لغوية هائلة .
- ٣ - اندفاع أدب الرسائل النثرية ليحتل الصدارة في الآداب العربية والقومية
الأفغانية بينما كانت الصدارة للشعر فيما مضى وتقدم على هذا العصر ، كان
المقام الأول للأدب المنظوم فلما جاء هذا العصر اندفع الأدب المنشور .
ليحتل مقامه ومكانه ، فزاد لذلك انتشار الرسائل بنوعها الديوانية
السلطانية ، والإخوانية الاجتماعية .
- ٤ - ظهور عدد كبير من الشعراء والكتاب والعلماء ذوي مهارات لغوية وأدبية
وفنية ، وكتابية كاملة ومتطورة ، هؤلاء جميعاً قالوا الشعر باللغات العربية
والأفغانية ، وكتبوا فيها كتبهم وألفوا فيها مؤلفاتهم نقلوا الأفكار الأفغانية

(١) دمية القصر : ٢٧٧/٢ .

إلى اللغة العربية ، كما نقلوا الأساليب البلاغية ، والصور الشكلية العربية إلى اللغات القومية الأفغانية ، وقد جرى ذلك في كل من الأدب المنظوم والمنثور نظما ونثرا .

٥ - حرية العقيدة كانت مضمونة ومكفولة للجميع رغم تمسك الملوك الغزنويين ، والسلاجقة والغوريين بالمذهب السني ، وكان لحرية العقيدة أثر كبير وقوي في الآداب والفنون لأن الحياة الاجتماعية مرتبطة ارتباطا قويا بالحياة الأدبية ، وبالحياة السياسية ، وقد انعكس ذلك في الأدبين المنظوم والمنثور ، فنرى الشاعر الطالقاني الأفغاني الذي مر ذكره قبل قليل يتغنى بالنار ، ويكثر من ذلك في ديوانه حتى نرى في كل بيت منه بيتا من النار ، وفي العصر الذي يعتبر من أشد العصور تعصبا للمذهب السني ، وإن كان قد بدأت هذه الحركة المجوسية وتقديسها منذ أيام بشار بن برد التخارى . وقد ظهر جليا صدق تردد التقاليد الدينية القديمة من المجوسية وعبادة النار في الإنتاج الأدبي في هذا العصر من تاريخ أفغانستان الأدبي .

٦ - حركة أدبية جديدة ظهرت في هذا العصر بنوع من الانفداع وهذه الحركة الأدبية هي انتشار الشعر نثرا ، وانتظام النثر شعرا ، إظهارا للبراعة الفنية والأدبية ، والتحكم من التلاعب في الأدب منظومه ، ومنثوره بالإضافة إلى رواج تعريب الأدب الأفغاني منظومه ومنثوره ، وتفنن الأدب العربى منظومه ومنثوره إظهارا للقدرة في اللغات ، وإظهارا للمهارة في الترجمة الغورية من إحدى اللغات إلى الأخرى .

٧ - استمرار الحركة الأدبية ، أو النهضة الأدبية في أفغانستان في الأيام التي استولى فيها السلاجقة على مناطق شاسعة منها . رغم مايعرف من هؤلاء السلاجقة من عدم ميولهم إلى الآداب لجهلهم باللغة العربية . وكانت المناظرات والمناقشات الأدبية والعلمية والثقافية تقام في مجالس الوزراء ولذلك نرى أكثر الشعراء يقدمون أكثر من مدائحهم إلى الوزراء دون الأمراء والسلاطين من البيت السلجوقي ، ونرى أكثر الوزراء يحتكرون أكثر الشعراء والعلماء ، والكتاب ليقوموا بما تقوم به اليوم الصحافة من نشر الخبر وغيره مما كان الوزراء في حاجة إلى نشره وإذاعته بين شعوبهم .

الأدب في ظلال الدولة الغورية^(١)

التمهيد :

الدولة الغورية هي السادسة من بين الدول الإقليمية المحلية التي نشأت في أفغانستان الخراسانية الآرية ، وتركت آثارها الحضارية والأدبية في كل من البلاد الأفغانية والبلاد الهندية على السواء .

الدولة الغورية دولة أفغانية عريقة في القدم ، وهي أصيلة في نسبها ونشأتها أفغانية خالصة ، وأفغانية حرة لم تتهم بالموالاة كما اتهم بذلك الغزنويون ، نشأت بقوتها من الشعب وللشعب ، لم تأت إلى الوجود كغيرها من الدول الأفغانية في ذلك الوقت بمساعدة الخلافة العباسية ، أو بمساعدة غيرها من الدول الإقليمية التابعة للخلافة الإسلامية ، فالدولة الطاهرية ، - مثلاً - وهي أول دولة أفغانية تأتت إلى الوجود في الأرض الأفغانية بعد الإسلام بموافقة الخلافة العباسية في بغداد ، وتستمر في الوجود وفي مباشرة السياسة بمساعدتها ، والدولة الأفغانية الثانية وهي الصفارية يقوم بتأسيسها قائد أفغانى مغامر وهو يعقوب بن الليث الصفارى ، ثم تأتت الدولة الثالثة وهي السامانية البلخية تحكم أفغانستان بمساعدة الخلافة العباسية ، وكذلك كانت الحال بالنسبة للدولة الغزنوية ، والدولة السلجوقية ، وإن كانت الأخيرة أكثر هذه الدول الإقليمية استقلالاً ، وقوة أما الدولة الغورية فإنها لعبت دورها الفعال في المجالات الأدبية والحضارية والسياسية بقوتها الذاتية ، وأصالتها القومية ، وعراقتها التاريخية .

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، الأجزاء والمواضيع المختلفة ، وعتيق الله بجواك : غوريان ، مواضيع وصفحات مختلفة ، ونظامى عروضى السمرقندى : جهاز مقالة ، مواضيع وصفحات مختلفة ، الترجمة العربية ، طبعة القاهرة سنة ١٣٦٨ هـ = ١٩٤٩ م ، ومنهاج الدين الجوزجاني : طبقات ناصرى ، مواضيع مختلفة ، ويوهاند عبدالحى حبيبي : تاريخ أفغانستان بعد از اسلام ١ / صفحات ومواضيع مختلفة ، وسيد بهادر شاه ظفر كاك خيل : پښتانه د تاريخ په رڼاكى ، صفحات ومواضيع مختلفة ، طبعة پشاور . وص ٥٠ من هذا الكتاب .

بلاد الغور سلسلة من الجبال الصعبة المرور ، تتكون من الجزء الغربى من جبال (هندوكش) الشهيرة ، وتقع فى الجزء الغربى من الأراضى الأفغانية بين كل من (هرات) و (فراه) و (قندهار) و (هزاره) وبما أن المنطقة جبلية شديدة يظهر أثرها فى أبناء الدولة الغورية ، ولغتهم وآدابهم ، وحياتهم الاجتماعية والسياسية ، والعسكرية ، حافظوا على استقلالهم السياسى ، والأدى ، والحضارى والعسكرى على مدى التاريخ الأفغانى باستثناء العصر الغزنوى الذى تزعزع فيه استقلال الدولة الغورية الأفغانية العريقة ، وحريتها السياسية - أما الاستقلال الأدى فقد ظل حرا حتى فى هذا العصر .

الغوريون :

الغوريون قوم من الأفغان عاشوا ويعيشون فى أفغانستان منذ العصور القديمة ، أما القبائل الأربع التى كانت تعيش فى بلاد الغور الأفغانية فى العصور الإسلامية الأولى هى :

- ١ - القبيلة السورية^(١) ... أو الأسرة السورية .
- ٢ - القبيلة التايمنية ... أو الأسرة التايمنية .
- ٣ - القبيلة الجمشيدية ... أو الأسرة الجمشيدية .
- ٤ - القبيلة الفيروزكوهية^(٢) ... أو الأسرة الفيروزكوهية^(٣) .

وكانت الأسرة المالكة أو الحاكمة من قبيلة (السورية) وقد ضبط المؤرخون هذه الكلمة (السورية) بالزورية ، فالسورى يسناوى الزورى . وأول زعيم فى هذه الأسرة فى العصر الإسلامى الأول هو الزعيم الغورى السورى (شنسب = SHANSAB) الذى تولى زعامة الأسرة وإليه تنسب الأسرة الغورية السورية الملكية الحاكمة نصيرة الآداب والعلوم ، والتى امتد نفوذها فى العصور :

(١) بالنسبة للحصول على مزيد من المعلومات حول كلمة (سور) راجع ص : ٥٠ من هذا الكتاب .
 (٢) سيد بهادر شاه ظفر كاك خيل - پنجتانه د . تاريخ به رناكى ص ٣٦٧ .
 (٣) و (فيروزكوه = جبل فيروز) اسم مدينة أيضا وكانت إحدى العواصم الهامة للغوريين . واسم حصن حصين أيضا قام ببنائه قطب الدين محمد المعروف بملك الجبال . غوريان - عتيق الله بجواك - ص ١٠ .

القديمة إلى عصر ما قبل الإسلام ، وفي العصور الإسلامية إلى البلاد الهندية ، ولا تزال آثارها العظيمة الخالدة باقية في الديار الأفغانية والهندية شاهدة على عظمة حضارتهم الخالدة ، وآدابهم ، وحياتهم الاجتماعية والسياسية في مختلف العصور . في كل من أفغانستان والهند^(١) ، يقول منهاج الدين عثمان بن سراج الدين الجوزجاني مؤرخ البلاط الغوري السورى : إن الأمير والزعيم (شنسب) هذا هو الذى سافر إلى الكوفة ، وقابل هناك الخليفة الإسلامى الرابع على بن أبى طالب وأسلم على يديه فاعترف له الخليفة الرابع بإمارة بلاد (الغور)^(٢) ونحن نعرف بأن (عليا) رضى الله عنه كان خليفة للمسلمين بين سنة ٣٥ - ٤٠ هـ وبناء عليه يمكن القول بأن الأمير (شنسب) هذا كان حاكماً في بلاد الغور الأفغانية في النصف الأول من القرن الأول الهجرى . ولكننا لا نعرف بالتحديد المدة التى بقى فيها الأمير (شنسب) فى الحكم .

وفي أيام الزعيم أبى مسلم الخراسانى كان على رأس هذه الأسرة الحاكمة في البلاد الغورية الأمير (فولاد = يولاد) الغورى السورى الزورى^(٣) ثم تولى الأمير (كرور) الشهير باسم (جهان بهلوان)^(٤) شئون الإمارة في بلاد الغور في سنة ١٣٩ هـ = ٧٥٦ م ، وكان هو الآخر من أعظم أنصار حركة الزعيم أبى مسلم الخراسانى ، وفي سنة ١٥٤ هـ = ٧٧٠ م تولى ابنه الأمير ناصر شئون البلاد

(١) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ٣٧٧ - ٣٧٩ الترجمة العربية ، طبعة بيروت ، والدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ١٦٣/٤ - ١٧٧ طبعة القاهرة ١٩٦٧ م ، ونظامى عروضى السمرقندى : جهاز مقالة ، الترجمة العربية مواضيع وصفحات مختلفة ، طبعة القاهرة ١٣٦٨ هـ = ١٩٤٩ م ، وعتيق الله بجواك : غوريان ، مواضيع مختلفة ، ويوهاند عبدالحى حبيبي : تاريخ أفغانستان بعد از اسلام ١/ مواضيع وصفحات مختلفة .

(٢) الجوزجاني : طبقات ناصرى ٣١٨/١ - ٣٢٤ طبعة كابل سنة ١٣٤٢ هـ ش = ١٩٦٣ م ، ونظامى عروضى السمرقندى : جهاز مقالة ٩٤ الترجمة العربية .

(٣) منهاج الدين عثمان بن سراج الدين الجوزجاني - طبقات ناصرى ٣٢٤/١ - طبعة كابل وأفغانستان بعد از اسلام ١٣٧/١ .

(٤) محمد هوتك بن داود - پته خزانه ص ٣٠ طبعة ثانية كابل سنة ١٣٣٩ هـ = ١٩٦٠ م ويوهاند عبدالحى حبيبي - دپشتو أدبياتو تاريخ ٧٨/٢ طبعة ثالثة كابل سنة ١٣٤٢ هـ ش .

الغورية^(١) . وفي أيام هارون الرشيد كان الأمير (بنجي نهاران)^(٢) يتولى شئون البلاد الغورية ، وقد أقره هارون الرشيد على ذلك . ومن المشهورين من سلاطين وأمراء ، وزعماء هذه الأسرة وهذه الدولة الغورية الأمير . (سورى) الذى يقول بعض المؤرخين إنه من أحفاد الأمير (بنجي نهاران) وكان الأمير (سورى) هذا معاصرا للدولة الصفارية فى (سيستان) الأفغانية^(٣) .

إن تاريخ ملوك الغور فى بلاد الغور يمتد مع التاريخ الأفغانى إلى آلاف من السنين قبل الإسلام ، ولعل قصة تاريخ معبد (الزور = الزون) تبدأ من تاريخ هؤلاء الملوك الغوريين نظرا للصلات التاريخية ، واللغوية والأدبية بين كلمات : الزور والزون ، والسون ، والسور ، والغور تلك الكلمات الرنانة التى قد لعبت دورها الأدبى والدينى فى مختلف العصور من التاريخ الأفغانى ، وهى لاتزال حية تستخدم فى مختلف المجالات التاريخية والأدبية والجغرافية فى البلاد الأفغانية ، وهذه باختصار ملوك السور فى الغور وخارجها :

ماهويه السورى :

وهو أقدم حاكم من هذه الأسرة وقد تحدث عنه المؤرخون العرب ، وقد مرت قصته فى هذا الكتاب^(٤) . وكان يعيش فى حدود سنة ٣٤ هـ = ٦٥٤ م تقريبا . وكان له ثلاثة أولاد منهم (براز) الذى جاء ذكره فى الطبرى^(٥) ووفقا لما جاء فى كتاب (الشاهنامه) للفردوسى فإنه قد قتل مع أولاده الثلاثة وبقي بعدهم أحد شخصيات بلاط (مرو) وهو (جراز = كراز) وقد قتل هو الآخر مع قاتل (ماهويه السورى) وأولاده الثلاثة وهذه الرواية الأسطورية التى رواها صاحب الشاهنامه لا تتفق مع الروايات التاريخية الأخرى التى تثبت بقاء (ماهويه السورى) حيا إلى عصر الخليفة الرابع على بن أبى طالب (رضى الله عنه)^(٦) .

(١) يوهاند عبدالحى حبيبي : تاريخ أفغانستان بعد از اسلام ١٣٧/١ طبعة كابل سنة ١٣٤٥ هـ ش =

١٩٦٦ م ، وعتيق الله بھوك : غوريان ، مواضيع مختلفة ، طبعة كابل سنة ١٣٤٥ هـ ش .

(٢) منهاج الدين عثمان بن سراج الدين الجوزجاني - طبقات ناصري ٣٢٤/١ طبعة كابل .

(٣) سيد بهادر شاه - پختانه د. تاريخ په رنكي ص ٣٧٥ - طبعة پشاور .

(٤) راجع ص : ٥١ - ٥٢ من هذا الكتاب ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام ١٢٨/١ .

(٥) الطبرى : ٣٤٤/٣ .

(٦) راجع هذا الكتاب ص ٥١ - ٥٢ من هذا الكتاب .

سور وسام :

(سور) ملك آخر من ملوك هذه الأسرة السورية الغورية ، وكان شقيقه (سام) قائدا عاما لجيوشه المحاربة ، وكان أسلافهما يحكمون (منديش) في بلاد الغور قبل الإسلام بقرون^(١) . ويقول المؤرخ الغوري منهاج الدين عثمان بن سراج الدين الجوزجاني : بأنهما كانا من إخوة (الضحاك) الأسطوري الذي جاء ذكره في الآداب (البشتونية = البيختونية) الأفغانية باسم (سهاك)^(٢) .

بسطام بن مهشاد^(٣) :

ملك آخر من ملوك هذه الأسرة الغورية السورية الأفغانية التاريخية وكان يحكم في تلك الأيام مناطق جبال (شغنان) و (باميان) و (طخارستان) .

هؤلاء الملوك الأقوياء ، وغيرهم من أمراء وملوك هذه الأسرة الجبلية القوية التي لعبت دورا هاما في مختلف العصور التاريخية الأفغانية قبل الإسلام وبعده ينتمون إلى هذه الأسرة ، ولكنني لم أستطع إثبات نوعية صلة القرابة بينهم كل ما ثبت من المصادر التاريخية بأنهم من هذه الأسرة الغورية السورية ، ويمكن القول بأن أمراء هذه الأسرة كانوا يقومون بإدارة البلاد مقسمة بينهم ، فبينما كان (ماهويه السوري)^(٤) يحكم أجزاء من البلاد الأفغانية من (مرو) كان الأمير (سور) يحكم أجزاء أخرى من البلاد الأفغانية من (منديش) الغور ، ويعاونه في ذلك شقيقه الأمير (سام) وكان أمير آخر من أمراء هذه الأسرة وهو (بسطام بن مهشاد) يقوم بإدارة أجزاء أخرى من البلاد ، وهي : (شغنان) و (باميان) و (طخارستان) .

-
- (١) تاريخ أفغانستان بعد از اسلام ١٣١/١ طبعة كابل سنة ١٣٤٥ هـ ش = ١٩٦٦ م .
(٢) تاريخ أفغانستان بعد از اسلام ١٢٨/١ ، ومحمد هوتك بن داود : يته خزانة ٢٢٤ ، طبعة ثانية ، كابل ١٣٣٩ هـ ش = ١٩٦٠ م .
(٣) آريانا دائرة المعارف ١٠/٣ طبعة كابل سنة ١٣٣٥ هـ ش ١٩٥٦ م .
(٤) پوهاند عبدالحى حبيبي - تاريخ أفغانستان بعد از اسلام ١٢٧/١ - ١٣٧ ، كابل سنة ١٣٤٥ هـ = ١٩٦٦ م . وعتيق الله بچواك غوريان ص ١٠١ طبعة كابل سنة ١٣٤٥ هـ . ش .

شنسب بن خرنسك :

وقد أسلم على يدى على بن أبى طالب (رضى الله عنه) بعد أن سافر إلى الكوفة لهذا الغرض ، وقد استمرت الولاية والإمارة في هذه الأسرة التي اشتهرت فيما بعد باسم (الأسرة الشنسية) نسبة إلى (شنسب) هذا وكان يحكم البلاد الغورية في حوالى عام ٣٦ هـ = ٦٥٦ م ، وكان يعاصره في (مرو) بخراسان الملك السورى الغورى (ماهويه السورى) الذى تحدثنا عنه قبل قليل . ولعل كلا الأمرين من الأسرة السورية في كل من (مرو) و (بلاد الغور) قد وصلا إلى حضرة على بن أبى طالب (رضى الله عنه) وأسلما على يدية المباركتين^(١) .

فولاد = بولاد :

وهو من أحفاد الأمير (شنسب) ومن أنصار الزعيم أبى مسلم الخراساني^(٢) .

كروور جهان بهلوان :

هو ابن الأمير (فولاد) السورى الغورى ، وقد تولى الحكم بعد أبيه سنة ١٣٩ هـ = ٧٥٦ م . وكان من أنصار الزعيم أبى مسلم الخراساني ، وله في ذلك قصيدة حماسية رائعة^(٣) . وكان من الملوك الأفغان الذين يجمعون بين السيف والقلم . وقد استشهد في حروب (فوشنج) سنة ١٥٤ هـ = ٧٧٠ م^(٤) ، وكان حاكما عادلا^(٥) .

(١) سيد بهادر شاه - پختانه د. تاريخ په رناكى ص ٣٧٠ طبعه پشاور . وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام ١٣٢/١ طبعه كابل سنة ١٣٤٥ هـ ش ومنهاج الدين عثمان بن سراج الدين الجوزجاني - طبقات ناصه ٣١٨/٢ ومابعدها . طبعه كابل سنة ١٣٤٣ هـ = ١٩٦٣ م .

(٢) راجع ص ١٩٦ من هذا الكتاب . ومحمد هوتك بن داود - پته خزانه ص ٢٢٤ طبعه ثانية سنة ٣٣٩ هـ ش = ١٩٦٠ م كابل .

(٣) محمد هوتك بن داود - پته خزانه ص ٣٠ طبعه ثانية .

(٤) المصدر السابق .

(٥) راجع ص ١٩٦ من هذا الكتاب ، وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام ١٣٢/١ .

ناصر بن كرور :

تولى الحكم فى سنة ١٥٤ هـ = ٧٧٠ م وكان يحكم مناطق (الغور) و (بست) و (زمينداور) من المناطق الهامة فى أفغانستان الحالية . وكان مثل آيه شجاعا محاربا ، وسياسيا ممتازا^(١) .

بنجى بن نهاران الشنسى :

هو ملك عظيم من ملوك الأسرة الغورية السورية وصل إلى الحكم فى عصر الخليفة هارون الرشيد ، وكان وسيما رشيقا متصفا بالأوصاف الحميدة ، ولقب بقسيم أمير المؤمنين^(٢) ، وقد استمر ودام هذا اللقب فى ملوك أسرته إلى العصر الذى ظهر فيه المغول ، وكان يحكم البلاد فى حوالى سنة ١٧٠ هـ = ٧٨٦ م .

سنورى بن محمد :

ملك عظيم من ملوك الغور ، وزعيم من زعماء الأسرة الغورية السورية وصل إلى الحكم فى بلاد الغور فى حوالى سنة ٢٥٣ هـ = ٩٦٧ م وكان معاصرا لقيام الدولة الصفارية فى (سيستان) الأفغانية . وكان بينه وبين بعض القبائل الغورية التى لم تدخل الإسلام بعد خضومات وحروب^(٣) .

محمد سورى :

الأمير محمد السورى هذا كان معاصرا للأمير (سيكتكين) وابنه السلطان الزابلى محمود الغزنوى ، ولم تتمكن الدولة الصفارية من إخضاع الدولة الغورية ، وكذلك باءت بالفشل جميع المحاولات التى قامت بها الدولة السامانية لإخضاع الدولة الغورية ، وكان الإسلام لم ينتشر بعد فى جميع أنحاء البلاد الغورية ، وكانت الحروب تقوم بين المسلمين وغير المسلمين من القبائل الغورية ، وكان الحكم

(١) راجع تاريخ أفغانستان بعد از اسلام ١٣٦/١ طبعة كابل .

(٢) منهاج الدين عثمان بن سراج الدين الجوزجاني - طبقات ناصرى ٣٢٤/١ .

(٣) منهاج الدين عثمان بن سراج الدين الجوزجاني - طبقات ناصرى ٣٢٧/١ طبعة كابل ، وسيد بهادر

شاه - پختانه د تاريخ په رنكې ص ٣٧٥ طعة پشاور سنة ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٥ م .

الوحيد ، والفصيل القاطع هو السيف والقوة والغلبة في تلك الحروب . ويظهر أن حروب الدولة الصفارية ، والسامانية الاستيلائية ضد الدولة الغورية كانت تقوم باسم الإسلام ، وباسم الإسلام أيضا قام الأمير (سبكتكين) بهجوم على البلاد الغورية في عصر الأمير محمد السورى الغورى ، إلا أنه لم يستطع الاستيلاء على تلك البلاد الغورية ، وقد حاول السلطان الزابلى محمود الغزنوى الاستيلاء عليها ، والقضاء على الشوكة الغورية التاريخية ، فهاجمها هجوما مباغتاً بجيش عظيم ، ولم يتمكن - مع هذا - من الاستيلاء على البلاد الغورية إلا بالخداع ، ولم تسكن نار الحرب بين الغزنويين والغوريين إلا بعد القضاء على الغزنويين بأيدي الغوريين .

لم أتمكن من تحديد تاريخ جلوس الأمير محمد السورى على العرش ، ونحن نعرف بأن الدولة الغورية قد هاجمها الغزنويون مرتين ... مرة في أيام (سبكتكين) ومرة أخرى في عصر ابنه محمود الغزنوى ، فشلت الحملة الأولى بينما نجحت الثانية ولو بالخداع الحزى ، وموقتا . وكانت الحملة الثانية في سنة ٤٠٥ هـ = ١٠١٤ م كما يقول منهاج الدين عثمان بن سراج الدين الجوزجاني ، أوفى سنة ٤٠١ هـ = ١٠١٠ م^(١) كما يقول ابن الأثير ، وبما أنه من الثابت تاريخيا بأن سبكتكين قد هاجم البلاد الغورية في أيام الأمير محمد السورى ، فمن المحتمل أن يكون قد وصل إلى الحكم بعد سنة ٣٦٧ هـ = ٩٧٧ م . وقد مات الأمير محمد السورى أسيرا في يد السلطان الزابلى محمود الغزنوى متأثرا بالهزيمة ، أو مسموما بتناول السم^(٢) وللشاعر الأفغانى الشيخ أسعد بن محمد السورى قصيدة رائعة رثى فيها الأمير محمد السورى رثاء مريرا مخزنا ، والشيخ أسعد السورى من شعراء البلاط الغورى وكان من أصدقاء الأمير محمد السورى الغورى^(٣) وقد بكى على وفاته بكاء مرا وحارا في تلك القصيدة التى أنشدتها

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٢٥٣/٧ ، طبع بيروت سنة ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

(٢) راجع قصة الحرب بين السلطانين الأفغانين الأمير محمد الغورى والأمير محمود الغزنوى ، وقصة وفاة الأمير محمد الغورى في المراجع الآتية :

على بن أحمد بن الأثير : الكامل في التاريخ ٩١/٩ . ومنهاج الدين عثمان بن سراج الدين الجوزجاني - طبقات ناصرى ٣٢٩/١ طبعة كابل . ومحمد هوتك بن داود - پته خزانة ص ٣٨ ، ٢٣٦ طبعة ثانية . وسيد بهادر شاه بختانه د . تاريخ پته رناكى ص ٣٧٥ - ٣٧٨ طبعة پشاور .

(٣) محمد هوتك بن داود - پته خزانة ص ٤٠ طبعة ثانية كابل سنة ١٣٣٩ هـ ش = ١٩٦٠ م .

باللغة الأفغانية البختونية^(١) .

ثلاث نظريات في وفاته :

١ - وفاته متأثراً بالهزيمة المنكرة التى منى بها فى القتال الذى دار بينه وبين

الغزنويين ، إذ كانت المعركة فاصلة وخاصة بالنسبة لمستقبل الغوريين السياسى . ومن أنصار هذه النظرية محمد هوتك بن داود فى كتابه المشهور (پته خزانه = الكنز المكنون) .

٢ - النظرية الثانية تقول : إنه انتحر بتناول السم الذى كان قد أخفاه فى خاتمه تخلصاً من عار الأسر الذى وقع فيه على يد العدو الغزنوى ، ومن أنصار هذه النظرية على بن أحمد بن الأثير فى كتابه (الكامل فى التاريخ) .

٣ - النظرية الثالثة تقول : إنه قتل أثناء الحرب . وهى من أضعف النظريات ومن أنصارها حمد الله مستوفى .

والنظرية الرابعة وهى نظريتى الخاصة : أقول فيها إنه قتل مسموما ولم ينتحر أبدا لعدم انتشار هذه العادة فى الديار الأفغانية ، وقد لجأ السلطان الزابلى محمود الغزنوى إلى هذه الحيلة لغرضين رئيسيين الأول : الخلاص من العدو اللدود الذى فشل أبوه فى إخضاعه . والثانى إخفاء عملية قتله خوفاً من إثارة الفتن ، وحفاظاً على سمعته الإسلامية .

أبو على السورى :

تولى إمارة الغور بعد قتل أبيه بموافقة الغزنويين ، وكان أميراً ورعاً يهتم بشئون الرعية مسيطراً عليه حبه للناس ، وعاش وفياً لغزنة ، وقد قتله ابن أخيه عباس بن شيس السورى فى أيام السلطان مسعود الغزنوى^(٢) .

(١) پوهاند عبدالحى حبيبي : لغة البشتو ٢١ طبع القاهرة ، ومحمد أمان صافي : المراكز الأدبية فى أفغانستان ٥٩ وما بعدها (لم يطبع بعد) .

(٢) سيد بهادر شاه - پختانه د . تاريخ په رنكلى ص ٣٧٨ طبعة پشاور سنة ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٥ م .

عباس بن شيس السورى :

قام بقتل أبى على السورى الغورى ليتولى أمر البلاد الغورية الأفغانية بعد أن اشتدت أحداث السلاجقة ، وخفت شوكة الغزنويين السياسية والعسكرية بوفاة السلطان الغزنوى محمود الزابلى . وكان معاصرا للسلطان إبراهيم بن مسعود الغزنوى ، وكان تواقا للخلاص من النفوذ الغزنوى ، وكان ينتظر اليوم الذى يقابل فيه السلطان إبراهيم الغزنوى ليتخلص من نفوذه وسيطرته السياسية المفروضة عليه . وبما أنه كان من الحكام المستبدين وكان الزعماء الغوريون ينصبونه العدواة لذلك . وعندما هاجم إبراهيم الغزنوى البلاد الغورية بإيعاز من هؤلاء الزعماء قاموا بإلقاء القبض عليه ، وتسليمه إلى إبراهيم الغزنوى ليموت فى سجن (غزنة)^(١) .

كان عباس بن شيس السورى عالما من علماء النجوم والفلك ، وكان قد بنى لنفسه قصرا ذا بروج بعدد بروج السماء لتظهر الشمس فى البرج الذى تدخل فيه من بروج السماء^(٢) .

محمد بن عباس السورى^(٣) :

تولى الحكم من قبل الغزنويين بعد أبيه ، وقد كان حاكما عادلا على عكس أبيه ، محبا للعدل والإنصاف ، والأمن والاستقرار ، وكانت الأحوال فى بلاد الغور فى أيامه مستقرة هادئة مطمئنة^(٤) .

قطب الدين حسن بن محمد السورى :

تولى الحكم بعد أبيه محمد ، فى أيامه اشتدت حوادث السلاجقة ، وزاد نفوذهم ، وكان هو نفسه يميل إلى السلاجقة للتخلص من النفوذ الغزنوى السياسى الذى كان مسيطرا على الدولة الغورية من أيام السلطان الزابلى محمود الغزنوى ،

(١) عتيق الله بچواك - غوريان ص ١١٧ طبعة كابل سنة ١٣٤٥ هـ ش .

(٢) سيد بهادر شاه - بختانه د تاريخ به رناكى ص ٣٧٨ - ٣٧٩ .

(٣) آريانا دائرة المعارف ٣١٠/٣ طبعة كابل سنة ١٣٣٥ هـ = ١٩٥٦ م .

(٤) منهاج الدين عثمان بن سراج الدين الحيزجاني - طبقات ناصرى ٣٣٢/١ .

ولكنه مات في إحدى الحروب الداخلية بين القبائل الغورية قبل أن يتمكن من طرد النفوذ الغزنوي من البلاد الغورية . وهو جد سلاطين الغور العظماء ، وكان سلطانا عادلا ورشيقا وسيما مشفقاً على الرعية^(١) . وقد قتل في حرب (تكاب)^(٢) .

عز الدين الحسين بن قطب الدين السورى^(٣) :

تولى الحكم بعد قتل أبيه ، كان سياسيا ماهرا ، وحاكما مدبرا وسلطانا عادلا ، قام بتحسين العلاقات بين الدولتين السلجوقية في الغرب الأفغانى والغزنوية في الشرق الأفغانى ، وقد استفاد من الخلافات والمناوشات السياسية ، والعسكرية بين الدولة الغزنوية والسلجوقية في سبيل تقوية موقف البلاد الغورية ، وفي خلال هذه الأحوال المضطربة تمكن من إعداد الدولة الغورية إعدادا سياسيا ، وعسكريا وكان الملك السلجوقى (سنجر) يشجع ويؤيد هذه السياسة التى اتبعها عز الدين الحسين بن قطب الدين اعتقادا منه بأنها ضد الدولة الغزنوية .

كان السلطان الغورى هذا متصفا بجميع الأوصاف المختارة ، تقدمت البلاد في أيامه وتطورت ، واستتب الأمن ، وازدهر بلاطه بالعلم ، والعلماء والأدب والأدباء ، والزهد والزهاد^(٤) .

أبناء عز الدين الحسين بن قطب الدين السورى السبعة :

وكان له سبعة أبناء اشتهروا في الآفاق^(٥) في ميادين السياسة والعسكرية ، والعلوم والآداب :

- ١ - شعجاع الدين على : كان أميرا من الأمراء الغوريين المشهورين .
- ٢ - فخر الدين مسعود : لم يوافق أول الأمر على تولية غياث الدين بن بهاء الدين

(١) طبقات ناصرى ٣٣٣/١ طبعة كابل سنة ١٣٤٢ هـ ش = ١٩٦٣ م .
(٢) الجوزجاني : طبقات ناصرى ٣٣٣/١ ، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ١٦٤/٤ .
(٣) الجوزجاني : طبقات ناصرى ٣٣٤/١ ، طبعة كابل ، والدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ١٦٥/٤ ، طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧ .
(٤) منهاج الدين عثمان بن سراج الدين الجوزجاني - طبقات ناصرى ٣٣٤/١ .
(٥) المصدر نفسه .

سام عرش البلاد الغورية . وحاول المهجوم عليه بالاتفاق مع حاكمى كل من (بلخ) و (هرات) إلا أنه تراجع عن هذا الإقدام ووافق أخيراً على تولية غياث الدين ملكا على البلاد الغورية .

٣ - قطب الدين محمد^(١) (ملك الجبال) : الذى التجأ إلى السلطان الغزنوى (بهرامشاه) وتزوج ابنته ، ثم قتل مسموما ، فكان سبب الكوارث بين الغوريين والغزنويين .

٤ - سيف الدين السورى^(٢) : تولى الحكم بعد أبيه ، وهاجم (غزنة) فقتله (بهرامشاه) الغزنوى مع وزيره (سيد مجدد الدين) .

٥ - علاء الدين حسين : انتقم لشقيقه السابق الذكر ، وأحرق مدينة (غزنة) ومن هنا اشتهر بلقب (جهان سوز = محرق العالم)^(٣) .

٦ - شهاب الدين محمد : ساعد شقيقه غياث الدين فى إدارة البلاد والعمليات البطهرية داخل البلاد ، وقام بفتوحات جديدة فى البلاد الهندية .

٧ - بهاء الدين سام : حاول الانتقام من الغزنويين ولكنه مات فى الطريق قبل الوصول إلى (غزنة) .

وقد مات عز الدين الحسين فى حوالى سنة ٥٤٣ هـ = ١١٤٨ م .

وقد وصل عدد من أبناء عز الدين الحسين بن قطب الدين السورى إلى الحكم فى البلاد الغورية ، وفى المستعمرات الغورية على الترتيب الآتى :

سيف الدين السورى :

مات عز الدين الحسين ، وتولى ابنه سيف الدين السورى حكم البلاد

(١) الدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ١٦٤/٤ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧ م .
(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ١١/١١ - ١٢ ، ٦٦ - ٦٧ ، والدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ١٦٤/٤ ، طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧ م .
(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ١١/٦٦ - ٦٧ ، والدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ١٦٤/٤ ، طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧ م ، ونظامى عروضى السمرقندى : جهاز مقاله ٣٦ - ٣٧ الترجمة العربية .

الغورية ، فقام بتوزيع إخوانه حكاما على مختلف المناطق والأقاليم في الدولة الغورية ، ولأسباب عائلية اختلف قطب الدين محمد ملك الجبال مع إخوته فذهب إلى (غزنة) واتصل بالسلطان الغزنوى (بهرامشاه) وتزوج ابنته إلا أن السلطان الغزنوى سرعان ما خاف منه ، واختلف معه فقتله مسموما ، ووصل خبر قتله إلى إخوته في بلاد الغور ، فعزم الملك الغورى سيف الدين السورى على الانتقام منه^(١) ، وتوجه إلى (غزنة) ولم يستطع السلطان (بهرامشاه) الوقوف أمامه فهرب ، وترك (غزنة) لسيف الدين السورى وكان (بهرامشاه) على اتصال بأمراء (غزنة) وزعمائها ، فانفقوا على الهجوم المباغت على سيف الدين السورى الغورى في (غزنة) وفي هذا الهجوم المفاجئ المباغت ، والحرب المفجائية وقع سيف الدين السورى أسيرا ، وعومل معاملة ذنيئة غير إنسانية ، مثلوا به بخلع عينيه أولا ، ثم قتل شر قتله ، هو ووزيره مجدد الدين . علم بذلك إخوته في الغور فتحرك (بهاء الدين سام) للانتقام لأخيه المقتول من السلطان الغزنوى (بهرامشاه) على رأس حملة غورية هائلة عظيمة إلا أنه مات في الطريق ، ولم يتمكن من وصول مدينة (غزنة) وترك وصية الانتقام لأخيه علاء الدين حسين ليقوم بتنفيذها .

علاء الدين الحسين^(٢) :

تولى الحكم سنة ٥٤٣ هـ = ١١٤٨ م ، ومات سنة ٥٥١ هـ = ١١٥٦ م وقد قام أيام حكمه في (الغور) بتنفيذ وصية أخيه الانتقامية ، فتوجه على رأس حملة غورية انتقامية إلى مدينة (غزنة) والغضب يتطاير من عينيه الأسديتين ، وقد حاول السلطان (بهرامشاه) الصلح معه ، ولكنه لم ينجح في هذه المحاولة فقام بإشعال النار في (غزنة) لمدة سبعة أيام ، حتى أتت على كل شيء فيها فأحرقها عن آخرها ، كما قام بهدم قبور الغزنويين وتدميرها باستثناء قبور السلاطين : محمود ، ومسعود ، وإبراهيم^(٣) . وهكذا أصبحت (غزنة) عروس

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٦٦/١١ ، والدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ١٦٤/٤ ، طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧ م .

(٢) تاريخ ابن الوردي ٧٣/٢ - ٧٥ طبعة النجف سنة ١٣٨٩ م .

(٣) سيد بهادر شاه - پختانه - د . تاريخ به رفاكى ص ٣٨١ طبعة پشاور .

البلاد قاعا صفصفا بعد أن كانت في العصور الغزنوية من أعمر البلاد الأفغانية ومن هنا نرى بعض المؤرخين يلقبونه بلقب (جهان سوز = محرق الدنيا) وكان ذلك في سنة ٥٤٥ هـ = ١١٥٠ م^(١) .

هزم علاء الدين حسين الجيش الغزنوي في (غزنة) وتوجه بعد ذلك للقضاء على المعسكر الغزنوي ، أو القاعدة العسكرية في (بست)^(٢) على ساحل نهر (هلمند) الشهير ، فأشعل النار في القصور الغزنوية هناك إشباعا لغريزة الانتقام . وتوجه بعد ذلك إلى البلاد الغورية ليستعد لمقابلة السلطان (سنجر) السلجوقي الذي كان يستولى على أجزاء كثيرة من الأراضي الأفغانية في ذلك الوقت ، وقد وقع أسيرا في إحدى المعارك التي دارت بينه وبين الجيوش السلجوقية ، وقد ساعد في هذا الأسر الأمراء والزعماء الغوريون أنفسهم بسبب اختلافات عائلية وقعت وحدثت بينهم وبين السلطان الغوري علاء الدين حسين ، وبما أنه كان سياسيا بارعا ، وشاعرا ، وأديبا ، وقائدا عسكريا ممتازا فنظرا لهذه الصفات ، ونظرا للأغراض السياسية والعسكرية قام السلطان (سنجر) السلجوقي بإعادته إلى الحكم ، وقد استمر في الحكم حتى مات سنة ٥٤٩ هـ = ١١٥٤ م^(٣) .

ناصر الدين حسين ماديني :

تولى الحكم بعد علاء الدين حسين لمدة قصيرة جدا وكانت منطقة نفوذه ومدة حكمه محدودة وقصيرة لدرجة أن بعضا من المؤرخين يحملون اسمه في بيان تاريخ هذه الأسرة^(٤) .

سيف الدين محمد بن علاء الدين :

تولى الحكم بعد ناصر الدين حسين ماديني الذي تولى الحكم بعد وفاة علاء الدين حسين ، ولم يستمر طويلا في الحكم ، فتولى سيف الدين محمد بن

(١) أحمد علي كهزاد - لشكرگاه ص ١٤٣ - ١٤٤ طبعة كابل سنة ١٣٣٢ هـ = ١٩٦٥ م .

(٢) بست : مدينة تاريخية في الجنوب الغربي في أفغانستان ، كانت العاصمة الشتوية للغزنويين ، وهي الآن حاضرة لولاية (هلمند) وتبعد عن كابل ٦٧١ كيلومترا .

(٣) أحمد علي كهزاد : لشكرگاه ١٤٥ طبعة كابل سنة ١٣٣٢ هـ ش = ١٩٦٥ م .

(٤) المصدر السابق .

علاء الدين الحكم واستمر فيه لمدة سبع سنوات من سنة ٥٥١ - ٥٥٨ هـ^(١) = ١١٥٦ - ١١٦٣ م وقد قتله قائده عباس^(٢) في القلاقل والأحداث التي أحدثتها هجوم (التركان) الغز على بلاد الأفغان الغورية^(٣).

غياث الدين بن بهاء الدين سام :

تولى الحكم في سنة ٥٥٨ هـ = ١١٦٢ م بعد قتل سيف الدين محمد بن علاء الدين ، وقد تمكن من طرد (الغز)^(٤) من (غزنة) و (كابل) بعد أن قتل منهم أعدادا كبيرة ، وبعد القيام بعمليات تطهير (غزنة) جعل أخاه شهاب الدين ابن بهاء الدين سام حاكما عاما على مدينة (غزنة) وملحقاتها وكان ذلك في سنة ٥٦٩ هـ = ١١٧٣ م^(٥) ، وبعد سنة ٥٧١ هـ = ١١٧٥ م انقاد لأمره ونفوذ حكام وأمراء وملوك (نيمروز = سيستان = سجستان)^(٦) ثم قام بتطهير المناطق الأخرى في كل من خراسان وإيران^(٧) ، وقد كان شقيقه شهاب الدين الساعد الأيمن في هذه الأمور العظيمة التي قام بها غياث الدين . وقد استمر حكمه لمدة أربعين سنة ، وتوفي في سنة ٥٩٩ هـ = ١٢٠٢ م^(٨) ، وكان عمره حينذاك ستين سنة . وضرِيحه يوجد حتى الآن في مدينة (هرات) الأفغانية .

وقد تم كشف نقش باللغة العربية في الحفريات التي تمت في (بست) التاريخية يثبت ترميم القصور الملكية الغزنوية في هذه المدينة التاريخية ، ولكنه من الصعب تحديد الملك الغوري الذي قام بهذه العمليات الإصلاحية ، هل هو الملك

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١٠٩/١١ ، والدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ١٦٧/٤ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧ م ، وأحمد على كهزاد : لشكرگاه ١٤٧ ، طبعة كابل ، سنة ١٣٣٢ هـ ش ١٩٦٧ م .

(٢) سيد بهادر شاه - پختانه د. تاريخ په رنګي ص ٣٨٤ - طبعة پشاور .

(٣) آريانا دائرة المعارف ٣١١/١ طبعة كابل ، وابن الأثير : الكاتل في التاريخ ١١٨/١١ - ١١٩ ، والدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ١٦٧/٤ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧ .

(٤) الغز : يقال لهم قبائل تركية تشتت في التاريخ باسم (أتراك الغز) .

(٥) سيد بهادر شاه - پختانه د. تاريخ په رنګي ص ٣٨٤ - ٣٨٥ .

(٦) أحمد على كهزاد - لشكرگاه ص ١٤٧ طبعة كابل سنة ١٣٣٦ هـ ش .

(٧) سيد بهادر شاه - پختانه د. تاريخ په رنګي ص ٣٨٥ طبعة پشاور .

(٨) يقول الأستاذ أحمد على كهزاد : إنه مات في سنة ٥٩٥ هـ ، لشكرگاه ص ١٥٠ .

سيف الدين ، أو الملك غياث الدين ؟ نظرا لتآكل النقش العرني والكتابة التي تدل على اسم الملك ولقبه . والأستاذ على كهزاد يرجح أن يكون الملك سيف الدين هو الذى قام بهذه العمليات الترميمية^(١) .

إن الدولة الغورية تمكنت فى أيام غياث الدين ، وشهاب الدين من محاربة ثلاث دول كانت تتقاسم البلاد الأفغانية فيما بينها ... وهى الدولة الغزنوية ، والدولة السلجوقية ، والدولة الخوارزمية ، وبذلك ظهرت البلاد ، ووحدتها تحت علم أفغانى غورى سورى واحد ، ومهدت السبيل لتنفيذ خطط الدولة الغورية فى البلاد الهندية .

السلطان محمد الغورى القائد :

من هو محمد الغورى ؟ هو السلطان شهاب الدين بن بهاء الدين سام شقيق غياث الدين ، ويشتهر أيضا باسم (معز الدين بن بهاء الدين سام) إذاً ملك واحد يشتهر بثلاثة أسماء :

- ١ - شهاب الدين بن بهاء الدين سام : قبل الوصول إلى السلطنة الغورية .
- ٢ - معز الدين بن بهاء الدين سام : بعد أن أصبح أخوه سلطانا ومشاركه فى الحكم .
- ٣ - السلطان محمد الغورى : بعد أن أصبح سلطانا عظيما للغوريين فى البلاد الأفغانية والهندية .

كان السلطان محمد الغورى (شهاب الدين = معز الدين) حاكم (غزنة) ٥٦٩ هـ = ١١٧٣ م أيام شقيقه غياث الدين بن بهاء الدين سام^(٢) ، ومن ذلك التاريخ قام بإعداد نفسه وجيشه الغورى للفتوحات فى البلاد الهندية .

(١) لشكرگاه ص ١٤٥ - ١٤٧ .

(٢) سيد بهادر شاه - مختاره د. تاريخ به رناكى ص ٣٨٦ - ٣٨٧ .

فتوحاته في الهند :

فتح الملتان والسند : هاجم ولايتي (الملتان) و (السند) ، وفتحهما في سنة ٥٧١ هـ = ١١٧٥ م^(١) .

حرب (نهرواله) هاجم (نهرواله) وانهزم جيشه سنة ٥٧٤ هـ ١١٧٨ م^(٢) .

فتح بشاور : هاجم (بشاور) وفتحها سنة ٥٧٥ هـ = ١١٧٩ م^(٣) .

فتح لاهور : قام بهجوم على (لاهور) وفتحها سنة ٥٨٢ هـ ١١٨٦ م^(٤) . وقضى بذلك على نفوذ الغزنويين في آخر معاقلهم .

حرب (تراورى) : هاجم الراجه (برتوى = PIRTHWI) ولم يستطع الانتصار عليه ، وقد أصيبت إحدى يديه إذ كان يشترك في المعارك بنفسه وفي هذه المعركة الحامية قال الشاعر الأفغانى الغورى (ملكيار غرشين)^(٥) قصيدة حماسية رجزية^(٦) باللغة الأفغانية (البيختونية = البيشتونية)^(٧) .

فتح (تراورى) الثانى : انتصر الجيش الإسلامى الغورى الأفغانى في سنة ٥٨٨ هـ = ١١٩٢ م ، ووضع السلطان محمد الغورى (شهاب الدين = معز الدين) حجر الأساس لأول مرة لدولة إسلامية داخل ربوع الهند تلك الدولة الغورية الإسلامية التى استمرت إلى سنة ١٨٥٧ م ، وكانت المعركتان الأولى والثانية في سهل (تانسوار = TANEWAR) وكان يشترك في هذه المعركة الأخيرة مائة وخمسون من الأمراء والحكام الهنود الذين تجمعوا للدفاع عن الهند ، وكانت نتيجة هذه المعركة الفاصلة أن دخلت المناطق والأقاليم الشمالية الهندية

(١) المصدر السابق ص ٣٨٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٨٧ والدكتور أحمد السعيد سليمان - تاريخ الدول الإسلامية والأسر الحاكمة ٥٩٥/٢ .

(٣) سيد بهادر شاه - پختانه د تاريخ به رناكى ص ٣٨٧ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) عبدالحى حبيبي - دپشتو أدبياتو تاريخ ١٤١/٢ - ١٤٤ ، طبعة ثانية كابل .

(٦) سيد بهادر شاه - پختانه د. تاريخ به رناكى ص ٣٨٨ - ٣٨٩ هـ ش .

(٧) سيد بهادر شاه - پختانه د تاريخ به رناكى ص ٣٨٨ - ٣٨٩ طبعة بشاور .

كلها في طاعة الغوريين .

فتح أجميز^(١) : قام السلطان محمد الغوري بفتح (أجميز) بعد انتصاره على (راجا برتوى داج) في تراورى .

فتح (دلهي)^(٢) : توجه بعد فتح (أجميز) إلى (دلهي) وفتحها دون حرب ، حيث أعلن حاكمها الطاعة للسلطان محمد الغوري ، ولم يدخلها .

ترك في مدينة (كهرام)^(٣) القائد الغوري (قطب الدين أيك) لإدارة المناطق المفتوحة ، وهو أول حاكم مسلم يحكم البلاد الهندية المركزية من داخل الهند نفسها ، وعاد السلطان بجيشه الغوري إلى البلاد الأفغانية ليقوم بإعداد جيشه لفتح آخر في البلاد الهندية .

فتح (قنوج)^(٤) : هاجم السلطان محمد الغوري مدينة (قنوج) في سنة ٥٩٠ هـ = ١١٩٤ م ، وكانت الحملة بقيادة القائد (قطب الدين أيك) ففتحها بسهولة^(٥) توجه بعدها إلى (بنارس)^(٦) وفتحها أيضا بسهولة بالغة .

ثم قام بتوزيع وتقسيم قواده الغوريين لإتمام فتوحاته في بقية البلاد الهندية ، فكلف القائد الغوري لفتح مناطق (أجميز) و (كوالبار) و (كجرات) و (بداون) . وكلف القائد الأفغاني (بختيار الفلجى) (الخلجى) بفتح (البنكال) وكلف القائد الأفغاني (ناصر الدين قباچه) بفتح (السند) وتفرغ هو بنفسه لتصفية البلاد الخرسانية وإدارتها^(٧) .

(١) كان حاكم أجميز في هذا الوقت أحد أبناء حاكم (تراورى) الذى منى بالهزيمة المنكرة في لقائه مع جند الغور ، وقد أقره السلطان واعترف بحكمه في إمارة أجميز ، كما أقر والده في حكم إقليمه . يفتنانه د تاريخ به رناكى ص ٣٩١ - ٣٩٢ .

(٢) سيد بهادر شاه - يفتنانه د. تاريخ به رناكى ص ٣٩٢ طبعة پشاور .

(٣) مدينة (كهرام) تبعد عن مدينة دهل العاصمة بسبعين ميلا شمالا .

(٤) أقنوج : من أقدم المدن الهندية ، وكانت مهدا من مهدود الحضارة الهندية الآرية ، كانت تقع غرب (أكرا) وتبعد عن نهر الكنكا بضع كيلومترات ، ولم يبق منها إلا الاسم أو الأطلال .

(٥) سيد بهادر شاه : يفتنانه د. تاريخ به رناكى ص ٣٩٣ ، وخليلى : سلطنت غزنويان ص ٦٨

(٦) الدكتور غوستاف لوبون : حضارة الهند ص ٢٢٠ الطبعة الأولى سنة ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨

(٧) سيد بهادر شاه : يفتنانه د. تاريخ به رناكى ص ٣٩٣ طبعة پشاور .

وهكذا قبلت الهند جميعها لأول مرة في تاريخ الهند الحكم الإسلامى أيام الغوريين ، وهكذا امتدت الإمبراطورية الغورية الإسلامية الأفغانية من البلاد الغورية وجبالها الشامخات الراسيات في أفغانستان الإسلامية إلى البلاد الهندية الفسيحة ، وهكذا دخلت الهند كلها في الإطار الذى طالما حاول الحكام في البلاد الأفغانية تحقيقه في العصور المختلفة من التاريخ الأفغانى الطويل .

السلطان محمد الغورى الإمبراطور :

توفي السلطان غياث الدين الغورى في سنة ٥٩٩ هـ = ١٢٠٣ م وأصبح السلطان محمد الغورى (شهاب الدين = معز الدين) سلطانا شرعيا وإمبراطورا عظيما ، فأراد تصفية مابقى من الدويلات في خراسان ، وكان أول واجباته هو الدفاع عن بلاده ضد (خوارزمشاه) الذى كان ينوى اقتحام أفغانستان عنوة ، فاشتبكت الجيوش الغورية بالجيوش الخوارزمية ، وكانت الغلبة في الأول للغوريين ، إلا أن بعد وصول الإمدادات الجديدة إلى الجيوش الخوارزمية انهزم الجيش الغورى ، وقد سببت هذه الهزيمة إثارة اضطرابات واسعة وشديدة في جميع أنحاء الإمبراطورية الغورية الأفغانية بما في ذلك المستعمرات الغورية في البلاد الهندية فتوجه السلطان محمد الغورى بسرعة إلى (لاهور) لإخماد هذه الفتن التى أثارت بعد تلك الهزيمة التى منى بها الغوريون في حربهم مع الخوارزميين . وقد تمكن بمساعدة القائد العظيم (قطب الدين أيبك) من تأديب أولئك الذين قاموا بإثارة هذه الاضطرابات والقلاقل في البلاد الهندية ، وكان ذلك في سنة ٦٠٢ هـ = ١٢٠٥ م^(١) .

وفاة السلطان محمد الغورى :

وقد قتل السلطان الغورى الإمبراطور محمد (شهاب الدين = معز الدين) في غرة شعبان سنة ٦٠٢ هـ = ١٢٠٥ م وهو في طريق عودته إلى (غزنة) في أفغانستان^(٢) ، وقد نقل جثمانه إلى (غزنة) ودفن بها^(٣) . وقد سجل الشاعر

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٧٩/١٢ ، وحسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ١٧٣/٤ .

(٢) وقد سجل شاعر أفغانى تاريخ قتل السلطان محمد في هذين البيتين :

شهادت ملك بحر وير معز الدين كزابتداى جهان مثل أونيامديك

سوم زغره بسال شش صلودو فتاد دره غزنين به فزل دهميك

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٢٧٢/٩ ، طبع بيروت سنة ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

الأفغانى (شكارندوى) بن أحمد انتصارات ذلك الفاتح العظيم فى البلاد الأفغانية وفى البلاد الهندية فى قصيدة شعرية رائعة يمدح فيها السلطان الغورى بلغته مدحا ، ويصف انتصاراته ، وفتوحاته العظيمة وصفا دقيقا^(١) .

مسير الامبراطورية الغورية بعد وفاته :

قتل محمد الغورى ، ونقل جثمانه إلى (غزنة) العاصمة الثانية للإمبراطورية الغورية بعد مدينة (فيروز كوه) . وبعد مناوشات ومنازعات ، قام حكامه على تقسيم الإمبراطورية الغورية فيما بينهم على الترتيب الآتى :

١ - السلطان محمود بن غياث الدين الغورى تربع على عرش الإمبراطورية فى العاصمة الأولى فى (فيروز كوه) فى قلب البلاد الغورية^(٢) .

٢ - تاج الدين الدز استولى على العاصمة الثانية (غزنة) وعلى ملحقاتها ومضافاتها ، وتربع على العرش فيها^(٣) .

٣ - القائد (قطب الدين أيلك) استمر فى الحكم فى المستعمرات والمناطق المفتوحة فى الهند الإسلامية^(٤) .

وكان جميع هؤلاء الولاة والحكام الغوريون يظهرون الولاء والوفاء والطاعة للإمبراطور الغورى السلطان محمود ، وكانوا يذكرون اسمه فى الخطب أيام الجمعة والأعياد ، وكانوا مستقلين فى إدارة أقاليمهم ، وولاياتهم ، وأقطاعهم التى استقطعوها لأنفسهم ، باستثناء المملوك الدز فإنه كان يخالف فى ذلك كثيرا^(٥) .

وفى هذه المرحلة من التاريخ الأفغانى تبدأ الحملات الخوارزمية على الدولة الغورية مرة أخرى ، وتشتد حتى تسقط الخوارزمية والغورية معا على أيدي المغول

(١) محمد هوتك بن داود : بته خزانه ٤٨ - ٤٩ ، الطبعة الثانية ، كابل .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ٢٩٤/٩ ، طبع بيروت ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

(٣) سيد بهادرشاه ظفر كاكّا خيل : پښتانه د تاريخ په رڼاكى ٣٩٨ ، طبع پشاور ، وابن الأثير : الكامل فى التاريخ ٢٧٥/٩ ، طبع بيروت ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

(٤) الدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى ١٧٣/٤ ، وتاريخ ابن الوردى ١٧٦/٢ - ١٧٧ ، وپښتانه د تاريخ په رڼاكى ٣٩٨ .

(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ٢٧٢/٩ وما بعدها .

في أفغانستان ، وينتقل بعد ذلك الثقل السياسي الأفغاني الغوري إلى البلاد الهندية حاملا معه الثقافة والأدب الإسلاميين لينتثرا في ربوع الهند الفسيحة . ولكن الغاية لا تخلو من الأسود ، كما يقول المثل الأفغاني المشهور ، ففي الأيام التي كانت الدولة الغورية تتلقى فيها الضربات الشديدة المهلكة من الجيوش الخوارزمية ، ثم من الجيوش المغولية المتوحشة ، وفي الأيام التي كانت الجيوش المغولية تتعقب الجيوش الخوارزمية في أفغانستان ، حتى وصلت إلى نهر (أباسين = السند = الأندوس) في أقصى الشرق الأفغاني على حدود الهند القديمة ، في هذه الأيام الكئيبة ، وفي تلك الأحداث المؤلمة الموحجة ظهر فرع آخر من فروع الأسرة الغورية الأفغانية ، وبدأ يتقوى ويشتد حتى أصبح يانعا قويا ، هذا الفرع المبارك ، وذلك الغصن من الشجرة الغورية الأفغانية يشتهر في التاريخ الأفغاني باسم (الأسرة الكرّية الغورية) .

الأسرة الكرّية الغورية ومؤسسها شمس الدين كرت :

بينما كان الغوريون لا يزالون يحكمون البلاد الهندية ، وذلك بعد أن انتقل ثقلهم السياسي إلى الهند تحت الضربات الشديدة التي وجهتها إليهم الجيوش الخوارزمية ، ثم الجيوش المغولية قام الزعيم الغوري (شمس الدين كرت) بتأسيس الأسرة الكرّية الحاكمة في مناطق (هرات) في غرب أفغانستان ، ولقب نفسه ملكا في سنة ٦٤٣ هـ = ١٢٤٥ م ، وقد استمر حكم هذه الأسرة من سنة ٦٤٣ - ٧٩١ هـ = ١٢٤٥ - ١٣٨٣ م^(١) .

عز الدين عمر مرغني^(٢) :

هذا الشخص من أبناء أعمام الأسرة الغورية الأفغانية ، وكان حاكم (هرات) أيام عز الإمبراطورية الغورية .

ركن الدين كرت^(٣) :

هو أحد أحفاد شقيق (عمر مرغني) وكان حاكم (هرات) أيام حروب

(١) سيد بهادر شاه - بختانه د : تاريخ پو رناكي ص ٤١١ طبة پشاور .

(٢) فضل أحمد - رهنای افغانستان ص ٨٤ - ٨٥ طبة كابل . وابن الأثير : الكامل في التاريخ ٧٧٦/٩ .

(٣) فضل أحمد : رهنای افغانستان ص ٨٤ - ٨٥ .

المغول الوحشية في أفغانستان ، فأظهر الطاعة والولاء للأفاق (جنكيز خان) فنجا هو وملكه الصغير من الهلاك والدمار والخراب ، واعترف له المغول بحجميله وتركوه حاكما على ثلاث مناطق هامة وهي (خيسار) و (الغور) و (هرات) .

شمس الدين مهين^(١) كرت^(٢) :

هو حفيد (ركن الدين كرت) وقد تمكن بمقدمه من المساعدات إلى المغول من الاستيلاء على مناطق (غرجستان) و (اسفزار) و (سيستان) وكان رجلا عالما ، وفاضلا ، ومدبرا ، ويعتبر المؤسس الأول للأسرة الكرتية الغورية . وقد استطاع أن يحافظ على سياسة التوازن بين الحكومتين في كل من ماوراء النهر ، وفارس ، كما استطاع أن يحافظ على علاقات حسن الجوار بين الدولتين . وقد قتل في (أصفهان) في سنة ٦٧٦ هـ = ١٢٧٨ م^(٣) مسموما ومن حسن سياسته أنه تمكن من توحيد البلاد تحت لواء أفغانى واحد ، وقام بالتنام تلك الجروح الشديدة المؤلمة التي حدثت في جسم الإمبراطورية الغورية على أيدي المغول أيام (جنكيز) مدمر الشعوب . وجعل مدينة (هرات) عاصمة للملكة العظم .

ركن الدين محمد كرت :

تولى الحكم سنة ٦٧٧ هـ = ١٢٧٩ م بعد قتل أبيه مسموما في (أصفهان) ولقب نفسه (بشمس الدين كيهين)^(٤) وقد أبرز اهتمامه في ميادين الزراعة وال عمران في أنحاء خراسان الأفغانية ، وخاصة في (هرات) الأفغانية وكان يعمل الناس بعدل وإنصاف ، وفي سنة ٦٨٠ هـ = ١٢٨١ م تمكن من تسخير (قندهار) ومن المحافظة على العلاقات الودية الطيبة مع أمراء (جنكيزخان) وقد توفي في سنة ٧٠٥ هـ = ١٣٠٦ م^(٥) وكان قد ترك ابنه علاء الدين في (هرات) الأفغانية نائبا عنه ، واختار الحياة في قلعة (خيسار) بالبلاد الغورية .

(١) مهين : بكسر الميم والماء كبير ، أكبر ، أعظم ، جميل ، رفيع ، مشابه ، أعظم العظماء .

(٢) فضل أحمد : رهنای افغانستان ص ٨٤ - ٨٥ .

(٣) پوهاند عبدالحی حبیبی - تاریخ مختصر افغانستان ١٢/٢ طبعه کابل .

(٤) كيهين : بكسر الكاف والماء صغير ، أصغر ، أقل .

(٥) پوهاند عبدالحی حبیبی : تاریخ مختصر افغانستان ١٢/٢ طبعه کابل .

فخر الدين بن ركن الدين شمس الدين كيهين^(١) :

تولى الحكم في سنة ٦٩٧ هـ = ١٢٩٧ م حيث كان محبوسا واستطاع الخروج من السجن ، وجلس على العرش في (هرات) . وكان محبا للعلم ، والأدب ، وكان أدبيا ، وقد نظم الخطيب الفوشنجي الربيعي كتابه (كرت نامه) لأجله . وقد مات في سنة ٧٠٦ هـ = ١٣٠٧ م بعد أن حارب مدة طويلة المغول في الأراضي الإيرانية^(٢) .

غياث الدين محمد :

هو شقيق فخر الدين السابق الذكر ، تولى الحكم في سنة ٧٠٧ هـ = ١٣٠٨ م ، وقد مات في سنة ٧٢٩ هـ = ١٣٢٨ م بعد العودة من أداء فريضة الحج^(٣) . وقد قام أيضا في سبيل توحيد البلاد ، وطرده الأجنبي منها بحروب عديدة وشديدة انتصر في كثير منها .

شمس الدين محمد :

هو ابن غياث الدين محمد ، تولى الحكم في سنة ٧٢٩ هـ = ١٣٢٨ م بعد وفاة أبيه^(٤) . وقد استمر في الحكم لمدة سنة واحدة تولى الحكم بعده أخوه الملك حافظ .

حافظ غياث الدين :

هو ابن غياث الدين محمد أيضا ، تولى الحكم في سنة ٧٣٠ هـ = ١٣٢٩ م بعد أخيه شمس الدين محمد^(٥) ، وقد استمر في الحكم لمدة سنتين فقط . تولى أخوه معز الدين الحكم في البلاد .

(١) المصدر السابق .

(٢) آريانا دائرة المعارف ٣١٤/٣ طبعة كابل .

(٣) يوهاند عبدالحى حبيبي - تاريخ مختصر أفغانستان ١٣/٢ طبعة كابل .

(٤) سيد بهادر شاه : پښتانه د تاريخ به رڼاكي ص ٤١٢ ، ويوهاند عبدالحى حبيبي : تاريخ مختصر

أفغانستان ١٣/٢ .

(٥) يوهاند عبدالحى حبيبي : تاريخ مختصر أفغانستان ١٣/٢ .

معزالدين حسين :

هو أيضا من أبناء غياث الدين محمد المشهورين ، تولى الحكم في سنة ٧٣٢ هـ = ١٣٣٠ م^(١) وهو من أعظم ملوك الأسرة الكرّية الغورية وأشهرها وقد استمر في الحكم لمدة تسع وعشرين سنة^(٢) قام فيها بأعمال عظيمة في الميادين الحربية والعلمية ، والأدبية ، والفنية ، وكانت وفاته سنة ٧٧١ هـ = ١٣٥٩ م .

باقر غياث الدين محمد :

هو من أبناء غياث الدين محمد ، حاول الوصول إلى الحكم أثناء غياب أخيه معزالدين حسين حيث كان فيما وراء النهر ، ولكن معزالدين حسين عاد مسرعا ، فقبض عليه وألقاه في السجن ، وكان ذلك في سنة ٧٥٣ هـ = ١٣٥٢ م .

غياث الدين بن معزالدين :

هو ابن معزالدين حسين تولى الحكم في سنة ٧٧١ هـ = ١٣٥٩ م بعد وفاة أبيه ، نفاه الأمير (تيمور) مع ابنه (بير محمد) وأخيه محمد إلى ماوراء النهر ثم أعدمه هناك في سنة ٨٣٤ هـ = ١٣٨٥ م ، وقد قضى بذلك على الأسرة الكرّية الغورية .

الأسر الغورية الثلاث :

يتشعب الغوريون في العصر الإسلامي إلى ثلاث أسر حاكمة ... الأسرة الأولى هي أسرة سيف الدين السورى وأخيه فخر الدين مسعود السورى من أولاد عزالدين حسين التي تأسست سنة ٥٥٠ هـ = ١١٥٥ م . وقد أنهى حكمها علاء الدين خوارزم شاه بعد أن تم له الاستيلاء على (باميان) مملكة هذه الشعبة ، وبعد أن قام بقتل جلال الدين الغورى سنة ٦١٢ هـ = ١٢٦٥ م . والأسرة الثانية أنسها إخوتها الآخرون من أولاد عزالدين حسين ، وقد حكموا البلاد الغورية من عاصمتها (فيروز كوه) وغيرها من البلاد الأفغانية

(١) المصدر السابق ص ١٤ ، وبحثته د. تاريخ به رناكى ص ٤١١ .

(٢) المصدر السابق - وبحثته د. تاريخ ص ٤١١ طبعة بشاور .

والبلاد المجاورة لها ، واستمرت في الحكم إلى عصور متأخرة من التاريخ الإسلامي الأفغاني في أفغانستان ، وبلاد الهند .

والأسرة الثالثة هي أسرة أسسها أعمام الأسرتين السابقتين ومؤسسها هو الزعيم الغوري (شمس الدين كرت) وكان أعضاء هذه الأسرة الكرتية الغورية يحكمون (هرات) والمناطق المجاورة لها في الوقت الذي كان المغول يستولون على أفغانستان .

ويلاحظ أنه لم يستطع أية دولة من الدول التي نشأت في أفغانستان أو التي استولت عليها القضاء على الأسرة الغورية قضاء مبرما .

الأدب والثقافة^(١) أيام الأسرة الكرتية :

ملوك الأسرة الكرتية الغورية كانوا أدباء وعلماء وفضلاء يحبون الأدب والعلم والمعرفة ، ويقربون الأدباء والعلماء والفضلاء ، ويشجعونهم ويفدقون عليهم العطايا والهدايا والجوائز المالية فنهضت العلوم والفنون والآداب في عصرهم مع وجود الحملات المغولية الوحشية ، وكان بلاطهم مجمعا علميا وأديبا للعلماء والشعراء . ومن أشهر الكتب التي تم تأليفها في أيام الأسرة الكرتية الغورية كتاب (المطول) في الفنون البلاغية الذي أهده العلامة سعد الدين التفتازاني إلى الملك معزالدين حسين الكرتي الغوري ، ومن الكتب الأخرى التي تم تأليفها في هذا العصر كتاب (تاريخ هرات) الذي ألفه سعيد الدين الأسفزاری ، وكتاب (زاد المسافرين) لناضر خسرو وكتاب (نزهة الأرواح) للأمر حسين الغوري ، وكتاب (كرت نامه) للخطيب الفوشنجي الريعي .

الغوريون في أفغانستان والهند :

عرفنا شيئا كثيرا عن الغوريين بالأسر الثلاث في أفغانستان وبقي أن نعرف بإنجاز أثر الغوريين في البلاد الهندية ، إذا ذكرنا الغزوات الإسلامية في الهند تبادر إلى أذهاننا الغزنويون والغوريون ، وبالتعبير الحديث العصري تبادر إلى أذهاننا

(١) تاريخ مختصر أفغانستان ١٤/٢ ويختاره د تاريخ به رناكي ص ٤١١ وص ٦١٦ .

الأفغان وبلادهم أفغانستان ، وإذا كان يوجد اليوم في الهند خمسون مليوناً من المسلمين ، وإذا كان كثير من الأجناس البشرية الهندية قد رضيت بالإسلام ديناً فإن الفضل في ذلك يرجع إلى الأفغانين بدولتهم الغزنوية ثم الغورية وما أتى بعدهما من الدول الإسلامية الأفغانية ، ولولا إهمال الدول المغولية وتساهلهم الشنيع في الهند لما رأينا اليوم في الهند غير مسلم ولكان شأنها في ذلك شأن أفغانستان وإيران وغيرهما من الدول الإسلامية ... ولكن المغول وأباطرتهم الذين انغمسوا في الملذات الدنيوية هدموا ما بناه الأفغان للإسلام من صرح شاخ عظيم .

مارس الأفغان في الهند نفوذهم الإسلامى العميق ، ففى مدة سلطانهم غير كثير من الهندوس دينهم ولغتهم ، وأديبهم وفنهم وظل هذا التغيير بادياً بعد زوال سلطانهم على أيدي المغول ، فقد عمل الأفغان ما عجز عنه الرومان ، والإغريق ، والإنجليز في غزواتهم . يقول صاحب حضارة الهند : ترجع غزوات المسلمين الأولى للهند إلى القرن السابع ، ولم تكن هذه الغزوات سوى غارات موفقة ، ولكنها لم تسفر عن استقرار دائم وفي أوائل القرن الحادى عشر فقد بدأ غزو المسلمين الجيد للهند بقيادة محمود الغزنوى^(١) .

محمود الغزنوى هذا هو رأس الأسرة الأفغانية الأولى الذى وصل في حملاته وفتوحاته إلى (الكجرات) حيث فتح معبد (سومنات) الشهير . محمود الغزنوى كغيره من المسلمين الأفغانين ، مسلم قوى العقيدة ، متين الإيمان تواق إلى إعلاء كلمة الله ، ورفع شأن الشريعة المحمدية ، وبناء على هذا المبدأ كان يقوم بغزواته في بلاد الهند وفي غيرها من البلاد .

لم يكن عمل وإخلاص ، ومتانة عقيدة رأس الأسرة الأفغانية الثانية هو السلطان محمد الغورى أقل من السلطان محمود الغزنوى ، كان هو الآخر قوى الإيمان راسخ العقيدة تواقاً إلى إعلاء كلمة القرآن ، وشريعة الرسول ، ونشر الإسلام في ربوع الهند ... فقد هدم محمد الغورى أصنام في مدينة (بنارس) وحمل أربعة آلاف بعير من الغنائم التى استولى عليها ، وبلغ ما حملة جنود المسلمين الغوريين في الحملة الغورية الإسلامية الأولى في (الدكن) من الذهب الكثير

(١) غوستاف لوبون - حضارة الهند ص ٢١٧ طبعة القاهرة سنة ٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م .

ماتركوا معه الأدوات الفضية لثقل نقلها ، فلم تكن أواني المعابد الهندية ، وبيوت الأغنياء مصنوعة إلا من الذهب الخالص ، ولم يكن الناس ليتداولوا غير النقود الذهبية على عكس مايقع في أيامنا^(١) . كان محمد الغورى موفقا فى مسلكه أيام غزواته فى الهند فقد أسس داخل الهند وفى أعماقها دولة واسعة يحدها من الشرق (بنارس) ومن الجنوب (كجرات) و (كواليار) جاعلا مدينة (دهلى) عاصمة له^(٢) .

توفى محمد الغورى وهو فى الطريق إلى أفغانستان فأعلن قائدة (قطب الدين أيلك) استقلاله على رأس هذه المملكة الواسعة الإسلامية فى الهند ، وهو رأس الأسرة الأفغانية الثالثة فى البلاد الهندية ، وإليه ينسب (منارة قطب)^(٣) الشهيرة فى (دهلى)^(٤) .

قامت بعد ذلك أسرة أفغانية رابعة هى الأسرة الغلجية (الخلجية) من أشهر ملوكها الملك علاء الدين الغلجى (الخلجى) وفى عهده اتسع مدى الفتوح الإسلامية فى الديار الهندية ، وكان صاحب ذوق رفيع فى الفن المعمارى ، شأنه فى ذلك شأن أسلافه ، يشهد بذلك الباب المنقوش الذى يحمل اسمه فى مدينة (دهلى)^(٥) وفى أيام هذه الأسرة اشتد خطر المغول فى الهند .

والأسرة الأفغانية الخامسة تأسست بقيادة قائد آخر من القواد الأفغانين فى الجيش الهندى ومن أشهر ملوك هذه الأسرة الملك فيروز . وامتاز ملوكها بالطابع الأدبى والفن المعمارى الذى اشتهروا به^(٦) .

ثم أقام اللوديون الأفغان أسرة أفغانية سادسة حكمت الهند مدة من الزمن وكانوا يحكمون (لاهور) و (الملتان) فى (البنجاب) بالهند .

ثم قام القائد الغورى (شيرشاه السورى) بتأسيس أسرة أفغانية سابعة فى الهند .

(١) جوستاف لوبون : حضارة الهند ص ٢٢٠ طبعة القاهرة - الترجمة العربية .

(٢) المصدر السابق ص ٢٢١ .

(٣) (قطب منار) من أشهر الآثار الإسلامية الغورية فى مدينة دهلى العاصمة الهندية .

(٤) الدكتور جوستاف لوبون : حضارة الهند ص ٢٢١ طبعة القاهرة - الترجمة العربية .

(٥) المصدر السابق ويختاره د تاريخ به رناكى ص ٤٢٩ طبعة پشاور .

(٦) جوستاف لوبان : حضارة الهند ص ٢٢٢ طبعة القاهرة سنة ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م .

ثم يبدأ بعد ذلك الصراع الشديد بين الأفغان والمغول في البلاد الهندية ، ثم بين الأفغان و (المراتها) إلى أن جاء الإنجليز وقضوا على الجانيين معا .

كل هذه الأسر الحاكمة من الأفغانيين الذين حكموا الهند كانت روابط وعلاقات القرابة تسود بينها باستثناء الغزنويين الذين لا تجمع بينهم وبين الغوريين إلا الروابط الدينية الإسلامية والوطنية الأفغانية ، والجغرافية القومية ، والعرقية البعيدة .

أدخل الأفغانيون - في أيام الأسر الأفغانية السبع - إلى الهند الآداب ، والثقافات ، والحضارات الإسلامية حيث خضعت الهند للأفغان المسلمين مدة طويلة ، فانتشرت فيها الحضارة الإسلامية على أيديهم ، وكان لهم الأثر البالغ والمؤثر في آدابها ، ومعتقداتها ، وفنونها وكان تأثير الحضارة الإسلامية التي أدخلها الأفغان المسلمون إلى وادي السند ووادي (الكنك) في الحضارة القديمة عظيما ، وعميقا ، ومؤثرا حيث تسببت في ظهور حضارة إنسانية ثالثة تسمى بالحضارة الإسلامية الأفغانية الهندية وكان المسلمون الأفغان الذين فتحوا الهند ، وغزوها باسم الإسلام وإعلاء كلمة الحق ، وشرعية الحق ، ودين الحق ، كان هؤلاء الأفغان من عرق أفغانى واحد ، وإن اختلفت قبائلهم التي ينتمون إليها ، وإذا كان للمغول وأباطرتهم العظام فتوحات ، وتأثيرات فيها فإنهم قد تحضروا أيضا بالإسلام بأيدي المسلمين الأفغان في أفغانستان ، ومن العاصمة الأفغانية (كابل) بدأوا حملاتهم وفتوحاتهم وغزواتهم ، وهجومهم على البلاد الهندية التي دخلت أكثر أجزائها في الإسلام بأيدي الأفغانيين ثم تحضروا بالحضارة الإسلامية ، وكان هؤلاء المغول قبل أن يبدأ حملاتهم على الهند مقيمين في أفغانستان ، ومتصلين بالأفغانيين منذ زمن طويل ، فآثر فيهم الأفغان تأثيرا قويا عميقا ظهر ذلك في أخلاقهم جلجا ، ولم يكن تأثير الأفغان في المغول الذين عاشوا فيهم ومعهم من الناحية الحضارية والخلقية فحسب ، بل أثروا في أشكالهم ، وصورهم أيضا يدل على ذلك وجوههم الأكثر تناسبا من وجوه المغول الأصليين المسطحة ، أدخل المسلمون الأفغان من الغزنويين والغوريين وغيرهم من الأسر الحاكمة الأفغانية التي تنتمي إليهم أدخلوا إلى الهند حضارة الإسلام ، وأدخلوا معها رغبة أكيدة في العلوم والآداب والفنون وتراجم ملوكهم الأفغان تدل على أن هؤلاء الملوك والحكام والولاة المسلمون من

الأفغان كانوا أهل علم وفضل وأدب ، وكانوا يشجعون الآداب ، والفنون ، والعلوم والمعارف المختلفة ، كان منهم العلماء والأدباء ، والشعراء والفنانون والكتاب ، والمؤلفون ، والمؤرخون من أمثال (فيروز شاه) ، وكانوا لا يحيطون أنفسهم بغير العلماء ، والأدباء والشعراء بجانب مشاغلهم وأعمالهم الكثيفة في الحروب والمغازي ، والمعارك ، والقتال في سبيل إعلاء كلمة الله ، وفي سبيل نشر شريعة الإسلام ، وكان للأفغانيين في الهند تأثير مزدوج شأنهم في ذلك شأن أجدادهم الآريين الذين استوطنوا الهند منذ آلاف السنين قبلهم ، أثر الأفغانيون في الهند عرقيا وأديبا ودينيا ، ولكن تأثيرهم الأدبي والديني أكثر ، وأكبر ، وأعمق ، وأشد تأثيرا ووقعا من تأثيرهم العرق في الهند ، شأنهم في هذا أيضا شأن أجدادهم الآريين ، يظهر ذلك في الدين واللغة ، والآداب ، والفن ، والمصنوعات الفنية بصفة عامة وعلى طريقة الأفغانيين سار ملوك المغول الذين تحضروا في أفغانستان وفيها دخلوا في الدين الإسلامي ، فالملك المغولي (بابر) كان يجيد اللغات المغولية والدرية والعربية ، والپختونية ، وكان أديبا رقيقا يظهر فيه وفي أدبه تأثير الأفغان ، وتأثير لغاتهم ، ولم يبدو ملوك الأفغان حماة للآداب والعلوم والفنون ، بل ترى أكثرهم قد خذقوها ، وفي الحق أن حب الآداب ولاسيما الشعر كان ناميا عندهم كالملك (إسلام شاه) مثلا كان من الشعراء والأدباء المشهورين ، وكان اهتمام الملوك الأفغان بالعلوم الدينية ، والآداب الإسلامية عظيما وهائلا ، نذكر منهم الملك (شيرشاه السورى) الذى كان من أشهر علمائه في العلوم الدينية شيخ الإسلام عبد الله السلطانپورى . و (ميرسيد رفيع الدين) وغيرهما .

الغوريون في جدول زمنى^(١)

الرقم	اسم الأمير أو الملك	العام الهجرى	العام الميلادى
١ -	الضحاك (سهاك = سهك)	في حوالى سنة	٤٢ - ٤٣ = ١٢٧ - ١٢٨
٢ -	سور وسام	في حوالى سنة	٤٦٢ - ٤٦٣ = ١٢٧ - ١٢٨

(١) الدكتور أحمد محمود السادق : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم ١١٢/١ - ١٢١ ، والمؤلف نفسه : تاريخ الإسلامية ٣٤ - ٤٢ ، والشيخ محمد الحضر بيك : محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) ٤٦٠ - ٤٦٢ وتاريخ أفغانستان بعد از اسلام ١٢٧/١ وما بعدها ، والأمير شكيب أرسلان : حاضر العالم الإسلام ١٩٧/٢ - ٢١٨ .

الغوريون في جدول زمني^(١)

العام الميلادي	العام الهجري	اسم الأمير أو الملك	الرقم
؟ - ؟ = ؟	في حوالي سنة ؟ - ؟	بسطام بن مهشاد	٣ -
؟ - ؟ = ؟	في حوالي سنة ٣٤ هـ - ؟	ماهويه السورى	٤ -
؟ - ؟ = ؟	في حوالي سنة ٣٦ هـ - ؟	شنسب بن خرنك	٥ -
؟ - ؟ = ؟	في حوالي سنة ١٣٠ هـ - ؟	فولاد (فولاذ)	٦ -
؟ - ؟ = ؟	في حوالي سنة ١٣٩ هـ - ؟	كرور جهان بهلوان	٧ -
؟ - ؟ = ؟	في حوالي سنة ١٦٠ هـ - ؟	ناصر بن كرور	٨ -
؟ - ؟ = ؟	في حوالي سنة ١٧٠ هـ - ؟	بنجى بن نهاران	٩ -
؟ - ؟ = ؟	في حوالي سنة ٢٥٣ هـ - ؟	سورى بن محمدا	١٠ -
؟ - ؟ = ؟	في حوالي سنة ٤٠٠ هـ - ؟	محمد السورى	١١ -
؟ - ؟ = ؟	في حوالي سنة ٤١٠ هـ - ؟	أبوعلی السورى	١٢ -
؟ - ؟ = ؟	في حوالي سنة ٤٥٠ هـ - ؟	عباس بن شمس السورى	١٣ -
؟ - ؟ = ؟	في حوالي سنة ٤٥٠ هـ - ؟	محمد بن عباس السورى	١٤ -
؟ - ؟ = ؟	في حوالي سنة ٤٦٠ هـ - ؟	قطب الدين حسن بن محمد السورى	١٥ -
؟ - ؟ = ؟	في حوالي سنة ٥١٠ هـ - ؟	عزالدين حسين بن قطب الدين	١٦ -
١١٤٩ م - ٥٤٣ هـ = ١١٤٨ هـ - ٥٤٤ هـ	في سنة	سيف الدين السورى	١٧ -
١١٦٢ م - ٥٤٤ هـ = ١١٤٩ هـ - ٥٥١ هـ	في سنة	علاء الدين حسين	١٨ -
١١٦٢ م - ٥٥١ هـ = ١١٥٦ هـ - ٥٥٨ هـ	في سنة	سيف الدين محمد بن علاء الدين	١٩ -
١١٧٥ م - ٥٥٨ هـ = ١١٦٢ هـ - ٥٧١ هـ	في سنة	غياث الدين بن بهاء الدين سام	٢٠ -
١٢٠٥ م - ٥٦٩ هـ = ١١٧٣ هـ - ٦٠٢ هـ	في سنة	السلطان محمد الغورى (القائد)	٢١ -
؟ - ؟ = ؟	في حوالي سنة ٦٠٠ هـ - ؟	عزالدين عمر مرغنى (كرت)	٢٣ -
؟ - ؟ = ؟	في حوالي سنة ؟ - ؟	أبوبكر (كرت)	٢٤ -
؟ - ؟ = ؟	في حوالي سنة ٦٤٣ هـ - ؟	ركن الدين (كرت)	٢٥ -
١٢٧٨ م - ٦٤٣ هـ = ١٢٤٥ م - ٦٧٦ هـ	في حوالي سنة ٦٤٣ هـ - ؟	شمس الدين مهين (كرت)	٢٦ -
١٣٠٧ م - ٦٧٧ هـ = ١٢٧٩ م - ٧٠٥ هـ	في حوالي سنة ٦٧٧ هـ - ؟	ركن الدين محمد (كرت)	٢٧ -
١٣٠٦ م - ٧٠٥ هـ = ١٣٠٥ م - ٧٠٦ هـ	في حوالي سنة ٧٠٥ هـ - ؟	فخر الدين	٢٨ -
١٣٢٩ م - ٧٠٦ هـ = ١٣٠٦ م - ٧٢٩ هـ	في حوالي سنة ٧٠٦ هـ - ؟	غياث الدين محمد	٢٩ -
١٣٣٠ م - ٧٢٩ هـ = ١٣٢٩ م - ٧٣٠ هـ	في حوالي سنة ٧٢٩ هـ - ؟	شمس الدين محمد	٣٠ -
١٣٣٢ م - ٧٣٠ هـ = ٧٣٢ هـ - ١٣٣٠ م	في حوالي سنة ٧٣٠ هـ - ؟	حافظ بن غياث الدين محمد	٣١ -

(١) الدكتور أحمد كمال الدين حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة ١٢٢ - ١٣٠ ، والدكتور أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ٥٣٢/٢ - ٥٣٤ ، و ٥٩٤ - ٦٠٥ .
والدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ١٦٣/٤ - ١٧٧ .

العام الهجرى	العام الميلادى	الرقم اسم الأمير أو الملك
٧٣٢ - ٧٧١ هـ = ١٣٣٢ - ١٣٧١ م	في حوالى سنة	٣٢ - معز الدين حسين
٧٥٣ هـ - ؟ = ١٣٥٢ م - ؟	في حوالى سنة	٣٣ - باقر بن غياث الدين محمد
٧٧١ - ٧٨٣ هـ = ١٣٦٨ - ١٣٨١ م	في حوالى سنة	٢٤ - غياث الدين

الآداب والثقافات في العصر الغوري

التمهيد ::

نحن الآن وصلنا في رحلتنا الأدبية والتاريخية في بلاد الأفغان إلى مرحلة مجابهة أدبية وثقافية وعلمية تمثل حقيقة بلاد الأفغان الأدبية ، وحقيقة تكوينها الثقافي والاجتماعي والسياسي والعسكري ، وهذه المرحلة الهامة هي التي تعبر عن أفغانستان الغورية ، وكلنا نعلم أن دخول الأفغان في الإسلام مخلصين صادقين ، ثم مشاركتهم في بناء صروح الآداب والثقافات الإسلامية مشاركة فعالة مؤثرة ، كانت أحد نتائج الفتح الإسلامي لأفغانستان والأقاليم المحيطة بها ، فقد اندثرت - بعد الفتح الإسلامي - لغاتهم الثقافية ، وتراثهم القومي ، وأصبحوا بحكم الدين الجديد بناء ثقافته ، وأدبه ، وفنه ، وحضارته ، وحياته السياسية والاجتماعية ، كان ذلك كله ظاهرا في سياسة الدول الإسلامية القومية الأصل والعربية الشكل ، والإسلامية المبدأ التي قامت في أفغانستان من أيام الطاهريين والصفاريين ، والسامانيين ، وفي العصر الغزنوي بدأت الآداب القومية واللغات الوطنية في البلاد الأفغانية تحتل الصدارة في الميادين الأدبية والثقافية والعلمية ، واستمرت كذلك مع نوع من الاهتمام الشديد بالأدب العربي في العصر السلجوقي ، ولكن الأمر قد تغير حين ظهرت النزعة القومية في الآداب في العصر الغزنوي قوية ، ثم في العصر الغوري في صورة أقوى وأشد مع التمسك الشديد بالإسلام وحماهم له . فقد صاحب الغوريين توقهم إلى بعث لغتهم الأفغانية (الپختونية = الپشتونية) وإحياء تراثهم ، وثقافتهم القومية ، فكما كان الغزنويون يشجعون الأدب الدرّي الأفغاني في أفغانستان كان الغوريون يهتمون باللغتين ... الپشتونية والدرية وآدابهما معا نظرا لظروفهم السياسية والجغرافية والاجتماعية ... فهم مطالبون إسلاميا بالمحافظة على الأدب العربي وتشجيعه ، كما أنهم مطالبون سياسيا بالمحافظة على اللغة الدرية الأفغانية وتشجيع آدابها ، وعلومها ، وبالإضافة إلى هذا وذلك فإنهم مطالبون سياسيا واجتماعيا وجغرافيا وإسلاميا بالمحافظة على لغتهم (الپشتونية = الپختونية)

الأفغانية لأنها هى التى تعبر عن أفكارهم وخواطرهم ، وهى همزة الوصل بينهم وبين شعبهم ، وعشيرتهم التى ينتمون إليها ، وقد صاحبهم شعراؤها فى البلاد الهندية أيضا . فالعصر الغورى الأفغانى يمثل الثقافات والآداب الإسلامية الأربع فى البلاد الأفغانية وهى ثقافات وآداب إسلامية أساسية فى البلاد ، ويمكننا أن نصفها ، ونصوغها كما يأتى :

العناصر الثقافية والحضارية فى هذا العصر :

١ - اللغة العربية وآدابها الإسلامية ، وشأن اللغة العربية فى أفغانستان الغورية شأنها فى الأقطار الإسلامية الأخرى التى بدأت تستقل سياسيا وثقافيا وأديبا عن دار الخلافة العباسية فى بغداد مع ملاحظة فارق البعد عنها والقرب الجغرافى منها .

٢ - اللغة (البشتونية = البختونية) الأفغانية وآدابها ، وهى الأولى من اللغات القومية الرسمية فى البلاد الأفغانية ، وهى تجمع بين الصفتين القومية والرسمية معا ، وهى أكثر انتشارا فى المجتمع الأفغانى فى بلاد الأفغان ، والثقافة التى تمثلها هذه اللغة ثقافة إسلامية أفغانية محضة .

٣ - اللغة الدرية الأفغانية وآدابها ، وهى الثانية من اللغات الأفغانية فى البلاد الأفغانية ، وهى أكثر استعمالا فى المكاتب الحكومية ... وهى لغة رسمية ثقافية واسعة فى بلادنا الأفغانية .

٤ - اللغة التركية الشرقية وآدابها ، ويرجع فضل انتشار الأدب التركى الشرقى (الجفتائى) إلى العصر التيمورى ، وخاصة فى أيام الأمير (على شيرنوائى) الشاعر الأديب الذى لازم السلطان (حسين بايقرا) أيام التيموريين فى البلاد الأفغانية ، بعد أن مهد لذلك كله الغوريون الذين عطفوا على الأتراك وسمحوا لهم فى الدخول فى جيشهم أفواجا ، وكانوا ينظرون إليهم نظرة احترام وتقدير .

وهكذا سادت الآداب واللغات ، والفنون الجميلة بعناصرها الإسلامية الأساسية ... العربية ، والبختونية والدرية ، والتركية الشرقية الجفتائية أفغانستان

في العصر الغوري ، وكان الغوريون ينظرون إلى هذه العناصر الأربعة نظرة احترام وتقدير ، ودون تعصب لأحد العناصر على حساب العنصر الآخر ، وذلك للأسباب التي ذكرتها في صدر هذه الصفحة .

الآداب والفنون :

إن الحركة القومية الانفصالية في أفغانستان قد بدأت بظهور الزعيم الخراساني أبي مسلم ، ثم بدأت تشتد وتتطور عمليا في الميدان السياسي والأدبي ، والثقافي ، والعلمي في العصور التي تلت تلك الحركة القومية حتى تمخضت عنها تلك الحكومات المحلية التي تكلمنا عنها في الفصول السابقة مع اهتمام كل دولة بالثقافة واللغة والآداب القومية المحلية والإقليمية بنسب مختلفة تبعا لظروفها السياسية والاجتماعية والجغرافية ، وذلك بنجانب اهتمامها الخاص باللغة العربية وآدابها ، وعلومها ، وفنونها ، وكان اهتمام تلك الدول المستقلة بآدابها القومية باسم الإسلام وتحت رايته ، وقد ظهر ذلك جليا في العصر الغوري ، وخاصة في الهند ، فالفتوحات التي حازها الغوريون في الهند ، والثقافة التي نشروها هناك ، والآداب التي وصلت إلى الهند مع فتوحهم قد نشأت هناك ، فقد تم ذلك باسم الإسلام ، ولأجله ، وتحت علمه ، فالآداب الأفغانية في العصر الغوري بفروعها الأربعة الأساسية الرئيسية العربية والأفغانية (الپشتونية - الدرية - الجفتائي) آداب إسلامية نشأت إسلاميا ، وترعرعت إسلاميا ، وسيطرت على الإمبراطورية الغورية الفسيحة الأرجاء إسلاميا ، وهذا مما يدل على توسع الفكر الغوري ، وعمقه وأصالته العريقة الضاربة في القدم ، فهؤلاء القوم من الملوك الغوريين لم يظهروا أى نوع من التعصب ، أو الانحياز إلى أى نوع من الجنس ، والأدب ، واللغة ، والثقافة ، وذلك بخلاف الدول المستقلة الأفغانية السابقة .

فكما كان البلاط الغوري يجمع بين الأجناس الأفغانية المختلفة كذلك كانت الحال بالنسبة للغات ، والآداب ، والفنون ، والثقافات ، عاشت تلك اللغات وهذه الآداب والثقافات في البلاط الغوري جنبا إلى جنب دون تمييز أو تفرقة ولولا تسامح الغوريين وسعة فكرهم الإسلامي القومي لما تمكن الأدب التركي الشرقي الجفتائي ، من الانتشار السريع الهائل في أيام التيموريين . ومما يدل على

اهتمام الغوريين بالآداب قصة علاء الدين حسين الغورى الذى قام بإحراق مدينة (غزنة) وإفنائها ، والقضاء عليها انتقاما لمقتل أخيه الذى مثل به الغزنويون ، فبينما كانت النار المشتعلة تأتى بكل شئ ، يطلب علاء الدين حسين إلى مساعديه وقواده بجمع الكتب الأدبية ، والعلمية ليكتننوها للأجيال القادمة^(١) ، فالظاهرة الأدبية فى العصر الغورى تختلف عن الظواهر الأدبية والثقافية والفنية التى سبقت عصرهم ، وكان للفتوح الإسلامية الغورية الأفغانية أثر كبير فى الحركة الفكرية ، وخاصة فى الفنون الموسيقية والشعرية والأدبية بصفة عامة ، ومهما يكن من شئ فقد كانت نزعة الغوريين قومية إسلامية لاتميل إلا إلى ما هو إسلامى غورى أفغانى ، واستطاعوا أن يخرجوا صورا فنية جديدة لاتخرج عما رسمه الدين الإسلامى . وعلى المهتمين بالظواهر الأدبية ، والفنية ، والثقافية والحضارية فى هذا العصر أن يستعرضوا الآثار الفكرية ، والأدبية ، والفنية التى أنشأها الأفغان فى هذا العصر فى اللغات الأربع ، وأدائها التى سبق ذكرها آنفا .

مزج العناصر الحضارية والثقافية مزجا إسلاميا :

قامت أفغانستان الغورية بعملية مزج الثقافات الآرية الأفغانية والإسلامية العربية ، والشرقية الهندية والفارسية الإيرانية مزجا إسلاميا رائعا جميلا ، مستخدمة فى ذلك عملية التصفية والانتقاء من ناحية ، وعملية التأثر والتأثير من ناحية أخرى ، بعيد ذلك إلى الأذهان مقام به الآريون فى العصور القديمة على الأرض الأفغانية ، وقد أصبحت بعد هذه العملية المزجية ثقافة إسلامية أفغانية جرت فى العروق الأفغانية جريان الدم فى العروق وسارت مع الأفغان أينما ساروا لابسـة ثوب اللغات الأفغانية الإسلامية ، ووصلت إلى الهند مع الفتوحات الإسلامية الغورية ، فانتشرت فى ربوعها انتشارا هائلا عظيما ، بعد أن كان قد مهد لها الغزنويون الأفغان أثناء فتوحاتهم الإسلامية فى تلك الديار الفسيحة . إن الشعب الأفغانى لم يتحول من شعب أفغانى آرى إلى شعب عربى سامى يتكلم اللغة العربية ، ويتذوق آدابها وفنونها ، كما تم ذلك فى بعض البلاد الإسلامية القريبة من الجزيرة العربية منبع ومهد الدين الإسلامى ، ومنشأ أدبه العربى ، وأدبه الفنى

(١) الدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ١٦٦/٤ ، طبعة القاهرة ١٩٦٧ م ، وأحمد على كهزاد : لشكرگاه : صفحات مختلفة ، وعتيق الله بيجواك : غوريان : مواضيع وصفحات مختلفة .

ولكنه تحول حقا - من شعب آرى ، زردشتى ، بوذى إلى شعب أفغانى مسلم بكل ماتحملة هذه الكلمة العظيمة من المعنى العظيم ، بدأت الدول الإسلامية الإقليمية القومية المستقلة التى قامت فى الأراضى الأفغانية ، تقدم للإسلام وأدبه خدمات جلية عظيمة ، تدافع عنه ، وعن مبادئه السامية دفاعا ، وتخدم لغته وأدبه خدمة ، وتتذوق آدابها بإخلاص ونشاط . كانت المراحل الأولى من هذه الخدمات الأدبية ، والفنية ، والعلمية عربية بحتة ، حتى توجهت لعوامل سياسية واجتماعية ، الجهود الأدبية فى تلك الدول الإقليمية إلى الناحيتين العربية والأفغانية معا ، حتى تغلب عليها اللون الإسلامى الأفغانى فى العصر الغورى ، وذلك بعد الجهود التهديدية والتحضيرية التى سبقت العصر الغورى ، قطع فيها اللون الجديد مراحلها الأولية ، وبدأ يتحرك مع الجهود التى قام بها الغوريون فى المجالات الأدبية والفنية ، والعلمية والثقافية والسياسية والحرية ، قام الغوريون بعد الغزنويين بنشر الحضارة ، والثقافة والفن والأدب الإسلامى الجديد فى أفغانستان أولا ثم فى ربوع البلاد الهندية ، وتعاقبت بعد ذلك الأسر الحاكمة من الأفغانين بخدمة تلك الحضارة والآداب والفنون والعلوم الإسلامية لمدة قرون طويلة داخل البلاد الأفغانية وخارجها من البلاد المفتوحة ، والآثار الإسلامية الخالدة فى البلاد الغورية والهندية شاهدة بالقطع على هذه النظرية وعلى صحة هذا القول ، وكان كثير من رجال العلم ، والأدب والفن ومن علماء الدين الإسلامى المقدس ، ومن الشعراء والكتاب يصحب القواد ، والزعماء والحكام الغوريين ، وغيرهم أثناء فتوحاتهم وغزواتهم الإسلامية فى البلاد الهندية كأبى ريجان البيرونى مع الغزنويين ، والإمام فخر الدين الرازى مع الغوريين ، وكالشعراء الأفغان مع الغوريين واللوديين والغلجيين (الخلجيين) والسوريين وغيرهم من الأسر الحاكمة الأفغانية فى البلاد الهندية ، وللشاعر الأفغانى (ملكيار غرشين) قصيدة رائعة باللغة الأفغانية (البيختونية = البشتونية) أنشدتها خلال القتال الدامى الذى دارت رحاها بين الجيوش الغورية الإسلامية الأفغانية وبين الجيوش الهندوسية ، وكان السلطان محمد الغورى يقوم بنفسه بقيادة الجيوش الغورية ، وبإدارة المعركة ، وكان الشاعر الأفغانى (ملكيار غرشين) يشترك أيضا فى تلك المعارك الحامية كأحد أفراد الجيش الغورى الذى كان يحارب فى الهند لأجل إعلاء كلمة الحق والدين

الإسلامي . وكان الشاعر (ملكيار غرشين) يحارب المشركين بروحه ، ودمه ،
وقلمه ، وأدبه . وهكذا نرى الأفغانيين من الغوريين وغيرهم يساهمون في إعلاء
كلمة الحق والدين الإسلامي بكل مايملكونه من الطاقة البشرية والأدبية والعلمية
والثقافية والفنية .

ازدهار الفنون والآداب :

كان سلاطين الغور يشجعون الأدباء ، والشعراء ، والفنانين والعلماء ،
ويقربونهم إليهم تشجيعا معنويا ، وماديا لايفرقون بين الشعراء والعلماء ، والأدباء
الذين كانوا يقدمون أفكارهم العلمية ، والأدبية والفنية في أية من اللغات الأفغانية
الإسلامية التي كانت تسيطر علميا وثقافيا وأديبا على البيئة الأفغانية في هذا
العصر ، ولم ينحصر عطفهم ، وتشجيعهم المعنوي والأدبي على الآداب الأفغانية
الإسلامية بل شمل ذلك الآداب واللغات الهندية أيضا أيامهم في الهند ، فقد راج
العلم والأدب في هذا العصر وكان الأمراء ، والحكام ، والوزراء ، والولاة أنفسهم
من أمثال عباس بن شيس السورى الغورى ، وابنه محمد وعلاء الدين الغورى ،
وغيرهم من الأمراء والملوك الغوريين يعتبرون أيضا من كبار العلماء والشعراء
والأدباء ، وكانت الولايات وحواضرها مثل (فيروزكوه) و (بست)
و (غزنة) و (باميان) و (هرات) و (بلخ) وغيرها من المدن الأفغانية
مواطن الأدب ، والعلم ، والفن ، والثقافة ، والحضارة ، ومقصد العلماء ،
والأدباء ، والشعراء ، والفنانين ورجال الدين وعلمائه ، وشجع الغوريون ،
وأمرأؤهم وحكامهم ، ووزرائهم اللغات القومية والوطنية الإسلامية الأربع في
أفغانستان الغورية ، وآدابها واحترموا شعراءها ، وأدباءها ، وكتابها ، وفنانيها .

اتسع أفق الفكر الإسلامى في عهد الغوريين اتساعا كبيرا ، ذلك لأن
ملكات الغوريين الأفغان في البحث ، والدراسة ، والتأليف على درجة عالية وقد
عظم من النضج العلمى كنتيجة طبيعية لحركة تبادل الثقافات ، والعلوم
والآداب ، والفنون ، وحركة الترجمة ، التي كانت قد بدأت في العهد الغزنوى
واستمرت في أن تقوم بنشاطها في العهد الغورى ، وذلك بجانب كثرة تنقل رجال
الأدب ، والفن ، والعلم ، والثقافة في الإمبراطورية الغورية المترامية الأطراف التي

كانت تمتد من قلب أفغانستان إلى سواحل نهر (الكنكا) شرقا ، وإلى أقصى البلاد الخراسانية غربا ، وإلى نهر (آمو = جيحون) وجبال (پامير) شمالا ، وإلى بحر العرب جنوبا^(١) ، فنشطت لذلك الحركة الفكرية ، والأدبية ، وراجت الثقافة الإسلامية ، وزخر بلاط الملوك الغوريين ، وبلاط أمراءهم في كل من (فيروزكوه) و (هرات) و (غزنة) و (باميان) و (بلخ) وغيرها من المراكز العنصرية والثقافية والفنية والأدبية في البلاد الأفغانية الغورية ، وكان طلاب العلم والمعرفة والأدب والفن يجوبون البلاد ، ويجولون فيها سعيا إلى موارد الأدب والعلم والفن ، مما جعلهم يأخذون بحظ وافر ، ونصيب زائد من الفنون الأدبية والعلوم العقلية والعقلية ، وكثرت المؤلفات باللغات الأفغانية الإسلامية : اللغة العربية ، والبختونية الأفغانية ، والدرية الأفغانية ، والتركية الشرقية الأفغانية في العلوم والفنون المختلفة .

ومن الناحية الفنية فقد ارتقت فنون النقش ، والتصوير ، والعمارة والنحت ارتقاء ملحوظا ، ظهر أثر ذلك في الفنون الهندسية التصويرية أيضا ، كما سيأتي ، لأن الغوريين بجانب أنهم كانوا قوادا مهرة أشداء في فنون القتال ، والحروب والمعارك ، كانوا كذلك يعشقون الفنون الجميلة ، ويرعونها فازدهرت لذلك فنون التصوير ، والنقش ، والصناعة ، والعمارة ، والزخرفة والنحت وكانت هذه الفنون الجميلة تهر أنظارهم ، وترضى أذواقهم ووصلت الفنون الإسلامية المختلفة إلى درجات عالية من الرقي والتقدم في عصرهم ، والآثار الفنية الخالدة الباقية من عصرهم الفني والأدبي في عدد من المدن والمراكز الفنية ، والعلمية ، والأدبية في كل من البلاد الأفغانية والهندية قليلة النظير في تاريخ الفن الإسلامي ، وقد نقلت الفتوحات الغورية الإسلامية الفنون الإسلامية (الغورية الأفغانية) إلى البلاد الهندية ، ومن خلال الصراع الفني حصلت عملية التأثير والتأثر بين الفنون الإسلامية والهندية ، فتأثر الفن الإسلامي بالفن الهندي كما أثرت الفنون الإسلامية في الهندية ، وتم ذلك كله على أيدي الغوريين .

وفي العصر الغوري ازدهر فن الخط الجميل ، كما ارتفعت الفنون الجميلة المتصلة به كالزخرفة بالألوان ، وتزيين المساجد ، والمصاحف ، والكتب وتذهيبها

(١) محمد هوتك بن داود - بته خزانة .

والمدرسة الفنية في الخطوط الجميلة في مدينة (هرات) الأفغانية مشهورة في التاريخ الفني الأفغاني . وكان التطور الفني في الميادين الفنية ، والزخرفية ، والتذهيبية ، والأدبية قد بدأ في أفغانستان منذ ظهور الدول المستقلة في المنطقة ، وقد قطع مراحل تطوره الأولية المختلفة في العصور العديدة التي مر بها حتى وصل إلى العصر الغزنوي ، فلما أدرك العصر الغوري كان فن صناعته قد ارتقى إلى أعلى درجات من الرقي والازدهار . وظهرت نتائج هذا الازدهار الفني في العصور التي تلت العصر الغوري .

إن الغوريين لهم أصالة في كثير من الفنون المعمارية ، والنحت ، والتصوير والزخرفة يظهر ذلك بصفة خاصة في المساجد ، والمدارس ، والقصور ، وكان من عادة الملوك الغوريين وأمرائهم أن يقوموا بتشييد مساجد ، أو مدارس عند الفتوحات التي كانوا يقومون بها ، ويتصرون فيها ، كما فعلت ابنة السلطان غياث الدين محمد سام الغوري الأميرة (ماه ملك = قمر الدنيا) التي شيدت مدرسة (شاه مشهد) في (غرجستان) بولاية (بادغيس) في أفغانستان الغربية بمناسبة فتح (هرات) أو بمناسبة انتصار الغوريين على (الغز)^(١) كما شيد السلطان غياث الدين محمد سام الغوري (المسجد الجامع) في (هرات) في المكان الذي كان معبدا من معابد النار قبل الإسلام وهما أعظم الآثار التاريخية الفنية الرائعة في أفغانستان ، ومن آثار الغوريين الفنية في البلاد الغورية (منار جام) على ضفاف نهر (هري رود) وكان هذا المنار التاريخي العظيم مئذنة لمسجد بناه غياث الدين أبو الفتح محمد سام الغوري ، ولم يبق من المسجد اليوم إلا هذا المنار التاريخي الذي يرمز إلى عصر ذهبي إسلامي في أفغانستان أيام الغوريين .

وقد زخرفت مساجدهم ، ومدارسهم ، وقصورهم بزخارف في أشكال متعددة ، يظهر ذلك في جدران ، وأرضية المساجد ، والمدارس ، والقصور وقد ظل النمط المعماري الغوري منسبطا على العمارة الإسلامية في كل من البلاد الأفغانية والهندية على السواء ، ومن أبرز الفنون التي لها علاقة وصلة وثيقة بموضوعنا هو فن الخط ، والكتابة الكوفية العربية التي استخدمت في كتابة الآيات

(١) مجلة (هنو مردم) سال بانزدهم ، شماره يكصلو هفتاد وسوم . مقال بقلم الأستاذ عبدالحى حبيبي ص ٢٦ .

القرآنية على جدران المساجد والمدارس .

ومن الناحية الأدبية البحتة فإن عصر الغوريين في أفغانستان يمتاز بانتشار الآداب الإسلامية ... القومية ، والعربية في البلاد الأفغانية الغورية ، ثم تسربها من البلاد الغورية الأفغانية إلى البلاد المجاورة ، وخاصة الهند ، وكانت الآداب القومية الإقليمية في الأراضي الأفغانية قد بدأت منذ ظهور الدول الإقليمية القومية على مسرح السياسة كما مر ، وارتقت في العصور الغورية ارتقاء هائلا ، وتقدمت تقدما عظيما ، وبعد هذا التقدم العظيم والارتقاء الهائل نشرت الفتوحات الغورية اللغتين الأفغانيتين الأساسيتين : البشتونية^(١) والدرية^(٢) وآداهما في البلاد الهندية وكانت الثانية قد سبقت الأولى إلى تلك الديار مع الفتوحات الغزنوية حيث اتخذ الغزنويون مدينة (لاهور) عاصمة لهم بعد أن قام الغوريون بطردهم من (غزنة) في أفغانستان ، ولم يكن انتشار الأدب العربى في الهند أقل من انتشار الأدبين الأفغانيين ... وهكذا قام الغوريون بنشر الآداب الإسلامية القومية ، والعربية في داخل البلاد الغورية ، وخارجها في البلاد المجاورة كإلند ، وهكذا كان العصر الغورى في أفغانستان عصر اتساع ، ورواج ، وازدهار للغات ، والآداب ، والفنون ، والعلوم ، والمصنوعات الجميلة ، والمزخرفات الرائعة بمختلف ألوانها ، وأشكالها ، وصورها الرائعة ، وقد ساعد حكم الغوريين في البلاد الأفغانية والهندية على اختلاط الأفغانيين بالهنود فحدث امتزاج حضارى ، وأدى ، وفنى ، وعلمى ، وثقافى بين الأفغان والهنود ، وقد أدى هذا الامتزاج الأدى ، والحضارى ، والفنى ، والعلمى إلى تبادل ، وتوحيد كثير من الفنون ، والتقاليد ، والعادات الاجتماعية بين الجانبين كان له أجهل الأثر في الآداب ، والفنون الإسلامية من الناحيتين المعنوية ، والتصويرية . والواقع أن مظاهر الحياة الأدبية ، وألوان النشاط العلمى والفنى والثقافى المختلفة قد واصلت سيرها الطبيعى بعد تسلم الغوريين مقاليد الأمور في البلاد الأفغانية ، وماجاورها من البلاد الفارسية في الغرب ، والبلاد الهندية في الشرق ، وكانت للغوريين عاصمتان هامتان ، أو مركزان هامان ... أحدهما في البلاد الأفغانية وهى (فيروزكوه) .

(١) البشتونية : هى اللغة البختونية الأفغانية الرسمية .

(٢) الدرية : هى المشهورة باسم الفارسية في البلاد العربية .

والثاني في البلاد الهندية ، وهى (دهلى) يمثلها من الناحية الحضارية والفنية (منارجام) في أفغانستان ، و (منار قطب) التاريخى فى الهند .

إن الغوريين كانوا يجمعون بين السيف والقلم ... فكانوا يتمتعون بالقوة القتالية ، والقوة الأدبية ، وعندما تجتمع قوة السيف والقلم فى شخص فإنه يعمل المعجزات فى الميدانين والمجالين معا ، فالغوريون أهل قتال وحرب ، وضرب ، وكر ، وفر فى الميادين القتالية والحربية منذ العصور القديمة ، وقد ساعدتهم فى ذلك طبيعة بلادهم الأفغانية الغورية وجبالها الراسيات المنيعة الشاهقات ، لقد أتاحت تلك الجبال الشاهقة العالية الصعبة للشعب الغورى الأفغانى الفرصة الطيبة الجيدة الممتازة للمحافظة على استقلاله وحرية ، وتقاليد اللغوية والأدبية والاجتماعية والسياسية والحضارية المستقلة إن المسافة بين الدولتين الشقيقتين العدوتين أو العاصمتين الغورية والغزنوية لاتزيد على أميال معدودات ، ومع هذا فإن الزعيم أباالحسن خلف الغورى ، يقوم بدور المترجم بين مندوب السلطان مسعود الغزنوى وبين الزعماء الغوريين ، وذلك عندما أراد السلطان مسعود الغزنوى غزو البلاد الغورية عن طريق (هرات) فى سنة ٤١١ هـ = ١٠٢٠ م مما يدل على تماسك الغوريين بلغتهم البشتونية الأفغانية ، وآدابها إلى جانب اهتمامهم البالغ باللغات والآداب الإسلامية الأخرى ... الإقليمية والعربية فى البلاد الأفغانية ، وبالإضافة إلى قوتهم القتالية ، وقوتهم اللغوية والأدبية الأصلية فإنهم الورثة الشرعيون للحضارة الإسلامية الغزنوية ، والنهضة الأدبية ، والعلمية الضخمة التى سادت البلاد الأفغانية فى العصر الغزنوى ، وكان البلاط الغزنوى فى مدينة (غزنة) فى أفغانستان يضحج بالأدباء ، والعلماء ، والشعراء ، وأهل الفن ، والأدب ورجال اللغة والتاريخ ، وقد نبغ عدد كبير من مشاهير العلماء والأدباء والكتاب ، والشعراء ممن كانوا أساتذة فى العلوم والآداب ، والفنون الجميلة ، وصارت (غزنة) مركزا ومقصدا للعلم والأدب ، والفن ، ويقال : إن مدينة (غزنة) الأفغانية قد قصدها قرابة أربعمائة من العلماء ، والشعراء ، والأدباء ، ورجال الفن الذين عاصروا السلطان الزابلى محمود الغزنوى . ومن هنا نرى الغوريين ، وهم الذين طردوا الغزنويين ، وورثوا حضارتهم بأصولها ، وآدابها أشد اهتماما وأكثر تشويقا للأدب والأدباء ، والعلم والعلماء ، والفن ورجاله ،

والشعر والشعراء بالنسبة للدول الإسلامية القومية التي سبقتها ليكونوا أرفع شأنًا ، وأحسن حالا من تلك الدول التي ورثوا حضارتها وآدابها ، وعلومها ، لتكون الانتصارات الأدبية والفنية ، والعلمية ، والثقافية والحضارية على مستوى الانتصارات التي نالوها في الميادين السياسية والحربية والقتالية ، فهم الذين هزموا الغزنويين ، ثم السلجوقيين ، وكونوا تلك الإمبراطورية المترامية الاطراف التي كانت تمتد إلى البلاد الهندية .

لم تقتصر الجهود الأدبية والفنية للغوريين على البلاد الأفغانية بل تجاوزت الحدود الأفغانية إلى خارجها ... إلى البلاد الهندية ... ففي مدة سلطان الغوريين الذي دام قرونا طويلة في البلاد الهندية بأسماء الأسر الأفغانية المختلفة ، غير عدد كبير من الهندوس لغته ، وأدبه ، ودينه ، وعقيدته ، وفنه ونمط حياته الاجتماعية ، وظل هذا التغيير ثابتا ، ومستمرا حتى بعد زوال سلطان الغوريين الأفغانيين في الهند الإسلامية في أيام المغول والإنجليز أعداء الأفغانيين التقليديين ، ولم يستطع المغول أن يضيفوا جديدا إلى مآثر الأفغانيين الإسلامية الدينية والأدبية في الهند باستثناء تلك المباني الضخمة ، والضرائح الفخمة التي شيدها ، وأقاموها لهم ولزوجاتهم على حساب المسلمين والهندوس إشباعا لرغبتهم النفسية الطائشة ، ألم يكن الأفضل أن يبنوا جامعة أو مدرسة لتثقيف المسلمين وتحويل الهندوس إلى الإسلام من مبنى (تاج محل) الذي بنى من أقوات الشعب الهندي المسكين ؟ . ولكن ما بناه الأفغان بشعبيتهم ... الغزنوية والغورية كان أعظم أثرا وأشد بقاء ... شيد الأفغان المبدأ والعقيدة ، وشيد المغول المبنى والضرخ ... قام الأفغان ببناء الإنسان وقام المغول ببناء الطين . ومما قام به الأفغان من المبدأ والعقيدة لم يتمكن المغول من إحقائه ، كما لم يستطع الإنجليز ولم يتمكنوا من إحقائه وإزالته ، لم يتمكن الإنجليز مع ما بذلوه من مجهود لإزالة الأثر العميق الذي أحدثه الأفغانيون من الغوريين وغيرهم من أحفادهم من الأسر الحاكمة ، لم يتمكنوا من نيل تلك المآثر والتأثيرات العميقة التي تركها الغوريون هناك في الحياة الحضارية ، والمجالات الأدبية واللغوية ، والاجتماعية ، وقد أعاد الغوريون إلى الأذهان ماقام به أجدادهم الآريون الذين هاجروا من الجبال ، والوديان الأفغانية الآرية إلى تلك الديار الهندية الفسيحة ، حاملين معهم لغتهم الآرية وآدابها الآرية ، وحياتهم الاجتماعية بتقاليدها

الآرية ، وحياتهم السياسية بأصولها الآرية ، وحياتهم الحرية بقواعدها العسكرية التقليدية ، وحياتهم الدينية بأسسها الآرية الويدية ، هاجرت القبائل الآرية من أفغانستان إلى الهند وفي أيديهم كتابهم المقدس (الويدا) بأناشيده الدينية ، وترانيمه الروحية ، يرتلون في المجالس والاجتماعات الروحية ، والدينية ، والأدبية في حلهم ، وترحالهم ، هاجر الآريون من أفغانستان إلى الهند فقاموا هناك بإنشاء وتكوين دولة آرية تسوده الحضارة الآرية بمبادئها ونظمها التقليدية ، كما تسودها الثقافة الآرية بلغتها وآدابها الآرية تمكنت تلك الحضارة ، وهذه الثقافة من السيطرة الكاملة التامة على الحضارة والثقافة واللغات والآداب الوطنية الإقليمية في بعض المناطق الهندية هناك ، وأثرت تأثيرا عميقا جذريا في آداب ، ولغات ، وأصول حضارة المناطق الأخرى من البلاد الهندية ، وهذا التأثير العميق ، والعمل الخلاق الذي قام به الآريون منذ أقدم العصور ، كره الغوريون بعدهم بقرون ، وفي الهند نفسها ، هاجم الغوريون الهند ، ففتحوها فتحا مبينا ، ثم هاجرت إليها القبائل الأفغانية ، واستوطنتها حاملة معه القرآن الكريم ترتله ليلا ونهارا ، وتعمل به ، وتطبقه في حياتها السياسية ، والاجتماعية والحرية وكونت فيها دولة إسلامية أفغانية تسودها الآداب الإسلامية بلغاتها الإسلامية والحياة الإسلامية بأصولها ومبادئها الاجتماعية ، والثقافية ، والحضارية ، تمكنت من السيطرة التامة على الآداب الهندية الإقليمية بلغاتها ، كما تمكنت من السيطرة التامة على الحياة الإقليمية وأصولها ومبادئها الاجتماعية والحضارية والثقافية في كثير من الأقاليم والولايات والمناطق الهندية ، كما استطاعت أن تؤثر تأثيرا داخليا عميقا في المناطق والأقاليم الأخرى في تلك الديار العظيمة الواسعة الفسيحة . نعم أخضعت الهند لفاوتين مسلمين من العرب في بعض أجزائها ، ولكن هذا الخضوع كان كالرعد الصاعق الشديد الذي يصحب المطر الشديد ، أو كالسيل العارم يأتي بسرعة البرق ، ويختفي بسرعة البرق ، ولم يكن لهذا الخضوع وهؤلاء الفاتحين ذلك التأثير والتحول العظيم اللذان أحدثهما الأفغان وخاصة الغوريون في حياة تلك البلاد من الناحيتين الأدبية واللغوية . فكان هؤلاء الأفغان الغوريين الفاتحين الأثر البالغ والعميق في لغة الهند وفنونها وآدابها ، نعم ! فتح الغزنويون الهند ، قبل الغوريين ، وتركوا تأثيرا دينيا ، وأدبيا ، وفنيا ، وعلميا ، وحضاريا في أكثر النواحي من الحياة

الاجتماعية ، ومهدوا - بذلك - الطريق لإخوانهم الغوريين إلا أن تأثيرهم الأدبي والثقافي والحضاري والفني لا يبلغ إلى ما بلغ إليه تأثير الغوريين العميق والمؤثر والقوى في الحياة الهندية العامة والخاصة ذلك لأن الغوريين كونوا للإسلام دولة عظيمة في الهند ، تعاقبتا الأسر الإسلامية الحاكمة من الأفغان وغيرهم ، وأكد أجزم على أنه لو لم يكن الغوريون وفتوحاتهم في عمق الهند ، وقيامهم على نشر الآداب الإسلامية ، لكان من الممكن جدا أن تذهب جهود الغزنويين وفتوحاتهم الإسلامية مع أدراج الرياح وكأنها لم تكن شيئا مذكورا . وأنا إذ أقول هذا لا أقصد التقليل من قيمة فتوحات الغزنويين الإسلامية ، ومجهوداتهم الأدبية ، وخدماتهم العلمية التي قدموها للعالم الإسلامي ، كذلك لا أقصد بقولي هذا إنكار تأثير الغزنويين في الحياة الهندية العلمية ، والأدبية ، واللغوية ، وفي الحياة الاجتماعية والسياسية ، ولكنني أقول ، وقولي في اعتقادي حق ... إن تأثير الغوريين الأدبي والفني والثقافي والحضاري واللغوي والديني أعظم شأنًا ، وأكثر عمرا ، وأعمق أثرا ، وأشد وقعا من تأثير الغزنويين وغيرهم من الأسر الأفغانية الحاكمة ، وغير الأفغانية التي حكمت الهند باسم الإسلام ، ورسالته السامية . ومن المعروف أن عمر الغوريين السياسي في البلاد الهندية أطول وهو أعظم تأثيرا من أعمار غيرهم من الدول الإسلامية في تلك البلاد الهندية .

سار الغوريون في كثير من الميادين العلمية والأدبية والفنية واللغوية على غرار الدول الأفغانية التي سبقتها ، فأداموا حضارة تلك الدول وآدابها ، وأضافوا إليها من أفكارهم ، وأعمالهم ، ما جعلها أشد نضارة ، وأنصح لونا ، وأشمل فهما ، وأكثر بقاء . أحبوا الآداب والعلوم والفنون حبا جما ، فرحبوا بالشعراء والعلماء ورجال الفن والأدب مهما كان جنسهم ولغتهم .

هل كان تعدد الدول وتغييرها سريعا ضارا بالآداب ؟ .

لم يكن تعدد الدول الإقليمية المستقلة في البلاد الأفغانية دليلا على ضعف الأمة الأفغانية السياسي والاجتماعي ، بل كان - ولا يزال - دليلا على القوة الكامنة الأصلية في جوهرها ، وأنها ليست ولم تكن أمة ذليلة يمكن أن يخضعها سلطان واحد من السلاطين بسهولة ويسر فالتعدد في نفسه قد يكون مظهرا من مظاهر

استقلال الشخصية ... شخصية الأمة ويقظتها السياسية وحيويتها الاجتماعية ، ونمو حضارتها البشرية ، ورقى فكرها الإنسانى وقد يكون مظهرها من مظاهر الاضطراب والاختلال ، وكل اضطراب ، واختلال خلل - لامحالة - بالحضارة والثقافة مؤد - بالضرورة - إلى الضعف والانهيار فى كل شئ ... ونحن إذا نظرنا إلى الدولتين ، أو السلطنتين ، أو الإمبراطوريتين الغزنوية والغورية فى البلاد الأفغانية نجد بينهما خلافا ، وحربا ، وجدالا وشدا ، ومدا ، غير أن هذه الحروب والخلافات لم تكن مدمرة ومخربة ومهلكة ، لم تكن تقضى على الحضارة ، وأصولها والحياة الحضارية وأسسها والحياة الأدبية والعلمية ومظاهرها فى البلاد الأفغانية ، بدليل قيام الغزنويين بإخضاع الدولة الغورية دون القضاء عليها قضاء مبرما ، وبدليل قيام علاء الدين حسين الغورى بإحراق مدينة (غزنة) ولكنه حاول فى هذه الحالة أن يجمع الكتب الأدبية والعلمية ، وأن يحفظها ، ثم اتخذ مدينة (غزنة) حاضرة للغوريين بعد أن أعمرها وشيدها من جديد ، فلم يكن التعدد دليلا على الضعف والاستكانة من الناحية السياسية والعسكرية ، ولكن الأمر المهم والسؤال الأهم هو هل كان هذا التعدد ذا أثر حسن فى الآداب والعلوم ، أم ذا أثر سيئ ؟ ولقد طرحت هذا السؤال هنا بمناسبة مايقال افتراء : إن الغوريين قد قضوا على المظاهر الحضارية والنهضة الأدبية والعلمية بقضائهم على الدولة الغزنوية فى أفغانستان ، ولوقوفهم فى طريق التطور الطبيعى فى البلاد الأفغانية من الناحيتين السياسية والعسكرية معا .

ولأجل الإجابة على هذا السؤال الذى طرحته هنا ، ننظر إلى عملية التطور والتحول ، ونتساءل هل التطور السياسى ، والتطور الأدبى يسيران جنبا إلى جنب فى هذه العملية ؟ والمعروف أن التطور السياسى والعسكرى أسرع من التطور الفكرى والأدبى ، فقد تقوى الأمة سياسيا وعسكريا ، وهى لم تكتمل بعد أسباب عبقريتها الفكرية ، والعلمية ، والفنية والأدبية ، وكذلك قد تضعف الأمة سريعا من الناحيتين السياسية والعسكرية وهى مازالت رفيعة الأدب ، متألفة العلم ، متوهجة الفكر ، بديعة الفن ، رائعة التفكير ، ناضرة الخيال ، ومعنى هذا : ليس التطور السياسى والعسكرى مسائرا دائما للتطور الفكرى والأدبى . نعم ! لاشك أن السياسة مؤثر قوى ، وفعال فى استقرار الأمة ، والاستقرار يعين الأمة على

العمل الخلاق ، والإنتاج الحى ، ويدفعها إلى الأمام ، ولكن ذلك لا يكون دائما ،
 بدليل أن الأمة العربية بلغت أوج قوتها السياسية والعسكرية أيام الأمويين ، لم
 يبلغها العباسيون ، ولكن لاشك أن الحضارة من أدب وفن وعلم وفلسفة ،
 وصناعة كانت في أيام العباسيين أرقى منها في أيام الأمويين ، ومما لا شك فيه أيضا
 أن كل هذا قد استفاد من العصر الأموى بنتائجه الإيجابية الجيدة المفيدة ، والسلبية
 الرديئة الضارة ، ذلك لأن التطور السياسى والعسكرى يخضع للوثبات الخاطفة ،
 والاستفادة من الحركات السريعة فى الميادين السياسية ، والعسكرية . أما الأدب ،
 والعلم ، والمعرفة فتحتاج إلى وقت طويل ، وفكر عميق ، ودارسة يقظة ، ودراية
 كافية ، وبحث دقيق والبحث الدقيق هو الذى يكشف للبشرية خبيثات العقل ،
 ودفينات الفكر مرة بعد مرة ، مسألة بعد مسألة ، وقاعدة بعد قاعدة ، وأصلا بعد
 أصل ، ويضع كل ذلك فى إطار فكرى رائع ، داخل سلسلة حلقات حضارية
 قطعت بعض مراحلها الحضارية ، وتحاول جاهدة مابقى من المراحل ليصل إلى
 القمة .

يطبق هذا على العصرين ، أو على الدولتين فى أفغانستان وهما الدولة
 الغزنوية ، والدولة الغورية ، فالعصر الغزنوى من الناحية السياسية والعسكرية
 يختلف كثيرا عن العصر الغورى ، كما يختلف عنه من الناحية الأدبية والعلمية
 والفنية ، والحضارية ، ولكن هل معنى هذا أن الأدباء ، والعلماء فى العصر الغورى
 كانوا أنشط أدبا وعلماء من سابقهم ؟ وهل شعراء العصر الغورى وكتابه أكثر
 نبوغا ، وأروع تعبيرا ، وأعظم إدراكا لمسائل الفن الشعرى ، وفنون الكتابة ،
 ومسائل العلم ، وقواعد الفلسفة ، من نظرائهم فى القرون السابقة ؟ والواقع أن
 هذا صحيح إلى حد كبير . نحن لاننكر عظمة العصر الغزنوى الأدبية والعلمية
 والفنية ، كما لاننكر شاعرية شعراء العصور السابقة ومهارتهم الفنية ، وفضيلة
 كتابها ، وأدب أدبائها ، وعلم علمائها ، وبلاغة فصحاءها ، وبيان خطبائها ،
 لاننكر ذلك كله إلا أن رجال العصر الغورى جاءوا إلى الحياة السياسية ، والميادين
 الأدبية ، والمجالات العلمية فوجدوا سابقهم قد بنوا لهم أسسا متينة من النتائج
 الأدبى ، والحضارى ، والفنى ، فبدأوا ، ينسجون على منوالهم تارة ، ثم يتفنون
 فيه تارة أخرى حتى وصل إنتاجهم الأدبى ، والعلمى ، والحضارى ، والفنى إلى

ما يشبه الكمال في الجلال وذلك بالإضافة إلى تداخل العصرين الغزنوي والغوري ، وإمتدادهما في التعايش في إطار عصري ، وجغرافي واحد ، فقد أدرك أكثر العلماء ، والأدباء والشعراء العصرين ، وتمتعوا بمزاياهما الأدبية ، والمعنوية ، والمادية فالعصر الغوري في الحقيقة يعد إمتدادا مكملا للعصر الغزنوي ، وكثير من العلماء بدأوا إنتاجهم الأدبي والعلمي في العصر الغزنوي ، وأتموه في العصر الغوري مما يدل على تداخل الإنتاج الأدبي والعلمي في العصرين ، ويجعلهما عصرا واحدا في جوانبه الحضارية والأدبية . فالأولون ... الغزنويون ، ومن سبقهم أصحاب فضل ، وعلم ، وأدب ، وهم الذين اخترعوا ، وابتكروا ، وفتحوا الطريق أمام إخوانهم الغوريين ، وهم الذين قاموا بنقل علوم الهند ، وآدابها وفلسفتها إلى أفغانستان ، وهم الذين قاموا بتشجيع العلماء ، والأدباء ، والكتاب والمؤلفين ، وأغرقوهم بالعطايا ، والهدايا القيمة نظير خدماتهم العلمية وإنتاجهم الأدبي والفني ولكن الغوريين أيضا أصحاب فضل ، وعلم ، وأدب فلقد تفتنوا فأبدعوا ببراعة ، وأتوا بكل جديد ، وأحبوا كل فن جديد جميل ، وهناك فارق آخر بين العصرين والعهدين ... إن الجهود الأدبية ، والعلمية في العصر الغزنوي كانت منصبه في ميدانين من ميادين الآداب والعلوم ، وهما ميدان الأدب العربي ، ولغته العربية ، وميدان الأدب الدرّي الأفغاني ولغته الدرية وكان الأدب البشتوني البختوني الأفغاني ينمو طبيعيا وفطريا بين عامة الناس في أفغانستان لم يهتم الغزنويون اهتماما يذكر باستثناء الأمراء والحكام المحليين غير الغزنويين ، بينما كانت الجهود الأدبية ، والعلمية في البلاد الأفغانية في العصر الغوري موجهة إلى ميادين أربعة من الميادين والمجالات الأدبية والعلمية في أفغانستان ، وهذا التقسيم ، والتوجيه ، والانصباب كان أمرا طبيعيا نظرا لتعدد اللغات الأفغانية وآدابها ، فبالإضافة إلى الأدبين العربي والدرّي اتجهت جهود الغوريين الأدبية والعلمية إلى الأدبين البشتوني البختوني الأفغاني ، وإلى الأدب التركي الشرقي الجفتائي ، ولقد أبدع الشعراء والأدباء والكتاب في هذه المجالات الأدبية واللغوية الأربع أيما إبداع . فإحدى نتائج تعدد الدول في المنطقة الأفغانية أن الحركة الأدبية ، والنهضة الفنية ، والتوجيه العلمي في العصر الغوري كان أشمل ، وأعم من الحركات الأدبية والنهضات العلمية والفنية في العصور السابقة .

ميزة أخرى أدبية يمتاز بها الغوريون عن غيرهم من الدول الإسلامية في البلاد الأفغانية وهى أيضا نتيجة طبيعية من نتائج تعدد الدول في المنطقة الأفغانية ، وهذه الميزة هى خلوهم عن النزعة القومية الخاصة ، وخلوهم عن العصبية القبلية فى الأدب والفن والعلم والمعرفة عامة ، ولقد كانت هذه النزعة القومية والعصبية القبلية من الأمراض السياسية والاجتماعية والحضارية الخطيرة فى العصور السابقة ، جعلت التنافر شديدا بين الحكام والمحكومين فى خراسان الأفغانية ، والأمثلة لذلك كثيرة لاحصر لها ، ومن قديم الزمان نزعة كل من العربى والأفغانى والإيرانى لقبيلته ونزعة لدمه القومى ، ثم نزعة لأدبه القومى ، ولغته القومية مشهورة فى التاريخ ، لم يستطع الإسلام المقدس وتعاليمه السمحة القضاء عليها رغم دعوته الشديدة إلى نبذها ، وقد اشتهر كثيرون منهم بالنزعة القبلية والعصبية القومية أيام حكمهم فى البلاد الخراسانية الأفغانية ، وكأنهم لم يسمعوا هذا القول الخالد : « لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » ، فنظروا إلى الأمم الأخرى نظرة غير إسلامية ، ونسوا فى ذلك مبدأ الإسلام الخالد الذى يقول : ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ .

ولقد خلقت هذه النزعة القبلية السيئة ، وهذه العنصرية البغيضة لدى الشعوب الإسلامية المختلفة حقدا مريرا فى نفوسها مما قضى على الحب والوئام بينها ، وهذه العصبية القومية هى التى أوججت نار الحقد والكراهية والبغضاء بين المسلمين من العرب والعجم أولا ، ثم بين اليمانيين والمضريين الذين استوطنوا البلاد الخراسانية الأفغانية ، والذين كانوا يحكمونها من قبل الخلفاء العرب ثانيا . حتى الدول الإقليمية المستقلة فى البلاد الخراسانية الأفغانية لم تستطع التخلص من هذه النزعة المدمرة المهلكة ، ففى العصر الغزنوى كان الوزير (الأسفراينى) يمثل النزعة القومية الإقليمية بينما كان الوزير (الميوندى) يمثل النزعة الإسلامية العربية وإن كان أفغانيا من (ميوند) بين قندهار وبست ، بخلاف الملوك والسلاطين الغوريين الذين لم تجد هذه النزعة القومية الخاصة إلى نفوسهم ، وإلى قلوبهم المسلمة المؤمنة سبيلا ، أسلموا فدخل الإسلام إلى أعماق قلوبهم ، وجرى فى دمهم جريان الدم فى العروق ، لم يكونوا يؤمنون بالقومية الإقليمية أو القبلية ، بل كانوا يؤمنون بالقومية الإسلامية التى سوت بين الناس أجمعين ، فحملوا راية الإسلام حتى نصبوها فوق ربوع الهند عالية ، وقاموا بنشر الآداب والفنون

والحضارة الإسلامية الأفغانية هنا وهناك ، ولم تتمكن النزعة القومية والعصبية القبلية من الوقوف في سبيلهم ، وفي طريق أهدافهم الحضارية والأدبية والفنية والثقافية ... لم يزاحم أدب إسلامي أدبا إسلاميا آخر ، ولم تزاحم لغة إسلامية لغة إسلامية أخرى ، ولم ترجح كفة أدب على حساب أدب آخر ، رغم تعدد المراكز الأدبية والعلمية والحضارية ، ورغم تعدد اللغات الإقليمية وتعدد آدابها وفنونها في الإمبراطورية الغورية ، تمكن الغوريون من السيطرة على هذا التعدد الذي كان ينذر دائما بالصراع الأدبي ، واللغوي قبلهم ، كما حصل بعدهم ، ولكنهم تصرفوا في هذا الميدان بمهارة ، وكان الصراع الأدبي معروفا ومسيطرا على البيئات الأدبية ، والفنية ، والحضارية في العصور السابقة على العصر الغزنوي ، ويتجاوز أحيانا المجال الأدبي ، واللغوي فتظهر آثاره السيئة في البلاط السلطاني والسياسة العامة للدولة ، ولكنه لم يتمكن من السيطرة على البلاط السلطاني في الإمبراطورية الغورية المترامية الأطراف ، عاش الغوريون في جاهليتهم متمتعين باستقلالهم ، وحريرتهم السياسية ، والاجتماعية ، والأدبية ، وحاربوا في سبيل الحفاظ على هذه الحرية لأن الحرية في كل جوانب الحياة السياسية والعلمية ، والأدبية ، والفنية في نظر الأفغان أغلى شيء في الوجود وقد طبقوا هذه الحرية والاستقلال في البيئات الأدبية والعلمية والحضارية رغم تعدد اللغات والآداب والفنون . وفي إسلامهم بعد جاهليتهم حافظوا على استقلالهم الأدبي ، والسياسي ، والعسكري ، أضاعوا استقلال الغزنويين والسلاجقة ، وطرّدوا الغزنويين إلى البلاد الهندية ، وأرغموهم على أن يتخذوا مدينة (لاهور) قاعدة وعاصمة لهم ، ثم قضوا عليهم هناك نهائيا ، ذلك كله للمحافظة على الاستقلال والحرية في الحياة بجميع جوانبها ، وجمعوا في جيوشهم أعدادا وفيرة وكثيرة من جميع الأجناس والقبائل التي كانت تقطن أفغانستان في تلك الأيام ، والتي كانت تتكلم بلغات أفغانستان المختلفة ، ولم يحدث فيها ما حدث فيما بعد من الصراع الأدبي واللغوي في الجيوش المغولية . والعلة الأساسية في كل ذلك تصرف الغوريين الحكيم في هذه الموضوعات الأدبية واللغوية الحساسة ، ونظرهم إلى جميع القبائل الأفغانية ، ولغاتهم ، وآدابهم نظرة المساواة التي يدعو إليها الإسلام ، وتعاليمه المقدسة .

وهكذا نرى أن التعدد في الدول الإقليمية في الأراضي الأفغانية القديمة لم

يكن ضارا بالأدب ، والفن ، بل كان نافعا استفاد منه الفن الأدبي ، ودافعا من دوافع ازدهار الفنون الجميلة ، والعلوم والآداب لما كان بين الأمراء والولاة ، والحكام في المراكز السياسية والعلمية والثقافية المختلفة في الأقاليم من تنافس كبير في حرصهم على أن تعمر ندواتهم ومجالسهم بالأدباء والعلماء والفلاسفة والشعراء ، وكانوا يغارون من أن يكون بلاط غيرهم من السلاطين والملوك والأمراء والحكام أكثر ازدهارا ، وأشد ازدهاما ، وخصوبة بالأدباء ، والشعراء ، والعلماء ، والفلاسفة ، ورجال الفن من بلاطهم - كل ذلك وغيره من الجهود الأدبية ، والفنية ، والعلمية التي بذلت في ظل التنافس الأدبي خلال تعدد الدول الإقليمية المستقلة في الأراضي الأفغانية ، يدلنا على مقدار اهتمام الملوك والسلاطين والأمراء والولاة ، وحتى القواد بالعلوم والعلماء ، والأدب والأدباء ، والشعر والشعراء والفن ورجاله مما كان له أجمل الأثر ، وأكبره روعة في ازدهار الآداب والمعارف ، والعلوم ، والفنون ، والثقافات ، واللغات المختلفة في العصر الغوري ، وماتلاه من العصور في البلاد الأفغانية والهندية معا .

وهكذا رأينا فيما سبق من السطور أن الفكر ، والأدب الإسلامي قد حقق تقدما رائعا خلال الفترة التي حكم فيها الغزنويون والغوريون البلاد الأفغانية ، ورأينا كيف تلقى الفكر الإسلامي مادونه الباحثون السابقون من دراسات وأبحاث في الآداب والعلوم ، وكيف طورها علماء العصرين ... الغزنوي والغوري ، وزادو عليها زيادات رائعة ، كما رأينا ما ابتكره العلماء والباحثون في العصرين الغزنوي والغوري من أبحاث علمية وأدبية وفلسفية ، وأخيرا شاهدنا هذه النتائج الأدبية ، والعلمية ، والحضارية التي يقذفها الغزنويون إلى الغوريين ، والغوريون إلى من أتى بعدهم زادا ناضجا للعقل الإسلامي الأفغاني فكان هذا الزاد أساسا متينا محكما شيدت عليه النهضة الأدبية والعلمية والفنية في البلاد ، وكان وقودا لنار الفتنة الجنگيزية التي أقامت المذابح لذبح الأفغان من العلماء والأدباء والشعراء وغيرهم ، ودمرت المدن والقرى والبلاد الأفغانية كلها ، وأحرقت المكتبات والمدارس والمساجد والجوامع ، وقضت على الثقافات والحضارات والمعارف .

والحق أننا منذ بداية العصر الغوري بل منذ العصر الغزنوي وجدنا أنفسنا

أمام آداب لا يمكن أن تكون آداباً عربية محضة ولكنها عربية إسلامية أفغانية ،
أو هي مزاج من الآداب العربية والأفغانية معا ، وأعجب من ذلك أن هذه الآداب
الأفغانية التي ظهرت على استحياء منذ الدولة الطاهرية والصفارية كانت قد قفزت
قفزات واسعة أيام الدولتين السامانية ، والغزنوية ، هذه الآداب هي التي يقوى
شأنها في الدولة الغورية وريثة الدولة الغزنوية ، وبقيت على هذه الدرجة من القوة
والمتانة ، والتقدم والرقى ، وعظم الشأن حتى كانت النهضات الوطنية الخالصة في
البلاد الأفغانية وفي البلاد المجاورة لها . وقد أخلص العلماء والشعراء والأدباء في
هذا العصر الغوري إلى اللغات الأفغانية ، وإلى آدابها الوطنية حتى نشطت ،
وتأكدت الصلات الإسلامية بينها ، فنجد صورا واضحة ومستقلة لكل هذه
الآداب ، ذلك لأن الدين القويم في الدولة ، والعلم الصحيح في البيئة ، والخلق
الكريم في الملوك ، والعدالة الشاملة ، والمساواة الكاملة والحكومة الرشيدة كل
ذلك هيا للآداب الإسلامية حياة الاطراد والازدهار الأدبي واللغوي والفني .

أدباء وعلماء العصر الغورى

الأميرة (ماه ملك) :

الأميرة (ماه ملك) ابنة السلطان غياث الدين أبى الفتح محمد بن سام قسم أمير المؤمنين ، كانت من الأميرات الفاضلات العالمات الأدبيات تحب العلماء والأدباء والشعراء ، وتعطف عليهم ، وقد ربت العالم الكبير ، والمؤرخ العظيم ، والأديب الفاضل منهاج الدين عثمان بن سراج الدين الجوزجاني صاحب كتاب (طبقات ناصرى) فى قصرها الملكى ، وكانت تحفظ القرآن الكريم حفظاً جيداً ، وكانت من عادتها أن تقوم فى كل سنة مرة بختم القرآن الكريم فى ركعتين فى ليلة واحدة ، وعندما توفى أبوها السلطان غياث الدين اختفت عن الأنظار ، واعتكفت للعبادة لمدة سبع سنوات تصلى وتتعب وتترحم على أبيها^(١) المتوفى ، وقد روى عنها أخبار تاريخية خاصة بهذه الأسرة^(٢) وكانت إلى جانب ذلك فنانة رائعة فى حسن الخط .

ومن آثارها العلمية والأدبية الخالدة مدرسة (شاه مشهد)^(٣) فى (جوند) التى كانت ولانزال تشتهر باسم (شاه مشهد) فى ولاية (بادغيس) بأفغانستان الغربية وتقع على الشاطئ الأيسر من نهر (مرغاب) وجدران هذه المدرسة التاريخية الأثرية لانزال باقية بخطوطها وكتابات العربية الكوفية الفنية الجميلة . وهى تحفة رائعة ونادرة فى فن العمارة الغورية ، وتمثل الفن المعمارى الخراسانى تمثيلاً دقيقاً ، فقد شيدت الأميرة الفاضلة التقية هذه المدرسة بمناسبة فتح (هرات) التى فتحها أبوها السلطان غياث الدين ، وقد تم ذلك فى سنة ٥٧١ هـ = ١١٧٥ م .

(١) منهاج الدين عثمان بن سراج الدين الجوزجاني - طبقات ناصرى ٣١٩/١ .

(٢) المصدر السابق ٣٦٩/١ .

(٣) منهاج الدين عثمان بن سراج الدين الجوزجاني - طبقات ناصرى ٣٥٨/١ ، ومجلة (هنر و مردم)

شماره صدو هفتاد و سوم اسفندماه سنة ٢٥٣٥ .

وقد استخدمت في الكتابات على جدران المدرسة الخطوط العربية الفنية الآتية :

- ١ - الخط العربى الكوفى المعقد المتوى المزين المزخرف الجميل .
- ٢ - الخط العربى الكوفى البسيط الواضح المزين المزخرف الجميل .
- ٣ - الخط العربى المتماثل إلى خط الثلث المزخرف الجميل .
- ٤ - خط الثلث العربى المزخرف المتماثل إلى (الریحان) .
- ٥ - خط الثلث الجلى المتماثل إلى خط النسخ^(١) .

وكان من عادة الملوك والسلاطين الغوريين أن يقوموا بتشيد مساجد ، ومدارس جديدة عند كل فتح يقومون به فى البلاد مزينة جدرانها بالآيات القرآنية مكتوبة بخطوط فنية مختلفة تعتبر آيات فى الفن ، وهى حقيقة لوحات رائعة من الفن ، وقد ظل هذا النمط الفنى الرائع فى الخطوط الفنية حتى ظهر أثرها فى مدرسة (بهزاد) الفنية فى (هرات) الأفغانية وكانت عادة بناء وتشيد المساجد والمدارس منتشرة بين ملكات وأميرات السلاطين الغوريين أيضا كما يقول مؤرخهم منهاج الدين عثمان بن سراج الدين الجوزجاني^(٢) .

وقد توفت الأميرة الفاضلة العالمة (ماه ملك) فى حوالى سنة ٦٠٦ هـ = ١٢٠٨ م^(٣) .

ويقول المؤرخون : إن السلطان غياث الدين الغورى كان يتمتع بجمال الخط وكان يكتب القرآن الكريم بخط يده^(٤) ثم يبيعه ويتصدق بما يكسبه عن هذا الكسب المبارك المقدس على الفقراء والمساكين ، وعلى مدارسه^(٥) .

والدولة الغورية حلقة اتصال فى الفن المعمارى ، أو جسر مر به الفن

(١) مجلة (هنر ومردم) اسفندماه سنة ٢٥٣٥ شماره يكصد وهفتاد وسوم ص ٢٦ مقال للأستاذ عبدالحى حبيبي .

(٢) طبقات ناصرى ٣٤١/١ .

(٣) مجلة (هنر ومردم) ص ٢٩ .

(٤) تاريخ ابن الوردي ١٧٣/٢ طبعة النجف سنة ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م .

(٥) المصدر السابق .

المعماري الخراساني إلى الدول والعصور التي تلت الدولة الغورية ، وهي من جانب آخر مهدت في فن الخط بجميع أنواعه وألوانه وأصنافه للمدرسة الفنية التي ظهرت على يد الفنان الأفغاني (بهزاد) الهروي .

الإمام عبدالحالق الجوزجاني :

الإمام عبدالحالق الجوزجاني من علماء العصر الغزنوي وقد تزوج إحدى بنات السلطان إبراهيم الغزنوي . وقد ولد في (الجوزجان) في شمال أفغانستان ، وانتقل منها إلى مدينة (غزنة) الأفغانية وأصبح أحد علماء القصر في العهد الغزنوي ، وكان عالما ورعا تقيا من الأئمة العلماء المشهورين في هذا العصر ، وكان يعيش في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري^(١) من معاصري العصرين الغزنوي والغوري ، وقد توفي في (غزنة) وضرجه يوجد في (طاهر آباد) في مدينة غزنة التاريخية .

إبراهيم بن الإمام عبدالحالق الجوزجاني^(٢) :

عالم من علماء هذه الأسرة الجوزجانية العلمية ، وكان يعيش في الثلث الأول من القرن السادس الهجري ، وهو أيضا من علماء العصرين واللغتين العربية والدرية .

سراج الدين بن محمد أعجوبة الزمان الجوزجاني^(٣) :

من علماء أفغانستان المشهورين في هذا العصر كان يعيش في الثلث الأخير من القرن السادس الهجري ، وكان قاضي الجيش الغوري في الهند في أيام السلطان معزالدين الغوري ، وكان صاحب الألسن الثلاثة العربية والپشتونية والدرية ، وكان أفصح العجم في عصره أيام السلطان غياث الدين وكان آية في العلم ، والبلاغة ، والسياسة ، والشئون الإدارية ، وكان من علماء الغوريين في كل من

(١) منهاج الدين : ٢٣١/٢ - طبقات ناصري - وابن الأثير .

(٢) طبقات ناصري ٢٣١/٢ .

(٣) طبقات ناصري - طبعة رابعة .

(باميان) و (فيروزكوه) وكان يقوم بأعمال السفارة أيام الغوريين بينهم وبين دار الخلافة العباسية ، وقد توفي سنة ٥٩٢ هـ = ١١٩٥ م .

منهاج الدين عثمان بن سراج الدين الجوزجاني :

وهو صاحب كتاب (طبقات ناصري) القيم ، ولد في سنة ٥٨٩ هـ = ١١٩٣ م في مدينة (فيروزكوه) عاصمة الغوريين الأولى^(١) ، وقد تعلم في قصر الأميرة الغورية (ماه ملك) ابنة السلطان غياث الدين الغوري ، وترى في قصرها وقد بدأ بحفظ القرآن الكريم في حلقة درس الإمام علي الغزنوي وعمره سبع سنوات ، ولما بلغ من العمر اثنين وعشرين سنة ، وأتم دراسته غادر مدينة (فيروزكوه) إلى مدينة (بست) الأفغانية ومنها إلى (سيستان) الأفغانية ، وقد قابل في البلاط السيستاني الإمام رشيد الدين عبد المجيد . وقد بدأ بعمل دوره السياسي وعمره أربع وعشرون سنة ، وكان يقول الشعر باللغتين العربية والدرية ، ومن المحتمل أنه كان يجيد اللغة پشتونية لغة البلاط الغوري . وكان قاضي قضاة الهند ، ومن مؤلفاته كتاب في التاريخ اسمه (طبقات ناصري) وكتاب آخر اسمه (ناصري نامه) وهو منظوم^(٢) وتاريخ وفاته غير معروف^(٣) .

علماء الأسرة الجوزجانية العلمية الأفغانية ، قد عاصروا الدولتين الشقيقتين العدوتين الغزنوية والغورية ، وشاهدوا العصرين وجالوا جولات علمية في الإمبراطورية الغورية المترامية الأطراف من البلاد الأفغانية إلى البلاد الهندية . ومن أشعاره بالعربية قوله في وصف عرض عسكري في مدينة (دهلي) بالهند :

قد صادف الرضوان أيام الوري من روح هذا البزم^(٤) للسلطان
لازال يبقى في جلالة ملكه ومزبد إمكان ورفعة^(٥) شان

(١) منهاج الدين عثمان بن سراج الدين الجوزجاني - طبقات ناصري ٢/٢٣٩ .

(٢) المصدر السابق ٢/٢٦١ .

(٣) المصدر السابق ٢/٢٥٩ .

(٤) البزم : كلمة أفغانية درية : عيش . مجلس الشراب والطرب والضيافة محفل . جماعة . خيمة .

(٥) منهاج الدين عثمان بن سراج الدين الجوزجاني ٢/٨٤ طبعة كابل سنة ١٣٤٣ هـ ش = ١٩٦٤ م .

العلامة الإمام فخر الدين الرازى :

هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن علي الملقب بابن الخطيب الإمام فخر الدين الرازى^(١) ولد في (الرى) سنة ٥٤٢ هـ = ١١٤٨ م^(٢) ويرجع نسبه إلى أبى بكر (رضى الله عنه)^(٣) درس اللغة العربية وآدابها ، واللغة الدرية وآدابها ، وليس من المستبعد أنه قد أجاد اللغة (البشتونية = البختونية) لغة البلاط في الدولة الغورية التي كان يعيش في قصورها في كل من أفغانستان والهند ، وكان عالما من علماء تلك القصور الملكية ، وقد صاحب الغوريين في غزواتهم وحروبهم في الهند ، وكان يقول الشعر بالعربية والدرية^(٤) . وقد جاب البلاد ، وناظر العلماء ، وعاشر الأمراء والسلاطين ، ولم يطب عيش (الرازى) إلا لدى السلاطين الغوريين في أفغانستان ، عندما ذهب إلى السلطان محمد الغورى (شهاب الدين = معزالدين) فبالغ في إكرامه ، والإنعام عليه ، وقربه إليه في (غزنة) وصاحبه في غزواته وفتوحاته في الهند وكان يقوم بالوعظ والإرشاد^(٥) . في جيشه . ولالإمام فخر الدين الرازى كتاب باسم (اللطائف الغياثية) نسبة إلى السلطان غياث الدين الغورى^(٦) وقد شيد السلطان غياث الدين الغورى المسجد الجامع في (هرات) لأجل الإمام فخر الدين الرازى ليقوم فيه بتدريس الفقه الشافعى^(٧) كما ألف كتابا آخر باسم (البراهن البهائية) الذى أهدها إلى السلطان بهاء الدين الغورى^(٨) . وفي أيام الغوريين لقب الإمام فخر الدين الرازى بشيخ الإسلام^(٩) . وقد استوطن الإمام فخر الدين الرازى مدينة (هرات) الأفغانية ، بعد أن غادر (باميان) الأفغانية ، ودخلها في أبهة عظيمة ، وكان يحضر مجلسه في

(١) الرازى : نسبة إلى (راز) وهو بمعنى اللون في اللغة البشتونية . راجع طبقات ناصر ٣١٠/٢ ، والمشهور أنه منسوب إلى الرى ، وهى من المدن التاريخية القديمة في إيران .

(٢) وقيل سنة ٥٤٤ هـ = ١١٤٩ م .

(٣) الشهرزورى - روضة الأفراح - مخطوطة جامعة القاهرة رقم ٢٦٣٦٩ .

(٤) الصفدى : الوافى بالوفيات ٢٤٩/٤ .

(٥) سيد بهادر شاه - بختانه د تاريخ په رناكى ص ٣٩٣ طبعة پشاور .

(٦) عتيق الله بچواك - غوريان ص ٢٠٢ طبعة كابل .

(٧) المصدر السابق ص ٢٠٧ ، وآثار هرات ٢٧/١ ، وتايخ ابن الوردى ١٦٣ - ١٦٤ .

(٨) غوريان ص ٢٤٢ .

(٩) غوريان ص ٢٧٨ .

(هرات) الملوك الغوريون ، والوزراء ، والأمراء ، والعلماء ، والفقهاء ، والأدباء
ومن أشهر تلاميذه في (هرات) زين الدين لكهنو ، والقطب المصري ،
وشهاب الدين النيسابوري .

وكانت متاعبه في الحياة كثيرة إلى حد أن أنشد يوما معاتباً أهل
(هرات)^(١) :

المراء مادام حيا يستهان به ويعظم الرزء فيه حين يفتقد
ويصف في هذين البيتين خلقه قائلاً^(٢) :

أشكو إلى الله من خلق يغيرني ويمحق النور من عقلي ومن ديني
حرارة في مزاج القلب محكمة تبدو فتنمو فتقويني فترضيني

وقد مات الإمام فخر الدين الرازي في مدينة (هرات) الأفغانية سنة
٦٠٦هـ = ١٢١٠ م ، ودفن خارج مدينة (هرات) في الشمال الغربي منها
وكان يقول الشعر بالعربية والدرية كما مر ، ومن أشعاره بالدرية هذه الرباعية وهي
منقوشة على قبره أيضاً^(٤) :

هر كز دل من زعلم محروم نشد كم ماندز أسرار كه معهوم نشد
هفتاد و دو سال درس كفتم شب و روز معلوم شد كه هيج معلوم نشد

وكان للإمام الفخر الرازي مع هذه العلوم ، وهذه الشاعرية الدرية شيء من
النظم العربي ، فمن ذلك قوله^(٥) :

نهاية إقدام العقول عقل وأكثر سعى العاملين ضلال
وأرواحنا في وحشية من جسمونا وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم قد رأينا من رجال ودولة فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا

(١) الخوانساري - روضات الجنات ١٩٠/٤ .

(٢) الشهرزوري - روضة الأفراح مخطوطة جامعة القاهرة رقم ٢٦٣٦٩ .

(٣) عتيق الله - پچواك - غوريان ص ٢٧٥ طبعة كابل سنة ١٣٤٥ هـ ش .

(٤) منهاج الدين عثمان بن سراج الدين الجوزجاني ، طبقات ناصري ٢٨٣/٢ طبعة كابل .

(٥) وفيات الأعيان : ٢٥٠/٤ طبعة بيروت .

وكم من جبال قد علت شرفاتها رجال فزالوا والجبال جبال
ويبلغ عدد مؤلفات الإمام فخر الرازي إلى ١١٩ كتاباً^(١) وقد تم أغلب
إنتاجه العلمي في أفغانستان .

فخر الدين مبارکشاه بن الحسن المروزي :

عالم من علماء القصور الغورية في أفغانستان ، وأديب من أدبائها
المشهورين ، وشاعر من شعرائها الممتازين ، وكتب من كتابها تولى الوزارة أيام
السلطان علاء الدين حسين الغوري^(٢) قام بتأليف ونظم كتاب قيم باسم (نسب
نامه غوريان) في تاريخ الدولة الغورية وسلاطينها يبدأ باسم السلطان علاء الدين
حسين الغوري ، وأتمه باسم السلطان غياث الدين محمد سام الغوري ، وكان عالماً
فصيحاً ، وشاعراً قديراً ورجلاً كريماً ، وشخصاً مخلصاً متفانياً في قضاء حاجات
الناس ، وكان يضرب به المثل في ذلك ، وقد نظم كتابه المذكور على الطريقة
المثنوية في البحر المتقارب ، ومنه نموذج في كتاب (روضات الجنات في أوصاف
مدينة هراة)^(٣) وكان يقول الشعر الجيد بالعربية والدرية ، وقد توفي سنة
٦٠٢ هـ = ١٢٠٥ م^(٤) وفي ذلك يقول ابن الأثير : « وفيها (٦٠٢ هـ) في
شوال توفي فخرالدين مبارکشاه ابن الحسن المروزي ، وكان حسن الشعر في
الفارسية والعربية ، وله منزلة عظيمة عند غياث الدين الكبير صاحب غزنة
وهرات وغيرهما ، وكان له دار ضيافة فيها كتب وشطرنج ، فالعلماء يطالعون
الكتب ، والجهال يلعبون بالشطرنج » وعلى هذا فكان فخرالدين مبارکشاه يجمع
بين الشاعرية ، والعلم ، والسياسة الشعبية .

ومن أشعاره بالدرية مدح البلاد الغورية والغوريين بأنهم لم يلعنوا آل بيت
الرسول ﷺ ، ولم يقيم بذلك أحد في بلاد الغور أيام الأمويين كما يقول معين
الدين اسفزاری في كتابه (روضات الجنات في أوصاف مدينة هراة)^(٥) :

(١) محمد عوف : تعليقات لباب الأبواب ٣٢٧/١ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٩٤/١٢ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٢٨٤/٩ .

(٥) ٢٥٥/١ وطبقات ناصري ٣٩٧/٢ - ٣٩٨ وغوريان ص ٢٧٥ .

که بروی خطیبی همی خطبه بخواند	یا سلام درهیج منبر نماند
نکردند لعنت فصیح و صریح	که بر آل یاسین بلفظ قبیح
که ازدست هر ناکس آمد برون	دیار بلندش آزان شد مصون
نه در آشکارا ونه در نهفت	آزان جنس هرگز دران کس نکفت
بدین برهمه عاملش فخردان	نرفت آندر ولعت خالندان
بدین فخر دارند برهر نژاد	مهرین یادشا های بادین و داد

رأینا سابقا أن أغلب المؤلفات المهمة كانت باللغة العربية ، ولكن في العصر الغوري شاركتها في ذلك اللغات الوطنية الإقليمية كالپشتونية والدرية ، وكذلك التركية الشرقية الأفغانية فيما بعد ، وهكذا كانت (فیروزکوه) و (بامیان) و (غزنه) و (هرات) وغيرها من المدن الأفغانية أيام الغوريين مبعث العلوم والآداب بمختلف لغاتها ، ومقصد الشعراء والعلماء والكتاب ، وكان سلاطين الأسرة الغورية ممن يشجعون العلم والأدب والفن ، وكانوا يرعون الشعراء والكتاب ، والمؤرخين ، وكان للسلطان الغوري علاء الدين حسين مكتبة قيمة ، من الكتب العلمية والأدبية ، وقد استفاد منها الإمام فخر الدين الرازی ، كما كانت لفخر الدين مبارك شاه مكتبة في داره يستفيد منها العلماء كما يقول ابن الأثير .

الخصائص الفنية في آداب هذه الفترة

أفغانستان الآرية كموطن هام من مواطن اللغات الآرية وآدابها القومية التاريخية القديمة جدير بالدراسة من الناحية التاريخية ، وأفغانستان الخراسانية كموطن هام من مواطن اللغة العربية جدير بالدراسة والاهتمام لأنها قد أنتجت منذ دخولها الإسلام أنواعا من الإنتاج الأدبي والعلمي والفني باللغة العربية له خصائص فنية خاصة ، وهو متميز تماما عما أخرجته باللغات الوطنية القومية التي أصبحت ميدانا للكتابة والتدوين منذ القرن الثالث الهجري ، وإنتاج أفغانستان الخراسانية العربي يمكن بيانه بإيجاز في ثلاثة أنواع :

النوع الأول : إنتاج عربي :

وهو إنتاج عربي قامت به عقول أفغانية خراسانية اتخذت اللغة العربية وسيلة للتعبير والكتابة يتميز بخصائص فنية لا توجد في غيره من أنواع الإنتاج الأدبي والعلمي ، وقد ظهر من هؤلاء الأدباء الخراسانيين المعربين عدد غير قليل في هذه الفترة من عصر الدول الطاهرية ، والصفارية ، والسامانية والغزنوية ، والسلجوقية ، والغورية ، وكان لهم الفضل كل الفضل في تدوين وكتابة ، وجمع كثير من العلوم والآداب ، باللغة العربية بالإضافة إلى ما قاموا به باللغات الوطنية . وقد عقد الفيلسوف الاجتماعي ابن خلدون في مقدمته فصلا مستقلا تحت عنوان (إن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم العجم)^(١) وقد أيدته في ذلك (حاجي خليفة) في مقدمته لكشف الظنون^(٢) ذلك لأن الخراسانيين كانوا أنشط عناصر الدولة الإسلامية في النواحي السياسية ، والعلمية ، والأدبية ، والفنية ، وأكثرهم رغبة في الاندماج بالعناصر العربية وغيرها ، ومما لاشك فيه أن كثيرا منهم قد تأكدوا منذ البداية من أن اللغة العربية لغة دين ودولة ، ولغة علم وأدب ، فربطوا

(١) انظر : الفصل السادس والثلاثين من مقدمة ابن خلدون .

(٢) انظر : كشف الظنون ص ٤٠ - ٤١ من المقدمة .

مستقبلهم ، ومستقبل أجيالهم ، وآمالهم السياسية والعلمية بهذه اللغة وآدابها ، لأن الحكام ، والأمراء ، والولاة أصبحوا عربا أو معربين يتكلمون اللغة العربية ، ويتذوقون الأدب والفن العربى ، ولأن كثيرا من القبائل العربية قد ارتحلت وجاءت إلى بلادهم^(١) وقطنت ديارهم واستوطنت أراضيهم ، وفازت بمكاسب الدولة العربية العظمى ، ومناصبها الهامة ، ومنافعها الهائلة ، وفوائدها الكثيرة ، ولا وسيلة للتقرب والوصول إلى تلك المناصب والمكاسب ، وهؤلاء الحكام والأمراء العرب والمعربين إلا بتعلم لغتهم العربية ، لغة الدين الإسلامى ، ولغة الدولة الإسلامية ولغة العلم والأدب ، ولغة الثقافة الإسلامية العالية ، ولغة كل من يريد أن يتصل بسادة البلاد وحكامها إما حبا فيهم ، أو تملقا لهم كسبا لتلك المناصب الحكومية ووصولها إليها .

ثم نشأت الدول الإقليمية فى خراسان ... نشأت الدولة الطاهرية فى (هرات) الأفغانية و (نيسابور) الخراسانية ، ونشأت الدولة الصفارية فى (سيستان = سجستان) ونشأت الدولة السامانية فى ماوراء النهر ، ونشأت الدولة الغزنوية فى قلب أفغانستان بغزنة ، ونشأت الدولة الغورية الأفغانية فى بلاد الغور بأفغانستان الوسطى ، فقد حاولت هذه الدول والإمارات الإقليمية فى أفغانستان أن تقصى سلطان ونفوذ الخلافة العباسية فى بغداد عن البلاد الأفغانية ، ولكنه لم يؤثر عن أحد أنها حاولت يوما ما إقصاء اللغة العربية عن البلاد الخراسانية الأفغانية ، ألهمهم إلا إذا استثنينا يعقوب بن الليث الصفارى - من أنه كان يكره الاستماع إلى اللغة العربية لجهله بها ، ومن أنه لا يستطيع فهمها واستيعابها جيدا^(٢) . وفى ظل هذه الدول الإقليمية نمت اللغات القومية وآدابها^(٣) وأصبحت لغات آداب ، وتلوين ، وكتابة بعد أن كانت فى الطريق إلى الزوال والفناء ، ولكن هذه الدول والإمارات الإقليمية فى أفغانستان لم تحاول أن تفعل شيئا خطيرا فى تشجيع تلك اللغات القومية على حساب اللغة العربية ، وكل ما فعلته هو أن قصور الملوك والأمراء فى كل من (سيستان) و (بلخ) و (بخارى)

(١) انظر حوليات كلية الآداب - جامعة إبراهيم باشا الكبير - عدد مايو سنة ١٩٥١ م .

(٢) مؤلف مجهول : تاريخ سيستان - طبعة طهران سنة ١٣١٤ هـ ش .

(٣) الدكتور محمد عبد المنعم الشرقاوى وآخرون : أفغانستان - طبعة القاهرة سنة ١٩٦١ م .

(و هرات) و (نيسابور) وفي بلاد الغور وغزنة قد أخرجت قلة قليلة من شعراء اللغات الفومية وأدبائها وكتابها في خراسان الأفغانية ، بينما قدمت لنا ، وللعلم الإسلامي كله كثرة بالغة من شعراء العربية ، وأدبائها ، وكتابها ، وفنانيها البارزين الذين ملأوا الدنيا بعلومهم ، وفنونهم ، وآدابهم ، وأفكارهم العلمية ، يظهر لنا ذلك جليا عن المقارنة بين صاحب (تذكرة الشعراء) الذى يكتب فى حوالى ثلاثين صحيفة أخبار شعراء اللغة الدرية فى أيام الدول الإقليمية ... الطاهرية ، والصفارية والسامانية ، والغزنوية والغورية ، بينا احتاج الثعالبي إلى ثلاثة أجزاء من كتاب (بتيمة الدهر) ليسجل فيها أخبار الشعراء المعربين من الخراسانيين الذين عاشوا فى هذه الدول الإقليمية المحلية ، وقالوا الشعر باللغة العربية وأنشدوه بها فى أنحاء مختلفة من بلاد الأفغان الخراسانية . وكان لأدبهم شعره ونثره لون خاص ، وذوق خاص يجعله يمتاز بخصائص أدبية فنية خاصة تأخذ مسارها ، ومذاقها ، ومطعمها ، ومذهبها الأدبى والفنى من تلك القصور التى كانت ملجأً للشعراء ، ومأوى للأدباء ، ومرتعا للكتاب وللبيئة أثر فيمن يعيش فيها ويتمتع بمذاقها ، ويرعى فى مرعاها .

ومن خصائص الشعراء والأدباء ، والكتاب ، والفنانين ، فى هذا العصر أنهم حرصوا حرصا شديدا على أن يعرضوا بضاعتهم الشعرية والأدبية متنقلين من قصر إلى آخر من قصور الأمراء ، والحكام ، والولاة ، والملوك إيمانا منهم بأن اللغة العربية هى لغة القصور والصروح ، وهى اللغة التى يمكنها إرضاء من يعيش فيها على اختلاف ميولهم ، وتباين أهوائهم واختلاف نزعاتهم ، وقد نتج عن هذا الحرص ، وتلك الجولات الأدبية ، وعرض البضاعة الشعرية ، والأدبية أن كثر فيها عدد الشعراء والأدباء ، والكتاب والعلماء ، وأضافوا إلى اللغة العربية فى تلك العصور ، وفى العصور التالية أنواعا ، وألوانا من النتاج العلمى ، والأدبى تتميز بأنواع من خصائص تلك العصور والقصور ، والصروح .

فإذا استعرضنا بعد ذلك علوم اللغة العربية ، والأدب ، وعلوم الشريعة الإسلامية من التفسير ، والحديث ، والفقه ، والعلوم العقلية من الفلسفة ، والحكمة ، والرياضة لوجدنا أن علماء تلك العصور والقصور والصروح الخراسانية الأفغانية قد ضربوا فيها بالنصيب الأوفر ، والنصيب الأوفى ، والنصيب

الأكمل ، وهم الذين أرسوا أصولها وقواعدها ، وأقاموا دعائمها ، وزجحت بهم قائمة تلك العلوم المختلفة من أمثال سيبويه ، وبشار الطخاري ، وآل برمك البلخيين ، والإمام البخاري ، والإمام أبي حنيفة النعمان وابن سينا ، والبيروني ، والإمام الغزالي وغيرهم كثيرين . كل من هؤلاء الأفاضل الأفاضل ، والجهاذة العظام يتميز بخصائصه ، ومزاياه في علمه وأدبه ، وفنه ولونه الخاص به .

الترجمة والمترجمون من (خراسان) الأفغانية يجب إضافتهم إلى قائمة هؤلاء الذين قاموا بإنتاج أروع الفنون في الميادين الأدبية ، والفنية المختلفة هؤلاء الخراسانيون الذين نقلوا من اللغات المحلية الإقليمية وخاصة من اللغة الدرية إلى اللغة العربية في أيام وعهود تلك الدول الإقليمية في عهد الدولة العباسية ، وعلى رأسهم ابن المقفع ، وجماعة من الشعراء من أمثال أبي الفضل المروزي^(١) وغيره الذين تخصصوا في نقل الأشعار الدرية المشتملة على المعاني الجميلة البديعية إلى اللغة العربية ، فيجمعون بين الإبداع المعنوي ، والغوى معا في أسلوب رائع جميل .

وبالإضافة إلى هؤلاء جميعا يجب أن نضم إليهم فرسان الأدب والفن الذين يشكلون جماعة العمال ، والحكام ، والوزراء ، والكتاب البارعين الذين اشتغلوا في بلاط الأمراء ، والولاة والحكام في الدول الإقليمية الناشئة ، ذلك لأن هؤلاء جميعا قد تركوا لنا شيئا كثيرا من الأدب الرائع والفن الرفيع في مؤلفاتهم وتوقيعاتهم ، ورسائلهم الرائعة الخالدة ، وقد أغنوا بذلك اللغة العربية بنتاج عظيم جليل القدر والخطر ، وما منشآت (آل برمك) البلخيين إلا مثالا يضعنا أو يضع أمامنا أدبا ضخما من هذا النوع .

النوع الثاني : إنتاج أدبي ... عري أفغاني :

فهو إنتاج أدبي .. عري وأفغاني قامت بإنتاجه وصوغه الأدبي عقول خراسانية تجمع بين اللغات ... العربية والإقليمية الخراسانية ، فقد ظهرت في خراسان الأفغانية جماعة من الشعراء والأدباء ، والعلماء اتخذوا اللسانين العري والأفغاني أداة للتعبير ، والإنشاء ، والكتابة ، والتأليف ، والتصنيف ، ومنذ القرن

(١) يتيمة الدهر للثعالبي ٢٢/٤ - ٢٥ .

الثالث الهجري ومع نشأة الدولة الطاهرية أخذ أصحاب اللسانين يكثرُونَ ويزيدون ومنشأهم في اللغتين واللسانين تكثر وتزيد ولكمال ما أنتجوه من الأدب في اللغتين واللسانين ، ولتمام ما أخرجوه من الفن الجميل في اللغتين تفخر بهم خراسان الأفغانية ، كما تفخر بهم البلاد العربية ، وأصحاب اللسانين على أنواع : منهم جماعة دأبوا على ترجمة الشعر من إحدى اللغتين إلى الأخرى إظهاراً للبراعة والمهارة ، وتسلياً للأمرء ، والولاة والوزراء ، والحكام ، والكبراء من عليّة القوم ، ودليلاً على أن اللغات القومية ليست أقل من اللغة العربية من الناحية الأدبية ، والتعبيرية ، والإنشائية . ورغبة منهم في إحياء وتنشيط اللغات الإقليمية في (خراسان) الأفغانية وهذه المحاولات ، والتجارب الأدبية ، والشعرية المزدوجة لدليل قاطع على أن الأمراء ، والحكام ، والولاة ، والوزراء في قصور تلك الدول المستقلة التي نشأت في خراسان الأفغانية في القرنين الثالث والرابع ، وما بعدهما كانوا هم أيضاً من أصحاب اللسانين ، وكانوا يرغبون رغبة أكيدة في استمرار مثل هذه التجارب الأدبية في نقل الشعر من إحدى اللغات الإقليمية إلى اللغة العربية ، وبالعكس ، نظراً لميوههم القومية من ناحية ، واستمرار الحياة مع اللغة العربية وآدابها من ناحية أخرى لأنها لغة الدين ، والدولة في بغداد ... ومعنى هذا أنهم كانوا يفهمون ما يقدم بالعربية ، وما يقدم إليهم بإحدى اللغات القومية المحلية ، سواء بسواء ، وهذا اللون ، وهذا النوع من العمل الأدبي والعلمي أيضاً من الخصائص الأدبية في هذا العصر من العصور التاريخية الإسلامية في أفغانستان القديمة .

وكان بعض الشعراء من أصحاب اللسانين يقوم بترجمة شعر غيره إظهاراً لقدرته في التعبير الأدبي والإنشائي ، وتدليلاً على سرعة بديته في اللغتين ، أوفى اللغات الأفغانية المحلية ، والعربية الثقافية والأدبية كما كان بعضهم يترجم شعر نفسه بنفسه فينقله من إحدى اللغات إلى اللغة الأخرى إظهاراً لبراعة تعبيره الأدبي والإنشائي في الشعر باللغات أو اللغتين ، ومن أمثلة النوع الأول ماروي عن بدیع الزمان الهمداني عندما اتصل بخدمة (الصاحب بن عباد) فقرأ له هذه الأبيات من شعر منصور بن علي المنطقي الرازي وطلب إليه ترجمتها إلى اللغة العربية ، وهي :

يك موى بدزدیدم ازدو زلفت چون زلف زدی أى صنم بشانه

چنانش بسختی همی کشیدم جون مورکه کَندم کُشد بخانه
ياموی بخانه شوم یدر کُفت منصور کدام است ازین دوکانه

فنظمها بدیع الزمان الهمدانی علی البدیة فقال :

سَرَقْتُ مِنْ طَرْتِه شَعْرَةَ حین غدا ینشطها بالمشاط
ثُمَّ تَدَلَّحْتُ بِهَا مَثَقَلًا تدلح الثمل بحب الخنشاط
قال أبی : مَنْ وَلَدَى مِنْکُمْ کلاکما یدخل سم^(۱) الخياط
ومن أمثلة نقل العربية إلى الدرية ماقال صاحب (لباب الأبواب) إن أحد
الندباء قد أنشد قول أبي نواس :

وخورأقبلت فی القصر سكری ولكن زَيْنَ السكرِ الوقارُ
وهزَّ الریحُ أردافا ثَقَلًا وغصنا فيه رمان صغار
وقد سقط الردا عن منكبها من التجميش واسترخى الإزار
فقلت : الوعدُ سيدتی .. فقالت كلام الليل يحويه النهار
وبعد برهة من الوقت ترجمها الشاعر نصير الدين بن أبي توبة إلى اللغة
الدرية علی هذا النحو^(۲) :

مست آمدپیش من درکو شک آن زیانکار ازخردوآهستگئی کفتمی که هست اوهوشیار
اذ سرین او نموده باد از نسرين دو تل وزیر جون عاج او انگيخته سيمين دونار
آبتینش را کرفتم درکشید از دست من معجرش إذ سرفتاد وسست شد بند إزار
کفتم ای جان وعده دوشین خودراکن وفا کفتم : نشنیدی : کلام الليل يحويه النهار

ومن أمثلة نقل العربية إلى اللغة (البختونية = البشتونية) الأفغانية ماقالة
صاحب کتاب (پته خزانة) إن أبامحمد هاشم بن زيد السروانی^(۳) البستی كان
ينشد الشعر ويقول بثلاث لغات وهي البختونية ، والدرية والعربية . وقد نقل

(۱) محمد عوفی : لباب الأبواب ۱/ ۱۷ .

(۲) المصدر السابق ۱/ ۷۵ .

(۳) أبومحمد هاشم بن زيد السروانی البستی : ولد فی سنة ۲۲۳ هـ = ۸۳۷ م فی (سروان) بوادی
(هلمند) الأفغانية وتعلم فی (بست) التاريخية والعرق ، وقد توفي سنة ۲۹۷ هـ = ۹۰۹ م فی
(بست) الأفغانية . وكان من تلاميذ ابن خلد . ومن مؤلفاته القيمة کتاب اسمه (دسالو وجمه =
نسمة الصحراء الحصباء) .

قصيدة لابن خلاد إلى اللغة البختونية منها هذه الأبيات :

من كان يملك درهمين تعلمت شفتاه أنواع الكلام فقالوا
ونقد الفصحاء فاستمعوا له ورأيت بين الوري مختالا
لولا دراهمه التي في كيسه لرأيت شر البرية حالا
إن الغنى إذا تكلم كاذبا قالوا صدقت ومانطقت (١) محالا

وقد ترجمها أبو محمد هاشم بن زيد السرواني البستي إلى اللغة الأفغانية البختونية كذا :

جبه هم شه وينا كاندى جه ئى وينه د خاوند به لاس كى زراو درهمونه
جبور ودله ورزى وينائى أورى د درهم خاوندان تل وى به ويارونه
كه درهم ئى زنى وركه شوشى نتلى ير نرعد وى به خرويتير ندونه
كه بدای سونى وبولى خلك وائى دا ويناده رشتاينه له (٢) رشتونه

وكذلك ظهر جماعة من الشعراء لم يكن إنتاجهم الشعرى عن طريق الترجمة بل كانوا يجيدون قول الشعر باللغة العربية ، كإنتاجهم إنشاده وقوله باللغات الوطنية الأفغانية ، فكان دواوينهم الشعرية عبارة عن قسمين متميزين أحدهما عربى ، وآخر أفغانى بإحدى اللغات الأفغانية المحلية ، وأخبار هؤلاء تملأ كتب تراجم العربية ، والأفغانية ، والدرية ، والفارسية وكان من الطبيعى ألا يبرز خراسان الأفغانية الشعراء ، والكتاب والمؤلفون إلا من كان على نصيب كبير ، ونصيب وافر من معرفة اللغة العربية وإجادتها إجادة تامة إلى جانب اللغات الوطنية القومية المحلية الأفغانية وقد دعا ذلك إلى أن يكونوا بالطبيعة وبالضرورة من أصحاب اللسانين أو أكثر فتتوزع أشعارهم بين اللغة العربية ، واللغة البختونية ، واللغة الدرية الأمر الذى يدل على معرفتهم اللغتين أو أكثر ، والخبرة باللسانين أو أكثر والأمثلة لذلك كثيرة جدا ، ويمكنك وأنت مطمئن أن تدخل فى عدادها أسماء جميع الشعراء المبرزين الذين قالوا الشعر ، وأنشدوه باللغة الدرية

(١) أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله : معجم الأدباء ٢٨٦/١٨ - ٣٠٦ طبعة القاهرة ، دار المأمون .

(٢) به خزانة ص ٥٩ و (پشتوادياتو تاريخ) ٨٩/٢ - ٩٣ طبعة ثانية .

والبيختونية في بلاط الطاهريين ، والصفاريين ، والسامانيين ، والعزويين ، والغوريين ويجب أن نضيف إلى هؤلاء هذا الفريق من أصحاب اللسانين أو أكثر الذين لم يشتغلوا بالشعر وقوله باللغتين أو أكثر ، وإنما اشتغلوا بما هو أجدى من الشعر من الناحية العلمية فألفوا الكتب الأدبية والعلمية والثقافية باللغتين العربية وبأحدى اللغات الأفغانية ... البيختونية والدرية مما جعل الطريق ممهدا لهؤلاء الكتاب ، والمؤلفين والمصنفين من العلماء الذين أكملوا هذا العمل العلمى والأدبى والفنى فى العصور التالية التى تلت العصر الطاهرى والصفارى والسامانى ، والغزنوى ، والسلجوقى ، والغورى الذى نتحدث عنه فى هذا الباب ، وفصوله ، وخاصة فى العصرين الغورى والغزنوى .

النوع الثالث : إنتاج أدبى مزيج من لغتين أو أكثر :

وفى هذا العصر والعصر الذى يليه نشأ فريق من الشعراء فى خراسان الأفغانية دأبوا نظم القصائد ، والأشعار التى اشتهرت فى المصطلح الأدبى باسم (الملمعات) الأدبية ، وهى لون من الأشعار التى ذاعت وشاعت فى أفغانستان الخراسانية ، وكانت تنظم وتصاغ باللغات العربية والقومية الأفغانية ، فيكون أحد مصراعى بيت الشعر عربيا ، والآخر خراسانيا بأحدى اللغات القومية الأفغانية الإقليمية . ويجوز أن يكون أحد أبيات الشعر باللغة العربية عربيا ، والآخر أفغانيا بأحدى اللغات الأفغانية الوطنية ، وهكذا ولا تزال (الملمعات) حية نشطة فى الأوساط الأدبية والشعرية فى أفغانستان و (الملمعات) كثيرة جدا فى دواوين أشعار الخراسانيين قديما وحديثا وهى ثروة أدبية ، وتراث عربى قيم يجب إضافته إلى التراث العربى الخالد الذى تقوم بإنتاجه ، وتقديمه أبناء أفغانستان من أقدم العصور حتى اليوم من أصحاب اللسانين أو أكثر ، أو اللغتين أو أكثر جميعا .

والإنتاج الأدبى والعلمى والثقافى والفنى الذى يقوم به أبناء أفغانستان من أصحاب اللسانين أو أكثر لا يمكن تحديده بزمان دون آخر لأنه إمتداد طبيعى للشعب الأفغانى نفسه ، ولثقافته وفنونه الأدبية التقليدية والأمثلة لذلك كثيرة قديما كما عرفنا فيما مر من الفصول الخاصة بالإنتاج الأدبى والعلمى والثقافى لأبناء أفغانستان فى العصور المختلفة ، وحديثا كالقصيدة التى أقدمها كنموذج لاستئصال

الشعر العربي في نفوس الأفغانيين ، وتمكن جذوره الأصيلة العريقة من أعماق قلوبهم ، وهذا شاعر أفغانى من شعراء العصر الحديث في أفغانستان الكبيرة وهو أبو الصفاء الرضوانى الأفغانى يقول الشعر باللغة العربية ، ومن شعره هذه القصيدة الرائعة التي قالها وأنشدتها في مدح الأفغان بنى قومه بعنوان : (قصيدة الرضوانى في بنى الأفغانى) وقد نشرت في مجلة (الحق) سنة ١٩٦٩ م العدد ٨ ومجلة (كابل) سنة ١٩٦٩ م العدد ٦٠١/٨ مع الترجمة باللغة البيختونية :

قصيدة الرضوانى في بنى أفغانى :

أفغان قوم تراهم إن لقيت بهم	أسد الشرى وبنى جن لدى البأس
هينون لينون لكن في منازلهم	وقلبهم بين حومات الوغى ^(١) قاس
يأجوج مأجوج ملأ الأرض ليس لهم	سد وواحدهم ألف ^(٢) بمقياس
لاتصطفى لهم نار ولا أحد	يوم الرهان يساويهم بأفراس
لم يسمعوا غير رنات السيوف ولا	تشاغلوا عن دم الأعداء بالكأس
قد حلفت عافيات الطير فوقهم	مصاحبات لهم في غزو ^(٣) أنجاس
وبالهم من بيور في (بنير) وفي	(سواد) وعقابين بـ ^(٤) (جيلاس)
الله أكبر آجال مقسدة	بدت لأعدائهم في صورة الناس
ياشن غاراتهم في كل ناحية	من أصفهان إلى أصقاع ^(٥) رهتاس
هم دوخوا أرض جيبال ورخوته	ولا كدقك حبات بمهراس
كم من غياض بهند قد خلت لهم	من كل فيل ومرميس ونسناس
فلا يقوم لهم قرن بملحمة	مثل الشياة إذا حسبت بعساس

(١) المعنى مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ... ﴾ سورة الفتح الآية رقم ٢٩ .

(٢) المعنى مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ ... إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً ﴾ سورة الكهف الآية رقم ٩٤ .

(٣) المعنى مأخوذ من قول النابغة في القصيدة التي يمدح فيها عمرو بن الحارث الغساني :

إذا ماغزوا بالجيش أبصرت فوقهم عصائب طير تهتدى بعصائب

يصاحبهم حتى يفرن مغارهم من الضاريات بالدماء الدوارب

(٤) (بونير = بنير) و (سواد = سوات) و (جيلاس = چيلاس) أسماء مناطق أفغانية مشهورة .

(٥) (رهتاس = رهنك) اسم مكان .

فتيان صدق مساعير الحروب وقد
 بناة مجد وعز ذوو شرف
 توارثوا كابرا عن كابر شرفا
 بنى سليمان من دان الله له
 بيض الأنوق بيد دورهم
 ماضون فيما أرادوا كالصوامر أو
 بيض يصونون أعراضه بأنفسهم
 إن قيل جود فلا الطائي شابههم
 كم أتلّفوا ما لهم لله درهم
 ما أكرم الضيف والجيران عندهم
 لكل طارق ليل في الشتاء لهم
 أغناهم طيب أخلاق معطرة
 إذا أجاروا غريبا قال قائلهم
 الفاعلين بما قالوا وما وعدوا
 ماغادروا بعد يوم عاهدوا أبدا
 كم فيهم والحماسين من غرب
 ما أجهل الجاهلين الذين مضوا
 إن بالغ الشعراء العرب عن طمع

فازوا من المجد والعلواء بالرأس
 مؤسس فوق طود شاخ راس
 وصاروا وسنانا مثل نبراس
 جنا وإنسا وطيرا كل أجناس
 أوكار عقبان لبنان بعرناس
 كصائب السهم في إقضاء برجاس
 عن كل عار وأوساخ وأدناس
 أو وقعة فأتقاهم كل ^(١)جساس
 جودا فليسوا بإبرام ^(٢)وأنكاس
 والمستجير ولو كان ابن كناس
 نار يكب إليها رأس ^(٣)شماس
 عن أذفر المسك والريحان ^(٤)والآس
 نعوذ بالله من وسواس ^(٥)خناس
 به فليس بينهم ساه ولا ناس
 حتى يلاموا بهذا ضربة الفأس
 إذا وزنتها وزنا بقسطاس
 من كل راع وجمال ألى ^(٦)فأس
 أباالصفاء فأت الطاعم الكاس

أكثر المعاني التي استعملها الشاعر الأفغانى في هذه القصيدة معانى قديمة مستعملة ، فهو في هذا متأثر بالقرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف وبالشعر العربى الجاهلى مع ملاحظة استعمال الكلمات الغريبة ، والأساليب التى قلما تستعمل في اللغة العربية اليوم على الأقل ، وهو على كل يحاول إبراز شخصيته

(١) الجساس : وصف للمبالغة في التجسس والبحث والفحص .

(٢) الأنكاس : جمع مفردة (نكس) وهو الرذل المقصد عن غاية النجدة والكرم .

(٣) الشماس : الإباء . والشماس : الشديد الشمس .

(٤) الآس : شجر دائم الخضرة ، يبيض الورق ، أبيض الزهر ، عطرى .

(٥) المعنى مأخوذ من سورة (الناس) .

(٦) الراعى : راعى البقر ، والجمال : راعى الجمال . وأبوالفاس : راعى المعيز والأغنام .

وشخصية قومه الأفغان الذين يشتهرون فعلا بالأوصاف التي قالها الشاعر ومدحهم بها ، ومن أخص صفات الأفغان : الشدة عند الضرورة ، والرحمة إذا اقتضى الأمر ذلك ، والشجاعة ، والفداء والدفاع عن الحق ، والجهاد في سبيل الله ، وبسببهم انتشر الإسلام في البلاد التي تكون اليوم الدول الأربعة أفغانستان ، إيران ، باكستان ، والهند ، ومن شيمتهم الصدق في القول ، والإخلاص والتفاني في الدفاع عن الشرف ، والكرم لحد الإسراف ، وإغاثة الجار إذا استغاث ، والطيبة في الأخلاق ، والوفاء بالوعد ، والبعد عن مظان الطمع .

كتاب مقصود المؤمنين :

وخير من يمثل عملية التأليف بعدة لغات أفغانية وعربية في موضوع واحد ، وكتاب واحد هو الكاتب والمصلح الشهير بازيد بن عبد الله الأنصاري العالم الصوفي ، والكاتب البار ، والزعيم المخلص الذي قام بتأليف وتصنيف عدد من الكتب في التصوف ، وغيره من المواضيع الإسلامية والإصلاحية الاجتماعية بلغتين وثلاث وأربع لغات إحداها عربية في جميع تلك التأليفات التي قام بها بازيد زعيم الطائفة (الروشانية = الروخانية) الأفغانية المشهورة فقد ألف كتابه (صراط التوحيد) باللغتين العربية والدرية الأفغانية وقد اتبع في ذلك طريقته الخاصة به وهي شرح موضوع واحد في كتاب واحد بلغتين العربية والدرية ، يقوم بشرح الموضوع أولا باللغة العربية ، وبعد أن يوفي حقه ، يعيد شرح الموضوع نفسه مرة أخرى باللغة الدرية ، وهكذا ينتهي من تأليف هذا الكتاب الذي يمثل مرحلة هامة من مراحل الأدب المنشور العربي والدري في أفغانستان في العصور المتأخرة . كذلك قام بتأليف كتابه المسمى باسم (خير البيان) بأربع لغات ، وهي العربية ، والبختونية ، والدرية والأندوكية ، يبدأ الكتاب بهذه اللغات الأربع ، يشرح الموضوع بلغة واحدة ثم يعيد شرحه بلغة أخرى ، وهكذا تستمر عملية التأليف والشرح إلى منتصف الكتاب تقريبا ، ثم يهمل اللغات الثلاث ، ويستمر التأليف باللغة (البيختونية = البيشتونية) مع كثرة استعمال الكلمات العربية ، حتى ينتهي الكتاب ، وله كتاب آخر يسمى (مقصود المؤمنين) قام الزعيم والمصلح الأفغاني (بايزيد الأنصاري) باللغة العربية ، ولكن أسلوبه أسلوب أفغاني بختوني ، يدور الكتاب حول التصوف الإسلامي ،

والسلوك الصوفي ، والتوحيد الإلهي ، ومعرفة ذات الحق الإلهي ، والانصاف بالصفات الربوبية ، ويقول في مقدمته مبينا سبب إقباله وإقدامه على تأليفه قائلا : (قال أحقر ، وأعجز ، وأضعف من أمة محمد ﷺ ، بايزيد الأنصاري رحمه الله ابن عبد الله القاضي : قال لي ابني الشيخ عمر رضي الله عنه : إن كان رضاك ، اكتب لأجل أبنائك ، وأهل عيالك من آيات القرآن ، وأحاديث الأنبياء ، وأقوال الأولياء ، نصيحة ، ثم أجبت قوله . وأريد أن أكتبه مفصلا بمقدار علمي ، وإدراكي بالعناية ، وبالمدد ، وبتوفيق الله تعالى ، في واحد وعشرين فصلا وسميتها (مقصود المؤمنين) وأكتب فيها متصلا ما وافق الأحاديث والآيات ، لأجل أن يقرأ ، أو يذكر ، ويعمل به المؤمنون والمؤمنات)^(١) .

إن هذه العبارة التي نقلتها عن كتاب (مقصود المؤمنين) لبايزيد الأنصاري عبارة عربية مركبة من كلمات ومفردات عربية سليمة صحيحة ، ولكن الأسلوب والنظم العام أفغانى يحتوي تم فيه ترتيب الكلمات وتركيبها ووضع المفردات العربية في أماكنها ، وارتباط الجمل بعضها بعضا ، تم كل ذلك بالطريقة الأفغانية ، وبأسلوب اللغة البختونية لغة بايزيد الأنصاري ولغة قومه الأفغانى ، كأنها ترجمة حرفية لنص يحتوي^(٢)

مقدمات المؤلفات الأفغانية :

وكتابة المقدمات باللغة العربية في صدر الكتب والدواوين طريقة متبعة في مجال التأليف والتدوين والترجمة في أفغانستان حتى الآن ، مثال ذلك ماكتبه الشاعر البختونى المعاصر (سيد حبيب الله) المعروف (بزخمى جكر) البخارى في ديوانه (تجليات حجاز وديوان درعجم) ويقول في مقدمة ديوانه هذا مايقاى : (عربى خطبة : سبحان الله الذى جعل الأدب تكملة للبيان ، والشعر تبصرة للسان ، والحمد لله الذى جعل القلب مقام الصلاح ، واللسان ترجمان

(١) مقصود المؤمنين ص ١٨ مجلة الدراسات الإسلامية - سبتمبر ١٩٧٠ م إسلام آباد .

(٢) يراجع في ذلك المصادر الآتية : بايزيد الأنصاري - مقصود المؤمنين تحقيق الدكتور بيرولى خان المسعودى - طبعة إسلام آباد في مجلة الدراسات الإسلامية پوهاند عبدالحى حبيبي - دپشتواديانو تاريخ . سيد بهادر شاه بختانه د. تاريخ په رناكى - طبعة پشاور .

الفلاح ، سبحان الذى سخر لنا هذا . والفسلاة على سيد الأنبياء والبلغاء ، أفصح العرب والعجم ، سيد ولد آدم . وبعد فيقول العبد المفتقر إلى رحمة البارى (حبيب الله السيد البخارى) المعروف بـ (مرزا زخمى جكر) حفظه الله عن الهم والخطر لإخوانه ، وخالص خلانه من الأدباء والفضلاء والكملاء والشعراء ، إلى كتبت عدة منظومات ببحور مختلفة في صفة سيدى ومولائى سيدنا محمد ﷺ ، وعدة غزليات ، وفنون من أديبات ، وسميته بـ (تجليات حجاز) مع ديوان (درعجم) وأرجو من إخوانى من العلماء والشعراء أن يعفو زلات العبد ، فإن العبد مركب من الخطأ والنسيان ، فإني ما كتبت إلا ماسح به الطبع من غير تكلف :

الله مجموع مضامينه أبهى من الياقوت والدرر
وها أنا (مرزا) بحمد ربي أنشدك الشعر والأثر

ثم إنى إذا أردت طبعه ، أرسلت المسودة إلى أخى وصديق (فضل الرحمن الفيضان السواتى) المحرر (الكاتب) السابق لوالى (حاكم) (سوات) على إرادة أن يصححها ، ويكتبها أحسن كتابة ، جزاه الله تعالى خير الجزاء من جانب العبد الفقير المتخلص (الملقب) بـ « مرزا زخمى جكر » (١) .

وعلى أى حال فإن الشعب الأفغانى كآسرة إسلامية فى المجتمع الإسلامى الكبير قد ساهم بعلمائه وعلمه ، وأدبائه وأدبه ، وشعرائه وشعره ، وفنائه وفنه ، ومفكره وفكره مساهمة فعالة مؤثرة عميقة فى تكوين وبناء وإنشاء الآداب والفنون والثقافات الحضارية الإسلامية ، سواء كان ذلك الإنتاج الأدبى والعلمى والفكرى والثقافى والحضارى العظيم بلغاته الوطنية القومية المحلية الإقليمية . أو باللغة العربية لغة القرآن الكريم الذى يؤمن به إيماناً قويا صادقا لا يتزعزع أبداً ، فإذا كان هذا الشعب الأفغانى الآرى الأصيل قلب هيكلى آسيا العظيم كما يقول الفيلسوف الإسلامى (محمد إقبال) فإنه - دون شك - قلب الأسرة الإسلامية ، وموطنه ، ومعقل من معاقل الإسلام الحصينة كما يقول أمير البيان شكيب أرسلان ، وأدبه خلاصة الآداب الإسلامية ، وإنتاج علمائه الأدبى والفنى العربى

(١) سيد حبيب الله زخمى جكر البخارى - تجليات حجاز - مقدمة الديوان - طبعة پشاور .

روعة من روائع الاداب والفنون ، وتعلقه باللغة العربية وآدابها تعلق عميق خالص ينبع من أعماق القلب وجذوره الأصيلة الثابتة . وهو على هذا صاحب رسالة مزدوجة غفائية وأدبية ، ونظرته إلى اللغة العربية وآدابها كنظرته إلى الدين الإسلامى ومبادئه ، وهو فى هذا المجال لايفرق بين الدين الإسلامى وآدابه ، وبين اللغة العربية وآدابها ، فالآداب العربية هى آداب إسلامية ، والآداب الإسلامية هى الآداب العربية سواء بسواء ، فإذا ذكر الإسلام فهو يعنى العربية ، وإذا ذكر العربية فهو يعنى الإسلام أيضا . والحضارة الإسلامية هى الحضارة العربية ، تفاعل مع هذا أو ذاك على هذا الأساس ، وهناك عدد كبير من العلماء ، والشعراء والفقهاء ، والمفكرين ، والفلاسفة والمتصوفين والمفسرين والمحدثين من أبنائه يقوم بإنتاجه الأدبى والفكرى باللغة العربية إلى جانب إنتاجهم الفكرى فى اللغات القومية الأفغانية . وإذا كان عميد الملك أبو منصور بن محمد الكندرى فى القرن الرابع فى خراسان يذاكر الوزراء والملوك والسلاطين ، ويجاذبهم أهداب المحادثة ، والمناقشة كمعادته ، ويتفكه بثر الأدب والقول الجميل ، ويتفنن فى لغات العرب ، والعجم ، والترک ، ويخاطب كلا من هؤلاء بلغته ، فإن الأدباء الأفغان وعلى رأسهم الزعيم الأفغانى بايزيد الأنصارى يذاكرون شعوب هذه المنطقة ويخاطبونها ويحادثونها ويجاذبونها أهداب المحادثة العلمية والمناقشة الدينية ، ويتفكهون بثر آدابها وفنونها ، ويتفننون فى لغاتها العربية والبختونية والدرية والأندوكية وغيرها من اللغات الأفغانية ولهجاتها المختلفة فى أنحاء أفغانستان ووديانها ، وقد ظهر أثر ذلك فى الكتابة ، والتأليف ، والتصنيف ، وتدوين الشعر ، وفى الثقافة بصفة عامة ، فهم جميعا مصداق لقول أئى الحسن على بن الحسن بن على البخارى الذى أنشده فى عميد الملك أئى منصور بن محمد الكندرى الذى كان يخاطب الوزراء والأمراء يوم زفاف السيدة العباسية ابنة الخليفة القائم بأمر الله سنة خمس وخمسين وأربعمائة الهجرية إلى السلطان ركن الدين السلجوقى^(١) :

مستطهر بعبارات وألسنة تفننت كالرياض الغر ألوانا
هذى إلى لغة الأعراب ثبّعها . وزق بالمنطق التركى خاقانا

ويضيف (البخارى) أنه لما أنشد فى المجلس نفسه دليته المشهورة التى أولها :

(١) دمية القصر وعصرة أهل العصر . ٢٣٧/٢ طبعة القاهرة .

أَهَوَتْ معاهدُهُم بشطَّ الوادى فبقيَتْ . مقتولا وشطَّ الوادى
وسكرَتْ من خمر الفراق ورَقَصَتْ عيني الدموع على غناءِ الحادى

فأقبل (الكندرى) على الحاضرين ، وقال : (لنا فى العجم مثله ، فأتوا فى العرب بمثله)^(١) أقول : لنا فى الأفغان أمثال هؤلاء الذين قدموا للثقافة والأدب والشعر الإسلامى ما يضيّق به المكان ، فأتوا بأمثالهم فى الأمة الإسلامية العظمى التى تبعث بأبنائها إلى الأمم الغربية وتوفدهم ليتعلموا لغاتها وآدابها ولكن أين من أوجهته إلى الأمم الإسلامية ليتعلم لغاتها وآدابها الإسلامية ؟ .

(١) المصدر السابق : ٢٣٩/٢ .

الفصل الثالث

تأثير الأدب العربي في الأدب الأفغاني

أفغانستان

الأفغان = البختون = البشتون = البكت

إن كلمات البكت والبختون والبشتون والأفغان الأربعة تطلق حديثا وقديما على قبائل آرية قديمة انتشرت في جميع أنحاء أفغانستان وبختونستان وباكستان وفي بعض المناطق الهندية وفي المناطق الشرقية من إيران ، هذه القبائل كانت تسمى باسم البكت الذى تحول فيما بعد إلى البختون والبشتون ثم تحول هذا الاسم في العصور الإسلامية إلى الأفغان ثم تحول اسم الأفغان إلى اسم رسمى عام يطلق على جميع من ينتمون إلى أفغانستان المعاصرة من جميع الأجناس البشرية التى تعيش في أفغانستان بما في ذلك القبائل العربية التى استوطنت في خراسان الأفغانية وقدمر بنا ذكر كلمات البكت والبختون والبشتون الأسماء للشعب البختونى الأفغانى في الدراسات التاريخية القديمة في العصور الآرية المختلفة كما مر بنا ذكر موطن هذا الشعب مثل البخد والبخدى والباكتريا والباختر ، وأول من ذكر هذه الأسماء ومسمياتها أبوالمؤرخين هيرودوت الذى يذكره بصور وأشكال مختلفة مثل البكتيس البكتين والبكتيكا وغيرها ، كما يذكر موطنها الأول في هذا العصر بصور وأشكال مختلفة أيضا مثل بكتيكا وبكتيا وبشتيخا وغيرها من أشكال وصور هذه الأسماء التاريخية الضاربة في تاريخ أفغانستان السياسى والأدبى واللغوى . وقد جاء ذكر هذه الأسماء أيضا في الويديات القديمة الأفغانية خلال حرب الملوك العشرة أو حرب القبائل الأفغانية العشر التى لها أهمية خاصة أيضا في تاريخ القبائل الأفغانية في العصور الآرية ، هذه القبائل كانت تعيش في العصور الويدية الآرية قبل عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد في موطنها الأول البخدى = الباختر في الجناح الشمالى من جبال (الهندوكش) ومن هناك انتشرت ، كما يقول علماء الآريات في جميع أنحاء أفغانستان والمناطق الشرقية من إيران والأقاليم الشمالية من الهند^(١) .

(١) يراجع في هذا المراجع الآتية :

١ - تاريخ أفغانستان بعد أراسلام - للأستاذ عبد الحى حبيبي .

الأفغان :

انتشر هذا الاسم في العصور الإسلامية ، فهو بهذا الاعتبار حديث العصر ، فقد جاء ذكره على ألسنة الشعراء والكتاب ، والأدباء والمؤرخين من أمثال الشاعر الخراساني العظيم الفردوسي في (الشاهنامه) والمؤرخ الأفغاني الشهير عبدالحى بن الضحاك الكرديزي في (زين الأخبار) والعتيبي في تاريخ الميميني ، والعلامة البيروني في مؤلفاته التاريخية ، والرحالة العربي الشهير ابن بطوطة في رحلته التاريخية ، والمؤلف المجهول في (حدود العالم من المشرق إلى المغرب) . ومحمد قاسم هندوشاه في (تاريخ فرشته) ونعمت الله المروى في (مخزن أفغاني) وسيف ابن محمد السيفي المروى في (تاريخنا مه هرات) وعبدالرزاق في (مطلع السعدين) . وأبو الفضل البيهقي ، ومنهاج الدين عثمان بن سراج الدين الجوزجاني .

وفي سنة ٥١٢ هـ = ١١١٨ م قام السلطان (أرسلان شاه) الغزنوي بتشكيل جيش عظيم من أفراد القبيلة الأفغانية (الفلجية = الخلجية) كما قام السلطان غياث الدين الغوري بتشكيل فرق خاصة من الأفغان ، وهكذا انتشر اسم (الأفغان) واتسع مفهومه رويدا رويدا ، وعندما قام (الدرايون) الأفغان بتأسيس إمبراطورية أفغانستان العظيمة أصبح اسم (الأفغان) اسما قوميا عاما للشعب (البختوني = البشتوني) ومنذ هذا العصر بدأ يطلق على الشعب الذى كان يقطن الإمبراطورية الدرائية الأفغانية ، وأطلق على الدولة اسم (أفغانستان) .

وليس معنى هذا كله أن كلمة (الأفغان) أو اسم (الأفغان) حديثة مخترعة ذلك لأن لها جذورا وأصولا تاريخية قديمة قدم التاريخ الأفغاني نفسه .

٢- تاريخ أفغانستان - للأستاذين أحمد على كهزاد ومحمد عثمان صدقي .

٣ - غوريان - للأستاذ عتيق الله بجواك .

٤ - أريانا - للأستاذ نجيب الله توروايانا .

٥ - يجتانه د تاريخ به رناكى - للأستاذ سيد بهادر شاه .

٦ - مملكة كابل - للأستاذ م. القنستون .

٧ - دائرة معارف القرن العشرين. ١٤٥/١ - ٤١٧ .

كلمة (الأفغان) فى التاريخ :

إن (الأفغان) معربة من كلمة (الأوغان) التى استعملها المؤرخون فى العصر الإسلامى اسمها للشعب (البختونى = البشتونى) قال ذلك أبونصر محمد عبد الجبار العتبى فى كتابه (تاريخ اليمينى)^(١) ، وليس معنى هذا أن الاسم المغرب منه وهو (الأوغان)^(٢) قد مات بعد عملية التعريب ، بل أنه عاش بجانب (الأفغان) مدة طويلة ، فقد استعمله المؤرخون فى القرن الثامن الهجرى كصاحب كتاب (ظفر نامه) وصاحب كتاب (ملفوظات تيمورى) وصاحب كتاب (مطلع السعدين)^(٣) ، وغير ذلك من كتب هذا العصر .

وفى ذلك يقول المستشرق (ييلو)^(٤) : إن أصل (الأفغان) (أغوان) وهى كلمة آرية قديمة ثم تحولت وتطورت حتى صارت (أوغان) وهى بدورها تحولت إلى (أفغان) ويلاحظ أن القبائل الأفغانية فى العصر الحاضر تنطق هذه الكلمة (أوغانا) ولا تنطقها (أفغانا) إلا الطبقة المثقفة المتعلمة . ويقول الأستاذ (كرندل) إن كلمة (الأفغان) صورة مقلوبة لإحدى الكلمات السنسكرتية . ويقول صاحب كتاب (قاموس الأعلام) : إن (الأفغان) قوم عريق وقديم جدا ، يتكلمون باللغة البختونية = البشتونية ، وهى من اللغات الآرية ، وقرينة إلى اللغة السنسكرتية والفارسية ، والإيرانيون هم الذين أطلقوا عليهم اسم (الأفغان) ولكنه ليس اسما جديدا ، بل اسم قديم ، ذكره أب المؤرخين (هيرودوت) أثناء كلامه عن سكان (هندوكش)^(٥) .

والكتب الدينية الهندية تذكر كلمات مشابهة لكلمة (الأفغان) مثل (أسواكانا) أو (أسواغانا) بمعنى مملكة الفرسان ، وقد جاءت كلمة

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٥/٤ مادة الأفغان ، وتاريخ اليمينى للعتبى طبعة القاهرة عام ١٢٨٦ هـ ج ٢ ص ٨٤ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ٦/٤ مادة الأفغان .

(٣) مطلع السعدين ، نقلا من دائرة المعارف الإسلامية ٦/٤ مادة الأفغان .

(٤) طبعة لندن سنة ١٨٦٧ م Granmar. H.W. Bellw للكاتب نفسه ، طبعة لندن سنة ١٨٣٩ م .
Afghanistan and Afghan

(٥) دائرة المعارف الإسلامية ٣/٤ مادة الأفغان .

(أسواكانا) اسما لعدد من القبائل في الشمال الغربى من البلاد الهندية القديمة ، وهذه القبائل (الأسواكانية) قد ذكرها المؤرخون الإغريق باسم (أساكيين) وفي اللغة السنسكريتية كلمة (أبكائن) تطلق على قوم ليس لهم موسيقى^(١) . وليس من المستبعد أن تكون قد تحولت من (أبكائن) إلى (أفغان)^(٢) .

وفي اللغة الأرمنية تستعمل كلمة (أوغان) أو (أغوان) لسكان الجبال وكلمة (أكوان) اليونانية تؤدى نفس المعنى الأرمنى . فمن المحتمل جدا أن يكون الأرمن قد أطلقوا على القبائل البختونية هذه الكلمة ، ثم أخذها المؤرخون المسلمون وعربوها إلى (الأفغان) .

وفي العصر الساساني أيام شاپور الأول كتبت كلمة (أبكان) في نقش رسم ، ومن المحتمل أن يكون (أبكان) هذه هي (أبكائن) السنسكريتية التي استعملت لقوم ليس لهم موسيقى ، كذلك استعملت كلمة (آبا - كان) في عهد (شاپور) الثالث استعمالا كثيرا ، كذلك أطلق الرحالة الصينى الشهير (هيوان تسنك) كلمة (أى - بى - كان) على جماعة من الناس في جبال (سليمان) في أفغانستان الحالية .

هذه الأسماء كلها : أسواكان ، أسواغان ، أبكائن ، أبكان ، أبكان ، وأى - بى - كان شبيهة لكلمة (الأفغان) وقرية منها ، فيحتمل أن تكون جميعها قد تحولت من كلمة (أوغان) الأرمنية ، ومن المحتمل أيضا أن تكون في قواد (شاپور) الأول ، وفي أيام (شاپور) الثالث قوادا بأسماء (أوغان = أبكان = آبا - كان = أفغان) نسبة إلى موطنهم الجبلى على المفهوم والمعنى الأرمنى .

وفي القرن السادس الميلادى ذكر العالم الفلكى الهندى (وراهامهيره) في كتابه القيم (بهرت مسميتا) بكلمة (الأفغان) في صورة (أفغانا) .

ثم يأتى العصر الإسلامى وتظهر كلمة (الأفغان) مرة أخرى في ميدان

(١) أول من أشار إلى الأفغان (بصيغة أفكانا) هو الفلكى الهندى « وراهامهيرا » في أوائل القرن السادس الميلادى في كتابه (برهات - سمهيتا) دائرة المعارف الإسلامية ٤/٤ مادة الأفغان .

(٢) La Ireille roecte : A. Foucier det, qude a Taseila ج ٢ . باريس ١٩٤٧ م ص ٢٣٥ ، ٢٥٢ ، تعليق ١٧ ، دائرة المعارف الإسلامية ٤/٤ ، ٢٧ .

الاستعمال السياسى ، والتناول الأدبى ، والعلمى فيتسع مفهومها السياسى والاجتماعى فى القرن العاشر الميلادى حتى أطلقها البيرونى على القبائل الأفغانية كلها دون التمييز بين عناصر الشعب الأفغانى البشرية المختلفة وكان (الشاه) (عباس) الصفوى سنة ١٥٨٧ م يطلق اسم (الأفغان) على قبيلة (الأبدالى) الأفغانية ، ثم أطلق الاسم كذلك على القبيلة (الغلجية = الخلجية) الأفغانية ، كما استعمل لجميع القبائل الأفغانية فى القرنين الحادى عشر ، والثانى عشر الهجريين .

كلمة (أفغانستان) :

فى أوائل القرن السابع الهجرى سنة ٦١٨ هـ = ١٢٢١ م استعمل المؤرخ الأفغانى السيفى الهروى صاحب كتاب (تاريخنامه هرات) اسم (أفغانستان) كموطن للشعب (البختونى = البشتونى) الأفغانى ، ثم جاء المؤرخ عبدالرزاق واستعمل نفس اسم (أفغانستان) فى كتابه (مطلع السعدين) كذلك ذكر الإمبراطور المغولى (باير) اللغة البختونية = البشتونية باسم الأفغانية ، وأطلق على موطن الشعب البختونى اسم (أفغانستان) كما أطلق على جميع القبائل البختونية البشتونية اسم (الأفغان) وهكذا أطلق اسم (أفغانستان) على جميع المناطق التى تكون اليوم (أفغانستان) المعاصرة فى القرن الثالث عشر وحل محل الاسم التاريخى (خراسان) وقد قام حاكم عام الهند الإنجليزى اللورد (أك ليند) سنة ١٢٥٤ هـ = ١٨٣٨ م فى رسالته الرسمية إلى الملك الأفغانى (شاه شجاع السدوزى) بكتابة اسم أفغانستان مرتين بدلا من كلمة (خراسان) مع أن الملك (شاه شجاع السدوزى) قد استعمل اسم (خراسان) التاريخى وذلك فى كتابه (واقعات شاه شجاع) بدلا من اسم (أفغانستان) .

خلاصة القول فى أسماء أفغانستان :

- ١ - آريانا : من أقدم العصور الآرية والويدية إلى القرن الخامس الميلادى ، وهو اسم من أقدم أسماء أفغانستان التاريخية ، كما مر .
- ٢ - خراسان : ظهر هذا الاسم فى الأوساط التاريخية والأدبية والعلمية الأفغانية بعد القرن الثالث الميلادى ، وقد حل محل (آريانا) منذ القرن الخامس

الميلادى حتى القرن الثامن عشر الميلادى .

٣ - أفغانستان : فقد حل اسم (أفغانستان) محل (خراسان) فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى ، بعد أن مر على مراحل تاريخية فى الأوساط الشعبية والأدبية والعلمية^(١) .

والمراحل التى مر عليها اسم (أفغانستان) أو كلمة (الأفغان) يمكن إيجازها فيما يأتى وذلك فى العصر الإسلامى .

١ - وفى القرن العاشر الميلادى أو قبله ظهرت كلمة (الأفغان) من جديد فى ميدان السياسة والأدب ، والتاريخ ، والاجتماع ، وبدأت تطلق من جديد على عدد من القبائل الپختونية الپشتونية فى أفغانستان الخراسانية .

٢ - وفى القرنين الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين بدأت كلمة (الأفغان) تطلق على جميع القبائل الپختونية الپشتونية فى أفغانستان الكبيرة .

٣ - وفى القرن الثالث عشر الميلادى أطلقت هذه الكلمة على عدد من الولايات الشرقية من أفغانستان ، وتوابعها التاريخية القديمة .

٤ - وفى القرن الرابع عشر الميلادى كانت الكلمة تطلق خاصة على الأقاليم والمناطق الأفغانية الواقعة داخل دائرة منطقة (تحت سليمان) وتوابعها فى المناطق الجنوبية .

٥ - وفى القرن السادس عشر الميلادى أطلق اسم (الأفغان) على الأقاليم الواقعة فى جنوب (كابل) وبدأت تسمى (موطن الأفغان) .

٦ - وفى القرن الثامن عشر الميلادى أطلق اسم (الأفغان) على سكان الأقاليم الواقعة بين المنطقة التى تبدأ من نهر (أباسين = الپسند) وتنتهى فى (كابلستان) ومن (كشمير) و (نورستان) وتنتهى فى (هرات) و (ملتان) هذه المنطقة الواسعة كانت تسمى (موطن الأفغان) .

(١) أحمد على كهزاد : آريانا طبعة كابل سنة ١٣٢١ هـ ش . ومير غلام محمد غبار : أفغانستان در مسير تاريخ ٩ طبعة كابل سنة ١٣٤٦ هـ ش = ١٩٦٧ م .

٧ - وأخيراً في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الميلادى أصبح اسم (أفغانستان) اسماً رسمياً لدولة أفغانستان الحديثة .

وقد كتب الإمبراطور (أحمد شاه بابا) الدراى كلمة (الأفغان) على اللوحة التى كتبها ونصبها فى عمارة الحجاج الأفغان فى مكة المكرمة ليطلقها على جميع القبائل البيختونىة البشتونىة دون التمييز .

حدود أفغانستان السياسية :

إن حدود أفغانستان السياسية اليوم تختلف عن حدودها الطبيعية وهى تتفاوت بتفاوت السياسة وقوتها وضعفها ، فمثلاً كانت الحدود السياسية لأفغانستان التاريخية فى أدوار الدولة الباخترية فى القرن الثانى قبل الميلاد والدولة الكوشانية فى القرن الثانى الميلادى ، والدولة اليفتلية فى القرن الخامس الميلادى ، والدولة الصفارية فى القرن التاسع الميلادى ، والدولة الغزنوية فى القرنين العاشر والحادى عشر الميلاديين ، والدولة الغورية فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين ، والدولة التيمورية فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ، والدولة الموثكية والأبدالية فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ، فى هذه العصور المختلفة كانت الحدود السياسية لأفغانستان تمتد إلى خارج حدودها السياسية والطبيعية فى الأراضى الهندية . وأحياناً كانت أفغانستان تشكل دولة واحدة بالاشتراك مع الممالك المتجاورة لها فيما وراء النهر فى الشمال ، وفى حدودها الغربية مع إيران ، مثال ذلك الدولة السامانية فى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين والدولة الخوارزمية فى القرن الثالث عشر الميلادى ، وفى أيام الأمير (تيمور) فى القرن الرابع عشر الميلادى ، وفى أيام (نادر شاه أفشار) فى القرن الثامن عشر الميلادى . وبالعكس ذلك كانت حدود أفغانستان السياسية تنقص وتنضيق أو تنجزأ بسبب التدخل الخارجى ، والعدوان الأجنبى عليها مثال ذلك الدولة الهخامنشية فى القرن السادس قبل الميلاد ، والدولة البارتية فى القرنين الثالث والثانى قبل الميلاد ، والدولة الساسانية فى القرن السادس الميلادى والدولة الصفوية فى القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ، والدولة المورية الهندية فى القرن الثالث قبل الميلاد ، والدولة البابرية المغولية فى القرنين السادس عشر والسابع عشر

الميلاديين ، وفي أيام الأتراك الغربيين في القرن السادس الميلادي ، والدول الشيبانية والاستراخانية فيما وراء النهر في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين .

والدولة الأبدالية الأفغانية هي الدولة الأخيرة التي تمكنت من تطبيق حدود أفغانستان السياسية على حدودها الطبيعية في القرن الثامن عشر الميلادي ، وعندما بدأ الضعف يدب في كيائها في القرن التاسع عشر ، وبدأت الدولة السحدزية في الظهور بدأت معها حدود أفغانستان السياسية تضيق وتنقص ، وتتجرأ وتتقطع من جميع أطرافها إلى أن استقرت على حالها الحالية منقوصة مقصورة مجزأة .

الاستقطاعات والتنازلات^(١) :

ففي أيام شاه محمود خان ، قامت الدولة القاجارية في سنة ١٨٠٣ م باستقطاع ولاية خراسان في الشمال الغربي من أفغانستان . وكان هذا العمل بداية سيئة للاستقطاعات والتنازلات الأخرى في الحدود الشرقية والشمالية الأفغانية .

وفي سنة ١٨١٢ م^(٢) قامت حكومة (السيك) في (البنجاب) بالاستيلاء على قلعة (أتك) الاستراتيجية وعلى مناطق نهر (أباسين) الساحلية .

وفي سنة ١٨١٨ م^(٣) احتلت حكومة (السيك) في (البنجاب) ولاية (الملتان) وهكذا تمكنت هذه الحكومة في البنجاب من استقطاع ولايتين كبيرتين من ولايات أفغانستان الشرقية في مدة قصيرة .

وفي أيام الدولة الأبدالية الأفغانية ، قامت هذه الحكومة في (البنجاب) باستقطاعات أخرى في هذا الجزء من أفغانستان .

ففي سنة ١٨١٩ م^(٤) احتلت ولاية (كشمير) وضمتها إلى أراضيها في (البنجاب) .

(١) دائرة معارف القرن العشرين ١/٤١٥ - ٤١٧ ، ودائرة المعارف الإسلامية ٤/٤٣ .

(٢) أفغانستان درمسير تاريخ ٦ - ٧ .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ٤/٤٣ ، ودائرة معارف القرن العشرين ١/٤١٦ .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية ٤/٤٣ ، وأفغانستان درمسير تاريخ ٦ - ٧ .

وفي سنة ١٨٢١ م^(١) سقطت ولاية (ديره غازى خان) فى يد حكومة (السيك) الپنجابية .

وفي سنة ١٨٢١ م^(٢) سقطت ولاية (ديره إسماعيل خان) فى يد هذه الحكومة أيضا .

وفي سنة ١٨٢٣ م^(٣) احتلت حكومة (السيك) فى (الپنجاب) ولاية (بشاور) .

وفي سنة ١٨٥٤ - ١٨٧٦ م تمكنت الحكومة الإنجليزية فى الهند من احتلال ولاية بلوچستان^(٤) .

وفي سنة ١٨٨٤ م احتلت الحكومة الروسية ولاية (مرو) التاريخية الأفغانية .

وفي سنة ١٨٧٨ م قام الأمير محمد يعقوب خان بإعطاء المناطق الواقعة بين (شال) و (لندى کوتل) إلى الإنجليز وفقا لمعاهدة (كندومك) الجائرة .

وفي سنة ١٨٩٣ م تنازل الملك عبدالرحمن خان عن ولايات (سوات) و (باجور) و (جترال) وعن مناطق (أرنوئى) و (وزيرى) و (جاوكى) و (جمن) وفقا لمعاهدة (ديورند) الجائرة .

وفي سنة ١٨٨٥ م احتلت حكومة الروس منطقة (پنجده) الأفغانية .

وفي سنة ١٨٧٢ م احتلت الحكومة الإيرانية جزء من ولاية (سيسبان) الأفغانية .

أفغانستان فى ظل الأسر الحاكمة :

اشتهرت بلاد الأفغان باسم (أفغانستان) فى النصف الأول من القرن

(١) وفى دائرة المعارف الإسلامية (٤٣/٤) سنة ١٨١٩ م .

(٢) أفغانستان درمسير تاريخ ٦ - ٧ ، ودائرة المعارف الإسلامية ٤٣/٤ .

(٣) المصدران السابقان .

(٤) أفغانستان درمسير تاريخ ٧ .

الثامن عشر الميلادى . وإن ذكرت القبائل الأفغانية ، والكلمتان (الأفغان) و (أفغانستان) فى التاريخ من قديم . وتمثل فى أفغانستان ، وفى الأمة الأفغانية الشعوب الإسلامية كلها ، كما تتمثل اللغات الإسلامية فى لغة الأفغان الأولى البختونية ، وفى لغتهم الثانية الدرية ، تجد فيهما ألفاظا كثيرة من العربية ، والفارسية ، والتركية ، والأردية ، وأول مادخل الإسلام بلاد الأفغان كان فى النصف الأول من القرن الأول الهجرى ، وقد اشتدت فيها غزوات المسلمين أيام الأمويين حتى استقر فيها الإسلام والمسلمون ، وقد ظهرت طبقة من أبناء هذه البلاد فى منازل الأفغان تشغل بعلوم اللغة والقرآن والحديث .

وخلف العباسيون الأمويين ، وفى عهدهم بدأت تظهر فى أفغانستان الدويلات الإسلامية المستقلة ، فظهرت الدولة الطاهرية ، ثم الدولة الصفارية ، ثم الدولة السامانية التى ضمت إلى سلطانها أراض كثيرة فى الشمال من نهر جيحون (آمودريا) وعلى يد (سبكتكين) قامت أول دولة أفغانية إسلامية قوية باسم الدولة الغزنوية التى قامت بدور إسلامى من أعظم أدوار التاريخ الإسلامى . واستطاعت هذه الدولة الأفغانية الغزنوية أن تمتد حدودها إلى (البنجاب) وإلى ماوراء النهر . ثم رأسها السلطان محمود الغزنوى من أعظم السلاطين فى عصره ، وقد تعرضت الدولة الغزنوية لهزات عنيفة فى حروبها مع السلاجقة حتى ورثها الغوريون الأفغان فى القرن السادس الهجرى ، وكان هؤلاء الغوريون وغيرهم من القبائل الأفغانية خير جند للدولة الغزنوية أيام مجدها العظيم . وبجهود الغوريين انتشر الإسلام فى الهند على نطاق أوسع ، واستقرت الدولة الإسلامية التى ظلت فى أيدي سلاطين من الأفغان حتى قضى عليها ظهير الدين محمد بابر المغولى ، ومع ذلك فقد ظلت الإمارات الأفغانية الإسلامية فى الهند حتى دخلها الانجليز ، وقضوا على المنافسين الشديدين الأفغان والمغولى معا ، وأنهى المنافسة بينهما ، وفى عهد الأباطرة الأفغان ازدهرت الهند حكما إسلاميا ، وأدبا إسلاميا ، وحضارة إسلامية ، ومدنية أفغانية .

المغول والأسرة التيمورية :

وقد تعرضت بلاد الأفغان ومنازلهم لحنة الغزو المغولى الوحشى الذى

أصاب أغلب مدنها بالخراب والدمار والهلاك . وفي عهد الأمراء التيموريين عمرت (هرات) الأفغانية بالمساجد والمدارس والمستشفيات ، وصارت بذلك من أعظم وأهم المراكز الثقافية والأدبية والفنية الإسلامية ، قصدها الفقهاء والحكماء والشغراء ، والكتاب ، والمؤرخون ، والنقاشون ، وكانت بجانب ذلك من أعظم المراكز التجارية والسياسية في آسيا . كان الأمير التيمورى (حسين بايقرا) يحكم (هرات) في أفغانستان الغربية ، كان ابن عمه ظهير الدين محمد بابر يحكم في (كابل) و (غزنة) وظل في بلاد الأفغان ماينوف على العشرين عاما ، حتى تم له إقامة الدولة المغولية في شمال الهند ، وظلت هناك كذلك حتى هدمها الانجليز من أساسها . وظل (بابر) طول حياته وفيما لكابل الأفغانية ، وأوصى أن يدفن فيها ، وقد كان له مآتمناه . وفي أيام ضعف المغول انطلق حكام من الفرس يتخطفون بعض أراضي البلاد الأفغانية ، وتمكن (نادر شاه) الأفشارى من القضاء على النظام الصفوى ليجتاح بلاد الأفغان حتى وصل إلى الهند ، وأنزل بمدينة (دهلي) الدمار والهلاك والخراب ، واستولى على ثرواتها الطائلة .

الأسرة الهوتكية والأسرة الأبدالية^(١) :

تكالب المغول والفرس على أفغانستان. في صراع سياسى مرير ، وقد كان هذا الصراع السياسى المرير أحد الأسباب الرئيسية في إثارة الشعور الوطنى الأفغانى ، وفي تجمع القوى الوطنية في أفغانستان وتقويتها فبدأت القبائل (الپختونية = الپشتونية) تقوم بنشاط عسكرى وسياسى ، وتزداد كل يوم عددا وقوة وتأثيرا ، وخاصة القبيلتين الأفغانيتين الأبدالية الغلزية (الغلجية) في كل من (قندهار) و (زمينداور) و (أرغنداو) و (ترنك) وغيرها من السهول والوديان الأفغانية ، وقد استطاعت القبائل الأفغانية القوية الشديدة المراس أن تضرب القوتين المغولية والفارسية ببعضهما البعض ، وتمكنت بمهارة سياسية وعسكرية أن ترغم (شاه عباس) بالاعتراف على امتيازاتهم الخاصة ، ثم بالاعتراف بسلطة الزعيم (سدوخان) أحد زعماء الأبدالية ، وقد تولت الأسرة

(١) أفغانستان بين الأمس واليوم ٥١ ، وتاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ٦٥٥/٢ وما بعدها .

الأبدالية السدوزية هذه مسئولية الحكم في البلاد ، وقد تمكنت من طرد الفرس من (هرات) سنة ١٧١٦ م ، وقد ظهرت في الوقت نفسه فعالية القبيلة الغلزية (الغلجية = الخلجية) أيضا في الميدان ، وتزايدت قوتها ووحدها ، وبدأت المقاومة ضد الفرس برئاسة الزعيم (ميرويس خان) فقبضت عليه الحكومة ، وألقت به في السجن ، وفي مدة حبسه في سجنه تمكن من كسب ثقة الحاكم الصفوى (شاه حسين) فأطلق سراحه . وبعد العودة إلى (قندهار) استطاع أن يستولى على الحكم فيها بتعاون مع القبائل الأفغانية الأخرى بعد أن حارب الحاكم الصفوى (كوركين خان) في (قندهار) سنة ١٧٠٦ م . وقد باءت بالفشل جميع المحاولات للقضاء عليه . ومات سنة ١٧١٥ م في (قندهار) وخلفه ابنه (شاه محمود خان) وقام بغزو (فارس) وهزم الصفويين ، وأنهى حكمهم المتخاذل ، ولم يستطع الصمود أمام عزيمة (شاه محمود خان) وتصميمه الأفغانى الصارم . واستولى على جنوب ، وأواسط (إيران) بما في ذلك (أصفهان) وعندما أحكم الحصار على حاضرة الصفويين اضطر (شاه حسين الصفوى) إلى أن يتنازل له عن العرش الإيرانى ، فتوسعت بذلك المملكة (الغلزية) ومات (شاه محمود خان) سنة ١٧٢٥ م فرثته شقيقته (بى بى زينب) بقصيدة رائعة . وخلفه أصغر أخواله (شاه أشرف خان) وكان حكمه في فترة حرجة صعبة من الحكم الأفغانى في (فارس = إيران) ذلك لأن الروس والعثمانيين كانوا يتكالبون على (إيران) شمالا وغربا طمعا في الاستقطاع والاستيلاء ، وقد توتر الموقف أكثر سوءا بسبب المنازعات القبلية الأفغانية بين الأمراء الأفغان ، وفي هذه الظروف الحرجة استطاع (شاه أشرف خان) أن يوقف تقدم الروس شمالا ، كما تمكن من إلحاق الهزيمة بالعثمانيين الذين كانوا يتقدمون نحو العاصمة . وفي أثناء ذلك قام (نادر خولى) الأفشارى بالاستيلاء على بعض المناطق والتقدم نحو (مشهد) و (هرات) فأسرع (شاه أشرف خان) لملاقاته ، ولكنه انهزم في (دامغان) سنة ١٢٧٩ م فراجع إلى أفغانستان وقتله أحد زعماء (بلوچستان) في (سيستان) قبل الوصول إلى (قندهار) عاصمة ملكه .

الأسرة الدرانية الأبدالية^(١) :

أحمد شاه بابا الدراني الأبدالي والجيش النادري الأفشاري :

وكان نادر شاه أفشار قد ضم فريقا من الأفغان الشجعان إلى جنده وكان من بينهم فتى أفغانى فى الرابعة عشرة من عمره ، يدعى أحمد خان قتل أبوه وجده فى حروبه معهم ، وكانا من زعماء الأبداليين الأفوياء كما كان هو أيضا كذلك ، وسرعان ما وصل هذا الفتى الأفغانى الزعيم الشجاع بطموحه العظيم إلى قيادة فرقة الأفغان فى الجيش النادري الأفشارى ، وكان قوامها بضعة آلاف من المحاربين الأفغان الأفوياء الأشداء . وحين قتل (نادر شاه الأفشارى) عادت الفرقة الأفغانية إلى أفغانستان لتنادى بقائدها الفذ (أحمد خان) فى (قندهار) أميرا على بلاده باسم (أحمد شاه الأبدالى الدراني) ولم يتجاوز إذ ذاك من الثالثة والعشرين من عمره ، وكان ذلك فى سنة ١٧٤٧ م وكانت الفرقة الأفغانية هذه قد هاجمت قبيلة فارسية للحصول على السلاح والمال والنفائس لتعود إلى (قندهار) مسلحة مجهزة للقيام بالمهمة التى كانت تنتظرها . وكان (أحمد شاه الأبدالى الدراني) ينتمى إلى القبيلة (السدوزية) إحدى فروع القبيلة (الأبدالية) وقد تمكن من تجميع الشعب الأفغانى من حوله فى براعة الزعيم النادرة ، وتمكن من بسط سلطانه العظيم على الجزء الشرقى من إمبراطورية (نادر شاه أفشار) ثم استولى على (كشمير) و (البنجاب) واتخذ مدينة (قندهار) عاصمة لإمبراطوريته العظيمة . وقاد جيوشه الأفغانية الظافرة من (مشهد) إلى (كشمير) و (دهلئ) شرقا وغربا ، ومن (آمودريا = نهر جيحون) إلى الخليج الفارسى شمالا وجنوبا . وسار (أحمد شاه الأبدالى الدراني) فى حكمه سيرة العدل ، ولم يكن يقدم على عمل ، أو يرم أمرا دون مشورة زعماء القبائل الأفغانية ، وكانت أخلاقه الحميدة ، وشجاعته النادرة قد أكسبته حب وتقدير واحترام جميع الأفغانين ، فأطلقوا عليه لقب (بابا) وقليلًا ما يناله الزعماء فى بلاد الأفغان ، فأصبح اسمه بعد ذلك (أحمد شاه بابا) وهو أكبر تكريم يناله زعيم أفغانى من وطنه ، وقد سُمى نفسه (در دوران) أى (جوهرة الزمان) وبذلك عرفت القبيلة (الأبدالية) بعد ذلك بالقبيلة

(١) ذكرها محمد فريد وجدى باسم (الدولة العبدالية) راجع دائرة معارف القرن العشرين ٨٢/٦ - ٨٨ ، الطبعة الثالثة .

(الدرائية) . وما أن تم له ذلك كله حتى انحدر إلى سهول الهند فخاض غمار حروب كثيرة عند (دهلي) وما حولها ليدفع خطر الجماعات الهندوسية التي كانت تكيد للدولة الإسلامية التي قام بتأسيسها أجداده الغوريون والتي مهد لها أجداده أيضا من الغزنويين هناك في الهند . وكانت أعظم هذه المعارك الإسلامية الأفغانية هي التي كسر فيها الجيش الأفغاني الإسلامي بقيادة (أحمد شاه بابا الأبدالي الدرائي) مائتي ألف من محاربي الهند من الإمارات المختلفة في سهل (پاني پت) وكانوا قد زحفوا على هناك من مختلف أنحاء الهند للقضاء على الحكم الإسلامي ومملكته الإسلامية في الهند . ولولا ماتعرض له (أحمد شاه بابا) من متاعب كانتشار المرض في الجيش الأفغاني ، وقلة الموارد المالية لكان قد استطاع أن يعيد للحكومة الإسلامية سابق هيبتها ، وقديم مجدها ، ويعوق بلاشك الاستعمار البريطاني في رمال الهند بعد أن كان قد تغلغل في الشرق والجنوب من البلاد الهندية .

تيمور شاه :

وقد مات (أحمد شاه بابا الأبدالي الدرائي) سنة ١٧٧٣ م فخلفه ابنه (تيمور شاه) ولم يكن في مقدرة أبيه العظيم ، فكان الزعماء الأفغان لا يولونه تقديرا كافيا . وهو الذي نقل العاصمة من (قندهار) عاصمة أجداده إلى (كابل) لأغراض شخصية شهوانية ، وفي خلال حكمه الضعيف بدأت قوة (السيك = السيخ) تزداد في الهند خطورة فسقطت أقاليم (السند) في يد (السيك) كما سقطت أجزاء من (تركستان) في يد أمير (بخارى) وبدأت الإمبراطورية الأبدالية تهتز من أساسها في أيام حكمه المليء بالملذات .

وفي سنة ١٧٩٣ م توفي الملك (تيمور شاه) وترك من خلفه ستة وثلاثين من البنين والبنات ، فجلس على العرش الأفغاني المهترئ الملك (زمان شاه) بتأييد من الزعيم (باينده خان) رئيس القبيلة (الباركرية) وقد قابلته الصعاب في الداخل والخارج تمكن من التغلب على بعضها . ثم اتجه بغزواته إلى الهند ، فأثار بذلك مخاوف الإنجليز ، إذ كانوا يخشون من تهديد الأفغان والفرنسيين لممتلكاتهم في الهند . لذلك أرسلوا وفدا إلى (فارس) لدفع (شاه فتح) لنواوة أفغانستان

لتوقف تهديدها للهند البريطانية ، فأعد (الشاه) جيشا بقيادة الأمير محمود الأفغانى أخى الملك (زمان شاه) اللاجئ إلى (فارس) وحاكم (هرات) السابق ، فحاصر (قندهار) لمدة ٤٥ يوما تمكن بعد ذلك من الاستيلاء عليها ، ثم توجه إلى (كابل) العاصمة ، وكان الملك (زمان شاه) فى الهند ، فأسرع عائدا إلى أفغانستان ، ولكن أخذ أعوانه سلمه لأخيه محمود فسمل عينيه ، ثم حبسه فى قلعة (بالاحصار) فى (كابل) سنة ١٨٠١ م . وقد تم ذلك كله بتدبير استعماري من البريطانيين فى الهند حيث لم يكن فى استطاعتهم إسكات الأفغان الأشداء فى الهند ، وهم يعلمون جيدا أن هؤلاء الأفغان قد جاءوا إلى الهند لمساعدة المسلمين أخطر أعداء الإنجليز بها ، فلجأوا إلى عميلهم (الشاه) بفارس ، وحملوه على مهاجمة (أفغانستان) فلم ينته الحال إلى انسحاب الأفغانين بقيادة الملك (زمان شاه) من الهند فحسب ، بل لقد خلع عن عرشه ، وسمل عينيه .

وتولى محمود عرش أفغانستان ، وكان ضعيفا أسرف فى الملذات وأسلم مقاليد الأمور إلى وزيره (فتح خان) فسادت أفغانستان القلاقل فخلع زعماء القبائل الأفغانية محمودا ، وولوا أخاه (شجاعا) سنة ١٨٠٣ م ، ولكنه لم يستطع السيطرة على الأحوال ، وإعادة الأمن إلى البلاد . وقد استفاد (السيک) من هذه القلاقل ، فبدأت دولة (السيک) تهدد أفغانستان شرقا ، بينما كانت (فارس) تهددها غربا .

وفى سنة ١٨٠٧ م تعاهدت فرنسا وروسيا على غزو الهند معا ، فسيب ذلك مخاوف للإنجليز فى الهند ، فبعثوا وفدا إلى (شاه شجاع) فى (بشاور) فتم توقيع معاهدة صداقة بين أفغانستان والهند البريطانية سنة ١٨٠٩ م ، تعهد (شاه شجاع) بدخول القوات الأجنبية إلى أفغانستان ، ولكن (شاه محمود) ووزيره (فتح خان) استطاعا إعادة (كابل) وهزما قوات (شاه شجاع) فى موقعة (كندومك) وقبض عليه ، وسجن فى (كشمير) . وفى سنة ١٨١٢ م فر من سجنه إلى (لاهور) آملا فى معاونة حاكم (البنجاب) السيكى ولكنه جرده من ممتلكاته ، وأهمها جوهرة (كوه نور) التاريخية النفيسة النادرة الموجودة الآن فى (لندن) وأخيرا لجأ إلى (لودهيانا) فى الهند .

الأسرة الباركرية^(١) :

الأسرة (الباركرية) الحاكمة يبدأ تاريخها السياسى فى العصر الحديث بالزعيم (جمال خان) زعيم القبيلة (الباركرية) عندما أعطيت الوزارة فى أفغانستان له ولأولاده . وكانت هناك منافسة شديدة بين القبيلتين الأفغانيتين (السدوزية) التى ينتمى إليها (أحمد شاه بابا) و (الباركرية) التى ينتمى إليها الزعيم (جمال خان) . وكان ذلك فى حوالى سنة ١١٤٤ هـ = ١٧٣١ م أيام (نادر شاه أفشار) . وقد زادت قوة القبيلة الباركرية بعد وفاة (تيمور شاه) سنة ١٢٠٧ هـ = ١٧٩٣ م .

دوست محمد خان :

قبض (كامران خان) أكبر أبناء (شاه محمود خان) على وزيره الباركرى (فتح خان) منتهزا فى ذلك فرصة الحرب الدائرة بين الأفغان والفرس فى (هرات) سنة ١٨١٦ م فسمل عينيه أولا ثم أعدمه . وهرب (دوست محمد خان) إلى كشمير خوفا من (كامران خان) وفى سنة ١٨١٨ م تقدم (دوست محمد خان) فاستولى على (بشاور) ثم على (كابل) وتمكن بنو (الباركرية) من الاستيلاء على معظم البلاد ماعدا (هرات) التى ظل (شاه محمود) يحكمها حتى ١٨٤٢ م . ثم تقاسم أبناء (الباركرية) أفغانستان فيما بينهم . وفى سنة ١٨٢٦ م أصبح (دوست محمد خان) حاكما (لغزنى) ، و (جلال آباد) و (كابل) وبرزت شخصيته كأقوى أمير فى الأُسرتين (الباركرية) و (المحمديّة) واعتبر بذلك مؤسس الأسرة (الباركرية) وفى سنة ١٨٣٥ م أعلن نفسه أميرا على (أفغانستان) .

وفى أيام الأمير (دوست محمد خان) هذا أعلن الإنجليز الحرب على أفغانستان التى تعد أقوى قلاع المسلمين فى (آسيا) وقرروا تحطيم أفغانستان فى إطار سياستهم العدوانية : (السير إلى الأمام فى أفغانستان) بثلاثة طرق .. بإثارة الفتن الداخلية ، وبتحريض إيران ضدها ، وبالحرب الساخنة . ففى سنة

(١) دائرة معارف القرن العشرين ١١٢/٢ ، والدكتور أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ٦٥٥/٢ - ٦٦٠ .

١٨٣٨ م توجه جيش بريطاني كبير لمساعدة (شاه شجاع) وإعادته إلى الحكم في أفغانستان ، وهاجموا (قندهار) عن طريق ممر (بولان) التاريخي وبعد مقاومة عنيفة وبأسلة من الأفغان تمكن الجيش البريطاني من دخول قندهار سنة ١٨٣٩ م ، ثم حاول الوصول إلى كابل ففر (دوست محمد خان) إلى (بخارى) ولما عمت الثورات الأفغانية في هذه الظروف عاد ليشترك أبناء وطنه في حربهم ضد الإنجليز .

وقد حارب (دوست محمد خان) الإنجليز عدة معارك انتهت بانتصاره انتصارا حاسما ، وقرن انتصاراته هذه بفوز آخر في الحدود الغربية إذ دفع عنها خطر الفرس الذين كانوا قد أقبلوا يهاجمون أفغانستان بتحريض من الروس قام الشعب الأفغاني بقتل (شاه شجاع) بعد انسحاب الإنجليز ، وكان (دوست محمد خان) قد نفاه الإنجليز بعد القبض عليه ، وفي هذه الحروب تمكن الشعب الأفغاني من القضاء على حامية إنجليزية كاملة لم ينج منها إلا طبيب واحد فقط . وفي سنة ١٨٤٣ م أطلق سراح (دوست محمد خان) ليعود إلى أفغانستان ، وظل يحكم أفغانستان حتى سنة ١٨٦٣ م ، وتمكن في هذه المدة من بسط نفوذه على معظم المناطق التي كان يحكمها (أحمد شاه بابا) .

محمد أعظم خان والسيد جمال الدين الأفغاني :

تولى الحكم في البلاد الأفغانية بعد وفاة أخيه الأمير محمد أفضل خان سنة ١٨٦٦ م ، وفي أيام حكمه القصير ظهر السيد جمال الدين الأفغاني كأقوى شخصية علمية وأدبية وسياسية واجتماعية ، وهو الذي أسس وأنشأ جريدة (كابل) بموافقة الأمير محمد أعظم خان ، وذلك لنشر أفكاره الإصلاحية والأدبية ، وكانت الحروب الداخلية تدور بين الأميرين الأفغانين ... محمد أعظم خان ، وشير علي خان ، وكان ميول السيد جمال الدين الأفغاني وأفكاره تميل إلى الأمير محمد أعظم خان الذي تربى على يديه منذ الصغر .

شير علي خان :

وما أن مات الأمير القوي دوست محمد خان سنة ١٨٦٣ م ، وخلفه ابنه (شير علي خان) حتى عمد المستعمرون الإنجليز إلى التدخل في شؤون أفغانستان

من جديد بحجة تأمين حدود الهند من هجمات القبائل الأفغانية عليها . وأخذت بذلك الضغوط الخارجية على أفغانستان تتجمع من جديد ، كانت الإمبراطورية الروسية آخذة في التوسع قريبة من حدود أفغانستان الشمالية في الساحل الشمالي من (آمودريا = نهر جيحون) وقد عرفنا نوايا الإنجليز السيئة في أفغانستان آنفا .

بدأ الإنجليز زحفهم مرة ثانية في سنة ١٨٧٨ م وتمكنوا من احتلال المواقع الاستراتيجية في أفغانستان بعد أن كبدهم القوات الأفغانية خسائر فادحة وترك الأمير (شير علي خان) ابنه (يعقوب خان) في (كابل) وتوجه هو إلى (مزار شريف) في الشمال طلبا لمعاونة الروس ، ولكنهم كعادتهم لم يستجيبوا لطلبه ، ومات هناك سنة ١٨٧٩ م .

وفي سنة ١٨٧٩ م وقعت بين أفغانستان ، وإنجلترا معاهدة (كندومك) وأرسلت إثر ذلك بعثة دائمة إلى (كابل) في مقابل معونة مالية لأفغانستان كل سنة ، ولكن الشعب الأفغاني لم ينتظر طويلا حتى قام بقتل جميع أفراد البعثة البريطانية في (بالاحصار) كابل ، فقامت إنجلترا بإرسال قوات أخرى إلى أفغانستان ، وأجبرت الأمير (يعقوب) على التخلي عن العرش ، وأرسلته مقبوضا عليه إلى الهند حتى مات هناك سنة ١٩٢٣ م .

عبدالرحمن خان :

هو حفيد الأمير دوست محمد خان ، جاء إلى مسرح الأحداث السياسية والعسكرية في أفغانستان ، وقد اعترفت به (بريطانيا) أميرا على (كابل) آملة في أن يعيد الأمن إلى ربوع أفغانستان . ومن أهم أحداث هذه الأيام قيام (محمد أيوب خان) شقيق (محمد يعقوب خان) بإبادة حامية بريطانية في (ميوند) بالقرب من (قندهار) وتوقيع معاهدة (ديورند) المشثومة بين أفغانستان وإنجلترا لتحديد حدود أفغانستان الشرقية والجنوبية . هذه المعاهدة لا تعترف بها (أفغانستان) في الوقت الحاضر لأنها معاهدة أرغم الانجليز الأمير (عبدالرحمن خان) على توقيعها .

حبيب الله خان :

توفي (عبدالرحمن خان) سنة ١٣١٩ هـ = ١٩٠١ م فخلفه ابنه الأمير

(حبيب الله خان) وكان هذا الأمير من أصحاب الأفكار المستنيرة ، وكان شغوفا بالإصلاحات الداخلية ، وتطوير البلاد علميا وصناعيا ، وإدخال النظم الحديثة إليها ، وفي عهده أنشئت أول مجلة أفغانية باسم (سراج الأخبار) وقد اغتيل سنة ١٩١٩ م .

أمان الله خان :

قتل (حبيب الله خان) في (لغمان) وخلفه ابنه (أمان الله خان) وقام باسترداد جميع الأراضي الأفغانية بقوة السلاح تلك التي احتلها الإنجليز ، وأرغم الإنجليز في الهند بأن يضموا لأفغانستان مرور جميع مانتجاج إليه من سلاح وعتاد عن طريق الهند . وفي أيامه بعثت حكومة الأفغان بالسفراء الرسميين إلى الدول الأخرى : واهتم الملك (أمان الله خان) اهتماما بالغا بتنظيم حكومته وجيشه ونشر التعليم ، ووضع الحياة الدستورية ولكنه اضطر - نتيجة للاضطرابات في البلاد - إلى أن يتنازل عن العرش لأخيه (عناية الله خان) وفر هو إلى (قندهار) ولكن (عناية الله خان) نفسه تنازل عن العرش وهرب إلى (بشاور) ووقعت أفغانستان في يد (بجه سقا) وسمى نفسه باسم الملك (حبيب الله غازي) .

محمد نادر خان :

كان سفيرا في (فرنسا) فسارع إلى البلاد ، وقضى على اضطرابات (بجه سقا) واعتلى عرش أفغانستان . و (محمد نادر خان) هو الذي قاد الجيش الأفغاني في إحدى جبهات الحرب مع البريطانيين عامي ١٩١٩ - ١٩٢٠ م وقد اغتيل سنة ١٩٣٣ م .

محمد ظاهر خان :

قتل (محمد نادر خان) فخلفه ابنه (محمد ظاهر خان) فسار سيرة أبيه في تدعيم الحياة الدستورية والنهوض بالجيش ، ونشر التعليم ، وفي سنة ١٩٧٣ م أعلنت أفغانستان إلغاء النظام الملكي وقيام الجمهورية .

محمد داود خان :

قام السيد / محمد داود خان بانقلاب في ١٧ من شهر يوليو سنة

١٩٧٣ م وإلغاء النظام الملكي ، وكان الملك السابق (محمد ظاهر خان) خارج البلاد يوم قيام الانقلاب ، فبقى في الخارج ، ولم يعد إلى أفغانستان من تلك الرحلة . وقد نصب السيد / محمد داود خان رئيسا للجمهورية في الانتخابات العامة الأخيرة .

الأمة الأفغانية تعشق الحرية الفردية وتقدر حرية الوطن وفي سبيل الحرية يضحي الأفغاني بكل غال ونفيس ، ويشتهر الأفغاني بجانب الشجاعة ، والبسالة ، والفداء ، والتضحية بتمسكه الشديد بدينه الحنيف وخير مثال لتقديس الأفغان لمعاني الحرية والاستقلال ، تراه في تلك الرسالة السامية التي حملها السيد جمال الدين الأفغاني إلى العالم حين انطلق حاملا راية الحرية يجاهد في سبيل يقظة الشعوب الشرقية عامة ، والشعوب الإسلامية خاصة ، وينفخ فيها من روح الجهاد والنضال ، ويغرضها على طلب الحرية ، والتفاني في سبيل الحصول عليها ، وقد رأى العالم كله كيف باءت بالفشل المحاولات التي بذلها المستعمر لطي بلاد الأفغان تحت نفوذه وسيطرته ، ففنت له جيوشه بأكملها في غزواته المتكررة في بلاد الأفغان . وعلم أبناء الأمة الأفغانية المستعمر كيف يحترم مشيئة الأحرار ، وذلك ببسالتهم ، وضراوتهم في القتال ، واستأثرتهم في الدفاع عن العقيدة ، والدين ، والوطن ، هذه المعاني السامية تظهر في الآداب الأفغانية ظهورا كاملا . فالقولة الشهيرة التي يكررها ، ويقولها زعماء آسيا بأن (أفغانستان مدرسة الحرية) قولة في مكانها ، لأنها فعلا مدرسة الحرية ، إذ كانت مضرب الأمثال للشعوب .

إن أفغانستان في هذه الأيام على فوهة البركان الثائر ، تقترب من الانفجار المدمر بكل ما في الانفجار من ضغط وقوة وتدمير ... وهي في انتظار الانتفاضة الثورية من الداخل أو من الخارج إما لإنقاذها أو للانتفاض عليها ، إن أحدا من البشر لا يستطيع أن يتنبأ بنتيجة هذه التطورات المتوقعة ، وتلك الانتفاضة المنتظرة إن ديناميكية الثورة أو ديناميكية الثورة المضادة هي التي في إمكانها أو في استطاعتها أن تأتي بالنتيجة واضحة ظاهرة عند حدوثها ووقوعها ، وعلامة الوقوع والحدوث ثم علامة الاصطدام بين الانتفاضة والانتفاضة المضادة بينة جلية في الأفق في أفغانستان .

كل الأحوال والأحداث وكافة الأوضاع الداخلية في أفغانستان ... في المجتمع الأفغانى المفتوح ، وفي الجامعات ، وفي الحكومات الأفغانية المتزعزعة المهترئة ، وفي الشارع العام كل ذلك في انتظار تغيير جذرى وأساسى في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ... ديمقراطية تشبه الفوضى مع الغوغاء تسيطر على المجتمع الأفغانى سياسيا ، اجترار لأفكار الماركسية البراقة الهدامة تسلط ضوءها الممزوج بالسراب على عقول الشباب في الجامعات وفي غير الجامعات ، فهم متغايرون ومتناقضون لحقيقة الإسلام وتعاليمه السامية يسود الأوساط الثقافية ، فوضى في كل شيء تدعو بالحاح شديد إلى تغيير جذرى عميق من الداخل أو من الخارج . إن الحياة السياسية والاجتماعية تعج بالفوضى ، المؤسسات العلمية والتعليمية يسودها الاضطراب والحياة الاقتصادية تسيطر عليها الغوغاء ، وقد استفادت الشيوعية الانتهازية من إطلاق الحريات واستغلتها أسوأ استغلال ، تحولت الحرية إلى اضطرابات ومصادمات وعمت الفوضى في كابل العاصمة أدت إلى إغلاق الجامعة عدة مرات ، تعج البلاد بمظاهرات شكلية دون أهداف أو غايات .

نظام الأمير محمد داود خان الجمهورى الشكل والمظهر في طريقه إلى التفكك تحت ضغط المتناقضات الشيوعية الشمالية الروسية والشرقية الصينية ، ووقعت أفغانستان بين فكى الكماشة الروسية الصينية شر وقوع ، أو وقعت بين المطرقة والسندان مطرقة هذا وسندان ذلك لا فكاك لها من ذلك ، والعلاقة بين داود وبين الحركات الإسلامية والوطنية الشريفة في أفغانستان مفقودة معلومة ، والشبكة الشيوعية المخادعة الماكرة تحيط به من كل جانب وهو لا يدري ، وقد أتاح للشيوعية كل الفرص للاستيلاء على أجهزة الدولة ، وبدأ محمد داود ومن حوله الشيوعيون يوجهون أقصى الضربات للجماعات الإسلامية ، وتمت تصفية أكبر عدد من عناصر القيادة الإسلامية المخلصة في أفغانستان ، ليس عنده استعداد للتعاطف أو التفاهم مع الزعامة الإسلامية . إن أفغانستان تتهيا رغم احتفاظها بمظهر الدولة المحايدة للدخول في مجال الأمن القومى الروسى ... النفوذ الروسى في ازدياد يوما بعد يوم ، أصبحت المؤسسات الحكومية تحت سيطرة الروس الذين تدفقوا على البلاد الأفغانية في ظل الملك السابق محمد ظاهر شاه ، ثم بأعداد أكبر في عهد الرئيس الأحمر محمد داود خان مهندس العلاقات الأفغانية الروسية التي تم

وضعها على أسس اقتصادية وعسكرية محكمة .

وبعد انتهاء شهر العسل الكاذب بين الجانبين ، أو بعد مرور فترة الوئام الشكلي والوفاق الظاهري تنبه الرئيس محمد داود خان الأفغانى المعاند المستبد ولاحظ بعد فوات الأوان أن الشبكة الشيوعية الماكرة المحكمة قد أحكمت عليه قبضتها الفولاذية ، وطوقته بخيوطها العنكبوتية تماما ليس في إمكانه الفكك من براثنها ، ولا يملك القدرة على الحركة للتخلص منها ، ولا يملك الحرية للقيام بأى عمل للخروج من تلك الخيوط العنكبوتية المعقدة . ويبدو أن المعركة الحاسمة قد انتهت لصالح الشيوعية الماكرة ، وتم وضع خطط بداية النهاية لنظام الرئيس محمد داود خان الجمهورى ليرثه الشيوعية . ومن هنا نرى بعيونا أن كابوسا ثقيلا يحسم على قلوب زعماء الحركة الإسلامية نظرا للعداوة السافرة والضغط المزدوج عليهم من النظام الجمهورى الاشتراكى المهتر ومن العناصر الشيوعية معا .

نعم ، إن الرئيس محمد داود خان وطنى مخلص لا شك في ذلك ، ولا يختلف أحد في إخلاصه للوطن إلا أنه مستبد إلى أبعد الحدود ، تسيطر على أفكاره الوطنية كبرياء فارغة لا مبرر لها ، خيل إليه باستبداده وبكبرائه الفارغة أنه ربما استطاع بميوله الاشتراكية كسب تأييد الشيوعيين الأفغان المؤيدين من دولتين شيوعيتين قويتين في جنوب أفغانستان وشرقها ... وهما روسيا الشيوعية والصين الشعبية ، وقد استغلت الحركة الشيوعية الأفغانية هذه النقطة في داود فيما استغلته من نقاط الضعف في شخصيته المزدوجة بين الوطنية القومية والاشتراكية الشيوعية .

حركة الإسلاميين الأفغان ترقب عن كثب وبخذر شديد تطورات الأحداث الجارية الجارفة في أفغانستان وعلى رأسهم شهيد الإسلام الأستاذ غلام محمد خان نيازى منذ سقوط الملك محمد ظاهر شاه عام ١٩٧٣ م ، وقد أدرك كافة القادة المسلمين الأفغان ، وعلموا بثاقب بصرهم وبتجاربهم العملية أن الشيوعية والشيوعيين يزحفون بلا هوادة إلى تسلم زمام الأمور في أفغانستان من خلال هذا الوطنى الاشتراكى الاستبدادى المتجبر الرئيس محمد داود خان ، وقد كان . انقسم الإسلاميون حول تنظيم العمل المسلح والخطط السياسى المدروس

الذى يمكن اتباعه فى التعامل مع النظام الجمهورى بقيادة الأمير محمد داود خان ، ومع من يحيط به من الشيوعيين ... فريق منهم يرى المهادنة والتأييد وترقب الأحداث والتطورات حتى يقوم هو بنفسه بتصفية العناصر الشيوعية المحيطة به ، ودليل التريث والترقب والمهادنة عند هذا الفريق من الإسلاميين أن السيد محمد داود خان لابد وأن يصطدم بالشيوعيين فلا حاجة إلى إرباكه وإنهاك أعصابه وإضعاف قوته وإزعاج نشوته والنيل من كبريائه أمام هؤلاء الشيوعيين . أما الفريق الثانى من هؤلاء الإسلاميين فإنه يرى أن المنازلة والجهاد المسلح وخوض المعركة ضد كلا الطرفين المتحدين هى الطريقة المثلى لإيقاف محمد داود خان ومن يحيط به من الشيوعيين عند حدهم ، وهذه العناصر الإسلامية من الفريق الثانى تصر بشدة على أن محمد داود خان شيوعى ويستمد قوته من الشيوعية ، وهو الذى فتح للشيوعية البغيضة أبواب أفغانستان على مصراعها فلا بد من جهاده وإعلان الحرب ضده ، وضد من ينصره ويؤيده ، والفريقان من الإسلاميين كانا فى حاجة إلى مساندة عملية وتأييد فعال مؤثر من جهات أخرى قوية ، وأين ذلك ؟ وقد ساهم انقلاب محمد داود خان ، وما أشاره من الجدل العقيم حول مواقف الإسلاميين العملية والنظرية فى شق الحركة الإسلامية والقضاء على وحدتها وتفتيتها إلى فئات متنافرة متشاجرة حيث غاب عنها بانيتها ومهندسها الأول الأستاذ غلام محمد خان نيازى بإلقاء القبض عليه ثم إعدامه فيما بعد ، وذلك فى الوقت الذى توحد فيه جناح الحزب الشيوعى الخلق والبرجم للقيام بالعمل ضد الإسلاميين وضد الحركة الإسلامية والانقضاء عليها بكل الوسائل المتاحة للعناصر الشيوعية فى هذا الوقت .

سقوط الرئيس الأمير والوطنى الاشتراكى الاستبدادى المغرور محمد داود خان فصل الخطاب والختام لما دار بين عناصر الحركة الإسلامية من جدل عقيم ، ونقاش لم يأت بالفائدة المرجوة منه بشأن تحديد المواقف حول العمل المسلح أو المخطط السياسى للتعامل مع رئيس النظام الجمهورى السيد داود خان والعناصر الشيوعية المحيطة به من كل الجوانب ، إن سقوط محمد داود المتجبر المغرور قد أسكت كلا الفريقين فى الحركة الإسلامية الأفغانية ، وأنهى مناقشاتهما حول العمل الموحد ضده وكان الشيوعيون هم السابقون إلى هذا العمل الذى أسكت

الجميع بأوامر صدرت إليهم من أسيادهم في موسكو ...

قام الدجروال عبدالقادر خان وزمرته الباغية بحركته المشعومة التي أطاحت بالرئيس محمد داود وأنهت نظامه الجمهورى فى عام ١٩٧٨ م حيث قتل هو وأفراد أسرته جميعا فى عملية وحشية بربرية لا مثيل لها فى التاريخ ، كما انتهت الخلاف بين حركة جماعات الإسلاميين فى أفغانستان ، فقرر الجميع خوض معركة الجهاد الإسلامى ضد قوى البغى والكفر والإلحاد ... الشيوعية الباغية وضد طلائع الزحف التترى الأحمر للقضاء على قوى الإمبرالية الشيوعية الغاشمة ، وقد زاد الطين بلة بعد هذه الحركة التى قامت بها زمرة الدجروال عبدالقادر حيث أضافت بعدا جديدا فى عنصر القلق والهاجس النفسى للشعب الأفغانى الذى يعانى منه منذ عصر الملك محمد ظاهر شاه والعصر الجمهورى بقيادة السيد محمد داود ، وبدأ يعانى منه تحت وطأة الحكم اليسارى الشيوعى المتطرف بزعامة الحزب الشيوعى الأفغانى العميل .

تمكن الشيوعيون من تسلم زمام الحكم فى أفغانستان ، وبدأوا علنا مضايقة الانبعاث الإسلامى وخنقه فى شتى أشكاله وصوره ، وفى جميع مجالاته وميادينه ... فى المساجد ، والتجمعات الإسلامية فيها بحجة الذهاب إلى المساجد يسبب تعطيل الإنتاج والعمل ، وفى الجامعات وفى جميع القنوات الثقافية الأخرى ، وفى الوزارات وفى جميع الدوائر والمؤسسات الحكومية ، وبدلوا العناصر الدينية العداء السافر ، وراحوا يكيلون لهم أقسى الضربات وأشدّها ، ووظفوا كل طاقاتهم لمناصرة هذا العداء ، وعمت عمليات الاضطهاد والتكيد بالعناصر الإسلامية وماتبها من تعذيب وقتل الأبرياء من زعماء العناصر الدينية والمفكرين المسلمين وطلاب المدارس وأئمة المساجد . وباتوا ينتهكون حقوق المسلمين الدينية ، ويمارسون جرائم الشائنة ضد كتاب الله والأماكن المقدسة تلك الجرائم البشعة التى تدل وتبين وحشية الشيوعيين وفظائعهم فى أفغانستان الأمر الذى يبرز أهمية حتمية المواجهة الجدية المسلحة والعمل السياسى المخطط المدروس بإحكام لإسقاط الحكم الشيوعى العميل الملحد القائم فى كابل واستبداله بنظام إسلامى مبنى على أسس إسلامية صحيحة يقوم الشعب الأفغانى المسلم بإقامته وتوظيفه بكل طاقاته لخدمة الإسلام والمسلمين ولرفع راية الإسلام فى ربوع أفغانستان عالية رفاة .

نعم ! طوت الشيوعية أفغانستان ضمن دائرة نفوذها الأوسع كما طوتها حكومة الرئيس محمد داود خان ضمن دائرة نفوذه الضيق ، وكلا الجانبين وجها ضرباتهما القاسية إلى الإسلاميين لكن الشيوعية كانت أكثر عنفا ودموية وتخريبا وتقتيلا ، فدمرت مراكز الحركة الإسلامية بقصد القضاء على العقيدة الإسلامية السمحاء التي تركت بصماتها الخالدة في أعماق الحياة في أفغانستان ، وقتلت الآلاف من المسلمين الأفغان ، وشردت الملايين . ومن هذا المبدأ والمنطلق العظيمين الجليلين قامت الحركة المجاهدة في أفغانستان تمثل كافة جماهير شعبها المسلم الأبي الحر المعادى للشيوعية والإلحاد الذي جاء يريد القضاء على حياته الروحية قبل القضاء على حياته المادية وإنهاء استقلاله وكيانه السياسي المستقل منذ الأزل ، وقد برزت للشيوعية الماكرة ولأعوانها العملاء قوة شكيمة هذا الشعب المحارب الباسل الذي مارس حرب العصابات طيلة تاريخه المديد منذ ما قبل التاريخ وعبر العصور الوسيطة وحتى العصر الحديث يعينه في ذلك عقيدته المحكمة وطبيعة بلاده الجبيلة الصلبة والأودية الحصينة السحيقة ذات الممرات الاستراتيجية الهامة ، فشعب مسلم هذا شأنه وتلك صفاته لا يمكن أبدا أن ينسجم مع شيوعية ملحدة جاءت بلاده على أسنة الحراب في حماية الدبابات والمدافع وفي ظل الطائرات النفاثة المقاتلة التي أمطرت النار فوق الديار في منازل الأفغان الأبرار .

الآداب الأفغانية في هذا العصر

اللغة البختونية البشتونية الأفغانية وآدابها :

اللغة (البختونية = البشتونية) إحدى اللغات المشتقة من اللغة الآرية القديمة الأم التي كان الآريون القدامى يتكلمون بها . كما اشتقت منها اللغة السنسكريتية ، واللغة الهندية ، وفي هذه اللغة البختونية القديمة التاريخية الهامة قد تم تدوين الأدب (البختوني = البشتوني) الأفغاني ، فاللغة والأدب البختونيان (البشتونيان) يلعبان دورا تاريخيا ، ولغويا ، وأديبا هاما منذ أقدم العصور الآرية في البلاد الآرية الأفغانية ، وهما في الحقيقة يمثلان الأدب واللغة الآريتين في العصر الحديث تمثيلا حقيقيا لما فيهما من الأفكار والكلمات الآرية الكثيرة التي جعلت الأدباء من الأفغان والمستشرقين يحكمون بأن أفغانستان الوريث الشرعي لآريانا ، والشعب الأفغاني وريث الشعب الآري .

يذكر شيخ المؤرخين (هيرودوت = HERODOTE) عام ٤٨٤ قبل الميلاد اسم الشعب (البختوني) باسم (بكتوس = PAKTUES) واسم الديار البختونية باسم (بكتيكا = PAKTIKA) ويصف هذا الشعب بأنه يمتاز بالقوة والشجاعة . كما جاء ذكر اسم (بكتها = PAKTHA) كأحدى القبائل الآرية في كتاب (الويدا) الآري مرات عديدة ، وذلك قبل أن يأتي المؤرخ الإغريقي (هيرودوت) إلى هذه البلاد الآرية بعشرت السنين . وأطلق الجغرافي الإغريقي (بطليموس) على هذه المنطقة اسم (بكتين = بختونخوا) .

لم يعثر الباحثون والدارسون حتى الآن على النقوش الكافية المكتوبة باللغة (البختونية) قبل الإسلام غير نقش (بفلان) الذي كتبه خلفاء الإمبراطور الكوشاني العظيم (كنيشكا) والنقش البختوني الحجري هذا موجود الآن في متحف (كابل) وقد دارات حوله مناقشات علمية ولغوية وتاريخية مختلفة في كل

من أفغانستان وإيران . واللغة (البختونية = البشتونية) لغة آرية الأصيل كما مر ، وأصيل من الأصول الأربعة التي تفرعت من اللغة الآرية وهي تمتاز بمحافظتها الشديدة على أصولها الآرية القديمة ، ثبت ذلك بأدلة علمية وتاريخية من علم اللغات ، ونظريات العلماء في الشرق والغرب ، ومن التحقيقات والدراسات الأدبية واللغوية . وقد بدأت هذه البحوث التاريخية ، والدراسات اللغوية والأدبية الخاصة متأخرة عقب أن بدأها المستشرقون في الأراضي الأفغانية ، والهندية . ويعكف في العصر الحاضر جماعة من العلماء والباحثين الأفغان في الجمع للغوى البختوني . (بختو تولنه) وفي كلية الآداب بجامعة (كابل) وفي غيرهما من المؤسسات والجمعيات العلمية والتاريخية في أفغانستان على القيام بأبحاث عن اللغة البختونية (البشتونية) وآدابها كما يقوم علماء اللغات في كل من ألمانيا وفرنسا ، وبريطانيا ، والدانمارك والنرويج وأمريكا ، والاتحاد السوفيتي بدراسات ، وأبحاث علمية ولغوية مماثلة . وقد وصل هؤلاء الباحثون إلى جذور هذه اللغة وأصول العريقة ، لأن سكان الجبال في أفغانستان ، وبشتونستان ظلوا محافظين على أصول هذه اللغة كما هي منذ آلاف السنين ، وقد قامت الجمعية الملكية الآسيوية في (البنغال) بأبحاث قيحة في تاريخ اللغة البختونية (البشتونية) الأفغانية وآدابها . واستنادا إلى تلك البحوث والدراسات اللغوية والأدبية ، واستنادا إلى النظريات والتحقيقات العلمية التي قام بها علماء اللغات ، ورجال التاريخ الأدبي والمؤرخون ثبت أن اللغة البختونية (البشتونية) الأفغانية من اللغات الآرية العريقة ذات القرابة والشبه باللغتين السنسكريتية التي انتشرت في الهند مع انتشار القبائل الآرية فيها ، والوندية التي تفرعت منها اللغة الفارسية القديمة في البلاد الفارسية القديمة . وهي إذن إحدى اللغات القائدة السائدة في أفغانستان قبل الإسلام ، وكذلك قبل الميلاد بقرون .

إن اللغة (البختونية = البشتونية) الأفغانية من اللغات الإسلامية التي تكتب بالحروف العربية بزيادة عدد من الحروف لا توجد في الحروف الهجائية العربية والدرية ، وقبل دخول الإسلام ، وانتشار الثقافة الإسلامية واللغة العربية في أفغانستان الخراسانية كانت تكتب بالحروف (الخروشتية) الهجائية . كما كتبت بالحروف الهجائية الإغريقية أيام الدولة (الياخترية) في أفغانستان القديمة . وللغة

(البشتونية = البختونية) لهجتان رئيسيتان وهما اللهجة الغربية واللهجة الشرقية ولكل من اللهجتين بعض من المميزات في أداء الحروف ، والنغمات الصوتية .

الأدب (البختوني البشتوني) الأفغاني غنى بالقصص والأساطير الشعبية التي عاشت مع الناس لآلاف من السنين ، ومنذ العصور القديمة جدا عندما كان كل الانتاج الأدبي يبرز شفاهة غير مسطور ولا مقيد ولا مسجل ، منذ ذلك التاريخ القديم احتفظ الأفغان بتاريخ الحوادث القومية والوطنية في الذاكرة وفي إطار تلك الأساطير والقصص الشعبية ، واحتفظوا بها مسجلة في الأغاني الشعبية - لقد ارتبطت أساطير الأفغان بأساطير أجدادهم الآرية القديمة ، كما ارتبط الأفغان أنفسهم بأجدادهم الآريين القدامى ولم تحمل تلك الأساطير والقصص الشعبية في أفغانستان على الرغم من مرور قرون طويلة متتابعة عليها ، وعندما آمن الأفغان بالإسلام ، واتبعوا شريعته لم يقل جهدهم وتعلقهم بأبطالهم القدامى ، وهكذا عاشت الأساطير القديمة في القصص الشعبية ، وفي الأغاني الشعبية ، وكانت مادة قيمة غنية للأدب المنظوم والمنثور معا ... والأدب مرآة الأمة ، وهذا هو شأن الأدب في البلاد الأفغانية .

من الثابت أدبيا بأن أدب كل أمة ترجمان عواطفها ، وترجمان صورة إحساسها ، وشعورها ، وتاريخها الأدبي ، وهو ذلك الإطار الذهبي الذي تنعكس عليه مذاهبها الاجتماعية والسياسية ، والاقتصادية قديما وحديثا ، وهو معيار دقيق وصادق لكل ما يتردد في الأمة من آراء ، وعقائد ، وحضارات وعواطف . وهذا شأن أدبنا الأفغاني (البختوني = البشتوني) فإنه الترجمان الحقيقي لعواطف الأمة الأفغانية المسلمة ومشاعرها وأحاسيسها ، وهو الإطار الذهبي الذي تنعكس عليه حياتها ، وتاريخها وهو معيار صادق ودقيق لكل ما يتردد في هذه الأمة من حب وبغض ، وسلم ، وحرب ، واستقرار ، واضطراب ، إنه فن جميل تتعشقه نفوس الأمة الأفغانية ، وتهواه ، ومن أجل ذلك تعلقت به هذه الأمة المسلمة الباسلة في سلمها وجربها على السواء .

وأدبنا الأفغاني (البختوني = البشتوني) وأخص بالذكر المنظوم منه هو تراث الأمة الذي تعتمد عليه ، وتعزز به ، لأنه سجل جامع لتاريخها ، ومقدساتها

وصورة صادقة لكل ما مر بها من تاريخ مشرق أو مظلّم ، صور الحياة الأفغانية في جبالها ، ووديانها ، كما صورها في حروبها المدمرة ، وأحقادها الغادرة .

إن من أخص خصائص الجنس الآرى توقد الشاعرية ، واضطرابها فيه ، وقد ورثها الأفغان عن أجدادهم الأولين الآرين ، ولعل السر في شاعريتها المتوقدة هي تلك الجبال الشاهقة الخضراء ، والوديان الجميلة الرائعة وتلك الأنهار الجارية التي تملأ القلب روعة ، والعقل فكرا ، والخيال تأملا ، وهي غنية بجمالها المطبوع وفيها تلك الحرية المطلقة التي تولد في النفوس الانطلاق ، ويطلق اللسان بالتعبير عما في الضمير ، ومن أسرار شاعريتهم أيضا صفاء قرائحهم ، وسرعة خواطرهم فالأفغانى ذكى الفطرة ، متوقد الإحساس جيش العواطف ، تثير مقامات الحروب والمعارك مشاعره وأحاسيسه . ومن أسرار شاعريتهم حريتهم ، واستقلالهم ، ومافرزته عليهم حياتهم من حرب وسلم مما يبعث الشعر ، ويطلق اللسان ، ويجعل الخيال يطير فوق الجبال وفي داخل الوديان ، ويسبح في الأنهار مغردا تغريدة البلبل في الحديقة الغناء .

ولذلك فإن الأدب الأفغانى (البختونى = البشتونى) المنظوم غنى بالموضوعات ملء بالتنوعات ، يشترك في إنشاده وتغريده أكثر الأفغان ، والأدب المنظوم أكثر من غيره ، وإذا أردنا أن نوازن طبقات الشعراء بالطبقات الأخرى من الشعب الأفغانى أمكننا القول بأن نسبة الشعراء فيها أكثر بالنسبة إلى شعراء بلاد كثيرة أخرى في العالم ، فإلى جانب الشعراء المشهورين في هذه الأمة تظهر الشاعرية الفطرية في جميع أفرادها تقريبا وفقا للعواطف والحوادث والإحساسات التي تطرأ عليها ، وتؤثر في نفسياتها ، ومعنى هذا أن كل أفغانى يقول الشعر ، وينشده فطريا ، ودون تفكير تقريبا ، ولو كان شعرا واحدا ، ويسمى هذا النوع من الأدب المنظوم (لندى) ومعنى هذه الكلمة لغة (قصيرة) ومعناها اصطلاحا (الشعر القصير) لا يتجاوز بيتا واحدا ، أو بيتين من الشعر على الأكثر ، ولا يوجد له مثيل في الآداب الأخرى في العالم ، وهذا النوع من الشعر يشتهر في البيئة الأدبية الأفغانية بالأدب الشفهى ، ولا يعرف قائله بالتحديد لأنه صرخة شعرية فطرية يتفوه بها الأفغانى في حالات عاطفية خاصة تنقله الأفواه دون أن تهتم بقائلة .

والأدب الشفهى الأفغانى البيختونى نوعان ... النوع الأول : (لندى) أى الشعر القصير كما مر ، والنوع الثانى : (سندر) ومعناه الأغنية القصيرة السريعة الخفيفة ، وهى أطول من النوع الأول (لندى) وأقصر من القصيدة ، ولا يراد فيها الوحدة فى القافية ، والبحر العروضى ، ويجوز فيها الانتقال من معنى إلى معنى آخر ، وهو أدب ذاتى ينبع من ذات الشاعر ، والأدب الشفهى الذاتى يعد من التراث الأدبى المنظوم الأصل للأفغان ، وهو ترجمان عواطفه الذاتية الجياشة الفياضة التى تنبع من الذات الأفغانية .

ويستمد الشعر الأفغانى إلهامه من مصادر عديدة كما مر ، ومن أهم هذه المصادر الرئيسية نهر (آمو = جيحون) فى الشمال ، ونهر (أباسين) فى الشرق وفى الحقيقة أن هذين النهرين الشهيرين يحدان تلك المنطقة الواسعة التى كانت موطننا طبيعياً للقبائل الآرية كما تقطنها القبائل الأفغانية ، والفرق بين شعر المصدرين هو أن شعر المصدر الأول هو الأدب المكتوب على أسس علمية تجريبية متينة ، وبعبارة أخرى هو الأدب المنظوم المكتوب الذى أنشده الشعراء الفحول أصحاب التجارب ، العلمية والفكرية ، أما شعر المصدر الثانى الذى نشأ وينشأ على ضفاف نهر (أباسين) المنظوم هو فى أكثره الأدب المنطوق الذى يتناقل على ألسنة الناس من أقدم العصور ، من عصر إلى عصر ، ومن جيل إلى جيل ، هذا النوع من الأدب المنظوم المنطوق هو فى الحقيقة وواقع الأمر مرآة الأمة الأفغانية ، وهذا النوع من الأدب الشهير وهو الذى يقدم لنا النماذج الأدبية الحية الرائعة الجميلة التى يتمثل فيها تاريخ هذه الأمة العريقة ، وتنعكس فى مرآتها صور تلك الحوادث والحروب والتقاليد والعواطف التى صادفت ، وتصادف هذه الأمة فى تاريخها العميق الطويل ، وفى حياتها القديمة والحديثة ، ففيها النضال والحرب ، وأبطال الحرب والنضال ، وفيها العاطفة الصادقة ، والحب الجياش ، فيها الشقاء وفيها السعادة ، فيها الموعظة الحسنة ، وفيها الفجور الفاسد .

هذا النوع من الشعر ، أو أصحاب هذا النوع من الأدب المنظوم المنطوق ، هم من صميم الشعب ، ويخاطبون الأمة ، والشعب بلغة الأمة ، ولهجة الشعب ، عواطفهم عواطف الأمة ، وإحساسهم إحساسها ، يشترك فى هذا النوع من الشعر المنظوم الشعراء من جميع الطبقات الشعبية ، لا فرق بين عالم وجاهل ،

حكيم وصعلوك ، أمير وفقير ، فلاح وخان^(١) جميعهم يخاطبون الأفغان بلغة الأفغان ، ويقدمون أدبهم المنظوم في صورة (لندى = الشعر القصير) و (سندر = الأغنية الخفيفة) إلى الأفغان ، ولأجل الأدب الأفغانى .

هذا النوع من الأدب الشفهى المنطوق في أفغانستان ضاع أكثره ووصل إلينا أقل قليله ، وقليل من عشاق الأدب الشفهى المنظوم حاول الاحتفاظ بشعره من هذا النوع ، أو بشعر غيره ، وذلك بكتابته في الأوراق ، وهى بدورها لم تصل إلى المطبعة لتختار لنفسها شكل الكتاب المطبوع ، لتضمن الدوام ، ومع طبع بعضه بغير عناية ، لم ينل الاهتمام اللازم .

جهود المستشرقين :

وفي عصور النهضة الأدبية والعلمية واصل المستشرقون جهودهم في سبيل تدوين الأدب الأفغانى (البختونى = البشتونى) عامة ، والفنون الشعبية (الفولكلور) بصفة خاصة . ومع هذا المجهود الأدبى القيم ، كانت هذه الفنون الأدبية الجميلة في حاجة ماسة إلى مجهود أكثر ، وأكبر فعالية ، يقوم بها أهل البلاد الأفغانية ، وأهل اللسان أنفسهم ، ولظروف غير طبيعية في أفغانستان لم يتمكن أبناء البلاد ، وأهل الأدب الأصليين من أن يقوموا بتدوين وجمع هذا الأدب المنظوم ، والمنطوق الشفهى ، وكنتيجة طبيعية لذلك فقد ضاع واختفى ذلك الأدب الأفغانى المنظوم المنطوق باختفاء الشعراء والفنانين من على وجه الأرض الأفغانية . ذلك الأدب المنظوم الرائع ، وذلك الشعر المنطوق الجميل الذى كان منتشرا في القرى الجميلة الهادئة ، والمدن الكبيرة الصاخبة ، والوديان الرائعة ، والجبال الشاهقة ، مات بموت الشعراء من الفلاحين في الحقول الخضراء ، والرعاة في المراعى الجميلة ، وأصحاب المهن في أماكن مههم .

ومع ذلك الإهمال الفادح ، كان هناك نوع من الاهتمام يظهر لحين وآخر في بعض المدن ، والعواصم الإقليمية ، ومؤسساتها العلمية والثقافية بجمع وتدوين الأدب الأفغانى القديم ... منظومة ومنتشرة ، ومع هذا الاهتمام غير الكافى بالنسبة

(١) خان : السيد ، الشريف ، النبيل ، الغنى ، الثرى ، الإقطاعى . وكان الإنجليز في الهند يمنحونه كلقب حكومى لبعض أعوانهم في القبائل الأفغانية .

للأدب الأفغاني فقد أهمل الأدب الشفهي إهمالا كاملا ، لو استثنينا من ذلك بعض المستشرقين من الألمان ، والفرنسيين ، والإنجليز ، والسوفيت ، وغيرهم من أمثال شت^(١) ، وكليپورت^(٢) ، ودورن^(٣) ، وأدلنج^(٤) ، والفنستون^(٥) ، راورورتي^(٦) ، وهنري ييليو^(٧) ، وجيمس دار ميستتير^(٨) ، وأرنست ترومب^(٩) ، ودكتور هنري^(١٠) ، ولاسين^(١١) ، وبارتولد^(١٢) ، وبرتلس^(١٣) ، ولوريمر^(١٤) ، ودينون - يوناتي^(١٥) ، وجريسن^(١٦) ، وويست^(١٧) ، وغوستاف لوبون^(١٨) ، وجيجر^(١٩) ، وغيرهم كثيرون ، كل هؤلاء قد ساهموا في القيام على دراسات

- (١) شت : مستشرق ألماني من المهتمين بالدراسات الأفغانية .
- (٢) كليپورت = KLEPCRT : من المستشرقين المعنيين بالدراسات الشرقية والأدب الأفغاني خاصة .
- (٣) دورن = DORN : من المستشرقين المهتمين بالدراسات الأدبية الأفغانية البحتية .
- (٤) أدلنج = ADELUNG : مؤرخ من المستشرقين المعنيين بتاريخ أفغانستان الأدبي واللغوي .
- (٥) الفنستون = M.A. ELPHINSTONE : دائرة المعارف الإسلامية ١١/٤ مادة الأفغان وأفغانستان .
- (٦) راورورتي = H.G. RAUERTY : دائرة المعارف الإسلامية ٦/٤ ، ١١ ، ١٣ ، ٢٣ ، مادة الأفغان .
- (٧) هنري ييليو = HENRY WALTER BELEW : من المستشرقين الإنجليز المعنيين بالأدب الأفغانية راجع دائرة المعارف الإسلامية ١١/٤ ، ١٣ ، ٢٠ ، ٢٣ مادة الأفغان وأفغانستان .
- (٨) جيمس دار ميستتير = TAMES DAR MESTETER : من المستشرقين الفرنسيين المعنيين بالدراسات الأفغانية والإيرانية ، له مؤلفات قيّمة في الأدب والنحو البشتوني ، راجع غيب العقيلي : المستشرقون ٢٠٤/١ طبعة رابعة ، دائرة المعارف الإسلامية ١٣/٤ مادة الأفغان وأفغانستان .
- (٩) الدكتور أرنست ترومب = DR. ERNEST TRUMPP : دائرة المعارف الإسلامية ١٣/٤ .
- (١٠) الدكتور هنري = DR. V. HENRY : من المستشرقين الفرنسيين المعنيين بأفغانستان .
- (١١) الأستاذ لاسين = PROFF LASSEN : من المستشرقين المهتمين بتاريخ الشرق .
- (١٢) بارتولد = BARTHOLD, U.U. : مستشرق روسي من المعنيين بالدراسات الأفغانية ، راجع غيب العقيلي : المستشرقون ٧٩/٣ .
- (١٣) برتلس إي . إي . = BERTELS, E.E. : مستشرق من المهتمين بالتاريخ الأدبي الأفغاني .
- (١٤) الميجور لوريمر = J.L. LORIER : من المستشرقين الإنجليز المعنيين بالدراسات الأفغانية التاريخية والأدبية ، راجع دائرة المعارف الإسلامية ١٣/٤ ، مادة الأفغان وأفغانستان .
- (١٥) دينون = DEINON .
- (١٦) جريسن = G.A. GRIERSON : راجع دائرة المعارف الإسلامية ١٣/٤ ، ٢٥ ، مادة الأفغان .
- (١٧) ويست = W.WEST .
- (١٨) الدكتور غوستاف لوبون = G. LEBON : من المستشرقين الفرنسيين المعنيين بتاريخ الشرق راجع غيب العقيلي : المستشرقون ٢٠٢/١ ، والدكتور مصطفى السباعي : الإستشراق والمستشرقون ص ٦١ .
- (١٩) جيجر = W. GIEGER : راجع دائرة المعارف الإسلامية ١٣/٤ ، ٢٥ مادة الأفغان وأفغانستان .

وأبحاث قيمة بشأن هذه اللغة وآدابها وتاريخها ، ويأتى بعد ذلك فى الوقت الحاضر دور (المجمع اللغوى البختونى = بختوتولنه) فى (كابل) و (أكاديمية بختو) فى (پشاور) فقد قاما بتدوين وجمع وطبع ونشر بعض الصور من الفنون الأدبية الجميلة التى كانت منتشرة هنا وهناك ... فى الريف والقرى ، وفى الوديان ، وعلى ضفاف الأنهار ، وفوق قمم الجبال ، ولا زالت بقية الفنون الجميلة من الشعر ومن النثر ومن الطوابع الشعبية المختلفة منتشرة هنا وهناك أيضا . فقد قام هذان المجمعان العلميان الأديبان التاريخيان بجمع وتدوين بعض الآثار الأدبية المنظومة وغير المنظومة ، المنظومة والمكتوبة ، وقاما بطبعها ونشرها ، وبذلك قد استطاعا أن يقوموا بأداء جانب من المسئولية العلمية والأدبية التى ألقىت على عاتقهما فى هذا الشأن .

أنواع الشعر

يرى الأدباء الأفغان وغيرهم من رجال الأدب ، والفن أن الأدب ينقسم إلى أدب منظوم ، وأدب منثور ، والأدب المنظوم ينقسم إلى أنواع منها :

الشعر القصصى :

والشعر القصصى من الأدب الموضوعى وليس من الأدب الذاتى ، ويهدف إلى سرد واقعة ، أو حادثة ، أو حكاية مسلسلة من الأحداث ينطق الشاعر فيها بلسان الأبطال الذين يختارهم ، ويفصح عما فى نفوسهم ، والقصة فى هذا النوع من الشعر لابد أن تعتمد على براعة الخيال ، وحسن الملازمة بين المناظر المتعددة ، والتسلسل القصصى الدقيق ، والانتقال المحكم من حادث إلى آخر والقصة إذا صورت أبطال الحروب ، والمفاخر القومية للأمة ، وسجلت شجاعة الأبطال فى الحروب ومغامراتهم فيها سميت القصة حينئذ ملحمة . والملحمة تسجيل ألوان البطولات على لسان شاعر يعكس البطولات ، يدون الخوارق ، ويتغنى بالمفاخر القومية ، والعواطف الإنسانية للأمة بإحياء أجدادها القديمة وتضحياتها . فالملاحمة سرد أخبار ، ووصف مشاهد ، وبيان حوادث ، يتناولها الخيال دافعا أبطالها إلى فوق مستوى البشر . والملحمة عادة من بحر واحد .

والملاحمة نوعان ... طبيعية ، وصناعية.. والنوع الأول ينمو فى حياة الشعب ، ويظل ينمو مستندا على مفاخر أجداده ، وبطولاته متخذة من الأساطير ، والخيالات محورا لها إلى أن يتناولها شاعر قدير ، ويصوغها فى أسلوب ساحر .. ومن هذا النوع الإلياذة ؟ .

أما الملحمة الصناعية فهى مايشهها شاعر عبقرى فى أحد عصور الحضارة وهو الذى يخلق مادة الملحمة الصناعية ، ويجعل موضوعها مايمهم الأمة من الموضوعات القديمة لأن للقديم إجلالا وتأثيرا عظيما فى قلوب أفراد الأمة ويجعل

من أبطالها أشخاصا غير عاديين ، ومن هذا النوع (الشاهنامة) وهى محلمة درية (فارسية أفغانية) نظمها أبو القاسم محمد بن إسحاق الفردوسى فى عصر محمود الغزنوى الزابلى فى قلب أفغانستان فى (غزنة) عاصمة ملكه . والملاحم الطويلة قليلة فى الأدب (البهختونى = البهشتونى) القديم .

الشعر التمثيلى :

الشعر التمثيلى أيضا من الشعر الموضوعى ، وهذا النوع من الشعر يعتمد كذلك على حوادث القصة وأبطالها ، وعماده الأساسى الحوار والمجادبة بين أشخاص مختلفين ، ومن الضرورى أن تصحبه مناظر حقيقية يراها الناظرون ، وتأثيره فى النفس يتحقق عن طريق السمع والبصر ، لأن السمع يطرقة ويطره الأسلوب الخلاب ، والتصوير الساحر ، ولأن البصر يشاهد المناظر الجميلة البارعة ، وكل هذا يجعل القطعة المنظومة أقوى تأثيرا فى المشاعر ، والأحاسيس العاطفية ، ولا يمكن حصول ذلك بمجرد مطالعة ذلك فى الكتاب المكتوب ، وهذا اللون من الشعر التمثيلى قليل فى الشعر الأفغانى القديم كقصة الملاحم الطويلة فيه ، وما يوجد فيه من الملاحم لا تصل فى الطول والشهرة إلى الملاحم العالمية الأخرى كالشاهنامة فى الجناح الثانى من الأدب الأفغانى مثلا ، وذلك للأسباب التى سنبينها فيما بعد . وإن كانت حركة التطور الطبيعى ، وحركة الترجمة قد خلقتا لنا أدبا تمثيلىا يتمثل فى الآداب الحديثة ، والعصرية فى البلاد الأفغانية . فاللون الملحمى والتمثيلى لا يبلغان مبلغ الشعر الغنائى فى الأدب الأفغانى .

الشعر الغنائى :

ما هو الشعر الغنائى الأفغانى ؟ إن الشعر الغنائى الأفغانى هو الذى يصف به الشاعر خواطر نفسه ... ففى حالات الحب والبغض ، والفرح والحزن والرضا والغضب يفيض قلب الشاعر الأفغانى كأى شاعر بما يجد ، وينطق لسانه بما يشعر ويسبح خياله فى أجواء ، ويسكب آلامه ، وعواطفه ، وأحاسيسه فى أسلوب ساحر يوقظ المشاعر ، ويحرك الإحساس . فالشعر الغنائى أدب ذاتى يغلب عليه الصلاحية للغناء ، يصف الإحساس ويصور الوجدان ، وإن لم يكن فى بعض صورته تلك الصلاحية الغنائية ، وقد توجد فى الشعر الغنائى الأفغانى القصة ، ولكنها ليست من القوة بحيث يمكن أن يسمى بها .

مكانة الشعر الأفغاني البختوني بين هذه الأنواع :

نحن نقرأ الشعر الأفغاني (البختوني = البشتوني) من لدن عصوره القديمة ونستعرض قصائده ، وندرس روائعه فنجد في جميع خواطره وجميع أطواره القديمة اللون الغنائي ، والسمة الغنائية ، والصلاحية الغنائية فالشعر الأفغاني (البختوني = البشتوني) في كل أطواره تسجيل صادق لخلجات الأنفس ، ونوازعها ، وتصوير لإحساس الشاعر من نعيم ، وشقاء ، وراحة وعناء وخير وشر ، وما يمر أمام عينيه من الصور والأحداث ، وما يكابده من هول الجبال وعصف الرياح ، ولمع البروق وخيرير المياه في الوديان ، وسرعة الأمطار وشدة الثلوج .

فالشعر الأفغاني (البختوني = البشتوني) شعر ذاتي وجداني ، تبعته الانفعالات النفسية ، والأحاسيس الذاتية ، ومن هنا برع الشاعر الأفغاني كل البراعة في كل مايقع عليه حسه ، أو يتصل بسمعه ، أو يراه بصره ، فأجاد وصف الجبال الشاهقة والوديان الرائعة ، والأنهار الجارية ، والمرأة الجميلة والمعارك الحربية وخلد بطولة أبطالها في قصائد باقية خالدة .

وإن القارئ الكريم ليطالع قول الشاعر الأفغاني العظيم الأمير (كرور جهان بهلوان) الذي خاض المعارك الحامية الشديدة لمناصرة الزعيم أبي مسلم الخراساني في الحركة التي قام بها لتأسيس الخلافة العباسية وقد قال هذه القصيدة الحماسية في الفخر بعد انتصاراته في تلك الحروب وهذه ترجمة تلك القصيدة الفخرية :

إنني أسد في هذا العالم	لا يوجد بطل أكثر بطولة مني
لا في الهند ولا في السند	ولا في تخار ولا في كابل
كذلك لا يوجد في زابل	بطل أكثر بطولة مني

* * *

إن سهام عزيمتي	تنقض على الأعداء كالبرق الخافض
إنني أقتحم المعارك	وأهاجم في الحروب وأتعقب الفارين
وأتعقب المنهزمين	لا يوجد بطل أكثر بطولة مني

* * *

إن هالة بريق سيفي قد أحاطت بهرات وجروم
وإن غرج وباميان وتغار تتعوذ باسمي دواء للآلام
أنا معروف ومشهور في الروم لا يوجد بطل أكثر بطولة مني

* * *

إن سهامى تمطر على مرو وإن العدو يخافنى ويهابنى
أذهب على ضفاف هريرود فيفر منى جيش المشاة
ترتعد (فرائص) الشجعان منى لا يوجد بطل أكثر بطولة منى

* * *

قمت بفتح زرنج باحمرار وجه السيف
وبالسيادة رفعت من شأن أسرة السور (الغور)
ورفعت مقام بنى أعمامى لا يوجد بطل أكثر بطولة منى

* * *

أعطف على أبناء شعبى وأعمل لإسعادهم وخيرهم
أقوم باطمئنان بتربيتهم ورعايتهم وتوجيههم
وأهتم دائما بشئون نموهم لا يوجد بطل أكثر بطولة منى

* * *

إن كلمتى تسرى على الجبال الشاخات دون بطاء وتوقف
إن العالم لى ، والخطباء يذكرون اسمى فوق المنابر
أيما ، وليالى ، وشهورا ، وسنين لا يوجد بطل أكثر بطولة منى

* * *

فاذا بحثنا عن ألوان الملاحم والتمثيل عند الأفغان الناطقين باللغة الأفغانية
الپيختونية = الپيشتونية (لوجدنا أن هذا اللون من الأدب قليل في أشعارهم ، فليس لهم
الشاهنامه) على كثرة أيامهم وحروبهم ، ووقائعهم الدامية ، وقد كانت الحروب التى

خاضها الأفغان الأقدمون ضد أعدائهم قديما وحديثا كثيرة كأيام الآريين الأسطورية ، وحروب القبائل الآرية العشرة في أرغنداو ، والمعارك التي جرت ضد الإسكندر في آريانا ، وانتصارات زعماء الدول الباخترية والكوشانية والهبطلية في كل من الأقاليم الهندية والصينية والبارتية والساسانية ، والأساطير الخرافية بين رستم وسهراب في كابليستان وزابليستان وسيستان في العصور الأسطورية والتاريخية القديمة . وكالحروب التي حدثت في العصور الإسلامية ... كفتوحات المسلمين في صدر الإسلام في أفغانستان ، وفتوحات الأسر الأفغانية الحاكمة في الهند وغيرها كالغزنويين والغوريين واللوديين والسوريين الغوريين والغلجيين وغيرهم ، وكانت انتصارات الأفغانيين في العصور الحديثة ضد الصفويين ، وانتصارات الإمبراطور أحمد شاه بابا الدراني الشهيرة ، هذه الأيام والحروب والانتصارات والمعارك التي جرت بين هؤلاء وهؤلاء في العصور القديمة والحديثة والتي انتصر الجانب الأفغاني في أكثرها ، هذه الحوادث الضخمة كانت مادة خصبة غنية ثرية للشعراء الأفغانيين الناطقين باللغة الأفغانية البختونية البشتونية لو أنهم اتجهوا إلى الملاحم والتمثيل ، أو كانت لديهم القدرة الكافية على ذلك ، كما فعل ذلك شعراء الجلاح الثاني للأدب الأفغاني باللغة الدرية (الفارسية الأفغانية) لغة الملاحم الشعرية والأدب الملحمي العظيم .. فقد تنازل الجلاح الأول من الأدب الأفغاني عن هذا اللون من هذا اللون من الأدب الملحمي للجلاح الثاني طوعا أو كرها واتجه هو بمهارته الأدبية إلى اللون الغنائي .

ولعل السر في ذلك أى في قلة اللونين من الشعر القصصى والتمثيل في الشعر الأفغاني (البختوني = البشتوني) في العصور القديمة هو أن كلا منهما يحتاج إلى استقرار الحياة حتى يتسنى للشاعر أن يجعل فكره في ترتيب الأحداث واستنطاق الأشخاص ، وتحليل الطبائع ، واتجاه الغرائز ، وذلك كله من أبعد الأشياء عن طبيعة الأفغاني الذي لم تؤهله حياته الحربية ، وطبيعته النضالية لبحث أو درس ، ولم تدعه إلى أعمال ذهن ، واكتشاف مقدمات ، وترتيب نتائج ، وإنما كان يعتمد على اللمحة الخاطفة ، والخاطرة العابرة التي يصادفها الإحساس لأول وهلة ، شأنه في ذلك شأن الشاعر العربي أثناء الفتوحات الإسلامية في صدر الإسلام في أفغانستان ، ومن هنا كان ينطق دائما بالقول الموجز ، والعبارة المختصرة ، والحكمة البالغة .

على أن الشعراء الأفغان لم يفهم أن يتخيلوا في شعرهم أقاصيص وحكايات نبض بها شعرهم ، والذي يقرأ دواوين الشعراء الأفغان يجد من ذلك ألوانا طريفة جميلة رائعة ، وهم كذلك قد قاموا بتسجيل وقائعهم في الحروب ، وخلدوا مواقفهم في القتال ، وإن اختلف نهجهم ، وغايرت طريقتهم طرائق شعراء القصص والملاحم في الأدب الدرى الجناح الثانى الآخر للأدب الأفغانى .

أعتقد أنه لا مجال لزعم بوجود ملاحم كثيرة وطويلة للأفغان (البختونيين = البشتونيين) على منوال (الشاهنامه) في الفرع الثانى من فروع الأدب الأفغانى المتعددة ، أو ملاحم الأفرنج ، و لكن للأفغان (البختونيين = البشتونيين) نوعا آخر من الشعر القصصى الذى يندر وجوده في اللغات الأخرى وأداها ، وذلك كالملاحم القصيرة التى قيلت في حوادث مخصوصة فجميع الشعراء الأفغان (البختونيين = البشتونيين) قد سلكوا هذا المسلك في الملاحم ، والقصص ، وأجادوا فيه كل الإجادة . ولو تصفحت الكتب الأدبية (البختونية = البشتونية) ودواوين الشعر لرأيتها مليئة بهذه المنظومات . ولكنها على كل حال قصص قصيرة لا تتجاوز المقطوعات .

فنون الشعر البختونى البشتونى الأفغانى :

عرفنا فيما مضى أن الشعر الأفغانى (البختونى = البشتونى) كان مبعثه الاستجابة لأحاسيس النفوس الشاعرة من حب وبغض ، والتعبير عن رغباتها من إذاعة المكارم ، والحمد ، والأجناد ، وتمجيد أبطال الحروب الوطنية والإسلامية ، وتصور العواطف الجياشة ، ومن هنا تنوعت أغراضه وتشعبت فنونه ، وتناول في ثناياه ، وبين أطرافه الغزل ، والمدح ، والفخر والهجاء ، والرثاء ، والوصف ، والحماسة ، والإعتذار وغيرها من الفنون والأغراض الشعرية ، ولكل من هذه الفنون الشعرية مذهب وفن ، ولغته التى تناسبه ، وتؤديه ، وأسلوبه الذى هو ألصق به ، فالغزل يحتاج إلى رقة اللفظ وعذوبته ، والفخر يستدعى قوة الأسلوب ، وقوة المعنى ، وهكذا ومن هنا قد يجيد الشاعر فنا من هذه الفنون ، ويقصر في الآخر .

والناظر فيما تقدمه إليه من آثار الأفغان الأدبية ، وأشعارهم يجد أن الفنون

في الشعر الأفغاني كلها ظاهرة متحققة بأروع أسلوب ، وأجلى بيان . وهذه بعض الفنون الشعرية الأفغانية بإيجاز واختصار :

الحماسة والفخر :

الحماسة في الشعر الأفغاني هو التغني بالشجاعة ، والقوة ، وذم الجبن والفرار ، وقد أكثر الشعراء في أفغانستان قديما وحديثا من تناول هذه المعاني المحبوبة لأن الشجاعة والإقدام ، وإيثار الموت من الصفات الطبيعية في أعماق نفوسهم ، إذ التنافس بين القبائل الأفغانية وحروبها التي لاتنقطع تستدعي ذلك أشد الاستدعاء . إن الحرب في بعض الأحيان ، وفي بعض القبائل الأفغانية تكاد تستأثر بكل تفكير الأفغان ، ولذلك لعبت دورا هاما في أشعارهم ، ولأجل ذلك كثر التعبير فيها عن ضروب الشجاعة المختلفة ، وكان الأفغان ، ولا يزالون يلهون بحمة الشجاعة في أبيات من الشعر قبل بدء القتال ، وفي أثناء المعركة المحتدمة ، والأدب الشعبي الأفغاني يقدم لنا حشدا عظيما من أمثال هذه المقطوعات الشعرية التي كانت تقال في استفتاح القتال ، أو أثناء لتحريض المقاتلين وتشجيع الأبطال ومن هنا رأينا هذا اللون من الشعر الشعبي يحتل المكان الأول في الأشعار . وقد مر ذكر قصيدة الأمير (كرور جهان بهلوان) في الحماسة .

والفخر تمدح بكرم الخصال والخلال ، ومباهاة الشاعر بنفسه ، أو بقبيلته ، أو أمته ، وهو أيضا من صفات الأفغان ، ومن موضوعات شعرهم ، وإن كان أقل انتشارا من الحماسة ، ومع هذا فإنهم لا يبالغون في الفخر والتمدح ، ولا يسرفون في ذلك . ونلاحظ أنه الشعراء الأفغان يستمدون مفاخرهم من المظاهر الصادقة دون المغالاة ، أو المبالغة ، ونلاحظ كذلك أن مفاخرهم مستمدة من الأخلاق الإسلامية في القبائل الأفغانية التي ينتمون إليها ، ولا يفاخرون بمظاهرهم الشخصية الخاصة . مثال ذلك القصيدة الرجزية التي أنشدتها الشيخ (ملكيار غرشين) أثناء إحدى الغزوات والمعارك الإسلامية التي قام بها السلطان الأفغاني شهاب الدين محمد الغوري في الهند ، لإثارة حماس جند الغور الأفغان في القتال الذي نشب بين المسلمين الأفغان والهندوس^(١) :

(١) يوهاند عبد الحى حبيبي : بخانه شعراء ٥٤/١ ، طبعة كابل سنة ١٣٢٠ هـ ش وسيد بهادر شاه : بخانه د تاريخ به رناكي ٣٨٩ ، طبعة پشاور .

إن الله معنا^(١) ليُلهِمنا النصر وقد آن الأوان كي نخوض حرباً ضارية في بلاد غريبة نائية فتنهوا. يامعشر الجهاد والقداء

إن الله معنا ليُلهِمنا النصر

سنوا السيوف لتكون نافذة قاطعة اقطعوا بها أعداءنا إربا إربا اجعلوا أكفكم محمرة بدمائهم لماذا الفرار ؟ لماذا الهروب ؟

إن الله معنا ليُلهِمنا النصر

لو ثبنا قلوبنا^(٢) وقويت العزيمة فإننا منتصرون ، والنصر العزيز حليفنا نحن أسود في الوغى والحروب ودين الإسلام معنا وهو مصدر إلهامنا

إن الله معنا ليُلهِمنا النصر

هلموا يامعشر الأبطال في الجهاد التفوا كلكم من كل الأطراف والجهات إحموا الشهاب وأسندوا ظهره اقتلوا الأعداء واقطعوه إربا

إن الله معنا ليُلهِمنا النصر

المستدح :

هو الشاء على إنسان لفضائله الكريمة ، وخضالته العظيمة ، وخلال له الحميدة ، ويلاحظ أن الشاعر الأفغاني قديماً وحديثاً لا يطرق هذا اللون من الفنون الشعرية وهو يتغنى من ورائه مغنا ، وإنما كان يمدح كإحساس منه بالفضيلة ، وعلى أساس من الشعور الداخلي العميق ، ويلاحظ أنه لا يوجد في زمرة الشعراء الأفغان الناطقين باللغة البيختونية عبداً للشعر ، لم يتخذ الشعراء الأفغان الشعر وسيلة للارتزاق ، وقد عاد ذلك على الشعر بالجودة الحقيقية ، والسمو الأصيل في المعنى واللفظ ، وبالإضافة إلى ذلك فإن هؤلاء الشعراء ينجحون في مدحهم إلى جانب الحق ، ويستوحون الفضائل الحقيقية متأثرين في ذلك ببيتهم التي لم تلوث بالأكاذيب والنفاق والمدح الكاذب . قال الشاعر والأديب الأفغاني (تايماني = TAIMANI) يمدح السلطان غياث الدين الغوري :

يلهج لساني اليوم بمدح السلطان والثناء عليه
لشرفه ونبله وجهاده ، ولشموه ملطانه العالم

(١) المعنى مأخوذ من قوله تعالى في سورة التوبة : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ الآية ٤٠ .
(٢) المعنى مأخوذ من قوله تعالى في سورة الأنفال : ﴿ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ الآية ١١ ، ومن قوله تعالى في سورة الأنفال أيضاً : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا ﴾ الآية ٤٥ .

إن ضياء (فيروز كوه) ونور الغور من ضيائه ونوره
 وبريقا من نوره اللامع حين يتلأأ يبدد الظلام
 حيناً يقوم يسحب السيف من غمده للمبارزة
 لا يستجرى العدو أن يبارزه بسيفه في النزال
 إن أسد الغور غياث الدين رفيع الشأن على الهمم
 فقد أضاء الإسلام بحد سيفه فأشرق ساطعا

* * *

لقد شاهدت أرض داور حديقة جميلة خضراء
 كالجنة ، طيبة ناضرة بالبهجة ، تغمرها السعادة
 معمورة تضج بالسكان السعداء كمدينة (فيروز كوه)
 ما أجمل أزاهيرها الباسمة ، وما أجمل غضارتها
 هنا شلالات تحدث أصواتا عذبة كالنغم المطرب
 وهناك تجري المياه مسرعة فتحدث أناشيد الأنغام
 كل من يشاهدها يقف عندها مندهشا لروعها وجمالها
 متمتعاً بتلك المناظر الساحرة التي أحدثها صاحبها
 إن غياث الدين ضياء العالم وشمس الساطعة
 إن العالم كله يستمد الضوء من نوره بسعادة غامرة
 هو الذي نور الهند مشرقة ومستنيرة بنور الإسلام
 وبذلك جعل خير الأنام قسروا وراضيا عن نفسه
 كلما وضع السرج على صهو جواده في بلاد الغور
 كلما أنزل الويل والعذاب والملاك على أهل الشرك
 وليكن النصر حليف هذا المجاهد في الحروب دائما
 إنما أنا (تايمنى) أقوم بمدح السلطان والثناء عليه^(١)

* * *

الرثاء :

الرثاء بكاء على الميت ، وإظهار الحزن والألم لفراقه ، والإشادة بمناقبه الحميلة ،

(١) پوهاند عبد الحى حبيبي : بشتانه شعراء ٥٨/١ ، طبعة كابل سنة ١٣٢٠ هـ ش ، وسيد بهادر شاه :
 پختانه د تاريخ په رنایى ٣٨٥ ، طبعة پشاور .

وشمائله الجميلة . ومن عادة الشعراء الأفغان أنهم يكون في الميت الفقيد من أهم صفاته الحميدة وبدون مبالغة أو مغالاة ، وهى الشجاعة والنجدة ، والكرم ، والوفاء ، وقد شاركت فيه النساء الشاعرات وبرزن فيه ، وذلك لركة قلوبهن ، وحسن تصرفهن في هذا النوع من الأدب ، ومن أمثلة الرثاء في العصر الغورى والغزنوى أن قام السلطان الزابلى محمود الغزنوى بدس السم للسلطان محمد الغورى بعد أن أسره نتيجة للصالح الذى تم بينهما إثر معركة حامية دارت بين الجيشين الشقيقين الغزنوى والغورى ، وقد مات لسلطان محمد الغورى في الطريق إلى غزنة أسيرا فرثاه شاعر البلاط الغورى الشيخ أسعد السورى بقصيدة هذه ترجمة بعض أبياتها :

كيف ولمن أشكو حوادث الدهر
الذى يذبل كل زهرة تبتسم في الربيع
فكلما تفتحت زهرة وابتسمت في الصحراء
أت عليها يد الدهر فأسقطتها ونثرت أوراقها

ثم يقول :

يسقط الدهر تاج الملك من رأس الملك فهلكه
ويهدد دماء البؤساء والمساكين ذلك السفاك
ذلك الذى ترتعد الأسود في الغابات من هيئته
ويخاف بأسه كل ظلم وجباز عات

حتى يقول :

أيها الفلك (الدهر) لماذا تقوم بهذا التعدى
فلا توجد أية زهرة من غير شوك بسببك
ألا ترحم مآثم التعساء ياقاسى القلب
لماذا تمطر طوفانا من الهموم على المنكوبين

حتى يقول :

نزل الألم والآسى على الغورين من السماء
حين رحل الملك محمد إلى الدار الأخرى

إنه وقع أولا أسيرا في أيدي الأعداء
ثم انتقل منهم ثانيا إلى مشواه الأخير

حتى يقول :

أنظر فإن هذه الجبال تذرف دموعا رقيقة
وإن هذه الشلالات تنن وتنوح من صرخات
ليست في الجبال والصحراء تلك النضارة
ولا تغرد الحجال ولا ترفع أصواتها ضاحكة

حتى يقول :

ذلك كله لأن محمدا قد رحل من الدنيا
وبموته أصبحت الغور كلها في مأتم
لا يبدو ذلك السرور والفرح في أنحاء السور
ولا تشرق تلك الشمس على هذه الديار

حتى يقول :

شلت يدك أيها الدهر (القللك) لأنك
جعلت أسدا كمحمد هدفا (صيدا) للموت
آيتها السماء ذات القلب الأسود لماذا أنت قائمة
يا جبال الغور لماذا لم تصبحن هباء منثورا

وفي نهاية المراثية يقول :

طوبى لك يا محمد وقد كنت شمسا للغور
لن يكون في الدنيا مثل عدلك وإنصافك
كنت غيورا وطالما وقفت دفاعا عن الحمى
وقدمت حياتك فداء للشرف والناموس
إذا كان الغوريون يلطمون وجوههم حزنا
فإنهم أيضا سوف يفخرون بك وبأسرتك

فلتكن الجنة مأواك ومثواك يامليكننا
ونزلت عليك رحمة الغفار الواسعة^(١) مدرارا

الغزل :

والغزل أيضا من موضوعات الشعراء الأفغان ، وخاصة الشعبين منهم ، كما هو من أهم موضوعات الشعر العربى ، وهو ما يتصل من الشعر بالمرأة وحسبها وجالها ، ويذكر تأثيرها فى النفس بالقرب والوصال ، وبالبعد والفراق ، وما يتعلق من الشعر بدلال المرأة الحسناء وازورارها .

والمرأة الأفغانية ذات تأثير ساحر على عقل الرجل الأفغانى ، وخاصة فى الحروب ، وميادين القتال ، ولأجلها يقتحم الصعاب ، ويركب الأهوال لذلك يتغزل الشعراء الأفغان بالمرأة الأفغانية ، ويرددون ذكرها ، وتأثير فتنتها فى الإعداد للحروب ، وفى غيرها من المناسبات ، ويتغزل الشاعر الأفغانى عادة بعيون المرأة ، وشفيتها ، وأسنانها ، وخديها ، وثديها ، وشعرها ، وأنفها ، وغيرها من محاسن جمال المرأة التى تظهر عادة من أماكن حسنها للرجل ، ولم يبالغ أبدا فى تكشيف المرأة ، والنفاذ إلى أدق المواطن منها . فالطبائع الأفغانية ، والصفات الحميدة التى تملك نفس الأفغانى من العزة والمنعة والأنفة هى التى كانت تسيطر على الشاعر الأفغانى ، ولا يملك أن يتجاوزها أبدا والغزل الأفغانى مثله مثل الغزل العربى فى العصر العباسى من حيث التغزل بمحاسن المرأة والغلمان على السواء . ونوع آخر من الغزل الأفغانى يختلف عن الغزل العربى ، هو الغزل الروحى ، أو الغزل العذرى الذى يغنى الشاعر أو المتغزل فيمن يحبه ، ويضحى من أجل من يحبه ويهواه . والأمثلة لهذا النوع من الشعر الغزلى كثيرة جدا ، ولا يخلو من ديوان من الدواوين الأفغانية الشعرية قديما وحديثا .

الوصف :

وصف الشعراء كل ما وقعت عليه أنظارهم من أرض وسماء وشجر وجبال

(١) محمد هوتك بن داود : پته خزانه ٤٠ طبعة ثانية سنة ١٣٣٩ هـ ش وسيد بهادر شاه : پختانه د تاريخ په رناكى ٣٧٧ - ٣٧٨ طبعة پشاور .

وحیوان ، وودیان ، وأمطار وثلوج ، وبرق وسحاب ، وحروب ، ومعارك وكل
مايربهم من ظواهر الطبيعة ، وأحداث الحياة ، وبالاختصار وصف الشعراء
الأفغان تصوير حسی للبيئة الطبيعية ، والبشرية .

وهذه قطعة رائعة في وصف مظاهر الجمال الإلهی في عالم الطبيعة للشاعر
الأفغانی شاعر الجمال والحب (متمی بن عباس غوريا خیل) صاحب كتاب
(دخداى مينه = الحب الإلهی) :

على قمم الجبال الشاخنة وأيضاً في السهول وفي السحر العظيم وفي منتصف الليل
في أنغام الأناشيد وفي أنغام التغريد أو في أناغم نای المتألمين المنكوبين
كل هذه الأنغام تناديك وتحمدك وهي كلها مظاهر من مظاهر عشقك

* * *

إذا كانت الزهرة متفتحة في الصحراء وإذا كانت مبتسمة للحديقة
إذا كان نهر (ترنك) معكراً وباكياً كل هذه آثار حبك وعشقك
كل هذه المظاهر كسبت الحسن من محاسن جمال يدك ياملك الملوك ويأمرق المراقبين

* * *

هذه الجبال العالية العظيمة تخضر تسرى فيها نسائم الحياة
وتطوف الفراشات في كل صوب تختار العيون في رؤيتها
أيها المالك العظيم كل شيء أنت تجعل الدنيا دائماً جميلة

* * *

يا الله ! إن جمالك جميل وكاله واضح في كل ناحية
سواء كان الليل والنهار ، أم السنة والقرن كل هذا مثل صغير لقدرتك
لمعة من سنا أظافك كل هذا معرض واضح لمظاهر الجلال

* * *

قلبي مستقر لحبك وحسده . وقد احترق بنار عشقك الملتته
خفقانه منك ولأجلك ومن غيره لا شيء ولا قيمة له
مبتهج سعيد من رؤية جمالك لولاه فإنه بالضرورة هالك

* * *

في الجبال أنغام عشقك الإلهي وهذه الدنيا عامرة بالحب الإلهي
الكبير والصغير، والضخم والضعيل على الـ سواء كل شيء يقصد جمالك ويسعى إليه
منذ اليوم الذي فتحت فيه عيني على العالم وهي مشغولة بمشاهدة جمالك ورؤيته

* * *

لم تكن السماء والأرض بل كانت ظلمة مطلقـة كان الظلام عاما ، وكل شيء عدما
لم يكن هناك إبليس ولا آدم لم يكن هناك سوى جمال جلالك النقي
الذي ظهر فجعل العالم جميلا وبسط تجليه ضياءه على الخليفة

* * *

عندما جئت إلى هذه الدنيا فتننت بمشاهدة الوجه الجميل ورؤيته
وقعت في حب جمالك وأصبحت بعيدا عن أصلي
فإني أبكي بكاء مرا وأتأوه للفرق إنني مسافر ، وموطنى مكان آخر

* * *

أيها الناس لماذا يبكي (متى) يسمع نحيبه وصراخه من أفق إلى أفق
ماذا يطلب ، وماذا يقول ، ماذا يرجو ؟ يريد موطنه ، وداره ، وقربته
إذا بعد البلبل عن الحديقة يتحسر ويبكى من أجل الحديقة (١) دائما

* * *

المواعظ والأخلاق :

وهي أيضا كثيرة في الشعر الأفغانى ، وتمثل الخلال الطيبة ، كالشجاعة والكرم ،

والدفاع عن الحق ، واحتمال الصعاب والمشقة ، والأخلاق الحميدة ، والمواظب الدينية ، وفي هذا يقول الشيخ إسماعيل السرنبي :

أهرب من إبليس	لأنه عندما يظهر في مكان
يختفي النور هناك	وتصبح الدنيا كلها في ظلام دامس
إن الإنسان يتحطم بسبب إبليس	ويقطع بالسكينة الحادة
إن باع الإنسان إبليس	أصبح لائقاً وجديراً للمشاهدة
وإن غلب عليه إبليس	نزلت على داره نكرة ^(١) الألم

* * *

الحكم والأمثال :

الضيف يجلب رزقه معه .

موت صاحب البيت خير له من أن يخرج الضيف منه جائعاً .

الضيف ينظر إلى زميله بعين الكراهية ، وصاحب الدار ينظر إليهما بعين الرضا .
إذا سألت جائعاً : ما مجموع اثنين اثنين ؟ فسوف يجيبك : أربعة أرغفة .

تقال هذه الأمثال والحكم في إكرام الضيف .

المناجاة :

وفي المناجاة يقول الشيخ (بيتنى) :

أيها الرب العظيم أيها الرب العظيم	على حبك وعشقك في كل مكان
يقف الجبل في شموخ ووقار	ويقف الجميع في خشوع وتضرع
هنا توجد سفوح الجبال	خيامنا منتشرة في هذه السفوح
فبارك في هؤلاء الناس وزدهم	أيها الرب العظيم أيها الرب العظيم

* * *

(١) عبد الحى حبيبي - يشتر ادبياتو تاريخ ١١٠/٢ طعة ثانية سنة ١٣٤٢هـ ش .

نيراننا مشتعلة ههنا قليلا وهنا بيتنا الصغير ومقامنا المتواضع
نحن نعيش في محبتك ولانسير وراء غيرك ولستا مع غيرك
السما والأرض مقبوضتان لك ونمو الأبطال منك
وهذه التربة والتعليم منك أيها الرب العظيم ، أيها الرب العظيم^(١)

* * *

هذه القطعة الشعرية التي قالها الجد الأجد الشيخ (بيتنى) تمثل لنا أقدم فكرة أدبية دينية آرية ، تلك التي جاءت في كتاب (ريكويدا = RIG-VIDA) والفكرة ببساطة هي تقديس الأسرة العائلية في القبائل الآرية كما يقول المستشرق الفرنسي (غوستاف لوبون) وهذه الفكرة المقدسة هي أساس هذه القطعة الشعرية . هذه من ناحية ، ومن الناحية الأخرى فإنها قد تركت تأثيرها العميق في الأدب الأفغاني (البيختوني = البشتوني) وخاصة في الأدب الشعبي .

الحب والغرام :

وفي الحب والغرام قال الشاعر الأفغاني قطب الدين أحمد الشهير ببختيار وهو من أولياء الله المعروفين المشهورين ، وكان يعيش في مدينة (دلهي) أيام الغوريين في الهند ، قال قصيدة رائعة ، وهذه ترجمة أبيات منها :

مزقت الآلام والهموم فؤادي فانظري إليّ ياملاكى
لهجرانك ياملاكى أرفع من قلبي الجريح الصراخ
انظري إليّ ياملاكى
انظري إليّ ياملاكى
نيران الفراق مشتعلة تحرق قلبي وتمزقه كل لحظة
إننى متيم بالحب أحترق باللهب كالخطب
انظري إليّ ياملاكى
انظري إليّ ياملاكى

(١) بشتانه شعراء - عبد الحى حبيبي ٤٩/١ طبعة كابل سنة ١٣٢٠ هـ ش .

نثرت شعرك على جبينك فاشتعلت النار في قلبي
أصبحت أنا بختيار ترابا ورمادا واحترق قلبي بالنار
انظري إليّ يا ملاكي
انظري إليّ يا ملاكي

الترجمة :

ولأبي محمد هاشم بن زيد السرواني البستي (٢٢٣ - ٢٩٧ هـ)
صاحب كتاب (د سالو وجهه = نسيم الصحراء) قصيدة شعرية ترجم فيها تلك
المعاني التي تناولتها قصيدة لأستاذه أبي العناء محمد بن القاسم الشهير بابن الخلد
(١٩١ - ٢٨٣ هـ) وهذا العمل الأدبي الذي قام به (السرواني) يعتبر أول
محاولة لترجمة العلوم البلاغية العربية ، وأصوبها إلى اللغة الأفغانية (البختونية =
البشتونية) لأن كتابه (نسيم الصحراء) في بيان بلاغة الشعر العربي^(١) ، وهذا
مطلع القصيدة بالبشتونية :

جبه هم شبه ويناكاندى جه يى وينه د خاوند يه لاس كى زر أو درهونه
وهذا مطلع القصيدة بالعربية^(٢) :

من كان يملك درهمين تعلمت	شفتاه أنواع الكلام فقلا
وتقدم الفصحاء فاستمعوا له	ورأيت بين الورى مختالا
لولا دراهمه التى فى كيسه	لرأيت شر البرية حالا

(١) عبد الحى حبيبي - دپشتو أدبياتو تاريخ ٩٢/٢ طبعة ثانية كابل .
(٢) أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله : معجم الأدباء ١٨ / ٢٨٦ - ٣٠٦ طبعة القاهرة ، دار المأمون . وص
٥١٢ ، ٥١٣ من هذا الكتاب .

اللغة الدرية الأفغانية وآدابها

أفغانستان مهد الحضارات والآداب واللغات ، ومن أشهر لغاتها وأكثرها انتشاراً في إطار الأراضي الأفغانية المعروفة ، هي اللغة (البشتونية = البختونية) الأفغانية ، وقد مر ذكرها وذكر آدابها آنفاً ، وتليها اللغة الدرية التي تشتهر في الأوساط العلمية العربية باسم اللغة الفارسية القديمة ، ويطلق عليها البعض - خطأً - اللغة الإيرانية ، ومن المعروف الثابت تاريخياً بأن جميع اللغات واللهجات الأفغانية القديمة منها والحديثة ترجع أصولها إلى اللغة الآرية الأم لغة أجداد الأفغان الأريين الذين كانوا يتكلمون بها في العصور القديمة قبل الميلاد ، ومنها اشتقت ثلاثة أصول من اللغات الأفغانية :

اللغة السنسكريتية التي انتشرت في البلاد الهندية والمناطق الشرقية من أفغانستان القديمة .

اللغة الزندية التي انتشرت في البلاد الأفغانية والفارسية القديمة .

اللغة البشتونية التي استمرت في الحياة داخل الحدود الأفغانية الضيقة .

وبصفة عامة يمكن القول بأن المنطقة الواقعة بين النهرين المشهورين (اكسوس = جيحون) و (أندوس = أباسين = السند) كانت منبت اللغات الآرية القديمة وما اشتق منها من اللغات واللهجات الآرية الأخرى في المنطقة وخارجها ، فاللغة التي نتحدث عنها في هذا البحث نشأت في البلاد الأفغانية وفيها عاشت من أقدم العصور ، وفيها تعيش حتى الآن نقية نقاوة أهلها من التأثيرات الخارجية ، وهي نتيجة طبيعية لتطور اللغات الآرية في أفغانستان .

طلائع الشعر الدرّي الأفغاني :

من الصعب تعيين أول شاعر قال الشعر بالدرية في وطن مثل أفغانستان موطن الشعر والفن ، والأدب ، والموسيقى ، على أن الآثار والأخبار في الكتب القديمة تتحدث عن عباس المروزي الشاعر الدرّي الذي قال قصيدة مدح أنشأها حينما قدم المأمون (مرو)

عام ١٩٣ هـ = ٨٠٨ م ويبدو أن شاعرنا هذا (عباسا) كان يجيد اللغة العربية ، وكان من سادات (مرو) .

ومن أشهر شعراء بنى طاهر في أفغانستان حنظلة البادغيسي الذى كان يعيش في أيام عبدالله بن طاهر ، ومن شعراء الصنفارين (فيروز مشرق) و (أبوسليك الجرجاني) و (محمد وصيف السيستاني) وكان يشغل عمل كاتب الرسائل عند يعقوب بن الليث ، ومن الشعراء المشهورين في العصر الساماني في أفغانستان أبو المؤيد البلخي من كتاب الشاهنامه ، وأبو الحسن شهيد البلخي ، ومحمد الدقيقي البلخي ، وأبومنصور المروزي والرودي السمرقندي ، والكسائي المروزي .

النثر الدرى الأفغاني .

وبالإضافة إلى تقدم الشعر وفنونه في العصر (الطاهري - الصفاري - الساماني) فإن النثر الدرى قد ارتقى وتقدم أيضا واضطلع العلماء بالتأليف ، وقد قام أبو على محمد البلعمي بترجمة تاريخ الطبرى . في حدود سنة ٣٥٢ هـ = ٩٦٣ م كما تمت ترجمة تفسير الطبرى ، واشترك في نقله عدد من العلماء ، ثم ترجم كتاب آخر يعرف باسم (الأبنية عن حقائق الأدوية) تصنيف أبى منصور الموفق الهروى الذى ألفه خلال عام ٣٦٢ هـ = ٩٧٢ م .

ويلاحظ أن الدولة الغورية قد عاصرت هذه الدويلات الإقليمية في أنحاء أفغانستان المختلفة ، وكان مقرها قلب أفغانستان ، وكانت تنافس تلك الدول الإقليمية في الميادين السياسية ، والثقافية ، والعلمية ، والأدبية والفنية ، إلى أن ظهرت الدولة الغزنوية في مدينة (غزنة) وهى إحدى المدن المركزية في أفغانستان . وتمكنت مؤقتا من إخضاع الدولة الغورية الأفغانية التى تمكنت هى الأخرى من القضاء على الدولة الغزنوية نهائيا في أفغانستان القديمة .

الأدب الدرى في العصر الغزنوى :

وقد راج الأدب الدرى في هذا العصر الغزنوى ، وتغنى عدد عظيم من فحول الشعراء بالشعر ، والفن ، وأصبحت المدن الأفغانية مواطن الأدب والعلم وخاصة العاصمة الغزنوية (غزنة) والمدن الرئيسية الأخرى في الأقاليم ، والشاعر

الخراساني (الفردوسي) يعتبر محور الأدب القومي في أفغانستان الغزنوية ، وهو صاحب كتاب (الشاهنامه) الشهير .

والسلطان الزابلي محمود الغزنوي من أكبر مشجعي اللغة الدرية وآدابها ، فاحترم الشعراء ، والعلماء ، والأدباء ، وشجعهم تشجيعا عظيما ماديا ومعنويا فمدحه كبار الشعراء من أمثال العنصرى البلخي ، والعسجدى المروزي ، والفرخى النيسباني ، ومنوچهرى ، والفردوسى العظيم ، وغيرهم من الشعراء ، والأدباء والكتاب .

النثر الدرى فى العصر الغزنوى :

كانت المدن الأفغانية فى العصر الغزنوى مثل (غزنة) و (بست) و (هرات) و (فيروزكوه) و (بلخ) و (مرو) وغيرها من المدن الأفغانية مبعث الآداب والعلوم والفنون ، ومقصد الشعراء والعلماء والأدباء والكتاب من أمثال أبى الريحان البيرونى ، والشيخ أبو على بن سينا ، وغيرهما من العلماء ، وكان سلاطين (غزنة) يشجعون العلم ، والأدب ، والفن ، وكانوا يراعون الشعراء والكتاب والحكماء ، كذلك كان السامانيون ، والغوريون ، وكانت لنوح بن منصور خزانة كتب كبيرة استعان بها أبو على بن سينا وغيره من الحكماء والعلماء . وكانت فى (فيروزكوه) مكتبة عظيمة للغوريين استعان بها الإمام فخرالدين الرازى وغيره من العلماء والكتاب .

وكان وزراء السامانيين ، والغزنويين ، والسلاجقة ، والغوريين من ذوى المكانة العلمية والأدبية ، وكانت مؤلفات أغلب رجال هذه العصور بالعربية وغيرها من اللغات المحلية ، وعلى الرغم من التفكك السياسى الذى أصاب أفغانستان بتمزقها إلى دويلات صغيرة بين السامانية ، والسلجوقية ، والغزنوية والغورية وغيرها من الإمارات المقسمة بين الخوانين والإقطاعيين فإن الحياة الفكرية قد ازدهرت إلى حد كبير .

النثر العلمى :

وهو الذى كتب على منواله المؤلفات العلمية فى اللغات الأفغانية الرئيسية الثلاث : العربية ، والأفغانية البشتونية ، والأفغانية الدرية فى هذا العصر من التاريخ الأفغانى ، وأهم مايقوم به النثر العلمى هو عرض الأفكار ، وتقرير الحقائق ، وإقامة البراهين ، دون الاهتمام على الصناعة التى طغت على النثر الفنى من السجع وضروب البديع ، وهذا النوع من الأسلوب صالح للموضوعات العلمية والفلسفية ، وممن التزمه (مسكويه) و (المرزبانى) وغيرهما من الكتاب ، إيماناً منهم بأن طرح المعانى ، والقضايا العلمية وتقرير الحقائق شئ ينافر الخيال ، والتلاعب بالصور ، والأشكال ، والألفاظ ، وبالتالي يقتضى التركيز ، والتحديد والتحقيق ، فهو لذلك أسلوب جزل ، مكنتز ، قصير الجمل ، رصين يصيب لب الموضوع ، لا مجال فيه للبديع أو الصناعة .

النثر الفنى :

من التتبع لنشأة الأنواع الأدبية ، وتطورها لدى الأفغان يتضح لنا أن الشعر سبق النثر فى تطوره فى كلا اللغتين الأفغانييتين : البشتونية والدرية ، وقد رأينا فيما مضى أن الشعر انتقل فى القرن الرابع والخامس نقلة جديدة من حيث الكلف بالزخرفة والصناعة على أيدي الشعراء فى حين أن النثر لم يتخط الأسلوب العلمى الذى رافقه منذ نشأته فى العصور السابقة ، أما النثر الفنى فقد تأخر ظهوره إلى القرن السادس الهجرى حين كانت الدولة الغزنوية تلفظ آخر أنفاسها ، وقد صاحب هذا التغير السياسى الذى سيطر فيه السلاجقة على أكثر أملاك الغزنويين فى خراسان ، تغير واسع فى شكل الصورة الأدبية ، وقالها الذهبى ولم يكن السلاجقة يهتمون بالأدب والفن لبدائتهم وجهلهم ، وتبعاً للظروف الجديدة أسرف الشعراء والكتاب فى الانصراف عن الأفكار ، والعناية بتجويد الأسلوب ، وزخرفته ، ورصده فى إطار بديعى محكم ، يضاف إلى هذا أن الناشرين والكتاب قد سقط إليهم تأثر واسع من النثر العربى ، ومن الشعر الدرى الذى سبق إلى التصنع ، ومن الأمثلة الحية لرائد من رواد النثر الفنى الدرى هو أبوالمعالى نصر الله الغزنوى كما كان البيرونى نموذجاً ممتازاً للنثر العلمى فى هذا

العصر ، يظهر ذلك واضحا في ترجمة كتاب (كلیلة ودمنه) الذى قام أبوالمعالى نصر الله الغزنوى بترجمته عن الهندية إلى اللغة الدرية الأفغانية ، فأسلوبه الفنى يعتبر بداية حسنة للنثر الفنى فى الأدب الدرى فى أفغانستان ، إن الأسلوب العلمى الذى استمر فى التداول مدة طويلة بين الكتاب فى أفغانستان تحول إلى النثر الفنى على يد أبى المعالى نصر الله الغزنوى ، ذلك الأسلوب الذى يعتمد على التشخيص فى الصور ، ويمتلئ بالأمثال والحكم والآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والاستشهادات الشعرية ، ويعج بألوان من البديع والبيان من تورية واستعارة وكناية وغيرها . إن الدور الأدبى الذى قام به أبوالمعالى نصر الله الغزنوى فى الأسلوب ، والنثر الفنى فى الأدب الدرى الأفغانى يشبه إلى حد كبير الدور الذى قام به أبو محمد هاشم بن زيد السروانى فى النثر البشتونى وأبوريجان البيرونى فى النثر الدرى ، وعبد الحميد الكاتب ، وابن المقفع فى رسم الإطار الفنى للنثر العربى الذى اتسعت به التجربة شيئا فشيئا إلى أن بلغ القمة فى القرن الرابع حيث أخذ يشارك الشعر فى كثير من موضوعاته الفنية ، ولا شك فى أن أباالمعالى نصر الله الغزنوى ، وأبا محمد هاشم السروانى قد تأثرا فى هذا المجال بالنثر العربى ، والشعر الدرى والبشتونى الذى بدأ يميل إلى الزخرف والتصنع فى هذا العصر .

الغوريون والأدب الدرى :

الغوريون رفعوا راية الإسلام الحنيف من بين تلك الجبال الشاهقة ووديانها الخضراء الهائلة حتى نصبوها خفاقة فى ربوع البلاد الهندية ، وكانوا فى ذلك يعدون أنفسهم حماة للإسلام وعلومه وفنونه ، وأدابه الإسلامية ، وكانوا يرون أن قصورهم يجب أن تكون مركزا تشع منه الثقافة والآداب ، ومثابة يلتقى فيها العلماء والأدباء ، وكان اهتمامهم الأدبى ، والفنى - كما مر - مقسما بين الآداب الأفغانية : العربية ، والإيشتونية ، والدرية ، والتركية الشرقية ، وكان يتردد على بلاطهم فى البلاد الغورية ، و (غزنة) و (باميان) عدد كبير من العلماء والشعراء ، والكتاب من أمثال الإمام فخر الدين الرازى ، والعلامة سعد الدين التفتازانى ، ومنهاج الدين عثمان بن سراج الدين الجوزجاني والعروضى السمرقندى ، وفخر الدين مبارك شاه ، ويحىى السرخسى ، وأبو نصر الفراهى ،

وناصر البغوى ، وملك العلماء جلال الدين ، ومجد الدين قدوة ، وغيرهم من فضلاء وعلماء ، وشعراء هذا العصر ، وبالإضافة إلى ذلك فإن السلاطين والأمراء الغوريين أنفسهم كانوا يقولون الشعر باللغتين البختونية ، والدرية وكانوا كذلك علماء ، وأدباء وكتابا .

ومن أدباء الدرية وشعرائها فى العصر الغورى : السلطان علاء الدين حسين الغورى ، ومعين الدين الجستى الهروى مؤسس الطريقة الجستية الصوفية المشهورة والعروضى السمرقندى الشهير بالنظام السمرقندى صاحب (مجمع النوادر = جهار مقال) وشمس الدين العجيبى الجوزجاني مداح بهاء الدين سام الغورى ، وفخر الدين مبارك شاه المروزي وزير علاء الدين حسين الغورى ، وصاحب كتاب (نسب نامه غوريان) وشمس الدين مبارك السكزي مداح غياث الدين الغورى ، وظهير الدين السكزي مداح غياث الدين الغورى ، وأحمد الكافي مداح غياث الدين الغورى والأزهري الهروى من كتاب الغوريين المشهورين ، ومحمد عمر الغرقدى مداح غياث الدين الغورى ، وشمس الدين محمد السكزي من شعراء وكتاب العصر الغورى وهو صاحب مؤلفات عديدة منها (مجمع البحرين) وغيرهم من الشعراء والكتاب الذين كانوا يعيشون فى العصر الغورى فى أفغانستان .

النثر الدرى فى العصر الغورى :

يمكن القول بأن النثر الدرى بنوعيه العلمى والفنى يمكن قياسه على النثر الدرى فى العصر الغزنوى ، ذلك لأن بعضا من علماء الأدب فى أفغانستان يقسمون العصور الأدبية لأسلوب النثر الأدبى بفرعيه البشتونى والدرى إلى أربعة أطوار أدبية على النظام الآتى :

الطور الأدبى النثرى الأول يبدأ من أوائل القرن الثالث ويمتد إلى أوائل القرن السابع . ويسمى أسلوب المتقدمين . والطور الأدبى النثرى الثانى يبدأ من أوائل القرن السابع ، ويستمر عبر ثلاثة قرون إلى أوائل القرن العاشر ، ويسمى أسلوب المتوسطين لتوسطه بين المتقدم والمتأخر . والطور الأدبى الأسلوبى النثرى

الثالث يبدأ من أوائل القرن العاشر ، ويستمر مدة ثلاثة قرون أيضا حتى يصل إلى القرن الرابع عشر ويسمى أسلوب المتأخرين . والطور الرابع الأدبي للأسلوب النثرى الدرى والبشتونى يبدأ من أوائل القرن الرابع عشر ، ويستمر حتى العصر الحاضر ، ويسمى أسلوب المعاصرين . وعلى هذا فإن الأسلوب النثرى فى هذا العصر الغورى لا يختلف كثيرا عن الأساليب النثرية السابقة ، فهو نثر سلس متين رصين خال من الصناعة اللفظية الضارة بالمعنى والحشو الزائد والغلو .

تأثير الأدب العربي في الأدب الأفغاني

دخلت اللغة العربية وآدابها إلى أفغانستان مع الفتوح الإسلامية العربية التي تمت بعد استقرار الإسلام في الجزيرة العربية ، وقد بدأ تأثيرها في الأدب الأفغاني بفرعيه الهامين من ذلك اليوم ، ولكن تأثير الأدب العربي في الأدب الأفغاني كان خفيفا في العصور الأولى لأسباب كثيرة منها بعد البلاد الأفغانية عن دار الخلافة في كل من دمشق وبغداد ، ومنها اهتمام الولاة والأمراء المحليين في أفغانستان بالآداب المحلية ولو سرا ، ومنها قرب الكتاب والمؤلفين والشعراء من العصر الجاهلي الأفغاني قبيل الإسلام . لهذه الأسباب وغيرها لم يؤثر الأدب العربي في الأدب الأفغاني بفرعيه البشتوني والدرى تأثيرا عميقا في العصور الأولى كالعصر الغوري الأول والعصر الطاهري ، والعصر الساماني ، مثل ما حصل في العصر الغزنوي ، والعصر الغوري الثاني .

توطدت الروابط الثقافية والسياسية بين كل من (غزنة) في أفغانستان وبغداد في العراق في العصرين الغزنوي والغوري ، لأن التنافس على التقرب إلى الخليفة الإسلامي في بغداد كان شديدا بين الغزنويين في أفغانستان وبين غيرهم من ملوك وأمراء ماوراء النهر ، يخاول كل من الفريقين إرسال الهدايا والتحف القيمة ، وإرسال الرسل والرسائل ، والاهتمام بما تهتم به الخلافة في بغداد ، وهذا مما جعل الملوك والأمراء والولاة يعنونون بالأدب العربي واللغة العربية اعتناء كافيا فيتحول ديوان الرسائل في البلاد الغزنوية من الدرية إلى العربية ، وقد حدث ذلك التحول العظيم الهائل على يد الوزير الأفغاني أحمد بن حسن الميوندی (الميمندی) فاشتغل في الوزارة الكتاب والأدباء الذين كانوا يجيدون اللغة العربية ، واستمرار هذه الحالة لفترة طويلة كان سببا آخر من أسباب ترويح الأدب العربي واللغة العربية في الشؤون السياسية والإدارية ، والثقافية ، والأدبية ، والحضارية مع ملاحظة إن السلطان الزابلي محمود الغزنوي لم يكن يرغب كثيرا في اللغة العربية لجهله بها مثل يعقوب بن الليث ، ولكن محمدا ومسعودا من أبنائه كانوا يجيدان اللغة العربية ،

وكانا يتذوقان فنونها ، ويطريان لآدائها .. شبرا ونثرا ، وكانا قد درسا المعلقات السبع من ضمن ما درسناه من الأدب العربي الجاهلي ومصادره الأصيلة ، وقد مدح أبو بكر القهستاني (الكوهستاني) الأمير أبا أحمد محمد الغزنوي بقصائد كثيرة نقلها الباخري في دميته^(١) ، وأبو بكر هذا كان من أقرب المقربين للأمير محمد الغزنوي ، وكان من أساتذته في الأدب ، وكان إلى جانب ذلك من أكبر الشخصيات الأدبية والعلمية في هذا العصر . ومن مدح القهستاني (الكوهستاني) يبدو واضحا تعشق الأمير محمد الغزنوي للأدب العربي ولغته العربية ، يقول أبو بكر القهستاني (الكوهستاني) في مدح هذا الأمير من أمراء غزنة ، ويمدحه بشعر يمتزج بأجزاء النفس^(٢) :

يسرك أن أرى دنفا حزينا	لك البشري بما ترضى رضينا
ولكني إذا ما طبت نفسا	بما تهوى ، فكيف أرى حزينا
رضاك رضاي لا آباه شيئا	ولو قتلى ، ولا أزوى الجينا
ولو زدت (العذاب ولست تألو)	لما استروحت بالشكوى أنينا
فدت نفسي ولو ملكت يميني	سواها ما بخلت به يميني
وما ملكت يميني غير نفسي	وها هي عنك لست بها ضينا
ولم أنفس على نفسي بحين	ولكن لم يحن لي أن أحينا
أيا مسكين قلبي ذبت قسرا	وأعطيت المقادة مستكينا
نصحتك لو قبلت نصيحة لي	ولكن لا تحب الناصحينا
لقد خلق الهوى يا قلب نارا	فمالك . والهوى وخلقت طينا ؟
تذوب ولا تتوب رجاء يوم	يضم حشا المنى منه جينا
وبين جوانحي نار تَلْظَى	كما تلقى الأمير يهيج جينا
محمدا ابن محمود أبا أحـ	مد مولى أمير المؤمنين
جلال الدولة الغلباء دنيا	جمال الملة العلياء دنيا
ولّى العهد عهد الملك طوى	لنا إذ ظلّ ظلّ الله فينا

(١) الباخري : دمية القصر ٢١٣/٢ تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، طبعة القاهرة .

(٢) الباخري : دمية القصر ٧٧٩/٢ تحقيق الدكتور محمد التونجي ، طبعة ؟ .

ومن أبتكار المعاني قوله في هذه القصيدة يعرض بأخيه الأمير مسعود ويذمه بالعبالة ، ويشنئ على ممدوحه بالنجافة :

فالآ تلقه جينما قويا فقد تلقى به روح الأمين
يراه هوى العنلا حتى تراه كنصل حسامه حدا ولينا
وليس الطبل في الهجاء يغنى غناء السيف فاعلمه يقينا

ويقول البيهقي^(١) : إن الأمير محمد الغزنوي الشاب كان يقلد الأمراء العرب في الاستماع إلى القصائد الشعرية في مجلسه . ويروي عبدالرحمن القول ويقول^(٢) : إنه كان يحفظ عددا من الأشعار النادرة ، فكان الأمير يطلب منه الاستماع إلى القصيدة الآتية ، وقلما ينعقد مجلس الأمير دون أن ينشد فيه هذه القصيدة^(٣) :

ما الشأن في غدركم الشأن في طمعي وباعتدادي بقول الزور والخدع
وليس غدركم بدع ولا عجب ولكن وفاءكم من أعجب العجب

وفي العصر الغوري^(٤) كان السلاطين والأمراء الغوريون وملوكهم في البلاد الغورية الأفغانية والبلاد الهندية يخدمون الأدب العربي على أساس من العلاقة الروحية ، والتقرب السياسي ، وإن كان جل اهتمام هؤلاء من الأفغان موجهها إلى الناحية العسكرية والقتالية في سبيل إعلاء كلمة الله ، ومع هذا فقد حاولوا ترويح وتشجيع العلوم العربية ، واللغة العربية وآدابها ، كما كانوا يولون عناية فائقة طلاب هذه الآداب وكتابتها ، وشعراءها^(٥) ، وبذلك سيطرت اللغة العربية على الدوائر

(١) أبو الفضل البيهقي : تاريخ المسعودي المعروف بتاريخ البيهقي ٧١ ، ترجمة الدكتور يحيى الخشاب وآخرين ، طبعة القاهرة .

(٢) القول : المغنى أو المطرب الذى يتلب عليه لون الغناء الدينى ، وهذه الكلمة (القول) مستعملة حتى الآن في كل من أفغانستان وباكستان وإيران .

(٣) أبو الفضل البيهقي : تاريخ المسعودي المعروف بتاريخ البيهقي ٧٩ ترجمة الدكتور يحيى الخشاب وآخرين . طبعة القاهرة .

(٤) عتيق الله بجواك : غوريان ، مواضيع وصفحات مختلفة . وسيد بهادر شاه ظفر كاك خيل : بختانة د . تاريخ به رناكى ، مواضيع وصفحات مختلفة ، طبعة بشاور .

(٥) پوهاند عبد الحمى حبيبي : تاريخ أفغانستان بعد از اسلام ١ / مواضيع مختلفة ، وجلال : غزنه وغزنويان ، مواضيع مختلفة ، طبعة كابل .

الرسمية ، والمجالات الأدبية والعلمية أكثر من أى وقت مضى ، وقد كسدت سوق
الشعوبيين وفسدت .

وكذلك كانت الحال فى العصر السلجوقى ، وكان ملوك السلاجقة
وأمرأؤهم ووزراؤهم ، وكذلك حكامهم فى المناطق الغربية من أفغانستان
الخراسانية كانوا أيضا يشجعون الأدب ، والشعر على أساس من التظاهر الدينى ،
والتقرب السياسى إلى دار الخلافة العباسية ، وإن كان هؤلاء القوم السلاجقة - كما
يقولون - عراة من كل نوع من الأدب ، والعلم والمعرفة لبدأوتهم ، ومع هذا فقد
حاولوا ترويح الدين الإسلامى ، وبالتالى شجعوا الأدب العربى ، ولغته العربية ،
وكان ذلك كله سببا من أسباب سيطرة اللغة العربية على المجالات الرسمية والأدبية
فى هذه العصور كما مر وهو الأمر الذى جعل الآداب ، واللغات الأفغانية ، تتأثر
بالأدب العربى ولغته العربية الغازية الفاتحة .

أثر الأدب العربى فى الأدب الأفغانى بفرعيه الهامين :

أثر الأدب العربى فى الأدب البيختونى والأدب الدرى تأثيرا عميقا فى المعانى
والأساليب ، وفى الكلمات والجمل ، والتراكيب ، والعبارات ، والاستشهاد ،
وهذه بعض مظاهر تأثير إلهاد العربى فى الآداب واللغات ، والحياة الاجتماعية فى
أفغانستان :

التأثير الدينى فى الأدب الأفغانى :

ترك الدين الإسلامى الحنيف أثره الطيب الهادى فى الأدب ، واللغة والحياة
الاجتماعية فى أفغانستان ، فالمصطلحات الدينية كلها ، أو جلها من الأذان للصلاة
وإلى الصلاة نفسها من القراءة فى القيام ، والركوع ، والسجود والقعدة حتى
التحية فى التشهد ، والسلام بعد انتهاء الصلاة ، كل هذا يتم باللغة العربية الفصحى
دون أن يعلم الفرد الأفغانى العادى معناه باستثناء المثقفين ، وعلماء الدين ،
والمختصين فى اللغة العربية . وبالإضافة إلى أركان الصلاة التى تؤدى باللغة
العربية الدينية الفصحى لغة القرآن الكريم والحديث الشريف ، بالإضافة إلى ذلك
فإن جميع الأدعية ، والترانيم الدينية الإسلامية تتم باللغة العربية المأثورة ، فصوت

المؤذن أحسن صوت يرتفع معلنا التوحيد الإلهي في المساجد وفوق مآذنها في ربوع أفغانستان في جميع أنحاءها ، والمسلمون الأفغان يكررون ما يكرره المؤذن ، ويزيدون عليه الدعاء في آخره . وجميع الأدعية يرددها الإمام في المسجد ، أو العالم الديني باللغة العربية مستشهدا في ذلك بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية الشريفة ، أكثر الأفغان يقرأون القرآن الكريم ، وعددا من الأحاديث النبوية بالنص القرآني كما هو ، والنصوص النبوية كما هي ، وأغلبهم لا يعرفون المعنى باستثناء الترجمة الحرفية المكتوبة تحت النص العربي ، وبالتالي دخلت هذه النصوص الدينية العربية إلى الآداب ، واللغات الأفغانية ، متأثرة في ذلك بالدين واللغة والأدب العربي . والأمثلة كثيرة لا يمكن إحصاؤها ، ولكن مهمتنا الاختصار والإيجاز له التطويل والإطناب . لذلك نكتفي بهذا القدر من التمثيل .

التأثير الفني في الأدب الأفغاني :

ثبت بالدليل القاطع ، والواقع الملموس بأن جميع الفنون الجميلة التي نشأت وظهرت ، أو تنشأ وتظهر في الأدب العربي تسربت ، وتسرّب إلى الأدب الأفغاني الإسلامي ، فسيطرت ، وتسيطر عليه سيطرة كاملة ، ليس هذا خاصا بالآداب الأفغانية والعربية ، بل هو جار أيضا وبطريقة التكامل الأدنى في الآداب العالمية الأخرى فليس من الغريب ما حدث بين الأدب الأفغاني والأدب العربي من التسرب ، والتكامل الأدنى واللغوي وخاصة إذا لاحظنا هنا العامل الديني الروحي القوي الذي يحمله الأدب واللغة العربية . ومن المعروف أدبيا أن النثر الفني في الأدب الأفغاني بفرعيه الرئيسيين ... البختوني ، والدرّي كان يتمتع بالبساطة ولم يدخله السجع ، والإطناب ، والإسهاب حتى حدثت الثورة الأدبية الفنية في البلاد العربية . ومن مظاهر التأثير الفني كثرة الاستشهاد ، والتمثيل ، والسجع ، والإطناب ، والإسهاب في الأدب الأفغاني تقليدا للنثر الفني العربي الذي كان قد اخترع في القرن الرابع الهجري في بغداد العاصمة الإسلامية الكبرى ، وبعد قرن من الزمن وصل إلى أفغانستان الخراسانية ، وثبت مؤثرا في الأدب الأفغاني الخراساني تأثيرا عميقا . وقد بدأ الكتاب ، والأدباء بعد ذلك يكتثرون من التمثيل ، والاستشهاد بالقصص والحكم ، ولابد أن نشير في هذا الباب إلى كثرة استعمال الاستعارات والكنائيات . ولو ألقينا نظرة عابرة على الكتب التي ألفت قبل هذا العصر لرأيناها خالية - باستثناء الاستشهاد بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية - من الاستشهاد بالأشعار القديمة إلا

نادرا ، بينما نرى كتبُ هذا العصر تزدهر بالاستشهاد ، والحكايات ، والقصص والأمثلة ، والأشعار القديمة .

تأثير الإطناب الفني في الأدب الأفغاني :

العرب يشتهرون بالإطناب في الكلام من أقدم العصور ، ومن مظاهر التأثير الفني في الأدب الأفغاني الإطناب ... وكنتيجة طبيعية لهذا التأثير الفني الأدبي أصبحت الجمل طويلة مفصلة ، وزاد اهتمام الكتاب والأدباء والشعراء ، باختيار الألفاظ والكلمات الممتازة الرنانة ذات جرس خاص ، واهتم الكتاب والأدباء بتنظيم العبارات تنظيما فنيا رائعا جميلا ليتضح المعنى ويظهر ظهورا لا مجال فيه للشك والتروى ، أو للسؤال والاستفسار . وقد قلد فيه الأدباء والكتاب الأفغان الأدب العربي وأسلوبه الفني ، وهو مظهر من مظاهر التأثير الفني للأدب العربي في الآداب الأفغانية الإسلامية كان الكتاب في العصور القديمة يحاولون أداء المعنى بإيجاز بخلاف كتاب هذا العصر. وأذباقة حيث يحاولون تصوير الموضوع بإسهاب ، وذلك باستعمال الكلمات والمصطلحات الأدبية الحديثة ، وباستعمال الجمل منسقة تنسيقا يصف المعنى ويوضحه ، ومن هنا يحاولون تمثيل المعنى ، أو الموضوع تمثيلا مجسما ، وكأنهم يرونه أمامهم رأى العين ، ويصورونه تصويرا كاملا كما يفعله الأدب العربي في هذا العصر .

تأثير الاستشهاد والتمثيل الفني في الأدب الأفغاني :

وهذا نوع آخر من التأثير الفني العربي في الأدب الأفغاني ، ذلك بأننا حينما نتصفح الكتب القديمة - لا نجد فيها أى أثر للاستشهاد والتمثيل إلا نادرا باستثناء الاستشهاد بالآيات القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة - بينما نرى كتب هذا العصر تزدهر بالاستشهاد ، والتمثيل بالأمثال ، والقصص والحكايات ، وأشعار القدماء ، وقد ازدادات في هذا العصر أيضا الكنايات والاستعارات . وقد بدأ الكتاب منذ هذا العصر اهتمامهم الخاص بالتمثيل والاستشهاد بالقصص ، والحكايات ، والحكم ، والأمثال ، والمواعظ ، والعبر ، كما استشهدوا بشعر شعراء البختونية والدرية وغيرهما بإسهاب ، ولم يقتصر استشهادهم بالشعراء الأفغان ، بل استشهدوا كذلك بالشعراء العرب من أمثال المتنبي ، وأبي العتاهية وغيرهما من

شعراء هذا العصر . لم يكن ذلك كله إلا نوعا من التأثير الفنى للأدب العربى فى الأدب الأفغانى .

تأثير الكلمات العربية فى الأدب الأفغانى :

لا يمكن حصر الكلمات العربية التى دخلت الأدب الأفغانى ولغاته الرئيسية الأساسية فى جميع المجالات الأدبية ، والإدارية ، والسياسية والاجتماعية ، والثقافية والحضارية . ويمكن القول وتوضيحه فى ذلك على النظام الآتى :

الكلمات والاصطلاحات الدينية عربية خالصة ١٠٠٪ .

أسماء الكتب الأدبية والتاريخية والعلمية وفصولها عربية ٩٥٪ .

الكلمات والمصطلحات الإدارية والقضائية والسياسية عربية ٩٥٪ .

الكلمات والمصطلحات الاجتماعية كالتحية والتعزية وغيرها عربية ٩٠٪ .

كلمات عربية جديدة تدخل الأدب الأفغانى بأشكال مختلفة مع تصرف فى هذه الكلمات جمعا وإفرادا أحيانا ، وكلمات عربية أخرى جديدة تدخل الأدب الأفغانى منونة تنوينا عربيا أصيلا دون أى تصرف فيها . وعبارات عربية كاملة تدخل الأدب الأفغانى بشكلها الغربى الكامل إظهارا لقدرة الكاتب ، أو المؤلف أو الشاعر فى اللغتين ، وتركيب عربى للجمل يدخل الأدب الأفغانى فيجعله عربيا من ناحية النظم ، والأسلوب ، والتركيب الجملى ، وأفغانيا من الناحية اللغوية .

تأثير الاختلاط الأدبى الفنى :

إن اختلاط الخراسانيين والعراقيين من العجم والعرب ، وتلاحم العلوم والآداب ، واللغات الخراسانية بالعلوم ، واللغات ، والآداب الهندية نتيجة لفتوحات الغزنويين والغوريين ، واختلاط الثقافين والحضارتين ، قد تكون من ذلك كله أدب خراسانى جديد خاص بهذا العصر . وفى الحقيقة : إن فتوحات الغزنويين والغوريين فى كل من الهند وإيران ، ثم انتشار السلاجقة بملوكهم وولايتهم ، وأمرائهم ، وقوادهم بجيوشهم فى خراسان (أفغانستان - إيران) والعراق (العجمى - العربى) ثم اختلاط ومزج الثقافات الثلاث : الخراسانية

والعراقية ، والهندية - إن صح هذا التعبير - كل ذلك كان سببا قويا وواضحا في التغيير الذى ظهر فى النثر والشعر الأفغانى. الخراسانى الذى لا يزال واضحا حتى الآن فى آداب ، ولغات ، وحضارة هذه المنطقة التى تكون اليوم أفغانستان وريثة (آريانا) العريقة ، ثم وريثة (خراسان) بقيمتها الأدبية والحضارية .

الكلمات العربية التى لم تكن موجودة فى اللغات الأفغانية وآدابها ، ودخلتها مع دخول الإسلام البلاد الأفغانية :

ركوع - سجده - قاعده - قيام - ركعت - تشهد - سلام - زكات - حج - صدقه - مسلم - مؤمن - مشرك - مرتد - كافر - جهاد - غزا - منافق - فاسق - فاسد - خبيث - آيت - وقف - قرآن - إقامت - متعه - نكاح - طلاق - عدت - قبله - محراب - مناره - مأذنه - أذان - دعاء - شيطان - سجين - زقوم - تسنيم - كوثر - جنت - جهنم - يأجوج ومأجوج - نكير - منكر - دعوى - حشر - نشر - قيامت - واجب - لازم - ضرورى - مستحب - حلال - حرام - مبارك - تبريك - بركت - صواب - ثواب - غلط - خطأ - وسوسه - نصيحت - طبيعت - مزاج - حالت - دقت - وقت - ساعت - دقيقه - ثانيه - نيت - طهارت - سنت - تكبير - عقاب - عذاب - جحيم - سفر - خبر - غلمان - نعيم - شهادت - همت - قوت - طاقت - حيرت - دهشت - غيرت - فراق - سجد - قعود - مسجد - هديه - تحفه - ورد - وظيفه - عمل - قول - عزرائيل - اسرافيل - جبرائيل - ميكائيل - وحى - نزول - شأن - عرش - فرش - ظرف - كرسي - لوح - قلم - محفوظ - أزل - أبد - دائما - تسبيح - ذكر - تهليل - تهجد - نفل - نافله - قنوط - جنازه - منوط - كفن تشييع - شهيد - افتراء - تكذيب - كذب - بهتان - استغفار - آدم - حواء - لعنت - لفت - لسان - رجم - رحمن - رحيم - مرحوم - عيد - رمضان - هلال - رؤيت - جمعه - خطبه - فيصله - وثيقه - وسعت - عالم - دنيا - آخرت - حساب - كتاب - جزاء - عوض - بدل - كميت - نوعيت - شرافت - كرامت - عزت - محترم - احترام - إكرام - إسلام - إحرام - اسكان - تأثير - متأثر - جيروت - كهنوت - انفاق - نفقه - مسئوليت - مكروهيت - باطل - باطن - ظاهر -

واضح - وضاحت - كراهيت - محبوبيت - عشق - معشوق - معشوقه -
محبوبه - مرغوب - رغب - إرادت - عقيدت - إحساس . وغيرها من
الكلمات المفردة التى دخلت اللغات الأفغانية مع دخول الإسلام إلى أفغانستان .

الكلمات والمصطلحات العربية الإدارية التى راجت من رواج الدولة
العربية فى أفغانستان :

دولت - حكومت - مملكت - رعيت - ملت - خدمت - بيعت -
معاونت - إجابت - دعوت - غنيمت - حكمت - كفايت - حمايت -
خلافت - عصبيت - حميت - جمعيت - تهنيت - إطاعت - حاجت - مهلت -
حقيقت - شيعت - سنت - جماعت - محلت - نصرت - هزيت - وقعت -
قربت - صنعت - روايت - شكاييت - عزيت - عبادت - معصيت - قوت -
حجت - آلت - عدت - ذلت - زلت - علامت - غارت - شريعت -
جراحت - عقوبت - خيجلت - صورت - تحيت - قسنت - ثروت - صلت -
هجرت - غزا - هجا - چيزا - ادعا - غوغا - عطا - اجرا - رجا - التحا - قضا -
سخا - مدارا - وفا - جفا - محابات - حاشا - مولى - غازى - قاضى -
طاغى - خارجى - داعى - كافى - حامى - موالى - سخى - مصلى - غزو -
عفو - سلطان - طغيان - عصيان - عمران - شحنة - شرطه - تعبيه - خطبه -
مخاطبه - عبره - خدعه - عمدته - سنه - عرضه - عليه - نفقه - غرفه -
طريقه - واقعه - نعره - جمعه - ميمنه - ميسره - حمله - حربه - قاعده -
خليفه - خفيه - قصه - صاعقة - مظلمه - قصيده - حرس - محتسب -
منكر - مشرف - مضطر - محل - مصاف - مولى - مسلم - مُسلم - موسم -
مستحث - مبارز - مقام - مقام - معلم - محال - مشرق - مغرب - محل -
مظالم - مديح - احتساب - اتفاق - اختيار - اعتبار - استخفاف - التماس -
انتقام - اكرام - احتياج - اضطرار - اعتماد - احسان - إلحاح - إقبال -
إخراجات - مباهات - أمر - نهى - معلوم - معروف - مظلوم - منكر - أمير -
والى - حاكم - عامل - ملك - مُلك - كاتب - عار - غافل - خاضع - خال -
باطل - كتاب - إمام - لجاج - اتفاق - عتاب - حساب - رباط - حصار -

رسول - أشراف - أسباب - شرط - حبس - خادم - غلام - علم - خلاف -
خوارج - موانع - سحق - لجاج - صلح - نفاق - رايت - علم - مقدمه -
ساقه - فرار - سبب - استخفاف - ولي عهد - خلف - سلف - نسب -
حسب - خطيب - زجر - طلب - حق - عدل - فساد - ترتيب - راتب -
جوار - صعب - خوف - دفع - رد - تعصب - فخر - حد - حصن - قدر
أمن - أيمن - عبرت - بعض - نفر - جمع - شريف - سيد - عظيم - مطيع
حمد - شكر - وسيله - سمع - بصير - كرم - بخل - فارغ - معنى - لفظ -
كلمة - سلاح - مزاح - مكر - مضطر - قبل - بعد - طرف - حال - غم
خلف - عهد - شهر - عرض - جيش - فتح - قليل - كثير - معتمد - عمد
تعمد - طعام - رزق - تبديل - تغيير - بيت المال - قوم - قبيله - هلاك -
ظلم - خيل - نعل - غريب - غربت - قرب - قريب - بعد - بعيد - صنع
خبر - حديث - اسير - لون - نوع - طريق - رفق - تعجيل - قرار - مقر
إقرار - ذكر - شكر - شرح - موسم - أهل بيت - أهل - موكل - قسم -
خذلان - علف - بطل - شجاع - جبان - جبن - قصد - عزم - نزول -
قفل - جامع - بأس - يأس - خضوع - قوى - خبيث - خبث - لعين -
ملعون - جناح - قلب - غيب - غيبت - ذليل - قتل - حرب - طبع - طمع
قول - خاص - عام - عذر - معذور - نفس - عم - عمه - خال - خاله -
مجال - ملك - جاه - عز - عقب - سهل - مذهب - خجل - مزيد - من
يزيد - حرج - قبول - أساس - شرق - غرب - شمال - جنوب - حق - قدر
محل - عمر - وداع - سلام - رضا - تقصير - خلق - قصة - صوافى -
جوالى - حدود - تقسيم - تمييز - ميزان - جمع - غزل - خرج - مال - نظم
عجز - عجم - تصوير - شكل - نسل - نسب - إدارة - إحاطة - خصومت
تقوى - شقاوت - سعاد - نصيحت - وغيرها من الكلمات العربية - التى
ظهرت فى الميدان الإدارى الأفغانى فى هذا العصر من التاريخ الأفغانى الأدبى
واللغوى .

أثرت اللغة العربية فى اللغات الأفغانية البشتونية = البختونية والدرية
الأفغانية تأثيرا قويا واضحا جليا ، وقد ظهر ذلك فى إدخال الكلمات المفردة

العربية في الآداب الأفغانية ، ولغاتها ، وفي استعمال المصطلحات الإدارية الحكومية كما مر ، وفي تكوين المجموع الأفغانية على الأوزان العربية ، واستعمال الجموع العربية في صور من المجموع الأفغانية ، وفي الكلمات المترادفة العربية والأفغانية ، مما جعل اللغات الأفغانية ، وآدابها تكتسب نوعا جديدا من اللقاح الأدبي واللون اللغوي الذي أثرها ثراء أدبيا ولغويا رائعا جميلا مفيدا ، ولذلك بدأ الكتاب والمؤلفون والشعراء والعلماء ، والأدباء ، يدخلون الكلمات والجمل ، والأساليب والأمثال ، والحكم ، والقصص والأساطير العربية القديمة بكثرة وبلا حدود ، دون مراعاة المقام ، والمكان ، والمناسبة التي كانوا يكتبون فيها ، لذلك نرى عددا من الكتاب والشعراء في اللغات الوطنية ينصحون باستعمال الكلمات العربية في ثنايا اللغات الوطنية والقومية ، كما فعل ذلك (كيكاس) صاحب كتاب (قابوسنامه) حيث يقول لابنه (كيلانشاه) ناصحا له : (ويجب أن تترج الكتابة بشيء من العربية ، فإن الفارسية الخالصة كريهة معيبة)^(١) وقد استمرت هذه الحالة بين هؤلاء الكتاب والشعراء والأدباء ، في العصور المختلفة من التاريخ الأدبي الأفغاني نثره وشعره في استعمال الأسماء والأفعال والأساليب وفي أوزان الجموع العربية من أواخر العصر الساماني حتى العصر الغوري ، مارة بالعصور الأدبية الغزنوية والسلجوقية في الإطار الأفغاني .

قلنا إن التأثير الأدبي واللغوي العربي في اللغات والآداب الأفغانية قد بدأ من العصر الساماني بالبلخ ، إلا أنه كان ضعيفا ومتلاشيا في هذا العصر ، ذلك لبعد السامانيين عن التأثير العربي السياسي والأدبي واللغوي ، وتمسكهم بالآداب واللغات الوطنية ، وخاصة باللغة الدرية وآدابها في أيامهم الأولى حتى أنهم قد بذلوا من عاصمتهم (بخارى) جهدا كبيرا في تشجيع الشعر والنثر الدريين وأخذوا يغدقون على شعراء الدرية وكتابها من أجل أن ينظموا لهم الملاحم الوطنية التاريخية القومية بالدرية ، أو يترجموا لهم الكتب العربية كتاريخ الطبري ، وتفسير الطبري وغيرهما . إلى أن ظهر العصر الغزنوي ، ثم السلجوقي والغوري ، ذلك العصر الذي بدأ فيه تطور جديد في الآداب القومية الأفغانية ولغاتها بما فيها الأدب العربي ولغته .

(١) قابوسنامه ص ١٦٤ .

وفي هذا العصر بدأت فنون من أفانين اللغة العربية كالإطناب ، والوصف والبيان ، والاستشهاد ، والتمثيل وغيرها من فنون القول العربي تدخل الآداب الأفغانية ولغاتها القومية ، وفي هذا العصر أيضا بدأت كلمات جديدة تظهر في الآداب واللغات الأفغانية لم تكن موجودة في العصور الأدبية السابقة كالجموع العربية مثل :

خصما - غربا - خدما - قدما - شرايط - شروط - حدود - نكت - طرف - أنباع - كتب - فصول - أبواب - قطع - وغيرها .

والمصادر العربية المختلفة مثل :

بخل - كرم - سخا - لجأت - مناهجت - ميايظه - مغالطه - بصارت - استصواب - مواضعه - مفاوضه - مكرمه - وغيرها .

وكاستعمال الكلمات العربية المتنونة كما هي في اللغة العربية مثل :

عزيزا - سلاما - تحية - مكرما - مغامضة - حقا - ثم حقا - بعدا - ثم بعدا - اكراما - احترامما - غالبا - مخصوصا - خاصة - تماما - كاملا - جملة - جمعا - رغبة .

وقد تأثرت الآداب الأفغانية ولغاتها القومية بفنون من القول العربي كالإيجاز والإطناب ، والوصف ، والبيان ، والاستشهاد ، والتمثيل ، واستعمال عدد من الجموع ، والمصادر ، والكلمات العربية المتنونة ، كما مر ، كذلك تأثر الآداب الأفغانية ولغاتها القومية بكثير من فنون القول في اللغة العربية وآدابها كحذف الأفعال من الكلام بسبب وجود قرينة تدل عليها ، وكحذف جزء من الجملة لوجود قرينة تدل على حذفه ، وكحذف المفعول وغيره من الجمل لوجود قرائن تدل على حذفه . وكاستعمال الأفعال ، والفاعل ، والمفعول ، وغيرها من متعلقات الكلام وفقا لقواعد اللغة العربية كالتقديم ، والتأخير ، والفواصل بين أجزاء الجمل مثلا ، وكاستعمال واستخدام الجموع العربية على أوزانها العربية وفقا لقواعد اللغة العربية .

وخلاصة القول : إن الآداب واللغات الأفغانية والثقافة القومية الأفغانية

عامّة تأثرت بجميع الفنون في القول العربي ، والمصطلحات العربية بأسمائها وأفعالها وحروفها ، وأدواتها اللغوية ، واستعملتها في الآداب الأفغانية نثرها وشعرها .

تأثير المصطلحات الصوفية في الأدب الأفغاني :

وفي هذا العصر أيضا تأثر الأدب الصوفي في أفغانستان الخراسانية بالمصطلحات الصوفية العربية ، ومن أهم المصطلحات والكلمات العربية التي ظهرت في الآداب الأفغانية ولغاتها في هذا العصر هي :

- أحديت - وحدانيت - ماهيت - خصوصيت - بليت - خيريت -
- بشريت - هدايت - مشيت - معاملت - استهانت - وهبيت - صحبت -
- كرامت - مداومت - غيبت - شناعت - مدهانت - نكرت - غفلت - سريرت -
- كليت - آدميت - عجنت - حيوانيت - عبوديت - قطعت - حالت - همت -
- رؤيت - حرقت - محبت - طريقت - علت - آفت - ولايت - وصلت -
- معرفت - صفوت - طمأنيت - قربت - فرقت - قديم - نيت - تصحيح -
- مدهان - مثبتات - رفض - توحيد - موحد - كشف - مكاشفت - لطيفه -
- موصوف - مكونات - لاحق - كوني - محبوب - متجزأ - غيب - عين -
- اثبات - تحقيق - حق - حجاب - صقال - شاهد - شواهد - مشاهده - ترك -
- إثبات - افلاس - ظن - معلول - تعلق - كل - مشرف - إشراف - هاجس -
- نفس - تعريف - تعرف - ألطاف - خفي - أسرار - بهي - عين - محبت - أعلام -
- اخوات - إدمار - متحير - فوت - دفع - جلب - كسبي - حال - حالات -
- توفيق - كنه و ماهيت - حدود - غنا - غنى - شوق - تجريد - فناء - كل -
- بقاء كل - مقامات - منازل طريق - مدعى - ذات - صفات - مجاهده -
- مراتب - روحاني - ضروري - عبارت ومعبر - إلهي - لاهي - مسلك -
- تصديق - صدق - علمي - وعمل - قول فرد - شوق - تارك الأمر - مقلق -
- ومزعج - تخلي - منفي - عارف - مرقعه - أمر - طهارات - رباني - أسرار -
- حد - أسرار - حدود - محو - صحو - مريد - طالب - فقر - إظهار - بلا -
- جحود - خواطر رباني - نفاق - قال و حال - إخلاص - قدم ذات - سكون -
- قرب و حجب - جمال - أهل صنائع - أهل طبائع - أوصاف - مطالب - أعيان -

محدث - فقد - مرید - حضور - وغیبت - استنجا - استنشاق - أدب -
آداب - وسواس - هاتف - تحلیل محاسن - جمع - تفرقه - رضا - مقام وصال
سكر - إيثار - نفس - هوى - تجريد - وتزويج - مقام وتمكين - محاضرة
ومكاشفه - قبض وبسط - أنس وهيب - قهر ولطف نفى وإثبات - مساهره
محادثه - علم اليقين - عين اليقين - حق اليقين - سماع - وجد - وجود -
تواجد - رفق - أحداث محفوظ الجوارح - أدب الوقت - أبدال - إثبات -
اجتهاد - أخلاق - إرادات - أزل - أزليت - استدرج - سبيل - استغناء -
إشارات - اشتياق - إفلاس - إقدام - أنانيت - أنفاس - انقطاع - إنكار
الذات - قطب - أوتاد^(١) - باطن وظاهر - باقى وفانى - بسط وقبض - تجريد
وتجلى - تحقيق - حقيقى ومجاز - تصديق - تفويض - توكل - تعلق - جحود
جيروت - جزع - جلال - مجاهدة - حجاب - حرمان - حرب - حسرت
- حقيقت حق - حياء - حيرت - خرقه - خطوات - خلوت - خوف ورجاء
- سلوك - شفقت - صفا - صفت - طلب - عاشق ومعشوق عبرت - عدم
- ووجود - غرق وإستغراق - غرور - فتح وفتوح - فتوت - فراغت -
كشف ومكشوف - مرأى - مراقب - مقصود - مكاشفه - مكشوفات -
موافقت - وصال - هتك - هيب - أولياء - أسرار التوحيد - المجاهدات -
والرياضات - صفاء القلب - مقامات التصوف - خليفه إلهى - سلطان العارفين
- حجة - الخلائق - شيخ المشايخ - أعظم الأولياء - كشف المحجوب - مناقب
- ورع - مطابق - قواعد - مطلوب - نديم - كأس - معراج

* * *

تأثير العلوم العربية في الأدب الأفغانى :

كذلك تأثر الشعر الأفغانى بنوعيه ... البختونى والدرى وغيرهما من الشعر
الإفغانى باللغة العربية وعلومها المختلفة ، فقد كان الشعراء في أفغانستان يأخذون
من اللغة العربية مايناسب موضوعاتهم من مفرداتها اللغوية ، وعباراتها الأدبية ،

(١) ليس لهذه الكلمة (أوتاد) بالمصطلح الصوفى أصل في اللغة العربية لأنها ليست مشتقة من كلمة
(الوند) العربية . بل لها علاقة بكلمة (أوتار) السنسكريتية .

وأساليبها الإنشائية ، كما استخدموا في أشعارهم ببحر الشعر العرنى وقد أثر العروض العرنى في الشعر الأفغانى تأثيرا كبيرا ، واستعار الشعراء من الأفغان الأوزان والبحور الشعرية العربية ، كما أخذوا كل مصطلحات العروض عن العرب كالكافية ، والأوتاد ، والفواصل ، والأسباب ، وغيرها من الاصطلاحات العروضية ، كما اقتبسوا بعض ضروب النظم ، وأنواعه كالقصيدة والقطعة وغيرهما كالغزل . وقد قامت النهضة الأدبية الأفغانية معتمدة على دعائتين قويتين وهما : اللغات القومية ، واللغة العربية . فلا غرو إذن أن تؤثر اللغة العربية في الشعر الأفغانى قلبا وقالبا ، وأن يتأثر الشعر الأفغانى بكل ما هو ينتمى إلى الشعر من الصور ، والمعاني ، والقوالب ، والأشكال .

استمر تأثير اللغة العربية وآدابها في اللغات الأفغانية المختلفة وآدابها في العصور المختلفة حتى أصبحت بعض الكلمات ، والعبارات ، والأساليب والصيغ العربية جزءا لا يتجزأ من اللغات الأفغانية ، وأساليبها الأدبية ، والفنية وللتمثيل والاستشهاد لا للحصر والانحصار أقدم النماذج الآتية ، وهى كثيرة وعديدة ومتنوعة لا يمكن حصرها أو جمعها ، كما لا يمكن عدّها .

الأساليب والعبارات الدخيلة التى روعى فيها مطابقة الصفة للموصوف :

معانى غيبية - أمور حقيقية - قوى باطنية - قوى عاملة - قوة عاقلة -
أرواح متجسدة - فتوحات ربانية - فتوحات ربوية - أطوار سبعة - حواس
خمس - صفات حميدة - أخلاق حميدة - اخلاق ذميمة - صفات ذميمة -
أعمال كريهة - أفعال إنشائية - أفعال عظيمة - أسباب متفوقه - مزارع مغلّة -
حالات حفيظة - طينة ظلية - طينة سيئة - أفعال مقاربه - نفس ناطقة - نفس
ذكية - أمراض مذمومة - نفس لوامة - إنسانية عالية - واقعة مضیعة .

الأساليب والعبارات العربية الدخيلة التى لم ترع فيها مطابقة الصفة للموصوف :

سعادات نفسانى - علوم إنسانى - فضائل نفسانى - نفس بشرى - معانى
لطيف - تصورات خيالى - استعارات بعيد - مجازات شاذ - ألفاظ عرنى -

كلمات عرى - تشبيهات كاذب - تحقيقات جنائى - محاكم عسكرى - تنجيات متكرر - تجاوزات متكرر - تراكيب عرى - تطورات لغوى - لغات عرى - شركة أفغانى - حكومة أفغانى - دولت عرى - ممالك إسلامى - زهديات صوفى .

الأساليب والعبارات العربية التى تستعمل فى اللغات الأفغانية كما هى دون أى تغيير أو تبديل مثل :

غارة الشعراء - عادة الشعراء - نفس أُلشقى - حذف الأفعال بالقرينة - رعاية مطابقة الصفة والموصوف - قوة الأبناء - مراعاة النظر - عادية وعدوى - محل مرموق - مكان مغبوط - غلاء السعر - مثاقبة الصلحاء - عرض مال الديوان - نهزة الذئب - لائمة بخلق - حسن المس - غير حدثان - إطلاب سؤال - سير الامتحان - لباقة خلق - تعشقات وتشويقات - حروف عطل - بحث واستقرار - أثارت فتنها - منصة عرض - إِدِمان فكر - بطرفى إفراط وتقريط - ما لا بد منه - مالا يعنى - من يزيد - مستغنى عنه - يجوز ولا يجوز - على الحالات كلها - ألفاظ غير محتاج إليها - مواعظ موافق شرائع - انتشاج وايشاج - خير ومير - لاجرم - على اختلاف طبقاتهم ودرجاتهم - كرة بعد أخرى - بالمره - خليع العذراء - مرفوع الطمع - قربة إلى الله - مسلوب اليد - محضا لله - فيما بعد - مكشوف الصورة - ما بعد - الآن - حتى الآن - خليع العذار - مقبول القول - ما قبل - على حده - شديد البأس - شديد الخصام - على جناح الاستعجال - حسب الأمر - محبوب القلوب - محبوب الجميع - قرة العين - على أسرع الحال - بين الجانبين - بين الطرفين - مكشوف الوجه - فهو المراد حسب المدعا - حسبة لله - الخير فيما وقع - لا محالة - رباط الخيل - رجع القهقرى - العود أحمد - على أحسن الحال - على أقبح الحال - على أى حال - على التحقيق - على التوالى - بقية السيف - نصف النهار - على الطليعة - من القلق إلى الغسق - فى الجملة - فى الواقع - فى الحال - فى الفور - الحمد لله - الصلاة على الرسول - واخواتها كثيرة وعديدة .

الجموع العربية المستعملة في اللغات الأفغانية المختلفة :

مثل : ملكوتيات - أمثال - فعلات (جمع فعل) غنائم - أضراب - جمال (جمع جمل) مستحفظين - نوق (جمع ناقة) معازف (من العزف) صوامع - مساجد - أربطة - طرق - طرائق - مبتلات - مداخل - أرزاق - حَوَل (جمع حَوَل) - تخطر فات - أوداء (جمع ود) ثقلاء - صلال (جمع صل) - تسميات - مناقب - مكارم - مفترعات - مودعات - أساجيع - واصفات - رافعات - إطلاقات - بقور (جمع بقر) أغزال - مهالك - معاذير - أعاريض - عرائض - أقاليم - مناطق - أفانين - مسالك - قرايين - ممالك - ضغائن - زهديات - أرقا - تركيبات - لغويات - مجانيق - طعام - خيرات - صلوات - وغيرها من أحوائها .

جمع الكلمات العربية على أوزان الجموع الأفغانية

المفردات العربية الجموع الأفغانية المفردات العربية الجموع الأفغانية

لائم	لائمان	مطلع	مطلعان
صادق	صادقان	عارض	عارضان
مستمع	مستمعان	طالب	طالبان
مطالع	مطالعان	محصل	محصلان
خيل	خيLAN	مطالب	مطالبان
منتجع	منتجعان	ملازم	ملازمان
مخلوق	مخلوقان	محتاج	محتاجان
مخلص	مخلصان	مقلد	مقلدان
خاص	خاصان	مقتدى	مقتديان
واهى	واهيان	راكع	راكعان
لاهى	لاهيان	ساجد	ساجدان
موج	موجان	إمام	إمامان

المفردات العربية المجموع الأفغانية المفردات العربية المجموع الأفغانية

مطلع	مطلعان	مستفيد	مستفيدان
مضموم	مضمومان	محترم	محترمان
مذموم	مذمومان	عالم	عالمان
مصلح	مصلحان	جاهل	جاهلان
متكلم	متكلمان	ناصر	ناصران
مشرف	مشرفان	شارح	شارحان
كافر	كافران	جامع	جامعان
مشارك	مشاركان	كامل	كاملان
محرك	محركان	سالك	سالكان
صاحب	صاحبان	مالك	مالكان
فاتح	فاتحان	مؤرخ	مؤرخان
كاره	كارهان	واعظ	واعظان
شامل	شاملان	أمير	أميران
ناجع	ناجحان	حافظ	حافظان
قاضي	قاضيان	حكيم	حكيمان
ماضي	ماضيان	طبيب	طبيبان
كاتب	كاتبان	رسول	رسولان
شیطان	شیطانان	نبي	نبيان
ناشر	ناشران	ناشر	ناشران
ناظم	ناظمان	طابع	طابعان
فاشل	فاشلان	جالس	جالسان
شاعر	شاعران	قائم	قائمان
صالح	صالحان	قاعد	قاعدان
طالح	طالحان	مصلی	مصلیان

المفردات والكلمات العربية الجديدة التي دخلت اللغات الأفغانية
واحتلت مكانتها في الآداب الأفغانية المختلفة :

تجلى - إلهى - روحانى - روحى - نفسانى - نفسى - ربانى - صقالت -
مشقة - مستهجن - ملسون - مستعذب - مفكوك - تخرنج - فارغ - فراغت
جمال - حسن - متحول - تحول - قوة - مستثقل - إفاء - فناء - تعديد -
عدد - زهوق - أعنى - استعارة - مستلذ - كناية - شطارة - فعالية -
إصدار - متمى - مخبر - تسخى - تصنيف - مستمع - مأهول - متنبه - انتباه
مؤامرة - دسيسة - منساق - منسلك - محيى - تصالى - تبتل - إفحام -
استيجاب - تعليق - طارىء - تجاوب - تحريش - مستحضر - تحريك -
حرارة - برودة - حفيظه - وهلة - منبر - استرشاد - فراهة - دربة - مزاولة
تناول - ركيك - رصين - غث - سمين - غزارة - تأميل - أمل - ميلان -
ميل - مذعان - تسمية - احتضان - حالى - متحلى - ضرور (دواء العين)
إرافه - مدّ - شدّ - مرفوع - تضيق - منصلح - تقدمة - توالى - ثناء .
وأخواتها كثيرة .

الجمع بالألف والتاء فى اللغات الأفغانية المختلفة

المفردات الأفغانية المجموع العربية المفردات الأفغانية المجموع العربية

بشتون	بشتونيات	زردشت	زردشتيات
بختون	بختونيات	أوستا	أوستائيات
أفغان	أفغانيات	باغ	باغات
صافى	صافيات	خراسان	خراسانات
قندهار	قندهاريات	كابل	كابلات
آرى	آريات	جنكل	جنكلات
كوشان	كوشانيات	شروان	شروانات
باختر	باختريات	ممال	ماليات

تابع الجمع بالألف والتاء في اللغات الأفغانية المختلفة

المفردات الأفغانية الجموع العربية المفردات الأفغانية الجموع العربية

بوذى	بوذيات	ديوان	ديوانات
غرنى	غرنيات	قشلاق	قشلاقات
هرات	هراتيات	لغمان	لغمانيات
بست	بستيات	لشكر	لشكرات

تأثير الحروف الهجائية العربية في الحروف الهجائية الأفغانية :

كانت اللغات الأفغانية الرئيسية كالبلخونية تكتب بالحروف الخاصة بها ، ولما جاء الإسلام ، ودخل أفغانستان الخراسانية وانتشر في أنحائها المختلفة ، وسيطرت الثقافة العربية والحضارة الإسلامية على البيئة الأفغانية الثقافية ، تنازلت هذه اللغات عن حروفها الهجائية القديمة وبدأت تكتب بالحروف الهجائية العربية ، ولكنها تمسكت بعدد من الحروف الهجائية الخاصة بها لعدم وجودها في حروف اللغة العربية ، وهذا النوع من التأثير العربى في اللغات الأفغانية أقوى من جميع أنواع التأثير المعنوى والصورى ذلك لأن الحروف الهجائية العربية تمكنت من القضاء على الحروف الهجائية الخاصة باللغات الأفغانية قضاء مبرما وإلى الأبد ، فلانجد في أفغانستان الإسلامية أى أثر لتلك الحروف التى قضت عليها الحروف العربية بعد أن دخلت أفغانستان مع الفتح الإسلامى ، وانتشرت اللغة العربية ، والحضارة الإسلامية ، والثقافة العربية في أفغانستان الخراسانية . ويبلغ عدد حروف اللغة پشتونية الآن ثلاثين حرفا تتمتع بالمميزات الصوتية العربية والأفغانية والهندية والإيرانية فهي تشترك مع العربية في جميع حروفها ، وتشترك مع الفارسية في الحروف : (ب - ج - ز - ك) وتشترك مع السنسكريتية في الحروف : (ر - ن - د - ت) وتتميز بالحروف : (خ - ح - ر - س) والحروف المستعملة في اللغة پشتونية التى لا توجد في اللغة العربية : (ب - ت - ج - خ - ح - د - ز - ر - ر - س - ك - ك - ن)

* * *

قصة تأثير اللغة العربية وآدابها في لغات أفغانستان الأدبية :

وبعد : فإن قصة تأثير اللغة العربية وآدابها في لغات أفغانستان الأدبية من الظواهر اللغوية الرائعة ، والقصص الشائقة التي تستحق التسجيل والاهتمام وتغرى بالدرس والفحص ، وهي من ناحية أخرى ظاهرة لغوية وقصة أدبية لم تبدل الجهود الكافية حتى الآن لتحليلها ورصد حركاتها ، وماتركت فيها اللغة العربية من التأثير الأدبي واللغوي على الرغم من قدمها ، وطول العهد بها في تلك البلاد في منازل الأفغان .

لقد ظهر الصراع الشديد بين اللغة العربية واللغات الأفغانية بشكل واضح شديد بعد الفتح الإسلامي لأفغانستان ، فقد حدث إذ ذاك معارك لغوية وأدبية كبيرة بين اللغة العربية واللغات الأفغانية انتهت بهزيمة اللغات الأفغانية وبالنصر المبين للغة العربية وآدابها .

وقد كانت هزيمة اللغات القومية الأفغانية نتيجة لأسباب متعددة عملت كلها في صالح اللغة العربية ، من تلك الأسباب والعوامل التي تعاونت فيما بينها لإلحاق الهزيمة باللغات الأفغانية وآدابها في أفغانستان :

- ١ - العامل الديني والاجتماعي .
- ٢ - العامل السياسي والاقتصادي .
- ٣ - عامل التفوق اللغوي الذاق .

وقد لعبت هذه العوامل دورا هاما في صالح اللغة العربية وآدابها حتى ألحقت الهزيمة الساحقة باللغات الأفغانية ، وفي الحقيقة أن عامل انتشار الإسلام في ربوع أفغانستان يعتبر هو الأساس للعوامل الثلاثة ، فقد كان من الواضح الجلي ارتباط تقدم اللغة العربية ، وانتشارها بتقدم الإسلام وانتشاره في كل الأقطار المفتوحة على السواء ، ومن ناحية أخرى ، فإن تفوق أى لغة وتمتعها بالهبة والاحترام يرجع إلى قيمتها الذاتية ثم إلى قوتها القومية ثم إلى المصدر الذي تستمد منه قوتها الروحية ، وفي حالة اللغة العربية نجد قيمتها عظيمة جدا ذاتيا وروحيا ، تفوق قيمة اللغات الأفغانية ، فهي لغة القرآن والرسول والحكام .

فلما جاء الإسلام وتم الفتح الإسلامي لأفغانستان لم يقتصر الأفغان على اعتناق الإسلام فحسب بل أقبلوا على تعلم اللغة العربية ، وبرعوا فيها ، وجدوا في تعلمها ونشرها ، ودونوا مؤلفاتهم ورسائلهم باللغة العربية . ولعل ذلك يرجع إلى العامل الديني القوي النقي ، يقول ابن خلدون : « لما هجر الدين اللغات الأعجمية ، وكان لسان القائمين بالدولة الإسلامية عربيا ، هجرت كلها في جميع ممالكها ، لأن الناس تبع للسلطان وعلى دينه ، فصار استعمال اللسان العربى من شعائر الإسلام وطاعة العرب ، وهجر الأمم لغاتهم وألستهم في جميع الأمصار والممالك . وصار اللسان العربى لسانهم ، حتى رسخ ذلك لغة في جميع أمصارهم ، وصارت الألسنة الأعجمية دخيلة فيها وغريبة » (١) .

وإذا كان الأفغان قد نجحوا في إحياء لغاتهم القومية في أوائل القرن الثالث الهجرى فإنهم لم يضربوا عن التأليف باللغة العربية ، بل على العكس من ذلك فقد ازداد نشاطهم وتأثرهم باللغة العربية عن ذى قبل ، وظلت المنزلة الأولى للغة العربية حتى في ظل الدويلات الخراسانية التي استقلت عن الدولة العباسية وانفصلت ، وحتى اللغات الأفغانية التي أعاد الأفغان إليها الحياة في القرن الثالث الهجرى ، إنما نشأت في رعاية اللغة العربية وتحت تأثير آدابها الشديد القوى المؤثر إذ كتبت بالخط العربى وبالأسلوب العربى المبين ، وطعمت بالألفاظ والاصطلاحات والعبارات والأساليب والفواصل والقوافى والأوزان العربية ... أى أثرت اللغة العربية وآدابها في شكل اللغات الأفغانية وقالبها المعنوى معا .

والحق أن تأثير اللغة العربية في اللغات الأفغانية وآدابها كان عامرا شاملا ومؤثرا في الصورة والمعنى وفي الشكل والمضمون ، ومن هنا يتبين لنا أنه لما استطلعت أفغانستان بظل الإسلام الوارف قويت الصلات الأدبية والثقافية بين العرب والأفغان ، وكان من نتائج ذلك تأثير اللغات الأفغانية وآدابها باللغة العربية وآدابها الإسلامية ، وقد أوجد ذلك بابا جديدا واسعا في آداب الأفغان وثقافتهم وحياتهم العلمية والعملية .

فقد انعكست الثقافة الإسلامية العربية في جميع ألوان الحياة الثقافية في

(١) ابن خلدون : المقدمة .

البلاد الأفغانية فأثر النحاة العرب ونحوهم في نحاة الأفغان ونحوهم كما أثر البلاغيون العرب وبلاغتهم في علماء البلاغة في أفغانستان ، وأثر الأدباء العرب وأساليبهم الأدبية في أساليب الأدباء الأفغان ، وفي مفاهيمهم الأدبية والبيانية . ولقد لعبت التأثيرات الصوتية الدور الأهم من كل أنواع التأثيرات النحوية والصرفية والبلاغية والأسلوبية والأدبية والفنية الأخرى .

ومما لا شك فيه أنه من أهم الصعوبات التي تصادف المتحدث بأي لغة من اللغات الأجنبية نطقه للأصوات والحروف غير المألوفة أو غير الموجودة في لغته الأصلية ، ويزداد الأمر صعوبة إذا بدأت المحاولة في سن متأخرة بعد تعود الجهاز النطقى النطق بطريقة معينة . والسؤال الآن : هل تركت اللغة العربية آثارها العربية على الناحية الصوتية للغات الأفغانية بحيث صارت هذه الآثار الصوتية حقيقة مسلما بها ، ولا يشعر بغرابتها أو شذوذها السامعون ولا تثير انتباه المتكلمين ؟ .

الإجابة عن هذا السؤال بالإيجاب ، لأننا نرى في اللغات الأفغانية أصواتا أو حروفا ليست من الأصوات أو الحروف الأفغانية ، وهذه الحروف الصوتية هي : الثاء والحاء والذال والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والفاء والقاف (ث ، ح ، ذ ، ص ، ض ، ط ، ظ ، ع ، ف ، ق) كل حرف من هذه الحروف أو الأصوات العربية ينطق الآن في اللغات الأفغانية بقيمته الصوتية العربية ، وهو أثر من آثار اللغة العربية العميق في اللغات الأفغانية ، وهذه الأصوات تعطينا دليلا على تأثير الصوت العربى في الصوت الأفغانى .

وبعد فإن قصة لغة القرآن في بلاد الأفغان واستقرارها المتين في النفوس والأبدان من القصص الفريدة ، ويكفى أن نعلم أن أفغانستان قد تتابع عليها حكام أجانب على امتداد تاريخها الطويل من الإغريق والهنود والفرس دون أن يتمكن أحد من هؤلاء جميعا من فرض لغته ودينه وثقافته على أفغانستان ، وعلى أهلها إلى أن جاء العرب المسلمون فتمكنوا من فرض لغتهم وأديهم وثقافتهم بعد أن تمكنوا من فرض عقيدتهم الإسلامية على أفغانستان ، وما أن تمكنت العقيدة الإسلامية واللغة العربية والآداب العربية في أفغانستان حتى رسخت رسوخ الجبال الشواخ ، وقاومت هجمات الاستعمار المتنوعة واستطاعت أن تصمد أمام التيارات الهدامة ، وظلت ولن تزال ثقافة أفغانستان وعقيدتها .

مصادر الكتاب ومراجعته

١ - المراجع الأفغانية البشتوية

- ١ - آخوند درويزه ننگرهاری :
تذكرة الأبرار والأشعار
طبعة : پشاور
- ٢ - آخوند قاسم بابن خیل :
فوائد الشريعة
طبعة : لاهور
- ٣ - انجمن تاريخ افغانستان :
آريانا (مجله) شماره : ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢
طبعة : كابل
- ٤ - وزارت معارف افغانستان :
آريانا دائرة المعارف (پشتر)
طبعة : كابل
- ٥ - أحمد شاه بابا :
ديوان (د حبيبي تحقيق)
طبعة : كابل
- ٦ - أفضل خان خلك :
تاريخ مرصع (په كلشن روه كی)
طبعة : حيدر آباد
- ٧ - وزارت مطبوعات افغانستان :
د افغانستان كالنځۍ (الكتاب السنوى الأفغانى)
٤٢ - ١٣٤٣ هـ ش كال
طبعة : كابل
- ٨ - بايزيد روشان :
خير البيان
طبعة : كابل
- ٩ - پشتر تولنه (المجمع اللغوى البشتوى) :
توريالى پشتون
طبعة : كابل
- ١٠ - بير محمد كاكړ :
ديوان (د بينوا تحقيق)
طبعة : كابل

- حبيب الله نجی :
 ۱۱ - نوى جیوهنه أو جینی مسائل
- خوشحال ختک :
 ۱۲ - ۱ - د خوشحال کلیات - د حبیبی تحقیق
 ۱۳ - ۲ - دستار نامه
- دار مستر (مستشرق فرنی) :
 ۱۴ - ۱ - د پختونخوا د شعر هار و بهار
 ۱۵ - ۲ - پختو سیرنی - پختو ترجمه
- دوست محمد خان کامل :
 ۱۶ - خوشحال خان ختک
 طبعه : پشاور
- راورقی (مستشرق) :
 ۱۷ - کلشن روه
 طبعه : پشاور
- سلطان محمد خان قندهاری :
 ۱۸ - تاریخ سلطانی
 طبعه : بمبی
- سلیمان ماکو :
 ۱۹ - تذکرة الأولیاء (پشتهانه شعراء)
 طبعه : کابل
- سید أنوار الحق :
 ۲۰ - ۱ - حدیقه ختک
 ۲۱ - ۲ - در أو مرجان حمید بابا
 طبعه : پشاور
- سید بهادر شاه ظفر کاکا خیل :
 ۲۲ - پختانه د تاریخ په رنای
 طبعه : پشاور
- سید حبیب الله المعروف به مرزا زحی جگر
 الیخاری :
 ۲۳ - تجلیات حجاز بمعده دیوان در عجم
 طبعه : پشاور
- شاه عبدالله بدخشی :
 ۲۴ - د افغانستان د حینو جبو أو لهجو قاموس
 طبعه : کابل

صديق الله رشتين :

- ٢٥ - ١ - پختانه شعراء - دوهم توك
طبعة : كابل
٢٦ - ٢ - د پختو د ادب تاريخ
طبعة : كابل
٢٧ - ٣ - د پختو اشتقا قونه
طبعة : كابل

عبد الحليم اثر :

- ٢٨ - ١ - تير مير شاعران
طبعة : پشاور
٢٩ - ٢ - د پشتو ادب
طبعة : پشاور

عبد الحى حبيبي (پوهاند) :

- ٣٠ - ١ - پښتانه شعراء - اول توك
طبعة : كابل
٣١ - ٢ - د پشتو د ادبياتو تاريخ - دوه توكه
طبعة : كابل
٣٢ - ٣ - لوى احمد شاه بابا
طبعة : كابل
٣٣ - ٤ - د پشتود شعر تاريخچه
طبعة : كابل

عبدالحميد مهمند (حميد بابا) :

- ٣٤ - ديوان
طبعة الهند

عبدالرؤف بينوا :

- ٣٥ - ١ - اوستى ليكوال - دوه توكه
طبعة : كابل
٣٦ - ٢ - پشتو د شاهانويه درباركى (١٣٢٣ هـ
كالنۍ)
طبعة : كابل
٣٧ - ٣ - د افغانستان تاريخى پيشى
طبعة : كابل
٣٨ - ٤ - ميرويس
طبعة : كابل
٣٩ - ٥ - لنډۍ - فارس ترجمه : بينوا : انگرېزى
ترجمه ابراهيم شريفى
٤٠ - ٦ - ادبى فنون
طبعة : كابل

عبدالرحمن (قاضى) :

- ٤١ - انسانه د لپښير
طبعة : پشاور

عبدالقادر خان :

- ٤٢ - ١ - كليات - د حبيبي تحقيق
طبعة : قندهار
٤٣ - ٢ - يوسف اوزليخوا
طبعة : قندهار

عبدالله خان مغموم (مرجکی) :

۴۴ - خواجه تراخه - دوه جلدہ طبعه : پشاور

عطاء الله خان (قاضی) :

۴۵ - د پختو تاريخ طبعه : پشاور

بشتو تولنه :

۴۶ - کابل مجله : ۵۷۷ ، ۵۹۷ ، ۶۰۱ ، ۶۱۰ ،

۶۲۲ ، ۶۲۳ ، ۶۲۴ ، ۶۲۵ ، ۶۲۶ ، ۶۳۴ ،

۶۳۸ ، ۶۳۹ ، ۶۴۱ ، ۶۴۲ ، ۶۴۳ ، ۶۴۴ ،

۶۴۷ ، ۶۴۸ ، ۶۴۹ ، ۶۵۰ ، ۶۵۳ ، ۶۵۷ ،

۶۵۸ ، او ۱۳۵۴ کال : ۱۱ ، ۱۲ ، او ۶۷۱ ،

۶۸۳ کمنه

طبعه : کابل

کل پاچا الفت :

۴۷ - ۱ - ادلی بحثونه طبعه : کابل

۴۸ - ۲ - نوی سیک او نوی أدب طبعه : کابل

۴۹ - ۳ - ملی قهرمان خوشحال ختک طبعه : کابل

۵۰ - ۴ - بله دیوه طبعه : کابل

محمد دین جواک :

۵۱ - پشتو نثرونه طبعه : کابل

محمد هوتک بن داود :

۵۲ - پته خزانہ - تحقیق پوهاند عبدالحی حبیبی طبعه : کابل

مراد شینواری :

۵۳ - د خیبر أدب طبعه : کابل

مرزا خان أنصاری :

۵۴ - دیوان طبعه : پشاور

میلون :

۵۵ - تاريخ افغانستان - دمنشی أحمد جان پختو ترجمه طبعه : لاهور

همیش خان خلیل :

۵۶ - ۱ - پختانه لیکوال طبعه : پشاور

۵۷ - ۲ - ورکه خزانہ - دوه توکه طبعه : پشاور

هيوز (مستشرق) :

۵۸ - کلید افغانی طبعه : لاهور

د ادبياتو پوهنځی ، د کابل پوهنتون (کلیه

الآداب جامعة کابل) :

۵۹ - وجهه (مجله) :

۱، ۲، ۶ کته ۱۳۴۳ هـ ش کال . او ۱، ۲،

۳، ۴، ۵، ۶ کته ۱۳۴۴ هـ ش کال . او ۱،

۲ کته ۱۳۴۵ هـ ش کال . او ۳، ۴ کته

۱۳۵۰ هـ ش کال . او ۱، ۲، ۳، ۴، ۵ کته

۱۳۵۱ هـ ش کال . او ۳، ۴ کته ۱۳۵۲ هـ

ش کال ... او ۳ کته ۳۵۵ هـ ش کال .

طبعه : کابل

يعقوب حسن خان :

۶۰ - فقه اللغة پشتو

۲ - المراجع الأفغانية الدرية

وزارت معارف أفغانستان :

۶۱ - آريانا دائرة المعارف (دائرة المعارف الآرية) طبعه : کابل

أحمد علي كهزاد :

۶۲ - ۱ - تاريخ أفغانستان - جلد اول ودوم طبعه : کابل

۶۳ - ۲ - أفغانستان ديرتو تاريخ طبعه : کابل

۶۴ - ۳ - در زواياي تاريخ معاصر أفغانستان طبعه : کابل

۶۵ - ۴ - رهنمای باميان طبعه : کابل

۶۶ - ۵ - مسکوکات أفغانستان در عصر اسلام طبعه : کابل

۶۷ - ۶ - مسکوکات أفغانستان قبل الإسلام طبعه : کابل

۶۸ - ۷ - إمبراطوري کوشان طبعه : کابل

۶۹ - ۸ - لشکرگاه طبعه : کابل

۷۰ - ۹ - آثار عتيقة کوتل خير خانہ - ترجمه دری

ادوارد الایس بیرس :

- ۷۱ - عروج بارکزائی - ترجمه دری عبدالرحمن پنجواک
و محمد عثمان صدق

طبعة : کابل

پورداود :

- ۷۲ - ۱ - یسنا - ترجمه دری
۷۳ - ۲ - یشتها - ترجمه دری

طبعة : بمبی

طبعة : بمبی

حاجی میرزا عبدالمحمد خان ایروانی مؤدب :

- ۷۴ - ۱ - کتاب (زردشت باستانی و فلسفه او)
۷۵ - ۲ - کتاب پیدایش خط و خطاطان

طبعة : مصر

طبعة : مصر

حمد الله مستوفی :

- ۷۶ - تاریخ کزیده

طبعة : طهران

خلیل الله خلیل :

- ۷۷ - سلطنت غزنویان

طبعة : کابل

ذبیح الله صفا (دکتر) :

- ۷۸ - تاریخ ادبیات در ایران

طبعة : طهران

سیف بن محمد سیفی هروی :

- ۷۹ - تاریخنا مه هرات

طبعة کلکته

سید محمد قاسم رشتیا :

- ۸۰ - افغانستان در قرن نوزده

طبعة : کابل

شاه شجاع و محمد حسین هراتی :

- ۸۱ - واقعات شاه شجاع

طبعة : کابل

شیخ محمد رضا (مرحوم) :

- ۸۲ - ریاض الألواح - غزنه

طبعة : کابل

عبدالحی حبیبی (پوهاند)

- ۸۳ - ۱ - تاریخ افغانستان بعد از اسلام جلد اول

طبعة : کابل

- ۸۴ - ۲ - تاریخ افغانستان در عصر کورکانیان هند

طبعة : کابل

- ۸۵ - ۳ - تاریخ افغانستان در عصر تیموریان هند

طبعة : کابل

- ۸۶ - ۴ - تاریخ مختصر افغانستان دو جلد
طبعة : کابل
- ۸۷ - ۵ - مادر زبان دری یازبان دوهزار ساله
افغانستان
طبعة : کابل
- ۸۸ - ۷ - پشتو ولویکان غزنه
عبدالحی بن ضحاک کرديزی :
طبعة : طهران
- ۸۹ - زین الأخبار - تحقیق پوهاند عبدالحی حبیبی
عبدالرؤف بینوا :
طبعة : کابل
- ۹۰ - هوتکها
غلام جیلانی جلالی :
طبعة : کابل
- ۹۱ - غزنه وغزنویان
علی بن حامد کوفی :
طبعة : دهلی
- ۹۲ - چیچ نامه - تاریخ سند
غلام حسین موسوی :
طبعة النجف الأشرف
- ۹۳ - پیشرو نهضتها : سید جمال الدین افغانی
فخر مدبر مبارکشاه :
طبعة : لاهور
- ۹۴ - آداب الحرب والشجاعة
فضل أحمد :
طبعة : کابل
- ۹۵ - رهنمای افغانستان
کوبا اعتادی :
طبعة : کابل
- ۹۶ - تجمل وتمدن غوریان
مؤلف نا معلوم :
طبعة : طهران
- ۹۷ - تاریخ سیستان
مؤلف نا معلوم :
طبعة : کابل
- ۹۸ - حدود العالم من المشرق والمغرب
محمد بن أحمد دققی بلخی :
طبعة : کابل
- ۹۹ - دققی نامه

- محمد اکرم (دکتور) :
 ۱۰۰ - قاموس جغرافی افغانستان ۴ جلد
 طبعه کابل
- محمد اقبال (شاعر و فیلسوف) :
 ۱۰۱ - ۱ - فلسفه عجم
 طبعه لاهور
 ۱۰۲ - ۲ - جاوید نامه
 طبعه لاهور
- محمد تقی بهار (ملک الشعراء) :
 ۱۰۳ - سبک شناسی باتاریخ تطویر نثر فارسی
 طبعه طهران
- محمد عثمان صدقی :
 ۱۰۴ - ۱ - شهر های آریانا
 طبعه کابل
- محمد عوفی :
 ۱۰۵ - ۱ - لباب الالباب
 طبعه طهران
- محمد قاسم هندوشاه :
 ۱۰۶ - تاریخ فرشته
 طبعه لکنهو
- محمد محسن طیبی :
 ۱۰۷ - تاریخ ادبیات دری در افغانستان
 طبعه کابل
- منہاج الدین عثمان بن سراج الدین الجوزجانی :
 ۱۰۸ - طبقات ناصری - تحقیق پوهاند عبدالحی حبیبی
 طبعه کابل
- میر غلام محمد غبار :
 ۱۰۹ - ۱ - افغانستان در مسیر تاریخ
 طبعه کابل
- میر محمد صدیق فرهنگ :
 ۱۱۰ - صفاریان
 طبعه کابل
- میرزا عطا محمد شکارپوری :
 ۱۱۱ - نوای معارف
 طبعه کابل
- میرزا یعقوب علی خان :
 ۱۱۲ - پادشاهان متأخر افغانستان دو جلد
 طبعه کابل
- نعمت الله بن حبیب الله هروی :
 ۱۱۳ - مخزن افغانی
 طبعه کابل

نظام الملك طومى :

١١٤ - سياست نامه ياسير الملوك طبعة طهران

يك هيئت على أفغانستان :

١١٥ - أفغانستان طبعة كابل

٣ - المراجع العربية

إبراهيم رزقانه (الدكتور) :

١١٦ - إيران وأفغانستان طبعة القاهرة

إبراهيم على أبوالخشب :

١١٧ - تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الأول طبعة القاهرة

إبراهيم محمد نجا :

١١٨ - المعاجم اللغوية طبعة القاهرة

أحمد إبراهيم موسى (الدكتور) :

١١٩ - الصيغ البديعية فى اللغة العربية طبعة القاهرة

أحمد أمين :

١٢٠ - ١ - فجر الإسلام طبعة القاهرة

١٢١ - ٢ - ضحى الإسلام طبعة القاهرة

١٢٢ - ٣ - ظهر الإسلام طبعة القاهرة

أحمد السعيد سليمان :

١٢٣ - تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة طبعة القاهرة

أحمد شلبى (دكتور) :

١٢٤ - ١ - أديان الهند الكبرى طبعة القاهرة

أحمد محمد الحوفى :

١٢٥ - ١ - الحياة العربية من الشعر الجاهلى طبعة القاهرة

١٢٦ - ٢ - أدب السياسة فى العصر الأموى طبعة القاهرة

أحمد بن محمد بن عبد ربه :

١٢٧ - العقد الفريد طبعة القاهرة

- أحمد محمود السادانى (الدكتور) :
١٢٨ - تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية
طبعة القاهرة
- أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر اليعقوبى :
١٢٩ - تاريخ اليعقوبى
طبعة النجف الأشرف
- إدوارد جرانفيل براون :
١٣٠ - تاريخ الأدب فى إيران - الترجمة العربية
طبعة القاهرة
- ارتركريستسن (مستشرق) :
١٣١ - إيران فى عهد الساسانيين - الترجمة العربية
طبعة القاهرة
- أرنولد توينبى :
١٣٢ - بين آودريا وجنا - الترجمة العربية
طبعة القاهرة
- أبراسحاق إبراهيم بن على الحصرى القيراوى :
١٣٣ - زهر الآداب وثمر الألباب
طبعة القاهرة
- أنطون غطاس كرم :
١٣٤ - الرمزية والأدب العربى الحديث
طبعة بيروت
- ايسخيلوس :
١٣٥ - الفرس والضارعات - الترجمة العربية
طبعة القاهرة
- بشار بن برد البخارى :
١٣٦ - ديوانه
طبعة القاهرة
- أبويكر أحمد بن محمد الهمذانى - ابن الفقيه :
١٣٧ - كتاب البلدان
طبعة القاهرة
- بيديا الفيلسوف الهندى :
١٣٨ - كتاب كليله ودمنه - ترجمة عبدالله بن المقفع
طبعة القاهرة
- پنل (الدكتور) :
١٣٩ - قدوة الشجعان فى حدود بلاد الأفغان - الترجمة
العربية
طبعة القاهرة

تاج الدين أبونصر عبدالوهاب بن تقي الدين
السبكي :

١٤٠ - طبقات الشافعية الكبرى طبعة القاهرة

تيرانس ذاتيجان :

١٤١ - الإسكندر المقدوني أو مغامراته - الترجمة العربية طبعة الكويت

جاك . س. ديسلر :

١٤٢ - الحضارة العربية - الترجمة العربية طبعة القاهرة

جرجي زيدان :

١٤٣ - تاريخ آداب اللغة العربية طبعة القاهرة

أبو جعفر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري :

١٤٤ - فتوح البلدان طبعة القاهرة

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري :

١٤٥ - ١ - تاريخ الرسل والملوك - (طبعة ثانية) طبعة القاهرة

١٤٦ - ٢ - تفسير الطبري طبعة القاهرة

جمال الدين أبوالحسن علي بن يوسف -

ابن القفطي :

١٤٧ - تاريخ الحكماء طبعة ليبزج

جيمس هنري بروسيد :

١٤٨ - انتصار الحضارة - تاريخ الشرق القديم - الترجمة العربية

طبعة القاهرة

حامد عبدالقادر :

١٤٩ - زرادشت الحكيم طبعة القاهرة

حسن إبراهيم حسن (الدكتور) :

١٥٠ - تاريخ الإسلام السياسي والديني طبعة القاهرة

حسن محمد جوهر وعبدالمجيد بيومي :

١٥١ - أفغانستان - سلسلة شعوب العالم (٧) طبعة القاهرة

- أبو الحسن الهلال بن المحسن الصائى :
 ١٥٢ - الوزراء أو تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء
 طبعة القاهرة
- حسين عطوان (الدكتور) :
 ١٥٣ - الشعر العربى بجراسان فى العصر الأموى
 طبعة بيروت
- حسين مؤنس :
 ١٥٤ - الشرق الإسلامى فى العصر الحديث
 طبعة القاهرة
- حسين مجيب المصرى (دكتور) :
 ١٥٥ - صلات بين العرب والفرس والترك
 طبعة القاهرة
- أبو حنيفة الدينورى - أحمد بن داود :
 ١٥٦ - الأخبار الطوال
 طبعة القاهرة
- جامعة إبراهيم باشا :
 ١٥٧ - حوليات كلية الآداب - مايو سنة ١٩٥١ م
 طبعة القاهرة
- خليل الله خليلي :
 ١٥٨ - ١ - هرات - تاريخها آثارها . رجالها
 طبعة بغداد
- ١٥٩ - ٢ - الفقهاء للمغانيون فى بغداد
 طبعة بغداد
- مكتب اليونسكو بالقاهرة :
 ١٦٠ - رسالة اليونسكو - العدد ٩٣ مارس سنة ١٩٦٩ م
- رشيد الدين فضل الله الهمداني :
 ١٦١ - جامع التواريخ - الترجمة العربية
 طبعة بغداد
- رضا زاده شفق (الدكتور) :
 ١٦٢ - تاريخ الأدب الفارسى - الترجمة العربية
 طبعة بغداد
- أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى الخوارزمى :
 ١٦٣ الآثار الباقية عن القرون الخالية
 طبعة ليزر
- زكى مبارك :
 ١٦٤ - النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى
 طبعة القاهرة
- زكى المحاسينى (الدكتور) :
 ١٦٥ - شعر الحرب فى أدب العرب
 طبعة القاهرة

- سراج الدين أبوحفص الغزنوى الحنفى :
 ١٦٦ - الغرة المنيفة فى تحقيق الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه
 طبعة القاهرة
- سعد الدين التفتازانى :
 ١٦٧ - شرح العقائد النفسية
 طبعة القاهرة
- سليمان الأغاى :
 ١٦٨ - ١ - صور من الأدب والأدباء فى شتى العصور
 طبعة القاهرة
- سليمان حسن ربيع (الدكتور) :
 ١٦٩ - فى الأدب الإسلامى والأموى
 طبعة القاهرة
- أبوسليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطائى
 البستى :
 ١٧٠ - بيان إعجاز القرآن - تحقيق محمد خلف الله ومحمد
 زغلول سلام
 طبعة القاهرة
- السيد تقى الدين (الدكتور) :
 ١٧١ - فى الأدب العباسى
 طبعة القاهرة
- سيد جمال الدين الأفغانى :
 ١٧٢ - ١ - تنمة البيان فى تاريخ الأفغان
 طبعة القاهرة
- ١٧٣ - ٢ - الرد على الدهريين
 طبعة القاهرة
- ١٧٤ - ٣ - أم القرى (صحيفة)
 طبعة القاهرة
- أبوشامه شهاب الدين أبومحمد عبدالرحمن بن
 إسماعيل المقدسى :
 ١٧٥ - تراجم رجال القرنين السادس والسابع أو الذيل
 على الروضتين
 طبعة القاهرة
- شاهين مكاربوس :
 ١٧٦ - تاريخ إيران
 طبعة القاهرة
- شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان :
 ١٧٧ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان
 طبعة القاهرة

- شوق ضيف (الدكتور) :
- ١٧٨ - ١ - العصر العباسى الأول طبعة القاهرة
- ١٧٩ - ٢ - العصر العباسى الثانى طبعة القاهرة
- صالح العلى :
- ١٨٠ - استيطان العرب فى خراسان . مجلة آداب جامعة بغداد العدد الأول سنة ١٩٥٩ طبعة بغداد
- صلاح الدين السلجوقى (المرحوم) :
- ١٨١ - أضواء على ميادين الفلسفة والعلم واللغة والفن والأدب طبعة القاهرة
- طه حسين (الدكتور) :
- ١٨٢ - فى الأدب الجاهلى طبعة القاهرة
- طه ندا (الدكتور) :
- ١٨٣ - دراسات فى الشاهنامة طبعة الاسكندرية
- عبدالحليم منتصر (الدكتور) :
- ١٨٤ - تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه طبعة القاهرة
- عبدالحميد المسلول (الدكتور) :
- ١٨٥ - نظرية الانتحال طبعة القاهرة
- عبدالحى حبيبى (الاستاذ) :
- ١٨٦ - لغة الپشتو طبعة القاهرة
- عبدالحى بن العماد :
- ١٨٧ - شذرات الذهب فى أخبار من ذهب طبعة القاهرة
- أبوعبدالرحمن السلمى :
- ١٨٨ - طبقات الصوفية - تحقيق نورالدين شريعة طبعة القاهرة
- عبدالرحمن عثمان (الدكتور) :
- ١٨٩ - معالم النقد الأدبى طبعة القاهرة
- عبدالرحمن بن محمد بن خلدون :
- ١٩٠ - المقدمة طبعة القاهرة

- عبدالسلام عبدالعزيز فهمى (الدكتور)
 ١٩١ - تاريخ اللغات الإيرانية
 طبعة القاهرة
- عبدالقادر بن عمر البغدادى :
 ١٩٢ - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب
 طبعة القاهرة
- عبدالكريم الشهر ستالى :
 ١٩٣ - الملل والنحل
 طبعة بغداد
- عبداللطيف حمزة :
 ١٩٤ - ابن المقفع
 طبعة القاهرة
- أبو عبدالله محمد المقدسى البشارى :
 ١٩٥ - أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم
 طبعة ليدن
- أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله :
 ١٩٦ - معجم الأدباء
 طبعة القاهرة
- عثمان عبدالنعم عيسى (دكتور)
 ١٩٧ - الأديان والمذاهب الشرقية
 طبعة القاهرة
- أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ :
 ١٩٨ - البيان والتبيين
 طبعة القاهرة
- عصام الدين عبدالرؤف (دكتور) :
 ١٩٩ - تاريخ الإسلام فى جنوب غرب آسيا فى العصر
 التركى
 طبعة القاهرة
- عفاف السيد زيدان (دكتوراه) وآخرون :
 ٢٠٠ - اللغة الفارسية ... نحوها وأدبها وبلاغتها
 طبعة القاهرة
- أبو على إسماعيل بن عيذون القالى :
 ٢٠١ - كتاب الأمالى
 طبعة القاهرة
- على بن الحسين المسعودى :
 ٢٠٢ - مروج الذهب ومعادن الجوهر
 طبعة القاهرة
- على الشافى (الدكتور) :
 ٢٠٣ - الأدب الفارسى فى العصر الغزنوى
 طبعة تونس

- على صافي حسين :
٢٠٤ - الأدب الصوفي في مصر
طبعة القاهرة
- على مظهر (دكتور) :
٢٠٥ - أفغانستان
طبعة القاهرة
- عناية الله إبلاغ (الدكتور) :
٢٠٦ - أبو حنيفة متكلمًا
طبعة القاهرة
- أبو العين فهمي محمد :
٢٠٧ - أفغانستان بين الأمس واليوم
طبعة القاهرة
- غلام حسين الموسوي الأفغاني :
٢٠٨ - الرد على الدكتور الورداني
طبعة بغداد
- غوستا ولوبون (الدكتور) :
٢٠٩ - ١ - حضارة العرب - ترجمة عادل زعير
٢١٠ - ٢ - حضارة الهند - ترجمة عادل زعير
طبعة القاهرة
- فايد حماد عاشور (الدكتور) :
٢١١ - العلاقات السياسية بين الممالك والمغول في الدولة
الملوكية الأولى
طبعة القاهرة
- فؤاد عبدالمعطي الصياد (الدكتور) :
٢١٢ - مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمداني
طبعة القاهرة
- فؤاد محمد شبل (دكتور) :
٢١٣ - البوذية
طبعة القاهرة
- ف. بارتولد :
٢١٤ - تاريخ الحضارة الإسلامية - الترجمة العربية
طبعة القاهرة
- فخر الدين محمد بن عمر الرازي (الإمام) :
٢١٥ - مناظرات فخر الدين الرازي في بلاد ماوراء النهر
طبعة القاهرة
- أبو الفرج الأصفهاني : علي بن الحسين :
٢١٦ - الأغاني
طبعة القاهرة

فريدريك نيتشه :

٢١٧ - هكذا تكلم زرادشت - الترجمة العربية طبعة بيروت

أبو الفضل أحمد بن طاهر الكاتب المعروف

بابن طيفور :

٢١٨ - بغداد في تاريخ الخلافة العباسية طبعة القاهرة

أبو القاسم إسحاق بن إبراهيم الأصبخري :

٢١٩ - المسالك والممالك طبعة ليدن

أبو القاسم بن حوقل :

٢٢٠ - صورة الأرض طبعة بيروت

القسم الثقافي والصحافي بالسفارة الأفغانية بالقاهرة :

٢٢١ - ١ - أفغانستان طبعة القاهرة

٢٢٢ - الآثار الأفغانية طبعة القاهرة

كارل بروكلمان (مستشرق)

٢٢٣ - تاريخ الأدب العربي (ترجمة عربية) طبعة القاهرة

كمال الدين سامح (دكتور) :

٢٢٤ - في العمارة الإسلامية طبعة القاهرة

كي لسترنج :

٢٢٥ - بلدان الخلافة الشرقية - ترجمة عربية طبعة بغداد

محمد أمان صافي :

٢٢٦ - ١ - نفحات عن تاريخ السيد جمال الدين الأفغاني

(بحث غير مطبوع) منقذ الشرق

٢٢٧ - ٢ - ابن الأثير ناقدًا رسالة غير مطبوعة ()

٢٢٨ - ٣ - المراكز الأدبية في أفغانستان (غير مطبوع)

محمد باقر زين العابدين الخوانساري :

٢٢٩ - روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات طبعة

محمد جمال الدين سرور (دكتور) :

٢٣٠ - تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق طبعة القاهرة

- محمد حلمى محمد أحمد (الدكتور) :
 ٢٣١ - ١ - الخلافة والدولة فى العصر الأموى طبعة القاهرة
 ٢٣٢ - ٢ - الخلافة والدولة فى العصر العباسى طبعة القاهرة
- محمد السعدى فرهود (الدكتور) :
 ٢٣٣ - ١ - قضايا النقد الأدبى الحديث طبعة القاهرة
 ٢٣٤ - ٢ - تأليف العبارة طبعة القاهرة
- محمد سعيد عبدالمجيد سعيد الأفغانى (دكتور) :
 ٢٣٥ - ١ - شيخ الإسلام عبدالله الأنصارى المروى طبعة القاهرة
 ٢٣٦ - ٢ - نابغة الشرق السيد جمال الدين الأفغانى طبعة القاهرة
- محمد طاهر نسيم :
 ٢٣٧ - مدفن الإمام يحيى بن زيد فى أفغانستان طبعة بغداد
- محمد عبدالغفار الهاشمى الأفغانستانى :
 ٢٣٨ - البلاغة السامية فى اللغة الفارسية طبعة القاهرة
- محمد عبدالفتاح إبراهيم :
 ٢٣٩ - ١ - الطوابع الثقافية الشعبية فى أفغانستان طبعة القاهرة
 ٢٤٠ - ٢ - أفغانستان (سلسلة كتب سياسية) طبعة القاهرة
- أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة :
 ٢٤١ - عيون الأخبار طبعة القاهرة
- محمد عبدالمنعم خفاجى :
 ٢٤٢ - دراسات فى التصوف الإسلامى - ظلاله فى الأدب العربى طبعة القاهرة
- محمد عبدالمنعم الشرقاوى ورفاقه :
 ٢٤٣ - أفغانستان طبعة القاهرة
- أبو محمد على بن سعيد بن حزم :
 ٢٤٤ - جمهرة أنساب العرب طبعة القاهرة
- محمد بن على بن طباطبا المعروف بابن الطقطقى :
 ٢٤٥ - الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية طبعة القاهرة

- محمد بن عمران المرباني :
٢٤٦ - معجم الشعراء
طبعة القاهرة
- محمد غنيمي هلال (الدكتور) :
٢٤٧ - النماذج الإنسانية في الدراسات الأدبية المقارنة
طبعة القاهرة
- محمد فهمي عبداللطيف :
٢٤٨ - الأفغان فيلسوف الوحدة العربية
طبعة القاهرة
- محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد
الشيبياني ابن الأثير :
٢٤٩ - الكامل في التاريخ
طبعة القاهرة
- محمد بن مكرم بن علي بن منظور :
٢٥٠ - لسان العرب
طبعة القاهرة
- محمد نايل (دكتور) :
٢٥١ - اتجاهات وآراء في النقد الحديث
طبعة القاهرة
- محمد يونس :
٢٥٢ - الحدود تتكلم أو تاريخ شعب مناضل (ترجمة عربية)
طبعة القاهرة
- محمود تونكي :
٢٥٣ - معجم المصنفين
طبعة بيروت
- أبوالمعالى عبدالملك بن أبومحمد الجوينى إمام
الحرمين :
٢٥٤ - الإرشاد . تحقيق لوسيانى
طبعة باريس
- أبومنصور الثعالبي :
٢٥٥ - يتيمة الدهر
طبعة القاهرة
- أبومنصور عبدالقاهر بن طاهر البغدادي
الفرق بين الفرق :
٢٥٦ -
طبعة القاهرة
- أبومنصور محمد بن أحمد الأزهرى الهروى :
٢٥٧ - تهذيب اللغة
طبعة القاهرة

الناطقة الديبالي :

٢٥٨ - ديوانه طبعة بيروت

ناجي معروف :

٢٥٩ - ١ - اصالة الحضارة العربية طبعة بغداد
٢٦٠ - ٢ - عروبة العلماء المنسوين إلى البلدان الأعجمية طبعة بغداد

ناصر الدين الأسد :

٢٦١ - مصادر الشعر الجاهلي طبعة القاهرة

نجيب العقيقي :

٢٦٢ - المستشرقون طبعة القاهرة

النعمان القاضي :

٢٦٣ - شعر الفرق الإسلامية في العصر الأموي طبعة القاهرة

نعمت إسماعيل علام :

٢٦٤ - فنون الشرق الأوسط من الإغريق حتى الفتح الإسلامي طبعة القاهرة

همام بن غالب الفرزدق :

٢٦٥ - ديوانه طبعة بيروت

ي هل :

٢٦٦ - الحضارة العربية - الترجمة العربية طبعة القاهرة

* * *

فهرس موضوعات الكتاب

الصفحة

الموضوع

٥ المقدمة

الباب الأول

١١ أفغانستان في ظل الفتح الإسلامي - العصور الأدبية

الفصل الأول :

١٢ خراسان .. الحالة السياسية - الدينية - الأدبية - اللغوية

١٣ بداية الفتوحات الإسلامية في أفغانستان

١٣ تمهيد - نور الإسلام يسلط أشعته على منازل الأفغان

٢٣ الفصل الأخير من حياة آريانا = أفغانستان القديمة

٢٣ ١ - الحياة السياسية والضغط العسكري الإسلامي

٢٤ نقل العاصمة من كاپيسا إلى كابل على أثر هجوم المسلمين عليها

انتقال العاصمة من (ويند) إلى (بهتند) وطرده ملوك الشرك من

٢٥ أفغانستان الآرية

٢٦ ٢ - الحياة الدينية والاجتماعية في هذه الفترة ومكانة الآلهة

٢٩ عصر صدر الإسلام ونظرة عامة إلى الأوضاع في أفغانستان

٢٩ الحالة السياسية قبل الإسلام

٣١ الحالة الدينية والاجتماعية قبل الإسلام

٣٤ اضطراب العقيدة

٣٥ الحالة الأدبية واللغوية والفنية في أفغانستان قبل الإسلام

٣٦ حروف الكتابة ولغة الأدب والفن في أفغانستان قبل الإسلام

٣٦ ١ - الحروف الإغريقية

٣٧	٢ - الحروف الخروشتية
٣٧	٣ - الحروف الپهلوية
٣٧	٤ - الحروف السنسكرتية
٣٨	اللغات الأدبية في أفغانستان قبل الإسلام
٤١	العلماء والزوار الصينيون في أفغانستان قبل الإسلام
٤٢	الأسر الحاكمة في أفغانستان قبل الإسلام
٤٢	أسرة اللويك الملكية في غزنه
٤٤	رتابله زابل
٤٦	ملوك كابل أو الدولة الكابلشاهية
٤٦	الأسر الحاكمة في شمال أفغانستان قبل ظهور الإسلام
٤٧	الأسرة التكنينية
٤٧	الأسرة النپكية الحاكمة في أفغانستان قبل ظهور الإسلام
٤٨	أسرة باميان الحاكمة قبل ظهور الإسلام في أفغانستان
٤٩	الأسرة السورية الغورية في أفغانستان قبل الإسلام
٥٠	الغور بين السور والزور والزون
٥٣	عصر الخلفاء الراشدين وخلفاء بنى أمية إلى أنى مسلم الخراسانى
٥٣	مرة أخرى أسماء أفغانستان .. آريانا - خراسان - أفغانستان
٥٣	من آريانا إلى خراسان
٥٤	ما قاله العلماء والشعراء في خراسان
٥٩	الفتوحات الإسلامية في أفغانستان الشمالية
٦٦	الفتوحات الإسلامية في أفغانستان الجنوبية
٦٧	عبد الرحمن بن سمره في سيستان الأفغانية
٦٨	فتح كابل العاصمة الأفغانية
٦٩	فتح الولايات الشرقية من أفغانستان
٧٣	أفغانستان في العصر الأموى (٤٠ - ١٣٢ هـ)
٧٣	الولاية الأمويون في أفغانستان

٧٦	إمارة الحجاج بن يوسف الثقفي وأفغانستان الخراسانية
٧٦	قتيبة بن مسلم الباهلي في أفغانستان الخراسانية
٧٨	قوام الجيش الإسلامي الذي قاده قتيبة في فتوحات خراسان
٧٨	عمر بن عبد العزيز والولاة الأمويون في خراسان
٧٩	وفاة عمر بن عبد العزيز وحكام خراسان الأفغانية
٨٠	أسد بن عبدالله في خراسان وعملياته الحربية
٨١	الحركة العباسية في خراسان الأفغانية
٨٤	نصر بن سيار وقتل الإمام يحيى الحسيني
٨٤	مدفن الإمام يحيى الحسيني
٨٥	سيستان والأقاليم الجنوبية الغربية الأفغانية في العصر الأموي
٨٧	استقرار العرب وآثارهم في أفغانستان
٨٩	القبائل العربية في أفغانستان الخراسانية
١٠٥	اللغة العربية كإحدى اللغات الأفغانية
١٠٨	تأثر اللغة العربية في أفغانستان باللغات الأفغانية

الفصل الثاني :

١١٣	الأدب العربي في ظلال الفتوح الإسلامية
	الموضوعات والأغراض التي تحدث عنها الشعراء العرب في خراسان خلال
١١٥	فتح أفغانستان
١١٥	تصوير الموضوعات التقليدية
١١٥	المدح
١٢٣	المزاوجة المعنوية بين معاني المدح الموروثة والمستحدثة
١٢٤	الفخر وتطوره في خراسان الأفغانية
١٢٨	الثناء
١٣٥	المهجاء وأنواعه
١٤١	تصوير الأحوال الداخلية

١٦٨	تصوير الغزوات الحربية في أفغانستان
١٧٨	تصوير الغزوات الحربية فيما وراء خراسان الأفغانية
١٨٨	الخصائص الفنية
١٩٠	عودة إلى الأدب في التاريخ والسياسة
	أبو مسلم الخراساني والحركات السياسية والأدبية في أفغانستان
١٩٠	الخراسانية
١٩٤	تاريخ ميلاد الزعيم أبي مسلم الخراساني
١٩٥	كيف بدأ الزعيم أبو مسلم الخراساني نشاطه لتأسيس الخلافة العباسية
١٩٦	أبو مسلم وأبو سلمة خلال الهمذاني وتأسيس الخلافة العباسية
	بلاد الغور والزعيم أبي مسلم الخراساني والتعاون المشترك لتأييد
١٩٦	العباسيين
١٩٧	ما قيل فيه من الأشعار وما قاله من الأقول
٢٠١	الحركات الأدبية والعلمية والسياسية بعد قتل أبي مسلم الخراساني
٢٠١	الأسرة البرمكية البلخية
٢٠١	ولاية الفضل بن يحيى البرمكي في خراسان الأفغانية
٢٠٥	البرامكة في التاريخ الأفغاني
٢٠٦	كلمة الـ (برمك)
٢٠٧	جعفر = برمك الأول
٢٠٨	دور البرامكة العلمي والثقافي والأدبي
٢١٠	ما قيل في البرامكة من الأشعار
٢١٥	ما قيل في البرامكة من الشعر بعد زوال أمرهم
	الفنون والآداب واللغات الأفغانية بعد الفتوحات الإسلامية
٢١٩	في أفغانستان
٢١٩	فنون النحت والحفر والنقش وصناعة التماثيل والأصنام
٢٢٠	فن الأدب والفكر والعلم والثقافة
٢٢٢	الأدب البشتوني والبختوني الأفغاني في هذه الفترة

٢٢٤	الأدب الدرې الأفغانى فى هذه الفترة
٢٢٥	اللغات الأفغانية فى هذا العصر من تاريخ أفغانستان
٢٢٦	الثقافة الإسلامية فى هذا العصر من التاريخ الأفغانى

الفصل الثالث :

٢٣١	مساهمة علماء أفغانستان الخراسانية فى العلوم المختلفة
٢٣٣	مساهمة علماء أفغانستان فى العلوم المختلفة
٢٣٦	العلوم النقلية
٢٣٦	الأحاديث والتفاسير والقراءات
٢٣٦	أبو عبدة الهروى
٢٣٧	إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلى
٢٣٧	ابن سلام الهروى
٢٣٨	إبراهيم بن طهمان الهروى
٢٣٨	عبدالله بن المبارك المروى
٢٣٩	محمد الفريانى
٢٣٩	سريج المروى
٢٣٩	حسن بن واقد المروى
٢٣٩	أبو ذكريا يحيى بن معين المروى
٢٣٩	أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى
٢٤٠	أبو داود سليمان الجارود بن الأشعث السجستانى
٢٤٠	أبو عيسى محمد بن عيسى بن سهل الترمذى
٢٤١	أبو عبد الرحمن أحمد بن على بن شعيب النسائى
٢٤١	أبو رجاء قتيبة بن سعيد بن جميل البغلانى
٢٤١	أبو القاسم عبد الله بن محمد (أو حمد) بن عبد العزيز البغوى
٢٤٢	أبو عبد الله بن محمد بن نصر المروى
٢٤٢	أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض الفريانى
٢٤٢	حماد بن زيد السجستانى

٢٤٢	عبد الله بن عثمان المروزي
٢٤٣	إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني
٢٤٣	محمد بن أحمد بن حبان البستي
٢٤٣	أبو سليمان حمد (أحمد) بن محمد بن إبراهيم الخطاي البستي
٢٤٤	أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين المروزي
٢٤٤	أحمد بن علي بن سعيد المروزي
٢٤٥	الفقه والفقهاء
٢٤٥	عبد الله بن المبارك المروزي الحنظلي
٢٤٥	مكحول بن أبي مسلم
٢٤٦	كوسج المروزي
٢٤٦	أبو عثمان عمرو بن عبيد
٢٤٧	أبو عبد الله نافع
٢٤٧	أحمد بن حنبل المروزي
٢٤٨	أبو حنيفة النعمان بن ثابت
٢٥٠	العلماء الفقهاء الإقليميون
٢٥٠	فقهاء بلخ
٢٥٠	بلخ
٢٥١	أبو المطيع الحكم بن عبد الله البلخي
٢٥٢	أبو عمر حفص بن عبد الرحمن البلخي
٢٥٢	أبو عبد الله الحسين بن محمد بن خسرو البلخي
٢٥٢	خالد بن سليمان البلخي
٢٥٢	أبو عبد الرحمن مسلم بن سالم البلخي
٢٥٣	عبد الوهاب بن عبد ربه البلخي
٢٥٣	عمر بن ميمون الرماح البلخي
٢٥٣	عتاب بن محمد بن شاذب
٢٥٣	مكي بن إبراهيم أبو السكن البلخي
٢٥٤	مقاتل بن حيان البلخي

٢٥٤	المتوكل بن حمران البلخي
٢٥٤	نصر بن عبد الكريم البلخي
٢٥٤	متوكل بن شداد البلخي
٢٥٥	أبو محمد حسن بن محمد الليثي البلخي
٢٥٥	أبو حفص عمر بن هارون البلخي
٢٥٥	عصام بن يوسف البلخي
٢٥٥	إبراهيم بن أدهم البلخي
٢٥٥	شقيق بن إبراهيم البلخي
٢٥٥	فقهاء الجوزجان
٢٥٥	الجوزجان
٢٥٦	أبو سليمان موسى بن سليمان الجوزجاني
٢٥٦	أبو بكر أحمد بن إسحاق الجوزجاني
٢٥٦	فقهاء مرو
٢٥٦	مرو ... مرو الروذ ومرو الشاهجان
٢٥٧	أبو عاصم محمد بن فضل بن عطية المروزي
٢٥٧	أبو عصمة نوح بن يزيد أبي مريم
٢٥٧	أبو إسحاق إبراهيم بن ميمون الخراساني المروزي
٢٥٧	عبد الله بن المبارك المروزي
٢٥٧	فضل بن موسى المروزي
٢٥٨	يحيى بن نصر المروزي
٢٥٨	حسن بن واقد المروزي
٢٥٨	إسماعيل بن إبراهيم الصائغ
٢٥٨	أبو غانم يونس المروزي
٢٥٨	أبو حمزة محمد بن ميمون المروزي
٢٥٩	أبو سهل نصير بن باب المروزي
٢٥٩	محمد بن شجاع بن نهان المروزي
٢٥٩	سهل بن مزاحم المروزي

الصفحة	الموضوع
٢٥٩	محمد بن مزاحم المروزي
٢٥٩	نضر بن شميل المروى
٢٥٩	عبد العزيز بن منيب المروزي
٢٦٠	محمد بن محمد بن أحمد المروزي
٢٦٠	فقهاء هرات
٢٦٠	هيرات
٢٦١	إبراهيم بن تهمان الهروى
٢٦١	عائذ بن حبيب الهروى
٢٦١	كنانة بن جبلة الهروى
٢٦٢	أبو خالد هياج بن بسطام الهروى
٢٦٢	معمّر بن حسين الهروى
٢٦٢	مالك بن سليمان الهروى
٢٦٢	فقهاء كابل العاصمة الأفغانية
٢٦٢	كابل
٢٦٢	أبو مجاهد على بن مسلم
٢٦٣	فقهاء سيستان = سجستان الأفغانية
٢٦٣	سيستان = سجستان
٢٦٣	الخليل السجزي
٢٦٤	دعلاج السجزي
٢٦٤	عبيد الله السجزي
٢٦٤	عمر السجزي النوقاني
٢٦٤	أحمد السجزي
٢٦٥	إياس السجزي
٢٦٥	منصور السجستاني
٢٦٥	يوسف السجستاني
٢٦٥	فقهاء بست الأفغانية
٢٦٥	بست

الموضوع	الصفحة
إسماعيل البستي	٢٦٥
محمد البستي	٢٦٦
محمد بن حبان البستي	٢٦٦
ناصر الكيلاني البستي	٢٦٦
فقهاء لغمان	٢٦٧
أسماء هذه الولاية الأفغانية	٢٦٧
أبو يعقوب إسماعيل بن عبد الرحمن	٢٦٨
أبو تمام محمد عبد الملك بن عبد السلام بن الحسن اللمغاني	٢٦٨
محمد عبد الرحمن بن الحسن اللمغاني	٢٦٨
أبو محمد عبد السلام بن إسماعيل بن عبد السلام بن الحسن اللمغاني	٢٦٨
أبو يعقوب يوسف بن إسماعيل اللمغاني	٢٦٨
عبد الرحمن بن عبد السلام بن إسماعيل اللمغاني	٢٦٩
عبد الملك بن عبد السلام اللمغاني	٢٦٩
فقهاء غزنه	٢٦٩
غزنه	٢٦٩
عبد الرب منصور الغزنوي	٢٦٩
إبراهيم بن أحمد الغزنوي	٢٦٩
عطاء بن يعقوب ناكل الغزنوي	٢٧٠
أبو الحسن علي بن محمد الغزنوي	٢٧٠
أحمد بن محمود بن سعد الغزنوي	٢٧٠
سعد بن عبد الله الغزنوي	٢٧٠
عمر بن إسحاق الغزنوي	٢٧٠
محمد بن يوسف الغزنوي	٢٧١
فقهاء خراسان	٢٧١
إسحاق بن سليمان الخراساني	٢٧١
زيد بن حبان بن حسن الخراساني	٢٧١
أبو علي نفيل بن عياض الخراساني	٢٧٢

٢٧٢	أبو سعد بن سالم القداح الخراساني
٢٧٢	علماء وفقهاء عدد من المدن والأقاليم الأخرى في خراسان
٢٧٢	فقهاء نيسابور
٢٧٢	نيسابور
٢٧٢	أبو يحيى جارود بن يزيد النيسابوري
٢٧٣	أبو علي حسين بن وليد النيسابوري
٢٧٣	أبو منذر نعمان بن عبد السلام النيسابوري
٢٧٣	أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري
٢٧٣	أبو محمد الفضل بن شاذان بن الخليل النيسابوري
٢٧٣	أحمد بن إبراهيم (أو محمد) النيسابوري
٢٧٣	تدوين العلوم الأدبية
٢٧٤	النضر بن شميل المازني
٢٧٤	الأخفش الأوسط البلخي
٢٧٥	ابن سلام الهروي
٢٧٥	أبو جاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني
٢٧٦	شمر بن حمدويه الهروي
٢٧٦	مشاهير أفغانستان في الأدب العربي
٢٧٧	الشعر العربي
٢٧٨	نشار بن برد ونماذج من شعره
٢٨٢	طخارستان = تخارستان = تخار موطن أسرة بشار بن برد
٢٨٣	حسين بن الضحاك الخليع
٢٨٥	مروان بن سليمان الخراساني
٢٨٦	العباس الخراساني
٢٨٨	على العكوك الخراساني
٢٩٠	مروان بن محمد (الشمقمق) الخراساني
٢٩٢	على بن الجهم السامي الخراساني
٢٩٥	النثر الفنى

الموضوع	الصفحة
بديع الزمان الهمذاني	٢٩٦
مقاماته	٢٩٦
رسائله	٢٩٧
شعره	٢٩٧
بديع الزمان في أفغانستان	٢٩٨
في غزوه الأفغانية	٢٩٩
في هرات الأفغانية	٣٠١
وفاته في هرات الأفغانية	٣٠٢
آرية أدب بديع الزمان	٣٠٣
أبو أحمد منصور بن محمد الأزدي الهروي	٣٠٤
علم العربية	٣٠٥
الأخفش الأوسط البلخي	٣٠٥
أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي	٣٠٦
أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني	٣٠٦
أبو عمرو شمر بن حمدويه الهروي	٣٠٦
أبو بكر محمد بن عزيز بن أحمد بن عزيز العزيزي السجستاني	٣٠٦
أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المروزي	٣٠٧
أبو الفضل محمد بن أبي جعفر المروزي الهروي	٣٠٨
أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي	٣٠٨
أبو منصور محمد بن أحمد بن أضر بن طلحة الأزهرى الهروي	٣٠٨
كافي الكفاة أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباسي الطالقاني	٣٠٩
أبو عبيد أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الهروي الباشاني	٣٠٩
أحمد بن محمد البشتي الخارزنجي	٣١٠
الأدب الصوفي في أفغانستان	٣١١
العقيدة والتصوف عند الآريين	٣١٢
إبراهيم بن آدم	٣١٥
شقيق بن إبراهيم البلخي	٣١٦

الموضوع	الصفحة
حاتم الأصم البلخي	٣١٧
أحمد بن خضرويه البلخي	٣١٧
الفضيل بن عياض الخراساني	١١٧
بشر بن الحارث الحافي المروزي	٣١٨
محمد بن الفضل البلخي	٣١٨
عبد الله بن المبارك المروزي	٣١٩
أبو علي الجوزجاني	٣١٩
أبو يزيد البسطامي	٣١٩
أبو الحسن علي بن أحمد البوشنكي	٣٢٠
أبو حفص النيسابوري	٣٢١
حمدون القصار	٣٢١
منصور بن عمار	٣٢٢
أبو تراب النخشبي	٣٢٢
هجويري الغزنوي	٣٢٣

الباب الثاني

الأدب العربي من الدولة الطاهرية إلى الدولة الغورية - العصور الإسلامية	٣٢٥

الفصل الأول :

الأدب في ظلال الدولة الطاهرية والصفارية والسامانية	٣٢٦
الأدب في ظلال الدولة الطاهرية	٣٢٧
التمهيد	٣٢٧
طاهر ذو اليمينين	٣٢٩
بوشنك	٣٣٠
الأدب والثقافة	٣٣٢

٣٣٧	استمرار اللغات الوطنية وآدابها القومية
٣٣٨	الشعر العربي في أفغانستان أيام الدولة الطاهرية
٣٤٧	الأدب في ظلال الدولة الصفارية
٣٤٧	التمهيد
٣٤٨	الدولة الصفارية
٣٤٨	يعقوب بن الليث الصفارى
٣٥١	عمرو بن الليث
٣٥٢	الأدب والثقافة في حكم الصفارين
٣٦٥	الأدب في ظل الدولة السامانية
٣٦٥	التمهيد
٣٦٦	الدولة السامانية
٣٦٧	الأدب والثقافة في حكم السامانيين
٣٧٣	العصر الساماني وعملية التأثر والتأثير

الفصل الثالى :

٣٧٧	الأدب في ظلال الدولة الغزنوية والسلجوقية والغورية
٣٧٩	الأدب في ظلال الدولة الغزنوية
٣٧٩	التمهيد
٣٨٠	الدولة الغزنوية
٣٨٠	ألبتكين
٣٨٠	سبكتكين
٣٨٣	محمود الغزنوى الزابلى
٣٨٨	الأدب والثقافة في العصر الغزنوى
٣٨٩	هل قضت الدولة الغزنوية على الآداب بقضائها على الدويلات ؟
٣٩٢	تطور الحياة الأدبية والحضارية في العصر الغزنوى
٣٩٤	إدماج الأسس الثقافية والحضارية في إطار ذهبي واحد
٣٩٦	مكانة غزنة الأدبية والثقافية

الصفحة

الموضوع

٣٩٨	رواد الثقافة والآداب في العصر الغزنوي
٣٩٩	أبو القاسم أحمد بن محمد الميوندی (الميمندی)
٤٠١	أبو الفتح البستي
٤٠٤	أبو ريحان البيروني
٤٠٦	أبو منصور الثعالبي
٤٠٦	بديع الزمان الهمداني
٤٠٦	أبو العباس فضل بن أحمد الأسفرايني
٤٠٧	أبو علي حسن بن محمد بن عباس
٤٠٧	أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتيبي
٤٠٧	أبو سعيد عبد الحلي بن الضحاك بن محمود الكرديزي
٤٠٨	الشعر والنثر العربي في أفغانستان في هذه الأيام
٤١٠	بعض النماذج الشعرية والنثرية من العصر الغزنوي
٤٣١	الأدب في ظلال الدولة السلجوقية
٤٣١	التمهيد
٤٣٣	طغرل بك
٤٣٤	سنجر
٤٣٧	الأدب والثقافة في العصر السلجوقي
٤٤١	شعراء أفغانستان في العصر السلجوقي وكتابتها
٤٤١	أبو الفتح الحسن بن إبراهيم الصميري
٤٤٢	أبو طالب حمزة الأسدي
٤٤٣	أبو عباس الخوراني
٤٤٤	عبد الرزاق الأندرائي
٤٤٤	أبو الحسن محمد الحسيني البلخي
٤٤٥	الرسالة السلطانية للحسيني البلخي في فتح هرات
٤٤٨	النماذج الشعرية
٤٤٨	شعر أبي الحسن محمد الحسيني البلخي
٤٤٩	شعر علي بن محمد البركردزي

٤٦١	محمد سورى
٤٦٣	ثلاث نظريات في وفاته
٤٦٣	أبو على السورى
٤٦٤	عباس بن شيس السورى
٤٦٤	محمد بن عباس السورى
٤٦٤	قطب الدين حسن بن محمد السورى
٤٦٥	عز الدين الحسين بن قطب الدين السورى
٤٦٥	أبناء عز الدين بن الحسين بن قطب الدين السورى السبعة
٤٦٥	١ - شجاع الدين على
٤٦٥	٢ - فخر الدين مسعود
٤٥٠	شعر على بن ابى طالب البلخى
٤٥١	شعر الأديب ابى بكر الخوشىرى البلخى
٤٥٢	شعر أحمد بن إبراهيم الطالقانى
٤٥٢	شعر القاضى نصر بن سيار المروى
٤٥٣	النتائج الأدبية
٤٥٥	الأدب فى ظلال الدولة الغورية
٤٥٥	اتمهتد
٤٥٦	غوريون
٤٥٨	ماهويه السورى
٤٥٩	سور وسام
٤٥٩	بسطام بن مهشاد
٤٦٠	شنسب بن خرتك
٤٦٠	فولاد = پولاد
٤٦٠	كرور جهان پهلوان
٤٦١	ناصر بن كرور
٤٦١	بنجى بن نهاران الشنسى
٤٦١	سورى بن محمد

الموضوع	الصفحة
٣ - قطب الدين محمد (ملك الجبال)	٤٦٦
٤ - سيف الدين السورى	٤٦٦
٥ - علاء الدين حسين	٤٦٦
٦ - شهاب الدين محمد	٤٦٦
٧ - بهاء الدين سام	٤٦٦
سيف الدين السورى	٤٦٦
علاء الدين الحسين	٤٦٧
ناصر الدين حسين مادينى	٤٦٨
سيف الدين محمد بن علاء الدين	٤٦٨
غياث الدين بن بهاء الدين سام	٤٦٩
السلطان محمد الغورى القائد	٤٧٠
فتوحاته فى الهند	٤٧١
السلطان محمد الغورى الإمبراطور	٤٧٣
وفاة السلطان محمد الغورى	٤٧٣
مصير الإمبراطورية الغورية بعد وفاته	٤٧٤
الأسرة الكرّية الغورية ومؤسسها الأول شمس الدين كرت	٤٧٥
عز الدين عمر مرغنى	٤٧٥
ركن الدين كرت	٤٧٥
شمس الدين مهين كرت	٤٧٦
ركن الدين محمد كرت	٤٧٦
فخر الدين بن ركن الدين شمس الدين كهين	٤٧٧
غياث الدين محمد	٤٧٧
شمس الدين محمد	٤٧٧
حافظ غياث الدين	٤٧٧
معز الدين حسين	٤٧٨
باقر غياث الدين محمد	٤٧٨
غياث الدين بن معز الدين	٤٧٨

الموضوع	الصفحة
الأسر الغورية الثلاث	٤٧٨
الأدب والثقافة أيام الأسرة الكرتية	٤٧٩
الغوريون في أفغانستان واهند	٤٧٩
الغوريون في جدول زمني	٤٨٣
الآداب والثقافات في العصر الغوري	٤٨٧
التمهيد	٤٨٧
العناصر الثقافية والحضارية في هذا العصر	٤٨٨
الآداب والفنون	٤٨٩
مزج العناصر الحضارية والثقافية مزجا إسلاميا	٤٩٠
ازدهار الفنون والآداب	٤٩٢
هل كان تعدد الدول وتغييرها سريعا ضارا بالآداب ؟	٤٩٩
أدباء وعلماء العصر الغوري	٥٠٧
الأميرة (ماه ملك)	٥٠٧
الإمام عبد الخالق الجوزجاني	٥٠٩
إبراهيم بن الإمام عبد الخالق الجوزجاني	٥٠٩
سراج الدين بن محمد أعجوبة الزمان الجوزجاني	٥٠٩
منهاج الدين عثمان بن سراج الدين الجوزجاني	٥١٠
العلامة الإمام فخر الدين الرازي	٥١١
فخر الدين مبارك شاه بن الحسن المروزي	٥١٣
الخصائص الفنية في آداب هذه الفترة	٥١٥
النوع الأول - إنتاج عرني	٥١٥
النوع الثاني - إنتاج أدبي ... عرني أفغاني	٥١٨
النوع الثالث - إنتاج أدبي مزيج من لغتين أو أكثر	٥٢٢
قصيدة الرضواني في بنى الأفغاني	٥٢٣
كتاب مقصود المؤمنين	٥٢٥
مقدمات المؤلفات الأفغانية	٥٢٦

الفصل الثالث :

٥٣١	تأثير الأدب العربى فى الأدب الأفغانى
٥٣٣	أفغانستان : الأفغان = الپختون = الپشتون = الپكت
٥٣٤	الأفغان
٥٣٥	كلمة (الأفغان) فى التاريخ
٥٣٧	كلمة (أفغانستان)
٥٣٧	خلاصة القول فى أسماء أفغانستان
٥٣٩	حدود أفغانستان السياسية
٥٤٠	الاستقطاعات والتنازلات
٥٤١	أفغانستان فى ظل الأسر الحاكمة
٥٤٢	المغول والأسرة التيمورية
٥٤٣	الأسرة الهوتكية والأسرة الإبدالية
٥٤٥	الأسرة الدرانية الإبدالية
٥٤٥	أحمد شاه بابا الدرانى الإبدالى والجيش النادرى الأفشارى
٥٤٦	تيمور شاه
٥٤٨	الأسرة الباركرية
٥٤٨	دوست محمد خان
٥٤٩	محمد أعظم خان والسيد جمال الدين الأفغانى
٥٤٩	شير على خان
٥٥٠	عبد الرحمن خان
٥٥٠	حبیب الله خان
٥٥١	أمان الله خان
٥٥١	محمد نادر خان
٥٥١	محمد ظاهر خان
٥٥١	محمد داود خان والثورة الأفغانية
٥٥٩	الآداب الأفغانية فى هذا العصر
٥٥٩	اللغة الپختونية الپشتونية الأفغانية وآدابها
٥٦٤	جهود المستشرقين

٥٦٧	أنواع الشعر
٥٦٧	الشعر القصصى
٥٦٨	الشعر التمثيلي
٥٦٨	الشعر الغنائى
٥٦٩	مكانة الشعر الأفغانى الپختونى بين هذه الأنواع
٥٧٢	فنون الشعر الپختونى الپشتونى الأفغانى
٥٧٣	الحماسة والفخر
٥٧٤	المدح
٥٧٥	الرثاء
٥٧٨	الغزل
٥٧٨	الوصف
٥٨٠	المواعظ والإخلاق
٥٨١	الحكم والأمثال
٥٨١	المناجاة
٥٨٢	الحب والغرام
٥٨٢	الترجمة
٥٨٥	اللغة الدرية الأفغانية وآدابها
٥٨٥	طلائع الشعر الدرى الأفغانى
٥٨٦	النثر الدرى الأفغانى
٥٨٦	الأدب الدرى فى العصر الغزنوى
٥٨٧	النثر الدرى فى العصر الغزنوى
٥٨٨	النثر العلمى
٥٨٨	النثر الفنى
٥٨٩	الغوريون والأدب الدرى
٥٩٠	النثر الدرى فى العصر الغورى
٥٩٣	تأثير الأدب العربى فى الأدب الأفغانى
٥٩٦	أثر الأدب العربى فى الأدب الأفغانى بفرعيه الهامين
٥٩٦	التأثير الدينى فى الأدب الأفغانى

الموضوع	الصفحة
التأثير الفني في الأدب الأفغانى	٥٩٧
تأثير الإطناب الفني في الأدب الأفغانى	٥٩٨
تأثير الاستشهاد والتمثيل الفني في الأدب الأفغانى	٥٩٨
تأثير الكلمات العربية في الأدب الأفغانى	٥٩٩
تأثير الاختلاط الأدبى الفني	٥٩٩
الكلمات العربية التى لم تكن موجودة فى اللغات الأفغانية وآدابها	
ودخلتها مع دخول الإسلام	٦٠٠
الكلمات والمصطلحات العربية الإدارية التى راجت مع رواج الدولة	
العربية فى أفغانستان	٦٠١
تأثير المصطلحات الصوفية فى الأدب الأفغانى	٦٠٥
تأثير العلوم العربية فى الأدب الأفغانى	٦٠٦
الأساليب والمعارف العربية التى تستعمل فى اللغات الأفغانية كما هى	
دون أى تغيير	٦٠٨
الجموع العربية المستعملة فى اللغات الأفغانية المختلفة	٦٠٩
جمع الكلمات العربية على أوزان الجموع الأفغانية	٦٠٩
المفردات والكلمات العربية الجديدة التى دخلت اللغات الأفغانية	
واحتلت مكانتها	٦١١
الجمع بالألف والتاء فى اللغات الأفغانية المختلفة	٦١١
تأثير الحروف الهجائية العربية فى الحروف الهجائية الأفغانية	٦١٢
قصة تأثير اللغة العربية وآدابها فى لغات أفغانستان الأدبية	٦١٣
مصادر البحث ومراجعته	٦١٧
١ - المراجع الأفغانية البشتونية	٦١٧
٢ - المراجع الأفغانية الدرية	٦٢١
٣ - المراجع العربية	٦٢٥
فهرس موضوعات الكتاب	٦٣٧

